

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب والحضارة
الإسلامية - قسم التاريخ



جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية - قسنطينة
رقم التسجيل
الرقم التسلسلي

الهوية في خطاب النصارى الاستقلالي الثوري في الجزائر (1926 - 1954)

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه (ل م د) في العلوم الإنسانية - تاريخ
تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

إشراف الأستاذ الدكتور
أحمد صاري

إعداد الطالب
عمر حمدي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
محمد أوجرتي	أستاذ محاضر . أ	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة	رئيسا
أحمد صاري	أستاذ التعليم العالي	جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي	مشرفا ومقررا
كمال بيرم	أستاذ التعليم العالي	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	مناقشا
عبد الوحيد جلامة	أستاذ محاضر . أ	جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي	مناقشا
حنان لطرش	أستاذ محاضر . أ	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة	مناقشا
عايدة حباطي	أستاذ محاضر . أ	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة	مناقشا

السنة الجامعية 1445 - 1446هـ / 2023 - 2024



الإهداء

يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ
سُبْحَانَكَ لَا نَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم
وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على
إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد

أهدي هذا العمل إلى

إلى أرواح قوافل المجاهدين والشهداء، الذين جاهدوا بالسيف،
وإلى الذين جاهدوا بالقلم والكلمة وفي كل الميادين، دفاعاً عن هوية
الجزائر الإسلامية، وعلى رأسهم الأمير عبد القادر والشيخ عبد الحميد
بن باديس.

إلى روجي الوالدين الكريمين أحمد الفقوس والوالدة فاطمة
لعميد تغمدهما الله برحمته وأسكنهما فسيح جناته،
وإلى السند الكريم أخي الكبير إسماعيل، وأخي الأصغر كمال،
وأخواتي الكريمات، والزوجة الكريمة وكل الأولاد عبد الرحمان، مريم،
خولة، كوثر، هبة الرحمان.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي



رسالة شكر وعرفان

أتقدم بأسمى كلمات الشكر عرفانا وامتنانا إلى الأستاذ الدكتور أحمد صاري الذي تابع عملنا إشرافا و توجيها، فكان نعم الموجه ونعم الرفيق في هذه الرحلة العلمية. والشكر موصول لفريق التكوين بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة ونخص بالذكر السادة -أ.د. نور الدين ثنيو -أ. د.عبد الناصر بن طناش -د. رياض بن الشيخ الحسين -أ.إبراهيم مرابط. ولكل إدارة قسم التاريخ بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة كل باسمه ومنصبه ومقامه.

كما أقدم خالص شكري إلى من ساعدنا بالكلمة الطيبة والتشجيع ومد لنا يد العون، خاصة إدارة المكتبتين وهما - المكتبة المركزية د. أحمد عروة و-مكتبة كلية الآداب والحضارة الإسلامية التابعتين لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة.



المختصرات بالعربية

المصطلح	مختصر المصطلح في البحث
نجم شمال إفريقيا	النجم
حزب الشعب الجزائري	حزب الشعب
الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية الانتصار	حركة الانتصار
العدد	ع
جزء	ج
مجلد	مج
تقديم	تق
تحقيق	تح
ترجمة	تر
تعليق	تع
ترجمة وتعليق	تر-تع
مراجعة	مر
الطبعة	ط

المختصرات باللغة الفرنسية

المصطلح	مختصر المصطلح في البحث
Archives Nationales Algériennes	A.N.A
Confédération Général du Travail	CGT
Confédération Général Du Travail Unitaire	CGTU
Volume	VOL
Tome	T
Numéro	N
page	P

مقامت

1- التعريف بالموضوع

الجدل حول الهوية والذاكرة، موضوع متجدد، وهذا ما يحيلنا لتصريحات الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون E. Macron خريف 2021، حول عدم وجود دولة وأمة جزائريتين قبل الاستعمار الفرنسي، والتي جاءت في سياق إنكار ومحاولة تجاوز هوية وتاريخ الجزائر العربي الإسلامي، وقد جاء الرد عليه بسرعة حتى من الفرنسيين ومنهم المؤرخ الفرنسي بنجامين ستورا B. Stora الذي أوضح أن الجزائر كانت أمة ودولة ذات سيادة قبل الاستعمار الفرنسي، مناقضا بذلك كلام الرئيس الفرنسي إ. ماكرون Macron، وأضاف ستورا Stora : «حين يتحدث البعض عن عدم وجود دولة وأمة جزائريتين قبل الاستعمار الفرنسي، أتساءل إذن من ضرب القنصل الفرنسي عام 1827 وماذا كان يفعل هناك حتى ضُرب»¹ انطلاقا من هذه التوطئة ننطلق للحديث عن موضوعنا.

قيمة الهوية ودورها كما يراها عبد الوهاب المسيري* وليس في حماية الأمة فقط، بل في تقدمها في جميع المجالات أيضا، لأنها تمنح مشروعا على أسس ثابتة مستلهم من البيئة العربية الإسلامية، غير مهزوم أمام الآخر، باعتبار أن الهوية ليست فقط مشروعا للمقاومة والتحرر، بل نموذجا في مواجهة النموذج الغربي، ذلك أن أولى خطوات النهضة، هي إعادة الثقة فيما نملك، والاستفادة من كل المقومات، بالاعتماد على القيم الواقعية المتمثلة في الموروث الحضاري.²

الاستعمار الفرنسي للجزائر 1830-1962 كمشروع توسعي، أسفر عن فعل ورد فعل، رافقه ميلاد واقع جديد واكب تكيّفات الإرادتين، في معركة اثبات الوجود، الدائرة على أرض الجزائر، كتدافع حضاري بين ثقافة تملك القوة والسلطة، وثقافة وطنية إسلامية أصيلة يحتضنها الشعب، فاحتدمت معركة مصيرية ذات طابع هوياتي، تراوحت وانتقلت فيها المعركة من الميدان العسكري، إلى المتاح والممكن من وسائل المجابهة السلمية، وفي كلتا الحالتين كان الخطاب هو اللسان المعبر عن القوة أو التحدي لكل طرف، طبقا لقول ميشيل فوكو الذي يقول أن: «الخطاب ينتج داخل عالم فعلي من صراع القوة»، وأن: «القوة يتم الوصول إليها بواسطة الخطاب... وأن: الخطاب هو عنف ممارسه على الأشياء».³ لذلك كان الخطاب من الطرفين جزء من الفعل ورد الفعل بين الاستعمار

¹ - الحوار مع بنجامين ستورا بثته قناة LCP (شبكة قنوات تلفزيونية 07/10/2021).

* - عبد الوهاب محمد المسيري (أكتوبر 1938 - 2008)، مفكر وعالم اجتماع مصري مسلم، أكاديمي وخبير متخصص في الفكر الصهيوني له لأعمال كثيرة أهمها: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية أحد أكبر الأعمال الموسوعية.

² - سوزان حرفي: الهوية والحركة الإسلامية: حوارات مع عبد الوهاب المسيري، دار الفكر، دمشق، 2009، ص ص 11.12

³ - ينظر: رمان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص 156.

والمقاومة، يساير الواقع الجديد الذي فرضته عملية التوسع الفرنسي على حساب الجزائر دولة ومجتمعاً، فكان تطور الخطاب ونبرته تتأثر بموازين القوة، وبالظروف الداخلية والخارجية، وتأسيساً على ذلك أسفر تدافع الإرادتين في إطار الصراع حول هوية الجغرافيا في الجزائر، عن بروز خطابين متناقضين هما:

أ- الخطاب الاستعماري

لنجاح مشروعهم الاستعماري في الجزائر؛ كان الفرنسيون في سباق مع الزمن؛ لتغيير الواقع على الأرض، لعلمهم أنه لإقامة بناء جديد، فإنه عليهم تفكيك ما سبق، ثم التركيب من جديد على أنقاض الآخر، أي طمس الهوية العربية الإسلامية في الجزائر؛ وتثبيت الهوية اللاتينية المسيحية، وهذا ما يحيلنا لما يورده المؤرخ البريطاني هوبل Hubel بقوله: «إن أردت أن تلغي شعباً ما تبدأ أولاً بشل ذاكرته، ثم تلغي كتبه وثقافته وتاريخه، ثم تكتب له كتاباً واحداً فقط، وتنسب له ثقافة هذا الكتاب، وتخترع تاريخاً من هذا الكتاب، وتمنع عنه أي كتب أخرى، عندئذ ينسى هذا الشعب من كان، وماذا كان وينساه العالم».

كهدف وسيلة استعمارية تأخذ مسألة الهيمنة أشكالاً متعددة: سياسية، اقتصادية، ثقافية. وقد كانت حياة الأرض وتكريس الاستعمار الاستيطاني ونزع الأراضي من أصحابها الشرعيين بالقوة هي أشد أنواع الهيمنة والتسلط التي مارسها الاستعمار الفرنسي في الجزائر، في عملية متواصلة وممنهجة، باعتبار الارتباط بالأرض قضية كل فرد وجماعة وأمة، فهي مسألة حياة أو موت. لذلك استهدف الاستعمار أهم مقومات المقاومة والبقاء؛ وهي الأرض؛ بما فيها الملكيات الخاصة والمشاركة، في محاولة لزعزعة نظام اجتماعي وجد مرتبطاً بالأرض منذ الأزل. وبموازاة ذلك استهدف البنية الثقافية والمؤسسات الداعمة لها من أوقاف، كما استهدف التماسك الاجتماعي للجزائريين، عبر تفتيت الأراضي المشتركة للقبيلة. وسياسة فرق تسد؛ من خلال سياسة الاستقطاب والتهميش للأفراد والجماعات داخل المجتمع الجزائري.

من أجل الهيمنة الشاملة وظفت الإيديولوجيا الاستعمارية الفرنسية في الجزائر كل أشكال الترغيب والترهيب، والتي شملت كل أنواع الخطاب بالقول أو الفعل، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، سواء بالنصوص أو بموضوع مجسد كفعل، باعتبار أن الخطاب هو نص في حالة الفعل. فالمبالغة في الانتقام من قبل الفرنسيين، هو في حد ذاته رسالة تحمل خطاب عنف وإرهاب للباقي، وأثبتت أيديولوجيا الممارسة الاستعمارية الفرنسية أنها تتداخل فيها الروح العنصرية والعرقية والدنيوية معا.

ومن البديهي أن يكون الخطاب الاستعماري مرتبطاً بممارسات تهدف لإنجاح مشروع التمدد الفرنسي في المنطقة، والذي يراهن في نجاحه على دوام تخلف الجزائريين، في كل أحوالهم الاقتصادية والثقافية وحتى الاجتماعية، وهذه السياسة رافقتها جهود بذلها الاستعمار لإعطاء مبرر لحركته التوسعية، عبر الترويج لثنائية أو متلازمة التفوق- العجز (تفوق الحضارة الغربية- مقابل عجز الدائم لأعداء الحضارة الغربية).

كان جهده الفرنسيين موجهاً لصالح دوام حالة الاستعمار في الجزائر، من خلال ترسانة من القوانين الاستثنائية السالبة للحريات، التي كانت ترافق عملية التوسع الاستيطاني، وبالموازاة مع ذلك ولدعم لمجهود الحرب الشاملة، كانت الحاجة لقوى ناعمة كأدوات تمارس التبرير، وتخترق العقول كما اخترقت الحصون، مهمتها فتح طريق أمام الاستعمار، كأحد أدوات إيديولوجيا الممارسة الاستعمارية، والتي سوقت لها جهات أكاديمية متخصصة، ظاهرها البحث العلمي وباطنها التمكين للاستعمار الأوروبي، والعمل على تثبيته بالقضاء على الخصم عبر الحرب النفسية، من خلال تدمير الرموز والقيم وتاريخ المنطقة.

كان منظرو الاستعمار يدركون أن البعد الروحي المستمد من القيم الدينية الإسلامية والروح الوطنية، هو الذي مثل التحدي الأكبر للوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر، لذلك اهتم الاستعمار الفرنسي في الجزائر بتقويض الحضارة الإسلامية وكل ما يُشعر الجزائريين بالاعتزاز، أو ما يُذكرهم بالمجد، في إطار سعي الفرنسيين لإيجاد موطئ قدم لهم بالمنطقة، هنا أدرك الاستعمار أن سلاحه الناجح بعد الغزو هو الذي يستطيع القضاء على الهوية العربية الإسلامية في الجزائر أو زعزعتها. وهو ما يشير له الباحث امحمد مالكي حين يقول «أن الخطاب الاستعماري تمحور حول ثلاث قضايا جوهرية، بهدف ضرب تشويه عناصر الهوية في المغرب العربي: وهي الإسلام ومكانته، ومسألة تاريخية وجود الدولة في المنطقة، والتماسك بين مكونات المجتمع».¹

ب- الخطاب الوطني المناقض للوجود الاستعماري

الوضع الذي كانت تعانيه الجزائر قبل الاستعمار هو جزء من حالة ضعف عامة لكل العالم الإسلامي، في وقت كانت الدول الأوروبية الغربية تتمتع بتفوق في كل الميادين، مما مكنها من اكتساح ثلاث قارات عملت على نهب خيراتها، وتدمير حضاراتها، وفرض الثقافة الأوروبية عليها.

¹ - ينظر: امحمد مالكي: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص ص

بعدما أصبح الاستعمار الفرنسي في الجزائر أمرا واقعا، وبعد أن استنفذت المقاومة المسلحة كل امكانياتها، وأبرأت ذمتها أمام الله سبحانه وتعالى وأمام الشعب والتاريخ، ورسخت الروح الثورية في الذاكرة الوطنية، وبتلك الروح التمسّت النخب الوطنية وسائل مناسبة للمرحلة، وبالمتاح من الجهد والوسائل واصلت نضالها للحفاظ على الهوية، فكيفت أدوات المواجهة مع مقتضيات المرحلة. وجايلت عصرها، وتمكنت من اكتساب الثقافة السياسية اللازمة للتعامل مع الواقع الاستعماري، لتظهر بدايات القرن العشرين ملامح حركة وطنية مطلبية دؤوبة وملتزمة، تحاول أن تفصح عن نفسها سياسيا، حيث سجلت حضورها في محطات معلمية، أهمها بمناسبة صدور قانون التجنيد الإلزامي 1912، ثم حركة الأمير خالد؛ الذي كان بنشاطاته وكتاباته وانتقاده للنظام الاستعماري؛ يمثل نقلة نوعية في العمل الوطني.

حملت النخب المسلمة في البداية هموم الأهالي في المطالبة باحترام الهوية وبحق المواطنة، ووجدت مؤازرة مع ظهور دعوات الإصلاح والتجديد الديني، والدعوة للنهضة الثقافية للحفاظ على الهوية، والتي تمت بفضل جهود فردية لقامات علمية جزائرية، من أمثال عبدالقادر المجاوي، والمولود بن الموهوب، وغيرهم من المصلحين، إلا أن الوقت لم يكن في صالحهم، لقلّة السند وسطوة الاستعمار، وانتشار الجهل والامية بين الأهالي، وقد كانت جهودهم إرهاسا لظهور الحركة الوطنية بشقيها الإصلاحية والسياسية. كانت الحركة المطلبية قد تزامنت مع النهضة الثقافية والأدبية، بداية القرن العشرين، وبدأت جلية في ثلاثينات القرن العشرين مع ظهور بعض الصحف، وتأسيس جمعية العلماء وانتعاش العمل الوطني السياسي والثقافي، وبالتالي فإن النهضة الثقافية رافقت بروز الوعي الوطني للحركة الوطنية الجزائرية ومهدت له الطريق.

نظرا لظروف خاصة، قُدر للتيار الثوري أن يكون ظهوره أولا بفرنسا، حتى لا يُقضى عليه كما قُضي على حركة الأمير خالد، وبذلك تضافرت عدة عوامل ساهمت وسهلت انبعاث التيار الثوري الذي سيكون له الكلمة الفصل في الانتصار لهوية الجزائر الإسلامية، حيث اتخذ هذا التيار من التباين الكبير، من ناحية الدين واللغة والعرق والماضي الحضاري، سببا وجيها في استحالة ذوبان الشعب الجزائري في المشروع الفضاء الثقافي الغربي؛ واستحالة فقدانه لهويته العربية الإسلامية لصالح المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر.

استعدادا لإزالة حالة الاستعمار واستعادة السيادة الوطنية، عمد التيار الثوري لفضح المشروع الاستعماري داخليا وخارجيا، كما اتجه الحزب إلى مخاطبة العاطفة لدى الجماهير، من أجل إحداث

شرح مع الاستعمار، وخاطب العقل المسلم لاستنهاض الهمم، ودفع الجماهير المسلمة للعمل على حماية الهوية والتمسك بها، والاعتزاز بها وبمكوناتها، كطريق للوصول إلى استرجاع السيادة الوطنية، وهو في نفس الوقت يدرك الواقع، ذلك أن التمسك بالهوية لا يعني الانطواء والسلبية والرفض، وإنما الهوية المعنية هنا، تعني كيف نتموضع في العالم، تموضعا يحترمنا فيه الآخر لاعتزازنا بخصوصيتنا.

كان ميلاد التيار الثوري وتسجيل حضوره في مناسبات عديدة، وما رافق ذلك من رفع لمطالب وطنية لحزب مصالي الحاج لم تعهدها الطبقة السياسية، قد وضع حدا فاصلا بين مرحلتين، إذ عرف العمل الوطني الانتقال من مرحلة المطالب الإصلاحية المحدودة، إلى مرحلة المطالبة بحق الشعب الجزائري في تسيير شؤونه بنفسه، واستعادة دولته المستقلة، والتي تبناها التيار الثوري، معتبرا مشروعه هذا امتداد لتاريخ متواصل من النضال والكفاح الذي خاضه الشعب الجزائري في مواجهته للمشروع الفرنسي الاستيطاني في الجزائر.

الحركة الوطنية الجزائرية بمختلف توجهاتها اختلفت أطروحاتها فيما يخص الحل الأمثل لتحقيق آمال وطموحات الشعب الجزائري، إلا أنه في مجملها بشكل أو بآخر كانت معنية بإرادة التحرر، وكانت مقارنة الهدف قد جعلت أجنحة الحركة الوطنية الجزائرية؛ تتفق في الحد الأدنى من المطالب من خلال مطالب الأمير خالد لكنها تختلف في وسائل النضال، فكان التنافس في بعض الأحيان بينها شديدا إلى حد الزيادة في الوطنية.

كانت مسألة الهوية هي الأساس والهدف الذي تجري حوله المنافسة في برامج تيارات الحركة الوطنية. ولأن الاستقلال هو التعبير الأفصح لنصرة الهوية، كان من الطبيعي أن يظهر من بين أجنحة الحركة الوطنية الجزائرية، من يعبر عن هذه الإرادة في أسمى صورها، وقد كان التيار الثوري هو الذي قدم العرض الأمثل، لكسب قلوب الجماهير المسلمة؛ حين رفع لواء المطالبة بالاستقلال. ولكون أي حزب يتطلع إلى إيجاد ما يبرر وجوده، ولا بد له من قضية يدافع عنها، لذلك وجد رفاق مصالي الحاج في مسألة الدفاع عن الهوية؛ الأرضية الأكثر قدرة لحشد الطاقات وتوجيهها؛ حتى يكون مشروعه على أسس متينة في معركته لاسترجاع السيادة الوطن.

أولى التيار الثوري اهتمامه على وسيلتين، كانتا على قدر كبير من الأهمية؛ هما الدفاع عن اللغة العربية وعن الدين الإسلامي، حيث اتخذهما معبرا لاستنهاض الهمم ورصيда لتنشيط الوعي؛ استعدادا لمعركة التحرير واسترجاع السيادة الوطنية. وفي إطار مشروعه الوطني التحرري قام التيار

الثوري بتطوير أشكال الدفاع عن الهوية، والتي شملت البرامج، والكتابات، والخطب في الفعاليات الرسمية والجماهيرية، وإظهار الرموز والشعارات الوطنية كالعلم الوطني، والنشيد الرسمي، إضافة لرسائل الحزب للهيئات الإقليمية والدولية، وانتهاء بوثائق الحزب وقراراته وبرامجه، وبالتالي فإن الخطاب محل البحث يشمل كل المادة الفكرية، التي أنتجها للتيار الثوري وخاض بها معركته الفكرية والسياسية، وتمكن بفضلها من التأثير، وكانت جزءا من قوته التي مكنته من حشد الجماهير وتوجيهها لصالح القضية الوطنية والانتصار في النهاية، وانطلاقا من هذا جاء موضوع بحثنا تحت عنوان: «الهوية في خطاب التيار الاستقلالي الثوري في الجزائر 1926-1954».

2- اختيار الموضوع

اخترنا هذا الموضوع أولا لأسباب ودوافع ذاتية منها ارتباط الوجدان بعناصر الهوية، إضافة للمكانة التي حازها رجال التيار الثوري، الذين كان لهم الدور الرئيس في استرجاع السيادة وهوية الدولة الجزائرية. والرغبة الشخصية في الاستفادة من دراسة الحركة الوطنية الجزائرية والتيار الثوري الجزائري خاصة. والرغبة في المساهمة بكل تواضع في إبراز جهود رجال الحركة الوطنية، لكون موضوع الهوية من أهم الموضوعات الفكرية الجديرة بالاهتمام والبحث التاريخي، على اعتبار الموضوع من البحوث التي تحاول التأريخ للأفكار، واعتقادي أن الأزمة التي تمر بها الأمة، تعود بالجزء الأكبر منها لمخلفات الاستعمار، الذي عمل جاهدا للتشويش على الوحدة الثقافية والاجتماعية للعالم العربي.

إضافة لأسباب ودوافع موضوعية: فمع وجود دراسات تخص تاريخ الحركة الوطنية والتيار الثوري، وهي في مجالها أعمال رائدة سدت فراغا كبيرا في التأريخ للحركة الوطنية، إلا أنها عالجت مواضيعها من إشكاليات محددة، فكان هناك نقص في جانب اهتمام الباحثين بعلاقة التيار الثوري بمسألة الهوية، فأغلب الدراسات ركزت على الناحية التاريخية، وتطور الحركة الوطنية، ولم يولوا اهتماما بالمضامين الفكرية لدى الحركة الوطنية. إضافة للرغبة في توضيح قيمة الهوية في فكر واستراتيجية التيار الثوري، وكيف ساهم في تطوير وتنويع النضال بأبعاده الحضارية الهوياتية؛ والوطنية التحررية. والرغبة في التوصل إلى حقائق تكشف جوانب مهمة من جهود التيار الثوري الاستقلالي في الجزائر بصفة خاصة؛ والشعب الجزائري بصفة عامة، في مرحلة هامة من تاريخ الجزائر المعاصر.

3- إشكالية مشروع البحث

تتبع قيمة الموضوع من أهمية الهدف الذي نريد الوصول إليه، وهدفنا هو معرفة دور التيار الثوري الاستقلالي في الجزائر في تفعيل عناصر الهوية؛ من خلال خطابه ونصوصه خدمة القضية الوطنية، عبر مساره النضالي، الممتد بين 1926-1954. وكذلك معرفة مدى استخدامه للهوية كسلاح في منازلة المستعمر. وبناء على ما تقدم؛ تمحورت الإشكالية حول سؤال رئيس هو: ما أهمية مسألة الهوية في خطاب التيار الاستقلالي الثوري؛ وماهي الأطر والمجالات التي ساهمت في إبراز هذا الخطاب، وكيف ساعد هذا الخطاب التيار الثوري في فرض استراتيجيته؟

لإثراء الموضوع والإجابة على الإشكالية الرئيسية، ارتأينا الإجابة على التساؤلات الفرعية التالية:

- 1- بما أن الفعل الاستعماري الفرنسي في الجزائر هو الذي برر ظهور خطاب الهوية في كل مراحل المقاومة. فما هي جذور الفعل الاستعماري الفرنسي في الجزائر وظروفه وتبريراته للتوسع والبقاء وممارساته في حق الأرض والإنسان؟ وماهي ظروف نشأة التيار الثوري الاستقلالي في الجزائر؟
- 2- كيف تمكن التيار الثوري من توظيف خطاب الهوية؟ وماهي التمثلات الهويةية في انطلاقته؟
- 3- ماهي الأدوات والمجالات التي مكنت الحزب من تقديم نفسه للجماهير في الجزائر منتصف الثلاثينات؟
- 4- ماهي التوجهات التي رسمت خطاب الهوية في مرحلة الأربعينات والتي رافقت التغير في خط الحزب إلى الفعل الثوري؟

4- حدود الدراسة الزمانية والمكانية

إلى غاية عشرينات القرن العشرين، لم يكن أمرا واردا السماح للجزائريين المسلمين، بالنشاط السياسي في ظل القوانين الاستثنائية الفرنسية، التي كانت تحرم الجزائري من أبسط الحقوق الطبيعية، وبالتالي كان ميلاد التيار الثوري الجزائري بالمهجر، وبالذات بفرنسا، مرده لانعدام الحريات بالجزائر، الشيء الذي دفع الوطنيين للعمل خارج البلاد في البداية، وقد وجد الخطاب الوطني فرصة للظهور مع مناخ الحريات السياسية والقوانين الاجتماعية في الميتروبول؛ مع وجود جالية شبانية مهاجرة واعية، مقارنة بما قد يعترض هذا الخطاب داخل الجزائر من عراقيل استعمارية لا يمكن تفاديها؛ وأمام جمهور قد يكون أقل وعيا وثقافة. إلا أنه بالنسبة لموضوعنا يبقى القطر الجزائري هو الإطار المكاني للبحث، أما الإطار الزمني للأطروحة فيمتد من تاريخ تأسيس نجم شمال إفريقيا؛ إلى غاية سنة الانتقال للعمل المسلح بتفجير ثورة أول نوفمبر 1954، ومن جهة أخرى، فإنه من الأهمية بمكان؛ لفهم القضية المطروحة، فإننا كنا مضطرين للإحاطة بظروف بروز الخطاب المتعلق بالهوية وجذوره، وأفردنا له جزءا

مهما من البحث، حيث تزامن ظهور خطاب الهوية؛ مع بداية مشروع التوسع الفرنسي في الجزائر، واستعرضنا عينة من السياسات الاستعمارية الفرنسية؛ التي استهدفت تغيير هوية الجزائر، والتي رافقت تنفيذ المشروع الفرنسي.

5- المنهج

لدراسة الموضوع من كل جوانبه، يحتاج الباحث لاستخدام عدة مناهج للإجابة عن التساؤلات، لذلك اعتمدنا في مختلف الفصول على مناهج علمية معروفة في حقل الدراسات التاريخية، فقد اعتمدت المنهج الوصفي من خلال استعراض ووصف الأحداث التاريخية التي لها علاقة بالتيار الثوري، والتي هي جزء من خطاب الهوية، حسب أهميتها وتأثيرها وتسلسلها الزمني، كما وظفت المنهج التحليلي حين اعتمدت عليه في تحليل المواقف المختلفة؛ لمعرفة مدى توافق مواقف الحزب مع خطه؛ من خلال النصوص والوثائق الرسمية؛ ومجمل الخطابات التي قدمها وأنتجها ووظفها التيار الثوري في محطاته النضالية الهامة، خاصة موقفه من قضية الإلحاق، وقضية التجنيس والاندماج، كما وظفته في متابعة التطور الحاصل في إيديولوجية الحزب. أما المنهج التاريخي المقارن فاتباعته من خلال الإشارة في الفصل التمهيدي لازدواجية المعايير الأخلاقية عند الغرب بصفة عامة، ولدى الفرنسيين في الجزائر بصفة خاصة. كما وظفته في الفصلين الأخيرين، لقراءة المواقف الوطنية ومقارنتها ببعضها البعض، للوقوف على تطورها فيما يخص نظرتها للهوية. كما استعنت بالمنهج الإحصائي في تعاملنا بلغة الأرقام، من خلال الإحصائيات الواردة لتقريب الصورة، في مواضع عديدة، فيما يخص الإجراءات والسياسات الاستعمارية، المتخذة من قبل المستعمر، في حق الأرض والإنسان، والتي استهدفت ضرب الهوية العربية الإسلامية في الجزائر.

6- المصادر

أ- مصادر البحث

تتعلق اشكالية البحث بالجانب الفكري في تاريخ التيار الثوري الاستقلالي في الجزائر، وفي نفس الوقت تتناول فترة زمنية محددة، وبذلك من المستحيل عدم الأخذ بعين الاعتبار المادة التاريخية الموجودة، أو عدم الاستعانة بها في البحث الأكاديمي؛ إذ لا ينطلق العمل من فراغ، وقد تيسر لي أن أستعين بمجموعة من المصادر والمراجع، التي تتناول مسيرة التيار الثوري في الجزائر في الفترة 1926-1954.

الموضوع محل الدراسة يتناول الخطاب الصادر عن التيار الثوري حول موضوع الهوية، وبالتالي فإن المادة الوثائقية المعتمدة في هذا العمل؛ تعتمد في جزء منها على المقالات والكتابات التي صدرت

في صحافة التيار الثوري، باعتبارها المصدر الأول لقراءة وتحليل هذا الخطاب، لذا اعتمدت في دراستي لهذا الموضوع، على مجموعة من المصادر المتاحة والمحفوظة خاصة المتعلقة بصحافة التيار الثوري، كمادة أرشيفية لا غنى عنها لإثراء البحث، وهذه المصادر تؤرخ لمرحلة هامة وحساسة من تاريخ الجزائر، وشاهد على مواقف وجهود التيار الثوري، رغم شح هذا النوع من المصادر.

وقد استعنت بمصادر منشورة أو محفوظة بداية بالأرشيف الوطني الجزائري بالعاصمة، والذي استفدت من بعض مواده الأرشيفية، خاصة بعض جرائد التيار الثوري، منها بعض أعداد جريدة الأمة والتي زامن فترة صدورها الفترة 1931-1938، وقد كانت هذه الجريدة قد عاصرت النجم وجزء من حياة حزب الشعب، ولهذا فإنها حفظت لنا أهم خطابات النجم الأولى، التي تناولت نشاطات التيار الثوري، ودفاعه عن مطالب الشعب، ومنها عناصر الهوية، وقد استفدنا من أعدادها المتاحة، إضافة لذلك استفدنا من جريدة البرلمان الجزائري، من بعض الأعداد خلال فترة صدورها والتي غطت الفترة 1938-1939، والتي عاصرت ميلاد حزب الشعب، وعنوانها كان يحمل الخطاب الجديد للتيار الثوري وتكيفاته، خاصة مع نقل التيار الثوري لنشاطه للجزائر.

كما استفدنا من جرائد أخرى؛ وهي بعض الأعداد من جريدة الجزائر الحرة، التي أصدرتها حركة الانتصار في الفترة 1951-1953، وقد صدرت بالعربية وتميزت بخطابها العنيف تجاه الممارسات الاستعمارية. وقد عثرنا على بعض الأعداد من هذه الجرائد خلال بحثنا في الأرشيف الولائي بقسنطينة (المدينة الجديدة علي منجلي) الذي استفدت من رصيده من جرائد التيار الثوري، ومنها أعداد من جريدة المغرب العربي والتي استفدت من بعض أعدادها خلال الفترة الزمنية جانفي 1947 ماي 1949، وجريدة البرلمان الجزائري الفترة 1938-1939، وجريدة الأمة الفترة 1931-1938، حيث استفدت من مادة خطاب التيار الثوري، باعتبار أن هذه الجرائد كانت لسان حاله حيث كانت تنشر وتتابع جميع والفعاليات ونشاطات الحزب، كما نشير للأرشيف المتاح المنشور حيث اعتمدنا كذلك على الكثير من الجرائد المتاحة والمنشورة مثل: جريدة «الإقدام» للأمير خالد، وصحف التيار الثوري بعناوينها المختلفة: الأمة، البرلمان الجزائري، الشعب، الجزائر الحرة، المغرب العربي.

ب- الدراسات السابقة

الدراسات السابقة التي لها علاقة بالموضوع، والتي هي أعمال رائدة وسدت فراغا كبيرا، ومن باب التوضيح وليس الانقاص من جهود الآخرين، لها أهميتها من جانب الأهداف والإشكاليات الخاصة بها، لأنها عالجت مسألة الهوية من جوانب محددة، وهو ما دعانا للتركيز على جانب الهوية في خطاب التيار الثوري. وهناك دراسات عديدة سنذكر منها فقط الأعمال التي استفدت منها أكثر:

وهي: كتاب محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية الجزأين: الجزء الأول للفترة 1919-1939 الذي يغطي مرحلة نجم شمال إفريقيا والمرحلة العلنية من حياة حزب الشعب، والجزء الثاني الذي يتناول الفترة 1939-1951، ورغم ان ظاهر الكتاب مخصص لكل الحركة الوطنية، إلا أن دراسته للتيار الثوري قد نالت القسط الوافر من أبواب الكتاب، إذ يعتبر مرجع لا غنى عنه لدراسة الحركة الوطنية، وقد استفدنا منه؛ ومن أعمال محفوظ قداش المشتركة مع كل من محمد قنانش وجيلالي صاري.

من الدراسات الأكاديمية التي أفادتنا كثيرا، كتاب الباحث نور الدين ثنيو: إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية، الصادر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات: الدوحة. قطر، والذي تعقب تطور فكرة ومفهوم الدولة في خطاب التيارات الوطنية، الشبان والأمير خالد، ثم حزب الشعب وحركة الانتصار، ثم الحركة الإصلاحية (جمعية العلماء)، ثم البيان والاتحاد الديمقراطي، وبالتالي قسمه إلى أربعة أقسام، وقد استفدت من كل فصول الكتاب خاصة الفصل الثاني والذي له علاقة بموضوعنا، والذي كان تحت عنوان: حزب الشعب وحركة الانتصار ومشروع الدولة الوطنية، وقد تناول فيه ميلاد النزعة الاستقلالية، وإمكانيات حزب الشعب، والشرعية الدولية وحق الشعب الجزائري.

ومن الدراسات السابقة المتخصصة كتاب كمال بوقصة: مصادر الوطنية الجزائرية إلى منابع الوطنية الجزائرية الشعبوية، وفي هذه الدراسة يرسم الكتاب كيفية تكوّن النزعة الوطنية الاستقلالية التي تطالب لأول مرة بالاستقلال في المشهد السياسي الجزائري ونشأته بالمنفى بفرنسا، وكانت الاستفادة منه من جانب تركيزه على ظروف ميلاد نجم شمال إفريقيا وعلاقته بالحزب الشيوعي الفرنسي.

من الدراسات السابقة التي استفدنا منها كذلك نجد كتاب امحمد مالكي: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، وفي هذه الدراسة يعالج الكتاب أربع قضايا متداخلة وهي تكوّن مفهوم المغرب العربي، وفكرة الاستعمار واستراتيجيته حيال المغرب العربي الكبير، وكيف شكلت الهوية بالنسبة للمغاربة أرضية لمواجهة التحدي الاستعماري، وكيف مهد الدفاع عن الهوية إلى مرحلة المطالبة بالاستقلال، وقد تناول الكاتب مسألة الهوية في أغلب فصول الكتاب؛ خاصة القسم الثالث بعنوان مكانة الهوية في تشكل الوعي، وهناك مؤلفات استفدت منها لها صلة بالموضوع، منها كتابي عبد الحميد زوزو وهما: الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين، نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب، وكتاب المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية، كما استفدت من كتب المناضل الوطني أحمد مهساس خاصة كتابه الحركة الثورية في الجزائر.

بالإضافة لما سبق استفدت من مؤلفات قيمة كذلك والأمر يتعلق بكتب لشخصيات وطنية تاريخية هامة أو لمؤرخين كبار ونذكر منهم: أحمد مهساس، الجيلالي صاري، وعبد الحميد زوزو، أبو

القاسم سعد الله، يحي بوعزيز، ناصر الدين سعيدوني، ومحمد الشريف ساحلي ومالك بن نبي، وعبد القادر جغلول، والزواوي بغورة، وفريد حاجي. إضافة لقدر لا بأس به من المراجع المهمة، كما اعتمدت على بعض المذكرات عايش أصحابها الحدث، مثل مصالي الحاج، ومحمد قنانش، وحسين آيت أحمد، وبين يوسف بن خدة، وفرحات عباس، ومذكرات محمد عبدون، ومحمد مشاطي... كما استفدت من مراجع أجنبية لمؤلفين أمثال لجيلبار ميني وأحمد كولاكسيس، ولبنيامين ستورا، وكلود كولوت وجان روبرت هنري، وأندري نوشي، أوليفي لوكو غرانميزون، شارل روبير أجرون، بالإضافة على مجموعة لابأس بها من المراجع.

ج- الدراسات الأكاديمية

بالنسبة للدراسات الأكاديمية والتي عالجت بشكل متخصص إشكاليات لها علاقة بموضوعنا، فقد أفادتنا هي الأخرى في إنجاز الدراسة سواء تعلق الأمر بالأطروحات أو المقالات والمنشورات العلمية المتخصصة باللغتين العربية والفرنسية؛ كما أشير لدراستين لهما علاقة بموضوعنا وهما أطروحتي دكتوراه. في تاريخ الجزائر المعاصر: الدراسة المعنونة ب: التوجه المعادي للعروبة والإسلام في السياسة الفرنسية بالجزائر 1871-1954، لصاحبها علي قشاشني- جامعة جيلالي اليابس. سيدي بلعباس 2021. تتبع فيها مختلف الأساليب والآليات التي وظفتها سلطات الاحتلال في عدائها الصريح للإسلام واللغة العربية عبر الترويج لتعدد الأعراق والألسن وبث التفرقة بين عناصره، للقضاء على هويته الأصلية واستبدالها بهوية جديدة وكذلك دراسة الطاهر عمري المعنونة ب: النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع 1900-1940-جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة 2004، يتناول المجهود التنظيري الذي بذلته النخب الجزائرية بمختلف مشاربها في تصور لمشروع مجتمع جزائري جديد، وموقف هذه النخب مع المشاريع الاستعمارية المقترحة للمجتمع الجزائري، منذ بدايات العشرين وإلى غاية نهايات الثلاثينيات.

بالإشارة لأهم المصادر والمراجع أردنا تأصيل بحثنا الذي أردناه أن يكون إضافة ومساهمة لفهم قيمة الهوية في خطاب التيار الاستقلالي الثوري في الجزائر، في مقارنة لدراسة جهود هذا التيار الذي عمل على توظيف عناصر الهوية في معركته لتفكيك النظام الاستعماري؛ فعمل على تحصين الجبهة الداخلية بإعادة الاعتبار لعناصر الهوية في قلوب ووعي الجماهير، وفي نفس الوقت العمل على انتزاع الاعتراف من الاستعمار بحدود هذه الهوية، كخطوة أولية في طريق التحرير واسترجاع السيادة الوطنية. وبذلك فقد أردنا أن يكون عملنا مساهمة متواضعة لإبراز دور التيار الثوري في الانتصار للهوية خدمة لمشروعه التحرري.

7- خطة البحث

تتشكل هذه الأطروحة من مقدمة وفصل تمهيدي وأربعة فصول وخاتمة وملاحق، تتصل مضامينها بالبحث إلى جانب الفهارس: الأعلام، والأماكن، والهيات، والجرائد، كما ألحقت بكل فصل تمهيد وخالصة. بداية فإن الفصل التمهيدي قد خصصناه للمفاهيم العامة. حيث تناولت المفاهيم ومداخل ومجالات دراسة الهوية، والتي قادتني إلى دراسة إدارة الاستعمار لمعركة المفاهيم، وتبريرات التوسع والبقاء وإيديولوجيا الممارسة الاستعمارية، وبينت أن التفكير والعقل الأوروبي المسيطر قد وقع في التناقض، فقد كان من جهة يرفع شعار حقوق الإنسان، وعلى أرض الواقع يمارس أسوأ أنواع الانتهاكات في المستعمرات، وحتى النخب اليسارية، كانت تدعم ذلك، كما تناولت في الفصل التمهيدي بدايات الاهتمام الفرنسي بالتوسع في الجزائر، من خلال عرض لمحة عن تاريخ العلاقات الجزائرية الفرنسية إلى غاية الغزو. وقد رأيت أنه من المفيد تسليط الضوء على السياسة الفرنسية الاستعمارية المنتهجة في الجزائر والتي من خلال الوقائع لم تكن إلا ممارسة لإيديولوجيا السياسة الاستعمارية، والتي كانت وفق قاعدة أن دوام ضعف الطرف المسلم بالضرورة قوة للآخر على وجه التلازم، وما ترتب عن ذلك من مصادرات كبرى للأراضي، وتحطيم التماسك الاجتماعي، والحرب النفسية، والقوانين الاستثنائية، التي طالت جميع المجالات: الضرائب، والتمثيل في المجالس العامة، والتعليم، والوظائف. وفي الأخير لماذا تطرقنا لهذا الجانب؟ والجواب: لأن الاستعمار الفرنسي في الجزائر جعل من الهوية: -عاملا للترقية والتمييز العنصري. - قنن ثقافة التمييز الطائفي في جميع المجالات. -اتبع سياسة الاقصاء على قاعدة الهوية. - وظف الهوية كوسيلة لتغيير الفضاءات.

الفصل الأول: كان بعنوان التيار الثوري في الجزائر الظروف والتأسيس، حيث تعرضت أولا لظروف التي سبقت نشأة النجم حين أشرت لخيارات ومنافذ المقاومة، ومن أهمها التواصل مع العالم الإسلامي، ودور الطرق الصوفية في كسر الستار الحديدي الذي فرضه الاستعمار على الجزائر، هذا من جهة ومن جهة أخرى حاولنا إعطاء حيز لدور المحافظين في الذود عن الهوية، كما أشرت لدور النخبة وجهودها في المطالبة بحق المواطنة، وفي نفس السياق تناولت مسألة الاندماج والتجنيس وموقف النخب منها، كما قدمت لمحة عن بدايات النهضة التي ترافقت مع ظهور الجمعيات والنوادي والصحف والمسرح. حيث بينت كيف ترافق هذا مع نمو الحركة الوطنية التي عبرت عن نفسها كحركة مطلبية مع فرصة مناقشة قانون التجنيد الإجباري، وتتبع نمو الوعي الوطني مع مرحلة الأمير خالد، ودوره في كسر حاجز الخوف، والتي قدمت لبروز شخصيات وطنية لعبت دورا مهما في تشكل الوعي الوطني، خاصة بن باديس وفرحات عباس كقيادات وطنية مرموقة، وفي سياق متصل بميلاد النجم، تطرقت للهجرة كظاهرة، ثم

تناولت الدور السياسي للهجرة، ودور الأمير خالد والحزب الشيوعي كعوامل مساعدة مهدت الطريق لميلاد نجم شمال إفريقيا بالمهجر بفرنسا. وهذا التقديم هو إبراز السياق العام لميلاد التيار الثوري. وختمته بتخصيص جزء لميلاد نجم شمال إفريقيا وأهم الآراء حول ذلك.

الفصل الثاني: جاء بعنوان التمثلات الهويةية في انطلاقة نجم شمال حزب إفريقيا، وقد خصصته لإبراز تعبيرات الهوية في خطاب الحزب، خاصة من خلال الصحافة، إضافة لاعتماد التيار الثوري لشعارات ورموز وطنية ذات دلالات هويةية ومنها العلم الوطني، واعتماد النشيد، وأشرنا لتأثيرات شخصية مصالي الحاج، كما تناولت انتقال النجم للجزائر، ثم قمت بسرد وتحليل لأهم المحطات في مسيرة النجم لنصرة الهوية، كل هذا كان يتناسب مع المباحث حيث كان المبحث الأول حول دور الهوية في صنع التيار الثوري وظهوره. أما المبحث الثاني فركزت فيه على تمثلات الهوية، من خلال إعلام وشعارات «النجم»، بينما المبحث الثالث تناولنا فيه انتقال النجم للجزائر، أما المبحث الرابع فنتبعنا فيه أهم المحطات في مسيرة النجم لنصرة الهوية.

الفصل الثالث: كان بعنوان التيار الثوري وخطاب الهوية لمرحلة الثلاثينات، وفيه قمت بتخصيص جزء للمؤتمر الإسلامي 1936، واعتباره كفرصة لبروز للنجم الذي اختطف الأضواء في أول ظهور له في أرض الوطن، بفضل دفاع مصالي عن الهوية، ورفضه رفضا لا مساومة فيه لقبول إلحاق الجزائر بفرنسا، وبذلك فرض الحزب نفسه، وأصبح شيئا فشيئا ركنا ثابتا في الحركة الوطنية الجزائرية، كما قمت بدراسة مرحلة حزب الشعب وتكيفاته، وصحافته، وشعاراته، المتصلة بالهوية، وكان المبحث الأول بعنوان السياسة الاستعمارية في ظل تصاعد قوة الحركة الوطنية، والمبحث الثاني تحت عنوان النجم والاستثمار نضاليا في الواقع الجزائري والهوية، بينما المبحث الثالث تناول مرحلة حزب الشعب 1939، وتناولنا في المبحث الرابع مسألة بحث التيار الثوري عن الإجماع الوطني على قاعدة الهوية لمرحلة الثلاثينات.

الفصل الرابع: اخترت له عنوان التيار الثوري وإرهاصات تحول خطاب الهوية إلى الفعل الثوري، وقد تطرقت فيه إلى أحداث وتداعيات ما بعد الحرب العالمية الثانية، وانعكاسات نزول الحلفاء بالجزائر وأثرها على العمل الوطني بصفة عامة، من حيث بروز مشروع العمل التوافقي لأقطاب الحركة الوطنية على قاعدة الهوية المشتركة، من خلال بيان 10 فيفري 1943، ثم أفردت مبحثا لنشأة حركة الانتصار، وقراراته الداخلية التوافقية بالمشاركة في الانتخابات، والإعداد للعمل المسلح، أما المبحث الثالث فقد كرسه للأزمة التي ضربت الحزب وكادت أن تعصف به وبوحدة الشعب الجزائري والمعروفة تاريخيا بالأزمة البربرية.

كما عمدت إلى إجراء تتبع ودراسة لتجارب الوحدة على قاعدة الهوية؛ التي ساهم فيها التيار الثوري، في مرحلة الأربعينات وعرضت جانبا من نشاطات حركة الانتصار لصالح هوية الجزائر؛ في البرلمان الفرنسي، ونشاطات الحزب الخارجية للتعريف بالقضية الجزائرية؛ حيث وجه التيار الثوري نداءات إلى الأمم المتحدة، ضمنها مجموعة من الحقائق التي تستحق بموجبها الجزائر استرجاع السيادة وتسيير شؤونها بنفسها في ظل الشرعية الدولية، وفي المبحث الأخير قمت برصد قيمة الهوية في الاستعدادات الأخيرة لبناء الدولة، من خلال وثائق مرجعية خاصة بحركة الانتصار، منها مطبوعات حزب الشعب بالقاهرة، والوثائق التي صاغها المجلس المركزي للإعلام والوثائق التابع لحركة الانتصار عام 1951، وتقرير وتوصيات المؤتمر الثاني لحركة انتصار الحريات الديمقراطية أبريل 1953، وختمت ذلك بالإشارة لبيان أول نوفمبر وما حمله من دلالات على هوية الدولة الجزائرية المستقلة، أما خاتمة الدراسة، فتضمنت أبرز النتائج التي توصلنا إليها، والتي آمل أن يفتح بعضها آفاقا أمام الباحثين، ذلك أن البحث عملية تراكمية ومستمرة، للانطلاق منها إلى دراسات وبحوث أخرى جديدة.

8- الصعوبات

قد تتكرر الصعوبات مع أي باحث، خاصة فيما تعلق بمصادر البحث؛ من حيث صعوبة العمل داخل مصالح الأرشيف، وتعقيدات الحصول على المواد الأرشيفية، كما أن أغلب وثائق وصحف التيار الثوري كانت باللغة الفرنسية، وما تطلب ذلك من جهود مضاعفة، إضافة لحساسية موضوع الهوية خاصة بعد بروز المشاكل التي حدثت في الحزب فيما سمي آنذاك بالأزمة البربرية داخل حزب الشعب- حركة الانتصار 1949، ومن جانب آخر فإن المواضيع التي تناولت مسألة الهوية لم تتناول الهوية من منظور التشكيلات السياسية الوطنية، بل تم تناولها بصفة عامة أو بصفة جزئية، فالموضوعات المنجزة حسب علمنا تعلقت بجوانب لها أهميتها من جانب الأهداف والإشكاليات الخاصة بها، ومن أهم الصعوبات التي لم تكن في الحسبان، الظروف التي عاشتها الجزائر جراء وباء كورونا، وما نجم عن ذلك من اضطراب، مما أجبر الكثير من القطاعات على التوقف عن العمل أشهر عديدة من سنة 2020 رغم ذلك قررنا عدم الاستسلام، وقمنا بمضاعفة الجهد مع الاستفادة القصوى من المتاح لمقاربة الهدف.

وفي الأخير: الحمد لله أولا وآخرا. على أن وفقنا لإتمام هذا العمل، ثم الشكر لمن قدم لنا المساعدة والعون؛ وعلى رأسهم المشرف الأستاذ الدكتور أحمد صاري؛ الذي شجعنا وحفزنا؛ فكان نعم رفيق الطريق، ونعم الموجه لإنجاز هذا المشروع.

.....

الفصل التمهيدي

قراءة في المفاهيم العامة للهوية

تمهيد

المبحث الأول : مفاهيم.

المبحث الثاني: الاستعمار وتبريرات التوسع والبقاء

المبحث الثالث: مشروع التوسع الفرنسي الجذور والتنفيذ

المبحث الرابع: الاستعمار واستهداف مقومات الحياة للجزائريين

المبحث الخامس: الاستعمار وسياسة التمييز في الجزائر

المبحث السادس: الاستعمار وسياسة طمس الهوية في الجزائر

خلاصة الفصل

تمهيد الفصل

تُعرف الهوية بأنها منظومة متكاملة من المعطيات النفسية والمعنوية والاجتماعية؛ لتعطي لشخص أو شعب معين؛ مميزات يعرف بها، وفق إرادة وضع حد بين هم-ونحن، وإظهار كل ما يستخدم من طرف الفرد أو الجماعة من سمات لإبراز التمايز، ومن جهة فإن التأكيد على الهوية لا يعني الانطواء والتفوق أو الانعزال، وإنما الهوية المعنية هنا، تعني كيف يتم الحفاظ على كيان الفرد والجماعة من الذوبان في الآخر.

لفهم الموضوع محل الدراسة؛ ارتأينا التطرق أولاً للجوانب اللغوية، والاصطلاحية، والمفاهيمية؛ المتعلقة بالهوية ومجالات دراستها، ولمجمل الظروف والأحداث؛ التي تدخل ضمن السياق التاريخي؛ الذي مهد لظهور خطاب الهوية في الجزائر، من خلال عرض تاريخي؛ يأخذ في الاعتبار الفعل الاستعماري؛ ورد الفعل الوطني المقاوم؛ في مواجهة مشروع التوسع الفرنسي؛ الرامي لإلغاء الوجود التاريخي والحضاري للشعب الجزائري.

عبر خطة استعمارية شاملة ومدروسة؛ فإن تغيير هوية الجغرافيا؛ كان الهدف الأول لمشروع التوسع الفرنسي في الجزائر، لذلك تنوعت أدوات ووسائل الحرب الشاملة المسلطة على الجزائريين من قبل الاستعمار الفرنسي. فتم ضرب كل مقومات الحياة بالنسبة للمجتمع الجزائري، خاصة الاقتصادية والثقافية، حين انتزعت الأرض من أيدي أصحابها الشرعيين بدون وجه حق، وصدرت المؤسسات والأملاك الوقفية، وتم استهداف التماسك الاجتماعي للمجتمع الجزائري بإثارة النعرات وسياسة فرق تسد بين الجزائريين، كما حاول الاستعمار تدمير البنية الاجتماعية الجزائريين عبر استهداف القبيلة وتفنيتها، والألقاب والقضاء الإسلامي، والعمران. إضافة للقوانين الاستثنائية السالبة للحريات المسلطة على الجزائريين المسلمين وسياسة التهميش والإقصاء.

كجزء من الظاهرة الاستعمارية الأوروبية، التي نشطت في العصر الحديث والمعاصر اتجهت الدوائر الاستعمارية، لتدعيم واستحداث أدوات للسيطرة، ومنها استغلال الاعلام والدراسات الأكاديمية الإنسانية والاجتماعية لاختراق الشعوب، خدمة لأهداف استعمارية بحتة، وبذلك فإن إيديولوجيا الممارسة الاستعمارية كانت على استعداد دائم، لتوفير كل الإمكانيات لصالح نجاح الاستعمار، فقد سخر الفرنسيون التعليم الأكاديمي؛ لتمرير الأفكار التي تخدم الاستعمار، في محاولة للبحث عن مسوغات تثبت شرعية الوجود الفرنسي في الجزائر، فبعد حيازة الفضاء المكاني كان مشروع التوسع الفرنسي في ثناياه يطمح لتوفير الشروط اللازمة لإحلال الفضاء الثقافي اللاتيني المسيحي الأوروبي

في الجزائر والمغرب العربي. وانطلاقاً مما سبق، وقبل التطرق لموضوعنا، ارتأينا أن نتناول في الفصل التمهيدي جوانب متصلة به من خلال التساؤلات التالية:

1- ماهي الضوابط اللغوية والمفاهيمية، لتفسير مصطلح الهوية، وماهي مداخل ومجالات دراسة الهوية؟

2- الاستعمار الفرنسي في الجزائر كمشروع توسعي، أسفر عن فعل ورد فعل:

- ماهي جذوره وظروف تنفيذه؟

- ماهي الخيارات التي التمس لتجنب الغزو الفرنسي للجزائر نصرةً لهوية الجزائر؟

- في إطار رهان التوسع الفرنسي في الجزائر على كسب معركة تغيير هوية الجغرافيا، وتغيير هوية كل الفضاءات، ماهي تداعيات الفعل ورد الفعل؟

3- ماهي أهم جوانب السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر التي استهدفت الأرض والإنسان؟

4 - في إطار تطبيق الاستعمار سياسة الإقصاء على قاعدة الهوية، ما هي تمثيلات السياسة

الاستعمارية التي استهدفت الجوانب الثقافية والنفسية للمجتمع الجزائري المسلم، واستهدفت جانب أخرى كالمحيط والعمران والنخب؟

نتطرق في هذا الفصل لجملة من القضايا انطلاقاً من هذه التساؤلات.

.....

المبحث الأول: مفاهيم

التيار الاستقلالي الثوري في الجزائر: المقصود به في هذا البحث هو: التيار السياسي الذي تزعمه مصالي الحاج، من سنة 1926 إلى سنة 1954، وكانت واجهته السياسية تحت المسميات التالية بالترتيب: نجم إفريقيا الشمالية، ثم حزب الشعب الجزائري، ثم الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية.

1- الهوية لغة واصطلاحاً

أ- الهوية لغة

الهوية لغة تُعرف الهوية في المعجم الوسيط لدار إحياء التراث العربي بأنها: كلمة مشتقة من الضمير هو، والضمير هو: ضمير منفصل للغائب المفرد والمذكر.¹

وجاء في لسان العرب لابن منظور: جاء في القرآن الكريم على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ الآية 37 سورة إبراهيم، هنا تهوي بمعنى: تميل، تُريد، وفي حديث البراق: «ثم انطلق يُهوي» أي يسرع ومنه المَهَاوَة شدة السير، والهوي السريع إلى فوق، والناقاة تهوي هويًا فهي هاوية إذا عدت عدواً شديداً، الهويُّ الساعة الممتدة من الليل، الهواهي الأباطيل، والهوهاء الأحمق، والهاوية من أسماء جهنم، وقال اللغويون الهوى محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه، والهوة هي البئر، أو الحفرة البعيدة، أو القعر، وهي المهواة.²

وجاء فيه في المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية: الهويّة هي البئر البعيدة أو القعر. والهوى: الحفرة البعيدة والقعر، والوهدة الغامضة من الأرض لا يظن لها كالهواة.³ وفي المعجم الوسيط لدار إحياء التراث العربي جاء أيضاً: الهويّة هي الحقيقة المطلقة في الأشياء والأحياء المشتملة على الصفات الجوهرية لها،⁴ وفي كتاب التعريفات لمؤلفه الجرجاني جاء عن الهويّة: «بأنها الحقيقة المشتملة على الحقائق اشتغال النواة على الشجرة في الغيب المطلق» والهوى: «الغيب الذي لا يصح شهوده للغير كغيب الهويّة المعبر عنه كُنْها باللاتعِين وهو أبطن البواطن».⁵ وفي المعجم الفلسفي لجميل صليبا، الهويّة هي: «كل مميز عن الأغيار»، وهي كذلك: «ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره»، وهي:

¹ - ناصر سيد أحمد وآخرون: المعجم الوسيط، ط1، دار إحياء التراث العربي للنشر والتوزيع، بيروت، 2008، ص 608.

² - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفرقي المصري: لسان العرب، مج15، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ص ص 371-374.

³ - المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004، ص ص 100-102.

⁴ - ناصر سيد أحمد، وآخرون: المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص610.

⁵ - الشريف علي بن محمد الجرجاني: كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988، ص257.

«الأمر المتعلق من حيث امتيازه على الأغيار يسمى هوية»،¹ أما بن حزم في الملل والنحل فيرى «وحد الهوية هو أن كل ما لم يكن غير الشيء فهو بعينه إذ ليس بين الهوية والغيرية وسيطة يعقلها أحد البتة، فما خرج عن أحدهما دخل في الآخر».²

ب- الهوية كمصطلح ومفهوم

الهوية كمصطلح: مصطلح الهوية من المصطلحات الأكثر تداولاً في الساحة الثقافية والسياسية، فالهوية كلمة مركبة من ضمير الغائب هو، مضافة إليه ياء النسبة، لتدل الكلمة على عملية تحديد، لكيان ما بعينه، مستقل عن غيره، معرف بنفسه.³

ومفهوم الهوية اصطلاحاً عبارة عن مجموعة صفات متكاملة ومتفاعلة فيما بينها، لتعطي لشخص أو شعب معين مميزات يعرف بها،⁴ فالهوية المشتركة لا تعني إزالة الانتماءات الفرعية، فوجودها لا يشكل عائقاً ولا خطراً على الهوية المشتركة، بقدر ما تعني ضمان عدم التضارب بين الهوية الفردية والهوية المشتركة، فأفراد المجتمع هويتهم القومية هي التي تمنحهم مشاعر الأمن والطمأنينة والشعور بالثقة.⁵ ويعرف المفكر الفرنسي إليكسي ميكشيللي Alex Mucchielli الهوية بأنها: «منظومة متكاملة من المعطيات النفسية والمعنوية والاجتماعية، تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفية، وهناك شيء يعطيها وحدتها ومعناها والذي يتجسد في الروح الداخلية، التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها»،⁶ فالهوية هي وحدة المشاعر الداخلية، التي تتمثل في وحدة من العناصر المادية والنفسية المتكاملة التي تجعل الفرد يتميز عن سواه ويشعر بوحدته الداخلية، فالفرد داخل الجماعة الواحدة هو عبارة عن هوية متميزة ومستقلة، أي عبارة عن أنا لها آخر، داخل الجماعة، ثم تأتي الجماعة داخل الأمة ثم الأمة الواحدة إزاء الأمم الأخرى».⁷

مفهوم الهوية مفهوم حديث، وليس للمفاهيم معاني مطلقة ثابتة، فهي تتجاوز البناء اللفظي، وقد تتعدد المجالات التي تضبط بها الهوية، كالمجال الاجتماعي للهوية، ومجال النظام المعرفي، وإذا كانت هوية فردية أو جماعية، فلا يمكن أن تكون مثلاً الأرض أو الحيز المكاني أو الدين والثقافة هي العنوان الوحيد للهوية، أي أن الهوية يتجدد معناها في سياقات متعددة، ووفقاً للوظائف التي تؤديها في مجال

¹ - جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2 مادة هوية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1994، ص ص525-530.

² - أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: الفصل في الملل والنحل، ج2، مكتبة السلام العالمية، 1348هـ، ص107.

³ - أحمد بن النعمان: الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات، شركة دار الأمة، الجزائر، 1996، ص10.

⁴ - نفسه: ص ص10-11.

⁵ - سعيد إسماعيل علي: الهوية والتعليم، ط1، دار الكتب، القاهرة، 2005، ص31.

⁶ - اليكس ميكشيللي: الهوية، تر: علي وطفة، ط1، دار الوسيم لخدمات الطباعة، دمشق، 1992، ص129.

⁷ - محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ص ص145-152.

معين، وضمن علاقتها بغيرها من المفاهيم.¹

والمفاهيم كما يراها طه جابر العلواني هي: «مستودعات كبرى للمعاني والدلالات، كثيرا ما تتجاوز البناء اللفظي وتتخطى الجذر اللغوي، لتحكي كوامن فلسفة الأمة، ودخائن تراكمات فكرها ومعرفتها، فالمفهوم يختلف عن الاسم والمصطلح... فالمفهوم أشبه بوعاء معرفي جامع... لذلك كانت دائرة المفاهيم أهم ميادين الصراع الفكري والثقافي بين الثقافات عبر التاريخ».² ومنه فقيمة الهوية ودورها ليس في حماية الأمة فقط، بل في تقدمها في جميع المجالات أيضا، لأنها تمنح مشروعا على أسس ثابتة مستلهم من البيئة العربية الإسلامية، غير مهزوم أمام الآخر، باعتبارها ليست فقط مشروعا للمقاومة والتحرر، بل نموذجا في مواجهة النموذج الغربي، ذلك أن أولى خطوات النهضة، هي إعادة الثقة فيما نملك، والاستفادة من كل المقومات، بالاعتماد على القيم الواقعية المتمثلة في الموروث الحضاري.³

2- الخطاب

أ- لغة

خطب تكلم على المنبر، وخطب: طلب الزواج، والخطبة الكلام المنثور المسجّع والخطب: الشأن أو الأمر: والخطاب والمُخاطبة مراجعة الكلام، وفصل الخطاب في القرآن الكريم أن يحكم بالبينّة أو باليمين.⁴

وارتبط مفهوم الخطاب عند العرب بمفهوم التّخاطب، فهو مراجعة الكلام، وخاطبه بالكلام مخاطبة، وخطابا، فهم يتخاطبان، ويفهم منه أن الخطاب حوار متبادل بين شخصين على الأقل، فهو عملية تلفية حيوية؛ في الزمان والمكان؛ يديرها شخصان، أو أشخاص بالكلام؛ وبغير الكلام.⁵

ب- اصطلاحا

يعرّف الخطاب على أنه التلفظ أو ما نعبر عنه بالقول أو الفعل، بصورة مباشرة، أو غير مباشرة.⁶ كذلك يعرف الخطاب على أنه مجموعة دالة من أشكال الأداء اللفظي، تنتجها مجموعة من العلامات تشكل فيها الجمل نظاما متتابعًا، تسهم به في نسق كلي متغاير ومتحد الخواص، تتألف الجمل لتشكل

¹ - الزواوي بغورة: الخطاب بحث في بنيته وعلاقاته عند ميشيل فوكو، ط1، ناشرون، بيروت، 2015، ص9.

² - طه جابر العلواني وآخرون: بناء المفاهيم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2008، ص9.

³ - سوزان حرفي: الهوية والحركة الإسلامية، حوارات مع عبد الوهاب المسيري، دار الفكر، دمشق، 2009، ص11، 12.

⁴ - ابن منظور: مج1، مرجع سابق، ص359، 360.

⁵ - خليفة الميساوي: لسانيات النص والخطاب ومساراتها، (أعمال المؤتمر الدولي الأول، لسانيات النص وتحليل الخطاب، أغادير، المغرب)، مج1، ط1، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، 2013، ص246.

⁶ - عبد الواسع الحميري: ما الخطاب وكيف نحله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2009، ص12.

نصاً مفرداً.¹

الخطاب عند البعض، كلام موجه إلى متلق، يقصد به الإقناع والتأثير أو المشاركة الكلامية بين طرفي اتصال، مشافهة أو كتابة، والخطاب هو بناء من الأفكار يحمل وجهة نظر، أو وجهة النظر مصوغة في بناء استدلالي، أي بشكل مقدمات ونتائج، والخطاب هو مقروء القارئ أو مقول القول عند المناطقة، والخطاب مقول الكاتب أو أقاويله باعتبار الفلاسفة القدماء.² ويعد خطاباً كل ملفوظ مكتوب، يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات، فهو يشمل الجملة ويعتمد التواصلية؛ وغير محدد بالحجم.³ وتتفق التعريفات على أن الخطاب وحدة لغوية أشمل من الجملة، فهو تركيب من الجمل المنظومة طبقاً لنسق مخصوص من التأليف، فالخطاب هو نظام ملفوظات يستشف ويدرك المتلقي المقصد الذي ينطبق عليه الخطاب.⁴

3- النص

تعريف: النص مشتق من نص الشيء: رفعه وأظهره ومنه المنصة الشيء المرتفع،⁵ والنصية من يُنتصى من القوم أي يُختار، ونصية القوم خيارهم.⁶

اصطلاحاً: هو بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات. والمحاورة القريبة تدعى المناظرة يتواجه فيها العارض والمعارض والمحاورة البعيدة تدعى التناص.⁷ كذلك يعرف النص على أنه ناتج الفعل الإنجازي للقول والفعل.⁸

ويعرف الخطاب أنه فعل الإنتاج اللفظي، ونتيجته المسموعة والمرئية، بينما النص هو مجموع البنات النسقية التي تتضمن الخطاب وتستوعبه، وتعبير آخر الخطاب هو الموضوع المجدد أمانا كفعل، أما النص فهو الموضوع المجرد والمفترض، وكذلك الخطاب هو النص في حالة الفعل.⁹

- مما سبق نستنتج: أن الخطاب يفترض وجود المتلقي لحظة إحداث الخطاب، بينما يتوجه النص إلى متلق مؤجل.

¹ - إديث كريزويل: عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، ط1، دار سعاد الصباح، الكويت، 1993، ص379.

² - محمد عابد الجابري: الخطاب العربي المعاصر، ط5، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994، ص10، 11.

³ - أحمد المتوكل: نماذج وتساقول ومراجعات للسانيات الخطاب، (أعمال المؤتمر الدولي الأول، لسانيات النص وتحليل الخطاب، أغادير، المغرب)، مج 1، ط1، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، 2013، ص35.

⁴ - حمدي النورج: تحليل الخطاب السياسي في ضوء نظرية الاتصال، محمود شاكر أنموذجاً، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2014، ص13-15.

⁵ - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مرجع سابق، ص926.

⁶ - ابن منظور: مرجع سابق، مج 15، ص328.

⁷ - طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ص35-47.

⁸ - الحميري: مرجع سابق، ص12.

⁹ - سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي النص والسياق، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2001، ص16.

4- أسس إبراز الهوية وأقسامها

- أسس إبراز الهوية: تجهد الذات لإثبات الهوية الفردية، باتباع خط مستقيم، يعبر عن الاستمرارية والتموقع في الزمان والمكان، لذلك فإن تعبيرات الهوية وتمثلاتها تكون على أسس أهمها:
 - يتطلب تأكيد الهوية القدرة على تحقيق الاندماج، مع تحقيق بصمات شخصية مميزة.
 - لكي تستقر الهوية يجب أن تثبت التميز والقدرة، وإثبات الاختلاف الذهني والوجداني.
 - تفصح الهوية الفردية عن مميزاتها بالانتقال إلى المستوى المعرفي.
 - تتجذر الهوية بالانتقال من المجال الرمزي إلى المجال العملي (الإنتاج الفكري والمادي)
 - من أبعاد الهوية البنية الواحدية والتواصل، وعكسها انفصام الشخصية.
 - من أبعاد الهوية إثبات الذات، بإظهار نفسه أنه الأفضل من الآخرين.¹
- أقسام الهوية

- هوية فردية مجموعة قرائن جسدية ونفسية خاصة بشخص معين، تميزه عن غيره من البشر، وهي:

- 1- بصمات الأصابع.
- 2- البصمات الصوتية.
- 3- بصمات العين (ومن هذه الخاصية جاء ما يسمى حديثا بجواز السفر (البيومتري)، وهي من السمات الجسمانية التي تستشعرها الأجهزة).
- 4- الشفرة الوراثية الخاصة بكل إنسان والمكتشفة حديثا داخل كل خلية في جسم الإنسان، والتي تجعله يختلف بها عن أبيه وابنه.

- هوية جماعية

وهي ما يطلق عليه الآن بالهوية القومية، أو الهوية الوطنية، والتي تعرف بأنها مجموعة الصفات المشتركة لمجموعة بشرية ما، وتعبير أدق هي السمات الثقافية العامة، التي تمثل الحد الأدنى المشتركة، بين جميع الأفراد الذين ينتمون إلى أمة أو شعب ما.² وعليه فإن الهوية الاجتماعية استدماج* وإقصاء في آن واحد معا، فتبدو ككيفية تصنيف للتمايز نحن/هم، والتي تقوم على الاختلاف خاصة الاختلاف الثقافي.³

¹ - ولد خليفة: المسألة الثقافية، مرجع سابق، ص ص 96-102.

² - ابن النعمان: الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات، مرجع سابق، ص 11.

*- الاستدماج من مصطلحات علم النفس من تعريفاته: عبارة عن عملية يحاول فيها الشخص نسخ أو تكرار سلوكيات أو أفكار من الوسط المحيط أو من أشخاص آخرين وجعلها جزء من داخله.

³ - دنيس كوش: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007، ص، 149. - كما تم الاستفادة من طبعة 2002 ترجمة قاسم المقداد-غير مرقمة-.

5- الهوية والمجال الاجتماعي والثقافي

أ- الهوية والمجال الاجتماعي

ويرى: دنيس كوش Dennis Koch أن الأهم في عملية اكتساب الهوية، هو إرادة وضع حد بين «هم» و«نحن»، وبالتالي إقامة ما يسمى بالحد والحفاظ عليه، ويمكن أن يكون لهذا الحد في بعض الحالات ما يقابله من الأرض؛ وفي كل الحالات يعود وضع الحد إلى إرادة الجماعة في التميز، عبر استخدامها لبعض السمات الثقافية كمحددات لهويتها النوعية، ومع ذلك فإن العلاقات التي تدوم فترة طويلة بين المجموعات العرقية، لا تؤدي بالضرورة إلى الإلغاء المتدرج للاختلافات الثقافية، بل غالباً ما تنتظم هذه العلاقات بشكل تحافظ معه على الاختلاف الثقافي، بل أحياناً تزيد الاختلافات، عبر لعبة الدفاع الرمزي عن حدود الهوية.¹

مع وجود طرف أقوى أو متسلط، فإن الإحساس بالظلم الاجتماعي يؤدي بأعضاء مجموعة هي ضحية التمييز، إلى شعور قوي بالانتماء إلى الجماعة وإلى التماهي بها، وكما يوضح الباحث دنيس كوش Dennis Koch من أن التماهي قد يصبح بهذه الجماعة قوياً لدرجة أن تضامن الجميع، يصبح ضرورياً من أجل الحصول على الاعتراف من الآخر؛ للحدود الرمزية للجماعة، ككيفية تصنيف ضرورية للتمايز نحن/هم، باعتبار الهوية محصلة صيرورة تماه، وبوصف التماهي إثباتاً أو تقريراً هوياتياً، فالهوية identité والآخر متصلان؛ تجمعهما علاقة جدلية، فالتماهي identification يتوازى مع التمايز، إذ ليست هناك هوية في ذاتها أو لذاتها.²

ب- الهوية والثقافة

الهوية الثقافية هي ما يستخدم من طرف الفرد أو الجماعة من سمات لإبراز التمايز والاعتزاز بالذات وإظهار الاختلاف في مواجهة الآخر، وتشمل النظام الثقافي، والعقائد، والرموز، والقيم، وأشكال التعبير الأدبي والفني، والنظام المعرفي، والشرطان اللذان يجب توفرهما للهوية كي تثبت هما: أن تتألف من كثرة عناصرها وحدة تجعل منها كيانا عضويًا موحدًا، ويكون لها هدف موحد، تتجه إليه بمختلف أعضائها، أما الشرط الثاني هو الاستمرارية لتلك الوحدة اللحظية، على طول الزمن، فالهدف الواحد يستقطب كثرة الأفراد والعناصر.³

ويعرف مالك بن نبي الثقافة أنها: مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وبذلك تصبح لاشعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة، في الوسط الذي ولد فيه،

¹ - دنيس كوش: مرجع سابق، ص 168-170

² - نفسه: ص 161، 154.

³ - سعيد إسماعيل علي: مرجع سابق، ص 29.

وحسب التعريف فإن الثقافة هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته.¹

وبما أن الثقافة شيء مكتسب، فالهوية القومية هي ذات سمات ثقافية بالأساس، بينما الهوية الفردية ذات سمات جسدية بالأساس، كما تبنت اتجاهات كثيرة إلى اعتبار الهوية مزيجاً تتداخل فيه الثقافة، فلا هوية بلا ثقافة، ولكن قد توجد ثقافة بلا هوية، وهذه الاتجاهات ألحت على أهمية التنشئة والتربية في تحديد ملامح الهوية، وإبراز الفوارق، ففي المدارس الأنثروبولوجية الأمريكية كانت معظم نتائج البحث في مسألة الهوية، قد أقرت بأنه ليس للإنسان برنامج جيني يوجهه، إن البرنامج الجيني الوحيد للإنسان هو المحاكاة والتعلم،² فالمعرفة تعطي الهوية قوامها وماهيتها، كذلك معرفة التاريخ شرط أساسي لمعرفة الهوية والوعي بها.³

من أبرز التعريفات الغربية للثقافة الذي تردد صداه لدى الغربيين، ثم لدى العرب، نجد تعريف الباحث ادوارد تايلر Edward Tylor - عام 1871م في كتابه الثقافة البدائية- الذي يقول فيه عن الثقافة: ذلك الكل المركب الذي يضم المعرفة، والمعتقدات، والفن، والأخلاق، والقانون، والتقاليد، وكل العادات والقدرات التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع، وفي هذا التعريف عناصر مهمة هي:

- أن قضايا الثقافة هي قضايا ذات بُعد إنساني.
- أن هذه القضايا تتمثل في صورة بناء متكامل، وليست جزئيات منفصلة عن بعضها.
- أنها ليست تمييزاً فردياً لشخص، وإنما هي اجتماعية، فالشخص يعيشها في ظل مجتمع.
- أنها ليست معارف نظرية، أو فكرياً مجرداً، ولكنها حياة، وواقع فكري وسلوكي يتحرك به أفراداً ومجتمعات.

- أنها بمجموعها مميزة لأهل ذلك المجتمع، أو لتلك الأمة عن مجتمعات وأمم أخرى.⁴

وهكذا يتغير تعريف المثقف من مجتمع لآخر، ومن فضاء جغرافي أو ديني لآخر، ومن فترة زمنية لأخرى، غير أن النقطة الأساسية المشتركة هي: اعتبار أن المثقف في أي مجتمع يمتلك القدرة على تصور رسالة ورؤية وموقف وفلسفة أو رأي، وتجسيد هذه المفاهيم والتعبير عنها أمام الجمهور وللجمهور.⁵

¹ - مالك بن نبي: مشكلات الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، ط 4، دار الفكر، دمشق، 2000، ص 74.

² - ولد خليفة: المسألة الثقافية مرجع سابق، ص ص 105-113.

³ - الزواوي بغوره: الهوية والتاريخ، ط1، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص ص 120-135.

⁴ - عبد الرحمان بن زيد الزيندي: المثقف العربي بين العصرية والإسلامية، ط1، كنوز اشبيليا، الرياض، 2009، ص ص 14، 15.

⁵ - نواره حسين: المثقفون الجزائريون بين الأسطورة والتحول العسير، تق: محفوظ قداش، دحلب، الجزائر، 2013، ص 34.

ج- الهوية واللغة

قد لا يمكن أن تكون هناك نظرية ما تؤخذ كقاعدة عامة في مسألة علاقة الهوية باللغة، وفي مسألة دور اللغة في تحديد الهوية، لكن الباحثين من علماء الأناسة، شد انتباههم وجود لغات متميزة تماماً، لدى جماعات تكوّن مجموعة واحدة مترابطة، بعلاقات اجتماعية وثيقة، وعلى العكس من ذلك، توجد جماعات تشترك في نفس اللغة، ولكنها لا تشعر بالانتماء لكيان واحد، مثل الانقسام الموجود في المجتمع في إيرلندا على أسس مذهبية كاثوليك وبروتستانت.¹ ومن جهة فإن الانتماء للمجموعة العرقية هو أول الانتماءات الاجتماعية وأكثرها جوهرية، ففيها تتعدّد أكثر الروابط تحديداً، لأن الأمر يتعلق بروابط قائمة على السلالة، ذلك أن الهوية ترتكز على شعور غريزي بالانتماء إلى حد ما، إذ تعدّ الهوية شرطاً ملازماً للفرد، وتحدد انتمائه، إذ أن الهوية العرقية الثقافية هي هوية أولية أساسية، حيث للخاصية اللغوية دور أساسي في كنف الجماعة حيث يتم تقاسم أعرق المشاعر والتضامانات. وبهذا التعريف تبدو الهوية الثقافية بعناصرها اللغوية والعقائدية بمثابة ملكية أساسية للجماعة، ويكون اكتساب الهوية بمثابة تحصيل حاصل، الهوية هي كذلك بناء يتكون ضمن علاقة تضع إحدى المجموعات في مقابل مجموعات أخرى، على تماس معها، فمجموع السمات الثقافية المميزة لتلك الهوية، يستخدمها أعضاء المجموعة لتأكيد التميز الثقافي والمحافظة عليه.²

د- الهوية والدين

بالنسبة لعلاقة الدين بالهوية فكلاهما يحيلان إلى عقيدة ثابتة وعلى شعور قوي بالتميز وبذلك فالدين يلعب دوراً حاسماً في التأسيس التقليدي للهوية وفي تثبيتها ومدّها بالشعور بالتميز والتفوق، كما يلعب الدين دوراً بنيانياً كعنصر دائم في الهوية الوطنية، أو موحد لهوية مهددة، كما تظهر الهوية الدينية على وجه الخصوص كأرضية تحرر من نظام عالمي قمعي.³ وعندما تتعرض جماعة لظلم جماعة أخرى أكثر قوة منها فإنها تستنفر هويتها الجمعية المهددة.⁴ من جهة أخرى فإن التأكيد على الهوية لا يعني الانطواء والتفوق على الذات، كما لا يعني الانعزال والسلبية والرفض، فالإنسان بطبعه مخلوق اجتماعي، وإنما الهوية المعنية هنا، تعني التأكيد على كيفية المحافظة على شخصية الفرد والجماعة من الذوبان في الآخر، وتعني كذلك كيف نتموضع في العالم، تموضعا يحترمنا فيه الآخر.⁵

¹ - ولد خليفة: المسألة الثقافية، مرجع سابق، ص 135.

² - كوش: مرجع سابق، ص 151-153.

³ - عبد الصمد الديالمي: «الهوية والدين»، مجلة آفاق، اتحاد كتاب المغرب، المغرب، ع 74، 2007، ص ص 79-92.

⁴ - اليكس ميكشيللي: الهوية، مرجع سابق ص 107.

⁵ - بغوره: الهوية والتاريخ، مرجع سابق، ص 135.

المبحث الثاني: الاستعمار وتبريرات التوسع والبقاء

1- الاستعمار الاستيطاني ذرائع وتحديات

تقوم الظاهرة التاريخية على ثلاث دعائم، الزمان، الإنسان، المكان، وعليه فالتاريخ علم يتصل بالزمان، وبما أن المقصود هو الزمن الإنساني فإن الفعل التاريخي فعل إنساني وقع داخل حدود الزمن الإنساني¹، والإنسان مثل بقية المخلوقات، يخضع لنواميس الطبيعة التي أحكم الله به صناعة الكون، فهو يؤثر ويتأثر، لكنه بميزة العقل حاول التكيف مع السنن بعد فهمها، وبما أنه من سنن الكون التمايز، وهو من طبيعة الأشياء، فمن غير الممكن أن يصادر أو يرفض شيء هو أمر أصيل في الطبيعة الإنسانية، وهو سنّة الاختلاف والتمايز بين الأنواع، بل وضمن النوع الواحد من المخلوقات ومنها الإنسان، وهذا ما يشير إليه المفكر الألماني غوتفريد فيلهيلم لايبنتز G. W. Leibniz (1664-1716)، حين ينفي أن يتشابه شيان في كل خصائصهما، باعتبار أننا إذا قلنا ذلك فإنهما شيئاً واحداً². ومن هذا المنطلق، فإذا كانت الأشياء هذه طبيعتها فإن الأمر ينطبق على بني البشر، الذين يمتازون بتنوع لا حد له، لأنّ التباين العرقي بين بني البشر هو خاصة بيولوجية عند بني الإنسان. وهو أمر حاول الاستعمار الأوروبي تجاوزه من خلال ما أظهره من تطرف في تمجيد العرق الأوروبي، كتصنيف عنصري موجه لطمس هوية أعراق كثيرة³.

التفسير الاستعماري للقانون: تختلف عملية الاحتلال قانونياً عن اكتساب أراضي جديدة غير مأهولة، وبما أن الاحتلال ليس إلا حالة مؤقتة، وأن المحتل لا يكتسب سيادة على الأرض المحتلة، لذلك فإن الحكومة الفرنسية؛ لم تكن تريد أن ينظر إلى وجودها في الجزائر على أنه احتلال، فيتربت عنه قانوناً أنه اعتداء على دولة ذات سيادة، ومن جهة أخرى؛ ليس من مصلحتها أن يكون هذا التوسع تحت عنوان الحماية أو المستعمرة؛ لأنه وضع وقتي من المفروض زواله في يوم ما، وهو ما أربك المشروع الاستعماري، لذا دأبت الدعاية الفرنسية؛ على محاولة إقناع نفسها والآخرين؛ أنها اكتسبت الجزائر اكتساباً شرعياً بالتقادم، وهي طريقة تمكّك يقرها القانون الدولي، في حالة توفر شروط معينة - ولا يمكن ان تتوفر لها في الجزائر-، منها أن يتم التملك على مرأى ومسمع من الدول الأخرى، ومصادقة الأهالي ولو بصفة ضمنية⁴.

وفي تجاوز صارخ للحقائق التاريخية، اعتبرت فرنسا أن الجزائر من الأراضي التي يجوز تملكها شأنها شأن بقية المناطق الخالية من السكان والتي لا تخضع لسيادة منتظمة، أو مسكونة من طرف مجموعات متوحشة،

¹ - قاسم عبده قاسم: تطور منهج البحث في الدراسات التاريخية، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، مصر، 2000، ص37، 38.

² - أحمد منور: أزمة الهوية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، دار الساحل، الرغاية، الجزائر، 2013، ص30.

³ - عيسى الشماس: مدخل إلى علم الإنسان (الانثروبولوجيا)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص18.

⁴ - محمد حربي: الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر: نجيب عياد وصالح المتلوني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1994، ص96، 97.

غير منتظمة سياسيا. وبما أن الدول الأخرى (مثل بريطانيا) اعترفت لها بوجودها في الجزائر توطئا، بقي لها اعتراف السكان؛ وهو شيء لا يمكن أن تناله أبدا؛ والدليل أن الثورات في الجزائر لم تتوقف، لذا لجأت فرنسا إلى محاولة البحث عن حلول جذرية؛ عبر استقدام موجات بشرية من أوروبا؛ لتغيير الديموغرافيا لصالحها.¹

وجدت عقدة التفوق عند المتطرفين من الأوروبيين أو ما يعرف بالمركزية الأوروبية وهو المصطلح الذي يشير إلى كل المعتقدات التي تسلم بفكرة تفوق الأوروبيين؛ على غير الأوروبيين؛ دينا وعرقا وبيئة وثقافة. ومن خلال مفهوم المركزية الأوروبية؛ فإن أوروبا تتقدم وتتطور وتسير نحو التحديث دائما وأبدا، وغيرها يتقدم ببطء ويتجمد ويبقى مجتمعا تقليديا، أو كما ينقل عنهم «جي. إم. بلاوت» J. M. Blaut: «فالأوروبيون دينهم الحق، إذا فالله يرشدهم للأمام على مر التاريخ، والعرق الأوروبي يتمتع بتفوق وراثي على الأجناس الأخرى، والبيئة الأوروبية تفوق غيرها كذلك منذ الأزل الأوروبيون اخترعوا ثقافة مفردة في تطورها». غير أن المنصفين من الأوروبيين، يرون أن كل هذا خطأ، فالبيئة الأوروبية ليست الأفضل، ليست الأكثر إثمارا، ولا أكثر راحة للبشر، ولا مناخها الأكثر اعتدالا، ولا طبيعتها الأكثر جمالا، ولا هي مناسبة للاتصالات والتجارة، ولا أوروبا ملكت صفات التميز منذ القديم، ذلك لأن صفات النجاح هي فردية كالإبداع والابتكار والطموح، وطبقا لنظرية المركزية الأوروبية: «فالأوروبيون هم من اخترعوا الديمقراطية والعلم والإقطاع والرأسمالية والدولة الحديثة.. الخ» ويعتقدون أنها حقائق، وهذه المعتقدات غالبا ما تقبل لأسباب لا علاقة لها بالأدلة، فالمعتقدات مغروسة في الثقافة الأكاديمية التي - في نفس الوقت - تشكلها. فالخرافات القديمة ونسختها الجديدة، مازالت تحظى بالإيمان والقبول في أوروبا دون أدلة، لأنها تتماشى مع المركزية الأوروبية، وهو ما يفسر تغلغل المعتقدات التاريخية في المركزية الأوروبية حتى وإن رفض الأساس المنطقي لها، (مثل الادعاءات المبنية على ما جاء في العهد القديم (التوراة)).²

انطلاقا مما سبق فإن وعد بلفور البريطاني لصالح اليهود سنة 1917 لم يأتي من فراغ أو مصلحة مع اليهود فقط، بل معتقد وقناعة دينية لدى البروتستانت جاءت فرصة تجسيدها.³

¹ - محمد حربي: الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مرجع سابق، ص 96، 97.

² - جي. إم. بلاوت: نموذج المستعمر للعالم، الانتشار الجغرافي وتاريخ المركزية الأوروبية، تر: هبة الشايب، مر: فيصل يونس، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ص ص 13-28.

³ * - عبر حركة الإصلاح الديني الأوروبية (حيث نشأ المذهب البروتستانتية) تسربت الأدبيات اليهودية الى صميم العقيدة المسيحية والتي تدور حول ثلاثة مرتكزات هي: 1- أن اليهود هم شعب الله المختار. 2- أن هناك ثمة ميثاقا إلهيا يربط اليهود بفلسطين. 3- ربط الايمان المسيحي بعودة المسيح ببناء دولة صهيون أي تجميع اليهود بفلسطين ليظهر المسيح فيهم، فقد نشر مارتن لوثر كتابا بعنوان عيسى ولد يهوديا جاء فيها «إن اليهود هم أبناء الله لذلك فإن علينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل مما يتساقط من مائدة أسيادها كالمرأة الكنعانية تماما» - ينظر: -محمد السماك: الصهيونية العالمية، دار النفائس، بيروت، 1993، ص 33، 34.

2- الاستعمار وتراث المنطقة

التُّراثُ في اللغة العربية من مادة ورث مرادفا ل: الإرث، الميراث، وهي مصادر تدل على ما يرثه الإنسان من والديه من مال أو حسَب. وفي الخطاب العربي الحديث، يعنى ما هو مشترك بين العرب، فتأتي كلمة تراث، بمعنى الموروث الثقافي والفكري، وهو معنى جديد حسب الخطاب العربي المعاصر فالتراث: «ملفوا في بطاقة ايدولوجية وشحنة وجدانية» كما يقول الجابري.¹ وهو بالمفهوم الحديث ما ينتقل من عادات وعلوم وآداب ونحوها من جيل إلى جيل،² فالتراث إذ يعبر عن الواقع الذي هو جزء من مكوناته، وهو مجموعة التفسير التي يعطيها كل جيل بناء على متطلباته، يعبر عن روح العصر وتكوين الجيل وروح التطور التاريخي.³

وكجزء من المشروع الاستعماري ومن أجل ترسيخ وجودهم في الجزائر، اهتم الفرنسيون بالدراسات الشرقية، ونقبوا في تراث المنطقة، وركزوا على الدراسات التاريخية والأعمال العلمية والبحوث والمؤلفات، وانجزوا البحوث والكتب والمقالات والفهارس والأعمال، والتي تميزت بالدقة والالتزام بالمنهج، لكنها انطلقت من خلفية معينة، وفكرة ذاتية مركزية أوروبية، بنت عليها طابعا تأويليا سياسيا، كثيرا ما حاد عن الموضوعية والنزاهة العلمية.⁴ وكانت أولويات الاكتشاف والتدوين تسابق حتى وصول الجيوش إلى المناطق التي يراد احتلالها، وقد تسبقها أحيانا، منطلقة من قاعدة اعرف عدوك لكي تستطيع محاربتة، ومع السنوات الأولى لدخول الفرنسيين للجزائر، تشكلت لجنة الاكتشاف العلمي للجزائر سنة 1837، بإشراف من وزارة الحربية الفرنسية وشملت 19 تخصص، وكانت بعض أعمالها مليئة بالحق، حيث سيطر عليها العسكريون، فريئسها نفسه قائد الأركان.⁵ كما قامت هذه اللجنة بوضع دليل إحصائي عن الجزائر كافة، في 17 مجلد، لينتقل إلى 40 مجلد سنة 1844، هذا المشروع العلمي ركزت عليه السيسولوجيا الاستعمارية، ومنحته كل الوسائل المادية والمعنوية، وجهزت له طاقات من رجال دين وعسكريين وعلماء.⁶ أما إذا بحثنا عن الجانب الإيجابي في العملية فقد ساهمت عبر التدوين من حفظ جانب هام من الموروث الثقافي الجزائري، وهذا لا يغطي على الجانب السلبي للعملية، فقد تم تسجيل ضياع جزء هام من الأرشيف الوطني والموروث الثقافي الجزائري استولى عليه ضباط ومستشرقون فرنسيون.⁷

¹ - محمد عابد الجابري: التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991، ص ص 22-24.

² - ناصر سيد أحمد وآخرون: المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص 111.

³ - حسن حنفي: التراث والتجديد. موقفنا من التراث القديم، ط4، المؤسسة الجامعية للنشر، و.ت، 1992، بيروت، ص ص 14-16.

⁴ - بشير بلاح: مواقف الحركة الإصلاحية الجزائرية مرجع سابق، ص ص 201، 203.

⁵ - ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 80.

⁶ - وسيلة يعيش حرم خزار: «الممارسة السيسولوجية في الجزائر»، مجلة الباحث الاجتماعي، عدد 10، المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة سبتمبر 2010، ص ص 300-302.

⁷ - محمد الشريف ساحلي: تخلص التاريخ من الاستعمار، تر: محمد الشريف بن دالي الحسين، دار القصة للنشر، الجزائر، 2013 ص ص 67-83.

قدّم العقل الغربي جهداً علمياً لا يستهان به، لدراسة المجتمعات والثقافات المغايرة للغرب، ولكن بأدوات معرفية غريبة، وهو ما جعل النتائج أحادية الرؤية، وفق أحكام لا تتجاوز حدود إدراك العقل الغربي.¹ ورغم ما في الكتابات التاريخية الأوروبية من منفعة تمثلت في جمع المادة التاريخية وحفظها من التلف، غير أن جهودهم قضى عليها تفسيرهم للأحداث تفسيراً استعماريًا بحثاً، وتوظيفهم للتاريخ لخدمة مصالح الاستعمار.²

حاول الاستعمار الأوروبي الحديث والمعاصر إيجاد مبرره الأخلاقي في الدراسات الأنثروبولوجية التي كانت تصور المجتمعات المغلوبة على أمرها، على أنها متوحشة وغازقة في الجهل، وأنه يجب تهذيبها، وقد قام "الأنثروبولوجيون الأوروبيون بدراسة الشعوب المستعمرة، للتعرف على طبائعها وخصائصها لمعرفة مواطن الضعف في المجتمع ورسم السياسة المناسبة للتعامل معها، أو لتعديل بعض الأوضاع لتصبح ملائمة للواقع الاستعماري، وبالتالي ضمان حالة الاستعمار والسيطرة، غير أن هذه الدراسات رغم ظاهر طابعها العلمي، إلا أنه في كثير من الأحيان، تكون مضامين هذه الأعمال مضللة للباحث ومشوهة للحقائق، من خلال الصورة السلبية التي تقدمها عن الإنسان غير الأوروبي وتجعلها لصيقة به، ومثالا على ذلك فقد درج بعض كتاب الاستعمار على الادعاء أن الإنسان الجزائري أو الأهلّي «الأنديجان» حسب تعبير الأنثروبولوجيا الاستعمارية: «لا يعدو أن يكون إنساناً جامداً، كسولاً، مستسلماً، خاضعاً دينياً»، وهي نظرة لا تعدو كونها وليدة الإيديولوجيا الاستعمارية، التي كانت في رحلة بحث لتبرير أخلاقي، لما تقوم به من ممارسات غير مقبولة في حق الشعوب المقهورة.³

وفي هذا السياق يقول أنتوني جيندز Anthony Giddens من علماء الاجتماع: «لعل من سخریات الحديث، أن الدراسة العلمية المنتظمة لتتوع الثقافات الإنسانية- أي الدراسة الأنثروبولوجية الميدانية-، قد ظهرت في نفس الوقت الذي بدأ فيه التوسع الشره لنظام الرأسمالي، وللقوة العسكرية الغربية، يفعل فعله في تدمير تلك الثقافات». وتولّد عن الممارسات الاستعمارية الأوروبية؛ مسافة بعيدة من نظرة الريبة لدى الشعوب المقهورة؛ يغذيها تاريخ من الكراهية للآخر المجهول، فأصبحت هذه النظرة واقعا ملموسا بعد أن قدم الأوروبيون الدليل، على عدم قدرتهم على تفعيل الجانب الإنساني في علاقتهم مع الشعوب المقهورة؛ ومنها الشعب الجزائري، الذي تعرض لأحكام عنصرية خارج القانون.⁴

وقد كرس الاستعمار وقتاً وجهداً كبيرين، للوصول لبلورة فكرة ما، يتحقق من وراءها تمجيد العرق

¹ - ينظر: الزواوي بغورة: الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس، دار القصة للنشر، الجزائر، 2002، ص123.

² - يوسف مناصرية: دراسات وأبحاث في تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية 1830، 1962، دار هومة الجزائر، 2013، ص18.

³ - أوراغي أحمد: «الأنثروبولوجيا والاستعمار قراءة في صورة الجزائري في المؤلفات الأنثروبولوجية الاستعمارية»، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج 4، العدد 2، جامعة سيدي بلعباس، ديسمبر 2013.

⁴ - أنتوني جيندز: مقدمة نقدية في علم الاجتماع، تر: أحمد زايد وآخرون، ط2، مطبعة العمرانية، الجيزة، مصر، 2006، ص40.

الأوروبي، كانه يتمتع بتفوق وراثي، وانطلاقا من التصنيفات الأوروبية العنصرية السابقة، ويتوجيه شديد وانتقائية، ومع التمدد الاستعماري الأوروبي الحديث والمعاصر، وضمن أصقاع المعمورة التي خضعت للاستعمار؛ وتحت عنوان البحث العلمي؛ سعى الاستعمار لتحقيق مشروعه من خلال استراتيجيات ووسائل سخر لها كل الإمكانيات الضرورية وهي:

1- تم وضع تاريخ وتراث هذه المنطقة تحت مجهر التفسير الاستعماري، حيث قامت الألة الاستعمارية بتشجيع البحث والتتقيب في تراث المغرب العربي، وتم تسخير البحث العلمي لدراسة كل جوانب الحياة لماضي هذه الشعوب وحاضرها. لمعرفة هذه الشعوب عن كذب لاختراقها، لأهداف السيطرة الشاملة، لأن السيطرة العسكرية يمكن أن تزول في أي لحظة، لكن السيطرة على العقول هي هدف استراتيجي للمشروع الاستعماري في المنطقة.

2- وجهت البحوث لدراسة كل التجارب السابقة لجميع أنواع الغزو التي مرت من هنا، للاستفادة منها وتفادي أخطائها.

3- إعطاء الأولوية للحقبة الرومانية البيزنطية في تسليط الضوء، مع طمس الحقبة الزمنية للعصر الإسلامي، وإفساح المجال لدراسة المدة الرومانية والتركيز عليها، لفتح المجال للهوية اللاتينية لإعادة إحياء مشروع رومنة شمال إفريقيا.¹

4- طمس أي شخصية واضحة للدولة والمجتمع والأمة في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي.

5- إشعار الجزائريين بالدونية وإحباط معنوياتهم في إطار الحرب النفسية، منطلقة من عقدة التفوق عند الأوروبيين أو ما يعرف بالمركزية الأوروبية.

6- تعمد إهمال الفترة الإسلامية. بل وتعدى الأمر إلى محاولة تجاهل المكونات الأساسية للوطن عرب-بربر عبر رد أصول الجزائريين لأصول إيطالية أيبيرية، والادعاء أن جغرافية شمال إفريقيا هي امتداد لجغرافية أوروبا لا يفصلهما إلا البحر.

7- تأليب العداوة بين العرب والبربر. فقد كان الغرب حريصا على خلق هويات متناحرة، وتفتيت وحدة المنطقة.²

8- تشجيع كتابة الدارجة لضرب اللغة العربية الفصحى التي تعتبر وعاء الذاكرة التاريخية، لتكوين إنسان لا هوية له.³

¹- بشير بلاح: مواقف الحركة الإصلاحية الجزائرية من الثقافة الفرنسية 1925-1940، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص ص 201-203. بتصرف.

²- نفسه: ص ص 201-203.

³- سوزان حرفي: الهوية والحركة الإسلامية، حوارات مع عبد الوهاب المسيري، دار الفكر، دمشق، 2009، ص 11، 150.

3- الاستعمار ومعركة المفاهيم والمصطلحات

بعد وضع اليد على الجغرافيا اتجه الفرنسيون للبحث عن مبررات لعملية الغزو، ثم البحث عن مسوغات البقاء، تحت غطاء البحث العلمي، لترسيخها في الوعي العام على أنها مسلمات علمية، لأن المعركة معركة مفاهيم ومصطلحات، لذلك يقول طه جابر العلواني: «كانت دائرة المفاهيم، أهم ميادين الصراع الفكري والثقافي بين الثقافات عبر التاريخ، وأول ما تصاب به الأمم؛ في أطوار تراجعها الفكري والمعرفي والثقافي مفاهيمها، وأهم هذه الأمراض؛ الميوعة والغموض، التي تنشأ من تساهل الأمة في مفاهيمها».¹

ففي مجال التلاعب بالمفاهيم والمصطلحات؛ فإن الأنثروبولوجيا الاستعمارية في بعض مراحلها لتحقيق أهداف خفية؛ تستعمل في التعبير عن الاستعمار؛ عبارات تحمل معنى مغاير لما يراد بها، مثل: الصدمة الثقافية، والاحتكاك الثقافي بين المجتمعات، والتناقف، والتغير الاجتماعي، وهنا يرى الكاتب والمستشرق الفرنسي جاك برك J. Berque فيقول: «أن هدف علم اجتماع الاستعمار؛ كان السيطرة على الدوام، وكل المقولات التي تم التشدد بها، حول أثر احتكاك الثقافات؛ لم تكن أكثر من زينة زائفة، والهدف في الدرجة الأولى؛ تبرير الفساد الذي يحدثه الاستعمار»، ولم تكن خرافة البدائي إلا أداة أرادت بها أوروبا التخلص من عقدة الذنب، لتبرير جشعهم وغزوهم واستغلالهم للشعوب، ولم يكن استعمال الدراسات الإنسانية والاجتماعية (الأنثروبولوجيا) التي أتاح لها الاستعمار شروط عمل وتسهيلات لم تتح سابقا للباحثين، سوى أحد شروط إيديولوجية الممارسة الاستعمارية، إذ أن الأمر لا يخلو من نية مبيتة للقضاء على ثقافات ومجتمعات أخرى.² ويإيجاز نتعرف على بعض من هذه المفاهيم* والتي عمل الاستعمار على تمريرها والترويج لها. وقدمت في ثوب نظريات علمية، من خلال العناوين التالية: الحتمية التاريخية، والحتمية الجغرافية، والحتمية العرقية:

أ- **حتمية تاريخية:** تتأسس نظرية الحتمية التاريخية على أن التاريخ مثله مثل أي شيء في الطبيعة، يخضع لقوانين علمية وموضوعية، وله مسار معيناً يحدّد حركته ويكيف تطوره، وربما نتائج متشابهة، وتأسيسا على ذلك، يرى منظرو الاستعمار؛ أنهم بمعرفة القوانين؛ يستطيعون فهم الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي، والتنبؤ بمستقبل المنطقة، ولما لا التحكّم بالواقع والمستقبل، وهوما كانت تسوق له الدعاية الاستعمارية الفرنسية،

¹ - العلواني وآخرون: مرجع سابق، ص 8، 9.

² - جيرار لكليرك: الأنثروبولوجيا والاستعمار، تر: جورج كتورة، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1990، ص 80، 89، 165.

*-الدليل الفاضح لتلاعب الغرب بالمفاهيم، تفسيره لبعضها حسب مصالحه، حيث نلاحظ صعوبة الاتفاق على تحديد وتعريف مفهوم الارهاب، فقط من لا يساير الغرب في أطروحاته هو الإرهابي، حتى ولو كان مدافعا عن حق شعبه في الحياة، وكيف أنه في الغرب كذلك تتلقف انشغالات مجموعات عرقية مسيحية في الشرق مثلا قضية تيمور الشرقية وجنوب السودان...وبالمقابل تدفن قضايا لشعوب وأوطان مسلمة على مرأى ومسمع العالم مثل: فلسطين(وخير دليل المجازر والإبادة الصهيونية في غزة-بعد7 أكتوبر2023)/-وتركستان الشرقية التي تحتلها الصين/و كشمير التي تحتلها الهند/ والشيشان التي تحتلها روسيا/ وأخيرا تم الترحيب والإشادة بالمقاتلين الأجانب للدفاع عن أوكرانيا ضد الغزو الروسي 2022، واعتبروا مدافعين عن الحرية، بينما يتم تجريم نفس الفعل إذا كان للدفاع عن شعوب البلدان الإسلامية.

من أنه لا مفر مثلاً للمغرب العربي من رومنة جديدة، تجمع ضفتي المتوسط، -حسب زعمهم المنطقة مهياً بصفة حتمية اعتماداً على التجارب التاريخية السابقة-، وهي نظريات صيغت من قبل المؤولين لأحداث التاريخ في ما يصب مصلحة الاستعمار الأوروبي، وفي ذلك يقول عبد الله بلقزيز: «في إطار الحركة الكبرى للانتشار الأوروبي في العالم القديم... عبر حركة زاخرة، من اتجاهاتها الحفر والنحت عن الأصول، لتحديد معالم أخرى لحاضر الدول والشعوب... لإحياء الزمنين اليوناني والروماني... كعامل مساعد لتحديد معالم الحاضر، باعتبار أن الدولة العثمانية، رغم ضعفها ما تزال تحدياً-آنذاك-»¹.

ب- **حتمية جغرافية**: تعتمد هذه النظرية على أن سبب تأخر المنطقة لها علاقة بجغرافيا المنطقة، أي حسب زعمهم أن المنطقة مغلقة طبيعياً بسلاسل جبلية، منعها من تسرب الحضارة، وهو ما كان سبباً في تأخرها، وهذا ادعاء يحدد مصير الشعوب نهائياً، ويتنافى مع المنطق، فجغرافية اليابان أقسى وظروفها أصعب، رغم ذلك بلغت ما بلغته من الحضارة والمدنية، وكما يقول وول ديورانت W. Durant في كتابه قصة الحضارة «لو تهيأت نفس الظروف لشعب ما، لوجدت نفس النتائج، والدليل نهضة اليابان في القرن 20 مرت بتجربة إنجلترا في القرن 19. وأن المدنية لا على جنس دون جنس، فليس الجنس العظيم هو الذي يخلق المدنية، بل المدنية العظيمة هي التي تخلق الشعب»².

ج- حتمية عرقية

التطرف في تمجيد فكرة العرق والذي تبنته أوروبا الاستعمار، أدى إلى الزج بعدد من التصنيفات العنصرية ضد أعراق كثيرة، وكانت وظيفة هذه التصنيفات أن تطمس الصفات الأصلية الخاصة بأعراق معينة³، وكمثال عن تلك التصنيفات تعبر نظرية الحتمية العرقية عن الأفق الضيق والنظرة العنصرية السلبية؛ التي هيمنت على عقول دعاة الاستعمار الأوروبي، كالقول أن الإنسان الشرقي والبربري لا يتغير مع الزمن، أو ما يسمونه عندهم «البربري الأبدى وشخصيته سلبية»، وأن مظاهر الحضارة في شمال إفريقيا دخيلة، زالت مع الغزاة، وغيرها من المغالطات⁴. وهذا يتنافى مع الحقائق التاريخية فأقدم الحضارات (واد الرافدين - النيل)، لم تظهر في أوروبا، كما أن الأبجدية الموجودة في أوروبا لم يكتشفها العقل الأوروبي، بل كانت كنعانية الأصل، إذ أن اكتشاف الكتابة الكنعانية يعود إلى نهاية القرن السابع عشر، أو بداية القرن السادس عشر قبل الميلاد⁵.

¹ - عبد الله بلقزيز وآخرون: **المعرفي والإيديولوجي في الفكر العربي المعاصر**، ط1، ندوة مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010، ص138.

² - وول وإيرل ديورانت: **قصة الحضارة**، تر: زكي نجيب محمود، مج1، دار الجيل، بيروت، 1988، ص6.

³ - عيسى الشماس: مرجع سابق، ص18.

⁴ - ساحلي: مرجع سابق، ص ص67-83.

⁵ - محمد علي عيسى: **الجنور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الاثرية والأثنولوجية واللغوية**، ط2، دار الكتب الوطنية بنغازي، ليبيا، 2009، ص 249، 250.

علما أن أوروبا استفادت من الشرق مرتين الأولى حين أخذ اليونان والأوروبيون أبجديات الكتابة* في حدود القرن التاسع قبل الميلاد، والثانية استفادت أوروبا من الحضارة الإسلامية، عبر الحواضر في شمال إفريقيا وصقلية والأندلس. كما حاول دعاة الاستعمار ترويح لفكرة أن العنصر البشري المغربي يفتقر لمقومات الحضار وأنه جامح لطبيعة الفوضى مضطر للتعويل على الأجنبي في إسعافه.¹ لكن الحقيقة شيء آخر، فمن المعروف أن فرنسا نفسها كانت تاريخيا مضطرة للتعويل والاستعانة بالأجنبي لتحريرها، في القرن السادس عشر، حين استعانت فرنسا بالعثمانيين ضد إسبانيا. وفي القرن العشرين حين تدخلت الولايات المتحدة الأمريكية لإنقاذ فرنسا من الاحتلال الألماني مرتين في الحربين الأولى والثانية. أما الجزائريون فقد اعتمدوا على أنفسهم في كل ثوراتهم.

د- حتمية اجتماعية

عملت الدعاية الفرنسية من ورائها الجيش والجامعات، على الترويح لفكرة تصور القبيلة المغربية على أنها وحدة منافية لوجود الدولة، وهنا يرى محمد عبد الباقي الهرماسي أن الحقيقة المثبتة تاريخيا تؤكد حقيقة أن هذه الوحدات-القبائل- تبدو مستقلة، لكنها في نفس الوقت منتظمة بحسب أعراف الانقسام، فهذه الوحدات(القبيلة)؛ ترجع في أمر ضبط أشكال التصرف بداخلها؛ وفي ما بينها وبين الآخرين؛ إلى فضاء معياري موحد ومتجانس؛ هو الفضاء الإسلامي، فهي تحتكم وتضبط أشكال التصرف وفق الشريعة الإسلامية؛ «وبفعل الوقوف على أرضية معيارية موحدة»، فإنه مهما كانت النزعة نحو الانقسام قوية، لدى تلك القبائل المغاربية، فإن النزعة نحو التضامن لديها بفعل الأخطار الخارجية تكون أقوى، وهو ما حدث في مواجهة الاستعمار الحديث، ويضيف م. عبد الباقي الهرماسي: «فالبنية الانقسامية للمجتمع في أغلب الأحيان تلتقي في شكل تكاملي على أرضية موحدة، فالبنيات الأساسية للمجتمع من أسر وقبائل، في مجتمع المغرب الإسلامي توطئها بالإضافة للوحدة الدينية، تلك الوحدة الاقتصادية، في ظل العلاقة التكاملية بين المدينة والريف، فالقبيلة تسير عكس الفوضى؛ فهي تسير وفق تراتبية ونظام وانضباط، ولا يضرها ان كانت قارة أو متنقلة، بل كانت القبيلة دوما على مر العصور، أرضية لنمو دول وإمبراطوريات» مثل الإمبراطوريتين المغولية والعثمانية.²

* - يرجع اكتشاف الكتابة الكنعانية إلى نهاية القرن السابع عشر، أو بداية القرن السادس عشر قبل الميلاد، وكان أول من توصل إلى هذه الأبجدية، عمال كنعانيون يشبه جزيرة سيناء، رسموا الحروف، ولفظوا دلالاتها بلغتهم الكنعانية العربية القديمة، وبتجميع تلك الحروف استطاعوا تكوين ابجدية متكاملة، والتي نقلها التجار الكنعانيون أين ما حلوا، حيث أخذها منهم الإغريق (اليونان) في القرن التاسع قبل الميلاد، واحتفظوا بحروفها كما هي عند الكنعانيين، إذ ما زالوا ينطقونها على نفس الأصوات الكنعانية ألفا بيتا. جيما. دلتا... الخ، ورغم أن اليونانيين كتبوا من اليسار إلى اليمين، فإن تراثهم القديم من خلال النقوش يخبرنا أنهم كتبوا قديما من اليمين إلى اليسار، وبعد أن طورها اليونان أخذ الرومان عنهم الكتابة الكنعانية ونقلوها إلى اللغات الأوروبية. - ينظر: محمد علي عيسى: الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية والأنثروبولوجية واللغوية، ص 249- 250 .

¹ - بشير بلاح: مواقف الحركة الإصلاحية، مرجع سابق، ص 201-203.

² - محمد عبد الباقي الهرماسي: المجتمع والدولة في المغرب العربي، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت. 1999، ص 14-15.

4- العلاقة القديمة بين شمال إفريقيا والمشرق العربي

أكثر ما كان يقلق الاستعمار تلك الرابطة القوية بين جناحي العالم العربي، لذلك أراد الاستعمار أن يصنع للمغرب العربي واقع جديداً، مقطوع الصلة بعمقه الحضاري العربي الإسلامي، كما عمل على التركيز على الثنائية العرقية عرب-بربر، في إطار سياسة فرق تسد من أجل صياغة واقع الانتماء، ويتحول الأمر من قضية ثقافية؛ إلى مشكلة ذات أبعاد سياسية قومية، في خضم ذلك تطرح أسئلة حول العلاقة بين شمال غرب إفريقيا والمشرق العربي، فتتضارب وجهات النظر بين الرفض والتأكيد، وهنا يستبعد الأستاذ محمد الهادي حارش أي علاقة بين جماجم الإنسان المغاربي الأول، وجماجم إنسان أوروبا أو إنسان الشام.¹ ويرى محمد الكوخي أن المصادر الأثرية، تتفق على وجود موغل في الزمن لمجموعات بشرية، تنتمي لأعراق مختلفة، إضافة لما تؤكد المصادر الأنتروبولوجية والأركيولوجية، من أن تلك المجموعات، جاءت نتيجة اختلاط مستمر لمجموعات بشرية موغلة في القدم،² ويذكر هيرودوت Herodotus (القرن 5 ق م) أن ليبيا القارة تقطنها أربع أمم، وهم السود، والبربر، والفينيقيون والإغريق في برقة. وهناك رواية للمؤرخ البيزنطي يوركوبيس (المتوفى سنة 562 م) تحدث فيها عن هجرة فينيقية لبلاد المغرب بعد دخول العبرانيين بلاد الشام، وهي الرواية الأكثر تداولاً عند المسعودي، والبكري، وابن الأثير، الذين قالوا أن أصل البربر من الشام.³ كما أن هناك آراء أخرى تحاول أن تثبت وجود علاقة قديمة بين شمال غرب إفريقيا والمشرق العربي فحسب الجغرافي الفرنسي غوتيهيه E.F.Gautier فإن سيطرة الفينيقين على الحوض الغربي للبحر المتوسط سابقة لوجود قرطاجة، وترجع لاثني عشر قرناً قبل المسيح، في حين أسست قرطاجة بين 814-813 ق م.⁴

كما أن المؤرخ بيليسيه E. Pellissier يذهب إلى رأي مفاده أن أول الشعوب التي عُرف عنها أنها سكنت شمال إفريقيا كانت الكنعانيين والعرب. ثم يأتي التوسع الفينيقي، والذي كان أول عمل له هو تأسيس أوتيكا عام 1520 قبل الميلاد، وحسب رأيه فإن الهجرات الكنعانية واليمينية مثبتة تاريخياً، ويؤكد أن مالك الإفريقي Malek Alifriki كان قد اصطحب معه خمس قبائل يمنية هي كالتالي Zanagra أو ونجدها كذلك باسم Zenaga زناقة (زناكة) في المغرب الأقصى، وقبيلة Muçamoda مصمودة -المغرب الأقصى -وقبيلة Zénéta زناتة، وكذلك قبيلة Haouara هواره، وقبيلة غمارة Ghomara، وهذه القبائل تنتشر اليوم في المغرب العربي. كما يؤكد Pellissier الأصل العربي ل قبائل المور Maures. كما يشير إلى التشابه أو التقارب اللغوي بين سكان المنطقة، وبين العرب الفاتحين حتى أنهم يختنون الأطفال بطريقة واحدة (الختان

¹ - ينظر: محمد الهادي حارش: دراسات في تاريخ الجزائر الماضي والحاضر، دارهومة، الجزائر، 2013، ص 13، 39.

² - محمد الكوخي: سؤال الهوية في شمال إفريقيا، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2014، ص 66.

³ - ينظر: حارش: المرجع السابق، ص 13، 39.

⁴ - أ. ف. غوتيهيه: ماضي شمال إفريقيا، تر: هاشم الحسيني، مؤسسة نواتل الثقافية، ليبيا، 2010، ص 21.

تعلمه العرب قبل الإسلام من سنن الفطرة لسيدنا ابراهيم).¹ أما بالنسبة للغة الليبية القديمة يشير الباحث محمد الصغير غانم أن هناك انقطاع تام بين اللغة الليبية القديمة، واللهجات البربرية الحالية، وأن الصلات لا تعدو أن تكون فرضيات، رغم فك رموز الكتابة الليبية القديمة من قبل العالم الفرنسي الباحث ف.دو. صولسي F. de saulcy، «إلا أنه لغة الرموز لا زالت مجهولة، ويذهب سالم شاكرو وهو باحث أمازيغي في كتابه نصوص في اللغة البربرية «إن وضع اللغة الليبية القديمة محير ومتناقض، ويضيف: هنا نعرف معنى قول (ل. جالون L. Galond) سنة 1959، حين تسائل في إحدى كتاباته، عما إذا كانت النقوش الليبية بكاملها، أو بعض أعدادها، قد كتبت بلغة لا تمت بصلة مباشرة إلى البربرية الحالية».²

وبالمقابل هناك من يؤكد وجود صلة بين التيفيناغ الحالية واللغات القديمة في جزيرة العرب فحسب الباحث محمد علي عيسى أنه تمت ملاحظة وجود علاقة بين التيفيناغ واللغات العربية القديمة، وعلى هذا الأساس تم اعتبار أن الأمازيغية واحدة من الكتابات* المتفرعة عن الكتابة العربية القديمة. ويعتقد أن المصدر الأساسي لحروف التيفيناغ هو الألفبائية الكنعانية. ويستدل على ذلك بالمستجدات الجديدة والمكتشفة حديثا جنوب الجزيرة العربية وبالتحديد في منطقة ظفار في سلطنة عمان، حيث لوحظ تشابه كبير بين الكتابتين، وأن إجراء المقارنة البسيطة بين الكتابات الكثيرة المنتشرة على سفوح جبال منطقة ظفار في سلطنة عمان، مع كتابة التيفيناغ يلاحظ التطابق شبه التام بين الكتابتين.³ ويذهب البعض إلى أن كلمة التيفيناغ هي نفسها كلمة الفينيقيّة محرفة قليلا، ذلك أن مفرد كلمة الفينيقيّة باللغة الليبية القديمة هو أفينيقي، ومؤنثها تافينيقيت، وهذه الكلمة الأخيرة هي نفسها تيفيناغ، زيادة على التشابه في بعض القواعد النحوية، وهو ما يثير تساؤلات تدعو للافتراض أن سكان من الجزيرة العربية قدموا للمغرب القديم، بكل ثقافتهم بما فيه الكتابة التي تسمى الآن التيفيناغ، وأن الأبجدية الليبية هي على نمط الحروف الهجائية الكنعانية.⁴ وبين التأكيد والنفي، ولحساسية الموضوع يبقى لكل طرف وجهه نظر، ليبقى الموضوع مفتوحا للدراسة.

¹ Pellissier de Reynauld : **Annales Algériennes**, Tome.1, éditeur, librairie Militaire, Paris ,1854, p251,253.

² - محمد الصغير غانم: «النقوش الليبية في شمال إفريقيا، المصطلح والرموز الكتابية»، مجلة المورد، مجلة محكمة تصدر عن وزارة الثقافة والاعلام العراقية، العدد 19 المجلد الثاني 1990، ص ص 34. 38.

* - حسب الباحث محمد علي عيسى فإن ما يثير الانتباه أن اللغة السبئية وملحقاتها مثلا، تلحق أداة عبارة عن حرف النون، يلحق عادة بأخر الكلمات، تسمى النون الحميرية هي أداة التعريف الموجودة في العربية الفصحى، حيث يلاحظ أن الكلمات المنتهية بالنون هي بمثابة ال التعريف، مثل ما هو موجود في البربرية، إمازيغن (الامازيغيون)، إلقاوين (القلعاويون). ويورد محمد علي عيسى أنه في لغات شبه الجزيرة العربية أسماء صيغت على وزن الأفعول، مثل الأيفوع، الأحروث، وتوجد صيغ مشابهة في المغرب، مثل أصفود، أزمور، أمروء، أرفود، أمروث، في منطقة المغرب القديم أيضا تشابه اللغة الليبية القديمة مع لغات جنوب الجزيرة العربية، والموجودة في لغة النقوش، في صيغة تأنيث الكلمات، فيكتبون بدل تهامة تهامت، وربيعت بدل ربيعة، ويمنت بدل يمن، ومثال عن الأسماء بالشحرية(جنوب جزيرة العرب) أرحمون: الرحمان. أفودر: القادر. ينظر: محمد علي عيسى: مرجع سابق، ص 281، 282، 347.

³ - محمد علي عيسى: مرجع سابق، ص 273.

⁴ - نفسه: ص 273.

5- الجزائر في العصر الحديث

الوطن ركن مهم في هوية الفرد والجماعات، والمواطنة مفهوم مشتق من الوطن، يرتبط في تطبيقاته بالدولة الحديثة نتيجة عصر التنوير الأوروبي، منذ أواخر القرن الثامن عشر، وتحديدًا مع الثورة الفرنسية عام 1789¹، فبينما اخترعت الإمبريالية الأوروبية نظرية التفوق العرقي واحتقار الآخر، نجد في الجانب الآخر، الحضارة الإسلامية التي ألغت الحدود بين الشعوب، وأماتت العنصرية والعرقية، وأنشأت رابطة أخوة لا نظير لها، فلا وجود لما يسمى بصراع الطبقات²، وكان الإسلام والوطن والعرق أشياء متداخلة، فقضايا العرق والدولة المركزية والأمة، لم تطرح آنذاك بالصيغة التي أصبحت تتداول بها في الوقت الراهن³.

والأمر الذي يجهله الكثير أن الجزائر عرفت ما يمكن أن نسميه أول دستور في الوطن العربي، قبل الثورة الفرنسية ب 41 عاما والمقصود وثيقة عهد الأمان التي صدرت في الجزائر بتاريخ 3 فيفري 1748 في عهد الباشا محمد بن بكير الذي اعتلى حكم الجزائر في 1748، وقد صدر عهد أمان الجزائر في عهد الباشا محمد بن بكير الذي اعتلى حكم الجزائر في 1748 بعد حكم الباشا إبراهيم بن محمد، وكان محمد بن بكير شاعرا محبا للخير، امتدحه الأجانب ومنهم المؤرخ «هامير» Hammer : وقد تكوّن عهد أمان الجزائر 1748 من مقدمة، ومجموعة أحكام، تنظم أعمال المؤسسة العسكرية، وخاتمة فيها ذكر تفاصيل بروتوكول انتقال هذا العهد، بين من يتولى حكم الجزائر، وتشير المقدمة إلى وجوب الاهتداء بأحكام الشريعة الإسلامية الغراء، باعتبار أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة الجزائرية، وأن الداوي والسكان مسلمون، وعلى الأغا قائد الجيش أن يلتزم بتطبيق أحكام العهد بصرامة وعدل، ولا يميز في ذلك أحد، وحتى الخارجين عن ملة الإسلام، وقصد بذلك أهل الذمة، كما وردت التوصية باحترام مرتبة ووظيفة كل واحد من المؤسسة العسكرية، وعدم تدخل أي طرف في صلاحيات الآخر، كما تم تفصيل عقوبات المسؤولين، ومراسيم تنصيب حكام الجزائر، ولم يكتب لهذه التجربة النجاح نظرا لتأخر الدولة في كثير من مجالات التمدن، خاصة التعليم، الطباعة، والصحافة، والمجالس العامة والتمثيل النيابي⁴. إلا أن التخلف لم يكن حادا فلم تكن الجزائر معزولة، وكثيرا ما كانت علامات التعجب والثناء على الجزائر دولة ومجتمعا من قبل الكتاب الأوروبيين، وفي هذا الجانب وعن نبل الشعب الجزائري وتحضره كشعب وكدولة، يقول سفير أمريكا في الجزائر وليام شالر W. Shaler (1824-1816)، حين يتكلم عن مشاكل العبودية فيقول: إنها ليست مشكلة الجزائر فقط

¹ - شاهر إسماعيل الشاهر: دراسات في الدولة والسلطة والمواطنة، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ط1، برلين - ألمانيا، 2017، ص4.

² - محمد العربي ولد خليفة: الاحتلال الاستيطاني، مقارنة للتاريخ الاجتماعي والثقافي، منشورات دار تالة، الجزائر، 2013، ص49.

³ - حربي: الثورة، مرجع سابق، ص101، 102.

⁴ - ينظر: سيد أحمد بن نعماني: «الأرشيف العثماني المحفوظ في الجزائر وثيقة عهد أمان الجزائر 1748-أمونجا-». مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، المجلد 10، العدد الأول، جامعة الجزائر 1، بن يوسف بن خدة الجزائر، سبتمبر، 2018.

إذ أنها خاضعة لنظام كوني (دولي) عام، وأن الأسيرات الأوروبيات كن دائما يعاملن بالاحترام الذي يفرضه جنسهن، وأن الأشغال التي كان يطلب إلى الرجال تأديتها؛ لم تكن مفرطة المشقة، ومنهم من كسب ثروات طائلة، وكان العبيد الملحقين بالخدمة يعاملون بغاية اللطف.¹ وحول علاقات الجزائريين بمحيطهم فإن نخبة الجزائر من الحضر في العهد العثماني لم يكونوا في عزلة عما يجري حولهم، وكانوا يتابعون ما يجري في أوروبا ومطلعون على تيارات الفكر المعاصر ونذكر منهم المفتي بن العنابي، وأحمد بوضربة، والسياسي الكبير حمدان بن عثمان خوجة،² كما كان للأمير عبدالقادر فرصة الاطلاع مع حلة الحج، وعندما تولى الإمارة جسد فكرة القومية الجزائرية على أرض الواقع، فقد عمل على استقلالية القرار الجزائري من أية وصاية³.

بداية القرن التاسع عشر زالت هالة الرهبة عن الجزائر، بعدما تلاشت قوتها البحرية شيئا فشيئا، ونفس الشيء بالنسبة للدولة العثمانية، التي أصبح أمر القضاء عليهما مسألة وقت، وفي ذلك يقول رئيس الوزراء الفرنسي فرانسوا جيزو F. Guizot 1847-1848: «إن الغرب كان حريصا أن يفتت أجزاء الإمبراطورية العثمانية، وفي نفس الوقت يستبقها في حالة احتضار دون أن يجهز عليها، لتبقى سيطرتها على البلاد العربية، عقبة أمام تحرر تلك البلاد، وحاثلا دون نهضتها».⁴

وللتذكير فقد أصبحت الجزائر رسميا في حمي الدولة العثمانية منذ سنة 1518، وتقبلت الرابطة العثمانية الجزائرية من قبل الجزائريين كرابطة للأخوة الإسلامية، وهنا يذكر أحد المستشرقين الفرنسيين وهو فانثور دو باراداي Venture de Paradis: أن عدد الأتراك في الجزائر بعد 1798م، لم يتجاوز 7000 أو 8000 فرد.⁵ فإذا كانت هناك اختلافات لها صلة بالوضع الاجتماعي، فإنه لم تكن هناك اختلافات ثقافية مادام يجمعهم الإسلام، واللغة العربية هي الرسمية، وكانت الأكثرية متفقة مع الأقلية للروابط الدينية والثقافية، ومتفقين على أمن وسلامة البلاد.⁶

فإن قال قائل أن خير الدين بربروس كان تركيًّا، ونتج عن ذلك احتلال تركي، إذن ماذا نقول عن أسرة آل البوربون Bourbon من أصل جرمانى (ألمان) التي كانت تحكم فرنسا، هل نسميه احتلال ألماني لفرنسا، بل ماذا نقول عن الزعيم التاريخي لفرنسا نابليون بونابرت N. Bonaparte، والذي كان كورسيكيا أصله من إيطاليا، وماذا عن برنادوت Bernadotte ملك السويد الذي كان فرنسي الأصل، هل نسميه احتلالا فرنسيا

¹ - وليام شالر: مذكرات وليام شالر (قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824)، تر. تع. نق إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص100.

² - مصطفى الأشرف: الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص48.

³ - محمد قنانش: أفاق مغربية، المسيرة الوطنية وأحداث 8 ماي 1945، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009، ص 38.

⁴ - يحي مراد: ردود على شبهات المستشرقين، دار النشر العربية E-Kutub (ناشر إلكتروني)، 2006، ص118.

⁵ - ساحلي: مرجع سابق، ص 101 .

⁶ - نفسه: ص101.

لدولة السويد.¹ إن أحسن مثال يشبه حالة الجزائر مع الدولة العثمانية، هي حالة ارتباط الكثير من الدول في الوقت الحاضر بالتاج البريطاني مع احتفاظها باستقلال شبه تام، مثل كندا وأستراليا.

بالنسبة للعلاقات الفرنسية الجزائرية فإنه طوال العصر الحديث، كانت فرنسا مستفيدة من العلاقات مع دولة الجزائر، رغم ذلك لم يظهر الفرنسيون صدق النوايا تجاه الجزائر، رغم أن الجزائر كانت سباقة لمد يد العون ساعة اشتداد الخناق على حكومة باريس، أكثر من مرة ونذكر منها مساهمة الأسطول الجزائري في تحرير نيس وطولون من الاحتلال الإسباني، في القرن 16، ومساهمة الجزائر في فك الحصار الاقتصادي الذي ضربته الدول الملكية الأوروبية، نهاية القرن 18 على حكومة الثورة الفرنسية، حين أمدت الجزائر فرنسا المحاصرة، بشحنات القمح خلال سنوات الثورة الفرنسية، وهذا ما اعترفت به وكتبت عنه جريدة لومونيتور Le moniteur، ففي مقال لها بتاريخ جوان 1793، جاء فيه ما يلي: «بينما تتحالف أوروبا ضد فرنسا الحرة، اعترفت قوة إفريقية أكثر صدقا ووفاء بالجمهورية، وأظهرت لها صداقة».²

ولتجاوز وتغطية ذنبهم المرتكب في حق دولة ذات سيادة، وتبرير فعلهم الشنيع، دأب الفرنسيون على نفي وجود دولة ونظام في الجزائر قبل 1830، وهذا ما ينقله المؤرخ أبو القاسم سعد الله عن أحد كتّابهم الذي يتكلم عن الجزائر فيقول: «أما المغرب الأوسط... فقد كان بدون حكومة.. اشتدت عليه أطماع إسبانيا، تحكم فيها جماعة من البحارة العثمانيين»³ وهو قول يحاول تجاوز حقائق التاريخ، والدليل سعي الدول الأوروبية في العصر الحديث لإقامة علاقات دبلوماسية مع دولة الجزائر، ففرنسا وحدها وقعت مع الجزائر 58 اتفاقا ومعاهدة، فيما بين 1619 و1830، وتولى رعاية مصالح فرنسا خلالها بالجزائر 60 قنصلا ونائب قنصل، وتردد على الجزائر 96 محافظا ومبعوثا،⁴ ومن البديهي أن الاتفاق والمعاهدة ووجود القنصل في الأعراف الدبلوماسية، لا يكون إلا مع دولة مكتملة الأركان،⁵ وكما يقول فرحات عباس: كفانا برهانا لتأييد نظريتنا ذلك النزاع الذي قام بين الجزائر والمغرب حين عبر الأمير عبد القادر الحدود بينه وبين المغرب سنة 1844، منالبيديهي أن لا تخرق حدود لا وجود لها.⁶

...

¹ - ينظر: مولود قاسم نايت بلقاسم: أصالية أم انفصالية، ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991، ص 213.

² - محمود محمد باشا: نريعة المروحة 1827 أو الاستيلاء على إيالة الجزائر، تر: عزيز نعمان، دار الأمل للطباعة والنشر، نيزي وزو، 2010، ص 40. بتصرف

³ - جون ب. وولف: الجزائر وأوروبا (1500-1830)، تر وتبع: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 23، 24.

⁴ - يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 55.

⁵ - جمال قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للطباعة الجزائر، ص 43.

⁶ - فرحات عباس: ليل الاستعمار، تر: ابو بكر بن رحال، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2005، ص 34.

المبحث الثالث: مشروع التوسع الفرنسي الجذور والتنفيذ

1- الاهتمام الفرنسي بشمال إفريقيا

قبل الاحتلال الفرنسي أنهكت الجزائر بالثورات والكوارث الطبيعية والأوبئة بين 1790-1823، فقد شهدت الإيالة أواخر العهد العثماني وخاصة في الثلاثين سنة الأخيرة، إكراهات ومخاطر طبيعية شديدة، فكل سنة منها كادت لا تخلو من هذه الظواهر، فقد تم تسجيل 45 كارثة (13 لغزوات الجراد و12 للطاعون والمجاعات وسبعة للزلازل وثلاث أعاصير ودورتين للفيضانات).¹ إضافة للاضطرابات السياسية إذ اغتيل ست دايات من مجموع ثمانية بين 1798-1830، كما أن الانتفاضات الداخلية زادت حدتها وتكاثرت مع نهاية ق18. في أغلب جهات البلاد. مما أرق النظام الحربي للجزائر. وأهمها ثورة جرجرة 1804- 1810- 1823، وثورة ابن الأحرش في الشمال القسنطيني 1804، وثورة درقاوة في الغرب الجزائري ما بين سنتي 1805 و1816، والثورة التيجانية عام 1816، وثورة النمامشة والأوراس 1818-1823، أي أن الجبهة الداخلية كانت مفككة.² كما تضررت سمعة الجزائر العسكرية خارجيا بسبب الصعود المفاجئ لكل من بريطانيا والولايات المتحدة. وتجسيدا لأطماعها في الجزائر في عهد نابليون بونابرت N. Bonaparte -الذي كان ينوي إنشاء مشروع «جبل طارق» فرنسي في الجزائر-، قررت فرنسا زيادة الاهتمام بالجزائر،* ويذهب المؤرخ محمد الشريف ساحلي إلى رأي مفاده؛ أن الغزو الفرنسي سببه الحاسم هو محاولة الداوي حسين تصحيح وضع بعد تسبب دام قرونا، منذ بداية امتياز صيد المرجان الممنوح للفرنسيين، في عملية ضرورية وإن كانت متأخرة، إلا أنها لا مناص منها، وتمثل ذلك فيما أقدمت عليه الجزائر، عبر المرسوم الذي تضمنه المنشور «الدايلكي» لسنة 1826 والقاضي بإنهاء الامتيازات الممنوحة للأجانب؛ والتي كانت تمس سيادة البلاد.³ وكانت من أهم الأخطار على سيادة البلاد، تمكن اليهود من احتكار التجارة الخارجية للجزائر، نهاية القرن 18، خاصة عائلة بكري وعائلة بوشناق والتي انتهت إلى توريث الجزائر، ليتأزم الموقف مع فرنسا؛ والذي نتج الغزو والاحتلال.⁴

¹ - حفيان رشيد: الكوارث الطبيعية وآثارها في الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2021، صص 90-98.

² - حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 22.

* - حادثة المروحة كانت ذريعة مصطنعة، لتنفيذ مشروع فرنسي قديم للتوسع بشمال إفريقيا، ففي الوقت الذي كانت فيه الجزائر تعمل لفك الحصار القاري عن فرنسا، وإمداد حكومة الثورة بشحنات القمح، كان سفير فرنسا في الجزائر يقوم بإعداد دراسة ميدانية ومخطط لمشروع غزو الجزائر تكررت مع سفراء آخرين، فبلغت 20 مخططا فرنسيا. **ينظر: بنور فريد: المخططات الفرنسية تجاه الجزائر 1782-1830م**، مؤسسة كوسكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008. كما تم ارسال الضابط بوتان boutin للجزائر سنة 1808 الذي أعد تقريره بعنوان: «إطلاع عام عن المدن والموانئ والمدفيعات بمدينة الجزائر، سيخدم مشروع النزول والاستقرار بهذا البلد»، **ينظر: عبد الحميد بن أشنهو: الدولة الجزائرية في 1830مؤسساتها في عهد الأمير عبد القادر**، تر: لعراجي نور الدين، موفم للنشر، الجزائر، 2013، ص 41. وأيضا: مسعودي أحمد: الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف الدولية منها 1792-1830، دارالخليل العلمية، الجلفة. الجزائر، 2013، ص 37.

³ - ينظر: ساحلي، مرجع سابق، صص 104-112.

⁴ - ينظر: سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص 391.

وبذلك كانت أهم الثغرات الاستراتيجية للعهد العثماني، هي تمكين اليهود من رهن مستقبل الجزائر، عبر منحهم امتيازات حساسة، فمع نهاية القرن 18، اتخذ الدايات قرارات كانت لها نتائج وخيمة، حين تم منح عطائين لعائلتين يهوديتين، هما عائلتي بكري وبوشناق، حيث كان العطاء الأول سنة 1794، حين تم منح احتكار شراء القمح وتصديره، لصالح عائلتي آل بكري وأل بوشناق، فحصلوا على أرباح طائلة تقدر بالملايين، بفضل تموينهم للجيش الفرنسي، والقوات الانكليزية المرابطة في جبل طارق، أما العطاء الثاني، حين تم منح نفس التجار، «الكراستا» التي هجرتها عائلة المقراني، والتي كانت تتكلف بتزويد منشآت بناء السفن بالعاصمة بالخشب، من غابات الشرق الجزائري، بل وتضمن الامتياز، احتكار التجار اليهود للتجارة مع السكان في المنطقة الممتدة من بجاية إلى القالة، هذا الامتياز كان يهم التجار اليهود أكثر من الكراستا، وزاد جشع اليهود الذين رفضوا الاكتفاء ب20 بالمائة من هامش الربح، الذي كان معمولا به منذ 1702، وللتحايل قاموا بخفض الأجر المدفوع للمشتغلين في الغابات، والذين بدورهم احتجوا ورفضوا التسليم، ليبقى الخشب مكدسا في الشواطئ، نتج عن هذه الوضعية أن حرمت البحرية الجزائرية من تجديد قطعاتها البحرية، حتى أنه لم يتعد قوام الأسطول الجزائري ثلاثين سفينة سنة 1816. وقبل الغزو فلم يذكر للأسطول الجزائري وجود، وبذلك أزيلت عن للجزائر هالة الرهبة، وحلت الكارثة عندما تم القضاء على الأسطول العثماني في معركة نافرين * 1827.¹

وقبل الغزو قامت فرنسا بالاحتياط من عبور أي مدد للجزائر، فقامت بالنفخ في العداء بين الجزائر وجيرانها تونس والمغرب، وأغرقت باي تونس بمنحه منطقة وهران، بينما ليبيا لم تستطع فرنسا التأثير على حكومتها، ثم أوعزت فرنسا لسفيرها بالجزائر "دوفال، بافتعال أزمة مع الجزائر فكانت حادثة المروحة، في 1827/04/29م ليضرب حصار بحري على الجزائر بداية من 1827/06/16.²

ولم يكن إضمار العداء للجزائر حكرا على الفرنسيين، إذ نجد السفير الأمريكي في الجزائر (1816-1824) وليام شالر William Shaler صديق رجال السياسة في الجزائر، يقترح في كتابه المطبوع في بوسطن سنة 1826؛ خطة لاستعمار الجزائر، لا تختلف عن توصيات الجاسوس بوتان، وقد ترجم كتابه إلى الفرنسية من قبل المترجم الرسمي للملك شارل العاشر قبيل الغزو.³

* - معركة نافرين Navarin 20 أكتوبر 1827. تقع نافرين غرب جزيرة المورة جنوب اليونان، وقعت فيها معركة بحرية بين الأسطول الاسلامي العثماني المصري والأسطول المسيحي الفرنسي البريطاني الروسي، وكان هجوم الأسطول المسيحي بدون إعلان حرب ولا سابق إنذار ولم ترفع أعلام الحرب، انتهى إلى إغراق 57 سفينة و8 آلاف بحار شهيد. وكان الأسطول الاسلامي أغلب قطعه من الأسطول المصري والذي كان يوجهه الكثير من الضباط الفرنسيين الذين تواطؤوا مع الأسطول المسيحي. للمزيد - ينظر: يلماز أروتونا: تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سليمان، ج2، ط1، مؤسسة فيصل للتعميل، إستانبول، 1988، ص10. ينظر أيضا: نصر الدين سيعيدوني: وريقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص ص 310-320.

¹ - ساحلي: مرجع سابق، ص ص 108-112.

² - إسماعيل أحمد ياغي: العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض، السعودية، 1997، ص ص 254-257.

³ - ينظر: مذكرات وليام شالر، مرجع سابق، تعليق المترجم.

2- الدبلوماسية العثمانية والمسألة الجزائرية

تعرف الدبلوماسية على أنها علم وفن المفاوضات، تديرها الأجهزة التي تتولى تصريف الشؤون الخارجية،¹ وكانت البندقية أول دولة أنشأت نظام لتعيين سفراء دائمين.² والدارس لعلاقات فرنسا بالجزائر يلاحظ رغم وجود 70 معاهدة بينهما، فإنه يندر أن تجد ثباتا فرنسيا على العهود.³ وقبيل الغزو استثمرت فرنسا الظروف الإقليمية والدولية لتشيويه صورة الجزائر، وهذا الحقد والخوف من الجزائر له ما يبرره، لوجود تراكم للهزائم في الذاكرة الأوروبية، حيث يحصي يحي بوعزيز 22 حملة عسكرية أوروبية كبرى على الجزائر؛ كلها منيت بالفشل.⁴ وقد تجنبت الدولة العثمانية المواجهة العسكرية لاسترجاع الجزائر، بسبب خروجها آنذاك من هزائم متتالية أمام روسيا، واليونان، لذلك قرر العثمانيون تفعيل التواصل الدبلوماسي* لإتقاذ الجزائر.⁵ فسافر المفتي خليل أفندي في 1829 لمهمة وساطة، لكن الداوي حسين رفض الاعتذار لفرنسا، لأن كرامته أبت عليه، واعتبرها إهانة ثانية له؛ بعد إهانة تناول السفير دوفال. ثم هيأت الدولة العثمانية بعثة جديدة بقيادة طاهر باشا، لكن منع من دخول الجزائر لمقابلة الداوي من قبل الأسطول الفرنسي المحاصر للجزائر فتوجه إلى فرنسا،⁶ علما أن هذه البعثة وضعت لها العراقيل قبل انطلاقها حين تم التماطل في منحها تصريح من قبل السفارة الفرنسية في إسطنبول لريح الوقت.⁷ ورغم أن الحملة انطلقت للجزائر فقد تم تجميد نشاط السفير طاهر باشا في ميناء طولون الفرنسي بضعة أسابيع، تحت طائلة الحجر الصحي، ثم رفض استقباله، بحجة أنه لا يحمل اعتمادات كافية للتباحث معه.⁸ وقد اهتمت الدولة العثمانية باسترجاع الجزائر وطرقت كل الأبواب، وتواصلت مع الأمير عبد القادر عبر بريطانيا.⁹ كما تواصلت الدولة العثمانية مع أحمد باي وشجعتة حيث أوفدت عبر تونس إلى قسنطينة بعثة قادها الأميرالاي كامل باي سنة 1836.¹⁰

¹ - ينظر: أحمد سعيان: قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2004، ص 173.

² - ينظر: حسين محمد نصار وآخرون: الموسوعة العربية الميسرة، مج3، ط3، المكتبة العصرية. بيروت، 2009.

³ - مولود قاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، ج1، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص14.

⁴ - يحي بوعزيز: علاقات الجزائر الخارجية مع ممالك أوروبا 1500-1830م، البصائر للنشر الجزائر، 2009، ص17، 18.

* - ونتيجة لمشكل الجزائر قامت الدولة العثمانية بإنشاء وزارة الشؤون الخارجية وسفارات دائمة في الدول الأوروبية. وقبل ذلك كانت ترى نفسها أرفع مقاما من أي دولة أوروبية، وكانت الدبلوماسية العثمانية فقط لتحقيق غاية محددة. ينظر، دونالد كواترت : الدولة العثمانية 1700-1922، تر: أيمن الأرمنازي، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، 2004، ص ص151-157.

⁵ - عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص19.

⁶ - أرجمنت كوران: السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، تر: عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، 1970، ص45.

⁷ - عزيز سامح ألتر: العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمد علي عامر، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، 1989، ص 643.

⁸ - ينظر: جمال قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994، ص80.

⁹ - عبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي تونس، الجزائر، ليبيا دار التونسية للنشر، ط1، تونس، 1972، ص202.

¹⁰ - ينظر: خير الدين سعدي: «قراءة في المهمة السرية للأميرالاي كامل باي إلى قسنطينة 1836»، مجلة عصور الجديدة، المجلد 11 العدد 2، جامعة وهران 1- أحمد بن بلة. 2021. أيضا: خير الدين سعدي: ترجمة ودراسة لأربع رسائل باللغة العثمانية بشأن الحصار الفرنسي للسواحل الجزائرية سنة 1827، مجلة أسطور للدراسات التاريخية، العدد 15 جانفي، 2022، قطر.

3- الجزائر غداة دخول الاستعمار الفرنسي

كجزء من محيطها الشرقي، كانت الجزائر ضمن حالة من الضعف العام الذي يعاني منه العالم الإسلامي، لذلك كان نجاح الغزو الفرنسي للجزائر، كنتيجة طبيعية لاختلال التوازن، فقد شهدت أوروبا قفزة حضارية شاملة؛ ويفضلها مالت الكفة في تقرير السياسة الدولية لصالح أوروبا واستفحلت الروح التآمرية لدول أوروبا على البلاد الإسلامية مع مرحلة التسلط الاستعماري على المنطقة. والتي أسفرت عن روح صليبية* فقبيل غزو الجزائر عمم الأمير الفرنسي بولينياك Polignac. إرسالاً إلى الممثلات الفرنسية في أوروبا المسيحية، تهدف إلى إيصال التفسيرات حول غزو الجزائر، جاء فيها «إن الملك لم يعد يقصر خطه على الحصول على تعويض عن مظالم فرنسا الخاصة، وقد قرر أن تكون لصالح العالم المسيحي».¹

عند توقيع معاهدة 5 جويلية 1830 القاضية بتسليم مدينة الجزائر لم يكن مضمونها فيما بعد يعني شيئاً بالنسبة للفرنسيين، وهذا ما اعترف به أحد قيادات الحملة الفرنسية على الجزائر، حيث جاء على لسان الجنرال كلوزيل B. Clauzel في رده على سؤال وجهه إليه حمدان بن عثمان خوجة عن الضمانات المقدمة باسم فرنسا وملكها، والتي ضربت بعرض الحائط، فرد كلوزيل: «بأنها مجرد حيلة عسكرية» أي خديعة حرب.² والأمر من معدنه غير مستغرب فهويدين الاستعمار الأوربي مع الآخر وليس وليد اللحظة، وهو ما يذكرنا بالمعاهدة المشؤومة بين سكان غرناطة والملكين الكاثوليكين الإسبانين، والتي خلدها الشاعر الاندلسي في قصيدة طويلة بعثت كرسالة استغاثة باسم أهل الأندلس المسلمين؛ إلى السلطان العثماني بايزيد الثاني بداية القرن 16، تتكلم الرسالة عن غدر الملك الإسباني فريداند بعهدده، بعد أن وافق على شروط المسلمين عند تسلمه مدينة غرناطة، نذكر منها:

ونبقى على آذاننا وصلاتنا ولا نترك شيئاً من أمر الشريعة.
فقال لنا سلطانهم وكبيرهم لكم ما شرطتم كاملاً بالزيادة
فلما دخلنا تحت عقد ذمامهم بدا غدرهم فينا بنقض العزيمة.³

دخل الفرنسيون الجزائر العاصمة فكان أن دشنوا عهدهم بتكرهم لكل العهود والوعود، فقيادة الحملة

*- الشيء من معدنه لا يستغرب، وللتذكير بموقع فرنسا في الحروب الصليبية: ✓- أن البابا أوربان الثاني Urbain II اختار مدينة كليرمون Clermont الفرنسية ليعقد فيها المجلس الخاص بإعلان الحروب الصليبية. ✓- أن قائد الحملة الروحي كان أسقف مدينة LePuy الفرنسية. ✓- أن الحملة الصليبية الشعبية انطلقت من فرنسا والتي قادها راهب مدينة أميان بطرس الناسك، والقائد والتر المفلس وهو من بواسي pwasi الفرنسية. - أن الحملة الصليبية الأولى كان قوامها خمسة جيوش كانت منها أربعة جيوش فرنسية- ينظر: - راغب السرجاني: الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين زنكي، مؤسسة إقرأ، ط2، القاهرة، 2009، ص ص 54- 75 .

¹ -Camille Rousset : la conquête de l'Algérie, 1841-1857, imprimeurs-éditeur, Paris, 1879, p82.

²- عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق، مرجع سابق، ص 19 -أيضاً: سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص 21. أيضاً: محمد العربي

الزيري: مذكرات أحمد باي وحمدان بن عثمان خوجة وبوضربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 167. 168.

³-جمال قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، ط2، دارهومة، الجزائر، 2007، ص، 45.

الفرنسية على الجزائر، كانوا بعقلية اللصوص في لباس جنرالات، همهم البحث عن أسطورة خزينة الجزائر.¹ منذ القدم رفض سكان المغرب العربي كل رابطة تقربهم بالرومان والبيزنطيين، حين تمسح بعضهم لما كانت روما وثنية، وخالفوا مذهبها لما تمسحت روما، لذا كان نفورهم دوماً من دين الدولة المستعمرة، في جميع مراحل حياتهم وتجاربه التاريخية.² وقد جُبل الشعب الجزائري منذ القدم، على الاحتكام إلى مرجعية، سواء العرقية تحت الإيديولوجية السلالية الأبوية، أو المتقاطعة مع العنصر الديني أحياناً،³ وهذا ما يلاحظ في الاصطاف الثوري ضد الوجود الأجنبي، فالمجتمع والجماعة في الجزائر ظل يضبطان سلوكهما وتكيفاتهما، في إطار الاحتكام إلى المرجعية العرقية والدينية، وكشفت وقائع تاريخية قديمة وحديثة أن روح القتال لم تفارق الجزائريين، وإن رسوخ هذه الروح القتالية تكاد تكون سجية فيهم.⁴ يقول فرانسيس جونسون F.Jeanson «عندما يقاثل شعب بأكمله من أجل حياته، لا يمكن التحكم في نتائج المعركة، لأنه لم يعد لعبة يمكنك تحديد قواعدها».⁵ وهو ما يبينه عدد المحكوم عليهم في الجزائر من الثوار بين 1905 و1907 فمن العمالات الثلاث نجد بعمالة الجزائر 12407 وبوهران 12298 وبقسنطينة 26824 شخص.⁶ لم يتوقف العمل الثوري في الجزائر، ولم ينعم الفرنسيون بفترة هدوء طويلة، واستمرت الثورات في الجزائر لغاية بداية القرن 20 منها ثورات عين التركي 1902 - عين بسام 1906 - وثورة الطوارق 1908، 1923 / الأوراس 1917، وبذلك ضرب الثوار المثل في عدم الاستكانة، فكانوا أبطال المواصلة التاريخية، وبقوا رافضين لشرعية الدولة الاستعمارية، ولم يتوقف هنا تأثيرهم، إذ بقيت الأشعار تخلد بطولاتهم.⁷

1- تشير رسالة التي ظلت طي الكتمان إلى وقت قريب، والتي أرسلها سفير بريطانيا بالجزائر آنذاك السيد سان جون San Jon إلى حكومة بلاده، بتاريخ 04 أوت 1830م، بأنه قد تم إرغام الخزنجي على توقيع وثيقة رسمية، مفادها أن الخزينة الجزائرية تحوي على 50 مليون قطعة ذهبية فقط، في حين كان الجميع يعلم أن قيمة ما هو موجود في الخزينة كان 750 مليون فرنك، ويذكر في الرسالة مامفاده: تزوير قيادات الحملة الفرنسية لمستندات الخزينة الجزائرية بعد إتلافها، وهو أمر غير مستغرب لأن من أهم الأهداف الأولية للحملة كانت أسطورة كنوز الداوي. - ينظر: - بيار بيان: سطو على مدينة الجزائر، تحقيق في عملية نهب 1830، دار الشهاب، الجزائر، 2013، ص ص 154- 287. - وعن محتويات خزينة الجزائر التي نهب، يذكر نصر الدين سعيدوني أن تقديرات الخزينة بالعملة الذهبية حسب احتمالات بعض المؤرخين المعاصرين لفترة ما قبل الاحتلال كمايلي: المؤرخ ميرل (1817) قدرها ب 68 مليون، المؤرخ شارل (1822) قدرها 130 مليون. - ينظر: نصر الدين سعيدوني: «الخزينة الجزائرية»، المجلة التاريخية المغربية العدد 3، 1975، ص 27.

² - علال الفاسي: الحركات الاستقلالية، ط6، مؤسسة علال الفاسي، الدار البيضاء، المغرب، 2003، مقدمة الكتاب.

³ - عبد السلام فيلاي: الجزائر الدولة والمجتمع، دار الوسام العربي، ط1، عنابة، 2013، ص 66.

⁴ - سليمان عشراي: الشخصية الجزائرية والأرضية التاريخية والمحددات الحضارية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص 35، 269.

⁵ - Francis Jeanson: Notre guerre, ministère de la Culture, algerie, 2008 , p 30 .

⁶ - مناصرة: دراسات وأبحاث، مرجع سابق، ص ص 66-70.

⁷ - ينظر: عبد القادر جغلون: علم الاجتماع التاريخي والثقافي المتعلق بالحركة الوطنية والثورة، ج2، ذاكرة الناس، الجزائر، 2013، ص ص 846-849.

4- رموز وطنية تولدت الدفاع عن هوية الجزائر في مواجهة المشروع الاستعماري

بعد سقوط حكم الداوي حسين في الجزائر، أصبح الاحتلال أمرا واقعا، لكن الفرنسيين لم يجدوا الجزائر لقمة سائغة، إذ جوبهوا بمقاومة عسكرية وسياسية، مثلت إبراءً للذمة أمام التاريخ. وقد اخترنا نموذجين بذلا جهدا كبيرا للدفاع عن الجزائر. وهما: السياسي المثقف حمدان بن عثمان خوجة، والأمير عبد القادر.

أ- جهود حمدان بن عثمان خوجة للدفاع عن هوية الجزائر

لعب حمدان بن عثمان خوجة* دورا مهما ومشرفا، في الدفاع عن القضية الجزائرية، داخليا مع نخبة من الأعيان بعد الفراغ السياسي الذي تركه رحيل الداوي حسين، وخارجيا بعد نفيه من الجزائر، حيث واصل مساعيه الخارجية في فرنسا واسطنبول للدفاع عن قضية الجزائر، ويرى المؤرخ أبو القاسم سعد الله، أن خوجة من الناحية الموضوعية والتاريخية، ليس رائدا للوطنية الجزائرية فحسب، ولكن رائدا لفكرة الجامعة الإسلامية والقومية العربية، بالإضافة لذلك، فهو رائد في العالمين العربي والإسلامي لعصر التنوير، وكان حمدان خوجة مطلعاً على فكرة القومية في أوروبا، فذكر الفرنسيين بعد الغزو **بُهوية الكيان الجزائري**، قائلاً للفرنسيين أن الجزائر لها حق في الوجود، كأمة حرة مستقلة.¹ وجاء في كتابه المرأة «إن حاجزا لا يمكن اجتيازه قد أقيم في الجزائر بين الشعبين، اللذين لا يمكن أن يتكلما اللغة نفسها، ولا يعتنقان الدين نفسه، ولا يلبسا الثياب نفسها، ولا يمارسا طريقة الحياة نفسها، إن الجزائريين لا يستحقون أن يرمي بهم خارج المجموعة العالمية، إنهم جزء من العائلة الإنسانية».²

كان حمدان بن عثمان خوجة مثقفا ومطلعا على ما يدور في أوروبا، هو ما سهل له خوض غمار معركته من خلال مراسلاته واتصالاته مع الكثير من الجهات الرسمية، لشرح الواقع الجزائري، والدفاع عن محنة بلده في مواجهة الاحتلال، ولم يكتف حمدان خوجة بالعرائض والرسائل، بل شهر بمظالم فرنسا، فهو أول مغربي تجرأ وانتقد فرنسا، بحجج منطقية وقرائن ثابتة، متسائلا في كتابه المرأة: «لو كانت الجزائر مسيحية هل تسمح فرنسا لنفسها ان تتصرف بهذه الطريقة، وإلا كيف نفسر سلوكها حين أنجذت اليونانيين»، أي أن فرنسا جعلت من عامل الدين سببا في التفرقة العنصرية، واستغرب خوجة في كتابه المرأة إجراءات التمييز: «وإني أرى أنه لا ينبغي أن يكون الاختلاف في الدين سببا في سلب الحقوق».³ وقد غدر الفرنسيون بخوجة حين نفي

*- حمدان بن عثمان خوجة: كاتب سياسي من رواد الحركة الوطنية الجزائرية. ولد بمدينة الجزائر سنة 1773 وبها نشأ وتعلم. وفي سنة 1784م صحبه خاله في زيارة لأهم مدن البلقان وإسطنبول. وفي سنة 1820 زار فرنسا. وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر نظم الجزائريون بزعامة حمدان أول حزب وطني سياسي، عرف بلجنة المغاربة أو حزب المقاومة، غدر به الفرنسيون وبغيره من الأعيان حين تم طردهم من الجزائر انتهى به المطاف في إسطنبول. - ينظر: عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض، بيروت، 1980، ص 136. 137.

¹ - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص36، 34.

² - امحمد مالكي: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994، ص162.

³ - ينظر: حمدان بن عثمان خوجة: المرأة، تر وتحرر: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP الجزائر، 2005، ص273. 274. أيضا: احميدة عميروبي: دور حمدان بن عثمان خوجة في تطور القضية الجزائرية 1827-1840، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1987، ص144.

من الجزائر في إطار السياسة الفرنسية للقضاء على النخب المؤطرة للمجتمع في الجزائر، حيث ضايق الجنرال كلوزيل Clauzel والفرنسيون حمدان خوجة وأجبروه ليفر هاربا من باريس بعد أن أجبروه للخروج من الجزائر، وقال قولته الشهيرة «اللهم ظلم الترك ولا عدل الفرنسيين»¹، وطيلة حياته في الداخل والخارج، خاطر خوجة من أجل القضية الوطنية، ولم يترك بابا إلا طرقه، من خلال نشاطاته الداخلية ومراسلاته الخارجية.*

ب- الأمير عبد القادر والانتصار للهوية الوطنية

حين نتكلم عن الدولة الجزائرية في مرحلة الأمير عبد القادر، فإننا نتكلم عن محاولة رائدة في العالم العربي، ورغم أن تجربة مصر سابقة بالنسبة للعالم العربي في إنشاء دولة عصرية، إلا أن محمد علي في مصر لم يكن مصريا، بل هو من أصل ألباني، أما في الجزائر فكانت تجربة الأمير عبد القادر، هي أول تجربة وطنية فُطرية في العالم العربي، لدولة عصرية، ذات حكومة نابعة من الشعب، إذ استطاع الأمير عبد القادر؛ أن يبني دولة من فراغ، فأسس أول دولة عصرية عربية ذات طابع جزائري خاص، أقيمت على قاعدة شعبية، نالت بها شرعية وجودها، كما دعم الأمير هياكل دولته بتشكيل حكومة، ومجلس شورى من إحدى عشر عضوا، وقسم البلاد إلى ثماني مقاطعات، بدءًا بعاصمته في معسكر.²

وهنا يقول الدوق دورليان Duc D'orléans، الذي كان معاصرا للأمير وخصما له، إنه أي الأمير: «قد استبدل الإدارة التي كانت بيد المخزن، وقضى على الخلافات التي كانت تتشب بين القبائل، وأقام العدل واستطاع أن يجد حلا لمشكلة أعيت حلها الدول الحديثة، ونعني بذلك تحقيق التوازن بين الطبقات الغنية المحافظة على التقاليد من جهة، وبين الكفاءات البشرية التي برزت من الشعب فاخترتها للقيادة ومنحها ثقته»، وقد استطاع الأمير عبد القادر أن يبني دولة من فراغ، فأسس أول دولة عصرية ذات طابع جزائري خاص.³ وهذا الجنرال ديميشيل De Michel يقول عن الأمير أنه: «ممثل لشرعية وكان رمزا حقيقيا... في الجزائر»، وقد نال الأمير عبد القادر تقدير الكثير من ساسة أوروبا ونخبها، لصموده في الجزائر، وعلى مواقفه

¹ - سعد الله: الحركة الوطنية، ج1، ص115.

* - ونورد هنا أهم مراسلات حمدان بن عثمان خوجة للهيئات والزعماء من أجل القضية الجزائرية: إلى مقرر المحكمة العليا لدى مجلس الدولة الفرنسي في ماي 1933. - إلى وزير الخارجية الفرنسي جوان 1933. إلى اللجنة الإفريقية جويلية 1933. إلى الحكومة الفرنسية في أكتوبر 1933 إلى باي تونس جوان 1935. ثلاث رسائل إلى السفير العثماني بلندن سنة 1834، 1835، 1836 إلى رجال الساسة الانجليز 29 جوان 1933. ينظر: عميراي: دور خوجة: م سابق، ص79، 176. وإلى الحكومة الملك الفرنسية جويلية 1933. ينظر: أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط3، م الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص81، 82. إلى لجنة التحقيق الفرنسية 23 جانفي 1934، - إلى الملك الفرنسي 19 جوان 1935. إلى السلطان العثماني محمود الثاني 16 أوت 1933 إلى محمود بن أمين السكة وكيل الجزائر في تونس جوان 1834. ينظر: التميمي، بحوث ووثائق، مرجع س، ص138، ص 174. 181. 14. بايعازه عريضة كانت تحمل توقيع حوالي 2250 من أعيان بايلك الشرق، أرسلت للبرلمان الإنجليزي للتدخل والمساندة. - ينظر: قنان: قضايا ودراسات، م سابق، ص163.

² - فيلاي: مرجع سابق، ص121.

³ - الأشرف: مرجع سابق، ص59.

في الشام، فيقول السياسي الفرنسي أدولف تيير Adolphe Thier عن الأمير عبد القادر: «إن الأمير رمز للهوية العربية»¹.

وقد أسس الأمير عبد القادر الدولة الجزائرية المعاصرة، مكتسبا الشرعية من البيعة الخاصة والبيعة العامة، فمول الجهاد، واستكمل الأمير الأمر ببناء جيش عصري، وألف مجلس شورى وحكومة، وصك العملة، واتخذ ختم الدولة والعلم وقسم البلاد، وأرغم جيش الاحتلال على إمضاء معاهدتين معه، خلال سنتي 1834 و1837، والاعتراف له بالسيادة على كل الجزائر، عدا بعض الموانئ، فتجدد الشعب لنصرته، واكتسب الشرعية الداخلية والخارجية* وعاملته الدول باحترام.² ومن أجل إعطاء شرعية داخلية وخارجية لإعلان الجهاد ضد الاحتلال، سارع الأمير عبد القادر لبناء مؤسسات الدولة الجزائرية، ويمكن أن نلخص دوافع الأمير عبد القادر في تحمل المسؤولية التاريخية تلك فيما يلي:

- وقوع الجزائر العاصمة بيد الفرنسيين وانتشار الفوضى في المناطق الغربية.
- الحاجة إلى من يقود الجهاد ضد الغزاة الفرنسيين وملء الفراغ الذي تركه رحيل الأتراك.
- الغيرة الشديدة على الإسلام والوطن من العدوان والتدنيس.
- تخلي المغرب والدولة العثمانية عن الواجب الشرعي في نجدة الجزائر.
- أما استراتيجية الأمير عبد القادر على الصعيد السياسي فقد اتبع فيها الخطوات التالية :
- توحيد كافة الجزائريين تحت راية واحدة.
- إنشاء دولة عصرية قدر الإمكان؛ لسد الفراغ الناشئ عن استسلام حكومة الداوي.
- البحث عن حلفاء دوليين محتملين للدعم المادي والمعنوي (المغرب- الدولة العثمانية-إسبانيا-بريطانيا-الولايات المتحدة الأمريكية)، فعبر التواصل الخارجي كسب الأمير اعتراف الدول بهوية دولته، فقد عقد الأمير الاتفاقيات مع فرنسا، إضافة لمراسلاته مع الدول الأخرى.³

✍

¹ - عبد القادر بوطالب: الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية. دحلب. الجزائر، 2009، ص 93، 286 .

* - رغم ظروف الحرب فقد عمل الأمير عبد القادر على ربط علاقات خارجية لصالح القضية الجزائرية، ولإعطاء لمحة عن أهم نشاطاته واتصالاته تلك، يجدر بنا أن نذكر أهم رسائل الأمير عبد القادر لزعماء الدول من أجل القضية الجزائرية:

✓ - راسل الأمير عبد القادر الانجليز عبر قنصلهم بطنجة للتحالف. ✓ - رسالة رئيس الحكومة البريطانية في 21 سبتمبر 1835.

✓ - رسالة أخرى إلى رئيس الحكومة البريطانية ديسمبر 1841. ✓ - سبعة مراسلات عديدة بين الأمير وإسبانيا. ✓ -مراسلة الباب العالي 1840/10/24. ✓ - ديسمبر 1841 كلف الأمير عبد القادر ممثل إنجلترا بالجزائر بنقل أربع رسائل الى السلطات العثمانية.

✓ - راسل السلطان عبد المجيد والصدر الأعظم وحمدان بن عثمان خوجة في ديسمبر 1841. -ينظر: التميمي: بحوث...مرجع سابق، ص 199-229. ✓ - كما راسل الأمير الحكومة الأمريكية عبر قنصلهم في طنجة وطلب منهم تزويدهم بالسلاح. - ينظر يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الدار العربية للكتاب تونس. والشركة (SNED)، الجزائر، 1983، ص 176. 196.

² - وقائع المؤتمر الدولي: الدولة الجزائرية بين الأمير عبد القادر وأحمد باي، منشورات جامعة منتوري قسنطينة 2002، ص 80.

³ - بشير بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص73.

المبحث الرابع: الاستعمار واستهداف مقومات الحياة للجزائريين

1- الاستعمار وإفراغ الجزائر من نخبها

بما أن النخبة هي لسان الأمة وضميرها الحي، لذلك واستكمالا لإرادة فرض المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر، قرر الاحتلال الفرنسي استئصال نخب الجزائر، بالإبادة أو التهجير، فبعد الاحتلال مباشرة تم نفي علماء الجزائر ومتقفيها الواحد تلو الآخر، لإفراغ الجزائر من كل مرجعية دينية أو سياسية، وكان أول قامة علمية وثقافية فقدتها الجزائر، هو المفتي بن العنابي الذي طرده الماريشال كلوزيل Clauzeau سنة 1830، ليتوالى فيما بعد طرد العلماء من الجزائر، ومنهم السياسي حمدان بن عثمان خوجة الذي وجد نفسه مرغما على مغادرة وطنه بسبب إرهاب الدوق دوروفيقو De Rovigo، إضافة للشيخ مصطفى الكبابي الذي نفاه المارشال بوجو Bugeaud سنة 1843 بسبب رفضه لإدخال اللغة الفرنسية في المدارس القرآنية.¹ وينفي القادة والعلماء خسرت البلاد مراجعها السياسية والدينية أيما خسارة، ذلك أن البعض ممن مسهم النفي، كانوا من البيوتات العلمية العريقة، وأدت ظروف تهجيرهم إلى ضياع المكتبات، بسبب التلف أو بسبب اقتناصها من قبل الضباط المهتمين بالدراسات الاستشراقية، الذين كانوا يتصيدون كل المخطوطات.²

نتيجة للواقع المؤلم تزايدت هجرة الجزائريين للخارج، لتونس، والمغرب، ففي عام 1832 كان هناك في المغرب تجمعات من المهجرين من الجزائر في تطوان، ووجدة، وتازة، وفاس، وأيضا في المشرق العربي، وكانت أشهر الهجرات؛ الهجرة الجماعية مع الأمير عبد القادر والتي لحقت به، وهجرة تلمسان الكبيرة سنة 1911 نحو المشرق.³ كانت الهجرة هي الحل الأمثل لكثير ممن غادر الوطن فق حُرِمَ الجزائريون المسلمون من الحقوق المدنية والسياسية إبان العهد الاستعماري لدواعي أقل ما يقال عنها أنها عنصرية، رغم أن الجزائريين المسلمين كانوا يؤدون الواجبات وبالزيادة، مقارنة مع اليهود والأوروبيين بالجزائر.⁴ وطال الحرمان حتى أولئك الذين اختاروا التخندق مع الطرف الآخر، حيث جاء في كتاب الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي لمؤلفه الشريف بن حبيلس، حين يتساءل بلسان النخبة عن التفرقة التي مارستها الإدارة الاستعمارية في التوظيف بين المسلمين والأوروبيين فيقول: «لو كانت التفرقة تشمل فقط أبناء الأهالي، ممن حرصوا وارتقوا أدرج العلم، ثم حرموا الوظائف لهان الأمر، أما أن يحرم منها أولئك الذين قبلوا التجنيس، بسبب مولدهم، وهو سبب لا يجهر به، فهذا أمر لا من السياسة ولا من الكرم».⁵

¹ - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، مرجع سابق، ص20، 21.

² - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص ص 327-329.

³ - Ageron Charles-Robert : « Les migrations de musulmans algériens et l'exode de Tlemcen (1830-1911)» **Annales** / 22 année, N 5 , 1967

⁴ - Claude culott ; et Jean Robert Henry: **mouvement national Algerien textes 1912-1954** , préface de Ahmed Mahiou, éditions l'harmattan, Paris , 2000, p26.

⁵ - الشريف بن حبيلس: الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، تر: عبد الله حمادي، فيصل الاحمر، وسيلة بوسيس، مطبعة المسك، الجزائر، 2013، ص144.

لم تكن سياسة التمييز العنصري في الجزائر ظرفية، بل كانت متعمدة، ولم يتخلى عنها العنصر الأوروبي، ولم يقبل الطرف المسلم كشريك؛ بل نظر له كتابع ليس له حقوق، مما ساهم في زيادة التنافر بين الطائفتين، فوجود أقلية مسيطرة، وأغلبية مهورة، وكنوع من إثبات الذات، تزداد الرغبة لدى الأغلبية المضطهدة لإظهار سمات التمايز من خلال التشبث بهويتها المغايرة لهوية المضطهد (المستعمر).¹ خاصة في ظل قانون الأهالي دُعم بالقوانين الجزرية من قبل الإدارة الاستعمارية، إلى غاية 1944،² وفي مقال له علاقة، كتب عمر بن قنور الجزائري في جريدة الهلال، العدد التاسع-11- جانفي-1907 جاء فيه: «لو لم يتم منع تجارة الرقيق، لوقع اليوم ما لم يقع بالأمس، فبعد أن كنا نسمع بسوق الجمعة محل بيع الرقيق، فإننا نرى الآن استعباد الشعوب، وإن كانت رحمة شملت الاستعباد القديم، فإن تعسفها أحاط بالحرية الجديدة».³

مبكرا تنبعت النخب الوطنية الجزائرية المثقفة لأهداف المشروع الاستعماري الفرنسي، وحذر البعض من العواقب، فهذا حمدان خوجة يؤكد بأن الجزائر لا تسترد إلا القوة فيقول: «ما أرى الرأي لا يمكن ردها للإسلام إلا جبرا»، ويحذر خوجة في التراخي وعدم الحزم في مواجهة الاستعمار في أيامه الأولى، فيقول «بل مثلهم مثل من عجز عن قلع شجرة فأخرها إلى عام آخر فإنها تزداد استحكما ويزداد هو ضعفا وكبرا».⁴

كانت النخبة الجزائرية المشتتة تتألم من الغربة ويراودها الحنين، رغم ذلك يبقى الأمل لا ينقطع، ويعبر محفوظ السماتي عن الوضع بلسان النخبة فيقول «لقد تألم المجتمع كثيرا من الصراع الذي أحدثه الاستعمار، لقد غادرت نخبته، والاقتراب من الوطن يزيد في ألم المنتظر،.. وهو يأمل... أن هذا النهار قريب»⁵، ونفس الإحباط يعبر عنه فرحات عباس من السياسة الاستعمارية مستشهدا بقول أحد المستعمرين الذي يقول: «لا يهم فرنسا أن تخرق المقاييس الأخلاقية... الذي يهنا تأسيس مستعمرة بصفة نهائية، وأقصر الطرق هو نشر الرعب بالحديد والنار... ونضرم نار الفتنة بين قبائل النل والصحراء، وأن نبلوا السكان بالكحول، والفساد، والفوضى»، فيقول فرحات عباس: «إن الإنسان يرتاب في صحة تاريخ فرنسا وحقيقة يوم 1789، وإعلانها لحقوق الإنسان»⁶ ويخلص إلى نتيجة طالما وقف ضدها فيصرح إلى جريدة ليكسبريس L'Express الباريسية في 18 جويلية 1956 قوله: «لقد كنت غرا ساذجا؛ عندما كنت أؤمن بالعمل السلمي؛ ومعارضة العنف، وكان أصدقائي على صواب حين اتهموني بالساذجة».⁷

¹ - ولد خليفة: المسألة الثقافية، مرجع سابق، ص 113.

² - André Nouschi: **la naissance du nationalisme Algérien**, les Edition de minuit, Paris, 1962, p56-

³ - جمال قنان: نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 277.

⁴ - التميمي، بحوث ووثائق، مرجع سابق، ص 175.

⁵ - محفوظ سماتي: الشبان الجزائريون- الجزائر الفتاة مراسلات وتقارير، تر: محمد المعراجي وعمر المعراجي، 1837-1918، منشورات دار ثالة، الجزائر، 2013، صفحة الغلاف.

⁶ - فرحات عباس: ليل الاستعمار، مرجع سابق، ص 34-44.

⁷ - عبد الله شريط: الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية، ج 2، وزارة المجاهدين، 1995، ص 4.

2- استغلال التناقضات لتثبيت الاستعمار

استطاع الاستعمار أن يوقع ببعض الأسر ليقوموا بمهمة الفت في عضد المقاومة، عبر انخراطهم في خدمة الاستعمار، وهو ما ساهم في سرعة تغلغل الاستعمار، حيث استغلت الإدارة الاستعمارية الهيكل الإداري الموروث عن الحكم التركي لتدعيم نظامها الجديد، وكان الهدف من التنظيم الإداري المفروض هو تقنيت الشعب العربي فالمنطقة الواحدة كانت تجزأ إلى عدة أغاوات وقيادات، حتى لا يستقل صاحبها بالنفوذ، والعائلة الواحدة يجب إشراك عائلات أخرى منافسة لها، حتى يحدث التوتر، ويتطلب الأمر تدخل إدارة الاحتلال) وكلما حدثت ثورة، كانت العائلات تعاقب بتجزئة منطقة نفوذها، أو بإبعاد رئيسها، أو بتعيين منافس له، ولم يحن عقد السبعينيات حتى لم يبق من تلك العائلات الأرستقراطية المتسلطة في ظل الاستعمار إلا الهيكل العظمي.¹ غير أن المعمرين لم يرضهم أن يشاركونهم أحد من الأهالي في تسيير شؤون الجزائر، فجاء دور العائلات الأرستقراطية العريقة في الجزائر لتوجه لهم الضربة الكبرى، إذ شكل القضاء على مقاومة المقراني سنة 1871؛ انهيار الأرستقراطيات الإقطاعية الوطنية، حين أستولى المعمرون الأوروبيون على ميراث قرون من كد العائلات العريقة، فصودرت مئات الآلاف من الهكتارات ومنحت للأوروبيين.² وبعد أن أحست فرنسا أنها استتب لها الأمر جاء الانتقام كذلك حتى من أعوان الإدارة العسكرية من الأهالي، وهم الباشغوات، والأغاوات، والقياد، والشيوخ، وذلك بإلغاء الهيكل الذي يستخدم هؤلاء وهو المكاتب العريقة، وإخضاع الجميع لسلطة القوانين الاستثنائية، وكانت انتكاسة ثورة المقراني 1871، فرصة ذهبية لقيام المعمرين والإدارة بتوجيه الضربة الموجعة، للنخبة الأرستقراطية المتبقية من المجتمع المسلم.³

كان المبرر الاقتصادي بالاستثمار في الجزائر مجرد شعارا فقط من قبل الفرنسيين، والدليل أنه في مدة عقدين من الاحتلال، كان التوجه العام ربحي يعتمد على النهب المصاحب للحملات العسكرية والاستيلاء على الأرض.⁴ وكانت النتائج هي تأسيس نظام هيمنة، كان من نتائجه استئثار الأوروبيين في الجزائر بكل الموارد، ولم تطبق إجراءات المصادرة على العشائر المشاركة في الجهاد فحسب؛ بل شملت كل العشائر التي اتهمت بربط علاقات مع المقاومة، ويعتبر منضما للمقاومة الذين يتغيبون عن قراهم أكثر من ثلاثة أشهر دون إذن.⁵

¹ - ينظر: الطاهر عمري: النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع 1900-1940، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2004، ص 54، 55.

² - يوسف حميطوش: منابع الثقافة السياسية والخطاب الوطني عند كل من مصالي الحاج وفرحات عباس، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2013، ص 17-19.

³ - ينظر: جمال قنان: التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار 1830-1944، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 89.

⁴ - ينظر: محفوظ قداش: جزائر الجزائريين - تاريخ الجزائر 1830-1954، تر: محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهار، الرويبة، الجزائر، 2008، ص 13.

⁵ - جيلالي صاري ومحفوظ قداش: الجزائر صمود ومقاومات، تر: أوداينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، 2012، ص 167، 312.

3- رغبة المعمرين في استنساخ تجربة إبادة الهنود الحمر في الجزائر

لا يخفى على دارس التاريخ الأوروبي ازدواجية المعايير الاخلاقية الأوروبية باحتقارهم للأجناس الأخرى، ففي القارة الأمريكية خاصة الشمالية منها، تم إبادة 112 مليون آدمي ينتمون لأكثر من 400 شعب، من شعوب الهنود الحمر ذهبوا ضحية 93 حرب جرثومية، وهذا ما اعترف به صاحب كتاب دور الأمراض في التاريخ الأمريكي هوارد سيمبسون، حين قال: «ان المستعمرين الإنكليز لم يجتاحوا أمريكا بفضل عبقرتهم العسكرية. بل بسبب حربهم الجرثومية» حين قدموا للهنود بطانيات مسمومة بجراثيم الجدري. والأدهى أنهم يقومون بذلك دون اكتراث، بل والادعاء بأن إبادة 112 مليون هندي، أضرار هامشية تواكب انتشار الحضارة!¹

كانت سياسة الأرض المحروقة متعمدة، ولم تكن ظرفية فحسب، إذ شملت وشغلت عقول السياسيين، فهذا إليكسي دوتوكفيل Alexis de Tocqueville النائب في البرلمان الفرنسي، الذي ساند الغزو الفرنسي للجزائر منذ 1828، والذي من مواقفه: أن مسألة الوجود الفرنسي في الجزائر، لن تتم إلا بوسائل يراها ضرورية وهي الإبادة، وفي ذلك يقول: «لا نترك في أراضي الأمير عبد القادر قرية ولا مدينة إلا دمرناها، ولا نسمح بتشييد مدن جديدة، قد يلجأ إليه الأمير»، وبالتالي فإنهم يرون أهالي الجزائر «جنس أسفل وخطير، ولا مناص من معاملتهم مثل الهنود الحمر، وليس ذلك جريمة، بل خدمة للإنسانية بأن نخلصها من أعراق تعرقل الإنسانية السامية، التي انطلقت بقوة لتحضر العالم»-كما يوردها الكاتب قراميزون Grandmaison. وكمثال لازدواجية المعايير الأخلاقية؛ اتفاق الأوروبيين على تجريم استعمال بعض الأسلحة ضد الأوروبيين!، منها نوع من الرصاص الفتاك، وكذلك الرشاش الذي اخترع سنة 1884 حيث جرب أولاً في المستعمرات. أما شعارات الثورة الفرنسية فكلام للاستهلاك، فقد ظهرت أصوات تنادي بإبادة العرب في الجزائر، كما فعلوا بالهنود في أمريكا والأوروبيين في استراليا، ومن هذه الأصوات نجد الطبيب أوجين بوديشو E. Bodichon وهو جمهوري كان يقطن الجزائر والذي كان يرى: «أن اندثار العرب، شيء إيجابي لتطور البشرية!».²

والأغرب أن الدعوة للإبادة لم تكن محصورة في أنصار الرأسمالية والبورجوازية الأوروبية، بل تحولت إلى مسألة عرقية، وإلا كيف نفسر آراء أعلى هرم قادة الاشتراكية وأكبر منظريها الأوروبيين، في نظرتهم لغير الشعوب الأوروبية، والتي كشفت عن ازدواجية الخطاب والكيل بمكيالين، ولم يستطع قادة

¹ -منير العكش: حق التضحية بالآخر، امريكا والإبادة الجماعية، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2002، صص 16-50

² - أوليفي لوكور غرانميزون: الاستعمار الإبادة، تأملات في الحرب والدولة الاستعمارية، تر: نورة بوزيدة، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2008، صص 20، 418،

التيار اليساري إخفاء نزعتهم العرقية وتعصّبهم لبني جلدتهم، فظهرت المواقف الحقيقية لبعضهم، فهذا الزعيم الشيوعي إنجلز Friedrich-Engels هلّل لهزيمة الأمير عبد القادر قائلاً: «إن هؤلاء البدو شعب جعل من النهب وسيلة عيشه الأساسية، يقتل، يسرق، والاستعمار يحطّى بمزايا، أنه يقضي على العالم المتوحش»، وبنفس النبرة عن الجزائر يتكلم إنجلز Engels، ففي مقال آخر له لدائرة المعارف الأمريكية سنة 1858 عند كلامه عن أخلاق بعض مكونات الشعب الجزائري، بأنها: «هابطة إلى أقصى درجة!» وحتى اللغة العربية لم تسلم منه، وقال إنجلز Engels أنه يكرهها وأنه فضل الفارسية عليها.¹

وهذا أكبر منظري الشيوعية كارل ماركس Karl Marx الذي عاش في الجزائر بضعة أشهر من سنة 1882، في سياق كلامه حول التوسعات الأوروبية، وتوسعات بريطانيا في الهند، أيد بطريقته، بل وبرر الإبادة ضد الشعوب غير الأوروبية حيث يقول: «ومهما حزنا شخصيا على مشهد اندثار عالم قديم؛ إلا أنه يحق لنا من الناحية التاريخية أن نقول مثل ما قال غوته Goethe يجب أن تحرق ألف وردة لكي تنتج قارورة عطر صغيرة»، ومقولة ماركس هذه تحمل دلالات عنف عارم، في موازنته بين الحرق والسحق الذي تتعرض له الوردة، والإبادة التي تتعرض لها الشعوب، والنتيجة القضاء على أمم وشعوب، باسم حركة تاريخية حتمية هي في نظرهم لا يمكن تفاديها، أي ان المجازر المقررة لا ينظر إليها على أساس أنها جرائم، بل وأكثر من ذلك حين أنّهم كل من تجرأ بالتعبير عن اشمئزاه من تلك الممارسات؛ أنّهم **بالعاطفة المعطلة للتقدم العلمي!**² فإذا كانت هذه فلسفة نخبة أوروبا التي تدافع عن حقوق الإنسان؛ معنى ذلك أن لا حدود لقسوة دعاة الرأسمالية والاستعمار، والأدهى أنهم يقومون بذلك دون اكرات؛ وبحجج انتزعت من أصحابها الإنسانية، ومنها القول؛ بأن لعملية الإبادة؛ أضرار هاشمية؛ تواكب انتشار الحضارة!³

إن أهم الثوابت التي قام عليها التوسع الأوربي خاصة الانجليزي هي عقيدة الاختيار الالهي والتفوق العرقي، وحق التضحية بالآخر نسجت من فكرة اسرائيل التاريخية، فكرة احتلال أرض الغير، واستبدال شعب بشعب، وثقافة بثقافة، ويعني الاستباحة المطلقة لحرية هذا الآخر، منطلقين من تجربتهم مع الكنعانيين بفلسطين، لهذا أطلق الانكليز اسم الكنعانيين على الشعوب التي أبادوها في أمريكا واستراليا.⁴

¹ - غرانميزون: الاستعمار الإبادة ، مرجع سابق، ص ص 48- 54.

² - نفسه: ص ص 48- 54.

³ - منير العكش: حق التضحية بالآخر، ص ص 22- 50.

⁴ - ينظر - منير العكش: إمريكا والإبادات الثقافية، لعنة كنعان الانكليزية، ط1، رياض الريس للكتب، بيروت، 2009، ص ص 9- 13. ص ص 22- 50.

4- النتائج المباشرة لوقوع الجزائر في قبضة الاستعمار الفرنسي

مجازر، أوبئة، مجاعات، صاحبت التوسع الفرنسي في الجزائر؛ في رحلته الأسطورية على متن السفينة بيغل Beagle، إلى الكثير من بقاع أمريكا، لاحظ العالم داروين، التلازم بين الاستعمار والقتل والإبادة، وذكر في ملاحظاته «أنه حيثما خطى الأوروبيون مشى الموت في ركابهم إلى أهل البلاد»¹، وهو ما يلاحظ على الفترة التي تلت الغزو من مجازر وأوبئة، إذ بعد الغزو الفرنسي للجزائر انتقلت الأوبئة الأوروبية من الموانئ الأوروبية والفرنسية إلى الجزائر. وكان نزول الفرنسيين في الجزائر نذير شؤم، فقد جلبوا معهم حياة البؤس للجزائريين، فإلى جانب ويلات الحرب، حيث الضحايا بالمئات، إضافة لطرد قبائل كاملة من أراضيهم بتهمة جاهزة هي مشاركة أفرادها في المقاومة، إضافة لكل هذا ظهر مرض الكوليرا في تراب الجزائر سنة 1834 بالمرسى الكبير، والذي جلب من قرطاج- إسبانيا -وجبل طارق وكانت الرقابة الصحية والحجر الصحي منعما، لينتقل بعدها وباء الكوليرا من المرسى الكبير إلى وهران وتلمسان ومستغانم ومعسكر، بل وأدخل للجزائر بواسطة سفن حكومية فرنسية، منها سفينة فرنسية تدعى تريتون من طولون رست بالجزائر، وجلبت الكوليرا معها، كذلك جلب مع سفينة من مرسيليا تدعى شيمان.²

وبذلك كان انتشار وباء الكوليرا في الجزائر انطلاقا من الساحل، أي بداية من مكان نزول مراكب آتية من الموانئ الفرنسية بداية من 1834 وما بعدها، وهذا الوباء كان يتبع حركة العسكر. فمثلا مدينة معسكر فقدت 1435 ضحية من 10000 ساكن، بينما القطاع القسنطيني مس 28 بالمائة من سكانه، وفي سنة 1849 بلغ عدد الوفيات بوهان 209 وفاة في اليوم. وفي نفس الظروف أصيب جزء كبير من سكان المقاطعة الشرقية، وهي سكيكدة وسطيف وقسنطينة. إضافة لمنطقة بوسعادة والزيان التي كانتا تشهدان مقاومة للسكان ضد القوات الاستعمارية الحاملة لجراثيم الكوليرا، وهنا يشهد الطبيب كاسفوا على ذلك بقوله: «كانت الزيان محفوظة من الكوليرا لكن هذه المرة الأمر يختلف، فإن الوباء بمجيئه مع جيوشنا انتشر سريعا بالوحدات».³

وكانت نتائج الأوبئة التي ظهرت إبان الحقبة الاستعمارية جد ثقيلة، حيث خلفت عشرات الآلاف من القتلى، وربما عدده كان يساوي عدد القتلى الذي خلفته الحرب الاستعمارية في الجزائر ذاتها، أي مليون ونصف مليون قتيل، ولم يؤخذ بعين الاعتبار الأطفال الضحايا، المصابون بالأوبئة والأمراض التي تصيب الأطفال، وتبعاً لقول الباحث مصطفى خياطي: اجتمع على الجزائريين ثالث الموت: سياسة الأرض المحروقة المصاحبة للعمليات العسكرية والمطبقة من قبل الفرنسيين، إضافة للأوبئة، ثم المجاعات، مما أدى إلى فناء

¹ - منير العكش: حق التوضيح بالآخر، ص 22.

² - مصطفى خياطي: الأوبئة والمجاعات في الجزائر، تر: حضرية يوسف، منشورات ANEP، الجزائر، 2013، ص 157.

³ - جيلالي صاري ومحفوظ قداش: المقاومة السياسية 1900-1954 الطريق الثوري والطريق الاصلاحى، تر: عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص 192.

الكثير من سكان الجزائر.¹

إن ذاكرة الجزائريين لا تنسى المحارق الفرنسية لقبائل بأكملها التجأت للكهوف، فبتاريخ 18 جوان 1845 حين علم القائد العسكري بيليسي Pélissier، أن مغارة الفرشيج الموجودة بين المدية ومليانة، يختبئ بها 1000 شخص من المدنيين العزل، فحاصرها الجيش الفرنسي بالحطب، وأضرمت فيها النيران، فكانت النتيجة أنه لم ينج منهم سوى 60 شخصا، أغلبهم ماتوا بعد الخروج، لم يسرح منهم إلا عشرة لإرهاب السكان.² ويعبر عن تلك السياسة الكاتب مارك فيرو Marc Ferro بقوله: «سوف يقال يجب أن نكون همجيين قليلا بين هؤلاء المتوحشين، لم نأت إلى هنا لإعانة إفريقيا، بل لجلب أوروبا إلى هناك»، وهو ما يؤيده الجنرالات بقولهم: «نحن نطلق بضع طلقات نارية، ونحرق كل الدواوير، وكل القرى، وكل الأكواخ. وبعدها العدو سيهرب»، هذا التوجه دعا السياسي الفرنسي إليكسي دوتوكفيل A.de Tocqueville عند اختتام زيارته للجزائر للاعتراف بالحقيقة والقول: «نحن نشن الحرب بطريقة أكثر وحشية». ³ ومما يجدر ذكره فإن الاستعمار جلب كثيرا من السلوكيات مثل التعامل الربا، وشيوع الخمر، والموبقات والعادات السيئة.⁴

من بداية الاحتلال إلى غاية سنة 1861 تم إبادة مليون جزائري، ليتدنى عدد سكان الجزائر من حوالي خمسة ملايين إلى أقل من ثلاثة ملايين، أي إلى 2733000 حسب إحصاءات عدد من علماء التاريخ والديموغرافيا، من بينهم ياكونو Yacono Xavier ولوكا وفاتان Lucas -Vatin وجيلالي صاري، أما إلى غاية سنة 1921، فقد تعرض للإبادة 820000 جزائري، نتيجة للقتل والتجوع والأوبئة، منهم 161377 بين قتل ومفقود في الحرب ع1 من بين 233412 جزائري مجند.⁵

وتعزى المجازر-الكوارث، حسب الملاحظين، إلى كوارث طبيعية، وأخرى بسبب وجود الاستعمار، وكما يذكر جوليان Ch. A. Julien أن الكوارث اقترنت مع إدماج الجزائر مع شبكات التجارة الدولية، - فالسلطة التي تحمي الأمن الغذائي للشعب أصبحت بيد الأعداء،⁶ ويرى الباحثان محفوظ قداش وجيلالي صاري أن من أسباب تدني سكان الجزائر يعود إلى أن المعارك كانت عنيفة، متبوعة بضرائب ثقيلة، إضافة لذلك فإن الجيش الفرنسي لتقوية مجهوده الحربي، قام بمصادرة دواب الأهالي، وقام بالزج بأرباب الأسر للسخرة، كمرافقين لمدة سنتين متتاليتين لبقى ذوهم بدون موارد أثناء سنوات الجفاف، وهذا رواية شاهد عيان يدعى: «لي هون» يقول عن ذلك: «لقد أخذنا ما وجدناه من الدواب، والتي ماتت جراء الأتعاب التي أجبرت على تحملها، وحتى

¹ - مصطفى خياطي: الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، منشورات ANEP، الجزائر، 2013، ص15.

² - فيلالي: الجزائر، مرجع سابق، ص215.

³ - Marc Ferro (Sous la direction): **Le livre noir du colonialisme xvie - xxie siècle, de l'extermination à la repentance**, tome 2, dar el kitab el arabi, Algérie, 2015, P 490.492.

⁴ - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، مرجع سابق، ص17، 18.

⁵ - محمد العربي ولد خليفة: الاحتلال الاستيطاني، مقارنة للتاريخ الاجتماعي والثقافي، مؤسسة دار ثالة، الجزائر، 2013، ص 63.

⁶ - صاري وقداش: المقاومة السياسية، مرجع سابق، ص 196.

أصحابها لم يتحملوا فتوفوا، وسرعان ما توفيت نساؤهم وأطفالهم، لأنهم بقوا بدون أسباب المعيشة، بينما الذين نجوا من الموت رجعوا لقبائلهم ليجدوا الجراد أتلّف الغلات، فوقعوا في أشنع فقر»، إن نهاية مقاومة الأمير عبد القادر قد أسفرت عن عدد كبير من الضحايا بسبب المسيرات الشاقة على الشبان والأطفال، إضافة لروح الانتقام المسلطة على السكان من طرف الضباط الفرنسيين، وفي هذا الإطار يذكر صاري وقداش أن خليفة الأمير عبد القادر على أولاد نايل، سي الشريف بن الأحرش فضل أن يبادر بوضع حد لحياته في الجلفة، على أن يقع ذليلا بيد الفرنسيين.¹

ومن نجا من الموت أو الأوبئة لم ينجو من الفقر والبؤس الناتج عن القوانين العقارية في الشمال(الثل) التي تعدت أثارها إلى باقي مناطق الوطن، فبفعل القوانين العقارية في الشمال، كانت أيضا العواقب على سكان السهوب والصحراء وخيمة، فأراضي الشمال أقفلت في وجوههم، فتناقصت قطعان الماشية، وهي الأساس المادي لنمط حياتهم، واختفى هذا النشاط البدوي الرعوي، كشكل اجتماعي اقتصادي خاص، ووقعت القبائل الرعوية في أشنع فقر إذ لم تكن هذه القبائل من القوة بحيث تصمد أمام قدرات الاستعمار التدميرية، ولم يكن بوسع أي شكل اجتماعي ما قبل رأسمالي أن يصمد بوجهها.² وظلت المجاعات والفاقة والجوع، متلازمة مع وجود الاستعمار، وعن هذا المجال كتب الأمير خالد في جريدة الإقدام سنة 1920 «تالله لقد ضاق المجال، والناس في حيرة وحالة ضنك، والمجاعة عمت اليوم، فكيف غدا، هل من مغيث للملهوف».³ وفي مقالة أخرى تكلم فيها الأمير خالد، عن الاحتياطات الأمنية المبالغ فيها «إن هذه الحالة ليست مختصة بالقطر الجزائري وحده رغم القحط والمجاعة، فعدم الأمن في مدينة النور باريس، أكثر مما هو في قطرنا، ومع ذلك لم يحكم على الجناة بالقوانين الزجرية».⁴

الشكل3: جدول توضيحي يبين توسع الاستيطان الفرنسي الأوروبي في الجزائر .

الفترة	الاستيطان الرسمي بالهكتار	الاستيطان الخاص بالهكتار	المجموع بالهكتار
قبل 1870	48100	23.116	504.116
من 1870 إلى 1900	697196	446.819	1.144.015
من 1900 إلى 1917	1.178.196	469.935	1.648.131
1917	193.360	475.955	669.315
1917 إلى 1933	1.371.556	945.890	2.317.446
1933	277.121	248.901	528.219
من 1933 إلى 1950	1.648.677	696.989	360.464
المجموع			2.706.130

المصدر : صاري وقداش: الجزائر صمود ومقاومات: مرجع سابق، ص 167.

¹ - صاري وقداش: المقاومة السياسية، ص ص191-198.

² - عدي الهواري: الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي 1830، 1962، تر جوزيف عبد الله، ط1، دار الحدائق للنشر والتوزيع، بيروت، 1983، ص54.

³ - جريدة الإقدام، عدد9، السنة الأولى 22 صفر 1339 - 5 نوفمبر 1920.

⁴ - جريدة الإقدام، عدد 11، السنة الأولى7 ربيع الأول 133 - 19 نوفمبر 1920 بتصرف.

5- استهداف أسس التماسك والمقاومة: الأرض، والقبيلة

أ- المصادرات الكبرى وإجراءات الحجز المطبقة من قبل الاستعمار

نظرا لوقوع الأمن الغذائي للجزائريين بيد الأعداء، بعد مصادرة الفرنسيين لأجود الأراضي من الجزائريين بالقوة، اضطرب الاقتصاد الأهلي واتجه نحو الأسوأ، فقد حصدت المجاعات أكبر عدد من الأرواح في تاريخ الجزائر، منها المجاعة الكبرى 1866-1868، وكذلك مجاعات بين 1891-1892، ومجاعات 1912 و1922، كل هذه الكوارث نتجت عن تحطيم ركائز الحياة للمجتمع الأصلي، وهي ملكيته وزراعته لأرضه، هذه المجاعات قدرت مصادر خسائرها البشرية ب 800.000 شخص¹. وتزامنا مع هذه المجاعات يعتبر الإجراء الأكثر قسوة وإيلاما للجزائريين والأكثر تعسفا، هو إجراءات الحجز، الذي مس أراضي القبائل الثائرة والمتغيبية ضمن ثورة المقراني 1871، خاصة حجز 1871، والذي بلغت تكاليفه على المواطنين أكثر من 64 مليون فرنك ذهبي، أي ما يعادل 80 غرام عن كل شخص، حيث مس ما يعادل 70 بالمائة من رؤوس الأموال للأشخاص الذي مسهم العقاب، والذين ينتمون إلى 33 مجموعة سكانية (قبائل)، وشمل الحجز من الأراضي أكثر من 446000 هكتار من أجود الأراضي، ولم تتوقف سياسة مصادرة أملاك الأهالي مع هذا الحجز، إذ تجددت هذه الممارسة مع حجز 1881².

وبموجب أمر 31/جويلية/1845 تم تنظيم الحجز حيث أضحى يسلط على:

1- ممتلكات الأشخاص الذين يقومون بأعمال معادية لفرنسا أو الذين ساعدوا الثوار بطريقة ما أو أقاموا معهم علاقات طيبة.

2- ممتلكات الذين تخلّوا عن أراضيهم، لمدة تزيد عن ثلاثة شهور، أو مناطقهم لكي تقع بعدئذ بين أيدي الثوار.

3- ممتلكات القبائل التي هجرت الجزائر لمدة تزيد عن 3 أشهر (1846)³.

وكان حجز 1881 متزامنا مع أخبار ثورة بوعمامة وأحداث مصر وغزو تونس، وقد انتهزت الصحافة الاستعمارية تلك الأحداث، لتشن حملة عن وجود مؤامرة ضد فرنسا تحركها أطراف خارجية، مما زاد من انتقام الإدارة بقرارات انتقامية، ليكون الانتقام الأعنف والأقسى بحق الجزائريين، وقد جاءت تلك القرارات على إثر حرائق الغابات المفتعلة، التي طالما انتظرتها الإدارة، للإجهاد على ما تبقى في

¹ -خياطي: الطب والأطباء، مرجع سابق، ص 15.

² -جيلالي صاري: تجريد الفلاحين من أراضيهم 1830-1962 الجزائر، منشورات المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2010، ص 53، 54. وينظر: صاري، وقداش: المقاومة السياسية، مرجع سابق، ص 124، ص 149.

³ -ينظر: بن داهاة عدة: الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962، ج 1، ط 1، المؤلفات للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 250، 251.

أيدي الجزائريين، ليشمل الانتقام 99 مجموعة سكانية، قبائل وقرى، بغرامات جماعية، وأيضاً 46 مجموعة سكانية بالحجز الجماعي للأرض، وتواصلت هذه السياسة لكن بتعبيرات أخرى، تمثلت في الحرب الاستنزافية على الجزائريين عبر تطبيق قانون الغابات.¹ حين تم حرمان الأهالي من الرعي، ثم تلاه إجراء أكثر إمعاناً في الظلم، حين كان يعتمد الأوروبيون أشغال الحرائق في الغابات، وتلصق التهمة بالأهالي؛ فتسلط الغرامات الباهظة على قبائل بأكملها، كما أضيفت الإجراءات الردعية الزاجرة بعد ثورة عين التركي سنة 1902.² ومجمل القول أن شعار المهمة الحضارية لفرنسا لم يكن موجوداً على أرض الواقع، أما الحقائق على أرض الواقع فإن الاستعمار الفرنسي في الجزائر هو استرقاق تحت مسميات جديدة،³ فقد بلغت قيمة المنهوبات العقارية لصالح القطاع العام والخاص الأوروبي أكثر من مليونين ونصف مليون هكتار أي (2.706130) إلى غاية 1950.⁴ وهي سياسة ممنهجة والدليل ما كتبه الماريشال بوجو Bugeaud سنة 1841 قائلاً «الغزو الفرنسي يبقى عقيماً بدون الاستيطان».⁵

وقد مرت عملية استيلاء الأوروبيين على الأراضي بمراحل متلاحقة:

- بدأت بمصادرة الأملاك العامة من أراضي وعقارات، والأملاك الوقفية الكثيرة، وأراضي المغتربين.
- ثم مصادرة أراضي «العزل» (وهي أراضي عامة تخصص كإقطاع أو معاش أو مكافأة لكبار الوجهاء وموظفي الدولة في العهد التركي)، حيث تم طرد عائلات القرويين منها.⁶
- ثم انتزاع أراضي كل متهم بالمشاركة في المقاومة.
- ثم التحديد العقاري لأراضي الجزائريين، حين اقتطعت وصودرت أجزاء مهمة من الأراضي ولم يعترف لهم إلا بجزء ضئيل، بحجة أنها الأراضي تزيد عن حاجتهم، ثم فرض عليها رسم إيجار على كل هكتار مستغل.
- ثم وضعت أراضي القبائل المتغيبية تحت الحراسة القضائية (الحجز)، ولا تستردها إلا بعد تسديد

¹ - ينظر: صاري، وقداش: المقاومة السياسية، ص 124، 149.

² - نفسه: ص ص 159-180.

³ - عشارتي: مرجع سابق، ص 242.

⁴ - ينظر: صاري وقداش: المقاومة السياسية، مرجع سابق ص ص 159-180، ص 242.

⁵ - حميطوش: مرجع سابق، ص 16.

⁶ - *العزل أو العزالي كلمة عامية مفردتها كلمة «عزلة» وتعني قطعة فلاحية محددة، وأصل المصطلح هو اقتطاع قسم من الأراضي العامة تخصص كإقطاع أو معاش أو مكافأة لكبار الوجهاء والموظفين العموميين في العهد التركي. ويعرفها عبد اللطيف بن أشنهو أنها الأراضي التي يصاردها الباوي أو يشتريها ثم ينتازل عنها لصالح كبار الموظفين، قبائل تقدم جنود عند الحاجة، أفراد يزرعوها مقابل أتوات معينة. ينظر: -عبد اللطيف بن أشنهو: تكون التخلف في الجزائر، تر: نخبة من الأساتذة، مر، وتح: عبد السلام شحادة ومحمد يحي ربيع، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1979، ص 27.

تكاليف باهضة، عادة ما تنتهي بفقدان الأراضي لصالح الأوروبيين (بعد أن تباع في المزاد).¹ ولم تمر عقود على وجود الاستعمار حتى استحوذت الرأسمالية المتوحشة على اقتصاد الجزائر، فالملك الأوروبيون الذين بحوزتهم أكثر من 50 هكتار كانوا لا يتجاوزون 4% من الفلاحين لكنهم يستحوذون على 38 بالمائة من الأراضي أي أكثر من 2.7 مليون هكتار، أما في حدود 100 هكتار فهم فقط 8499 مالك، أي ما يعادل 1.4% من الفلاحين، ويملكون 1.6 مليون أي 23% من الأراضي، ومن خلال هذه النسب تبين حالة العلاقة القائمة على الاستغلال.²

الشكل 4: يشير هذا الجدول إلى المساحات والتجمعات السكانية في الجزائر

التي تأثرت بتطبيق قرارات مجلس الشيوخ الفرنسي
-السيناتوس كونسيلت (أجراءات 1870/12/31)

عدد القبائل	372
عدد الدورات (تجمعات سكانية)	667
عدد السكان	1.037.066
مساحة أملاك الدولة	1.003.072 هكتار
مساحة أملاك العرش	1.523.013 هكتار
مساحة الأملاك العامة	180.043 هكتار
مساحة الملكيات الأخرى المختلفة	4.177.083 هكتار
المساحة الإجمالية	6.333.811 هكتار

المصدر.³

ب- فرض الملكية الفردية ونتائجها

لأن هناك قبائل لم تقع تحت دائرة قوانين المصادرة، لعدم مشاركتها في الجهاد، إضافة لمسألة استحالة التخلي عن أراضيها باعتبارها ملكيات جماعية؛ لا يمكن التصرف في أي جزء منها، لذلك قرر الفرنسيون فتح ثغرة في جدار الاقتصاد الأهلي، بهدف الاستيلاء على تلك الأراضي بطريقة قانونية، فكان تقسيم أراضي العرش، أي تعيين حصة كل فرد من أراضي القبيلة، وقد أراد المستعمر من وراء تكوين الملكية الفردية عبر مرسوم 23 أبريل 1863 ضرب عصفورين بحجر واحد، أولها تمكن الأوروبيين من شراء الأراضي قانونياً، وثانيهما تفتيت القبيلة بتفتيت الملكية العامة. وقد تم فرض تكوين الملكية الفردية؛ عبر مرسوم 23 أبريل 1863، وهو مرسوم صادر عن مجلس الشيوخ الفرنسي، يعترف

¹ - ينظر: صاري وقداش: المقاومة السياسية، مرجع سابق، ص ص 159-180، ص 242.

² - عشراتي: مرجع سابق، ص 242 .

³ - عبد اللطيف بن أشنهو: تكون التخلف في الجزائر، تر: نخبة من الأساتذة، مر وتج: عبد السلام شحاذة، ومحمد يحي ربيع، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1979. ص 60.

بالملكية الجماعية القبليّة للجزائريين، وإن كان ظاهره ذلك، فإن الضرر جاء مع التفاصيل، إذ نص هذا القانون على تقسيم هذه الأرض على أفراد القبيلة الواحدة، والهدف هو أن تصبح ملكيات فردية يمكن بيعها، أي لتسهيل إخراجها من يد أصحابها بطريقة قانونية، أي أن الهدف الأساس تمكين المعمرين الأوروبيين من شرائها.¹ وتنفيذاً لأفكار الإمبراطور نابليون الثالث، جاء القرار المشيخي بفكرتين أساسيتين:

أ- تعتبر عشائر الجزائر مالكة للأقاليم التي تنتفع بها بصفة دائمة وتقليدية، ومهما كانت صفتها، أي أن حقوق الانتفاع الممارسة على أراضي العرش تحوّل إلى حقوق الملكية الجماعية، للعشائر والدواوير.

ب- تتحول الملكية الجماعية إلى ملكية فردية لصالح أعضاء الدوار، وفي انتظار ذلك يجب أن يجري تعيين الحدود للعشائر، أي تقسيم العشائر إلى دواوير، ثم إعادة توزيع الأراضي الجماعية بين مختلف الدواوير، ويعتبر الدوار حسب مجلس الأعيان؛ مفتاح التنظيم العقاري والاجتماعي معاً، فهو يتشكل من مجموع غير متجانس من بقايا القبائل المفتتة، وهذا ما أكده الجنرال آلرد Allard في معرض عرضه لدوافع قرار مجلس الأعيان، من أن هذا القانون استهدف أساساً تفكيك القبيلة وإنشاء جماعة محلية جديدة «الدوّار»، الذي يتمتع أمام السلطات آنذاك بالشخصية المدنية والإدارية.²

بعد تقسيم الأرض الجماعية أرض (العرش=القبيلة) على الأفراد، فإنه مع مرور الزمن يتخلى أفراد القبيلة عن حصصهم المحددة، لمن يقدم السعر الأعلى، وعادة ما يكون المشتري من السماسرة، ويفقدان الأرض تتفتت القبيلة، وبذلك تسنّى للأوروبيين الحصول على الجزء الأكبر من أفضل أراضي القبائل المتبقية، ليفقد أغلب الأهالي المساحات الزراعية ذات الجودة والمردود في الشمال، ولم يتوقف الخطر إلى هذا الحد بل تعداه إلى ما هو أخطر اجتماعياً، فنتج عن هذا في بعض المناطق الحضرية، نشوء تحرر وارتخاء في العلاقات الاجتماعية لم تملأ بعلاقات أخرى.³

- إن تقسيم أراضي القبائل إلى ملكيات فردية، دمر نظاماً اجتماعياً يحفظ مبدأ جماعية الأرض، والذي يصون بدوره التراث العقاري من إفراط التجزئة، وأدت هذه السياسة الاستعمارية في النهاية إلى انهيار الاقتصاد الوطني الذي كان يتحمل نمط الحياة ويتكيف معها، لينتقل بالأهالي إلى اقتصاد التسلط والجوع؛ بعد أن تم إبطال الملكية الجماعية الخاصة بالعروش (عرش= قبيلة).⁴

¹ - حميطوش: مرجع سابق، ص ص 17-19.

² - ينظر: نعيمة حاجي: النظام القضائي لأراضي العرش في الجزائر، بين الاجتهاد القضائي، والممارسة الميدانية، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2015، ص 30.

³ - حميطوش: مرجع سابق، ص ص 17-19.

⁴ - عدي الهواري: مرجع سابق، ص 95.

- ظهرت بعد الاحتلال أنماط سلوكية ومعيشية حتمها الواقع الجديد والتي كانت وليدة لما فرضته السياسة العليا للسيطرة الاستعمارية، من هذه الظواهر ظهور نوع من التراخي في العلاقات والبناء الاجتماعي في بعض المناطق، كنتيجة للسياسة الاستعمارية الهادفة للقضاء على القبيلة، عبر إنشاء «الدوار»، وهو تجمع سكاني لفسيفساء عائلات من قبائل متنوعة، وكان غرض الاستعمار من إنشائه تحقيق الأهداف التالية:
- تحطيم وازع القرابة الذي تعتمد عليها القبائل في روح التضامن والمقاومة،
- عبر إنهاء الاحتكام إلى المرجعية السلالية الأبوية، والقضاء على ذلك التكتل والتماسك الهرمي وسر النظام المعهود في المجتمع الجزائري الذي أساسه القبيلة.
- العمل على قطع الصلة بين الشعب ونخبه المؤطرة.
- منع القبائل من نشاطها الرعوي المعهود، والذي أصبح لا يتوافق مع توسع مستوطنات الأوروبيين.
- إجبار وتسخير سكان الدواوير، للعمل كيد عاملة رخيصة، في أراضي ومزارع المعمرين، بعد أن قطعت عنهم أسباب الرزق، فقد انشأت مدن من العدم مثل سطيف الشلف سيدي بلعباس.¹
- الرغبة في أن تصبح التجمعات السكانية الجديدة «الدوار»، عبارة عن مجموعة من المنضافين لبعضهم البعض، لا تجمعهم قيادة تكون محل ثقة الجميع، وبذلك يضمن الاستعمار الاستقرار والبقاء.²
- الاستفادة من هذه التجمعات السكانية أمنيا في رصد تحركات الأشخاص.
- الرغبة في إنشاء تجمعات سكانية تتقبل نمط المعيشة الأوربي وسلوكاته.
- هذا الإطار الإداري-الدوار-مكن السلطات الفرنسية من تطبيق سياسة كبار الضباط، والإداريين الفرنسيين، وكذا الزعماء المحليين تلك الشخصيات الطيبة التي امتازت بسلطة شكلية أكثر منها فعلية، والتي كان مطلوبا منها الحلول محل زعماء القبائل المعادين للاستعمار، غير أن هؤلاء القادة المحليين مع الوقت زالت مكانتهم عندما استتب الأمر لفرنسا وتحكمت في الوضع.³
- بعد القضاء على الطبقة المسيرة للمجتمع والمتمثلة في في الأشراف، والأجواد من البورجوازية العقارية والفلاحية الحضرية، وأشراف وأجواد المجتمع الريفي والرعوي في الجزائر، وبذلك فقد المجتمع الفلاحي في الجزائر كل تعبير سياسي يمثلهم.⁴

..

1 - صاري وقداش: المقاومة السياسية، مرجع سابق، ص 215.

2 - حميطوش: مرجع سابق، ص 17-19.

3 - عدي الهواري: مرجع سابق، ص 65.

4 - حميطوش: مرجع سابق، ص 17-19.

المبحث الخامس: الاستعمار وسياسة التمييز في الجزائر

1- الاستعمار وتكوين ثقافة التمييز الطائفي

الواقع أن شعارات الثورة الفرنسية لم تكن مجسدة على أرض الواقع، باعتبار أن الرق لم يلغ في المستعمرات إلا سنة 1848؛ أي بعد سنتين من إلغاءه في الدولة العثمانية.¹ وبقيت روح استرقاق الآخرين تمشي لدى قادة الاستعمار ومنظريه ومنفذيه، وكان المظهر الأكثر جورا في الظروف الاستعمارية؛ هو تأسيس الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر للإجراءات الخاصة الاستثنائية خارج القانون العام، والمعروفة بالمخالفات الخاصة le code de l'indigénat المعروفة بقانون الأهالي.² فالقوانين الاستثنائية في الجزائر، هو المعبر الحقيقي والجانب المقنن من الممارسة الاستعمارية، التي بلغت في العنف والممارسات اللإنسانية المصاحبة للتوسع الاستعماري، وينقل فرحات عباس شهادة شاهد عيان من الأوروبيين عن جرائم الفرنسيين فيقول: «لقد اغتصبنا ممتلكات الأقباس، وحجرنا ممتلكات سكان كنا أخذنا العهد على أنفسنا على أنفسنا بأننا نحترمها، اغتصبنا ممتلكات دون أي تعويض، وأرغمنا أصحابها بأن يدفعوا مصاريف هدمها، وحتى مصاريف هدم مسجد من مساجدهم.. قتلنا أناسا كانوا يحملون رخص المرور... ذبحنا سكان مدن وقرى... كانوا أبرياء... كان فينا من حكم، وفينا من نفذ حكم الإعدام في أشخاص محترمين ومعروفين بالورع، لا لذنوب إلا لأنهم تشفعوا لدينا دفاعا عن أبناء جلدتهم».³

ما يسمى بقانون الأهالي هو عبارة عن مجموعة من القوانين العقابية الاستثنائية تضمنت 27 مخالفة؛ لا يعاقب عليها القانون العادي، ولا تطبق إلا على الجزائريين، زيدت فيما بعد إلى 33 مخالفة، ثم خفضت سنة 1904 إلى 23 مخالفة، منها التلغظ بعبارات غير لائقة بحق فرنسا وترك محل الإقامة بدون رخصة) وهذه الصلاحيات الاستثنائية المعطاة للسلطات الإدارية الفرنسية الاستعمارية في الجزائر، تحت

¹ -إيف بونو: مجازر استعمارية، تر: العيد دوان، لا ديكو فيرت جيب، باريس، 2013، ص13.

² -* خلال تطبيق قانون الأهالي وما تبعه من إجراءات استثنائية، سلطت عقوبات تمنع على الجزائريين المسلمين إصدار حركة تعبير عن الرفض، أو الرغبة في إلغاء السيطرة الفرنسية، ومن وأهم الأعمال التي تُوجب العقوبة في حق المسلمين في الجزائر نجد مايلي:

1- كل عمل أو قول غير محترم تجاه ممثل السلطة، حتى في ظروف خارجة عن وظيفته.

2- التفوه بكلام بغرض الإنقاص من الاحترام للسلطة في مكان عمومي، وهذا نص خطير لأنه يسمح للسلطة بإدانة كل خطاب معارض.

3- كما منع الاجتماع بدون رخصة، حتى ولو كانت المناسبة احتفال بالحج أو وليمة.

4- كما يعاقب على كل عمل لا يشكل جنابة، لكنه يتسبب في بلبلة، أو شجار، خاصة في الأسواق.

5- إضافة إلى إجراءات التصييق على تنقلات السكان، ومراقبة حركاتهم وسكناتهم، وتمثلت في فرض الحصول تصريح للخروج من البلدية الأصلية، عوض بعد 1897 بجواز سفر أو بطاقة أمن أو دفتر عمالي، وإلا تعرض المخالف إلى العقوبات.

6- كما فرض على الأهالي في الجنوب تأدية التحية العسكرية لكل شخص في زي عسكري، وإلا فانه يلتقى ضربة عنيفة. هنا يتضح لنا جليا أن بعض الأعمال تعتبر كجنابة بمجرد أنها صدرت من الأهالي.-غرانميزون: الاستعمار الإبادة، مرجع سابق، ص319، 320.

³ - فرحات عباس: ليل الاستعمار، مرجع سابق، ص 55، 56.

اسم القوانين الاستثنائية أمر مخالف للقانون الفرنسي نفسه.¹

قدم قانون الأهالي أولا عام 1871 كمشروع في عهد الحاكم دوقايدون de Gueydon ، لكنه لم يتابع، وفي سنة 1881 صدر تعميم لهذا المرسوم، مؤقتا لمدة سبع سنوات، لكن المؤقت أصبح دائما، فقد قامت الإدارة الفرنسية بتعميم تطبيق قانون الأهالي في الجزائر، واتفقت على تسميته بقانون "الأنديجينا، أي الأهالي، وبعد عشر سنوات من صدوره، أضافت له الإدارة الفرنسية بنودا، أكثر تشددا في حق الجزائريين، وأصدرته في 28 يونيو 1881، على شكل مرسوم تنفيذي، وفي عام 1882 حددت الإدارة 41 مخالفة يُعاقب عليها الجزائريون وهي مجموعة المخالفات والعقوبات، التي تحتوي على أفعال يعاقب عليها في الجزائر، والتي لا تتعلق إلا بالمسلمين، وبذلك يعتبر هذا النظام استثنائيا عنصريا (حسب العرق والدين)؛ إذ لا تعتبر الأفعال المعاقب عليها ذات خطورة بالمترولوج، وهذا القانون يثبت وضع قانونيا دونيا للأهالي المسلمين (الأنديجان)،² هنا يتضح لنا جليا أنه حتى الأعمال التي لا تعتبر كجناية تصبح في حكمها، بمجرد أنها صدرت من الأهالي، إذ ففي نظر القوانين الاستعمارية؛ ليس العمل هو المدان مهما كانت خطورته لكن صفة مرتكبه.³

كما تواصل صدور القوانين التي تضيق على الجزائريين، ومنها منح الجنسية الفرنسية لليهود الجزائري، إذ صدر قانون كريميو la loi Crémieux الصادر في 24/10/1870 الذي نص على تجنيس جماعي لليهود. كذلك تم إنشاء المحاكم الزجرية عقب ثورة عين التركي سنة 1902 والقاضي بمحاكمة الجزائريين بدون حضور محام، أي أنه ليس للجزائري حق الاستئناف.⁴ أما حق المواطنة المهودور في الجزائر؛ فإنه يوجد تضارب فما يطبق في الجزائر مخالف للقانون المدني الفرنسي، الذي يربط في الأصل بشكل منهجي الجنسية الفرنسية بالحقوق المدنية والسياسية، جاعلا مبدئيا كل فرنسي مواطناً، بينما نجد التشريع الكولونيالي الفرنسي في الجزائر، وضع حدا لهذه العلاقة بفصل الصفة الفرنسية عن المواطنة الفرنسية، بالمرسوم المشيخي* جويلية 1865، حيث اعتُبر الجزائريون كفرنسيين غير مواطنين، أخضعوهم لقوانين خاصة، تلك الإجراءات المعروفة بقانون الأهالي والمؤسس بتاريخ 28 جوان 1881 في عهد وزارة

¹ - Nouschi: op.cit, p56.

² - ينظر: سباعي سيدي عبد القادر: «قانون الأنديجينا الوجه الآخر لقانون السود»، مجلة دراسات، مج 5، العدد 2، جامعة بشار، ديسمبر 2016.

³ - غرانميزون: مرجع سابق، ص 319، 320 .

⁴ - بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، مرجع سابق، ص 236.

* - سنتوس كونسلت Sénatus Consulte - 14 جويلية 1865 المرسوم الفرنسي الذي نص على منح المسلمين الجزائريين حق اختيار المواطنة الفرنسية شرط التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية، فإذا رفضوا الشرط فإنهم يبقون على حالة الرعية (الأهالي الانديجان) أي يعاملون معاملة من الدرجة الثانية،- ينظر: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 9، مرجع سابق، ص 10.

جول فيري عقب ثورة بوعمامة.¹ من جانب آخر ورغم كل تلك التدابير التي اتخذتها الإدارة الاستعمارية، فإن ممارسة التهميش على أي فرد جزائري في الجيش أو مكان العمل، قد عزز بالضرورة مشاعر التمسك بالهوية وشعور الانتماء إلى الجماعة الوطنية لدى الجزائريين.²

2- التمييز في الضرائب

لم يكتف الفرنسيون بمصادرة الأرض، والتضييق على الحريات، بل تعدى إلى التشدد في مسألة استخلاص الضرائب، وكمثال في هذه المسألة؛ إذا عجز العربي على تسديد ضريبته؛ يأتي المحضر المكلف لبيع قطيعه، وإذا لم يسدد مبلغ الضريبة، تقوم المحكمة بوضع زوجة الفلاح في السجن، لأنه يقينا سيضطر للاقتراض لتسديد الغرامة وإخراج زوجته من السجن.³

وقد طبق الاستعمار الفرنسي سياسة امتصاص الثروة التي كانت بحوزة المجتمع الجزائري المسلم، وهو ما زاد عبئا إضافيا على الأهالي، وقد وقع الجزائريون بين فكي كماشة، وهما: الكوارث والاستعمار، فقد اجتمع على الجزائريين:

-الكوارث الطبيعية كالجراد المتكرر والجفاف الدوري الذي سبب المجاعات.

-الممارسات الاستعمارية.

-ظاهرة الجباية القاسية المفرطة.

-ظاهرة الربا التي سببت نهبا فاحشا لرأس المال الأهلي المعتمد على الأرض والماشية.

وفي بداية القرن العشرين، فإن 46% من موازنة الجزائر، كانت تحصل كضرائب من جيوب المسلمين الجزائريين، رغم أنهم كانوا لا يملكون إلا 37% من ثروة الجزائر، والتي آلت أغليبتها للأوروبيين.⁴

حاول الجزائريون دفع الأذى عن أنفسهم وتذكير الفرنسيين بوعودهم؛ عبر الرفض والتذمر؛ حيث كانت العرائض توثق فضائح فرنسا، وتؤرخ للإحباط الذي وصل بالجزائريين من شيء اسمه إنسانية أو عدالة فرنسية، ففي شهر سبتمبر 1891 وفي رسالة أمضاها 165 من الأهالي إلى المجلس العام لوهران جاء فيها: «نحن لا نرغب في قضاتكم، ولا في الموثقين ولا في محضريكم القضائيين ولا في رجال القانون، فأنشاء محاكمات قضاة الصلح، يفقد الأغنياء المال دون الظفر بالحقوق، ويفقد الفقراء حقوقهم

¹ - قداش: جزائر الجزائريين، مرجع سابق، ص 233.

² - كمال بوقصة: مصادر الوطنية الجزائرية إلى منابع الوطنية الجزائرية الشعبية، تر: ميشيل سطوف، دارالقصة، الجزائر، 2005، ص 9.

³ - صاري وقداش: صمود ومقاومات، مرجع سابق، ص 148.

⁴ - أجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، مرجع سابق، ص 110.

لقلة المال»¹. وكذلك نجد العريضة المهمة لأهالي عمالة قسنطينة الموجهة إلى مجلس الأمة الفرنسي وغرفة النواب سنة 1894 والتي احتوت على تذمر من اللادعالة التي تمارسها الإدارة الاستعمارية في الجزائر ومن تسلط العنصر الأوربي، ومما جاء فيها نفتطف :

«لهم (أي الأوربيون في الجزائر)، الامتيازات...

وأحسن الأراضي والمدن والقرى والمزارع.

لهم كل شيء... ولنا ولا شيء...

نحن أكثر منهم 16 مرة...

نحن ندفع الأداءات نقدا بصفة تعسفية.

-وندفع أيضا:

الضريبة العقارية...الرسم على الإيجارات والكلاب...

الضرائب المهنية لغرف التجارة الضريبة على الكروم ...

رسوم التسجيل والطابع الأميري...

كل الضرائب العمالية (الولاية) والبلدية...

فإننا نساهم مثلهم-وندفع أكثر منهم!: الزكاة على المواشي...

والعشر على الأراضي المزروعة. الضريبة على الحدائق...

الضرائب على النخيل الضريبة على تشكيل الملكية...

الضريبة على الزفاف والولائم...والضريبة على الحفلات العائلية والولائم...

نتحمل مصاريف الترجمة القضائية...»²

هذه الرسالة التي تحمل شكوى من الأهالي وثيقة مهمة تؤرخ للممارسات الفرنسية الاستعمارية. كما

أن هذه الإجراءات التعسفية أدت ببعض الصحافة الكولونيالية من أن لا تلتزم الصمت، وتصرح: «ليس من

المبالغة القول بأنه لو طبق نظام الامتصاص الدائم ذلك، على بلد أوروبي مهما كان غنيا، فستكفي

سنوات قليلة لإغراق هذا البلد في اليأس التام»³. وقد تعددت الضرائب المفروضة من قبل الإدارة

الاستعمارية الفرنسية على المسلمين مما جعلهم أكثر المشاركين في الخزينة وأقل المستفيدين منها،

فالمسلمين رغم أنهم الأغلبية آنذاك، إلا أنهم الأقل حظا من الخدمات العمومية، من تعليم، وصحة، وسكن،

والعكس بالنسبة للأوروبيين، الذين كانوا يدفعون ضريبة أقل، ويستفيدون منها بكثرة في الوظيفة التوزيعية

لخزائن البلديات.⁴

¹ - ينظر: حسين بوزاهر: العدالة القمعية في الجزائر 1830-1962، تر: بوجلة عبد المجيد، دارهومة، الجزائر، 2011، ص 22 .

² - ينظر - حميطوش: مرجع سابق ، ص 190.

³ - صاري وقداش: صمود ومقاومات، مرجع سابق، 168.

⁴ - حميطوش: مرجع سابق، ص 22.

ورغم أن الجزائريين المسلمين كانوا أكبر المساهمين في إنعاش الخزينة العمومية، إلا أنهم كانوا الأقل استفادة من ميزانية الدولة، ولتفسير ذلك نضرب مثالا: فقد كانت الإيرادات الإجمالية لخزينة الجزائر سنة 1880 قد بلغت 35 مليون فرنك دفع منها الجزائريون المسلمون 22 مليون كضرائب مختلفة.¹ وهذا ما عبر عنها الوزير الفرنسي جول فيري في تقرير له سنة 1892 «...هل تنتج غابات الجزائر شيئا؟ إنها لا تنتج من المواد الغابية إلا دخلا متوسطا قدر ب 477000 فرنك من عشر سنوات، ولكنها تنتج أكثر من مليون ونصف محضر قضائي سنة 1890».² وكمثال على مسألة التفرقة العنصرية التي تمارسها الإدارة، بين الأوروبيين والمسلمين، في مسألة رسوم التقاضي، فإنه عند استئناف حكم في المحكمة، في قضية ما، يدفع الأوروبي ما قدره 4630 فرنك مصاريف للمحكمة، بينما يدفع المسلم في نفس القضية للمحكمة؛ ما قدره 9500 فرنك.³

3- الأعدالة في التمثيل في المجالس

استغل المعمرون الأوروبيون في الجزائر الظروف التي كانت تعيشها فرنسا بعد هزيمتها أمام ألمانيا سنة 1871، ليصعدوا ضغوطهم وابتزازهم لحكومتهم لإلغاء كل تلك المشاريع التي يُشتم منها تقييدا لحرية المعمرين في التحكم في الجزائر دون رقيب، فاستفرد المعمرون بحكم الجزائر وولد قانون الأهالي، وحاولت فرنسا ضبط إدارة مستعمرة الجزائر، حين تم إنشاء المندوبيات المالية، والمجلس الأعلى للجزائر عبر مرسوم 23 أوت 1898، وكانت تركيبة المجلس الأعلى تتألف من 55 عضو منهم 27 أوروبي منتخب و21 مندوب من المصالح الحكومية، وسبعة مندوبين مسلمين معينين.⁴

فبالنسبة للأعضاء المسلمين يلتحقون بالمجلس الأعلى إما موظفين أعضاء تلقائيا، مدنيين وعسكريين أو أعضاء يعينهم الحاكم العام، أو أعضاء منتخبين من بين ممثلي المندوبيات المالية والمجالس العامة، ويجري المجلس الأعلى المداولات حول جميع المسائل المتعلقة بالإدارة العامة، التي يطرحها عليه الحاكم العام. ويقدم التماسات ليست سياسية، أما المندوبيات المالية فهي مجالس موزعة على ثلاث مفوضيات مختلفة ليست سياسية، مكلفة بالتصويت على الميزانية والضرائب والغرامات... وقد تم التركيز عند إنشائه في 23 أوت 1898 على أن تظل صلاحيات المندوبيات المالية استشارية بحتة.⁵

¹ - عبد اللطيف بن أشنهو: مرجع سابق، ص 102.

² - حسين بوزاهر: مرجع سابق، ص 22.

³ - محفوظ سماتي: مرجع سابق، ص 228.

⁴ - للاستزادة ينظر: عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 182، 183.

⁵ - محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، تر: أمحمد بن البار، شركة دار الأمة، الجزائر، 2011، ص 100.

واتضحت صورة هذه المندوبيات المالية مع قانون 19 ديسمبر 1900؛ الذي منح الجزائر-جزائر المعمرين- استقلالاً مالياً (لم يستفد منه إلا العنصر الأوروبي واليهود*)، مع تركيبة من 48 عضو أوروبي، و15 عضو عربي، وستة من منطقة القبائل، والمسلمون هنا أقلية في هذه المجالس؛ إذ لا يمكنهم الاعتراض على أي قرار. وقد قررت الحكومة الفرنسية تحت الضغط، أن تستجيب لبعض المطالب، بمناسبة صدور قانون التجنيد الإجمالي، حين أصدرت مرسوم 19 في سبتمبر 1912، الذي يسمح للشبان المسلمين الذين أدوا الخدمة العسكرية، أن يشاركوا في الانتخابات المحلية، وعززته بقانون 13 جانفي 1914 الذي رفع عدد المستشارين المسلمين من الربع إلى الثلث، أي ارتفعت نسبة التمثيل الجزائري من 20% إلى 33%، وبقيت للأوروبيين الأغلبية المطلقة في المجالس رغم أنهم لا يمثلون إلا عشر سكان الجزائر.¹

ومن المفارقات العجيبة أن الذي كان سبباً في الثورة الفرنسية؛ هو عدم وجود عدالة في تمثيل الأمة، بسبب مجلس الطبقات في عهد الملكية، واعتبروا عهد فرنسا القرن 18 ضرباً من الرجعية، بل مزايدهم على الأمم الأخرى بثورتهم، إلا أن الفرنسيين كانوا بعد عهد التنوير والحقوق؛ أشد من يدافع باستماتة عن اللّعدالة في الجزائر، وهذا ما حدث مع نظام التمثيل المعتمد من قبل الفرنسيين؛ والخاص بالجزائر، والذي حدد بأربع مستويات:

-المستوى الأول خاص بالتمثيل للفرنسيين، وهذا لا يحق إلا للفرنسيين حتى سنة 1944.

-المستوى الثاني يتعلق بالمندوبيات المالية.

-المستوى الثالث خاص بمجلس العمالات.

-المستوى والرابع خاص بالمجالس البلدية. وفي كل هذه المجالس تأخذ الأقلية الأوروبية حصة الأسد في التمثيل، هذا بعد الإصلاحات في القرن 20. أما قبل عام 1919 لم نجد إلا عدد قليل جداً من المسلمين يحق لهم التصويت والانتخاب في المجالس البلدية.² وكل هذا التضييق من قبل الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، إنما هو جزء من القوانين الاستثنائية، التي بقيت سارية المفعول إلى غاية 1944.³

* - كان اليهود يقطنون مختلف المدن الجزائرية قبل الغزو وبعده، ففي حدود 1941 كان يهود الجزائر يمثلون 14 بالمائة من السكان الأوروبيين فقط. أي في حدود 120.000، لكنهم من ناحية النشاط فإن نسبة العاملين من يهود الجزائر كانت مرتفعة جداً إذ شكلوا 27 بالمائة من التعداد الكلي لعمال الجزائر. -ينظر: أمال معوشي: الجمعيات والتنظيمات اليهودية الجزائرية، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2021، ص 137، 138.

¹ -ينظر: عمار بوحوش: مرجع سابق، ص 182، 183، 212.

² -حميطوش: مرجع سابق، ص 22.

³ - Nouschi: op.cit, p56.

المبحث السادس: الاستعمار وسياسة طمس الهوية في الجزائر

1- حرب الإدارة الفرنسية على المؤسسات الثقافية الإسلامية

عاشت السياسة الفرنسية في الجزائر في المدة الأولى للغزو تخبطا في عهد الملكية، حول مسألة تسيير الجزائر، إلا أنه خلال سنة 1831 أعلنت وزارة كاسيمير بييري J. Casimir-Perier عن رغبتها في تمديد الاحتلال الفرنسي لجميع مناطق الجزائر، لكن بقي التخبط إلى غاية 22 يوليو 1834، التاريخ الذي أنشأت فيه فرنسا هيئة عامة للممتلكات الفرنسية في شمال إفريقيا،¹ فبتوصية من اللجنة الإفريقية قررت الحكومة الفرنسية الاحتفاظ بالجزائر، لتتطلق البداية الفعلية الواسعة للاستعمار الأوروبي في العالم العربي، ففتح الجزائريون أعينهم على واقع لم يستطيعوا تجرعه، وهو أن فرنسا جاءت لتبقى، وأن أموالهم وأراضيهم ومقدساتهم صودرت وأصبحت ملكا للفرنسيين، وأن المذابح ترتكب في حق الأبرياء دون ردع.²

منذ اليوم الأول أخذت السياسة الفرنسية شكلها الاستبدادي وظهرت من خلال تجاوزات الاحتلال الفرنسي؛ التي طالت حتى المقدسات. فمثلا قبل الاحتلال كان يوجد بالجزائر العاصمة وحدها 176 مسجدا منها 13 مسجدا جامعا-تقام فيها الجمعة بخلاف المصليات-حسب إحصاء أندري رايmond A.Raymond والمنشور في كتابه المدن العربية الكبرى، لم يبق منها سنة 1899 سوى خمسة مساجد،³ هذا ما لم نأخذ برواية الرحالة الهولندي دابر O.Dapper والتي مفادها أن المساجد في العاصمة في القرن السابع عشر كان عددها 700 مسجد معظمها تقع في مقابلة البحر.⁴ وأهم المساجد المتضررة بالعاصمة جامع كتشاوة الذي احتلته القوات الفرنسية بأمر من الجنرال الفرنسي الدوق دوروفيغو De Rovigo يوم 18/12/1831 عندما قتلت وجرحت 4000 جزائري، الذين اعتصموا به لحمايته، وقد حول يوم 24/12/1832 إلى كاتدرائية القديس فيليب (C. Saint-Philippe)، وأكثر من ذلك، فلم تسلم حتى عظام الأموات من التدنيس.⁵

استكثر الفرنسيون على الجزائريين مال الأوقاف، بحجة أنها تفيض على حاجتهم وحاجة ديانتهم الإسلام، فتمت مصادرة العقارات والأراضي التابعة للمؤسسات الوقفية الإسلامية، وشملت أوقاف مكة والمدينة، وأوقاف سبل الخيرات، وأوقاف الأندلس، وأوقاف بيت المال، وأوقاف الثعالبي، هذا فيما يخص العاصمة ونواحيها.⁶ واستهل القائد العام لجيش الاحتلال المشير كلوزال CLAUZEL عهده بإصدار قرار مؤرخ في

¹ - Charles-Robert Ageron, *histoire de L'Algérie contemporaine(1830-1988)*, neuvième édition presses universitaires de France, Paris, 1990, p9.

² - أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط3، م الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص63، 66.

³ - بوعزة بوضرساية، وآخرون: الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية خلال القرن التاسع عشر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1954، الجزائر، 2007، ص 152، 153.

⁴ - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص80.

⁵ - بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، ص 64، 65.

⁶ - ينظر: سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء5، مرجع سابق، ص ص 164، 178.

08 سبتمبر 1830م نصّ على مصادرة جانب من التراث المعماري المحليّ، إذ جاء المادة الأولى منه «كل المنازل والمحلات، والحدائق، والعقارات، والمؤسسات مهما كان نوعها؛ التي كانت في حيازة الدّاي والبايات؛ أو تُدار نيابة عنهم، وأية مؤسسة تابعة لأوقاف مكة والمدينة، وجب ضمها لأملك الدولة الفرنسية». ثمّ دعمه بقرار ثانٍ، مؤرّخ في 07 ديسمبر 1830 تم فيه مصادرة ما تبقى من الأوقاف الإسلامية، وأملك الغائبين. أيضاً ولتغيير الطابع العام؛ تم هدم ثمن مباني العاصمة في بداية الاحتلال، وتواصلت العملية حتى طالت ثلث منشآت المدينة؛ مع تقديم وعود كاذبة بالتعويض حتى يتم السيطرة على الوضع.¹

ونفس الشيء بالنسبة للممتلكات الخاصة؛ حيث وثق حمدان بن عثمان خوجة وهو شاهد عيان بعض التجاوزات فيذكر في كتابه المرآة: «أما الجزائريون الذين أخرجوا بحد السلاح من مساكنهم فإنه لا يدفع لهم ثمن بيع ولا كراء»، ويذكر أمثلة: «استولى الجنرال ك... على ضيعة جميلة تحتوي على بنايات ممتازة بها جميع المرافق... كما استولى على ضيعة أخرى تسمى والي دادي تابعة للمؤسسات الخيرية، واستولى على أخرى تعرف بالأغا أو الدار المربعة؛ ابتناها يحي آغا وكلفته أكثر من مليون من الفرنكات، وهذا الجنرال لا يدفع ثمن كراء ولا يدفع العقود لأصحابها».²

ويشير تقرير لسنة 1839 إلى أن نصف المباني التابعة للأوقاف في العاصمة، قد اختفت بالهدم أو منحت لجهات أخرى، وكمثال على ضخامة الأوقاف في المدن الجزائرية، ضرب مثالا بأوقاف سيدي بومدين شعيب بتلمسان وما حولها، حيث كانت تبلغ ربع أملك تلمسان، والتي أيضا استحوذ عليها الفرنسيون، عدا المساجد والقباب والزوايا التي صودرت عقاراتها وأراضيها، والتي كان يعيش عليه آلاف المسلمين كموظفين، ومنذ القرار المشيخي 1863، وضعت فرنسا يدها على الأوقاف الريفية، بعد أن اقتصرت قبلها على الأوقاف الحضرية، ويذكر المؤرخ أ. سعد الله أن منطقة التل والهضاب العليا، لم يعد فيها أوقاف على الإطلاق، بل أصبحت كلها من أملك الدولة.³ ويعترف السياسي الفرنسي إ. د وتوكفيل A.de Tocqueville بما جناه الاستعمار الفرنسي على الجزائر، حيث جاء في تقريره: «لقد بسطنا أيدينا على تلك الموارد-موارد المؤسسات الخيرية الهادفة للتكفل بحاجيات الناس والأوقاف-وتركنا لمدارس تنهاوى، وشتتنا المحاضر (الكتاتيب) فانطفأت الأنوار حولنا... أننا تركنا مجتمع المسلمين في حالة من الجهل.. أكثر من التي كان عليها قبل أن يتعرف علينا».⁴

¹ - ينظر: بوعرور شفيقة: تسيير واستغلال التراث الأثري الجزائري في ظل حكم الإدارة العسكرية الفرنسية 1830-1860، رسالة دكتوراه، قسم علم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2022. ص 88، 97، 98.

² - خوجة: مرجع سابق، ص 265، 266.

³ - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، مرجع سابق: ص 161-178.

⁴ - شارل روبير أجرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج 1، تر: حاج علي مسعود وأ، بكلي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص 582.

ثوابت ومرجعيات السياسة الاستعمارية الفرنسية

- حسب فريد حاجي فإن الإطار المرجعي للسياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر يرتكز على الثوابت التالية:

1- الروح الصليبية الدفينة في هذه السياسة رغم الادعاء باللاتينية والعلمانية.

2- الاعتقاد بالحق في الإرث الروماني.

3- استغلال مبادئ الثورة الفرنسية في محاولات التغيير الاجتماعي.

4- الإيمان بأطروحة المركزية الأوروبية.

- كل هذه المنطلقات أنتجت سياسة راهنت على الإستراتيجية التالية

1- إدخال رموز ثقافية أوروبية جديدة دخيلة: نماذج عمرانية، مؤسسات، نظم، لتغليب الهوية اللاتينية.

2- استدعاء كل التخصصات العلمية لتوظيفها في التشريح للواقع الثقافي والاجتماعي في الجزائر، وتوظيف ذلك للتأسيس للبديل الثقافي وشرعنته.

3- توظيف الفضاء المدرسي، التبشير، الحالة المدنية، القضاء، لاخترق سلم قيم المجتمع المسلم.¹

- كما عمل الاستعمار الفرنسي على طمس تاريخ الجزائر معتمدا على الوسائل والبرامج التالية:

1- محاربة اللغة العربية، والغريب في هذا الشأن أن الفرنسيين بقدر ما كانوا حريصين على تعلم اللغة العربية لأنفسهم، بقدر ما كانوا يمنعون الجزائريين من تعلمها.

2- تغييب تدريس التاريخ الجزائري في المدارس الرسمية، وبداية من 1880 أجبر التلاميذ على دراسة تاريخ وجغرافية فرنسا، ولقنوا أن أصول الجزائريين غالية (بلاد الغال).

3- استيلاء ضباط المكاتب العربية والمستشرقين على المخطوطات التاريخية الجزائرية.²

4- كما ضاع الأصل العربي للمذكرات المعاصرة،³ لمرحلة الاحتلال، أما الذي بقي من أرشيف الجزائر، فقد قامت الإدارة الاستعمارية بنقله من الجزائر إلى فرنسا قبيل الاستقلال.⁴

¹ - فريد حاجي: السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر 1837-1937، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة، الجزائر، 2013، ص 8.

² - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 8، ص 19. أيضا- ج 7، ص 310، 311.

³ * - وفي هذا الجانب يلاحظ أن كتاب العنتري الفريدة المؤسسة المطبوع منذ 1852، لم يترجم إلا سنة 1929، واختفى من الترجمة الفرنسية مؤلفه وعنوانه الأصلي، وكتاب تاريخ قسنطينة لأحمد بن المبارك الذي ألف بالعربية سنة 1852، لم يترجم إلا سنة 1913، وضاع أصله العربي، ومذكرات الحاج أحمد باي، لم تظهر إلا سنة 1949 وبالفرنسية، وقد طبعت سنة 1852 عشية وفاته، ومذكرات حمدان بن عثمان خوجة لم تظهر إلا سنة 1913 وبالفرنسية فقط. - ينظر: سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، ص 451، 452.

⁴ - في مقابلة له مع جريدة Le Soir Dalgerie المؤرخ عبد الكريم بجاجة المدير العام السابق للأرشيف الوطني الجزائري يقول: كيف تسمح فرنسا لنفسها بالادعاء بأن بلدنا لم تكن موجودة، لا أرشيفات؟ ولا مؤسسات؟ ولا خزينة؟ لكن الواقع أن فرنسا كانت قد نقلت المحفوظات الوطنية وأرشيفات ووثائق الجزائر، وتساءل لماذا هذا الاهتمام بهذه المحفوظات وماذا تحتوي؟، يضيف بجاجة: لقد تفاوضت شخصياً على إعادة المعاهدات (الأصلية) الموقعة مع الدول الغربية (معاهدات موقعة مع 20 دولة) ولا تزال هناك 59 معاهدة (أصلية) موقعة مع فرنسا نفسها، مع العلم أن هذه المعاهدات موجودة في نسختين، واحدة لكل دولة -جريدة: Le Soir Dalgerie عدد 10-06-2021.

2- الاستعمار وتغيير هوية الفضاءات

بداية القرن العشرين وبعد سبعين سنة من الاحتلال، حكم الاستعمار الفرنسي على خمسة ملايين جزائري مسلم بالقنانة الدائمة، لخدمة 500 ألف أوروبي وفدوا للجزائر مع الاستعمار، هذه الأقلية الصغيرة كانت تتحصل على امتيازات هائلة، وتحكم الدولة وحدها لمصلحتها الخاصة، بينما لا يأخذ في الاعتبار حقوق ومصالح الشعب الجزائري، زيادة على أن المسلمين عرضة للتشهير من قبل الأوروبيين.¹ كانت المقاومة الوطنية في الجزائر تستمد عنصر الاستدامة من الاعتزاز بالموروث الحضاري الزاخر، خاصة الدين، فالدور البارز في تشكيل عقل الإنسان المغاربي، وتشكيل نفسيته ووجدانه وهويته هو الدين، إذ يمثل القاعدة التي تركز عليها ذاكرة الأمة، وحاضرها ومستقبلها، فكما هو ضروري للاستقرار في حالة السلم، فهو ضروري أيضا؛ لتعبئة الطاقات في حالة الحرب.² وتأسيسا على ذلك كان الفضل للإسلام في إشاعة روابط التجانس والمساواة والتضامن والأخوة بين الناس، ذلك أن الدين الإسلامي يسر امتزاج اجتماعي عميق بين سكان الجزائر، بين عربي وبربره، ولقد تيسر هذا، لأن الإسلام دين البشرية عامة، ولأن رسالته تحث على إشاعة العدل والإنصاف بين الشعوب، أما بعد الاحتلال الفرنسي فقد ظلت العلاقة بين الأوروبيين والمسلمين تطبعها صلة الغالب بالمغلوب، وبقي المجتمعان الجزائري والفرنسي على طرفي نقيض.³

حوصر التعليم الديني بصفة عامة، حيث يشير أجرون Ageron لذلك فيقول: «ورغم أن الدين اعتبر حرا؛ فإن التعليم الديني تقريبا أنه لم يكن مقبولا» ومن جهة أخرى فإن السياسة الثقافية الاستعمارية، اتجهت لحيازة المكان ثقافيا، من خلال تغيير الكثير من أسماء المدن الكبرى، بل تدخلت فرنسا في فرض نمط معين للألقاب لدى الجزائريين حين تم إنشاء السجل المدني، حيث تم إلزام الجزائريين بألقاب جديدة لزمتهم، ولزمت ذرياتهم من بعدهم.⁴ وقد اعتمدت الإدارة الاستعمارية تلك السياسة لأهداف معينة، وقد أدت إلى طمس وتشويه الذاكرة، والذوق الاجتماعي واللغوي للجزائريين، عبر تطبيق قانون الحالة المدنية، والذي حمل بين طياته عند تطبيقه إفساد لغة التخاطب، وتوحيش الأسماء؛ والألقاب؛ والتي مازالت آثارها لم تندمل إلى الآن، على الكثير من العائلات الجزائرية، التي مازالت تعاني من الآثار السلبية لهذا القانون؛ فالكثير من الأسر بقيت تحمل ألقابا بدلالات نابية أو مشينة، فموجب قانون 23 مارس 1882 تم إلزام الجزائريين بالتسجيل في دفتر الحالة المدنية، وأثناء ذلك فرض بديل عن

¹ - Claude culott et jean robert henry, op .cit , p26.

² - ابن عبد الله محمد: سيكولوجية الشخصية المغاربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص 69، 202

³ - بن يوسف بن خدة: جنود أول نوفمبر 1954، تر: مسعود حاج مسعود، دار هوم، الجزائر، 2010، ص 255.

⁴ - شارل روبير أجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، تر: عيسى عصفور، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1982، ص 106.

الألقاب المتوارثة؛ التي عادة تبدأ ب: ابن- أبو- بو- ولد. أو الانتساب إلى القرية، المدينة، الناحية مثل: السوفي، الوهراني. أو الطريقة: القادري...، الحرفة: النجار...، وألزمهم بأسماء بقيت ولازمتهم وأحفادهم تحمل صفات معيبة، وعادة ما تكون أسماء لحيوانات، أو القاذورات، أو لعاهات أو ألقاب النبز التي تحمل صفات الذم والدناءة مثل: رأس الكلب، بكرة، بقرة، أطرش، العقون، بوخنونة، مجنون، هايشة، حيوان، الحنش* بل وهناك ألقاب تحمل كلمات بذيئة.¹

ومن المظاهر الصارخة لطمس هوية البلاد، حذف أسماء المدن الجزائرية والشوارع وإحلال محلها أسماء فرنسية (الشكل 2) والتي رافقها إفراغ مناطق من سكانها، ونفي مواطنين خارج البلاد، وتهجير البعض أو دفعهم للهجرة في إطار سياسة فرنسة كل الفضاءات.²

الشكل 2: عينة من أصل حوالي 490 قرية ومدينة استبدلت أو حرفت اسمائها في الجزائر

لبعض المدن الجزائرية التي غيرت اسمائها زمن الاحتلال الفرنسي 1830-1962-

المدينة	الاسم المفروض زمن الاحتلال	المدينة	الاسم المفروض
الأخضرية ⇔	باليسترو (Palestro)	الأربعاء ناث إرائن	Fort- National
عين الدفلى	(ديباري) Duperré	سعيدة	Pélissier
عين التركي	(مرغريت) Margueritte	شلاله العداورة	Maginot
المهدية	(ماكدونالد) Mac-Donaldlh	مدالة	Maillot
الشلف	(أورليانفل) Orléansville	حجوط	Marengo
عين وسارة	(بول غازال) Paul Cazelles	الثنية	Ménerville
تاجنانت	(سانت دونات) Saint-Donat	خميس مليانة	Afreie
س ر الغزلان	(أومال) Aumale	عين أزال	ampère
سكيكدة	(فيليب فيل) Philippeville	الحمادية	Victor-Hugo
العلمة	(سانتارنو) Saint-Arnaud	قصر البخاري	Boghari
عين الحمام	(ميشيلي) Michelet	أم البواقي	Canrobert
ذراع بن خدة	(ميرابو) Mirabeau	عين البيضاء	Suffren
عين التوتة	(ماكماهون) Mac-Mahon	تيسمسيلت	Vialar
برج الكيفان	فور دلو Fort-de-l'Eau	قصر الشلالة	Reibell

المصدر.³

* - كلمات عامية جزائرية: أطرش(الأصم) العقون(الأبكم) هايشة (حيوان من الأنعام) بوخنونة (خنونة: مخاط الأنف)

¹ - ينظر: بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، مرجع سابق، ص282.

² - سعد الله: الحركة الوطنية، ج3، مرجع سابق، ص66.

³ - Michel Malherbe : Quand l'histoire change les noms de lieux Les lieux, à dénominations multiples, L'Harmattan, Paris 2008 , p 10-17.

3- الاستعمار وحدود وأهداف الفعل الثقافي في الجزائر

نالت الجوانب الثقافية حظها من الاستهداف، فقد عملت سلطات الاحتلال الفرنسي جاهدة على ضرب كل ما له علاقة بعروبة الجزائر وإسلامها من خلال والباحثين والمستشرقين؛ الذين عملوا على تلوين الذاكرة الوطنية عبر أساليبهم كتاباتهم المسمومة، وفي مقدمتها الترويح لـ لاتاريخية الشعب الجزائري لقطع أوصاله التاريخية؛ لتبرير فكرة الفراغ الحضاري، والتشكيك في مختلف محطاته وأحداثه المتعلقة بمرحلة الحضارة العربية الإسلامية.¹ ولإنجاح الاحتلال جندت فرنسا أجيال من المستشرقين والباحثين من أهل الكفاءة لدراسة واختراق المجتمع الجزائري، جندت فرنسا كفاءات علمية للعمل في الجزائر من المتخصصين في الدراسات الشرقية من أمثال: ماسكري *É. Masqueray*، هوداس *Houdas*، فانيان *E. Fagnan*، وباصيه *R. Basset*، وميرسييه *W. Marçais*، وجورج مارسييه *G. Marçais*، جورج دلفان *Georges Delphin*، وموليراس *A. Moliyras* ودوتيه *E. Doutté*، ديبارمي *Desparmet* وغيرهم الذين انكبوا على دراسة التراث الجزائري، وساهموا في عملية الجمع والترجمة.²

وكمثال من هذه الكفاءات نجد إيميل ماسكري *É. Masqueray*، والذي في إحدى جولاته في بلاد القبائل غداة قمع ثورة 1871 فكر بوضع خطة لنشر التعليم الفرنسي في بلاد القبائل قائلا: «لا يمكن أن يكون النصر مشروعاً إن لم يستفيد منه المغلوب» وقام بدراسة مشروع محدد بعث به للحاكم* العام سنة 1874، وينقل المؤرخ أجرون، *Ch.r. ageron*: «وحيث أن تنصير بلاد القبائل عملية مستحيلة فقد كتب المستشرق ماسكري *É. Masqueray* سنة 1876 أنه إذا صدق العزم من الفرنسيين فإن بلاد القبائل ستتحول بعد جيل أو جيلين وتصير فرنسية».³ وفي هذا السياق كتب «المسيو جلاي»؛ أحد موظفي الإقامة العامة الفرنسية بالمغرب: «يجب أن نحذف تعليم الديانة الإسلامية واللغة العربية في المغرب في مدارس البربر وأن نكتب البربرية بحروف لاتينية... يجب أن نعلم البربر كل شيء ما عدا الإسلام».⁴

¹ - علي قشاشني: التوجه المعادي للعروبة والإسلام في السياسة الفرنسية بالجزائر 1871-1954، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2021. ص 357.

² - ينظر: سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، مرجع سابق، ص 32، 33.

* - وهو إميل ماسكري *Émile Masqueray* 1843-1894 (التحق بثانوية الجزائر أستاذا سنة 1872 وكان محرراً في جريدة المبشر، درس التصوف على يد الشيخ علي بن سماية، وهو أول مدير لمدرسة الآداب بالجزائر، فكان كثير التجوال، فقد زار الأوراس وكتب عنها، وزار ميزاب وزواوة بعد ثورة المقراني وأخذ يتردد عليها منذ 1873. وعند زيارته لزواوة بتكليف من الحكومة سنة 1882 أوصى بتأسيس مدارس ببني بني وتيزي راشد ومير وجمعة الصهاريج، وأقام صداقة مع بعض التجار الميزابين حين زارها سنة 1882 تمهيداً لاحتلالها، يقول عنه *أوغسطين برنار* أن دور ماسكري لا يقل عن دور الضباط، وأن دوره هو امتلاك الجزائر بالقلم والكلمة، بعد أن امتلكت بالسيف والمحراث، - ينظر: - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، مرجع سابق، ص 35.

* - كان الحاكم العام الفرنسي في الجزائر آنذاك هو أنطوان ألفريد أوجان شانزي: *Antoine Alfred Eugène Chanzy*.

³ - ينظر: أجرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج 1، مرجع سابق، ص 596-612.

⁴ - الفاسي: مرجع سابق، ص 162-164.

ضمن سياسة التجزئة والتفكيك وبتاريخ 12 فيفري 1873 عرض الكولونيل قائد الدائرة «بالأربعاء ناث يراثن» على الحاكم العام دوقايدون De Geydon مخططا يرمي إلى فرنسة القبائل، وجاء فيه: «شعب عملنا على تعريبه أكثر مما سعينا إلى فرنسته، واقترح إذن أن تلغى نهائيا جميع المدارس المختلطة العربية-الفرنسية، وأن نبذل ما في وسعنا من جهد من أجل أن تلقى الزوايا في طي النسيان، وأن ننشئ في بلاد القبائل مدارس فرنسية»¹ لذلك نلاحظ أن من نتائج السياسة الاستعمارية في شقها الثقافي، أن انتشرت الأمية في الجزائر، واستبعدت اللغة العربية من أي دور في الإدارة والتعليم، وفق استراتيجية مقصودة، والتي جهر بها المستشرق بول مارتي P. Marty أحد واضعي السياسة البربرية في شمال إفريقيا، في تصوره لما يجب أن يكون عليه الحال فيقول: «أن اللغة العربية عامل إسلام وأن هذه اللغة تُتعلّم في القرآن... وأن مصلحتنا أن يتطور البربر خارج الإسلام»² وقد أسس الاحتلال الفرنسي ايديولوجيته على ثلاثة منطلقات مركزية وهي:

1- التشكيك في مكانة الإسلام، التي اتخذت لها استراتيجية طويلة النفس، فعن طريق المدرسة والجامعة أصبح من أبناء الإسلام من ينوب عن الغرب في محاربة الإسلام.

2- الحكم على النخب السياسية الوطنية بالعجز في حقل بناء الدولة وتنظيم المجتمع، والقول بخلو تاريخ المغرب العربي من أي شكل من أشكال الانتظام السياسي، والهدف محاولة إثبات عجز الجزائريين عن إدارة المجال العام، وإقامة وحدة سياسية لمناطق الجزائر، أي عجز في مجال بناء الدولة، فيعني ذلك أن وجود الاستعمار والأجنبي، مبرر بل وضروري لوجود الدولة وحفظ النظام.

3- محاولة إثبات انعدام وحدة وطنية تاريخية اجتماعية وإثنية لسكان المنطقة، ومكوناتها الاجتماعية والثقافية.³

4- يضاف لذلك سياسة الاستعمار الممنهجة لضرب التماسك الاجتماعي، وهذا ما ينقله المؤرخ أجرون Ageron على لسان أحد ساستهم: «على فرنسا أن تطور غريزة العداوة بين العرب والقبائل»⁴.

وكمثال لاهتمامات طليعة منظري الاستعمار نذكر مثلا لأستاذ فرنسي للحقوق العرفية البربرية في المغرب مهتم بكل تعلق بإخراج البربر عن الإسلام، وهو المسيو جورج سوردون G. Surdene الذي تحدث إلى طلبته سنة 1928 فقال: «يجب جمع العوائد البربرية، لا للمحافظة عليها وتخليدها، انها محكوم عليها بالاندثار أمام قانون أرقى منها، ولكن أولى لنا أن ندمجها في القانون الفرنسي من أن تدمج في الشرع الإسلامي، وإذا كانت العوائد العرفية لا مناص لها من الاضمحلال أمام شرع مدون، فلماذا لا تضمحل أمام شرعنا نحن الفرنسيين؟، الا يمكن أن يتخذ البرابرة في يوم من الأيام نفس القوانين الفرنسية»⁵.

1 - أجرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج1، مرجع سابق، ص 610.

2 - أبو بكر القادري: مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992، ص 42، 43 .

3 - مالكي: مرجع سابق، ص 217.

4 - ينظر: أجرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج1، مرجع سابق، ص ص 596-612،

5 - القادري: مرجع سابق، ص 46.

4- نشاط أذرع الاستعمار الثقافية في الجزائر

حاول بعض الكتاب الفرنسيين الادعاء بأن الفضل يعود للأوروبيين في النهوض بالجزائر حين كتب هنري تيراس H.Terrasse والمتخصص في الفن الإسلامي عن الجزائر في عام 1947، أن الجزائر كانت بلدًا واقتصاديًا ضائعًا، حاول المستعمرون النهوض به،¹ والواقع عكس ذلك، فالجزائر اقتصاديا كانت مكتفية ولديها فائض، وخير شاهد شحنات القمح المصدرة لفرنسا لفك الحصار عن الثورة الفرنسية نهاية القرن 18، أما ثقافيا فخير دليل ما يورده الكتاب الأوروبيون أنفسهم، فيقول أحدهم: «أن السكان الجزائريين كانوا أكثر تعليما من السكان الفرنسيين فغالبية الرجال يعرفون القراءة والكتابة»، وللدلالة على بطلان فكرة أن فرنسا جاءت لتحضير وتعليم المجتمع الجزائري، نورد أنه عشية الاستقلال سنة 1962، فإن الأمية كانت هي السائدة، مقارنة مع عدد المتعلمين، لذا فقد ثبت العكس، ففرنسا جاءت لتجهيل الجزائريين.²

في ظل الاستعمار الفرنسي، استبيحت الجزائر من قبل الجمعيات المشبوهة، والمرتبطة ارتباطا وثيقا بالاستعمار والصهيونية، فقد تسربت المحافل الماسونية إلى شمال إفريقيا منذ القرن 19، وكانت تعمل جهارا نهارا في الجزائر المستعمرة، وعقدت الحركة الماسونية 12 مؤتمرا في الجزائر بين 1903-1938م، واهتمت أذرع الماسونية بالتأثير في الناشئة، فجاء في توصيات أحد مؤتمراتها «يجب أن ننزع الأخلاق من أسسها، خاصة في الجمعيات الرياضية، والفرق الموسيقية، وغيرها من المؤسسات، التي لها علاقة بالناشئة»،³ وفي كتابه قصة حملة يتفاخر الدوق دوروليان Duc-D'orléans أن من بين الوسائل التي استخدمها الجيش الفرنسي بنجاح هي نشره للخمر بين الشباب الصغار.⁴ وقد انتقلت أفكار وسموم المدرسة الاستشراقية لبعض طلبتهم من الجزائريين، الذين بلغ بهم الاستلاب أن كل مالا يوافق أو يمر عبر الأكاديمية الفرنسية هو خال من الروح العلمية، ومجرد خيال أدبي، وقد انبرى هؤلاء المتغربون ليكملوا على عاتقهم مهمة المستشرقين والمدارس الغربية المعادية للإسلام، في الكيد لكل ما هو عربي ومسلم، ضمن مشروع غربي يعتمد على بث التشكيك واحتقار الذات، لدى أبناء المسلمين، تحت شعارات ظاهرها التفتح وحرية التفكير، وهدفها ازاحة الإسلام من المنطقة، وفق رؤية جيو-سياسية، لإعادة تموقع حضاري بدأت مع حرب الاسترداد؛ ونشطت مع انطلاق الكشوفات الجغرافية والاستعمار الحديث.⁵

1 - Gilbert Meynier: *L'Algérie et la France, deux siècles d'histoire croisée*, Edition L'harmattan, France
بتصرف. p10, 2017.

2 - يوسف مناصرية: *أراء ومواقف من تاريخ الجزائر المعاصرة*، دار هومة، الجزائر، 2013، ص111، 123.

3 - وجاء في مؤتمر المحافل الماسونية لشمال إفريقيا، المنعقد بنيروبي وزو يومي 12 و13 أبريل 1903: «إنه يجب تربية الأطفال وفق منهج مقرر، موضوع من طرف الدولة، وأن الذين يريدون تربية أطفالهم وتعليمهم بصورة خاصة في البيوت، يجب أن يخضعوا للمعلمين».
-ينظر: مناصرية: *دراسات وأبحاث*، مرجع سابق، ص234. 236.

4 - سعد الله: *تاريخ الجزائر الثقافي*، ج8، مرجع سابق، ص17.

5 - نفسه ص111، 123.

لترسخ وجودها في المستعمرات اهتمت فرنسا -في حدود معينة- بدعم خيارين للتغيير، هما التعليم والتبشير، وقد استطاع الأب شارل دوفكون Le père Ch de Foucauld، الذي كان في تمارست، من أن يقوم بعمل المعاينة لصالح الاستعمار، تحت غطاء أعمال الخير، إلى غاية اغتياله سنة 1916¹. ولعل من أشهر المبشرين نجد الكاردينال لافيجري Lavigerie الذي قاد الغزو الروحي بعد الغزو العسكري الفرنسي في الجزائر، وقد ساعدته مؤهلاته العلمية وشخصيته الطموحة، والدعم الكبير الذي تلقاه من الكنيسة ومن الفاتيكان ومن الإدارة الاستعمارية، مما ساهم في تعدد نشاطاته في الجزائر.² وقد شجعت الحكومات الفرنسية التنصير واعتبرته عنصرا مهما لتحقيق الأهداف التالية:

1- تكريس الاستعمار.

2- إيجاد قاعدة بشرية موالية.

3- القضاء على الثورات وأسبابها.

4- القضاء على مكانة الإسلام وتقزيم امتداده الجيوسياسي في إفريقيا. وقد أهتم المبشرون بإيجاد قنوات للتواصل مع الأهالي حيث عمد الآباء البيض إلى استراتيجية غير مباشرة، من خلال التقرب إلى قلوب الأهالي عبر تقديم الخدمات،³ فكانوا يرتدون اللباس المحلي، من برنوس وقندورة وشاشية وتعليق السبحة، إلى جانب إتقانهم للغة الأمازيغية،⁴ حتى لقبهم سكان القبائل بالمرابطين النصارى.⁵

¹ - قداش: جزائر الجزائريين، مرجع سابق، ص202.

² - الكاردينال لافيجري Ch- M- Lavigerie 1825 وأهم أعماله في الجزائر:

- تمكن من تأسيس أول جمعية دينية تبشيرية بالجزائر وهي جمعية الآباء البيض 1868م. ثم أسس جمعية الأخوات البيض والتي استمد لباسها من لباس الجزائريين لتكون مطابقة لمواصفات الطبقة الدينية الجزائرية. للاحترام الذي يكنه الجزائريون لعلمائهم.

- تربيته لهياكل مسيحية أشهرها كاتدرائية السيدة الإفريقية في أعالي مدينة الجزائر .

- تدشينه لقريتين مسيحتين عربيتين من يتامى مجاعة 1867-1868 بعد تلقيه الدعم الرسمي والتمويل.

- تدشينه فرقة إخوان الصحراء المسلحين المتواطئة مع الاستعمار.

- ربط التبشير بالعمل الإنساني بإنشائه مستشفيات وفق تصميم هندي عربي اسلامي لاستمالة قلوب الجزائريين.

- وضع استراتيجية لاحتلال افريقيا ومنطقة البحيرات العظمى(منطقة الصراع الاستعماري).

-محاولة اثبات التماثل العرقي والمواصفات البيولوجية والمورفولوجية، بين العنصر البربري والعنصر الفرنسي، لخلق لبنان في الجزائر(وهنا تترك العلاقة بين التبشير والاستعمار). -ينظر: سعدي مزيان: النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري وأساليب المواجهة الجزائرية

1892-2867، ط1، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص4.

³ - ولد خليفة: الاحتلال الاستيطاني، مرجع سابق، ص82.

⁴ - محمد الطاهر وعلي: التعليم التبشيري في الجزائر، 1830-1904، دحلب، الجزائر، 1997، ص ص 220- 228.

⁵ - محمد أرزقي فراد: التعليم الفرنسي ببلاد زاوية أثناء فترة الاحتلال، أعمال الملتقى الوطني الأول حول: التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال 1830-1962، المنعقد بعنابة 14-15-جوان 2009، منشورات المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر 2011، ص56.

5- الاستعمار ومسألة التعليم في الجزائر

أ- هواجس الفرنسيين من التعليم

يرى المؤرخ أبو القاسم سعد الله أنه إذا كان العثمانيون تركوا مسألة التعليم لأهل البلاد، فالفرنسيون جعلوا من التجهيل سياسة يتبعونها بدقة، فقطعوا عن تعليم الجزائريين منبعه الوحيد وهو أملاك الأوقاف التي صادروها.¹ وقد كانت المساجد تجمع بين وظائف عدة، إضافة لكونها للعبادة، كانت أيضا للتعليم لذلك استهدفت من قبل الاستعمار، وهناك تقرير يخص مرحلة بداية الاحتلال، يشير فيه تشارلز مانغاي Charles Mangay قائد الهيئة الملكية للهندسة، إلى وجود 89 مسجدا، وثقتها بأسمائها وأماكنها في العاصمة وحدها، لهذا كانت الأمية نادرة قبل الاحتلال.²

كان نظام التعليم الأهلي في الزوايا منظما في حدود المتاح، فالمؤدب يقوم بتحفيظ الصغار القرآن الكريم، والقراءة والكتابة، واليوم الدراسي منظم الى ثلاث فترات، الصبح والظهيرة وقبل المغرب، وتبدأ العطلة من ظهيرة الأربعاء إلى ظهيرة الجمعة، مع وجود ثلاث عطل سنوية، خمسة عشر يوم قبل وبعد كل من عيد الاضحى، وعيد الفطر، وعشرة أيام عاشوراء، وهي إجمالا إثنين وسبعين يوما في السنة، وقد بقي هذا النظام معمولا به في زوايا القطر.³ وهنا ويورد الرحالة الألماني فيلهام شيمبرا Chimbra Filham، بعد أن زار الجزائر سنة 1831 قائلا: «لقد بحثت قاصدا عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة، غير أنني لم أعثر عليه، في حين أنني وجدت ذلك في بلدان جنوب أوروبا».⁴ بينما تشير مراجع أن نسبة المتعلمين في الجيش الفرنسي كانت متدنية وبلغ عدد الأميين (45%) من الجيش الفرنسي.⁵

وقد أزعج الاستعمار وجود المدارس العربية الكثيرة بمنطقة زواوة، لذلك أغلقت الإدارة الكولونيالية ثلاثة أرباع المدارس الأهلية بين 1861-1879، ليصبح التعليم العربي شبه سري.⁶ وحتى الثقافة الفرنسية لم يسمح بها لكل الجزائريين، وفي هذا الإطار جاء رد ممثلي المعمرين على مشروع جول فيري Jules Ferry، لتطبيق التشريع الفرنسي في الجزائر بشدة، ومن الجميع جاءه الرد التالي: «إذا عم

¹ - أبو القاسم سعد الله: لوحة عن نظام التعليم بالجزائر في العهد العثماني، أعمال الملتقى الوطني الأول حول التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال 1830-1962 المنعقد بعنابة 14-15-جوان 2009، منشورات المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2011، ص27.

² - سعد الله: الحركة الوطنية، ج1، ص80. و-أ. بيليسي: حوليات جزائرية، تر: محند أوسعيدان، مج 3، أصالة، الجزائر، 2013، ص455.

³ - ينظر: سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص 47، 48.

⁴ - حميطوش: مرجع سابق، ص37، 38.

⁵ - إسماعيل العربي: الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص61، 62.

⁶ - محمد العربي ولد خليفة: الاحتلال الاستيطاني، مرجع سابق، ص82.

التعليم سيصبح الأهالي منفقين على أن الجزائر للعرب»¹، وهذا جزء من السياسة التعليمية الفرنسية تجاه الأهالي في الجزائر، فإنه وفي أحسن الأحوال-وليس في كل المناطق- التحق أقل من 4٪ من أبناء المسلمين ممن هم في سن التمدريس بالتعليم إلى غاية عام 1913.²

إن حذر وتوجس الفرنسيين من انخراط الجزائريين في التعليم، والوظائف العسكرية، تكشفه مصادرهم، فهذا وزير للحربية الفرنسي، عندما عرض عليه تقرير للوزارة، فيه دعوة لقبول الجزائريين في التخصصات العليا المدنية والعسكرية، سجل ملاحظة على هامش التقرير: «يبدو من غير المقبول سياسيا، قبول الطلبة الجزائريين بالمدارس العسكرية، يجب أن لا ننسى أن يوغرطة تلقى تكوينه في الجيش الروماني نفسه».³ ونظرة الريبة هذه لم تسلم منها حتى المدارس الشرعية، الخاصة بتخريج موظفي الدولة لقطاع الشؤون الدينية والقضاء، التي أنشأتها إدارة الاحتلال سنة 1850، فوصفها الحاكم العام للجزائر دوقايدون de Gueydon «بأنها مراكز الخبث والتعصب» وقال: «إن المتخرجين منها قد أضافوا إلى تعصبهم خطر آخر هو أنهم بدأوا يعرفوننا».⁴

كان مردود شعارات الثورة الفرنسية وفائدتها على الأوروبيين فقط، وبقيت القوانين الاستثنائية المطبقة على المسلمين سارية إلى غاية أربعينيات القرن العشرين،⁵ وقد عارض المعمرون الأوروبيون تعليم الجزائريين، للحيلولة دون نهضة الجزائريين، وقد تبنى مؤتمر المعمرين سنة 1908 بالإجماع إلغاء التعليم الابتدائي للأهالي.⁶ وذهب المجلس البلدي لمدينة الجزائر خلال 1880-1882 إلى المطالبة بإغلاق المؤسسات التعليمية الموفرة على نظام داخلي، لاعتقادهم أن تعليم الجزائريين المسلمين خطر على وجود الاستعمار.⁷ وحول هذه الهواجس سجل ج. ديبارمي J. Desparmet ملاحظاته: فيروي أن أطفال المدارس إذا رددوا ما جاء في الكتب المدرسية الفرنسية من أن أجدادهم هم سكان بلاد الغال(فرنسا) فإن أطفالا آخرين يجيبونهم بأن أجدادهم هم العرب المسلمون.⁸ وتوثيق هذه الملاحظات يدل على مدى ارتباط الأكاديميين الفرنسيين بالمشروع الاستعماري.

¹ - مهساس أحمد: الحقائق الاستعمارية والمقاومة، دار المعرفة، الجزائر، 2007، صص 38-49.

2 - Didier Guignard: *l'abus de pouvoir en Algérie coloniale 1880-1914 visibilité et singularité*, presses universitaires de Paris, Nanterre, France, 2010, p51.

³ - جمال قنان: التعليم الأهلي، مرجع سابق، ص 29.

⁴ - ولد خليفة: المسألة الثقافية، مرجع سابق، ص 213.

⁵ - مولود قاسم: شخصية الجزائر الدولية، مرجع سابق، ص 14.

⁶ - يحيوي مرابط مسعودة: المجتمع المسلم والجماعات الأوروبية في جزائر القرن العشرين، حقائق وايدولوجيات وأساطير ونمطيات، تر: محمد المعراجي، مج 1، دار هومة، الجزائر، 2010، ص 218.

⁷ - أجرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج 1، مرجع سابق، ص 606.

⁸ - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 8، ص 24.

ب- واقع التعليم في الجزائر في ظل الاحتلال

لم يمر ربع قرن عن الاستعمار حتى تغير المشهد الثقافي نحو الأسوأ، إذ أزيلت أغلب المؤسسات الراحية للتعليم وهي الأوقاف، وهنا يذكر رحالة أوروبي زار الجزائر سنة 1854، أنه في العاصمة لم يبق من حوالي مائة مدرسة سوى النصف،¹ مما أدى لانخفاض منتسبي التعليم في الجزائر تدريجياً، وهنا نلاحظ النتيجة؛ أنه في حدود سنة 1861، قدر عدد منتسبي المدارس القرآنية بـ 27000 طالب، لكن سنة 1879 أغلقت الإدارة 75% من المدارس القرآنية في الجزائر؛ لينخفض عدد الطلبة إلى 6500 طالب ويصبح التعليم شبه سري.²

ومن أجل تأثير في المشهد الثقافي بعد عقدين من الاحتلال الفرنسي في الجزائر، جرى جدل ومناقشات على مستوى رسمي وأكاديمي من قبل الفرنسيين، حول حدود وأهداف العملية التعليمية المقترحة للأهالي في الجزائر، والتي دشنت بتقرير رفعه الوزير دوتبول D'hautpoul لرئيس الجمهورية نابليون الثالث Napoléon III - قبل أن يصبح امبراطوراً - والمتعلق بإنشاء ثلاث مدارس إسلامية (المدارس الشرعية)، بحيث تكون مدرسة في كل مقاطعة، لسد حاجة السلطة من الأعوان والموظفين، ونبه التقرير إلى أن المنهاج الدراسي لن يكون مغايراً للنظام التعليمي التقليدي: «وإنما سنقوم بانفتاح حذر نحو آفاق العلم الأوروبي... وسوف نصل بالتأكيد لممارسة نوع من التأثير على العقول وعلى العادات».³ وقد افتتحت المدارس الشرعية الثلاث بقرار رسمي، وأشرفت عليها الإدارة الاستعمارية منذ عام 1850؛ وقد أعيدت صياغتها، لكنها اعتبرت من قبل المعمرين "مدارس التعصب" في بداية الجمهورية الثالثة، وكانت تلك المدارس ضحية للتعصب الاستعماري، وعانت أيضاً من تخفيضات في الميزانية، والتأطير، مما أدى على المدى الطويل إلى تراجع عدد الطلبة فيها، لذلك لم يكن عدد الطلاب أكثر من 100 طالب في ثمانينيات القرن التاسع عشر.⁴

ونحو استراتيجية ممارسة تأثير عميق على العقول، تم إنشاء كذلك المدارس العربية الفرنسية، والتي تدرس فيها اللغة العربية، ومختارات من العلوم الإسلامية (العبادات)، إلى جانب تدريس اللغة الفرنسية، وتاريخ وجغرافية فرنسا، والمواد الأخرى باللغة بالفرنسية، ليتم فتح 6 مدارس عربية فرنسية سنة 1850، بمرسوم 14 جويلية 1850، وأضيف لها 13 مدرسة سنة 1865، أما التعليم الثانوي، فقد استفاد من مرسوم 14 مارس 1857 القاضي بإنشاء معهد ثانوي بالعاصمة ومعهد بقسنطينة في جانفي 1867.⁵ لكن بعد التغيرات السياسية في فرنسا، تم التراجع عن سياسة الانفتاح التعليمي تجاه الأهالي، واستغل المعمرون تداعيات الحرب

¹ - ينظر - سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، مرجع سابق، ص ص 24- 40.

² - ولد خليفة: الاحتلال الاستيطاني، ص82.

³ - قنان: التعليم الأهلي، مرجع سابق، ص ص 65-67.

⁴ - didier guignard: op cit , p51.

⁵ - قنان: التعليم الأهلي، مرجع سابق، ص 40، 82.

الفرنسية- البروسية التي أسفرت عن زوال النظام الامبراطوري، وتزامنها مع انتفاضة المقراني سنة 1871 بالجزائر، ظهرت سياسة مناوئة للعرب، وتغيرت الأمور رأساً على عقب، مع تحكم التيار المدعوم من المعمرين الأكثر تطرفاً، والذي شملت انتقاماته في الجزائر كل الأصعدة، ومنها السياسة التعليمية، حيث تم التخلي عن المدارس العربية الإسلامية، وتم إلغاء التعليم المزدوج.¹ ثم جاءت إصلاحات التعليم لسنة 1892، ونصت على تنظيم التعليم للأوروبيين والأهالي، لكن الخطوة عرقلت، بسبب تحكم المعمرين الأوروبيين في الميزانية ومعارضتهم لتوسيع التعليم ليشمل أبناء الأهالي فلم يستفد إلا القليل.² لذلك فإنه وفي أحسن الأحوال التحق أقل من 2% من أطفال الأهالي المسلمين؛ الذين تتراوح أعمارهم بين 6 و 14 عاماً؛ بالمدرسة عام 1889 وما زالوا أقل من 4% في عام 1913.³ وكتب الأمير خالد في جريدة الإقدام سنة 1920 قائلاً: «أسفا والله، بينما يوجد في الأمم الحية آلاف من المدارس الحرة، ابتدائية وثانوية وعلية، فإنه لا يوجد من بين خمسة ملايين أدنى مدرسة ابتدائية حرة».⁴

نتيجة للسياسات الاستعمارية عمّ الجهل والخراب ربوع الجزائر، ففي المناطق الوسطى كان الذي يرغب في معرفة اللغة العربية عليه أن يذهب إلى منطقة زاووة،* لأن زاوية الهامل قرب بوسعادة وزاوية قصر البخاري فقدتا جاذبيتهما بوفاة شيوخيهما،⁵ وقد أشارت جريدة الإقدام سنة 1920 إلى أن إدارة ثانوية قسنطينة قطعت عن الطلاب المعونة (مرتباتهم)، وأنهم اضطروا للخروج من المدرسة.⁶ وبالنسبة للسياسة التعليمية الفرنسية تجاه الأهالي في الجزائر، فقد تم توجيه مناهج التعليم الفرنسي ليقدم سياسة فرق تسد، من أجل تجاوز القومية الإسلامية الجزائرية، لذلك عملت فرنسا عبر التعليم، على دعم كتابة اللهجة العربية الدارجة، وإحياء الثقافة الأمازيغية، ورغم كل الاحتياطات الفرنسية والتوجس من نتائج العملية التعليمية، إلا أنه ليس من السهولة طمس الروح الوطنية عند شعب ما، وهذا ما لاحظته الكاتب فرانسوا شارفيريا François Charvériat الذي زار مدرسة قرية آث هيشم ببلاد القبائل أواخر الثمانينات من القرن التاسع عشر، فقد سجل بشيء من «الحسرة»، ان المعارك التي انهزم فيها الفرنسيون عبر التاريخ هي التي كانت

¹ - قنان: التعليم الأهلي، مرجع سابق، ص 91، 92.

² - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ج3، مرجع سابق، ص 353، 354.

3 - Didier Guignard: op. cit, p51.

⁴ - جريدة الإقدام عدد 12، السنة الأولى 18 ربيع الأول 1339 / 23 نوفمبر 1920.

*- ركز الفرنسيون على فتح المدارس الفرنسية في بلاد زاووة، وفي نفس الوقت غلق المدارس العربية أو التضييق في هذه المناطق، هذه العناية التعليمية ببلاد القبائل، حذر من خطورتها أحمد توفيق المدني، حين لاحظ أن فرنسا جعلت التعليم اجباريا في تلك المناطق، وعلق على عواقب ذلك بقوله: «أن الإسلام يتضائل... النشء الجديد سيخرج بعيدا عن الاسلام وعن العربية بعدا شاسعا، وأن الخطر أقرب مما يظنه الكثير». ينظر: أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المطبعة العربية في الجزائر، 1930، ص 106.

⁵ - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، مرجع سابق، ص 27، 53.

⁶ - جريدة الإقدام عدد 16، السنة الأولى 20 ربيع الثاني 1339 - ديسمبر 1920.

راسخة في أذهان التلاميذ.¹ ورغم جهود التوجيه من قبل الفرنسيين فإن التلاميذ الجزائريين ظلوا مرتبطين بمجتمعهم وثقافتهم فهم «يتأثرون بشدة بمحيطهم الاجتماعي أي شيء خارج الوسط المغلق للمدرسة».² كان التلاميذ الجزائريون في المدارس التي يديرها الاستعمار، يدرسون بتفصيل واف في مختلف مراحل التعليم جغرافية فرنسا، بينما جغرافية القطر الجزائري لا يدرسونها إلا باختصار شديد؛ خلال أسابيع محدودة في المرحلة الابتدائية فقط، أما بالنسبة للمدارس الخاصة، فعندما تمنح رخصة التعليم الحر، يشترط استبعاد تدريس تاريخ وجغرافية الجزائر، من مناهج التدريس، وإلا تعرض صاحبها لسحب الرخصة.³ وعلى صعيد الثانوي والعالي فإن أعداد الجزائريين كانت هزيلة جدا فنجد 84 تلميذ في الثانوي قبل سنة 1900 بينما لم يكن عدد الطلبة الجزائريين في الجامعة يتجاوز 47 طالبا آنذاك.⁴ وفي إطار خدمة مصالح الاستعمار، فرض مسار تعليمي تغلب عليه مناهج في إطار التراتبية، أي الأخذ بعين الاعتبار، الطبقات الاجتماعية، ليبقى أبناء الأعيان أعيانا، ويبقى ابن الحرفي حرفي، وسياسة التمييز هذه بين طبقات المجتمع في الجزائر هي من ابتكار جورج هاردي G.Hardy الذي يقول: «نحن ملزمون بالفصل بين تعليم خاص بالنخبة، وتعليم لعموم الشعب»، أي يتنوع التعليم بتنوع الوسط، ففي المدن تعليم خاص بالمهنة، وفي الأرياف تعليم خاص بالفلاحة، ولا يتم ذلك إلا بواسطة اللغة الفرنسية؛ حتى يتم ربط التلاميذ بفرنسا.⁵

الشكل 5 : جدول يمثل قيمة استرشاديه فقط وليست دقيقة

للطلبة الجزائريين المسلمين المتمدرسين وهي لإحصاءات رسمية تميل لتضخيم الأعداد.

السنة	التعليم الثانوي	السنة	التعليم الجامعي
1870	271	1884	6
1889	81	1914	فقط تجاوز 20
1893	69	1916	61
1900	86	1930	76
1905	125	1939	حوالي 100
1910	180	/	/
1915	386	/	/

المصدر - جمال قنان : التعليم الأهلي، مرجع سابق، ص 229، 230.

¹ - ينظر - أرزقي فراد: مرجع سابق، ص 64، 71.

² - Fanny Colonna : **instituteurs Algériens 1883-1939**, presses de sciences, Paris, 1975 .

³ - تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1975، ص 116.

⁴ - ينظر - محمد عابد الجابري: التعليم في المغرب العربي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1989، ص 110، 111.

⁵ - حاجي: مرجع سابق، ص 329.

ج- واقع تعليم اللغة العربية في ظل الاحتلال الفرنسي

اعتبر الاستعمار تدريس اللغة العربية فعلا عنصريا! وزيادة في محاربة اللغة ظل امتلاك الجزائري سبورة في المنزل جريمة يعاقب عليها بالسجن والغرامة وحتى النفي! وهو ما حصل في بيت والد المؤرخ يحي بوعزيز، حين داهمت الشرطة منزلهم عام 1938، تبحث عن السبورة التي اشتراها والدهم لتعليمهم، ولولا تظن الوالد بإخفائها قبل غيابه لكانت العقوبة محققة، وكان الذي يفتح مدرسة عربية بالسر قد يحكم عليه بالسجن مدى الحياة مع الأشغال الشاقة، وفي 24 ديسمبر 1904 أصدر الحاكم العام شارل جونار Charles Jonnart قرارا يقضي بعدم السماح لأي معلم جزائري، أن يفتح مدرسة لتعليم اللغة العربية، دون الحصول على رخصة، والتي تشترط - هذا إن منحت- أن يخضع صاحبها لشروط أهمها الاقتصار على تحفيظ القرآن فقط دون شرح، خاصة الآيات التي تتحدث عن الجهاد، وأن لا يقوم بتدريس تاريخ الجزائر وجغرافيتها، وفي إطار طمس الهوية العربية الإسلامية للجزائر أصدر وزير المعارف قرارا في 8 مارس 1938 باعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر مع منع تعليمها في المدارس.¹ وأما ما اضطروا للسماح بتدريسه في المدارس الرسمية، فهي اللهجة*الدارجة، وأعطى لها توقيتا أقل؛ لا يتعدى الساعتين في الأسبوع، عادة ما يكون في نهاية المدة الصباحية أو المسائية؛ وللابتدائي فقط،² رغم ذلك قاطعت جل فئات الشعب المشاريع الفرنسية، وكونوا لأنفسهم مساجدهم، وأنشأوا مدارسهم وفرقهم الرياضية والفنية؛ للمحافظة على شخصيتهم الجزائرية.³

تغير الوضع في الجزائر رغم الاحترازات الفرنسية مع نهاية الثلث الأول من القرن 20 مع وجود ملامح نهضة شاملة تمثلت في: ظهور الصحافة الوطنية- عودة المثقفين وطلبة العلم من المشرق العربي- وجود حراك ثقافي بسبب اختلاف الآراء بين التيارات الوطنية،- نهوض التعليم العربي وتأسيس المدارس الحرة مع نشاط العلماء، مما ساهم في ارتفاع عدد الطلبة الجزائريين المبتعثين للمشرق (الزيتونة والأزهر)، وقد بلغ عدد الطلبة الجزائريون بتونس سنة 1952 حوالي 1500 طالب بالزيتونة، عدا المعهدين التابعين لمناهج الزيتونة في قسنطينة، وهما معهد بن باديس وكان يضم 980 طالب، ومعهد الكتانية ويضم 575 طالب.⁴

¹ - يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830 إلى 1954، دار البصائر للنشر والتوزيع الجزائر، 2009، ص ص78-81.

* - ومن أهم ما ألف في إطار مشروع التدريس باللغة الدارجة للتلاميذ نجد المؤلفات التالية :-كتاب : الطريق المستقيمة لتعليم لغة العامة للمستشرق ديسبارمي(جوزيف) Joseph Desparmet طبع سنة 1904 بالجزائر وهو موجه لأقسام الخامسة ابتدائي، طبع بالجزائر الجزء1، 1904- وج 2، 1907، الكتاب موجه لأقسام الخامسة ابتدائي.-كتاب: جامع اللطائف وكنز الخراف للمؤلف:جورج دلفينG. Delphin . (المستشرق)، طبع بالمطبع الكاثوليكية بيروت، 1891. وكتاب: القسم المرتفع للقارئ المنتفع باللغة الدارجة ومن أفواه المسلمين خارجة في بلاد الجزائر الفارجة، لمؤلفه: الصوالح محمد ولد معمر - وقد طبع بالجزائر، 1913. ينظر: فريد حاجي: م سابق، ص 327. 328.

² - فريد حاجي: مرجع سابق، ص 327. 328.

³ - محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954م، ط1، دار البحث، قسنطينة، 2000، ص ص18-20.

⁴ - محمد صالح الجابري: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، والدار العربية للكتاب، تونس، 1983، ص 48، 49.

خلاصة الفصل

مصطلح الهوية من المصطلحات الأكثر تداولاً في الساحة الثقافية والسياسية، وهو مفهوم حديث، وتعرف الهوية بأنها منظومة متكاملة من المعطيات النفسية والمعنوية والاجتماعية، لتعطي لشخص أو شعب معين مميزات يعرف بها، وفق إرادة وضع حد بين هم - ونحن، وإظهار كل ما يستخدم من طرف الفرد أو الجماعة من سمات لإبراز التمايز، ومن جهة فإن التأكيد على الهوية لا يعني الانطواء والتفوق أو الانعزال، وإنما الهوية المعنية هنا، تعني كيف يتم التموضع في العالم تموضعا يحترمك فيه الآخر، والهوية كمصطلح ومفهوم تعدد المجالات التي تضبط بها، كالمجال الاجتماعي للهوية، ومجال النظام المعرفي.

ارتأينا أنه لفهم الموضوع محل الدراسة، فإنه لا بد من التطرق لمجمل الظروف والأحداث التي تدخل ضمن السياق التاريخي الذي مهد لظهور خطاب الهوية في الجزائر، من خلال عرض تاريخي يأخذ في الاعتبار الفعل ورد الفعل الوطني المقاوم، في مواجهة المشروع الاستعماري الرامي لإلغاء وطمس الحقيقة التاريخية والحضارية للشعب الجزائري. ومن خلال هذا نقدم ملخصات لأفكار طرحت في الفصل:

الغزو الفرنسي في الجزائر لم يكن سببه حادثة المروحة؛ التي لم تكن إلا ذريعة مبيتة؛ لتنفيذ مشروع قديم للتوسع الفرنسي بشمال إفريقيا، والذي بدأ بالامتياز الممنوح لفرنسا لصيد المرجان في القالة شرق الجزائر، ومنذ زمن الثورة الفرنسية أنجزت فرنسا عبر سفرائها وجواسيسها مخططات لغزو الجزائر، بلغت عشرين مخططا، وأشهرها مخطط الضابط بوتان Boutin الذي دخل الجزائر سنة 1808 بأمر من نابليون.

نفيا للنظرية التي يروج لها الفرنسيون حول الوجود العثماني في الجزائر، من أنه شكل من أشكال الاستعمار، هنا نذكر: أن العثمانيين قدموا للجزائر بطلب رسمي وشعبي من الجزائريين، وتقبلت الرابطة العثمانية الجزائرية لرابطة الأخوة الإسلامية أولا، وثانيا عرفانا للثمن الباهظ الذي قدمه الأتراك العثمانيون في الدفاع عن ديار الإسلام في البحر المتوسط، وأبسط مثال يفسر علاقة الجزائر بالدولة العثمانية، هو ارتباط كندا وأستراليا بالتاج البريطاني الآن، ومع ذلك فهما تمارسان حريتها الكاملة في شؤونهما الداخلية والخارجية.

بعض الكتاب الفرنسيين دأبوا على نفي وجود دولة ونظام في الجزائر قبل 1830، كجزء من أطروحة الاستعمار القائلة بهيمنة الفوضى واللاأنظام قبل دخول الفرنسيين، لكن الوقائع التاريخية تثبت أن الدولة كنظام سياسي عرفت الجزائر منذ القدم، وفي العصر الحديث كانت فرنسا المستفيد الأول من العلاقات مع دولة الجزائر، إذ وقعت مع الجزائر 58 اتفاقا ومعاهدة فيما بين 1619-1830. كما عرفت الجزائر ما يمكن أن نسميه أول دستور في الوطن العربي، قبل الثورة الفرنسية ب 41 عاما وبالتحديد وثيقة عهد الأمان التي صدرت في الجزائر بتاريخ 3 فيفري 1748 في عهد الباشا محمد بن بكير؛ الذي اعتلى حكم الجزائر في 1748، ولم يكتب لها الاستمرارية والنجاح، لتأخر الدولة في أغلب مناحي الحياة مقارنة بالدول الأوروبية.

نجح الغزو الفرنسي للجزائر كنتيجة لحالة الضعف العام التي مست كل العالم الإسلامي، إضافة لظروف داخلية وخارجية واجهتها الجزائر، فلحظة تنفيذ الغزو الفرنسي للجزائر كانت الجزائر والدولة العثمانية في وضع لا تحسدان عليه، بالنسبة للجزائر فقبل الاحتلال الفرنسي أنهكت بالثورات والكوارث الطبيعية بين 1790-1823، فقد تم تسجيل 45 كارثة، 13 لغزوات الجراد، و 12 للطاعون والمجاعات، وسبعة للزلازل، وثلاث أعاصير، ودورتين للفيضانات، إضافة لغياب الاستقرار السياسي في هذه الفترة، إذا اغتيل ست دايات من مجموع ثمانية، واندلاع الثورات: جرجرة- ابن الأحرش في الشمال القسنطيني، درقاوة في الغرب-والثورة التيجانية - وثورة النمامشة والأوراس. غير ان كل هذا لا يعفي القيادة السياسية للبلاد آنذاك عن المسؤولية التاريخية عن الهزيمة العسكرية في سيدي فرج، التي كان بالإمكان تفاديها، أما بالنسبة للدولة العثمانية فلم تكن تملك خيار تسامح به للدفاع عن الجزائر، خاصة أنها كانت في زمن خرجت منهزمة ومنهكة من حرب مع روسيا واليونان، المترامنة مع النهاية الأليمة لأسطولها بنفارين، ثم فيما بعد تمرد محمد علي، لذلك اتجهت لتفعيل العمل الدبلوماسي لاسترجاع الجزائر سلميا، لكن تلك المساعي لم يرد لها أن تتجح من قبل الفرنسيين.

وبعد الغزو وبالموازاة مع انطلاق المقاومات المسلحة ضد التوسع الفرنسي، قدمت النخبة الجزائرية جهودا سياسية جبارة لإنقاذ الجزائر، ونضرب مثالين استثمرا المتاح من التواصل الخارجي من أجل القضية الوطنية، وكمثال على الوطني الغيور لعب حمدان بن عثمان خوجة دورا مهما ومشرفا، في الدفاع عن القضية الجزائرية، داخليا؛ وخارجيا بعد النفي من الجزائر، كما استطاع الأمير عبد القادر أن يبني دولة من فراغ، فأسس أول دولة عصرية عربية ذات طابع جزائري خاص، على قاعدة شعبية نال بها الشرعية، وأرغم جيش الاحتلال على إمضاء معاهدتين معه خلال سنتي 1834 و 1837، والاعتراف له بالسيادة على كل الجزائر فاكتسب الشرعية الداخلية والخارجية؛ وبلغت اتصالاته مع الدول أكثر من عشرين مراسلة.

اتجه الفرنسيون في الجزائر البداية للبحث عن مبررات لعملية الغزو، ثم بعد الغزو بحثوا عن مسوغات البقاء، لإضفاء شرعية على وجودهم في الجزائر من خلال: -تميرير الأفكار التي تخدم الاستعمار عبر إعطائها بعدا وعناوين علمية براقية للتدليس تحت غطاء البحث العلمي، حتى تصبح قناعات، لأن السيطرة العسكرية يمكن أن تزول في أي لحظة، لكن السيطرة على العقول هي هدف استراتيجي للمشروع الاستعماري في المنطقة. - وتبرير التوسع الفرنسي على أنه حتمية طبيعية؛ من خلال الادعاء بعدم أهلية سكان الجزائر والمغرب العربي لحكم أنفسهم بأنفسهم، وحتمية وجود الأجنبي لفرض النظام، وقد كان الهدف ترسيخ فكرة حتمية الوجود الفرنسي في الجزائر كضامن للنظام، أي شرعنة الاحتلال الفرنسي.

وللوصول لشرعنة الاحتلال الفرنسي. فإن إيديولوجيا الممارسة الاستعمارية سخرت كل المجالات لخدمة مشروعها التوسعي في الجزائر، ومنها التعليم والإعلام؛ والبحث الأكاديمي، دعمتها بالحرب النفسية؛ عبر القوانين الاستثنائية المسلطة على الجزائريين، وإن دارس التاريخ الأوروبي لا يخفى عليه ازدواجية المعايير

الاخلاقية لدى أوروبا- الاستعمار باحتقارهم للأجناس الأخرى، والغريب أن الدعوة للإبادة لم تكن محصورة في أنصار الرأسمالية، بل تحولت إلى مسألة عرقية، وإلا كيف نفسر آراء أعلى هرم قادة الاشتراكية ومنظريها الأوروبيين، في عدم معارضتهم للاستعمار الأوروبي، وفي نظرتهم لغير الشعوب الأوروبية خاصة كارل ماركس K. Marx وانجلز Engels في كثير من مواقفهم.

بما أن التصرف دليل التصور فإن ايديولوجيا الممارسة الاستعمارية لا يمكن أن تخفى منطلقاتها ومرجعياتها، التي تتداخل فيها الروح العنصرية والعرقية والدينية مما نتج عنه في الجزائر:

1- كان نزول الفرنسيين في الجزائر نذير شؤم، فقد جلبوا معهم كل أنواع الشقاء للجزائريين، ومنها المذابح، والأويئة والمجاعات، في واقع جعل من الجزائري عرضة لكل أنواع البؤس والكوارث بعد أن انتزعت منه أراضيه، حين تم مصادرة أكثر من 2.7 مليون من أفضل الأراضي، كما تم إبادة مليون جزائري من بداية الاحتلال إلى سنة 1861، و ممثل ذلك فيما بعد، ليتدنى عدد سكان الجزائر.

2- في ظل الاحتلال الفرنسي أصبح الجزائري المسلم خارج القانون، فلا هو له حق الفرنسي يتمتع بحقوق المواطنة، ولا هو عربي يعترف له بهويته، فالانفاس معدودة والتقتل برخصة.

3- تعرض الوضع الثقافي بعد الاحتلال لحرب مدمرة ولتخريب ممنهج؛ فقد تم مصادرة مؤسسات الأوقاف وبذلك تم تجفيف مصادر تمويل الفعل الثقافي للأهالي، ولم تسلم حتى أماكن العبادة وكمثال فقبل الاحتلال الفرنسي للجزائر وفي العاصمة وحدها كان بها 176 مسجدا، منها 13 مسجد جامع، لم يبق منها سنة 1899، سوى 5 مساجد. كما لم يتجاوز من تلقوا تعليمهم في المدارس الفرنسية 5 بالمائة إلى حدود 1914،

4- شكل اكتساب الأهالي لقسط من التعليم أكبر الهواجس للاستعمار، إذ كان الفرنسيون يتوجسون من المدرسة توجسهم من مسألة الأمن وهواجس الثورات؛ لذلك تدهور التعليم العربي، وكاد ينقرض لولا جهود البقية الباقية من الزوايا، والطرق الصوفية، ونشاط العلماء فيما بعد.

لا يخفى دور عنصر الدين في دوام جذوة المقاومة بكل أشكالها، ففي مواجهة الاقصاء والتمييز الاستعماري على قاعدة الهوية؛ لذلك كان رد الفعل الوطني هو الاصطفاف القومي على قاعدة الهوية المشتركة بين الجزائريين المسلمين، متمثلة في كل أشكال المواجهة والرفض، وكان والإسلام والعروبة والوطنية أشياء متداخلة، فالجزائري العادي لا يجد فرقا بينها آنذاك، ورغم جهودا أكثر من مئة عام لمحاولة تصنيف الأهالي كجماعات متباغضة، فانه لا يخفى دور الإسلام ومؤسساته العريقة في الجزائر خاصة الطرق الصوفية والزوايا؛ في المحافظة على الوحدة واللحمة الوطنية وصيانة الهوية. مما ساهم بعث الروح الوطنية وتوجيه وتحفيز النخب الواعية للعمل السياسي عندما تهيأت الظروف.

□...

الفصل الأول

التيار الثوري في الجزائر الظروف والنأسيس

- تمهيد
- المبحث الأول : نضال من أجل الهوية والمواطنة
- المبحث الثاني: دور الهوية في تشكّل الوعي، الأدوات والمجالات
- المبحث الثالث الدور الوطني للمهاجرين الجزائريين
- المبحث الرابع: : دور الأمير خالد
- المبحث السادس: ميلاد التيار الثوري في الجزائر بالمهجر
- خلاصة الفصل

تمهيد الفصل

عاشت الأقلية الأوروبية في الجزائر طوال 132 سنة ترفض رفضا مطلقا فكرة العيش المشترك مع الجزائريين، مستأثرة بخيرات الجزائر، ومستندة للحماية القانونية والعسكرية التي توفرها لهم الدولة الفرنسية، أما إصلاحات المستعمر بعد الحرب العالمية الأولى، فلم تكن في واقع الأمر إلا ذرا للرماد في العيون.

بقيت كل أشكال التمثيل السياسي والتعبير ردحا من الزمن بيد العنصر الأوروبي في الجزائر، وفي أحسن الأحوال؛ منح السكان الأوروبيون وهم العشر فقط؛ نصف مقاعد برلمان الجزائر، أما المسؤوليات التنفيذية والمناصب السيادية والحساسة في الجيش والإدارة فكانت من المستحيلات أن يتسلمها الجزائري المسلم، وكل ما وصل إليه الجزائريون المسلمون كانت مناصب ثانوية.

أمام واقع استعماري فإن النخب في الجزائر لم تعدم الحيلة في بحثها عن وسائل تفعيل المقاومة في مقاربة طموحة لتحقيق الأفضل، أو على الأقل ضمان الحد الأدنى من خلال المحافظة على الحدود الرمزية لهوية الجماعة، لضمان ديمومة وسلامة الجماعة، وبقاء جذوة المقاومة لدى الأجيال، لتفادي الذوبان والاضمحلال، ولتحقيق ذلك التمسّت النخب المسلمة طرقا جديدة تجايل متغيرات زمانها، فوجدت ضالتها في الإعلام والحراك المطليبي، والعمل الجمعي الثقافي والاجتماعي، ومن خلال ذلك حازت النخب الجزائرية المسلمة على سلاح له فعاليته، اعتمدت عليه كأرضية تتطلع من خلالها للوصول لخوض غمار العمل السياسي، تحت راية حزب وطني مكون من العنصر المسلم؛ من أجل تثبيت الهوية ونصرتها. خاصة بعد تجربة مشاركة بعض أبناء المسلمين في المجالس المالية والبلدية.

قبل تأسيس النجم كانت النخب تتنافس للتقرب للجماهير المسلمة، وكانت مسألة الهوية إضافة للمطالب الاجتماعية، أساسا للمزايدة بين المنتخبين منذ عهد الأمير خالد، خاصة مع إثارة مسائل لها علاقة بالهوية مثل قضايا التجنيس، والمسألة الاندماجية، إلا أن تلك الشعارات لم ترق إلى مستوى المطالب التي طرحها التيار الثوري بعد تأسيسه فيما بعد، ومن الطبيعي أن الجماهير كانت تتطلع ليوم ترى فيه من يمثلها أحسن تمثيل من بني دينها، وينتصر لهويتها

ويعبر عن إرادتها وطموحاتها.

منتصف عشرينات القرن العشرين أصاب الاستعمار حالة من العجب والغرور، خاصة أن حالة الهيمنة الاستعمارية في العالم كانت في أشد عنفوانها بعد أن قضت فرنسا على ثورة الريف بالمغرب وهيمنت على سوريا، فقرر أن يقيم حفلا أسطوريا لمئوية دخوله الجزائر، في هذا الجو كان هناك شباب جزائري بالمهجر، استغل المتاح من الجهد، ومع صدق العزم، والأخذ بالأسباب؛ ومع مناخ الحريات، وزخم الحياة السياسية، وأخبار الأحداث الدولية بباريس، وبذلك وفرت الهجرة احتكاكا للمهاجرين بالطبقة السياسية بالمتروبول والاستفادة من التجارب والأفكار النضالية للحركات اليسارية والتحررية؛ وعليه فقد استثمر هؤلاء الشبان الزمان والمكان، فمن رحم المعاناة يولد الأمل، فكانوا على موعد مع القدر للعمل من أجل الوطن والهوية؛ ليشهدوا ميلاد أول كيان سياسي وطني بتوجه استقلالي ثوري باسم نجم شمال إفريقيا.

لمناقشة مسألة ميلاد التيار الاستقلالي الثوري في الجزائر، وارتقاء خطاب الهوية من النظرية إلى الممارسة، رأينا أنه من المناسب بحث هذه الإشكالية وفهمها من خلال الإجابة على السؤال المطروح: ما أهمية تأثير الظروف والعوامل الزمانية والمكانية في تأسيس النجم؛ وكيف ساهمت في نجاحه؟ وقد تفرع عنها تساؤلات، قمنا بتحويل هذه التساؤلات إلى عناوين للمباحث في هذا الفصل والتي كانت كالتالي:

- نضال من أجل الهوية والمواطنة.
- التكيف والمتاح في النشاط الثقافي للحركة الوطنية
- الدور الوطني للهجرة والمهاجرين الجزائريين
- دور الأمير خالد في تشكل الوعي الوطني.
- ميلاد التيار الثوري في الجزائر بالمهجر.



المبحث الأول: نضال من أجل الهوية والمواطنة

1- الجزائريون وسجية الرفض والمقاومة للاستعمار

تواصلت الثورات في الجزائر ضد الوجود الفرنسي، بل وتزامنت بعضها، وعرفت الجزائر انتفاضات كبرى، منها من تجاوز عمرها ربع قرن، وأشهر الثورات ثورة الأمير عبد القادر، وثورة أحمد باي، والزعاطشة، وثورة أولاد سيدي الشيخ، وثورة المقراني، وعشرات الثورات الأخرى، وآخر ثورات القرن التاسع عشر الكبرى كانت ثورة بوعمامة 1881-1908، كما شهدت بدايات القرن العشرين ثورات أخرى، منها ثورة عين التركي سنة 1902، وثورة عين بسام 1906، وثورة الطوارق بقيادة الشيخ أمود 1908-1923، وثورة الأوراس 1917 بقيادة المسعود بن زلماط وغيرها، ولقد ضرب الثوار على مدى طول فترة الاحتلال المثل في عدم الاستكانة، وبقوا رافضين لشرعية الدولة الاستعمارية.¹ وهنا يقول المؤرخ أجرون Ageron: أن المسلمين الجزائريين وإن كانوا مغلوبين لم يستسلموا قط، فقد حافظوا على ثقافتهم مع حفاظهم على دينهم وتقاليدهم، لقد كان الشعب يرفض الفرنسية دوماً؛ وفاء لدينه ولأرضه.²

استهدف الاستعمار الفرنسي في الجزائر الأرض والهوية، باعتبارهما العنصران الأكثر حيوية لبقاء الجماعات والشعوب، ولكونهما الأكثر تعلقاً بهما من قبل الأفراد والجماعات، وكان الهدف النيل من العزيمة، والفت في عضد المقاومة، رغم ذلك واجهت السياسة الاستعمارية أشكالاً من الرفض الشعبي؛ وإصراراً على المقاومة، واتخذ هذا الرفض في بعض الأحيان مظهر التحدي بشكل أو بآخر؛ لكل القرارات والإجراءات الاستعمارية، قانونية أو إدارية أو عسكرية أو ثقافية.³ يقول الكاتب المصري سيد قطب عن الجزائر: «إنني أحب أن يعرض كفاح الجزائر على أنظار البشرية جمعاء، وأن تعرض آلام الجزائر على المكافحين الذين تصب عليهم الآلام اليوم، لكي يدرك الجميع أن آلام الأرض كلها. لا تقتل أمة تريد الحياة، ولا تعوق شعباً يعتزم الكفاح، ثم لكي يعرف المكافحون في العالم الإسلامي، بحقيقة العنصر الذي يحميهم من الانهيار، ويمسك بهم من التفكك والتفتت، وسيجدون هذا العنصر بارزاً في كفاح الجزائر، إنه العقيدة، واللغة التي نزلت بها هذه العقيدة».⁴

كرد فعل طبيعي على الفعل الاستعماري؛ ازداد الشعور التلقائي للجزائريين بالانتماء إلى الأمة الإسلامية عمقا وشدة بعد الاحتلال، فالهوية القطرية الضيقة؛ لم تنشأ بعد في العالم الإسلامي، كما أن

¹ - جلول: علم الاجتماع التاريخي، ص ص، 846، 849.

² - أجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، مرجع السابق، ص 187، 188.

³ - العلوي: مظاهر المقاومة، مرجع سابق، ص ص 18-20.

⁴ - ينظر، سيد قطب: كفاح الجزائر، جريدة البصائر، العدد 214، بتاريخ 23 يناير 1953. الجزائر.

الإحسان الجزائري العادي لا يجد فرقا بين الإسلام والعروبة والوطنية، ولا يخفى دور الإسلام ومؤسساته في الجزائر خاصة (الزوايا) في المحافظة على الوحدة الوطنية، فالقيادات الروحية لتلك الزوايا حفاظا منها على الأولويات التي تتمثل في الدفاع على بقاء الشخصية، استغلت الميول الشعبية، فأقامت للجماهير اجتماعات دينية وترفيهية، في المساجد والزوايا والمقاهي والأسواق، تقرأ عليهم قصائد وبطولات إسلامية تبت وتبلغ رسائل؛ للمقاومة والتشبث بالهوية.¹ وفي نفس السياق ورغم أن فرنسا، وفي إطار الحرب النفسية، كانت تشجع روح القدرية؛ لترسيخ فكرة أن الاستعمار شيء مقدر لا مفر منه، إلا أن روح المقاومة والعداء للفرنسيين؛ كان في قمته الثورية، وما انفكت روح المقاومة تحافظ على هوية الجزائريين، فتتلقف نفس العبارة؛ لتعطيها تفسيراً آخر للقدرية؛ بأن رحيل الفرنسيين مقدر عاجلا أم آجلا.²

-نصوص للمقاومة الوطنية الجزائرية سجلت فيها مواقف الشجاعة والثقة والاعتداد بالنفس:

منذ اليوم الأول لدخول الاستعمار؛ لم يفقد الجزائريون الأمل لتعلق الأمل بالعميقة، وازداد تعلقهم بعمقهم الإسلامية باعتبارها هويتهم وجنسياتهم الباقية، وهناك نصوص خلدت ذلك، وفي هذا المجال وحول دور الهوية في الحفاظ على كيان الأمم، وتعليقا على حالة تركيا، وإسقاطا على حالة الجزائر جاء في جريدة الإقدام (التابعة للأمير خالد): إن موت الأمم بموت الشعور العام، لا بانكسار جيوشها أو انسلاخ بعض مقاطعاتها، فتركيا لا تموت مادام الشعور العام والصفة الحية للإسلام قائمين في الكون.³ ومن النصوص التي سجلت مواقف الاعتداد والشجاعة والثقة بالنفس، ما يتعلق بقبائل فليطة، عندما مرّ بهم الماريشال بيجو Bugeaud في نواحي غليزان عام 1848، الذي قرر بلغة التهديد أن يوجه رسالة إلى رفاق الأمير عبد القادر في النضال، ليطلب منهم أن يكفوا عن مساندته، ورغم تلك التهديدات، يسجل التاريخ ردا يعبر عن ثقة واعتداد بالنفس، وهو ما يرويّه الجنرال دوماس E.Daumas حيث جاء رد قبائل «فليطة»: «قلت لنا بأن الأمة الفرنسية أمة كبيرة وقوية، فلنعلم اذن أن العدل من شيم الكبار الأقوياء، فلماذا تريدون الاستيلاء على بلاد هي ليست لكم، وإذا كنتم أغنياء، فماذا جاء بكم إلى شعب ليس له ما يعطيه لكم سوى البارود.. وأنتم بعد هذا تهددوننا بحرق محاصيلنا الزراعية واعطائها علفا للخيل والدواب، وقد أصبنا بأمثال هذه المصائب عدة مرات، فمرت بنا سنوات عرفنا فيها القحط والجراد والجوع، ومع ذلك فقد كان الله دائما معنا، لأننا مؤمنون ولأننا عرب، وليس العرب ممن يقضي

¹ - عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص53، 54.

² - مناصرة: دراسات وأبحاث، مرجع سابق، ص70.

³ - جريدة الإقدام عدد 13، السنة الأولى 25 ربيع الأول 1339 - ديسمبر 1920.

عليهم البؤس...فلتعلم اذن بأننا لن نخضع لكم أبدا».¹

كما أن هناك مواقف مشرفة من التعلق بالهوية لأهل زواوة، تتعلق بالرد على إنذار آخر وجهه المارشال بيجو Bugeaud في 1844 إلى رؤساء القبائل (زواوة)، وطلب فيه منهم أن يسلموا اليه الخليفة بن سالم وأن يستسلموا، وان لم يفعلوا يحرق قراهم ومحاصيلهم الزراعية، فتلقى منهم الرد التالي: «أما اليوم فتصرفكم معنا يدل على اعتقادكم بأننا خرجنا عن الإسلام، بعد سقوط عبد القادر...لقد وقعتم في خطأ كبير، فنحن أيضا مسلمون...إن ثلث جبالنا عبارة عن حصون طبيعية، والله ينصر المسلمين، فلا تعدونا إذن من بين رعاياكم...وطلبتم منا أن نطرد الخليفة بن سالم، فكيف نوافق على ذلك، والحال أنه مسلم وأننا مسلمون؟» ويضيف أهل زواوة في ردهم على المارشال بيجو Bugeaud: «وإذا كنتم قد صمتم على أن تحكموا الجزائر بأكملها، وأن تتغلبوا على قوم اعتصموا بالصخور والجبال فإننا نقول لكم: يد الله فوق أيديكم، ولتعلموا أن الخسارة والريح عندنا سيان، ومن عادتنا دائما أن نتحدى النفي والتشريد والموت...وجبالنا مترامية...فهي تؤلف سلسلة تمتد من بلادنا إلى تونس، وإذا لم نقدر لى الصمود أمامكم، فسوف ننسحب من موقع إلى آخر».²

ويسجل التاريخ لسكان سهل غريس موقفهم المشرف، في مثال آخر لجواب مليء بعزة النفس، على الإنذارات التي وجهها المارشال بيجو Bugeaud إلى السكان في سهل غريس، الواقع في نواحي مدينة معسكر، ودعاهم فيها إلى الاستسلام، ومما جاء في ردهم على المارشال بيجو: «نقسم بالله أنه لن يكون بيننا وبينك لقاء إلا في ميادين القتال، ولعلكم أيها الفرنسيون تظنون بأنكم قادرون على أن تحكموا العرب.. هلا حكمتم بلادكم! أما سكان هذه البلاد، فلن تتالوا منهم سوى البارود، ولتعلم أن رئيسنا وإمامنا عبد القادر نعهده منا والينا، ونحن أصحاب البلاد».³ وبنفس النبرة ما ينقله المؤرخ أبو القاسم سعد الله، أنه عند استسلام الأمير عبد القادر؛ قال الجزائريون للجنرال لاموريسيير Lamoricière: وهوقائد في الجيش الفرنسي «أن فرنسا ستمضي قدما، لكنها ستضطر يوما للتراجع وعندئذ سنعود».⁴ ويذكر أجرون Ageron أن الجزائريين قالوا للجنرال بيجو Bugeaud سنة 1841: هذه بلاد العرب ولستم فيها سوى ضيوف عابرين، فلا بد من أن تخرجوا منها ولو بقيتم فيها ثلاثمائة سنة كما بقي الأتراك.⁵

¹ - ينظر: الأشرف: مرجع سابق، ص ص131-134.

² - الأشرف: مرجع سابق، ص ص131-134.

³ - نفسه: ص ص131-134.

⁴ - سعد الله: الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص67.

⁵ - أجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، ص187، 188.

2- بدايات ارتياد الفعل العام

ساهم الاستعمار في أن انتشار الأمية في الجزائر، وكانت مسألة يقظة الجزائريين أو اكتسابهم للوعي وقسطا من التعليم؛ شيئا يزعج المعمرين في الجزائر وحتى المتقنين منهم وبثير حفيظتهم، ففي تعليقه على مناخ المؤتمر الثاني للطلبة المسلمين، المنعقد بالجزائر في أوت 1932 (حيث استغل مناضلون من نجم شمال إفريقيا الحدث، لتذكير الطلبة المتقنين بواجباتهم تجاه حضارتهم ولغتهم) عبر المستشرق الفرنسي ديبارمي J. Desparmet عن دهشته وتوجسه: «لنتشابه مشاعر الطلبة والأميين من الشعب، فالكلمات نفسها، والعبارات نفسها: الاستقلال، اللغة العربية، الإسلام، تيار عجيب يشبه التيار الكهربائي،.. ويضيف ديبارمي: يعطينا مؤتمر الجزائر دليلا جديدا، من بين العديد من الأدلة الأخرى، على أن التعليم الذي تقدمه لتلاميذنا، لا يقتل فيهم روح الأسلاف، بل بالعكس فهو يعطيهم نفسا جديدا من الحيوية»، وهنا توجس واضح من يقظة الجزائريين.¹ وأوصى المجلس البلدي لمدينة الجزائر خلال 1880-1882 بغلق المؤسسات التعليمية الموجهة للجزائريين المسلمين والمتوفرة على نظام داخلي، وجاء في تقريره: «ألم يتبين أن أنجب الطلبة في هذه المدارس هم ألد أعداء حضارتنا».²

في إطار المواجهة الشاملة لنصرة الهوية، ولتلافي حالة التلاشي، طورت النخب الوطنية في الجزائر وسائلها للمقاومة واستغلت طرق عصرية لمقاومة الذوبان في الثقافة الفرنسية، فانخرط كثير من نشطاءها في الجمعيات، والنوادي الثقافية، والمسرح، والصحافة والجمعيات الرياضية، والتعليم وإحياء التراث.³ وكانت علاقة الجزائريين بالاستعمار، يميزها الرفض الشعبي للنظام الاستعماري، حتى اندلاع ثورة نوفمبر 1954 هذه الجولة لم تكن كسابقاتها، فهذه المرة كانت بالنسبة للفرنسيين الجولة الفاشلة في مواجهة حرب التحرير التي انتهت بالاستقلال عام 1962، رغم محاولات كل اليائسين التشبث بفكرة الجزائر فرنسية، بمن فيهم المتقنون الاستعماريون.⁴

تطورت الحركة الوطنية عبر مراحل، وكان على النخب الجزائرية أن تواجه السياسة والفكر الاستعماري حسب مقتضيات كل مرحلة، فجايلت عصرها وكيفت أدوات المقاومة، منطلقة من أسس ثابتة في مواجهة الاستعماري، حيث وجدت في الحقل الإيديولوجي والثقافي المنتمية إليه دينا ولغة وحضارة، الأرضية التي ستسعفها على إدراك وفهم الاستعمار أولا، ثم التفكير والعمل على تحديد الوسائل الضرورية

¹ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، مرجع سابق، ص366.

² - أجرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج1، مرجع سابق، ص606.

³ - عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب المعاصر في الجزائر 1925-1954، الشركة SNED، ط2، الجزائر، 1983، ص ص 24 ، 29 .

بتصرف 10. p10. cit, Meynier Gilbert - 4

لمقاومته بأفق تجاوزه.¹ وخلال مسيرته الطويلة، وجد التيار الوطني أسسه في الرفض الشعبي للنظام الاستعماري، أي السلوك السلبي الذي يتمثل في التمسك بكل ما يعارض الاستعمار، كالدين، واللغة، والثقافة، والتقاليد.²

سلاح الاحتجاجات والعرائض والشكايات* تفتنت النخب الوطنية لدور التذمر والحراك المطلي والذي مكنها من أن تتخطى في الفعل العام، وتفتك من الإدارة الاستعمارية في النهاية شرعية تمثيل الأهالي، فدشنت بذلك الإرهاصات الأولى للعمل السياسي، باستثمار سلاح الاحتجاجات والتذمر، عبر العرائض والوفود والصحافة، وهذه الشكايات تحولت إلى لوائح تضمنت مطالب الأهالي المسلمين، بل هذه المطالب أدرجت ضمن البرامج السياسية الوطنية فيما بعد، ويمكن أن نذكر أهم الفعاليات والنشاطات في تلك الفترة:

- 1- جهود حمدان بن عثمان خوجة وقد سبق التطرق عليها.
- 2- عريضة وقعها 29 من أعيان العاصمة بتاريخ 13 سبتمبر 1834 م للدفاع عن القضاء الإسلامي مما جاء فيها: «صبرنا على كل ضرر حتى على بيع عظام أمواتنا، لكن لا نصبر على هتك حرمة الشرع».³
- 3- في 1860م قدم الجزائريون عريضة إلى الحكومة الفرنسية ضد مشروع إنشاء حكم مدني مذكرين بالتزامات فرنسا في معاهدة 1830م القاضي باحترام الدين الإسلامي.
- 4- عام 1886 تم إرسال عريضة للبرلمان الفرنسي للمطالبة بالمطالب التالية:
 - تنظيم تدريس اللغة العربية ونشرها وحريتها.
 - المساواة في التمثيل النيابي.
 - استرجاع العمل بالقضاء الإسلامي الذي ألغي سنة 1866.
 - وهذه المطالب سجلت كأول ظهور عملي لما أصبح يسمى جماعة الجزائر الفتاة فيما بعد.⁴
- 5- العريضة التي وقعها وقّعها 1700 جزائري سنة 1887 والتي يرفضون فيها التجنيس، والتي جاء فيها:

¹ - امحمد مالكي: الحركات الوطنية، مرجع سابق، ص 217 . بتصرف.

² - محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، مرجع سابق، ص 6.

* - من أوائل من تفتن للضغط عبر الإعلام والعرائض، نجد: المكي بن باديس (والد جد عبد الحميد بن باديس) من مواليد 1820 بقسنطينة، عمل أولا مساعدا في المحكمة للقاضي الشهير محمد الشاذلي القسنطيني بقسنطينة، ثم تولى القضاء من 1856-1876، وقد قاد حركة ودعاية لقضية الاسلام والجزائر، وقد أصبح متكلما سياسيا وداعية وصحفيا، وهو من القلائل الذين تفتنوا للصحافة والإشهار، في خدمة القضية التي ينافح عنها، وكان يقبل التغيير في حدود، ومستعدا للمساومة في الأمور السياسية والاقتصادية، لكنه لا يساوم في الأمور الدينية، وكان يركز على نقاط معينة في معاركه وهي: تمثيل مناسب للمسلمين، ومعارضة القوانين الاستثنائية، ومكافحة التجنيس، ودفاعه عن القضاء الإسلامي. -ينظر: سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، مرجع سابق، ص 462، 463.

³ - جمال قنان: نصوص سياسية، مرجع سابق، ص 76.

⁴ - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص 173، 174.

«يكون للدخول في الجنسية الفرنسية نتائج بالنسبة لنا وهي الإلغاء الكامل لقانوننا وشريعتنا، في المسائل المادية ومسائل قانون الأحوال الشخصية، والكل يعلم أن عندنا أن الشريعة هي أساس الدين، وأنه لا يسمح لنا بالابتعاد عن الطريق المستقيم»، لتؤكد بمطلب الحفاظ الهوية الخاصة بالجزائريين المسلمين: «فأعز رغبة لدينا والشيء الذي نتمسك به أكثر من أي شيء آخر هو المحافظة على الشريعة».¹

6- عريضة لأهالي تلمسان، مقدمة بتاريخ 7 أبريل 1891، حملت 11791 توقيعاً، حول مشروع التجنيس والخدمة العسكرية الإجبارية، وجاء فيها: «لقد أوفينا بجميع التعهدات التي التزم بها أجدادنا إزاء فرنسا، على أمل الاحتفاظ بعقيدتنا، التي لا يكمن فصلها على كل حال عن نظامنا الاجتماعي، ومن الواضح أن القبول بالمشروعين، سيؤدي إلى القضاء على مبادئنا الدينية، وتشويه روح شريعتنا... وهي أحكام لا يمكن تطبيقها لأنها خطيرة على ديننا...، لكن لا نستطيع التضحية بديننا، إن ما يعتز به المسلمون أكثر من أي شيء على الأرض هي عقيدتهم، وأولادهم ولن يقبلوا التخلي عن الشئيين الأعززين».

7- شكاية قدمت بتاريخ 1891: مقدمة من أعضاء المجالس البلدية لبلديات واد سقان، وقطار العياش، وعين سمارة، المقال من تسعة عشر صفحة، قسم لتسعة فصول، كل فصل لموضوع معين، الغرامة، التعليم، الأنديجان، الشريعة، نقطف منه ما يعبر عن الحس الوطني: «اعلموا أننا كلما شهدنا الجرائد الفرنسية (تتكلم) بشأن الظلم الواقع على أهالي الإلزاس Alsace واللورين Lorraine والغيض من الجنس الألماني... بكلام تهتز له الأرواح، أبانوا فيه عن حبهام لوطنهم الخالص، حتى أدركتنا الغيرة من حالهم... (لماذا) لا نكون مثلهم لنا من يدافع عنا ويتكلم علينا». «السبب المانع للبعض منا من إرسال أولادهم إلى المدارس هو تحققهم من عدم تدريس لغتهم الأصلية العربية... وخوفهم من فساد عقولهم ونسيان أصولهم ودينهم وملتهم».²

8- اغتنام فرصة حضور لجنة من مجلس الشيوخ الفرنسي، برئاسة النائب جول فيري سنة 1892 كفرصة لتقديم عرائض تتضمن مطالب مختلفة، خاصة مسألة الضرائب والانتخابات والقضاء وقانون الأهالي.³

9- إقدام مجموعة من النشطاء ضمن «لجنة الدفاع عن المسلمين» لإرسال وفداً إلى باريس سلم إلى رئيس الحكومة الفرنسية بوانكاريه Poincaré بياناً في 26 يونيو 1912، يعرضون فيه مطالب الإصلاحات التي ينتظرونها مقابل تجنيد الشبان الجزائريين.⁴

¹ - جمال قنان: نصوص سياسية، مرجع سابق، ص 198.

² - ينظر: شكاية من أعضاء المجالس البلدية لبلديات واد سقان، وقطار العياش، وعين سمارة، «مقالة غريق أمام طبيب شفيق» مطبعة مارل بروا دورليان، قسنطينة، 1891.

³ - سعد الله: الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص 173، 174.

⁴ - بتصرف. Claude Culott et Jean-Robert Henry, op.cit, p23.

3- حاجة العمل الوطني للإعلام كسلام للدفاع عن الهوية

رغم أن الدولة الجزائرية قبل 1830 لم تتخرط في التحديث بمفهومه الواسع، إلا أن سياسة الجزائر ونخبتها؛ لم يكونوا جاهلين بالصحافة، بحكم الاحتكاك بكبار التجار والسياسيين الأوروبيين، الذي كانوا يترددون على الجزائر، من قناصل وسفراء، ويذكر المؤرخ بول رينال P.Raynal (الذي شارك وكتب عن حملة الجزائر 1830): «أنت لا تستغرب أن تجد -في الجزائر- من يتحدث الفرنسية، وحتى يعرف الأوبرا والمدن الفرنسية، ومن يخبرك عن تجواله في فرنسا وبريطانيا»، وكانت نخبة الجزائر مطلعة، فهذا ابن العنابي قد دعا إلى الاستعارة من الحضارة الغربية ما تفنقر إليه حضارتهم.¹

وكعينة عن نخبة الجزائر وساستها وأعيانها المعروفين، نجد بوضربة الذي كان متزوجا من فرنسية، وحمدان بن عثمان خوجة الذي كانت له رحلات إلى فرنسا قبل الاحتلال، أما الدولة الجزائرية في عهد الأمير فلم تعرف الاستقرار، فالأمير عبد القادر لم ينشئ جريدة لعدم استقراره في عاصمة ثابتة، لكنه كان يشترك في الصحافة الفرنسية، ويطلع على مجريات الأمور، وكان الأسير الفرنسي-الجاسوس- ليون روش Léon Roches يترجم له ما جاء فيها عن القضية الجزائرية، وأثناء هدنة التافنة زارت معسكر الأمير عبد القادر بعثة فرنسية بقيادة، شخصية فرنسية ذات وزن هو أدريان بيربروجي* A. Berbrugger، فذكر أن الأمير عبد القادر كان مشتركا في صحف فرنسية ومنها صحيفة «الميثاق الدستوري».²

بدأت الصحافة في الجزائر مع قدوم الاستعمار، غير أن المحاولات الجادة لصحافة حرة، لم تظهر إلا محتشمة مع بداية القرن العشرين، لتزدهر بعد الحرب ع1، وهنا نشير لبدايات الصحافة الحرة التي تدافع عن الأهالي، فنذكر جريدة «المنتخب» التي ظهرت في 28 أبريل 1882 في قسنطينة، وكان مديرها فرنسي هو بول يتيان Paul Étienne، كانت رسالتها واضحة هي الدفاع عن مصالح الأهالي، وقد صدرت باللغتين أسبوعيا كل يوم أحد، وشارك في الكتابة فيها نخبة من ألمع الشخصيات الجزائرية التي كانت تنشط ثقافيا آنذاك، ومنهم أحمد بن بريهمات وحميدة بن باديس وعبد القادر المجاوي، وقد نوه بهذه الجريدة زين العابدين بوطالب؛ وهو قريب الأمير عبد القادر، إلا أن رد فعل الحكومة والمستوطنين كان عنيفا، فتم توقيفها بتهم

¹ - سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، مرجع سابق، ص95.

* - هو الباحث أدريان بيربروجي A. Berbrugger مؤسس مكتبة الجزائر العمومية حين اسندت له وزارة الحربية مهمة الإشراف عليها وتسلم الإشراف على صحيفة المونيتور منذ 1835 بالجزائر كذلك ترأس الوفد الفرنسي إلى الأمير بمعسكر والى الأمير في البويرة.

- ينظر: سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص242. أيضا للاستزادة ينظر: -أدريان بيربروجي: مع الأمير عبد القادر رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة (1837-1838)، تر، وتع: أبو القاسم سعد الله. الناشر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2005.

² - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص242.

جاهزة، هي التمرد والتعامل مع جهات خارجية، فانتهت في 12 يناير 1883 بعد صدور 40 عدد لها.¹ وأصبح هذا الإجراء الجائر تجاه الصحف الأهلية سلوكا معروفا، في جو من الإرهاب، تحت طائلة القوانين الاستثنائية المسلطة وقد طال هذا التعسف في البداية جريدة «المنتخب»، ثم «جريدة الحق العنابي» التي حاولت كشف الاعيب وحيل لأنسانية يستعملها اليهود، ضد المسلمين للاستيلاء على أملاكهم.²

منذ أواخر القرن التاسع عشر، تفتن المثقفون (مثل المكي بن باديس*) ورجال الإصلاح ورجال السياسة، ورجال الدين، ورجال الزوايا، إلى ضرورة تسخير الإعلام لتبليغ رسالاتهم إلى الشعب الجزائري بعامّة، والمستتيرين منه خصوصا، وتبليغ رسالاتهم إلى المحتل الفرنسي، وكذا الشروع في نوع جديد من المقاومة الفكرية بواسطة تلك الكتابات، وبالفعل فقد تحققت الأهداف المرجوة من الإعلام، وتمثل في سرعة رد فعل المحتل إزاء الكتابات الصحفية الوطنية التي كانت تجهر بالرأي؛ وعلى الرغم من أن تلك الكتابات كانت في عامتها باللغة العربية، إلا أن الإدارة الاستعمارية كانت تتابع ما ينشر فيها.³

نهاية القرن التاسع عشر ظهرت بواكير الصحف الجزائرية بداية بجريدتا «الحق» و«النصيحة». ففيما يخص صحيفة «الحق» فهي أسبوعية صدرت في عنابة في 1893 على يد سليمان بن بنقي؛ وعمر السمار؛ وخليل قايد العيون، وكانت مزدوجة اللغة، وكانت بحق أول صحيفة عربية وطنية، وكانت تحمل رد فعل عنيف، تهاجم من يهاجم العرب،⁴ كما ظهرت جريدة «النصيحة» بالعربية سنة 1899؛ على يد أحد الأوروبيين، وهو السيد إدوارد قاسلان E. Gouslan، لتليها جريدة «المغرب» بالعربية سنة 1903، كما أنشأ المعلم العربي بن علي فكار؛ جريدة «المصباح» في ماي 1904 بوهران.⁵

كذلك ظهرت عدة صحف جزائرية منها: جريدة «كوكب إفريقيا»؛ للشيخ محمود كحول 1907، وجريدة «الجزائر»؛ لعمر راسم 1908، وجريدة «الفاروق»؛ لعمر بن قدور سنة 1913، والتي يصفها المؤرخ سعد الله بأنها من الصحف الوطنية الناجحة، مما أورثها غضب الإدارة، وجريدة «ذوالفقار»؛ لعمر راسم سنة 1913، وكان عمر راسم من أوائل من تفتن لما يحاك لفلستين، ولخطر الصهيونية؛ وحذر منها.⁶

¹ - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص 234، 235.

² - محمد بن صالح ناصر: الصحف العربية في الجزائر 1847-1954، ط1، ألفا ديزاين، الجزائر، 2006، ص ص 12، 14.

* - المكي بن باديس: والد جد عبد الحميد بن باديس - ينظر: سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، مرجع سابق، ص 462، 463.

³ - عبد الملك مرتاض: أدب المقاومة في الجزائر، ج1، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2009، ص65.

⁴ - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص243، 244.

⁵ - Benkada Saddek: «el misbah premier journal jeune-Algérien (Oran-Tlemcen, 1904-1905)», revue **insaniyat** vol 21, n 78, 191.

⁶ - ينظر: سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص ص 242- 247.

كان إنشاء جريدة «ذوالفقار»؛ وجريدة «الفاروق»؛ عمليا بمثابة ظهور لبواكير التجديد في الجزائر العاصمة، وكانتا تسعيان للدفاع للإسلام، والعمل على توحيد جماعة المسلمين بالجزائر، والمحافظة على العقيدة، والرجوع إلى أصل الدين، عن طريق محاربة البدع والخرافات وانحرافات الطريقة،¹ وجاء في جريدة «ذو الفقار» لعمر راسم: «لما سمعنا الإسلام يئن، من طغيات أعدائه، والوطن ينادي بالويل والحسرة على أبنائه، أنشأنا هذه الجريدة لمحاربة أعداء الدين، وكشف أسرار المنافقين، وإظهار مكائد اليهود والمشركين، للناس أجمعين، وانتقاد أعمال المفسدين ومراقبتهم، في جميع حركاتهم وسكناتهم».² وقد اهتمت الصحافة الوطنية آنذاك بأحداث الساعة؛ ومنها ظاهرة الهجرة، وحاول كل من عمر راسم؛ وعمر بن قدور؛ إثارة بعض القضايا التي تهم الجزائريين عبر الصحافة، ويعتبر عمر راسم من أوائل الوطنيين الذين نادوا بالإصلاح، وحذر من عدة قضايا كالفرنسة والإدماج، التجنيد، والصهيونية، أما عمر بن قدور الجزائري فيرجع إليه الفضل في استعمال كلمة الوطنية، في كتاباته في جريدة «الأخبار»، وتحديد معانيها وأهدافها.³ وقد اهتمت النخب بنشر أفكارها عبر إصدار الصحف والعناية بها، ففي مقالة الأمير خالد عن دور الصحافة فيقول: «يسألونك عن الجرائد، فيها خير كثير... هي محامي من لا محامي له، ونائب من لا نائب له، وأستاذ من لا أستاذ له، تربي الصغير، وتهذب الكبير، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، ترهب الظالم، وتفضح المنافق... فهي الآن من اللوازم الواجبة».⁴ ومن أهم الأقلام الصحفية التي ظهرت في الثلث الأول من القرن العشرين أربع قامات من مثقفي الجزائر، تركوا بصماتهم في عالم الكتابة الصحفية وهم: عمر بن قدور، وعمر راسم، والشيخ عبد الحميد بن باديس، يضاف لهم أبو اليقضان.⁵ ومن جهة أخرى ساهم الرواد الأوائل، في نصرته اللغة العربية، حيث استردت مكانتها، من حيث عدد الصحف التي صدرت بالعربية، ومن ناحية جودة المادة الأدبية، كما يرى ذلك المؤرخ والمستشرق الفرنسي ديبارمي Desparmet فيقول: «الصحف العربية في الجزائر والمكتوبة باللغة المقدسة؛ قادت الثورة اللغوية، يساعدها في ذلك السياسيين والنواب؛ الذين نادوا بحق اللغة العربية في الوجود».⁶

انتعشت الصحافة بعد الحرب ع1، وأهم العناوين عندئذ «جريدة الإقدام» وهي وطنية أسبوعية ناطقة

1 - صاري وقداش: المقاومة السياسية، مرجع سابق، ص ص243-245.

2- جريدة ذو الفقار لصاحبها: عمر راسم، العدد الأول 10-15-1913. وأيضا-محمد بن صالح ناصر: الصحف، م سابق، ص44.

3 -عمار هلال: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962)، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2016، ص305، 306.

4 - جريدة الإقدام عدد 10، السنة الأولى 29 صفر 1339 / نوفمبر 1920.

5 -سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص276.

6 - نفسه: ،.....ج8، ص25.

باللغة الفرنسية، أضيفت لها طبعة باللغة العربية ابتداء من سبتمبر 1920 بالجزائر العاصمة وكانت تعبر عن حركة الأمير خالد كأول صحيفة عربية حادة اللهجة بعد الحرب العالمية¹، وصدرت الإقدام في أول عدد لها بتاريخ 1919/02/02 وهي وطنية أسبوعية ناطقة باللغة الفرنسية، ثم أضيفت لها طبعة باللغة العربية ابتداء من سبتمبر 1920 بالجزائر العاصمة، وقد تضمنت "جريدة الإقدام"، الأخبار والتقارير والتعليق والأركان الأدبية والإعلانات الاشهارية، أما عن إدارة الجريدة فقد توزعت بين الأمير خالد رئيسا، وكل من حاج عمار وصادق دندن، وكذا المحامي قايد حمود وتنوعت الأقلام الصحفية بالجريدة، وقد توقفت قليلا في أكتوبر 1922م، ثم استأنفت النشاط لغاية 1923م، وبعدما صدر منها 125 عددا، كان آخرها في 06 افريل 1923م أوقفها الاستعمار بعد المقالات الحادة المتسلسلة التي نشرتها.¹ وبعد نفي الأمير خالد تبني لهجتها الصادق دندن وابن باديس في الجزائر، وتبنى الخط نجم شمال إفريقيا في فرنسا.² وبين 1919 و 1930 أسست أكثر من 25 صحيفة في الجزائر من بينها «الإقدام»-الأمير خالد، و«النجاح» سنة 1919.³

-أما بالنسبة لصحف التيار الإصلاحية التابع لابن باديس فصدرت له: «المنتقد»، و«الشهاب» سنة 1925، وسنة 1933 ظهرت له عدة صحف أشهرها «البصائر» الأولى ثم ظهرت البصائر ثم الثانية.
-أما التيار الطرقي له صحف كثيرة منها جريدة «البلاغ الجزائري» للزاوية العليوية بمستغانم، و«الرشاد» على يد مصطفى القاسمي (زاوية الهامل ببوسعادة) وقد صدرتا بالعاصمة.
-كما صدر للحركة الاندماجية «التقدم» لابن التهامي و«صوت الأهالي» لرابح الزناتي.
-وكان للتيار الشيوعي صحيفة «الصراع الطبقي» lutte sociale.
- أما التيار الثوري فبعد جريدة «الإقدام» و«الإقدام الباريسي» اللتين قامت فرنسا بحلها، أسس النجم أول صحيفة هي «الأمة» بالفرنسية ثم صدرت للحزب أول جريدة باللغة العربية سنة 1937 وهي «جريدة الشعب» التي أصدرها حزب الشعب ولم تعمر.⁴ وبعد الحرب العالمية الثانية عرفت الساحة الوطنية ميلاد عناوين جديدة وازدهرت الصحافة في الجزائر.

¹ - ينظر: نفيسة دويذة: «قضايا الجزائر من خلال جريدة الإقدام 1919-1923»، مجلة الحقيقة، مج 16، العدد 40، جامعة أحمد دراية، أدرار، مارس 2017.

² - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص ص 243-268.

³ - أحمد صاري: شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، تق: أبو القاسم سعد الله، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2004، ص 116.

⁴ - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص ص 243-268. وللاستزادة - ينظر: محمد بن صالح ناصر: الصحف، مرجع سابق. - أيضا، زهير احدادن: الصحف المكتوبة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2012.

4- زخم قانون التجنيد الإجباري

عشية الحرب العالمية الأولى أصدرت الحكومة الفرنسية مرسوم 3 فبراير 1912 الخاص بتجنيد الشبان الجزائريين في الجيش الفرنسي، للمشاركة في حروب فرنسا، هذا الإجراء قبل صدوره أثار ردود فعل عنيفة لدى الرأي الإسلامي في الجزائر، وفي الأخير صوت القسم العربي في الوفود المالية بالإجماع، يوم 8 يونيو 1912، لصالح اقتراح بهذا الشأن، وقد كان صدور القرار مادة دسمة للصحف الأهلية، التي تناولت مسألة التجنيد العسكري للسكان المسلمين، وكانت المسألة كنقطة انطلاق للمطالبة بحق المواطنة لجميع الجزائريين المسلمين.¹

ورغم أن الاستعمار الفرنسي حقق أهدافه المرحلية بالسيطرة العسكرية على الجزائر، بعد فشل كل المقاومات العسكرية، إلا أن نهاية القرن التاسع، شهدت إرهابات لحركة مطلبية محتشمة، سرعان ما وجدت مناخ نمو بداية القرن العشرين مستفيدة من بروز توتر دولي، وحاجة فرنسا لشراء السلم الاجتماعي، وخوفها من الدعاية الألمانية العثمانية، ورغبتها في تجنيد الجزائريين للحرب العالمية الأولى، هنا قررت النخب الجزائرية المسلمة أن تستغل الفرصة لصالح الأهالي، وخاض الرواد الأوائل معترك النضال داخليا عبر حركة المطالب، التي نددت بالظلم، وذكرت بحق المساواة في الحقوق والواجبات الذي تنتكر له فرنسا، وللاستفادة من الواقع الجديد، أخذ الشبان الجزائريون زمام المبادرة، وتقابلوا مع رئيس الحكومة الفرنسية في جوان 1912، وعرضوا عليه مشروعاً يقضي بقبولهم الخدمة العسكرية، مقابل أن تعترف فرنسا بحقوقهم وتمثيلهم في البرلمان الفرنسي، هنا قررت الحكومة الفرنسية تحت الضغط أن تستجيب لبعض مطالب المسلمين في حدود ضيقة.²

بالنسبة للفرنسيين فمن الطبيعي أن يطبق عليهم واجب التجنيد، باعتبارهم مواطنين لهم كامل الحقوق، بينما الأمر مختلف بالنسبة للجزائريين، ذلك أن الأهالي المسلمين اعتبرهم قانون مجلس الشيوخ رعايا لا مواطنين، ليس لهم حقوق المواطن، وعليه فتطبيق الواجبات على من ليس له حقوق يعتبر متناقضا، كما أن طبيعة قانون التجنيد الإجباري متناقضة مع قانون مجلس الشيوخ لسنة 1865، والقاضية بتجريد الجزائريين من الجنسية الفرنسية، إلا إذا تخلوا عن أحوالهم الشخصية، وهو ما لم يقبله الجزائريون لأنه «الردة عن الإسلام»، رغم ذلك فرض على الجزائريين المسلمين القتال تحت العلم الفرنسي، وقد يكون القتال ضد إخوانهم المسلمين حيث أجبروا وجندوا في حروب فرنسا

¹ -claud culott et jean robert henry: op .cit, p23.

² - بوحوش: مرجع سابق، ص182، 183.

(ومنها احتلال-المغرب، وسوريا) وهو أمر مخالف لدين المسلم، فخرقت بذلك فرنسا نص معاهدة 5 جويلية 1830 بين الداي حسين ودي بورمون de Bourmont باحترام الإسلام.¹ بما أن التجنيد الإجباري أصبح أمرا واقعا، فإن أعيان المسلمين وممثليهم في الجزائر، قرروا بأن لا يمرر هذا القانون دون مقابل من الفرنسيين، فقدموا للحكومة الفرنسية مطالب تتضمن إصلاحات من الضروري قيام الفرنسيين بها، وفق ما جاء في هذه العريضة.²

تأسيس لجنة الدفاع عن المسلمين: وكان على النخب الوطنية، ممارسة نوع من الضغط على حكومات الاستعمار التي كانت لا تريد فتح جبهة مع شعوب المستعمرات، وبادرت النخب المسلمة في الجزائر، لتبني هذه الخيار لتحقيق هدفين، وهما العمل لتحقيق صالح الأهالي، وثانيا فرصة لممارسة وارتياح الفعل العام، ومن ثمار هذه الجهود تجلت بوادر العمل السياسي، فاغتناما لصدور القانون التجنيد، انضواء مجموعة من النشطاء تحت اسم: «لجنة الدفاع عن المسلمين» سنة 1908.³ هذه اللجنة أرسلت إلى باريس وفداً سلم في 26 يونيو 1912 بيانا إلى رئيس الحكومة الفرنسية بوانكاريه R. Poincaré، يعرضون فيه مطالب الإصلاحات التي ينتظرونها مقابل تجنيد الشبان الجزائريين في الجيش، للدفاع عن مصالح فرنسا، وكان الهدف من العريضة تحقيق مطالب والحصول على حقوق.⁴ وهذا الجهد من «لجنة الدفاع عن المسلمين» مؤثر على بداية مرحلة جديدة من المقاومة السلمية في الجزائر، وبالمناسبة كانت «جريدة الحق» أول من انتفض ضد التجنيد، وأول من حض على تقديم عرائض وعلى إرسال موفدين إلى فرنسا، وقدمت رأيها حول الصفات التي يتعين أن يتحلى بها الموفدون للقيام بهذه المهمة، حتى يتسنى لهم القيام بعمل مجد لصالح الجزائريين المسلمين بفرنسا.⁵ ومما جاء في "جريدة الحق" حول الشروط الواجب توفرها في الوفد: «خطأ فادحا الاعتقاد بأن الوفود يتعين أن تتشكل فقط من الأطباء والمحامين والأساتذة.. إلخ. وأول صفة يتعين التحلي بها لتكون موفدا ملائما، هي أن تكون رب أسرة، ومن المستحسن أكثر والدا لأحد المجندين، ويتعين من ثم أن نكون مطلعين على مطالبات المسلمين، وقادرين على عرضها بوضوح باللغتين الفرنسية أو العربية،

¹ - سعد الله: الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص 176.

² - محمد قناش، محفوظ قداش: نجم شمال إفريقيا 1926-1937 وثائق وشهادات لدراسة التيار الوطني الجزائري، تر: أوداينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013، ص21.

³ - سعد الله: الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص 145.

⁴ - claude culott et jean-robert henry, op.cit , p23. بتصريف

⁵ - قناش، وقداش: نجم شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص19، 20.

أيا كانت فيجب أن لا ننسى وجود تراجمة بفرنسا في الوزارات، وفي كبرى الصحف، نريد بالخصوص أن يشكل الوفد من أشخاص نبلاء بجلابيب...سيكون تأثيرها أكبر من الحل الرسمية، والسراويل الملتصقة لبعض الموفدين، التي تجلب سخرية الباريسيين؛ أكثر من إلهامها التعاطف، مع إختنا في الدين من البؤساء، وأقل حد ممكن من الخطباء يجب أن يُعدوا الكثير من الحجج المتينة والمعبرة التي يستغلونها بحيوية كبيرة وحذاقة، نأمل أن يعطي الموفدون الانطباع بأنهم أرياب أسر شجعان عازمين على نيل حقوقهم، لا سياسيين يبحثون عن شعبية زائفة»¹.

- ومما جاء في البيان المقدم من الوفد للحكومة الفرنسية:

«فقد أثارت الظروف التي شرع فيها المرسوم المؤرخ في 3 فيفري 1912، الخاص بمسألة التجنيد العسكري للأهالي المسلمين، انفعالا كبيرا في الجزائر برمتها...فإن الوجهاء الموقعين أدناه، باسم أعداد كبيرة من أبناء وطنهم، يرون:...مقابل هذا العبء الجديد... تحسن في الوضعية...وهؤلاء المندوبون مستندين على العديد من العرائض، التي صيغت في المقاطعات الجزائرية الثلاث، مستعدون لأداء كامل الواجبات...ولكنهم من جهة أخرى يرون أن من الضروري تحقيق مطالبهم»² وقد سلم الوفد* إلى رئيس الحكومة الفرنسية بوانكاريه Raymond Poincaré، في 26 يونيو 1912؛ بيانا قدم فيه الموفدون مطالب الإصلاحات التي ينتظرونها مقابل تجنيد المواطنين الجزائريين في الجيش الفرنسي وأهم نقاطها:

- 1- تخفيض مدة الخدمة العسكرية إلى سنتين، أي نفس المدة التي يقضيها الفرنسيون. -
- 2- الاستدعاء بسن 21 سنة بدلا عن 18 سنة، لأن هذا السن لا يكون المستعدون فيه مكونين بما يكفي من الناحية الجسمانية.
- 3- إلغاء المنحة، لأن العائلات ستكون فخورة برؤية أبنائها يخدمون في صفوف الجيش

¹- جريدة الحق 8-15 جوان 1912 عن: قنانش، وقداش: نجم شمال إفريقيا، ص 19، 20. ص 19، 20.

²- قنانش، وقداش: نجم شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 22. -ينظر أيضا:

-claud culott et jean-robert henry: op.cit p p 23 ; 24

*-وقد تم توقيع وثيقة المطالب من الشخصيات التالية، الدكتور بن تامي مستشار بلدي عن الجزائر العاصمة/-مختار حاج سعيد، محامي عن قسنطينة/-بوشريط علاوة مستشار بلدي عن قسنطينة/-حاج عمار، مستشار بلدي عن جيجل/-جودي مستشار بلدي عن بسكرة/- بن عثمان مستشار بلدي عن سرايدي عنابة/- بن ددوش مستشار بلدي عن تلمسان/ قارة علي من الأعيان عن عنابة. ينظر:

- claud culott et jean-robert henry: op.cit, p p 23.

الفرنسي دون مقابل مادي (أي أن أبناءها ليسوا مرتزقة)¹.

- فضلا عن ذلك، يطالبون بأن يمنحوا التعويضات الفعلية التالية:

1- إصلاح النظام القمعي.

2- تمثيل حقيقي وكاف في المجالس الجزائرية وفي الميترربول .

3- التوزيع العادل للضرائب.

4- تخصيص الموارد المالية بشكل منصف بين مختلف مكونات الشعب الجزائري

-أما الاستخلاصات التي توصل إليها الموقعون الخاصة بمطالب الأهالي

1- أن توسع الهيئة الناخبة بغية ضمان فعالية وصدقية التصويت.

2- أن يرفع تعداد الممثلين من الأهالي في المجالس الجزائرية إلى خمسي تعدادها.

3- أن تتشكل الهيئة الناخبة بنفس الكيفية لناخبي جميع المجالس الجزائرية، في حال ما قدر.

4- فإن من الضروري إجراء درجة ثانية من الانتخابات لتعيين المستشارين والمندوبين الماليين.

5- ويتعين أن ينال حق التصويت فقط المستشارين البلديين دون المساعدين من الأهالي.

6- أن يكون للمستشارين البلديين من الأهالي الحق في المشاركة في انتخاب رؤساء البلديات والمساعدين.

7- أن تعلن الوظائف العمومية غير متطابقة مع وظائف القيادة ولمساعدين الأهالي.

8- أن يمثل الأهالي في البرلمان الفرنسي، أو أن يؤسس بباريس مجلس يمثل فيه مسلمو الجزائر بمندوبين ينتخبونهم بأنفسهم.

9- أن ينال الذين أوفوا بواجب الخدمة العسكرية، عن طريق الاستدعاء أو التطوع الإرادي؛ الحق في اختيار صفة مواطن فرنسي، دون الخضوع للإجراءات الحالية وبناء على تصريح².

...

¹ - قنانش، وقداش: نجم شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص ص21، 22. ينظر أيضا:

- claude culott et jean-robert henry, op.cit p p 23,24. : ينظر كذلك -

² - قنانش، وقداش: نجم شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص ص21، 22. ينظر أيضا:

- claude culott et jean-robert henry, op.cit p p 23,24. : ينظر كذلك -

المبحث الثاني: دور الهوية في تشكل الوعي، الأدوات والمجالات

1- دور التواصل مع العمق العربي الإسلامي

في الثلث الأول من القرن العشرين؛ ظهرت بوادر نهضة ثقافية في الجزائر؛ بفضل بروز عدة عوامل ساهمت في بعث الوعي، ومنها:- مواسم الحج.- دور العائلات المهاجرة للمشرق ومنها عائلة الأمير عبد القادر، ودور طلبة العلم في الزيتونة والمشرق،-والصحف المسرية للجزائر عبر تونس.-وتداعيات الحرب العالمية الأولى. كل هذه العوامل ساهمت في لحظة الوضع، وإحداث ثلثة في الستار الحديدي الذي أقامته فرنسا لمنع الجزائريين من الاستفادة من محيطهم الإسلامي. وإضافة للعوامل السابقة نجد التواصل الذي تم عبر زيارات العلماء للجزائر؛ تلك الزيارات نشطت الوضع الثقافي السائد بالجزائر، وكسرت الحصار عليها ومنها : زيارة محمد بيرم الخامس التونسي للجزائر سنة 1878، وزيارة عبد العزيز الثعالبي العالم والسياسي التونسي سنة 1895، وهو سليل أسرة جزائرية مهاجرة، كما تردد على الجزائر أفراد من عائلة مصطفى بن عزوز الرحمانية (أصلهم من منطقة بسكرة)، التي استقرت بتونس منذ 1844 ومنهم العالم المكي بن عزوز، والعالم محمد الخضر حسين، الذي زار الشرق الجزائري والعاصمة (تولى مشيخة الأزهر سنة 1952)، وزيارة السياسي المصري محمد فريد سنة 1901، حيث كان في استقبال بعضهم ثلثة من علماء الجزائر ومنهم: عبد الحليم بن سماية، والمولود بن الموهوب، وعمر بن قدور، وبن الخوجة الكمال، وعمر راسم، وقد تبنت أفكارهم بعض الصحف مثل جريدة الفاروق، وجريدة ذو الفقار.¹

إضافة لزيارة العلماء للجزائر نجد نوع آخر من التواصل؛ وهو التواصل الصحفي، ومثال على ذلك، نجد الصحفي الجزائري عمر راسم؛ كان ينشر مقالاته في جرائد تونسية منها جريدة التقدم، ثم جريدة الأمة، ثم جريدة المشير، كذلك الصحفي عمر بن قدور كان يرسل جريدة التقدم منذ 1908، كذلك راسل جريدة الحاضرة بتركيا والمشير التونسية.² كذلك استفادت الحركة الوطنية من المناخ الدولي، قبل وبعد الحرب العالمية الأولى، متشجعة بالحس القومي المتسرب من المشرق، فلم يكن الشعب الجزائري معزولا عن العالم، إذ تسربت للجزائر أفكار النهضة، التي قادها رجال الإصلاح، وفكرة الجامعة الإسلامية التي دعا إليها السلطان عبد الحميد، كل ذلك ترك أثرا كبيرا على تطور المقاومة ضد الاستعمار، وأعطى نفسا جديدا ودعما للمقاومة.³

¹- ينظر: سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص570، 581، 595.

²-بوطيبي محمد: دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية، دار الهدى عين مليلة، الجزائر 2009، ص ص 88-102.

³- ينظر: أحمد صاري: مرجع سابق، ص ص 179-181.

- دور الطرق الصوفية والزوايا في المحافظة على اللحمة الوطنية والهوية: رغم جهودا أكثر من

مئة عام لمحاولة تصنيف الأهالي وفق أعراف متميزة متباغضة من قبل الاستعمار، فإنه لا يخفى دور المؤسسات الإسلامية العريقة في الجزائر والمتمثلة في الطرق الصوفية والزوايا في المحافظة على اللحمة الوطنية، علما أن أغلب الثورات كان زعماءها ينتمون لطرق صوفية معروفة.¹ وقد لعبت الطرق الصوفية* دور كبير في ارتقاء الستار الحديدي، الذي فرضه الاستعمار لفصل الجزائر عن محيطها العربي الإسلامي، وقد كان للطرق الصوفية وسائلها الخاصة للتواصل، عبر القنوات والمسالك الظاهرة والخفية؛ وشبكاتهما وامتداداتها في ليبيا والمشرق العربي، وبذلك استجلبت السند والعون، واستثمرت عنصر واجب الأخوة الإسلامية، لكسر الحصار الذي فرضه الاستعمار الفرنسي على الشعب الجزائري.²

كانت الاستخبارات الفرنسية تنتظر للطرق الصوفية كجمعيات سرية، ظاهرها الزهد وباطنها مجهول، لهذا كانت فرنسا تراقب تحركات وسكنات كل الطرق الصوفية، ذلك أن أغلب الثورات؛ كان زعماءها ينتمون لطرق صوفية معروفة، كثورة الأمير عبد القادر المنتمي للطريقة القادرية، والزعيم الحداد المنتمي للرحمانية، وغيرهم، وكمثال على ذلك التواصل الذي كان موجودا، تذكر المصادر أن محمد المرتضى (الذي كان عمه الأمير عبد القادر كان وارثا لزعامة الطريقة القادرية في الجزائر، التي كانت لجده محيي الدين)، قد تلقى سنة 1895 في محل إقامته ببيروت، حوالة بريدية نقدية ب 1440 فرنك، من مقدمي الطريقة القادرية في الجزائر، قدمها قاض وقائد للمقدم، وهو ما أثار فضول الفرنسيين عن سر هذا التعلق وهذه الرابطة بين الجزائريين وقياداتهم.³

ولأن مبدأ درء المفسدة يُقدم، ولأنهم في حالة الدفاع على بقاء الشخصية الإسلامية من الذوبان والتلاشي، لذلك استثمرت بعض الطرق الصوفية، الميول الشعبية للخيبالات والمعجزات في بقاء تنظيماتها الاجتماعية على أساس العقيدة.⁴

¹ - بن العقون: الكفاح القومي، ج1، ص53، 54.

*-الطرق الصوفية في الجزائر كثيرة منها التي أنشئت في العهد الاستعماري السنوسية والعلوية وأغلبها أنشئت في العهد العثماني. ومنها ما هو مؤسس في الجزائر كالرحمانية والتجانية، ومنها الوافد كالتيبية والعيساوية والدرقاوية المؤسسة في المغرب الأقصى، والشايبية التي أنشئت في تونس، والمدنية والشاذلية التي أسست في المشرق وبدأت في تونس، والمدنية التي أنشئت في طرابلس، ومنها التي أسست في المشرق كالقادرية. -ينظر: سعد الله، ت.ج. الثقافي، ج4، مرجع سابق، ص31، 32. -وبلغ عدد الطرق الصوفية الفاعلة في الجزائر ستة وعشرين طريقة توظفهم 349 زاوية. والطرق هي:- القادرية-الرحمانية التيجانية-السنوسية-الهيرية-الشاذلية-العلوية، العيساوية، الزروقية، الحنصالية، الكرزانية، الطيبية، الشيخية، الدرقاوية، المدنية. الشايبية، البوعلية، اليوسفية، الناصرية، العمارية، الزيانية، المكاحلية، البكائية. - ينظر: سعد الله، ت.ج. الثقافي، ج4، مرجع سابق، ص 193، ص 293.

² - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص511، 512.

³ - نفسه: ص 511، 512.

⁴ - بن العقون: الكفاح القومي، ج1، مرجع سابق، ص 53.

2- الاستعمار والعمل على التحكم في تأطير المجتمع ثقافيا

لحقت أضرار جسيمة بالحياة الثقافية جراء الاستعمار، والتي مست جميع المؤسسات الدينية وأوقافها، وطالت البيوتات العلمية بالتشريد والنفي، فبين 1830 و1851 انقرض جيل كامل من العلماء، بالهجرة أو النفي أو قطع الأرزاق، كابن العنابي مفتي الحنفية بالعاصمة، والكبابي مفتي المالكية بالعاصمة، والسياسي حمدان خوجة، وعائلة المشرفي، والعائلات التي انتقلت مع الأمير عبد القادر، وهي بيوتات علمية تملك مكتبات* مهمة، تركت فراغا عند رحيلها من الجزائر لم يكن من السهولة ملؤه.¹

في ظل الواقع الاستعماري، حُرِمَ الجزائريون من أبسط حقوق الإنسان، وزاد الأمور تعقيدا حياة البؤس مع اجتماع الثالوث الأسود: الفقر الأمية، والأوبئة، والمجاعات، كما حُرِمَ الجزائريون المسلمون من ممارسة حرية التعبير، واحتكرت الأقلية الأوروبية كل أشكال التعبير ردحا من الزمن، كما احتكرت قبل ذلك كل الميادين وجميع المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية، وفي هذا المجال يرى الباحث ثنيو: أن الاتجاه العام لدى الفرنسيين في الجزائر والحكام في الميتروبول، نحا إلى تكريس المواطنة الفرنسية بتأييد دوام الحالة الأهلية في الجزائر عبر القوانين الاستثنائية، لذلك تأكدت النخب المسلمة بأن التشريعات الفرنسية تساعد في تخلف الأهالي، وتقدم الفرنسي والأجنبي، بمعنى أن التقدم الذي يحرزه الأوروبيون في الجزائر، يتم طردا مع التخلف الذي ينال الجزائريين.²

تدافع حضاري: مفهوم التدافع ينطوي على معاني متعددة، كالصدام والصراع والمغالبة والتنافس، الناتج عن تعارض المصالح واختلاف المبادئ والأهداف، وقد يكون حضاريا ناعما وخفيفا يقترن مع طرح الحجة والحوار والتعايش والتعاون والتفاعل، وقد يكون حادا لا يرجى منه إلا إزاحة الآخر، والتدافع والسجلات كظاهرة أدت لتفجير طاقات، ولبروز فعاليات، ونمو واستحداث فضاءات للمواجهة، يحاول كل طرف إثبات وجوده، والوقية بالخصم، فكان ذلك التدافع أن تمخض عن تفجر طاقات، استفاد منها العمل الوطني بشكل أو بآخر. والذي يعنينا من التدافعات، هو تلك المساجلات

* - وهذا يحيلنا لما وقع لمكتبة الأمير عبد القادر في حادثة الزمالة، وضياح مكتبة الجامع الأعظم بالعاصمة ومكتبات تلمسان ومعسكر وبجاية وفي قسنطينة. وإضافة لمكتبات المساجد والزوايا، كان هناك المكتبات الخاصة، ففي قسنطينة كان هناك ثلاث مكتبات خاصة مشهورة وهي مكتبة حمودة الفكون العظيمة. ومكتبة باش ترزي، ومكتبة بن عيسى، ويذكر المستشرق البارون ديسلان أنه غداة سقوط قسنطينة قد بقي يشتغل خمس أسابيع، للاطلاع على أهم محتويات مكتبة الفكون بقسنطينة، فوجد أنها كانت تحتوي على 2500 مجلد بحالة جيدة. ينظر: سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 301-305.

¹ - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص 58.

² - نور الدين ثنيو: إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2015، ص77.

في جانبها الثقافي، بين نخب الحركة الوطنية الجزائرية، خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر، بين من كان يمثل المشروع الوطني، ومن كان يتبنى العصرية والتحديث إلى حد التساهل في حدود الهوية.¹ وقد عملت الإدارة الاستعمارية على اختراق المجتمع المسلم، لتشكيل النخب الوسيطة، والتي كان أساسها الأول مؤطري وتلاميذ المدارس الشرعية الثلاث،* وعمادها قدماء تلاميذ المدارس العربية الفرنسية، وشكلت هذه النخبة قصدا من طرف السلطات الفرنسية، لخلق مثال يقبله الأهالي، لأنه منهم وفي نفس الوقت مثقف ثقافة فرنسية، فهو يفكر بالطريقة الفرنسية، فيصبح ناقلا أو مهيبا لتقبل الفرنسيين كثقافة مسيطرة، وعبره تستطيع فرنسا ضمان ولاء الجهاز الديني، وعن طريقه تأتي السيطرة على جموع الأهالي. وقد بدأ الأمر مع المدارس الثلاث التي أسست سنة 1850، والتي كان منها القضاة والعلماء ومدرسو اللغة العربية، ثم ظهرت مدارس ترشيح المعلمين منذ 1865 بالعاصمة، وبيوزريعة منذ 1887.²

كانت هناك عوامل جديدة على مسرح النشاط العام، فقد تبلورت كل تلك الجهود والتدافعات الثقافية وأسفرت عن ظهور حركة سياسية ناهضة في الجزائر ولكنها دون نظام حزبي، وذلك بظهور حركة اجتماعية أكثر منها سياسية؛ سميت «حركة الجزائر الفتاة» التي أصبحت حقيقة واضحة، وبدأت تلعب دورا هاما في توجيه السياسة المحلية، وقد أظهرت نفسها نشيطة وفعالية كحركة نهضة في عدة ميادين ومنها: الإنعاش الثقافي، والتعبئة السياسية. غير أن هذه الحركة لم تبلغ درجة التنظيم كحزب، لأن الأحزاب السياسية بالمعنى المتعارف عليه لم تكن بعد موجودة في الجزائر، بسبب سطوة القوانين الاستثنائية التي فرضت التخلف على الجزائريين في كل الميادين.³ استغلت حركة الجزائر الفتاة قضية التجنيد الاجباري المطروحة وأعلنت موافقتها على الالتزامات التي فرضت حديثا على الجزائريين لأداء الخدمة العسكرية الالزامية دفاعا عن فرنسا، ولكنها مقابل ذلك قدمت مطالب منها: توسيع تمثيل الجزائريين في الجمعيات والمجالس المنتخبة، وتطوير التعليم وتوسيعه، وإنهاء الضرائب الخاصة المفروضة على العرب، والغاء قانون الأهالي

¹ - بشير بلاح: التدافعات الثقافية في الأسطوغرافيا الجزائرية 1962-1998 جذورها والعوامل المؤثرة فيها، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2017، ص10، 11 بتصرف.

* -سنة 1850 وبعد 20 سنة احتلال تقرر إنشاء المدارس الشرعية الثلاث في كل من المدية وقسنطينة وتلمسان والهدف تخريج القضاة والأئمة الذين تحتاجهم الإدارة. ينظر - كمال خليل: المدارس الشرعية الثلاث، رسالة ماجستير - جامعة منتوري، قسنطينة، 2008.

² - غي بريفيلي: النخب الجزائرية الفرنكفونية، مرجع سابق، ص15، 16.

³ - بن العقون: الكفاح القومي، ج1، ص30.

l'indigenat سيئ الصيت، هذا القانون الذي كان من أهم ركائزه وأدواته: -الاعتقال الإداري. - مصادرة الممتلكات والمكاسب. -المسؤولية المشتركة. -قانون الغابات المرهق.¹

تمايز النخب: كلمة نخبة مفهوم من مفاهيم مماثلة كالصفوة والتميز، والتي تشير لأحسن الأفراد أو العناصر، وهذه التصنيفات للنخب تستمد قوتها من خصال طبيعية لها قيمة عالية لدى المجتمع مثل العرق الدم، أو تستمدها من خصال مكتسبة، كالثقافة والاستحقاق. وبالتالي فالعامل المحدد يدل على الوسط الذي افرزها.² وقد انقسمت الطبقة المثقفة في الجزائر بداية القرن العشرين إلى جناحين، محافظين ونخبة:

جناح المحافظين: كان الجناح المحافظ هو البدايات المحتشمة لظهور الحركة الإصلاحية؛ كشكل من أشكال فكرة النهضة الإسلامية، وكانوا يعملون على تقوية فكرة القومية والجامعة الإسلامية في الجزائر؛ لكن بحذر وسرية، والسبب في التقية، أنهم شعروا بأنهم ضعفاء لتحدي الفرنسيين، خاصة كجماعة ثقافية، لا إطار سياسي لهم يمنحهم الحماية.³

جناح النخبة: أما الجماعة الثانية فأخذت عدة أسماء منها النخبة، الجزائر الفتاة، الشبان الجزائريون، وكنوع من الإسقاط، ومقارنة مع «الأترك الشباب» الذين رفعوا لواء التحديث، وقد ركزوا على تحسين حالة الأهالي وأغلبهم كانوا أقرب إلى اليسار الفرنسي.⁴

والنخبة مصطلح في الجزائر أطلق على الطبقة المثقفة ثقافة فرنسية، والذين ركزوا في مطالبهم على تحسين حالة الأهالي، ورغم أن نسبة من النخبة تحاول التبرؤ من الوطنية، لكن من الخطأ التعميم، إذ نجد من بينهم من بقوا أوفياء لهويتهم وشعبهم فرفضوا التجنيس، وقد ظلت النخبة محل توجس من الآخر، وفي نفس الوقت محل ضغط من الجهتين، فهو عند الفرنسيين عربي ويبقى عربي مهما قدم، وهو عند الجزائريين ذلك الذي يقف في صف الأعداء، فلا أحد من الطرفين يعترف لهم بالانتماء الكامل إليه، مما يجعلهم يجتهدون في تقديم الخدمات لكل طرف،⁵ وبذلك عاشت النخبة بين مرتبتين وبقوا محل رغبة من الطرفين.⁶

¹ - بن العقون: الكفاح القومي، ج1، ص30.

² - نوارة حسين: مرجع سابق، ص37.

³ - سعد الله: الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص157، 158.

⁴ - Sylvie Thénault: *violence ordinaire dans L'algerie coloniale*, éditionsodile Jacob, France, 2012, p 31.

⁵ - أحمد مهساس: الحركة الثورية في الجزائر من الحرب 1ع إلى الثورة المسلحة، تر: حاج مسعود مسعود، محمد عباس، دار القصة للنشر، الجزائر، 2003، ص41، 42. بتصرف.

⁶ - غي بريفيلى: النخب الجزائرية الفرنكفونية1880-1962، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص15، 16.

ورغم أن جماعة النخبة المشبعة بالثقافة الفرنسية كانت ذات طابع لائكي، وقبلوا التجنيد الإجباري والتجنيس بشروط، ونادوا بضرورة التعليم الفرنسي، إلا أنهم لم يسلموا من التحرش بهم، فقد اتهموا من قبل خصومهم الفرنسيين، باعتناق فكرة الجامعة الإسلامية ويتآمرون مع تركيا الفتاة، فكان رد النخبة أن علاقتهم بالخلافة لا تتعدى كونها عاطفة اخلاقية، مثل علاقة المسيحيين بروما، ورغم أن دور النخبة لم يكن حاسما نظرا لضعفهم، ولاضطهاد الكولون لهم، إلا ان دورهم الوطني كان مهما، وكان دورهم الوطني واضحا. فصحافتهم ووفودهم وعرائضهم وندائهم من أجل التعليم ونهضة الأهالي، كل هذا خلق ضميرا وطنيا جديدا وطريقة جديدة للمقاومة.¹

إن محاولة الاستعمار تفتيت وحدة المجتمع، عبر الاستقطاب والتهميش للطبقات من فئات الشعب، خاصة الطبقة المثقفة، ورغم جانبه السلبي؛ إلا ان التنوع قد أثرى التجربة النضالية؛ فالبعض قد يرى مواقف المحافظين تطرفا وغيره دينية زائدة، وقد تبدو للبعض الآخر مواقف النخبة استسلاما وانهزامية، لكن الأمر هو أن مواقف الأولى لعبت دورا مهما في المحافظة على الدين والهوية، والمواقف الثانية عبرت بقوة عن حاجة المجتمع المسلم إلى التطور والتجديد، واشتركتا في مطلب المساواة في الحقوق والواجبات.² وقد وجدت الدوائر الاستعمارية في هذا التنوع مدخلا للتفرقة وضرب هذا بهذا من خلال هجوم الصحافة الاستعمارية على الشبان المسلمين، وهو ما يشير له الأمير خالد فيقول: «يسعون لتفرق كلمة المسلمين بشتى الوسائل ويصورون شبيبة المسلمين (نخبته) بأنها عدو لفرنسا، ليبقى لهم التفويض الكامل في الموارد.. أبناء ملتي وإخواني الاعزاء، ها نحن في بحبوحة الفتن، وقد حل بنا ما حل ببني إسرائيل.. (ثم).. أراد الله بهم خيرا فاجتمعت كلمتهم، وهم الآن ملوك الأرض».³

وكمثال عن رجال تلك المرحلة نجد الأمير خالد وجماعته؛ الذين طرحوا أفكارا للدفاع عن الأهالي المسلمين؛ في مواجهة الوضع القائم، حيث يتساءل الأمير خالد: «عما يمنع الفرنسيين من أن تتعكس عنهم صورة جميلة في الجزائر، ويتساءل خالد، هل سعت الإدارة لذلك؟ فيجيب: بالطبع لا، بل إنها بذلت جهدا في العكس، فسنت القوانين الاستثنائية وأسست المحاكم الخصوصية، وفرقت بين مرتبات الموظفين، ولم تترك بابا للتفريق إلا طرقته، ولا مسربا للتشتيت إلا سلكته، وأحيت قاعدة فرق لتحكم».⁴

¹ - سعد الله: الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص ص169-172.

² - ودان بوغفالة : النقاش الفكري للنخبة المغاربية خلال القرن 19م ودوره في تأسيس الوعي التحرري للحركة الوطنية ، موقف

الإسطوغرافيا المحلية من حضور الآخر وثقافته. - Les ouvrages du CRASC, Oran ..Algérie 2012.

³ - جريدة الإقدام عدد 7، السنة الأولى، 8 صفر 1339 - 22 أكتوبر 1920.

⁴ - جريدة الإقدام: عدد 6 السنة الأولى 1 صفر 1339 الموافق 15 أكتوبر 1920.

3- خطوات النهضة الثقافية الأولى

رغم التدابير والاحتياطات الفرنسية فإن ذلك لم يمنع من ظهور حركة وطنية ثقافية؛ ذات منحى سياسي، وهو ما يذكره أحد الملاحظين الفرنسيين وهو: هـ. مارشان H. Marchand كتب سنة 1912 مؤكداً أن: هناك قومية أهلية في طريق التكوين، وأن هذه القومية كانت تلعب بخبرة فائقة، ولكن بسرية وغموض، دوراً واعياً، وكانت تطالب بوجود سياسي، لتسيير مقادير الجزائر.¹ وبالفعل فقد كانت هذه الحركة؛ هي نتاج عمل دؤوب للطبقة المثقفة؛ والتي تفتنت لدور سلاح الاحتجاجات والعرائض، والذي مكنها من أن تمارس حقها في التعبير دفاعاً عن الأهالي، لاسترجاع الحقوق الطبيعية، وقد بدأت كحركة مطلبية، وبذلك تمكنت شيئاً فشيئاً من ممارسة نوع من التأثير حين انخرطت في الفعل العام، وافتكت شرعية تمثيل الأهالي، وساعدها في ذلك أن القائمين عليها أخذوا قسطاً من التعليم، وتبعاً لملاحظة أحمد لطفي السيد: أن كل من ينادي بالاستقلال متعلم أو شبه متعلم.²

أ- جهود فردية للإصلاح

استأنفت الحركة الوطنية نشاطها في الجانب الثقافي الإصلاحي، بفضل مبادرات لقامات علمية جزائرية بجهود فردية، هذه النخبة من العلماء، خطت خطواتها الأولى في إدارة المعركة الثقافية دون ضجيج، وتميز منهم مولود بن الموهوب، وعبد القادر المجاوي، والسعيد بن زكري، والشيخ عمر بن دراجي وحسن بن بريهمات، وابن أبي الشنب وعبد الحليم بن سماية وغيرهم، وكانت جهود هؤلاء العلماء قد مهدت لظهور الحركة الإصلاحية، وتأسيساً على ما سبق فإن الاتجاه الحضاري، أو ما يسمى باتجاه المحافظين بدأت ملامح تميزه وتبوئه المكانة المنوطة به مطلع القرن 20، ليتبلور فيما بعد الاتجاه الحضاري في تيارين: الاتجاه الإصلاحي لبن باديس، والاتجاه الاستقلالي، ولعل من ألمع الشخصيات نجد المولود بن الموهوب، الذي كانت آراء وجهود أمثاله، مقدمة لظهور الحركة الإصلاحية الكبرى،³ وقد استغل بن الموهوب وظيفته، فكان له نشاط اجتماعي ديني وتعليمي وجمعي كثيف، وساهم في إنشاء نادي صالح باي سنة 1907،⁴ وبذلك تمكنت هذه المقاومة الفكرية من حفظ التوازن للشخصية الجزائرية في عمقها العربي الإسلامي، انطلاقاً من جهود العلماء المصلحين والطرق الصوفية،⁵ ويرى المؤرخ أبو القاسم سعد الله: أن بن الموهوب مثال للعالم المتبصر والوطني الغيور فهو كمتقف يأتي في الأهمية بعد حمدان بن عثمان خوجة من حيث الفهم

¹ - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص97، 98.

² - تركي رابح: التعليم القومي، مرجع سابق، ص200.

³ - جمال قنان: نصوص سياسية، مرجع سابق، ص16، 17.

⁴ - ينظر: أحمد صاري: مرجع سابق، ص20.

⁵ - حميدة عميراي: تاريخ الجزائر الحديث، ط2، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص117.

والتأثير في تاريخ بلاده، ذلك انه في ظل قيادة بن المولود بن الموهوب تحولت كتلة المحافظين من مجموعة مفككة بدون فعالية، إلى مجموعة نشطة ومؤثرة تتمتع ببرنامج إصلاحى.¹

ب- الطباعة والتأليف

نمت حركة النشر بعد أن أسست الإدارة الفرنسية مطبعة في كل مدينة، وكانت مهمتها طبع الجرائد والكتب والمنشورات والبطاقات، وقد وصل عدد المطابع الفرنسية في الجزائر سنة 1957 إلى 280 مطبعة ومن أشهر هذه المطابع: فونتانا Fontana، وجوردان Jourdan، و كاربونيچ Carbonel . وإلى جانب الفرنسية كانت هذه المطابع تطبع كذلك الكتب العربية لحاجة تراها الإدارة في سياستها الاستعمارية.² وبالرجوع لتاريخ الطباعة فإن أول مطبعة جزائرية أهلية غير فرنسية هي المطبعة المشهورة في شمال غرب إفريقيا، وهي مطبعة «رودوسي بن قدور التركي» بالجزائر العاصمة، التي أصبحت تعرف فيما بعد باسم «المطبعة الثعالبية»، بداية من حوالي 1896 وتخصصت في الكتب الدينية، وكذلك المصحف الشريف وقد راجت كتبها في غرب إفريقيا والمستعمرات الفرنسية وتونس والمغرب، كما أنشأ بن باديس «المطبعة الجزائرية الإسلامية» التي عهد بها إلى أحد انصاره الشيخ أحمد بوشمال من أعيان قسنطينة، ونجد كذلك مطبعة «النجاح» بقسنطينة 1919، و«المطبعة العربية» (أبو اليقضان)، و«مطبعة البلاغ».³

ساهمت المطابع العربية في تحقيق وطبع عدد من كتب التراث. وفي إطار المقاومة الثقافية؛ انبرت مجموعة من المثقفين؛ للرد على الأطروحات الاستعمارية؛ عبر تأليف الكتب حول تاريخ الجزائر؛ وكعينة نذكر منهم:

1 - جهود الشيخ محمد بن أبي الشنب الذي اضطلع بدور رئيس في تحقيق المخطوطات وهذه عينة من المخطوطات المحققة والمطبوعة آنذاك من طرف بن أبي الشنب: -البستان في ذكر والأولياء العلماء بتلمسان لابن مريم التلمساني.-ونزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المعروف بالرحلة الورتلانية للشيخ حسين الورتلاني.- وعنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس الغبريني.-وطبقات علماء تونس لأبي العرب محمد بن أحمد التميمي، والجواهر الحسان في تفسير القرآن للإمام عبد الرحمان الثعالبي.

2- جهود مبارك الملي (كتابه: تاريخ الجزائر في القديم والحديث).

3- جهود توفيق المدني الذي ألف «كتاب الجزائر»، وكتاب عن «محمد عثمان باشا»، وكتاب: «حرب

¹ - سعد الله: الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص155، 156.

² - عبد الهادي لعقاب: تاريخ طباعة المصحف في الجزائر، مجلة رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية، مجلد 20، عدد1، 2022،.

³ - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص ص 308-311.

الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا».

4- مؤلفات أبو يعلى الزواوي والسعيد بوليفة حول تاريخ منطقة جرجرة.5- تراجم أبو القاسم الحفناوي

6- جهود عبد الرحمان الجيلاني الذي ألف كتاب: «تاريخ الجزائر العام».¹ ليظهر بعدهم جيل من المؤرخين منهم: محمد الشريف ساحلي وأبو القاسم سعد الله. يحي بوعزيز، محمد العربي الزبيري، محفوظ قداش، مولاي بلحميسي، ناصر الدين سعيديوني، ومولود قاسم نايت بلقاسم* وغيرهم.

ج- ظهور الجمعيات والنوادي الثقافية ودورها في النهضة

رغم الضغط الذي تعرضت له الحواضر الجزائرية الكبرى التي كان ثقل الاستعمار عليها أشد، إلا أنها زامنت حركة التطور وجايلت عصرها حين طورت وسائلها وأسلحتها لمقاومة الذوبان في الثقافة الفرنسية؛ حيث انخرطت نخبة المثقفة من الأهالي في نشاطات موازية لنشاط العنصر الأوربي في الجزائر؛ مثل إنشاء النوادي، والجمعيات، والصحف العربية. ومن بواكير هذا العمل نجد إنشاء «الجمعية الرشيدية» التي أسست بمدينة الجزائر سنة 1902 والتي بدأت كجمعية ودادية لتقديم طلبات المدارس العربية الفرنسية، وشارك في إلقاء المحاضرات فيها أسماء مشهورة، من أمثال الشيخ عبد الحليم بن سماية، وعبد القادر المجاوي، وكوكبة من مثقفي النخبة آنذاك، جزائريين وفرنسيين، باللغتين العربية والفرنسية، ووسعت الرشيدية نشاطها، بتأسيس عدة فروع لها في حدود 1910.²

كذلك نجد نادي «صالح باي» الذي تأسس سنة 1907 بقسنطينة، بمبادرة من بعض الليبراليين الفرنسيين، لكن سرعان ما تولى أمرها أفراد النخبة من الجزائريين، مع العضوية الشرفية لبعض الفرنسيين، وقد تنوعت نشاطاته بين المحاضرات والدروس وتأسيس المكتبات للمطالعة والمساعدة الاجتماعية، ونجد كذلك «الجمعية التوفيقية» سنة 1908 التي ترأسها بن التهامي، وساهمت في تهيئة أرضية انطلقت منها الصحافة العربية بإتاحتها مجالا للنقاش وتبادل الآراء. كما قام «نادي الترقى» بدور فعال وريادي حيث نال شرف احتضان تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 واتخذته مقرا لها، إضافة لاستضافته المؤتمر الثاني لجمعية طلبة شمال إفريقيا سنة 1932.³

¹ - للاستزادة: ينظر: سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، مرجع سابق، ص 302، 311.

* - على سبيل المثال: مولود قاسم نايت بلقاسم الذي قام بإصدار كتابه القيم «شخصية الجزائر الدولية وهبتها العالمية قبل 1830» والذي دعمه بصور لوثائق مهمة من معاهدات واتفاقيات بين الجزائر والدول الأوروبية، على أساس أن الخطاب الدبلوماسي لا يكون إلا بين مستويين متكافئين والذي جاء للرد على إنكار فرنسا لوجود الجزائر كدولة قبل 1830. وقد نسج مولود قاسم، على نفس النموذج لكن بالنقيض في مجابهته للأطروحة المعادية لتاريخ الجزائر فهو يبلغ حجة مفادها أنكم أيه الفرنسيون إذا كنتم تدعون أن دولتكم تتميز بالاستمرارية فإن دولتنا سابقة في الاستمرارية-ينظر، الزواوي بغورة: الخطاب الفكري في الجزائر، مرجع سابق، ص 166.

² - ينظر: أحمد صاري: مرجع سابق، ص 117.

³ - نفسه: ص 117.

في العاصمة: من الطبيعي أن يكون للعاصمة قصب السبق، في كل الميادين خاصة الثقافية، فبالموازاة مع كون مدينة الجزائر مركز الثقل السياسي، فإنه كان ل «نادي الترقى» الذي أسس في جويلية 1927 بالعاصمة، دورا تجاوز إلى كونه مركز متعدد النشاطات بزخم وطني ومن أهميته أن وصفه الدكتور مرتاض بأنه لم يكن له مثيل في الجزائر إلا «سوق عكاظ» في الجاهلية أو «المريد» في البصرة في الإسلام.¹

في قسنطينة: اشتهرت قسنطينة كمركز إشعاع ثقافي، فقد بعث فيها بن باديس الحياة، منذ رجوعه من المشرق سنة 1913 في المرحلة الأولى في حياة بن باديس، فبعد نشاطهم الدؤوب والمتواصل، كللت جهود العلماء وابن باديس، بإنشاء عدة صحف منها «السنة» و«الشريعة»، و«الصراط»، ثم تكللت أعمالهم بإنشاء جريدة الشهاب سنة 1925 التي جمعت بين العمل السياسي كناطق باسم التيار الإصلاحى والعمل الدعوي والنشاط الفكري والاجتماعي. وتكفل نشاط العلماء بإنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931، وبعد وفاة بن باديس دعمت بإعادة إصدار جريدة البصائر سنة 1947 (البصائر الأولى أنشئت سنة 1935)، كما تم إنشاء معهد بن باديس سنة 1948، والذي صاحبه ظهور حركة ثقافية واسعة، مع العلم أنه لم يكن معهد بن باديس وحده في بقسنطينة، وكان له تيار ثقافي منافس بنفس البرامج الزيتونية وهو الزاوية الكتانية والتي بلغ عدد طلبتها في أكتوبر 1954 حوالي نصف المعهد الباديسي.

في تلمسان استطاعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ان تنقل نشاطها إلى أقصى الغرب الجزائري، فأنشئت دار الحديث بتلمسان سنة 1937، وكان له نشاط علمي وثقافي، استقطب به علماء الجزائر والمغرب، وقد عاشت معه تلمسان أزهى أيام الحركة الثقافية بقيادة الإبراهيمي، كما ظهرت نوادي كثيرة في أنحاء الوطن.²

جهات الوطن الأخرى

في إطار النهضة الثقافية في الجزائر تزايدت أعداد النوادي الثقافية في باقي الوطن، فبعد تأسيس «نادي بدور فعال وريادي وفيه انبثقت الأفكار الوطنية مثل فكرة«جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» والمؤتمر الإسلامي، ثم توالى النشاطات فيه، فكان نموذجا سرعان ما نسج على منواله، وتوالى ظهور النوادي في ربوع الوطن منها: «النهضة» في البليدة سنة 1932، و«التقدم» 1935، وفي بسكيكدة «نادي العمل» 1936 وفي سطيف «نادي الإرشاد» 1936 (تابع لفرحات عباس)، و«نادي الأخوة» في شرشال، والشبيبة بالعاصمة، و«نادي بن باديس» بقسنطينة، كذلك ظهرت في: باتنة وتبسة، الخ، بالإضافة لنوادي الكشافة الإسلامية.³

¹ - مرتاض: نهضة الأدب المعاصر، مرجع سابق، ص 47-52.

² - نفسه: ص ص 47-53.

³ - أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، الدار التونسية للنشر، 1985، ص 117

4- خطاب الهوية من خلال الألوان الأدبية

الهوية الثقافية هي الركن الأهم في تكوين ودوام الأمم، باعتبارها تراكم تاريخ طويل من القيم، وحاصل تفاعل خصائص يتميز بها شعب ما عن غيره،¹ ومن أهم التعريفات العربية التي تربط الثقافة بالشخصية، هو الذي ذكره عبد السلام المسدي بقوله: «الثقافة هي مناط الشخصية ومستودع قيمها، ووعاء حكمتها وحقيقة هويتها الحضارية». ومن مميزات الثقافة العربية الإسلامية، أنها ثقافة إنسانية أصيلة، ثقافة تمثل الثقافات الأخرى، دون ذوبان، تتفرد بجهاز لغوي ليس له مثيل في السعة والمرونة، ويشكل الدين، واللغة، والقيم، والعادات، والتقاليد، والفكر، والمعارف، والأنماط السلوكية والمعيشية، أهم العناصر والمحددات التي تشكل النواة الأساسية لمنظومة الثقافة في المغرب العربي عموماً.²

ولأهمية الجانب الثقافي يرى مالك بن نبي: «أن أي إخفاق يسجله مجتمع في إحدى محاولاته إنما هو التعبير الصادق في أزمته الثقافية،³ ويحدد بن نبي أسس النهضة: «أنه من أجل غاية ما.....يحدد عالم الأشخاص...ليتم تنفيذها بعالم الأشياء للوصول لتحقيق نماذج أيديولوجية في عالم الأفكار»، كما يرى مالك بن نبي: أنه لا يجوز أن توضع حلول دون أن يرى مكان الأمة، ومركزها وما تقتضيه المرحلة».⁴ يريد بن نبي تحديد منطلق وأسس مشروع النهضة التي هي نقيض للاستعمار، لذلك فإن أهم ركائز المشروع الاستعماري الفرنسي هي الحيلولة دون نهضة الجزائريين، فقد كان المستعمر يدرك أنه من أجل الوصول إلى قولبة هذا الشعب؛ وصياغة هويته من جديد، فإن ذلك لا يمر؛ إلا بهدم الرموز الثقافية للمجتمع، وفي مقدمتها اللغة العربية وحمولتها الثقافية، كون اللغة العربية؛ ليست مجرد لسان للتحدث بين مجموعة من الناس، بل هي وعاء تراث ولسان هوية، وكما قال المستشرق الفرنسي جاك بيرك J. Berque: «لا تصلح اللغة للتواصل بل تصلح للوجود».⁵ ولهذا ندرك سبب قول الكومندان-المستشرق- بول مارتي (Paul Marty) في كتابه مغرب الغد: «كل تعليم عربي وكل تدخل من الفقيه، وكل ظاهرة إسلامية يجب منعها بصرامة تامة».⁶

من مظاهر تمثيلات المقاومة الثقافية في الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي، رفض الذوبان في ثقافة الآخر المحتل؛ لارتباط الثقافة بالشخصية، كرد على السياسة الفرنسية التي سعت لطمس أهم معالم الشخصية

1 - محمد منير حجاب: الموسوعة الإعلامية، مج7، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003، ص2609.

2 - أحمد ابن النعمان: العلاقة العضوية بين الثقافة والهوية، أعمال الملتقى الوطني حول دور العلوم الإسلامية في إرساء الهوية ومواجهة التحديات المعاصرة، جامعة الأغواط. ماي 2010. ص34.

3 - ابن نبي: مشكلات الثقافة، مرجع سابق، ص92.

4 - مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، تر: عبد الصبور شاهين ج1، ط1، دار الوعي، روية، الجزائر، 2013، ص27.

5 - حاجي: مرجع سابق، ص329.

6 - الفاسي: مرجع سابق، صص162-164.

الوطنية، وهما اللغة العربية والدين الإسلامي، وظهر ذلك جليا من خلال الاهتمام بالإنتاج الأدبي، وكان لتداعيات الحرب العالمية الأولى أثره العميق على نشاط النخب المسلمة، فقد شهدت الجزائر نهضة ثقافية ساعدت على ظهور ألوان أدبية، والتي وجد فيها الكتاب وثقافتهم مجالاً للتعبير والدفاع عن الشعب.¹

بعد الحرب العالمية الأولى تطور وأدب المقاومة بألوانه المختلفة، ومنها الشعر السياسي في الجزائر تطورا جعل الأدب يتقدم خطوات بالمفهوم الكفاحي، وتبلورت المفاهيم القومية في الأذهان، وازدادت وضوحا المبادئ الثورية التي تحمل قوى اندفاعية وإمكانات تعبيرية هائلة، وكان للحركة الأدبية في الجزائر فرعان: فرع عربي اللغة واضح الأهداف، شديد الارتباط بالشعب، وقد تمثل هذا في الشعر العربي والنثر الذي نظم بين 1930 1954، وفرع آخر فرنسي اللسان.² وبالنسبة لفرع الأدب المكتوب بالفرنسية فإن غربة اللغة لم تقف حائلا دون ارتباط بعض الأدباء بقضاياهم القومية؛ فهناك من اعتبره أدبا عربيا لأنه يحمل الروح العربية، باعتبار أن هناك من الأدباء من استخدموا الفرنسية فقط كسلاح، وهذا ما يعبر عنه كاتب ياسين بقوله: لقد كانت هناك حرب بيننا وبين فرنسا والمقاتل لا يسأل إن كانت البندقية ألمانية أو فرنسية، إنها سلاحه ولا تخدم إلا معركته... والفرنسية سوى أداة توصيل ونحن نحمل روحا وطنية وعزيمة ثورية.³

وبذلك نصل إلى قناعة بأن الذي أسس للوعي الوطني العام، إنما هم المثقفون حقا وصدقا. -بما فيهم العلماء رجال الإصلاح، والأدباء، والمفكرون-، كما يصدق ذلك على مئات المقالات التي كتبت منذ مطلع القرن العشرين في الصحف والدوريات الوطنية، إلى خريف 1954 والذي يتابع ذلك لا ريب في أنه يتأكد، أن قيام ثورة التحرير العظيمة لم يكن مجرد فلتة تاريخية عارضة وقعت لمجموعة من الوطنيين الشجعان فأعلنوها فجأة ولكن كان سبقها تحضير طويل، وتوعية عميقة، امتدت على بضعة عقود شارك فيه الكل ابتداء من الصحفي إلى السياسي إلى الشاعر إلى الأديب، ولم ينج من بطش الاستعمار إلا من هاجر.⁴ وقد تعددت المواطن التي يجد فيها المثقف الجزائري مجالاً للتعبير عن حسه القومي، ومنتفسا يُستشف منه حضور الهوية الوطنية في هذه الأعمال، وظهرت روح المقاومة من خلال ألوان أدبية نذكر منها:

أ- الشعر

القصيد والشعر أقدم الألوان الأدبية في الجزائر، وتكمن أهمية القصيدة في أنها في بعض حالاتها تصبح نصوصا مخلدة لوقائع ولقضايا هامة، وبالنسبة لتاريخ الجزائر المعاصر، والمقصود الفترة التي تلت الاحتلال، هناك أدوار لا يؤديها إلا الشعر كيفما كان حاله، وهناك نزعات لا يقوم التعبير عنها إلا بالشعر،

¹ - مرتاض: أدب المقاومة، ج2، مرجع سابق، ص55، 56.

² - سعد الله: دراسات في الأدب، ص28، 34. بتصرف

³ - عبد العزيز شرف: المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991، ص157

⁴ - مرتاض: أدب المقاومة، ج1، مرجع سابق، ص345.

ولما خلا مكان الفصيح لظروف معروفه؛ اضطر الناس إلى نوع آخر هو الشعر العامي، الذي كان يلقي نفس التأثير والاهتزاز عند سماعه الذي يلقاه الشعر الفصيح، والشعر العامي يختلف عن الشعر العربي الفصيح في أنه شعر إقليمي يقصر فهمه إلا على ذلك الإقليم، لاشتراك شعرائه في المدارك والتصورات الخاصة بهم، فإذا نقل إلى إقليم آخر خفيت مراميه وعز إدراكه.¹

نظمت أشعار بالفصيح والملحون* تمجد المقاومة، حيث تغنى الشعراء بمقاومة الأمير عبد القادر وبانتصاراته على الفرنسيين، جمع فصيحها في كتاب «تحفة الزائر»، إضافة للأشعار الشعبية الكثيرة التي تناولت البطولات، أو الرثاء، والتي نشرت أجزاء منها في كتاب الكنز المكنون* في الشعر الملحون ومن الأشعار التي خلدت الوقائع، نجد مرثية سقوط الجزائر بيد الفرنسيين، التي ألفها الشاعر عبد القادر الوهراني، والتي يصفها عبد الملك مرتاض بأنها لا نظير لها؛ والتي تذكرنا بمرثية الأندلس، والتي تحكي مأساة سقوط مدينة الجزائر بيد الفرنسيين سنة 1830. ومع ظهور بعض الصحف العربية بداية القرن العشرين ظهرت محاولات في صحف وطنية كانت تصدر قبيل الحرب العالمية الأولى، مثل "جريدة الفاروق"، بدأت تظهر فيها قصائد وطنية والتي كان يكتبها عمر بن قدور الجزائري. وفي هذا المجال ألف محمد الهادي السنوسي الزاهري كتاب «شعراء الجزائر في العصر الحاضر»، وطبعه سنة 1926، تناول فيه نبذة حياة الشعراء الذين عاصروهم الكاتب وذكر أشعارهم.² وقد ظهر جيل من الشعراء الوطنيين على رأسهم محمد العيد آل خليفة، ومفدى زكرياء، والأخضر السائحي، ومحمد الشبوكي، وزهير الزاهري، وقد كانت تنتشر أشعار كثيرة في الدوريات تحت اسم مستعار. وكانت لهم اهتمامات أخرى تمثلت في تأليف المسرحيات الشعرية، حيث ألف محمد العيد آل خليفة أول مسرحية شعرية بعنوان «بلال بن رباح» سنة 1938، وثاني مسرحية شعرية كتبها عبد الرحمان الجيلاني، والثالثة كتبها البشير الإبراهيمي.³

كان للتيار الثوري الاستقلالي بقيادة مصالي الحاج حضور أدبي، وخلال مسيرته الطويلة فقد كانت

¹ - ينظر: محمد البشير الإبراهيمي: التراث الشعبي والشعر الملحون في الجزائر، تح: عثمان سعدي، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، 2010. ص ص24-46. يتصرف

*-تداول الجزائريون شعر عبد الرحمن المجدوب وهو من المغرب الأقصى (القرن 10هـ) وكان شعره (العامي)الحكمي مرويا في الجزائر وتونس بسهولة لصدقه وتعلقه بالقلوب، وقد نشأ في الأقاليم الجزائرية شعراء مجيدون في نظم الشعر العامي والتفنن فيه وعلى رأسهم الأخضر بن خلوف الذي عاش في القرن التاسع الهجري، وأكثر شعره في المواعظ، والناس يروونها ويتغنون بها في المحافل والمواسم، كما نبغ في الشعر الملحون في منطقة الوسط والواحات عبد الله بن كزيو الأغواطي ومحمد بن يوسف الخالدي الجلاي، ومحمد السماتي الجلاي أيضا، وابن يوسف وهم من بلد واحد وهو قرية أولاد جلال الصحراوية. تقع في غربي بسكرة. ينظر - محمد البشير الإبراهيمي: التراث الشعبي والشعر الملحون في الجزائر، مرجع سابق، ص ص24-46.

*- الكنز المكنون في الشعر الملحون- أول ما طبع سنة 1928 بالمطبعة الثعالبية، ومؤلفه: محمد قاضي دفين تلمسان 1882-1942 .

² - ينظر: مرتاض: أدب المقاومة، ج1، مرجع سابق، ص ص18-55، ص345.

³ - مرتاض: أدب المقاومة، ج1، مرجع سابق، ص ص30، 55. 345.

عملية التغيير في استراتيجيته مدعومة بالكلمة المؤثرة، وقد أخذ النص الشعري، مكانة مهمة في مسيرته النضالية، في إطار ما يعرف بأدب المقاومة، وقد تم توجيه الجهود لتحسين الوعي من خلال الخطاب الثوري الذي تبناه حزب مصالي الحاج، وأحسن من عبر عن هذا الخط مفدي زكريا الذي كان فارس الفصح بلا منازع. فكان أفضل تعبير عن الهوية حين تذكر الحرية والاستقلال في المناسبات، وهنا نستشهد بشاعرين وطنيين تكلموا عن الاستقلال في وقت مبكر، وهما:

-مفدي زكريا شاعر التيار الثوري من روائحه نختار أبيات من نشيد فداء الجزائر 1936 منها:

نُرِيدُ حَيَاةً لَنَا حُرَّةً كَفَانَا كَفَى مِنْ حَيَاةِ الشَّقَاءِ
خُلِفْنَا لِهَذَا النُّورِ سَادَةً وَنَجْمُ الْهُدَى عِنْدَنَا أَشْرَقًا
ألا في سبيل الاستقلال ألا في سبيل الحرية
وَلِيَحْيَ جُنْدُ الْإِسْتِقْلَالِ مِثَالُ الْفِدَاءِ وَالْوَطَنِيَّةِ
نُرِيدُ حَيَاةً لَنَا حُرَّةً كَفَانَا كَفَى مِنْ حَيَاةِ الشَّقَاءِ.¹

-ومحمد العيد شاعر الإصلاح نشرت له قصيدة في جريدة المنار عام 1950 نختار منها:

حتوا العزائم واصدقوا الآمالا إن الزمان يسجل الأعمال
الشعب ضج من المظالم فانشدوا حرية تحميه واستقلالاً.²

ب- التمثيل والمسرح

وجدت الدعاية لأهميتها في السلم والحرب، فهي مكملة لدور الجيوش على الأرض، فالسينمائي من وراء الكاميرا يحدد فضاءه حسب رؤيته واهتماماته الثقافية والسياسية، فهو يحرك الكاميرا بحسب خيار سياسي معين، وطريقة استعمال الفرنسيين لوسائل الاعلام والثقافة، كان من أجل أطروحات وأهداف الاستعمار. وقد حارب الاستعمار كل أنواع التعبير* واحتكرت الأقلية الأوروبية في الجزائر المسرح والصحافة ردحا من الزمن؛ لما لهما من أهمية.³ وقد رفضت الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر حتى أشكال التعبير البدائية في الجزائر، فيما كان يسمى مسرح عرائس القراقوز؛ ومنعت منعاً تاماً في بدايات الأربعينات

¹ - فنانش، وقداش: نجم شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص293.

² - سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري، مرجع سابق، ص45.

*- تناول هذا الموضوع الكاتب ماكسيم رودنسون maxime Rodinson فيقول: ظهر هذا الفن المسرحي الشعبي في 1835، وكان يهدف إلى انتقاد النظام الاستعماري، والمشهد الرئيسي فيه ظهور الجندي الفرنسي الذي يتلقى سيلاً من الضربات، وقد منعت السلطات العسكرية هذا النوع من التمثيل في 1843 ولكن أمثال هذه المشاهد لم تكن تحدث فقط أمام المتفرجين المسرورين، بل كانت تحدث أيضاً في الواقع لأن الضباط كما رواه كاميل روسي، «كانوا يتعرضون للاعتداء في أنهب الجزائر ليلاً». - ينظر: الأشرف، مرجع سابق، ص205.

³-سباستيان دوني: السينما وحرب الجزائر دعابة على الشاشة 1845-1962، تر: يوسف بلعوج وهاجر قديري، دار سيديا،

الجزائر، 2013، ص ص5-7.

من القرن التاسع عشر هذه العروض. لكونها تعبر عن رمزية معينة، تتصل بالمقاومة ورفض الأجنبي.¹ واعتبر هذا النوع من العروض كتوجه معاد للاستعمار، وذلك أنه في أحد تلك العروض البسيطة يظهر فيها أن «القراقوز» (دمى) جعل وحدة من الجنود الفرنسيين تفر من أمامه بعد أن وجّه لكمات موجعة للجنود، وفي عرض آخر يظهر الشيطان مرتديا لباسا عسكريا فرنسيا.²

المحاولات الأولى* التي أسست لوجود المسرح الجزائري بدأت مع الأمير خالد، الذي أدرك أهمية المسرح في إيقاظ الأمة، بحكم وجوده في فرنسا للدراسة، فطلب من الممثل المسرحي المصري جورج أبيض (لبناني الأصل) حين التقى به في باريس سنة 1910، أن يبعث له بعض المسرحيات، وبالفعل أرسل له سنة 1911 ثلاث مسرحيات وهي: «ماكبث» بالعربية ومؤلفها الأديب الإنجليزي وليام شكسبير Shakespeare و«المروءة والوفاء» لمؤلفها إبراهيم اليازجي، و«شهيد بيروت» لمؤلفها حافظ إبراهيم، وفي نفس السنة أسس الأمير خالد ثلاث جمعيات: في العاصمة، والمدينة، والبلدية. سلم لها تلك المسرحيات لتمثيلها، هذا النشاط التف حوله نخبة من المثقفين، من أمثال محمد بن أبي الشنب، وعبد الحليم بن سماية، وقدر بن مراد التركي في العاصمة، وكان نشاط هذه الجمعيات له أبعاد قومية واضحة، حيث ظهر الاهتمام بالفصحى.³ وتدعم الجو الثقافي حين زارت الجزائر فرق مسرحية عربية منها فرقة «الجوق التونسي» سنة 1913 حيث مثلت عدة مسرحيات لها بالجزائر.⁴

كما زارت الجزائر فرقة «التمثيل المصري» لجورج أبيض سنة 1921، ومع بدايات العشرينات قام الطاهر علي الشريف بتأسيس جمعية «الآداب والتمثيل العربي» المعروفة ب«المهذبة» بتاريخ 05-1921 والتي قدمت مسرحيات باللغة العربية: «في سبيل الوطن»، و«فتح الأندلس» كما قدم عدة مسرحيات أخرى، خاصة مع أسماء لامعة مثل باشطرزي، وسلالي علي المعروف باسم علالو، ورشيد

¹ - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، مرجع سابق، ص 134.

² - ينظر: بن داود أحمد: دور المسرح الجزائري في المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي 1926-1954، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2009، ص22.

* - أول كتابة مسرحية في الجزائر ظهرت خلال القرن التاسع، على يد مواطن يهودي يدعى إبراهيم دانيوس بعنوان: «نزهة المشتاق وغصة العشاق في بلاد تريباق بالعراق» سنة 1835، طبعت سنة 1847 وكان قد اكتشفها الإنجليزي فيليب سادجروف بمكتبة اللغات الشرقية بباريس. وألفت مسرحية أخرى سنة 1849، بعنوان حكاية العشاق في الحب والاشتياق، وهي رواية شعبية ذات أبطال وأحداث وطنية وشخصيات تاريخية مؤلفها الأمير صطفى بن إبراهيم بن مصطفى باشا(جده أحد دايات الجزائر يسمى باسمه المستشفى المعروف بالعاصمة. ووالده تولى الدفاع عن الأهالي رفقة حمدان حوجة) وهذا الأمير كان سليل عائلة ثرية صادر الفرنسيون جميع ممتلكاتهم.

- ينظر: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، ص129. - ينظر أيضا: - بن داود أحمد: دور المسرح، مرجع سابق، ص 2، 3.

³ - صالح لمباركية: «المسرح والحركات الثقافية في الجزائر مع بداية القرن العشرين»، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، مج2، ع 2، جامعة سطيف 2، 2005.

⁴ - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 8، مرجع سابق، ص138.

قسنطيني، وإبراهيم دحمون.¹ ومن ناحية التأثير، فقد كان النداء في أعمال هذه الفرق مباشراً، ومن المؤكد حين ننظر للماضي أن خطاباً كهذا في تلك المرحلة كان ذا تأثير، خاصة أمام جمهور متعطش، نظراً لشدة البطش الاستعماري.²

لقد كان المسرح الجزائري مشروع اجتماعي، له تقنياته ولغته وإشارات وديكوره وملابسه، بنى لنفسه تقاليد وعرف طريقه لقلب الشعب، ومما ساهم في نجاحه بروز مواهب جزائرية وعلى رأسها باشطرزي، وسلالي علي المعروف باسم علالو، ورشيد قسنطيني، وإبراهيم دحمون.³ كما تنوعت وسائل الإعلام بإنشاء الإذاعة بالجزائر سنة 1928، وقد أنشأها الفرنسيون لممارسة نوع من التأثير، باللغة الدارجة خوفاً من تأثير البث من مصر، فشجعت الانتاج الفني الجزائري والتمثيل، فكانت تبث أسبوعياً مسرحيتين بالدارجة، وقد ساهمت في الدعاية الاستعمارية، والتعريف بالفنون الشعبية في آن واحد.⁴

ج- القصة

ظهرت القصة ضمن الألوان الأدبية التي تم الاعتناء بها ممن قبل المشتغلين بالصناعة الأدبية في الجزائر مع النهضة الثقافية، ومن باكورة الأعمال القصصية نجد محاولة قصصية أحدثت تأثيراً ووقعا آنذاك من تأليف محمد السعيد الزاهري.⁵ بعنوان: «فرانسوا والرشيد»، نشرتها جريدة «الجزائر» في عدده الثاني 10 أوت 1925. لقصة بطلاها طالب جزائري اسمه «رشيد»، وطالب فرنسي اسمه «فرانسوا»، وقد لقيت القصة إعجاباً شديداً لدى المتقنين الجزائريين، وتركت آثار طيبة في الأوساط الثقافية والوطنية الجزائرية. ومن ذلك مسارعة الشيخ عبد الحميد ابن باديس في «جريدة المنتقد» إلى تأسيس جائزة مالية، لأفضل قصيدة تراثية شخصية رشيد-الضحية في قصة الزاهري.⁶

عُطّلت «جريدة المنتقد» الباديسية من قبل الإدارة الاستعمارية بعد نشر الجريدة لإعلان تأسيس الجائزة؛ ونشرها مرثية لمحمد العيد آل خليفة لشخصية رشيد؛ كما عُطّلت الجريدة التي نشرت المحاولة القصصية، وهي «جريدة الجزائر» لصاحبها محمد سعيد الزاهري. نظراً لخط جريدة «الجزائر» فمثلاً ظهرت باسم "الجزائر"، فكان ذكُر الجزائر في حد ذاته؛ تحت دائرة الدلالة الوطنية؛ يعني ثورة على الاستعمار غير

¹ - بن داود أحمد: دور المسرح الجزائري، مرجع سابق، ص 4-41.

² - صاري وقداش: صمود ومقاومات، مرجع سابق، ص 298، 299.

³ - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 8، مرجع سابق، ص 449.

⁴ - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ص 300، 301 .

⁵ - محمد السعيد الزاهري 1899-1956 من مواليد (ليانة) قرب بسكرة. حفظ القرآن ثم درس على الشيخ باديس بقسنطينة، ثم بجامع الزيتونة، عرف بأسلوبه الجريء، وهو صاحب جرائد عديدة: الجزائر 1925 البرق 1927 الوفاق 1938 المغرب العربي (1947). ينظر: محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975، ط2، دار الغر الإسلامي، بيروت، 2006، ص 675.

⁶ - مرتاض: أدب المقاومة، ج 2، ص 91-103.

مُعَلَّنَةً. إضافة للعبارة التي كتبت على أعلى صدرها، وهي: أسست «الجزائر» لإعلاء الجزائريين. وشعار "الجزائر للجزائريين" وانضاف إلى كل تلك الأسباب، القصيدة الجريئة، والتي كتبها الزاهري تحت عنوان صحفي مثير هو: "الجزائر" نُحْيِي الجزائر¹. ومن أوائل من اهتم بهذا الفن القصصي إضافة للزاهري نجد محمد العابد الجلاي، وأحمد بن عاشور، وأحمد رضا حوحو (قصة غادة أم القرى 1947) وأبو القاسم سعد الله (سعفة خضراء 1955).²

ونقتطف من نص قصة «فرانسوا والرشيد»، لمحمد سعيد الزاهري مايلي: «...ولد فرانسوا والرشيد في أسبوع واحد من عائلتين تسكنان بحارة واحدة. وترتّبيا جميعاً يلعبان ألعيب واحدة، ثم أرسلنا معاً إلى دار تربية الصبية...ولما بلغا سنّ التعليم لم يفترقا... لا يعرفان شيئاً غير لذة المُصافاة... تعلمنا أن فرنسا دولة المساواة،، العدالة؛...لكن في الجندية...أخذ الميز يمشي بينهما بالتفرقة... وامتاز فرانسوا بزائد في الجراية اليومية.. وبنفقات.. وقع ذلك من الرشيد موقع الاستغراب، وتساؤل؟ أين ما ملئت به كُتبت التعليم الجمهوري؟ وأين المساواة؟...شقّ على الرّشيد ذلك خاصة بعد أن رأى صاحبه فرانسوا ارتقى إلى رتبة جنرال، ثم قائد عام في الجيش...ورشيد ما زال جندي...همّ رشيد بأن يعلن ثورة يعبر بها عن سخطه...لم يستطع.. يخشى أن يتهم... وبعداء الحكومة!... فلم يزل يُضنيه الكظم والكمد...إلى أصبح جثة هامدة لا حراك بها..»³.

وقد تم تقديم هاتين الشخصيتين على أنّهما نموذجان؛ لما يجري في واقع الأمر بالجزائر: شخصية فرنسية إسبانية الأصل تتمتع بكل الحقوق، وشخصية جزائرية مسلمة محرومة من كل الحقوق، مع أدائها الواجب على أكمل نحو. وقد قُدم هذا العمل، انطلاقاً من واقع الأمر في الجزائر. وبسخرية لاذعة حاول الزاهري أن يصوّر نفاق الفرنسيين، ويفضح تحيزهم؛ لذلك انزعجوا من مضمون هذه المحاولة القصصية، والذي كان يعينهم جرأة الطّرح السياسي لموضوع حساس، وانزعجوا أن مفكراً مثل بن باديس يرصد جائزة تقدم لأي شاعر جزائري يرثي الشخصية القصصية رشيد؛ الذي قضى نحبه كمدا؛ بعد أن لم يستطع أن يعلن ثورة، لتحقيق مساواة في مجتمع كان قائماً على بركان يوشك أن ينفجر في أي لحظة.⁴

وقد تطور تصوير البطل في القصة الجزائرية؛ حتى صار ممثلاً لفكرة وطنية؛ مضادة للخيانة؛ كنتيجة لتطور المفهوم السياسي في الجزائر، الذي دخل مرحلة العمل؛ للتخلص من الاستعمار بعد الحرب العالمية الثانية، بعد أن خاب أملهم في الحلفاء وفي الإصلاحات الفرنسية.⁵

¹ - مرتاض: أدب المقاومة، ج2، ص ص91- 103.

² - عبد المالك مرتاض: القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص7.

³ - مرتاض: أدب المقاومة: ص ص91- 103.

⁴ - نفسه: ص ص91- 103.

⁵ - سعد الله: دراسات في الأدب، مرجع سابق، ص59.

د- الرواية

عالج النثر الجزائري بما فيه الرواية في تلك الفترة الموضوعات المادية الصميمة أو الحيوية الصارخة، كالفقر والتعليم والحرية والهجرة، وكما يرى المؤرخ سعد الله فإن أبطال الرواية الجزائرية، كانوا واقعيون يعيشون في مستوى الشعب المادي، يشعرون بشعوره، ويتفاعلون معه سلبيًا وإيجابيًا. وحسب مرتاض فإن البطل في الرواية الجزائرية ليس مثلًا أعلى، ولا نموذجًا خارقًا، وإنما هو إنسان واقعي، فيه كل ما في الواقع من صراحة، سواء كان هذا البطل صغيرًا أو كبيرًا، فهذا عمر بطل: محمد ديب؛ في روايته «البيت الكبيرة» و(الحريق) و(المنسج) منذ كان طفلًا؛ يعيش مع أمه، يقدم في طفولته صورة الآلاف الأطفال الجزائريين في تشردهم وضياعهم. وهو في شبابه صورة أخرى لآلاف العمال الذين يتعرضون لأنواع شتى من المذلة والهوان من الاستعمار، كما يظهر بطل الرواية الجزائرية ممن يتطلع إلى غد كريم في ثورة وعنق وفي ثقة وإيمان.¹

ه- نشاطات أخرى

لم يقتصر نشاط الشباب المسلم على مجال معين، بل تعدى ذلك إلى نشاطات أخرى، مثل تكوين الفرق الرياضية، فبالنسبة للرياضة الرسمية الأهلية بدأت سنة 1895، من خلال إنشاء نادي الطليعة من قبل شيخ عمار بن دحمان، حين أنشأ جمعية للرياضة البدنية، وقد زار كل الدول الأوروبية ضمن المسابقات الرياضية وأثناء ذلك تعرف عليه الجمهور الأوروبي، على أساس أنه الجزائري الأول الأبيض، ظنا منهم أن كل الأفارقة سود، وفي خريف 1921 نشأت مولودية الجزائر بالعاصمة على يد شبان جزائريين، وتم انتخاب الأكبر سنا المدعو ابن حداد.² ومن أقدم الجمعيات الرياضية: نجد «النادي الرياضي القسنطيني» سنة 1898 وكمثال: «غالي معسكر» سنة 1912 الذي جمع بعد الأربعينات والخمسينات عناصر من حزب الشعب.³ كما تم ولوج عالم الكشافة، ويعتبر محمد بوراس أول الرموز الكشفية المسلمة في الجزائر، وقد كان لاعب كرة قدم، وتقنيا بالراديو، وله علاقة بنجم شمال إفريقيا، إضافة لدوره في إنشائه الكشافة الإسلامية الجزائرية، التي كانت لها مواقف مشرفة بعده، إذ أنه لما طلبت مصالح الحكومة الفرنسية في الجزائر من مسؤولي كل الحركات الكشفية الموافقة على عدم تسييس الحركة الكشفية، كانت الكشافة الإسلامية لوحدها من رفضت التوقيع.⁴ علما أن اتحادية الكشافة تأسست رسميا في مؤتمر الحراش 20-23 جويلية 1939.⁵

¹ -مرتاض: أدب المقاومة، ج2، ص55، 56.

² - محمد عبدون: شهادة مناضل من الحركة الوطنية، دحلب، الجزائر، 2013، ص41، 42.

³ - عبد القادر جيلالي بلوفة: حركة انتصار الحريات الديمقراطية في عمالة وهران الخروج من النفق-من اكتشاف المنظمة الخاصة إلى اندلاع الثورة التحريرية1950-1954، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة -أبي بكر بن القايد، تلمسان، 2008، ص230-231.

⁴ - أن ماري لوانشي: صالح لوانشي، مسيرة مناضل جزائري، دحلب، الجزائر، 2013، ص46.

⁵ - بلوفة: أطروحة، المرجع السابق، ص 211 .

المبحث الثالث: الدور الوطني للهجرة والمهاجرين الجزائريين

1- ظاهرة الهجرة بعد الغزو الفرنسي

أ- تعبيرات الهوية عن رفض الاستعمار

عرفت الجزائر ظاهرة التهجير والهجرة لأفراد ومجموعات من الجزائر بعد دخول الغزو الفرنسي للجزائر سنة 1830، والتي كان من أهم أسبابها، آثار العمليات العسكرية التي يمارسها الاحتلال الفرنسي في الجزائر، حيث كانت جيوش العدو ومرترقته يلحقون أذى بالغ بالأنفس والممتلكات والمقدسات، مما جعل الهجرة في كثير من الأحيان حلا وحيدا وقدرا لا مفر منه. وموضوعنا هو الهجرة الخارجية؛ والتي كانت في البداية لتونس والمغرب الأقصى ثم إلى المشرق.

مع بداية الاستعمار غادر الجزائريون وطنهم للمغرب وتونس والمشرق العربي مكرهين أو مضطرين وفي الأيام الأولى للاحتلال قامت سلطات الاحتلال بتهجير الأتراك، ونفي أهم العناصر المؤثرة من نخبة الجزائر، فقد نفي المفتي بن العنابي الذي طرده الماريشال كلوزيل Clauzel سنة 1830 كما نفي حمدان بن عثمان خوجة الذي هرب من إرهاب الدوق دوروفيقو de Rovigo كذلك مصطفى الكبابطي الذي نفاه المارشال بوجو Bugeaud سنة 1843.¹ وفي عام 1832 كان هناك في المغرب تجمعات من المهجرين من الجزائر العاصمة في تطوان، و تجمعات من وهران ومستغانم في وجدة وتازة، كما توجه أهل تلمسان إلى فاس بعد استيلاء الفرنسيين على معسكر وتلمسان، كما توافدت هربا من بطش الاستعمار العديد من الشخصيات البارزة من وهران إلى مدينة فاس عام 1836 ولم تنقطع بعد ذلك الهجرة.² ثم أصبح المشرق العربي أهم وجهة؛ قصدها المهاجرون الجزائريون؛ لعدة أسباب أهمها: ملائمة بيئته الدينية والثقافية، واحتضانه لأهم الأماكن المقدسة الإسلامية؛ في مكة والمدينة المنورة والقدس، ولأكبر منارات العلم كالجامع الأزهر، واستقلاله عن الاستعمار الأوروبي، وكذا تساهل السلطات العثمانية غالبا مع المهاجرين الجزائريين.³

الهجرة كظاهرة لافتة ظهرت بقوة سنة 1847، بعد انتهاء مقاومة الأمير عبد القادر، فكثيرا من العائلات الجزائرية من بلاد القبائل (زواوة)، هاجرت تلك السنة إلى سوريا، بدعوة من أحد شيوخ الطريقة الرحمانية، بسباو الأعلى، للرحيل إلى بلاد الإسلام، بحجة أن غزو الكفار وشيك، داعيا إياها إلى: «الهجرة من أرض تجست بوجود الكفار»، واستجاب عدد كبير من القبائل لدعوة هذا الشيخ وهاجروا إلى سوريا، ومع نجاح التوسع الفرنسي، أخذت بعض العائلات الطريق إلى الشرق، الأمر كذلك حوالي عام

¹ - ينظر، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، ص20،21.

² - ageron : les migrations, op.cit

³ - ينظر، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، مرجع سابق، ص20،21.

1864، حيث سجل رحيل مائتي عائلة من القبائل، وتواصلت الدعوة للهجرة عن طريق المراسلات المنتظمة، التي تظهر المزايا المعنوية والمادية، للهجرة للأرض المباركة، وكل شيء يترجم ويختزل هذا الشعور السيادي، أن تعيش وتموت في أرض الإسلام.¹ وكمثال على تلك الهجرات، يذكر أجرون Ageron. أنه عبرت ثمانون خيمة تقريباً الحدود باتجاه تونس في بداية فبراير 1861، ولدى عبورها توقف المهاجرون الجزائريون وأحرقوا خيامهم، وهجروا زوجاتهم، وبعد ثلاثة أيام قضوها في الصيام والصلاة؛ قاموا بالاعتسال حتى يتطهروا من مخالطتهم السابقة للمسيحيين الفرنسيين في الجزائر، بل وأعادوا عقد القران مع زوجاتهم، ذلك لأنهم دخلوا أرض الإسلام (كأنهم دخلوا الإسلام من جديد) حسب رواية المؤرخ أجرون².Ageron

ب- المناطق الجاذبة للجزائريين

كانت أهم البلاد الإسلامية التي قصدتها الجزائريون: سوريا، ومصر، والحجاز، والمغرب وتونس، وتركيا، وتميزت الهجرة إلى سوريا بأهمية خاصة، نظرا لاستقرار الأمير عبد القادر وعائلته وإخوانه بها منذ عام 1856، مما لفت إليها أنظار الجزائريين، فاتجهت نحوها موجات من الهجرة، أهمها هجرة أعداد مهمة من العائلات الزواوية (القبائلية) عام 1857، وهجرة نحو 200 عائلة زواوية عام 1864.³ وقدّر تقرير فرنسي الصادر في 14 أغسطس 1876 عدد المهاجرين الذين بقوا في تونس ب 16000، بما في ذلك 7000 من القبائل (زواوة)، حسب إحصاء الحكومة العامة، مع الأخذ في الاعتبار فقط حالات المغادرة المبلّغ عنها.⁴ كما أن سنة 1893 كانت سنة أزمة خطيرة بسبب المجاعة، مما أدى إلى هجرة مهمة لسوريا، كما أنه في عام 1896 سجل رحيل 237 شخص، إضافة لذلك سجل وصول 800 شخص إلى بيروت، في بداية عام 1898 وكذلك في أكتوبر 1898، وأشار الحاكم العام الفرنسي في الجزائر لافيرير É. Laferrière (الفترة 1898-1900) إلى حركة هجرة مهمة للغاية من مناطق المدينة، والبرواقية، والشلف، متجهين إلى سوريا، وتنبهت السلطات لطلبات الحصول على تصاريح المغادرة، حيث سرعان ما رفضت جميع أدونات السفر.⁵ وبالرجوع لأسباب الهجرة، فإن الجزائريين الذين غادروا، كانوا ضحايا هجّروا من وطنهم، حيث الهروب من واقع استعماري لا يطاق، أما الإدارة الفرنسية فأرجعت من جهتها الأمر لسببين، أولهما حملة تديرها الصحافة، والثاني كان يمكن أن يكون الدعاية في

¹ - octave de pont et xavier coppolani : les confréries religieuses musulmanes ,adolphe jourdan, paris, 1897, p. 260 . /&/ ageron , : les migrations des musulmans op.cit .1050..

² - ageron : les migrations, op.cit

³ - ينظر، بلاح: تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص ص 317- 319.

⁴ - Ageron : les migrations , op.cit .

⁵ -charles-robert ageron :genèse de l'algérie algériennere,editions bouchene,paris, france,2005,p 76 .

بلديات مختلطة من الشلف وتانس، من قبل وكلاء أعمال الأوروبيين، داعين المسلمين لبيع أرضهم.¹ كما هاجرت أسر كبيرة من مليانة سنة 1899، وهجرة بعض العائلات من سطيف عام 1910، وهجرة المئات من قسنطينة وسطيف وبعض مدن الغرب عام 1911. وقد أثارت هجرة أكثر من 1200 عائلة من تلمسان وإقليمها سنة 1911 انتباه السلطات الفرنسية ووضعتها في مأزق، هذه الهجرة التي كانت نحو سوريا عن طريق ميناء مليلية المغربي الخاضع لإسبانيا، وهي أكبر وأشهر هجرة، وهناك أعداد مهمة أخرى؛ انتقلت إلى تونس والمغرب وليبيا دون أن تثير هجرتها انتباها، وبلغ عدد المهاجرين الجزائريين في سوريا 20000 مهاجر في العام 1911 وحوالي نفس العدد في المغرب في تلك الأثناء تقريبا.²

ومع زخم الحرب ع1، كانت هناك محاولات للمهاجرين الجزائريين لنصرة القضية الجزائرية، نجد منهم الأمير علي بن الأمير عبد القادر الذي كان نائبا في البرلمان العثماني عن دمشق، حيث قام بتأسيس جمعيتين تعملان لصالح استقلال الجزائر بين 1911-1912م، ومن جهة أخرى حظي الجزائريون في المشرق العربي بسمعة طيبة، واحترام كبير، نظرة لشهرتهم كمجاهدين ودعاة للوحدة الإسلامية، فحصلوا على تسهيلات الإقامة وشراء الأراضي، وأعفوا من الخدمة العسكرية، وأفسحت لهم مجالات التعلم والتوظيف، وبرز منهم علماء دين، وأطباء، ومهندسون، وموظفون، وصحفيون، ونواب، وضباط.³ ومن أشهر رجالهم الأمير علي بن الأمير عبد القادر، الذي تقلد منصب نائب رئيس مجلس النواب العثماني، وأخوه الأمير عبد المالك، الذي شغل منصب قائد الشرطة الشرفية في طنجة عام 1906، واستغله إعلان ثورة في المغرب على الاحتلال الفرنسي عام 1915، والعفيد المثقف الثائر سليم بك الجزائري والشيخ طاهر الجزائري، والشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر، وغيرهم كثير، لا يسمح المقام لعرضهم كلهم.⁴ وفي 1916م تشكلت لجنة في برلين هي لجنة استقلال الجزائر وتونس، والتي اتخذت من لوزان بسويسرا مقرا لها، برز منها عضوان هما صالح الشريف وإسماعيل صفايحي، تونسيان من أصل جزائري،⁵ شاركت اللجنة في مؤتمر القوميات، في 27 جوان 1916م في لوزان، حيث طرحت فيها مطالب الشعب الجزائري.⁶

¹ -charles-robert ageron: *genèse de l'algerie*, op.cit , p 76 .

² - ينظر، بلاح: تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص ص 317- 319.

³ - سهيل الخالدي: دور الجزائريين في حركة التحرر العربي في المشرق 1847-1948م، دار هومه، الجزائر، 2013، ص ص 77- 80.

⁴ - بلاح: تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص ص 317. 319.

⁵ - جمال قتان: دراسات في المقاومة والاستعمار، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، رويبة، الجزائر، 1996، ص 109، 110.

⁶ - أجيرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج 2، مرجع سابق، ص ص 848 - 850 .

2- الدور الاقتصادي للهجرة

أ- المردود الاقتصادي للهجرة لفرنسا

كان الوضع المزري والقاتم في الجزائر بسبب الاستعمار، قد صير أغلب سكان المدن والقرويين فقراء، لأسباب تدخل في إطار السياسة الفرنسية لتفجير الشعب الجزائري وتجويعه، وأهم أدواتها: العقوبات الجماعية، وإجراءات الحجز والمصادرات الكبرى للأراضي السكان المسلمين، وقانون الأهالي الرهيب، إضافة لكل هذا فإن أغلب الجزائريين كانوا ضحية الاضطراب الناتج عن التقلبات المناخية، وضحية أشكال الاستنزاف والاستغلال والمعاملات الربوية للمقرضين اليهود، الذي تمكنوا من وضع أيديهم على الكثير من أملاك الجزائريين، إضافة لذلك نجد الضرائب الخاصة المسلطة على المسلمين الجزائريين، وزاد الأمر تعقيدا المجاعات والأوبئة (مجاعات 1893-1897-1920 وسلسلة الأوبئة والأمراض الكوليرا والتيفيس) وكانت النتائج مأساوية، لأنه في مدة نصف قرن تراجع عدد سكان الجزائر.¹

إضافة للأسباب السابقة نجد أن الجزائريين خسروا أحسن الأراضي لصالح الأوروبيين، فأصبح الجزائري لا يطيق أن يرى نفسه عبدا على أرضيه، التي سلبت منه، بعد أن كان سيدا عليها، لذلك فالهجرة أتاحت لهم حياة جديدة، تختلف عن حياتهم التعيسة تحت حكم الكولون والقياد في وطنهم الجزائر، خاصة مع فارق الأجر والمعاملة بفضل القوانين الاجتماعية بفرنسا.² وقبل بداية الحرب العلمية الأولى كان شغل يوم في نبات الحلفاء، لا يكفي لشراء الخبز اليومي، وقنطار الحلفاء يدفع مقابل أجر بين 4 و 8 فرنكات، بينما رغيف الخبز بوزن 600 غرام سعره من 5 إلى 9 فرنكات.³ و

بعد الحرب العالمية الأولى تنتقل جريدة الإقدام حالة التعاسة للعمال الجزائريين خلال سنة 1921 وتذكر أن سعر كيلو من الخبز؛ يساوي فرنك ونصف الفرنك، وسعر الكيلو من الدقيق يساوي فرنك وثمانين سنتيما؛ بينما الأجير الأهلي لا يتجاوز أجره بين ثلاثة أو أربع فرنكات، مقابل عمل اثنا عشر ساعة في اليوم في قطف العنب، وبلغ السوء أن جملة من العمال لا يطالبون إلا بالخبز لأولادهم، ويضيف خالد «..والجائع الملهوف لا يخشى القوانين، فالتعلق الطبيعي بالحياة يقوي بأسه، رغم ذلك أولئك البؤساء لم يسمع منهم إلا الصراخ الخبز لكن لم يعط لهم إلا القوانين الزاجرة».⁴ وكانت الجزائر بمثابة سجن كبير، وهو ما حدى بجريدة لوجور Le Jour (النهار) أن تعلق بمناسبة أحداث 5 أوت 1934 بقسنطينة (بين اليهود والمسلمين) بقولها: «إن المسلمين الذين أنهكتهم عدالة جد منحازة، وضرائب لا ترحم، وعليهم واجبات فقط دون أن يكون لهم أي

¹ - مهساس: الحقائق الاستعمارية، مرجع سابق، ص 169، 170.

² - عبد الحميد زوزو: الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين، دار هومة الجزائر، 2013، الجزائر، ص 14-32.

³ - صاري وقداش: المقاومة السياسية، مرجع سابق، ص 165.

⁴ - جريدة الإقدام: العدد الثاني 6 ذو القعدة 1339 هـ، الموافق جويلية 1921.

حقوق لا يحتاجون إلا لذريعة حتى يتركوا مشاعرهم تتفجر»، أي أن المشكلة تتجاوز إلى أسباب عميقة إذ لم يتم تجاوز الأجور منذ الغزو إلى غاية 1914 إلا بفرنكا واحدا ونصف الفرنك.¹

لم يتعرف الجزائريون على آفاق العمل في فرنسا قبل الحرب العالمية الأولى، وعن وجودهم قبل الحرب العالمية الأولى، تم إحصاء 5000 جزائري سنة 1912 خاصة في باريس ومرسيليا،² أما الهجرة الكبرى والكثيفة لفرنسا فلم تكن طوعية، بل كانت إجبارية اقتضتها ظروف الحرب العالمية الأولى، ففرنسا من أجل الدفاع عن نفسها جندت عددا كبيرا من الجزائريين، يقدر بنحو 270000 بين جنود في الجيش أو عمال، ولم تكن الهجرة منظمة إلا في بدايتها بسبب ظروف الحرب، ثم أصبح المهاجر يذهب على نفقته مما زاد في تعاسة المهاجرين عند البحث عن العمل، إضافة لذلك فإن عقود العمل كانت مؤقتة.³ وبعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها بقي الكثير من المجندين الجزائريين بفرنسا للعمل لحاجة الصناعة الفرنسية ليد عاملة من عام 1920 إلى عام 1924، وهي المدة الرئيسة الأولى للهجرة، وكان هناك في فرنسا 120.000، مهاجر في فرنسا من شمال إفريقيا، منهم 100,000 جزائريون، وحوالي 10.000 مهاجر مغربي و10.000 تونسي، وهذا يفسر عدم امتداد نجم شمال إفريقيا إلى تونس والمغرب.⁴

ومقارنة بين أجور العمل في فرنسا والجزائر، نجد أن العامل المسلم في الجزائر آنذاك، يعمل 14 ساعة في اليوم يتقاضى عنها كأجرة، ما متوسطه نصف فرنك سنة 1870، لتصل إلى فرنك واحد سنة 1910، و4 فرنكات سنة 1935، في مقابل ذلك كان العامل في فرنسا سنة 1929، يتقاضى كحد أدنى من 40 فرنك يوميا.⁵ ولأن الهجرة حسنت من أحوال الجزائريين ماديا الشيء الذي أزعج المعمرين؛ وطالبوا بإجراءات أكثر تعقيدا لخنق الهجرة نحو فرنسا، وأمام الإجراءات التي تحد من الهجرة وموقف المعمرين المتصلب تجاهها؛ عمت ضجة استياء وسط الدوائر المسلمة في الجزائر من أجل حرية للمسلمين في الهجرة لفرنسا، حيث طالب كل من الأمير خالد وفرحات عباس وباقي النواب المسلمين بإلغاء الإجراءات المقيد للهجرة، واعتبر فرحات عباس موقف المعمرين من الهجرة إجراءً تعسفيا. مما أجبر الإدارة على التخفيف من إجراءات المنع لكنها لم تلغها تماما.⁶

¹ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، ص424 . 425.

² - بوقصة: مرجع سابق، ص43.

³ - زوزو: الدور السياسي للهجرة، مرجع سابق، ص ص 14-32.

⁴ - Benjamin stora :messali hadj, pionnier du nationalisme algérien(1898-1974), editions l'harmattan , paris,1985 , p43 .

⁵ - مصطفى الهشماوي: جذور نوفمبر في الجزائر: المركز الوطني للبحث والدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، دار هومه للنشر، الجزائر. 2010، ص24.

⁶ - زوزو: الدور السياسي للهجرة، مرجع سابق، ص19.

ب- المهاجرون الجزائريون بفرنسا والعمل لاسترداد هوية الأرض

استفاد المهاجرون الجزائريون من الفارق الكبير في أجور العمل، مقارنة بين الأجور المعمول بها في الوطن الذي يسيطر عليه المعمرون آنذاك، وبين الأجور المطبقة في فرنسا بفضل وجود النقابات والقوانين العمالية بفرنسا، ويذكر محمد عبدون وهو أحد المناضلين في حزب الشعب أنه سنة 1926 وجد عملا في الجزائر عند موثق ب60 فرنك لشهر كامل (فرنكين تكفي لشراء لتر من الزيت وكيلوغرام بطاطس آنذاك)¹، بينما كانت أجرة يوم واحد في فرنسا تصل لتسعين فرنكا، بعد الحرب العالمية الأولى (أي أجرة عمل يوم بفرنسا يعادل أجرة شهر ونصف عمل في الجزائر آنذاك)، حتى أن منطقة بجاية دفعت ما يعادل سدس سكانها للهجرة إلى فرنسا.² ويذكر بنيامين ستورا أن مصالي الحاج عند هجرته لفرنسا، عمل في البداية سنة 1925 مقابل 500 فرنك في الأسبوع.³ فقد سمحت الهجرة إلى فرنسا،-حيث تقل اليد العاملة- للمهاجر الجزائري من الحصول على مداخيل تفوق ما كان يحصل عليه بالجزائر، فنشأ عن الهجرة حركة ثنائية بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط، الحركة الأولى بشرية وجهتها من الجنوب إلى الشمال، والحركة الثانية نقدية بوجهة معاكسة.⁴

ونظرا للأثر النفسي الذي يتركه فقدان الأهالي لأراضيهم، لأسباب عديدة، آخرها أشكال الاستغلال التي مارسها المرابون الأوروبيون واليهود للإيقاع بالجزائريين، حيث تمكن الأوروبيون من انتزاع أجود الأراضي من أيدي الجزائريين بطرق مختلفة، ليبقى ذلك الكمد في أعماق الفلاح المسحوق، على أمل تأثري باستعادة الأرض في يوم ما. لذلك كانت من بين الأهداف التي حددها المهاجرون عند مغادرة بلادهم إنهاء الديون، واسترجاع أو شراء الأرض، ففي عيون الفلاحين المرتبطين بقوة بالأرض، فإنها بالنسبة لهم شيئا حيويا لا يقدر بثمن، وتم فعلا تسجيل شراء كثيف للأرض من الأوروبيين لصالح الأهالي بين سنة 1918-1920، وهذا ما جعل المستوطنين يدقون ناقوس الخطر.⁵

ويذكر مصطفى الأشرف من أن تقارير الإدارة الاستعمارية، في بدايات القرن العشرين، دقت ناقوس الخطر، في أن أغلب بيوع الأرض، وقعت لصالح الأهالي، مع أن معدل السعر الذي كان يعرضه الأوروبي هو 110 فرنك للهكتار الواحد، بل قد يرتفع إلى 500 فرنك، في حين أن الجزائري

¹ - عبدون: مرجع سابق، ص18.

² - بوقصة: مرجع سابق ص ص66، 67.

³ - Stora: Op,Cit , P43 ,44 .

⁴ - أندري برنيان، أندري نوشي، إيف لاکوست: الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: اسطنبولي رباح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص422.

⁵ - بوقصة: مرجع سابق، ص ص170-174.

كان يفضل البيع لأخيه الجزائري المسلم مقابل 58 فرنك للهكتار الواحد فقط وهذا ما أثار فزع الأوروبيين وهو اجسهم¹. ومن الكتاب الفرنسيين الذين صرحوا بمخاوفهم المؤرخ أ.ف. غوتيي E.F.Gautier، الذي نبه إلى ذلك في معرض حديثه عن ضرورة توسيع الاستعمار، حين أشار عن فزعه لإعادة شراء العقارات الريفية ناحية قسنطينة من قبل الأهالي، الذين بدأوا يستردون الأرض مقابل فلسات، وبما أنه لا يحبذ الإدماج، فإنه يطلق صرخة استغاثة، لإعادة الوجود الأوروبي إلى الأرياف حسب ما يرى².

وهاجس الأوروبيين هذا في خوفهم من أن يحقق الجزائري أملهم بشراء الأرض واسترداد ما سلب منه، ترجمه كذلك الكاتب أوكتاف دوبون octave depont حين رأى من أن نية الجزائريين ليست الأرض، بقدر ما هو طرد الاستعمار، والتي يعبر عنها بقوله: «ليس حول ملكية الأرض... بل حول رؤية (الرومي) يغادرها» وهو اعتراف مصرح به على أنهم غير مرحب بهم على أرض الجزائر. فهم يدركون شعور الجزائريين تجاههم، إذ الشعور الوطني مرتبط بقوة بالأرض وقوة هذا الشعور والروابط المعقودة حوله، نقلت في النهاية مسألة التحرر الوطني إلى قلب المتروبول، والتي كان بفضل ذلك التحفز لا بد من أن تطرح مسألة التحرر في الفرصة المواتية³.

-مميزات هجرة الجزائريين إلى فرنسا-

- أكثر المناطق تصديرا للمهاجرين هي منطقة القبائل.
- أكبر مركز استقطاب للمهاجرين هو باريس.
- روح التضامن بين المهاجرين ونية الرجوع للوطن.
- المهاجر يقيم في سكن جماعي يوفر النقود ليرجع الوطن.
- الأغلبية كانوا شباب ليس لهم إقامة دائمة، أي ثمانية أشهر ويعودون للوطن، فهم مرتبطين بعائلاتهم وبأراضيهم لموسم الحصاد والحراث.
- ويلاحظ اقتصار الهجرة على الرجال دون النساء.
- السمة الغالبة هي تكتل المهاجرين على أساس رباط القبيلة أو القرية؛ عند اختيارهم لمكان السكن والعمل، لكنهم وأمام التحديات الخارجية؛ سرعان ما تظهر الروح الوطنية للجزائريين⁴.

كـ

¹ - الأشراف: مرجع سابق: ص 20.

² - قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، مرجع سابق، ص 341.

³ - بوقصة: مرجع سابق، ص ص 170-174.

⁴ - زوزو: الدور السياسي للهجرة، مرجع سابق، ص ص 14-32.

3- الجزائريون في المهجر من المقاومة الرمزية إلى محاكاة العمل السياسي

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ونظرا لحاجة فرنسا ليد عاملة، نتيجة الخسائر البشرية التي تكبدتها في الحرب، بقي المجندون الجزائريون في فرنسا للعمل في المصانع، وساهم ذلك في تغيير المشهد الذي ألفه الجزائريون مع المستوطنين في الجزائر، وسمحت الهجرة للجزائريين برؤية واضحة لمصالحهم، وبداية عهد من نضال عمال شمال إفريقيا، داخل الطبقة العاملة الفرنسية، وتعرفوا على عالم النقابات والقوانين الاجتماعية، وحقوق العامل.¹

العامل المشترك لظاهرة الهجرة الكثيفة للشباب الجزائري هي الهروب من حياة البؤس، ونجم عن ظاهرة الهجرة، تغيرات نفسية واقتصادية عميقة، فالعامل الجزائري الذي غادر بلاده طلبا للعيش واكتسابا للرزق، أو فرارا من الاضطهاد، تمخض عنها انتقال وضعية المهاجر الجزائري من فئة الفلاحين إلى فئة العمال، فهو عند عودته إلى موطنه الجزائر يدرك الفوارق السلوكية نحوه بين الضفة الشمالية والجنوبية للمتوسط، ويلاحظ فارق المعاملة التي يمارسها الأوروبيون في الجزائر بحقه، وهذا الرصيد الحاصل بالغ الأهمية، لأنها تتضافر إلى التأثيرات الجديدة، خاصة المبادئ التي أعلنها الرئيس الأمريكي ولسون Wilson، وموضوع التأثيرات الإسلامية الإصلاحية، أو الأفكار الثورية التي بعثت للوجود.²

استطاع الرواد الأوائل للعمل الوطني في المهجر، من التكيف مع واقعهم وتوجيه جهودهم لخدمة القضية الوطنية، مستفيدين من الواقع السياسي في المتروبول، الذي يوفر شروط حرية أفضل، إضافة للسند الذي يجدونه في اليسار الفرنسي، عبر حاضنة اتحاد ما بين المستعمرات، وبفضل تلك الجهود ولد نجم شمال إفريقيا بالمهجر بفرنسا، وأصبح هو العنوان الأول للتيار الثوري الاستقلالي بالجزائر، ليصبح النجم بعدها بدوره حاضنة العمل الوطني للمهاجرين، حيث برزت روح المقاومة وإثبات الهوية، وأنّ الوطنية الجزائرية كامنة ومتأهبة لإثبات نفسها في كل آن ومكان.³ فبعد أن ظنت الحكومات الاستعمارية أنهم قد استتب لهم الأمر في الجزائر، قضت حكمة الله أن يتزعزع التيار الثوري في عاصمة العدو، كما تزعزع سيدنا موسى عليه السلام، في قصر عدوه فرعون، إذ أنه في ظل مناخ الحريات السياسية والقوانين الاجتماعية في الميتروبول، وجد العمال الجزائريون ما افتقدوه في وطنهم التي كانت تخضع لقوانين استثنائية أقل ما يقال عنها أنها وضعت من أجل تخلف الأهالي، وفي نفس

¹ - Stora: Op.Cit, P 48.

² - أندري برنيان، وآخرون: الجزائر بين الماضي والحاضر، مرجع سابق، ص422.

³ - بوقصة: مرجع سابق، ص394.

الوقت تدفع إلى تطور العنصر الأوروبي الأجنبي.¹

إن الوصول الكثيف لآلاف الجزائريين، وتسجيل حضورهم على المسرح السياسي، ونمو حضورهم المتنامي في مهرجانات الحزب الشيوعي، واتحاد ما بين المستعمرات، إنما كان جزءا من استظهار الشعور الوطني المكبوت، ويعتبر عبد العزيز منور، ومحمود بن الأكل، من أوائل الطلبة الجزائريين الذين منحوا تكويننا بجامعة موسكو، بدعم من الأمانة الشيوعية سنة 1924، ولم يتطور هذا الأمر بسبب النظرة الإقصائية والاستعلائية لدى الفرنسيين تجاه أبناء المستعمرات، ومنعهم من تسلم المسؤوليات داخل الحزب الشيوعي الفرنسي، أو في الهيئات التي كانت مدعومة أو مسيرة من قبل الحزب الشيوعي الفرنسي، مثل الهيئة الكولونيالية واتحاد ما بين المستعمرات، رغم النشاط الكبير للجزائريين فيها من أمثال حاج علي عبد القادر، وعبد العزيز منور، وأحمد بورحلة، ومحمد معروف، ومحمود بن الأكل، وحسن يسعد، وصيدون، والعناصر اللاحقة بعدهم، ومنهم الأبيض، حموش آكلي، علي بن حاج، بوقارا، يوسف بن سمان، حمانو، الإخوة سبتي، عبد الرحمان وسليمان (من العلمة أحدهما سيصبح من اللجنة المركزية للنجم).²

كان بعض المهاجرين الجزائريين يقومون بنشاطات سياسية داخل النقابات الفرنسية، لدرجة أنه منذ الحرب العالمية الأولى، أصبح من العسير التمييز بين الحركة النقابية والحركة السياسية التي تكونت أساسا من العمال المهاجرين الذين كانوا منظمين لنقابات فرنسية، وأهمها «الكنفدرالية العامة للشغل CGT والكنفدرالية العامة للعمال الودويين CGTU»، وبعد ضغط من الأمانة الشيوعية بموسكو، تم انتخاب أحد أبناء المستعمرات في الحزب الشيوعي الفرنسي، وهو حاج علي عبد القادر* (وهو الذي سيكون له دور محوري مع مصالي الحاج في تأسيس نجم شمال إفريقيا).³

من نتائج الحملة السياسية لترشيح حاج علي عبد القادر في الحزب الشيوعي الفرنسي، أنه فتح المجال للأمير خالد للاحتكاك بالشيوعيين، حيث كانت استراتيجية الشيوعيين، هي فسح المجال للحركات البورجوازية، المهمة بمسألة رفع سقف المطالب ضد الاستعمار، وضمهم إلى مسار استراتيجيتهم، حتى ولو كانت آرائهم يمينية كتحالف ظرفي، في إطار بحث الشيوعيين عن تيار ثوري معارض لكل تعاون مع السلطات الاستعمارية، وبذلك وجد الشيوعيون ضالته في شخص الأمير خالد، بينما استفاد خالد والمهاجرون

¹ - ثيو: إشكالية الدولة، مرجع سابق، ص 77. بتصرف.

² - ينظر: بوقصة: مرجع سابق، ص 221، 274، 268، 394.

* - ولد بغيلزان سنة 1883 لسافر لفرنسا تزوج من فرنسية وتجنس بالجنسية الفرنسية وانضم للحزب الشيوعي وأصبح رئيسا لأحد خلاياه، تقلد رئاسة نجم شمال إفريقيا في البداية ثم تنازل بعد خلاف. ينظر: زوزو: الهجرة، ص 87-أيضا- الخطيب: حزب الشعب، ص 115.

³ - بوقصة: مرجع سابق، ص ص 285-289، بتصرف.

الجزائريون من التقرب من اليسار الأوروبي في خدمة القضية الوطنية.¹

ومن خلال ما سبق يُفهم سهولة الاتصال بين الشيوعيين وجماعة الأمير خالد، في التحريض السياسي داخل اتحاد ما بين لمستعمرات،² وفي تقرب الأمير خالد واحتكاكه مع الشيوعيين في إطار الجبهة المناهضة للإمبريالية، حيث نشط الأمير خالد مهرجانات في باريس في 12 جوان وفي 12 و19 جويلية 1924م، تجسيدا لفكرة التحالف، أو ما يسمى الجبهة الواحدة مع البورجوازية الوطنية، من خلال المشروع لتحالف الشيوعيين مع الحركة الخالدية (مجموعة الأمير خالد).³

كان مصالي الحاج قد شمله التجنيد الإجباري الذي فرض على الشباب الجزائري، وكان من حظه أنه لما رست به الباخرة في فرنسا كمجنّد جديد للحرب، كانت أوزار الحرب العالمية الأولى أشرفت على الانتهاء، ولهذا لم يبقى كثيرا ليسرّح من الجيش ويعود إلى الوطن، بعد ذلك قرّر الشاب مصالي الحاج تجربة حظه خارج القطر الجزائري والسفر إلى فرنسا، فوصل إلى باريس في 13 أكتوبر 1923.⁴ وبعد أن التحق مصالي بفرنسا وجد لنفسه عملا وانتقل من وظيفة إلى أخرى، فمن مصنع نسيج إلى مصنع صب المعادن، كما قام بعمل موسمي كرجل توصيل، ومارس مهنة التاجر المتجول، وفي البداية سنة 1925 عمل مقابل 500 فرنك في الأسبوع.⁵

لاحظ مصالي الحاج أيضا فوارق كبيرة منها فارق المعامل في فرنسا، مقارنة بمعاملة المعمرين السيئة للأهالي في الجزائر، إضافة لفارق الأجر بين الجزائر وفرنسا، إضافة لوجود القوانين الاجتماعية التي تضمن حقوق العامل، والتي كانت معدومة نهائيا في الجزائر.⁶ وكان مصالي راضيا عن هذا النوع من العمل الذي تركه يتفرغ للنشاط السياسي وأتاح له الأمر تواصله ليس مع الفرنسيين فحسب، بل مع جنسيات أخرى من مغاربة، وتونسيين، وأفارقة، ومن الهند الصينية وبعد تمارينه السياسية الأولى مع اليسار الفرنسي أدرك أهمية وجود الجالية الشمالية الإفريقية، والتي ستوفر له أول المناضلين لتشكيل أول منظمة قومية شمال إفريقيا فيما بعد.⁷

✓

¹ - بوقصة: مرجع سابق، ص ص 285 - 289، بتصرف.

² - نفسه: ص 394.

³ - الهشماوي: مرجع سابق، ص 37، 285.

⁴ - Stora Op.Cit, P43 , 44.

⁵ - ibid : P43 , 44.

⁶ - مصالي الحاج: مذكرات مصالي 1898-1938، تر: محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص 11.

⁷ - Stora : Op.Cit : P43 , 44.

4- اليقظة المبكرة للمهاجرين الجزائريين

تعتبر الجزائر أقدم دولة عربية تعرضت سيادتها للاختراق بعد مصر، ورغم الوهن الذي أصاب العالم الإسلامي، إلا أن الشعب الجزائري عبر كفاحه أحر سقوط الدول العربية الأخرى عشرات السنين، وتحولت الجزائر إلى حقل لتجارب المشروع الاستعماري الفرنسي. وقد اعتبرت الجزائر كواحدة من المقاطعات الفرنسية وامتدادا للتراب الفرنسي رسميا منذ 1848، وما يفسر لنا درجة الاهتمام بالجزائر في الكتابات الاستعمارية؛ ما عبر عنه الكاتب والسياسي الفرنسي ميشيل ديفيز Michael Davies واصفا العلاقة التي تربط الجزائر بفرنسا بقوله: «لقد اعتبرت الجزائر، باستمرار كواحدة من ذواتنا، هذه الأرض الجميلة القريبة من فرنسا، هذه البلاد المنتمية إلى إفريقيا البيضاء قد غدت دعامة الإمبراطورية الاستعمارية بإفريقيا، فدون الجزائر ستعرض الإمبراطورية الفرنسية للانهايار والتفكك»، وفي هذا الإطار يذهب المفكر امحمد مالكي إلى رأي مفاده أن فرنسا «حتى في أقصى درجات وعي النخبة السياسية الفرنسية، قلما ارتقى الرأي العام الفرنسي فيها، إلى مستوى الاقتناع بضرورة استقلال الجزائر، أو منح جزء من الحقوق للشعب الجزائري».¹

الهجرة على غرار كل التغيرات الهامة التي تمس الوضع الاجتماعي للفرد، تؤثر على أحاسيس الانتماء الاجتماعي، وبالتالي أحاسيس الهوية، والعلاقة بين الهوية وقضايا الهجرة، هي عبارة عن علاقة ارتباط وثيقة تستمد صلابتها من تداخل إشكالاتهما، فالهجرة بما تقرضه من تغيير اجتماعي وتفاعل ثقافي بين مختلف الجماعات تتقاطع وتتداخل مع إشكالات الهوية، ذلك أن المهاجر، لا يهاجر بحقيقته فقط، ولكنه يهاجر أيضا بثقافته وأفكاره ومعتقداته وقيمه، بعبارة أخرى بهويته.² ويبقى العامل الجزائري رغم الغربة والهجرة والبعد مرتبطا ببلده، فيشتد به الحنين، ويتألم حين يرى نفسه عاجزا عن تحديد هويته الوطنية، إنه يعرف ويتأكد بأنه جزائري، ويعتز بهذه الجزائرية، إلا أن الوثائق والبطاقات الشخصية التي يحملها، تحمل في طياتها وسطورها مسخا لجزائريته، فقد سرقت منه جزائريته، ولهذا نراه يبحث عن هويته في اجتماعاته مع إخوانه، في إقباله على المحاضرات واللقاءات التي تتحدث عن بلاده.³

المهاجر الجزائري إلى فرنسا ويدخوله إلى عالم غريب على ثقافته، وكرد فعل تقرضه غريزة إثبات الذات، وخاصة التمايز لدى البشر، يجد نفسه مضطرا للانحياز لفئة، ومن الطبيعي أن تكون إلى المجموعة الأقرب إليه، وسرعان ما وجد نفسه منظما ومنخرطا في مجتمع مصغر هذه المجتمعات

¹ - مالكي: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مرجع سابق، ص157. بتصرف

² - محمد خيدون: الهجرة وإشكاليات الهوية في العالم المعاصر، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية العدد 63، ص ص 68- 75 مركز جيل للبحث العلمي، لبنان، أبريل، 2020. بتصرف.

³ - العلوي: مرجع سابق، ص98.

الصغيرة تؤثر وتتأثر فيما بينها، فكان أن أفرزت رد فعل وطني انتهى إلى التسييس لصالح القضية الوطنية.¹ وتفسيرا لما سبق، فإن بناء الهوية لدى المهاجرين يتأسس على سيرورتين، إحداهما ذاتية تتشكل عبر اختياراتهم الخاصة، والأخرى خارجية تفرض عليهم، ذلك أن هوية المهاجر، لا تبني فقط عبر نظرتة لذاته، والأوضاع التي حددها لنفسه، ولكن أيضا من خلال نظرة الآخر، والأوضاع التي حددها الآخرون له، وكمثال فإن هوية المهاجرين الجزائريين في جانب ملتزمة بالحدود الرمزية للجماعة؛ ومن جانبها الحركي النضالي، فهي منفتحة ومتفاعلة مع السياق الذي توجد داخله، تستفيد باستمرار، وتراكم الخبرات.² كان للحضور المتنامي في مهرجانات الحزب الشيوعي وعلى المسرح السياسي، قد مكّن العناصر الجزائرية بالمهجر من الاستفادة في صقل تجربتهم النضالية، والتي ستوظف لصالح القضية الوطنية، وتبعا لملاحظة الباحث ن. د. ثنيو أن ميلاد النزعة الوطنية الجزائرية في كنف اليسار الفرنسي والأممية الشيوعية، لازمه تعامل التيار الوطني بالمهجر بمصطلحات ومفردات وبعض المفاهيم الجاهزة، مثل طبقة العمال، البرجوازية، الوطنية، الاستعمار، الرأسمالية الاستغلالية، والتي استعارتها من الخطاب اليساري، إضافة لمفاهيم التنظير الإيديولوجي، والتي ساعدت المهاجرين الجزائريين في بلورة وعي وطني، وامتلاك ضمير جماعي موضوعه الجزائر، وفي تحديد الخصم الحقيقي للتححرر، فاقترنت فكرة الوطن بضرورة التخلص من الاستعمار كأفضل سبيل للإفصاح عن التعلق بالهوية.³

كما تدخلت عوامل أخرى في اليقظة المبكرة للجزائريين، داخل الهيئات التابعة للحزب الشيوعي، منها إحساسهم بالضياع في ظل وسط ثقافي وإيديولوجي غريب، إضافة لذلك فقد عاش المنخرطون الجزائريون في الحزب الشيوعي؛ قادة أو مناضلين؛ على هامش الحزب، وأدركوا أن وضعهم لا يعدو أن يكون غير أداة؛ ودعما إضافيا في الحزب الشيوعي الفرنسي، كونهم مسلمين كما أثرت عليهم تواتر الأحداث؛ وما يُكاد للإسلام من قبل الغرب، فأيقظت ثورة الريف والحرب على الخلافة وعي المهاجرين، فانتبهوا لمسألة ضرورة الانتصار الهوية، مستغلين وضعهم النقابي الذي يتيح لهم نوعا من التحرك، وتدعيم الحزب الشيوعي لهم؛ مقابل أن يدعموه ضد أحزاب أخرى، فتمكنوا من تنمية حضورهم على المسرح السياسي، وقد فتح هذا الواقع؛ وزخم الحياة السياسية الفرنسية؛ آفاقا واعدة للمهاجرين الجزائريين في تنمية قدراتهم.⁴

¹ - بوقصة: مرجع سابق، ص 22، 23. بتصرف.

² - خيدون: مرجع سابق، بتصرف.

³ - ثنيو: إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 179.

⁴ - بوقصة: مرجع سابق، ص 393، 360. بتصرف.

المشاعر القومية لدى المهاجرين لم تكن خافية، رغم أن المهاجرين عندما يسألون عن جنسيتهم يتخرجون من الإجابة، لكن ذلك يثير حسهم الوطني، ومشاعرهم القومية الكامنة، إضافة إلى ما سبق كانت أخبار العالم الإسلامي (الخلافة، وثورة الخطابي) تجد لها صدى عند المهاجرين الشمال الإفريقيين.¹ إضافة لما سبق فإنه ورغم العمل الجاد عاش المنخرطون الجزائريون في الحزب الشيوعي، كقادة أو مناضلين على هامش الحزب، إذ لم يتمكن بعضهم من الوصول إلى مدرسة إشارات بموسكو، محرومين من التكوين السياسية على مستوى عال إضافة لسطحية تشرب الشيوعية عند غالبيتهم أو كلهم، ذلك أن الغالبية من المناضلين الجزائريين كانت تنتسب للحزب الشيوعي، على قاعدة القضية الوطنية وإرادة النشاط، وعلى هذا الأساس يقول حاج علي عبد القادر: «إذا سئلت شخصا سأقول إنني شيوعي، ولكنني مسلم أيضا لذا فقد انتسبت لنجم شمال إفريقيا». ورغم الحاجة لغطاء الحزب الشيوعي، فإن القادة الجزائريين الذين لم يكونوا ليغفلوا عن سلوك الاحتقار؛ من بعض الشيوعيين الفرنسيين، خاصة فكرة أن العرب هم أدنى منهم، بل أن منهم من يمثل اتجاه الجزائر الفرنسية داخل الحزب الشيوعي، ويرى واجب عدم الإسراع بإعطاء الحرية للأهالي.²

ومن خلال تصرفات الحزب الشيوعي الفرنسي تجاه أبناء المستعمرات، الذي لم يكن يود أن يجعل من المناضلين المغاربة، غير أداة ودعما إضافيا لحزبه من خلال النشاطات والتظاهرات وفي معاركه ضد خصومه، دون أن يقيم وزنا لتطلعاتهم المشروعة.³ بدا الحذر يتعمق بين الجزائريين والفرنسيين داخل الحزب الشيوعي، ومرده إلى إحساس الجزائريين بالانقباض، نتيجة حرمانهم من مواقع المسؤولية داخل الحزب، والآراء المشبعة بالأحكام المسبقة، وعقدة الاستعلاء نحو أبناء المستعمرات، وحتى المساعدات التي يتحصل عليها (اتحاد ما بين المستعمرات) من الحزب، تأتي من التنفيذية الأومية بموسكو، وليس إلى الحزب بباريس، من ذلك أن حاج علي عبد القادر، إنما فرض فرضا من الأومية الشيوعية بموسكو على الحزب الشيوعي الفرنسي، في التي يسيرها الحزب الشيوعي. ويذكر مصالي الحاج أن الحزب الشيوعي الفرنسي، كان له مشروع أراد فرضه علينا، بينما كنا نغذي مشروعا آخر.⁴

.....

¹ - عبد الحميد زوزو: الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين 1914-1939م، نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 16، 17.

² - بوقصة: مصادر الوطنية الجزائرية، ص 393، 360، 392.

³ - محمد مشاطي: مسار مناضل، تر: زينب قبي، منشورات الشهاب، الجزائر، 2010، ص 193.

⁴ - بوقصة: مرجع سابق، ص 316، 317، 28.

المبحث الرابع: دور الأمير خالد

1- مرحلة خالد لحظة مفصلية بين مرحلتين

تمتع الأمير خالد بشخصية مهابة، مستفيدا من الإرث التاريخي لعائلة جده، إضافة لامتلاكه لكارزما محبوبة، فهو في زمنه نجم الجزائر بلا منازع، إذ طبعت سياسة الرفض مسيرته طوال مدة حياته في الجزائر، ورسم لنفسه طريقا لم يحد عنه، فقد استقال الأمير خالد من سان سير 1895، وحاول الفرار إلى سوريا، بل ذهب إلى حد البصق على العلم الفرنسي، وناضل طوال حياته ضد سراب فرنسا حين أظهر تمسكه بالقيم الثقافية العربية والإسلامية، ورفض ارتداء الزي الموحد في الجزائر، واحتج على القتال ضد العرب. وقد منح بروز الأمير خالد للشبان الجزائريين، حافز للثقة في النفس. إذ طرح الأمير خالد نفسه محاورا للسلطة الفرنسية، فكان يستفيد من كل حادثة ليؤكد ذلك الاعتراض، وعندما كان الاعتراض هادرا لدى جيوش المجندين، استدعته القيادة الفرنسية لإعادة الهدوء، فقبل مثبتا أنه الممثل الأكيد للجزائر المقهورة.¹

وكان انتقاد الأمير خالد للنظام الاستعماري يقدم معالم مسبقة؛ عن الكتابات الأكثر حدة؛ التي ستظهر للتيار الوطني الجزائري فيما بعد.² فكأنه يقول أننا أصحاب الحق وحجتنا الأعلى ستبقى تحاصركم بها، وعليه استطاع الأمير أن يكون «ملزما خصمه بتصديقه بعد أن يقيم الدليل على ذلك»، واعتمادا على قواعد الحوار التي تشترط في المعارض لفكرته أو حجته أن يعتقد المعارض صدق ما يقول، فهو كما يقول طه عبد الرحمان كان خالد «موقنا بصدق قضاياه»،³ وهذا ما حدا بالكاتيين جليير ميني G. Meynier - وأحمد كولاكسيس لاعتبار الأمير خالد بأنه: «محفز الانتعاش التاريخي»، وكأنه الجسم الذي سهل التفاعل الكيميائي لكن لم يكتب له العيش ليشهد ذلك.⁴ وكثيراً ما كان خالد؛ يعبر عن انتمائه العربي الإسلامي، ورغم ضغوط الإدارة الشديدة؛ رفض الأمير خالد الجنسية الفرنسية المعروضة عليه، وفي الكلية العسكرية بباريس؛ كان يعبر بشكل استفزازي للفرنسيين، فكان عندما يغني المقطوعة الموسيقية مع الجنود يغير الكلمات فعوض أن يقول "الجنود المنتصرون" كان يقول العرب المنتصرون.⁵

¹ - عبد القادر جغول: الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، تر: سليم قسطون، دار الحداثة، بيروت، 1984، ص 208-210.

² - قناش، وقداش: نجم شمال أفريقيا، مرجع سابق، ص 29.

³ - طه عبد الرحمان: في أصول الحوار، مرجع سابق، ص 39.

⁴ - Gilbert Meynier et ahmed koulakssis , l'émir Khaled, premier « za'im », paris, l'harmattan, 1987, p 9.

⁵ - عبد المجيد بن عدة: من أعلام الوطنية والاصلاح في الجزائر الأمير خالد (1875-1936م)، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، المجلد، العدد 2، -31-12-2014.

2- نشاطات الأمير خالد

أ- معارك الأمير خالد السياسية في الوطن

بدأت في الجزائر أولى معارك الأمير مع دعاة التجنيس، وتزامنت مع انتخابات المجلس البلدي في العاصمة في نوفمبر 1919م، إذ حققت قائمته تقدما على منافسيه، ثم في انتخابات أبريل 1920 الخاصة بالمجالس المالية والعامية، ثم في انتخابات جويلية 1921 الخاصة بمستشاري البلديات،¹ كذلك فاز الأمير خالد بانتخابات جانفي 1921 بالمركز الأول ب 720 صوت، ويأتي بعده صديقه قايد حمود 703 صوت.²

بعد نجاح قائمة الأمير خالد في انتخابات المجالس المالية والبلدية، انبرى الأمير وزملائه للدفاع عن حقوق الأهالي، ومن أهم مدافعات الأمير خالد عن الأهالي في مجالس النيابات المالية، حصوله والقائد حمود وبن رحال والنواب القبائليون، على مطالبهم والمتمثلة في مشاريع لصالح الأهالي.³ ومن أهم نشاطات خالد تأسيسه لجمعية الأخوة الجزائرية وقبل ذلك إصداره لجريدة الإقدام في فيفري 1919م، لنشر أفكاره والدفاع عن الجزائريين، وأصبحت صحيفته «جريدة الإقدام» في نظر الإدارة الاستعمارية تمثل خطرا مستقبلا للاستعمار.⁴

دأب الأمير خالد على تذكير المسؤولين الفرنسيين بحقوق الشعب الجزائري كلما سنحت له الفرصة، فعندما كان في الجزائر وقبل نفيه وفي ربيع 1922، اغتتم الأمير خالد فرصة زيارة الرئيس الفرنسي ميليراند Millerand فالتقى به، وذكره بأن الجزائريين يطالبون في الحال بالحريات المدنية، وحقهم في تقلد جميع المناصب دون شرط، مذكرا إياه بتقاليد الجزائريين ومنهم جده الأمير عبد القادر، الذين حاربوا دفاعا عن الحرية، وتمنى بلغة التهديد بأن لا تتجه قلوب الجزائريين إلى وجهة أخرى.⁵

وفي كثير من تدخلاته وكتاباتاته يركز الأمير خالد على فضح الاستعمار فجاء على لسان خالد: «ماذا يمكن القول عن حقوق الأهالي؟... لا يصلح الأهالي، إلا ليكونوا جنودا ولدفع الضرائب ولو اضطروا لبيع آخر بقرة بحوزتهم» يضيف خالد: «بعد هذا القدر من المظالم لا يمكن سوى أن نتمنى الموت، إن كانت سياسة الإدارة المحلية تستند على تفويض اللغة، والدين وتفجير الشعب، فقد نجحت

¹ - عبد النور خيثر وآخرون: منطلقات وأسس الحركة الوطنية 1830-1954م ، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز

الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007، ص246.

² - جريدة الإقدام عدد 18، السنة الأولى جمادي الأولى 1339 / جانفي 1921

³ - جريدة الإقدام عدد 15، السنة الأولى 13 ربيع الثاني - 1339 / ديسمبر 1920.

⁴ - قنانش، وقداش: نجم شمال افريقيا، مرجع سابق، ص29.

⁵ - نفسه: ص179.

بشكل تام لأن الشعب غير متعلم، الدين تراجع، والفقر أصبح شبه عام تقريبا» ويضيف خالد: «إن واصلتم جعل حياة الأهالي مستحيلة في بلادهم، لن يكون الانفجار سوى عنيفا... وبسببكم، سيقول لكم الأهالي، عند حلول أول فرصة ملائمة: ماذا أتيتم تفعلون هنا؟ عودوا من حيث أتيتم».¹

كان الأمير خالد لا يترك حادثة إلا علق عليها بما يخدم القضية الوطنية وحقوق الأهالي، ومثالا على ذلك تورد «جريدة الإقدام» عن حيثيات محاكمة بالأبيار، طالت تاجر سلاح أوروبي، باع ثلاث بنادق للأهالي، ورغم أنهما أكدا أن الأوروبي هو من رغبهما في الشراء، إلا أن وزير المخالفة تحملها الأهالي المسلمين، فيعلق الأمير خالد على هذه الحادثة في «جريدة الإقدام»: «بأن المجلس حكم بقانون العدل المعكوس ويا للعجب من هذا العدل».² ولم يكن الأمير خالد يجامل أحدا، فعند حديثه عن المجاعة يقول: «حطت المجاعة بربوعنا التي كانت تفيض بالحبوب؟»، مشيرا لكارثة الجوع مستشهدا ب: جريدة ليكو دالجي (L'echo d'Alger) ورغم ذلك يقول عن هذه الجريدة: «أنها لا ترمي للدفاع عن الأهالي ففيها سفالة ترف لها القلوب القاسية»³ وفي رده على معارضة المعمرين لمسألة إلغاء القوانين الاستثنائية بحجة الأمن طرح الأمير خالد مقارنة، فيقول أنه في الجزائر خلال 18 شهر لم تتجاوز الجرائم أربع وعشرين، ومع هذا فإن ما يرتكب في باريس في ليلة واحدة يفوق العدد المذكور بأضعاف ما يرتكب في الجزائر كلها.⁴

أسس الأمير خالد جمعية أطلق عليها اسم «جمعية الأخوة الجزائرية» Fratemite algerienne، في جانفي 1922 وجاء نظامها الأساس على النحو التالي: تهدف جمعية الأخوة الجزائرية إلى البحث عن وسائل الدفاع وتحسين الوضع المادي والمعنوي، والفكري، والاقتصادي والسياسي للسكان المسلمين في الجزائر، أسست في مدينة الجزائر، وأودع قانونها الأساس في 23 كانون الثاني/يناير 1922، بعمالة الجزائر،⁵ وكانت أولى مهام «جمعية الأخوة الجزائرية» مايلي:

- المطالبة بإنهاء العمل بكافة التدابير الاستثنائية التي يخضع لها الأهالي والعودة في أقرب الآجال إلى العمل بالقانون العام.

- تهدف جمعيتنا بالضبط إلى الحصول على، التطبيق الكامل لقانون 4 فيفري لشباط/فبراير 1919؛

¹ - قناش، وقداش: نجم شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص ص 29-31

² - جريدة الإقدام، عدد 3، السنة الأولى 10 محرم 1339. -سبتمبر 1921.

³ - جريدة الإقدام عدد 17، السنة الأولى 27 ربيع الثاني 1339. -جانفي 1921

⁴ - جريدة الإقدام العدد الأول، السنة الأول، 26 ذي الحجة، 1338. -سبتمبر 1920.

⁵ - ينظر: نور الدين ثنيو: إشكالية الدولة، مرجع سابق ص 160.

- التمثيل النيابي للأهالي المسلمين الجزائريين، وأن تصبح المساواة التي يقضي بها القانون سارية ونافذة.
- إننا نطالب بسياسة المشاركة التي هي عين سياسة فرنسا، والمساهمة في إدارة الشؤون العامة.
- إننا نطالب جميع الجزائريين من دون تمييز، لا في الدين...أن يساعدونا في القيام بهذه المهمة الأكثر إلحاحا واستعجالا في البلد.
- إننا مسلمون نغار على شرفنا وكرامتنا، ومن الواجب علينا التصدي والدفاع عن أنفسنا.....».

الرئيس: الأمير خالد رئيس «الأخوة الجزائرية»¹.

ب- عريضة الأمير خالد إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

بمناسبة انعقاد مؤتمر الصلح بباريس سنة 1919 طالب خالد زملاءه في الجزائر، أسوة بأبناء المستعمرات الإنجليزية، أن يشكلوا وفدا لحضور مؤتمر السلام المنعقد ب «قصر فرساي» بباريس سنة 1919، والذي عقد بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، وأعد الأمير خالد عريضة* توجه بها لمؤتمر السلام، وقد سلمت العريضة إلى الرئيس الأمريكي ويلسون في 1919م، حيث تسلمها مرافقه جورج. ب. نوبل ممضاة من قبل الأمير خالد، حيث حملت العريضة الذي تذكر بتاريخ الجزائر، وعرضا لوقعها وضمنها مطلب حق تقرير المصير للجزائر.² وقد تقدم خالد برسائلته هذه إلى الرئيس الأمريكي لأنه الممثل للقوة العالمية الجديدة، بعد أن أعياه توجيه المطالب إلى الإدارة الاستعمارية بالجزائر، وللحكومات المتعاقبة في باريس، حيث عرض عليه المسألة الأهلية، وقضية الجزائر ككيان يعاني الاحتلال والاستعمار، وهذا التوجه إلى الرئيس الأمريكي على هذا النحو ينم عن إدراك خالد للواقع الدولي الجديد ومتغيراته، وتنبؤ ببداية انحسار المد الاستعماري، والدليل قيام الأمير بالتماس طرف آخر أعلى، يدعو إلى التجاوب مع مطلب الجزائريين.³

ومما جاء في رسالة الأمير خالد إلى الرئيس الأمريكي: «فإننا نتقدم باسم أبناء وطننا، بندا

للمشاعر النبيلة لرئيس أمريكا الحرة، نطلب إرسال مندوبين نختارهم بحرية لتقرير مستقبلنا، في إطار

¹- عن نور الدين ثنيو: إشكالية الدولة، مرجع سابق ص160 - 11 Aout 1922 - Likdam.

* - رسالة-العريضة-الأمير خالد التي استلمها الرئيس الأمريكي ويلسون سنة 1919. تم اكتشافها أمرها من قبل الكاتب كلود بيلات، ونشرت من قبل المؤرخ الفرنسي شارل روبيير أجيرون، حيث تعرفت الجماهير على الجانب المخفي من حياة خالد لأجل القضية الجزائرية، وساعدت وأثبتت الرسالة التي اكتشفها كلود بيلات أن الأمير خالد "زعيم الحركة القومية الجزائرية - ينظر:

- gilbert meynier et ahmed koulakssis: op.cit, p8 .

²- بوحوش: مرجع سابق، ص219، 220.

³ - ثنيو: مرجع سابق، ص155.

عصبة الأمم»¹ وهذه الرسالة أثبتت أن الأمير خالد "زعيم الحركة القومية الجزائرية"² وتعتبر هذه العريضة أول محاولة جادة على مستوى عال لتدويل القضية الجزائرية،³

ج- الأمير خالد يرسل رئيس الحكومة الجديد الاشتراكي "هيريو Herriot

بعد النفي لم يستسلم الأمير خالد، وبعث من منفاه في المشرق لرئيس الحكومة الاشتراكي إ.هيريو É.Herriot في 03 جويلية 1924، نشرتها "جريدة لومانيتي" L'humanité ضمنها الأمير خالد برنامج المطالب الأساسية وهي:

- 1- إعلان العفو العام.
 - 2- حق الانتخاب للمسلمين الجزائريين لتكون لهم في مجلس الأمة ومجلس الشيوخ نيابة تساوي في عددها نيابة الفرنسيين الجزائريين.
 - 3- إلغاء سائر القوانين الزجرية والاستثنائية والمحاكم المختصة والرجوع إلى القوانين التابعة للحق العام.
 - 4- المسارات في الحقوق التامة مع الفرنسيين في المسائل العسكرية.
 - 5- الاعتراف بالحق للمسلمين الجزائريين في الوصول إلى كل درجات الوظيفة العمومي غير متقيدين إلا بشرط الكفاية.
 - 6- تنفيذ قانون التعليم الإجباري على سائر المسلمين؛ مع إعطاء الحرية للتعليم الحر.
 - 7- حرية الصحف والقول والمؤسسات.
 - 8- تنفيذ قوانين فصل الدولة عن الكنيسة، على الشرع الإسلامي.
 - 9- تنفيذ القوانين الاجتماعية وقوانين حماية العمال على المسلمين.
 - 10- الحرية التامة لسائر المسلمين في السفر لفرنسا بدون قيود.
- هذه هي المطالب التي كانت برنامج الأمير خالد السياسي، وعنها كان يناضل بالقول وبالكتابة، في جريدة الإقدام الشهيرة، باللغتين وبالمحاضرات.

-ملاحظة:

وهي نفس المطالب مع بعض التعديلات التي تبنتها النخب السياسة في الجزائر، وحتى من مخالفه.⁴

¹ - قنانش، وقداش: نجم شمال افريقيا، مرجع سابق، ص35.

² - gilbert meynier et ahmed koulakssis: op.cit, p 9.

³ - بوحوش: مرجع سابق، ص226.

⁴ - سعد الله: الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص363: ص366.

3- نشاط الأمير خالد وأثره على الوسط العمالي في المهجر

بعد نجاح الأمير خالد في الجزائر أصبح محل توجس من الإدارة الاستعمارية، فكيّلت له الاتهامات من قبل المعمرين، وقررت السلطات الاستعمارية نفيه سنة 1923م وأعلن عن ذلك في أبريل من نفس السنة،¹ فتوجه إلى الإسكندرية عام 1924م، وبقي بها ولم يعد إلى الجزائر، ولكن حل فرنسا بعد سقوط حكومة "بوانكاريه R. Poincaré". حيث قام بنشاط مكثف هناك قبل نفيه نهائيا إلى الشام.²

كانت شهرة الأمير خالد تسبقه بين الجزائريين أين ما حل وحيث ما ارتحل، فرصيد خالد في الشرف والمجد حافظ عليه بأن بنى لنفسه مجدا في الميدان، لذلك المؤرخ أجرون Ageron يرفض ان تكون القومية الجزائرية، انطلقت مع النجم، باعتبار أن أول رئيس للنجم وهو حاج علي عبد القادر طالب بالجنسية الفرنسية وحصل عليها، بينما الأمير خالد ظل رافضا للجنسية الفرنسية، حتى وإن تسببت في عرقلته في الترقية في الجيش³، فلم يتنكر لهويته، فجده الأمير عبد القادر الذي نال لقب أمير المؤمنين، المدافع عن الإسلام ضد الكفار، وحتى المقاومة التي قادها كانت باسم الجهاد حسب تعبير أجرون Ageron.⁴

كانت هواجس الإدارة الفرنسية من الأمير خالد مبكرة حيث كانت تتابعه أعين المخابرات الفرنسية، وهذا ما نجده لدى المقيم العام الفرنسي للمغرب وهو الماريشال ليوتي Lyautey الفترة من 1912 حتى 1925» الذي كان يتابع بحذر نشاطات النقيب خالد منذ عام 1908، وكتب إلى صديق له بالجزائر العاصمة في 4 مارس 1920: «أعرف الكثير، لم يدرك الخطر الذي يمثله خالد لعدم معرفته شخصيا»، وقد كرر التحذير في 6 مايو 1922: بقوله: «هذا الأرنب مثل النار يجب عدم الوثوق به».⁵ ومع نهاية العشرينات فإن الإدارة الفرنسية الاستعمارية وكعادتها؛ حيث كلما اشتدت عليها مطالب الأهالي، كانت تحاول التلويح ببعض الإصلاحات، ففي هذه المرحلة كان الحاكم العام الفرنسي بالجزائر؛ قد شكل لجنة للدراسات الاقتصادية والاجتماعية لحالة الأهالي المسلمين، مسؤولة عن دراسة أوضاع السكان الأصليين، واقتراح إصلاحات لصالحهم، والقصد منها نوع من الدعاية؛ لذر الرماد في العيون.⁶

¹ - يوحوش: مرجع سابق، ص 226.

² - بوعزيز: سياسة التسلط، مرجع سابق، ص 105، 106.

³ - Ageron :genèse Op.Cit , P 175.

⁴ - Isnard- Hildebert: «aux origines du nationalisme algérien», revue annales, économies, sociétés, civilisations,, 4^e année, n 4, 1949. p 464.465.

⁵ - Ageron: genèse , Op.Cit , P 144.

⁶ - Jacques Carret: l'association des oulémas d'algerie, alem elfikr, alger, 2008,p33.

لما نجح خالد في تجميع بعض الطاقات الوطنية؛ لإحداث تغيير لصالح الأهالي؛ ظهرت السياسة الفرنسية على حقيقتها؛ ففي النهاية تم إبعاد الأمير خالد عن الجزائر، لأنه دافع عن إخوانه في الدين، ضد ظلم القوانين بعد أن دبرت له المؤامرات من الاستعمار، وأذنبه في الجزائر، وخيرته الإدارة بين الحبس الإداري في منصب في أقصى الجنوب؛ أو الرحيل الطوعي عن الجزائر؛ فاختار الثاني مكرها.¹ وكل هذه الكيد من الإدارة الاستعمارية؛ أضيف للمواقف السلبية لبعض وجوه النخبة في الجزائر من خالد، مع الأخذ بملاحظة محفوظ سماتي؛ الذي أشار إلى أن الأمير خالد؛ قطع أي مشاركة مع نخبة الشبان المسلمين، لأنه لاحظ أن علاقتهم رخوة بالإسلام، وسلوكهم مشكوك فيه، وهم مرتبطين بالثقافة الفرنسية بعمق، بينما الأمير لم يتكرر قط لهويته.²

توجه الأمير خالد إلى مصر سنة 1923، لكنه بعد فوز تكتل اليسار في فرنسا انتقل الأمير إلى فرنسا 1924، ولما خاب أمله في هذا التكتل، توجه الأمير إلى العمال المهاجرين الذين ساندوه كما ساندته بعض الشيوعيين.³ ومن منفاه بعث خالد إلى رئيس الحكومة الفرنسية الجديد، الاشتراكي هيريو Herriot رسالتين الأولى في جوان 1924م يتمنى فيها أن يكون عهده عهد حرية على الجزائريين، وأن تتم فيه المساواة اجتماعيا وسياسيا، وبعث برسالة ثانية في 03 جويلية من نفس السنة نشرتها "جريدة لومانيتي" L'Humanité ضمنها الأمير خالد برنامج المطالب الأساسية. وكانت الإدارة الفرنسية بالمرصاد للأمير خالد؛ نظرا لنشاطه المكثف؛ سواء في الجزائر أو في منفاه الأول بفرنسا. وفي المدة التي قضاها بفرنسا وسط المهاجرين الشمال افريقيين؛ وبعد أن التف حوله المهاجرون الجزائريون، تقطن الأمير خالد إلى ضرورة الاستفادة من الحركة الشيوعية في العمل النضالي من أجل القضية الجزائرية، ولتحقيق أغراض استراتيجية، باعتبار أن الشيوعيين كانوا يهاجمون الاستعمار.⁴ وما أن تسامع العمال الجزائريون بوجود الأمير خالد بينهم، حتى هرعوا إليه يشتمون فيه رائحة الوطن ويستمعون في شوق ولهفة لخطبه ومحاضراته، فخلقت جوا من التضامن والإخاء بين المهاجرين على أساس الصلة الوطنية، وأحدثت استعدادا لدى المهاجرين؛ ترجمت بتبني الجماهير للمطالب الوطنية في أول فرصة للتعبير.⁵

¹ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، مرجع سابق، ص144.

² - سماتي: مرجع سابق، ص14.

³ - مهساس: الحركة الثورية، مرجع سابق، ص49، 50.

⁴ - سعد الله: الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص364-366.

⁵ - العلوي: مرجع سابق، ص98.

لم يستسلم الأمير خالد لليأس وياشر النشاط بين أوساط المهاجرين من اقطار المغرب العربي،

حيث استغل الأمير خالد إقامته بفرنسا من أجل القضية الوطنية رغم قصرها. فقد قام الأمير بنشاط مكثف في المدة القصيرة التي قضاها بفرنسا، فقام بعقد لقاءات ونشاطات وعدة محاضرات، بالاشتراك مع اليسار الفرنسي والمنفيين من المستعمرات، وكان تأثيرها كبيرا على جموع المهاجرين نظرا لسمعة الأمير خالد.¹

ويذكر مصالي الحاج في مذكراته: «سمعنا في جوان 1924 أن الأمير خالد في قاعة دار المهندسين المدنيين في نهج" بلانش. وفي فترة الخطاب الذي دام ساعتين أرسلت السيدة أحمد تيزوي «زغرودة» وصيحة فرح كسرت الصمت وأثارت حماسا لا مثيل له، مثل ما نسمعه في أوقات الفنطازية، فقبل أن يواصل خطابه هتف الأمير،" هذا من علامات السعد وبدل على أن الذي فعله في هذه القاعة وفي قلب باريس إنما هو شيء من الخير لأن المقصود منه الحرية..، لكن سيدتي العزيزة ولتحية زغردتك كما يقتضي الحال، كان ينبغي أن يكون حصاني وبنديتي معي لنفسح المجال للغة البارود، وهو أحسن الأجوبة في حياتنا وفي تقاليدنا العربية».²

ومع وجود تقارب ومراسلات بين خالد وممثلي الشيوعية في فرنسا، وهو ما جعل مستقبله في فرنسا محل نظر من قبل السلطات، ونشاطاته محل متابعة، لذلك قُيِّمت اتصالات الأمير بالشيوعيين من قبل الليبراليين واليسار على أنه سلوك من الأمير لا يغتفر، وربما كان له أثر في تهميشه، وإبعاده من قبل حكومة هيريو Herriot واليسار، الذين كان يعول عليهم الأمير، لتعاطفهم السابق مع الشباب الجزائري، إلا أن تعاطفهم كان ظرفيا انتهى بانتهاء المصلحة. واكتشف الجزائريون ان اليسار واليمين الفرنسيان وجهان لعملة واحدة³

رحل الأمير خالد بعدما أحدث وترك أثرا بالغا في الجزائر، وكذلك بين أوساط المهاجرين بفرنسا، وهنا يذكر محمد قنانش، أنه طيف الأمير خالد بقي في الجزائر حتى بعد وفاته، وعن التأثير الذي أحدثه خالد بين الأهالي يورد محمد قنانش حوارا أجراه مع الناخبين، خلال الانتخابات التي خاضها حزب الشعب سنة 1937، فسأل محمد قنانش أحدهم: من تنتخب؟ فرد الناخب: انتخب خليفة الأمير خالد، فسأله قنانش من هو فأجابه: الحاج الذي في السجن (يقصد مصالي الحاج).⁴

¹ - سعد الله: الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص366.

² -مصالي الحاج: مرجع سابق، ص ص 123، 124.

³ - بوقصة: مرجع سابق، ص ص 290- 292.

⁴ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، ص 803.

4- حول علاقة الأمير خالد بفكرة تأسيس النجم

في المدة القصيرة التي قضاها، أحدث الأمير خالد أثرا بالغا بين أوساط المهاجرين بفرنسا، ولأن خطواته كانت محسوبة، كانت السلطات له بالمرصاد، فتم نفيه من فرنسا، حيث رحل الأمير خالد للمشرق وترك تأثيره متقدما بين المهاجرين، لذلك هناك من يرجح أن يكون للأمير خالد دور في تأسيس النجم، تبعا لبعض الملاحظات ومنها:

1- رأي محمد قنانش الذي يرى أن الأمير خالد كان يتطلع للعب دور سياسي، سواء في الجزائر، أو في فرنسا بعد نفيه، إلا أن الظروف لم تكن في صالحه، إذ تكالب عليها الأعداء من كل جهة، وتتبعته أعين السلطات الفرنسية أينما حل وحيثما ارتحل، وتم التصييق عليه بالجزائر ثم بفرنسا، رغم ذلك هناك من يرى أن جمعية الأخوة الإسلامية التي أسسها الأمير خالد بفرنسا، كانت هي النواة الأولى التي مهدت لظهور النجم، وقد عاشت سنة كاملة من أول 1925 إلى أوائل سنة 1926، وتبين لأعضائها أنه من واجبهم النزول للعمل السياسي للعمل، كطريق للوصول لهدفهم السامي.¹

2- رأي محفوظ قداش الذي يورد أن النجم تشكل على أنقاض جمعية الأخوة الإسلامية، (وهي جمعية خيرية) والتي كان يناقش فيها مشروع عمل سياسي، لكن الحكومة الفرنسية لم تمهل خالد لإتمام مشروعه فوضعت حدا لنشاطه بفرنسا، بنفيه من فرنسا إلى المشرق العربي نهائيا سنة 1925م.² وكذلك حول علاقة خالد بتأسيس النجم، نجد شهادتان تؤيدان الأطروحة وهما شهادة وشهادة عمر خيضر* وبلغول:

3- شهادة عمر خيضر: فاعتمادا على شهادته فإن الأمير هو الذي أسس النجم سنة 1924 أثناء مرور الأمير بباريس سنة 1924.³ ويذكر عمر خيضر في (شهادة لمناضل) «بأن الأمير عندما نُفي استقر في مرسيليا، وبعد اطلاعه على وضعية العمال المهاجرين، قام بعقد عدة اجتماعات في مقاهي، شاركنا معه في وفود إلى المحافظة، لتقديم دفتر مطالب، لم يتلقى أي رد، بعدها انتقل الأمير إلى الأفعال، وبعد فترة أصبح النجم منظمة حقيقية».⁴ ويضيف عمر خيضر في شهادته: «بغية المناداة

¹ - محمد قنانش : «الأيديولوجية الثورية في الحركة الوطني»، مجلة الأصالة، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية. العدد 11 نوفمبر - ديسمبر 1972، ص 27.

² - قداش: الحركة الوطنية، ج1، مرجع سابق، ص 254.

* - يجب عدم الخلط بينه وبين محمد خيضر عضو بالوفد الخارجي لجبهة التحرير اختطفت فرنسا طائرتهم في في 1956، ظل سجيناً إلى مارس 1962).

³ - أحمد مهساس: الحركة الثورية، مرجع سابق، ص 63، 91.

⁴ - قداش: الحركة الوطنية، ج1، مرجع سابق، ص 255، 280.

بالمطالب الأخرى، قرر الأمير تأسيس جمعية سياسية. وبسرعة طبعت البطاقات، وبدأت الانخراطات وقد منع المحافظ على الأمير خالد الإقامة في مقاطعة بوش دورون Bouches-du-Rhône، ومن ثم تعرض «نجم شمال إفريقيا» للتضييق منذ تأسيسه، ولم يبق أمام الأمير سوى التنقل إلى باريس، ولدى وصوله لباريس قام الأمير بالاتصال بالناشطين الجزائريين في الحزب الشيوعي، والتنظيم النقابي الاتحاد العام للعمل الوندوي ذي التوجه الشيوعي، ورفقة البعض بدأ في تأسيس وفود لتنتقل لمختلف الوزارات، لتذكر بالوعد التي قدمتها فرنسا للشعب الجزائري خلال الحرب، لكن لم ينل الأمير من السلطات سوى الموافقة على مطلبين اثنين:

- تخصيص مكان للمذابح الخاصة بالمسلمين.

- وإنشاء مأوى للشمال إفريقيايين.

لكنه وأثناء محاولته إحياء نجم شمال إفريقيا بباريس واجه النفي للمشرق، وقضت السلطات الفرنسية على مشروعه في المهدي¹ وبعد مغادرة الأمير خالد لفرنسا بسبب قرار النفي، قرر المناضلون وعلى رأسهم مصالي؛ مواصلة النضال تحت راية نجم شمال إفريقيا، ولكن خشية من القمع، لجأوا للحزب الشيوعي من أجل توفير الحماية².

4- **شهادة بلغول:** فحسب كلامه أن الأمير خالد أنشأ جمعية غير مصرح بها، كانت تعمل منذ 1924، أطلق عليها نجم شمال إفريقيا، بها قيادة من 10 أعضاء، سميت اللجنة المركزية، فبينما بقي بلغول مكلف بالاتصال بالأمير خالد، عهد برئاستها ل: جفال سي محمد؛ إلى غاية القبض عليه في حمام بوججر سنة 1926، حيث عوض بمصالي الحاج، وكان الأمير خالد موافقا على هذا التغيير بحكم كونه الرئيس الشرفي للنجم³.

نفي الأمير خالد من فرنسا: بعد أن أصبح نجما بين المهاجرين الشمال إفريقيايين بفضل النشاطات المذكورة، زاد توجس الحكومة الفرنسية من الأمير خالد لذلك لم تمهله ووضعت حدا لنشاطه بفرنسا، وقامت بنفيه إلى المشرق العربي سنة 1925، ومنذ عام 1930 أيقن الأمير رحمه الله أن كل مساعيه للرجوع إلى أرض الوطن تذهب أدراج الرياح، وبقي في بلاد الشام إلى غاية وفاته بمنفاه بسوريا بعد حياة كرسها لوطنه⁴. وقد توفي الأمير خالد بدمشق سنة 1936، بعد أسبوعين من وفاة

¹ - ينظر: قنانش، وقداش: نجم شمال إفريقيا 1937، مرجع سابق، ص 135، 136.

² - نفسه: ص 135، 136.

³ - قداش: الحركة الوطنية، ج1، مرجع سابق: ص 255، 280.

⁴ - فرحات عباس: حرب الجزائر وثورتها، ليل الاستعمار، منشورات ANEP، الجزائر، 2005، ص 145.

شريكته في الحياة.¹ وقد ظهر حقد الصحافة الاستعمارية على الرجل، حتى بعد موت الأمير خالد، فخير نعيه تم تعمد تجاهله من قبل الصحافة الاستعمارية في الجزائر، حيث ذكر الخبر على الصفحة الداخلية وفي خمسة أسطر في الصحيفة الشهرية: l'evolution Algérienne، "جريدة التطور الجزائري" بقلم الصحفي المتطرف تشارلز كولوم Charles .C بعنوان: «la fin d'un agitateur»: «نهاية المفتن»، وبذلك تثبت المؤسسات الاستعمارية مرة أخرى أنها تتعهد بتعمد إضفاء نوع من التجاهل والنسيان لشخصية الأمير خالد حتى بعد وفاته، بل واتهام الرجل بشدة أنه المسؤول عن رعبها وهواجسها في الجزائر.²

وكان لموت الأمير خالد صدى في جميع لأوساط الجزائرية وأقيمت عليه صلاة الغائب في جميع أنحاء القطر، وأبنته الجرائد شعرا ونثرا، وتبنته جميع الهيئات والأحزاب من نواب، وعلماء، ووطنيين، وشيوعيين، وأقيمت صلاة الغائب في تلمسان.³ بل أنه كانت هناك أصوات مسلمة في الجزائر طالبت، بتحويل جثمان الفقيه خالد إلى أرض بلد أسلافه، فطيفه لم يكن غائبا عشية "المؤتمر الإسلامي ومشروع فيوليت Viollette ولم يزل يعترف له بالفضل في الجزائر فالنخب تعلمت من خالد الكفاح الوطني، فجميع الأطراف تحترم ذكرى الأمير «بطل العروبة، الزعيم المحبوب، المسلم الصادق، والمؤمن إيمانا عميقا، أحد أعظم رجال لعمل في العالم الإسلامي» هكذا جاء وصفه آنذاك من قبل الأعلام المسلمة.⁴ ومن الصحافة الأهلية التي نعته جريدة la Défense (جريدة الدفاع) الأسبوعية الجزائرية التابعة للأمين العمودي المقرب من جمعية العلماء التي أعلنت يوم 24 جانفي 1936 بعنوان وفاة: «الفارس، والمناضل، وبطل القضية الجزائرية خالد، الذي جسد آمال الشعب الجزائري بعد الحرب العالمية الأولى».⁵ وحول دور المير خالد نخلص في الأخير أنه: -مهما قيل عن دور الأمير خالد في تأسيس النجم، بالتأكيد أو بالنفي، إلا أنه ومن خلال عدم استكانة الرجل، يجب توضيح أن خالد كان رجلا حاملا لمشروع رغم ضبابية المشهد آنذاك، ولم يحل بينه وبين مشروعه إلا النفي أو الموت.⁶

-لم يرحل الأمير خالد حتى غرس بذرة العمل السياسي المهيأ للثورة، وقُدر للجزائر أن لا ينقطع فيها نسل العظماء من الرجال، ذلك أن السنة التي نُفي فيه الأمير خالد من الجزائر عام 1923، هي نفس سنة ولادة البطل العربي بن مهيدي عضو مجموعة 22 المفجرة لثورة التحرير 1954.

...

¹ - قنانش، وقداش: نجم شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 269، 270.

² - G. Meynier et Koulakssis, Op.Cit ,p. Introduction.

³ - ينظر. قنانش، وقداش: نجم شمال إفريقيا، ص 269، 270.

⁴ - ينظر: 6 p, Op.Cit , G. Meynier et Koulakssis.

⁵ - Ibid : P. Introduction.

⁶ - Ibid .

المبحث الخامس: ميلاد التيار الثوري في الجزائر بالمهجر

1- الوطنية الكامنة والحاجة لواجهة سياسية

الحس القومي وحب الوطن والتغني بالوطنية بطريقة أو بأخرى، لم يكن معدوماً أو مستحيلاً قبل السماح بالعمل السياسي في الجزائر، فهذا عمر بن قدير يكتب في جريدة التقدم التونسية مقالاً بتاريخ 27-02-1908 جاء فيه: «نحن شباب الوطنية الجزائرية، والذين علينا اعتماد مستقبل حياة الشعب الجزائري... لا حياة لمن لا يشرب نخب الوطنية الحقة ويهتف بحياتها... ألا حيا الله الوطنية»¹.

وفي غالب الأحوال، فإن النخب الوطنية كانت تلجأ للإسلام، كقالب جاهز ومهيأ، للتعبير عن انتمائها الوطني، وهو أمر كان مقبولاً من الإدارة الاستعمارية والمعمرين، الذين كانوا يتوجسون خيفة من كل توجه وطني معن وصریح.² وكانت الحواضر الكبرى في الجزائر، والجالية الجزائرية في فرنسا، هي الحواضر التي ارتقى فيها الجزائريون؛ إلى الوعي بشخصيتهم السياسية والقانونية المسلوقة منهم؛ عبر مراحل من الاحتكاك بالفرنسيين ثم الاصطفاف ضدهم.³

كان المتنفس الوحيد الذي تدرّب فيها الجزائريون على العمل العام هو الانخراط في النشاط المؤسّساتي نظراً لتأخر ظهور النشاط السياسي الحزبي في الجزائر. وعملت نخب الجزائر المسلمة جاهدة وفقاً للقاعدة: «ما لا يدرك كله لا يترك جله»، فطورت وسائلها للمحافظة على الهوية الوطنية وانخرط كثير من نشطائها في الجمعيات والنوادي والتمثيل والمسرح والصحافة والجمعيات الرياضية،⁴ من خلال مجهودات فردية أو جماعية، أو في شكل مجموعات تلتف حول جريدة أو نادٍ أو جمعية، فكانت متنفساً لتنمية الخبرات ولتبادل الانشغالات، في منأى عن الرقابة، كل هذا ساهم في إعداد الشباب الجزائري لاقترام المجال العام.⁵

كما ذكرنا سابقاً فقد اكتسبت النخب الجزائرية المسلمة تجربة النشاط العام من خلال الانخراط في الجمعيات والنوادي، التي أنشأت بداية القرن العشرين في الجزائر. ونفس الشيء حدث في المهجر مع جمعية التضامن الجزائري بمرسيليا 1912، وجمعية العمال المهاجرين بمدينة ليون 1924م،

¹ - يحيى مرابط مسعودة: مرجع سابق، ص 77.

² - الطاهري عمري: مرجع سابق، ص 268.

³ - محمد حربي: الثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 102.

⁴ - أحمد صاري: مرجع سابق، ص 107.

⁵ - نفسه: ص 107. بتصرف

وودادية طلبة شمال إفريقيا المؤسسة في عام 1919، والتي تحولت إلى «جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا»¹ هذه الأخيرة بقيت بعيدة عن الخوض في السياسة إلى غاية 1931، ومن أهم نشاطاتها مؤتمرها الأول بتونس 1931 والثاني بالجزائر 1932 وقد انضمت سنة 1943 إلى بيان فيفري 1943 بتأثير من أحد أقدم قادتها وهو فرحات عباس.²

إن بدايات الحركة الوطنية الواعية بقيمة العمل السياسي والمقتحمة لمجال العمل العام، انطلقت مع الأمير خالد 1919-1924، فالآثار التي تركتها حركته وهو نفس السبب الذي أدى إلى نفي الأمير خالد إلى الإسكندرية، وقمع حركته بعنف من طرف السلطات الاستعمارية بالجزائر، مما حدى بالحزب الشيوعي الفرنسي، إلى استغلال الفرصة بإبداء التعاطف مع الأمير خالد، لاستمالة الجماهير الجزائرية لصالحه، والعمل على خلق فرع تحت إشرافه.³

ورغم انعدام وجود حزب سياسي يمثل الجزائريين المسلمين بسبب النظام الفرنسي المطبق تحت طائلة القوانين الاستثنائية؛ والذي حال بين المسلمين والنشاط السياسي، إلا إن الفكرة كانت موجودة، تنتظر فرصة تجسيدها، ولعل هذا ما نادى به المناضل الوطني سليمان بوجناح، الذي كان يوقع مقالاته في صحيفة الإقدام، باسم مستعار هو الفرقد بقوله: «في الحقيقة لا تزال الجزائر تفتقر إلى حزب وطني مكون من العنصر الإسلامي دون غيره، ويكون له برنامج محدد، يتلاءم مع تمنيات مسلمي الجزائر... وبناء عليه، فإذا اضطررنا إلى التقرب إليها (الأحزاب الأجنبية)، من أجل مصالح بلادنا، فيجب أن يكون ذلك التقرب نسييا».⁴

وكانت الفكرة تراود الوطنيين منذ بداية العمل السياسي، إذ لا يمكن أن يحدد تاريخ واضح لبدايات الحركة الوطنية، بشكلها الحالي لأنه كان لزاما عليها أن تمر بمراحل العمل السري، وإظهار النقية والتعاون مع الفرنسيين، مع المناداة بنشر التعليم، وإحياء التاريخ والتراث الوطني، واستعمال الصحافة والنوادي، لتعضيد الضمير الوطني وإحياءه، قبل المرور إلى الظهور العلني والعمل الرسمي.⁵

¹ - جيلالي صاري وآخرون: هجرة الجزائريين نحو أوروبا، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 43، 44.

² - غي بريفيالي: الجزائريون الطلبة الجامعات الفرنسية 1880-1962م، ترجمة، م.حاج مسعود، أبكلي، ع. بلعربي، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2007، ص 118.

³ - محمد مشاطي: مرجع سابق، ص 126.

⁴ - ثنيو: إشكالية الدولة، مرجع سابق، ص 208.

⁵ - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، مرجع سابق، ص 95.

2- ميلاد التيار الاستقلالي الثوري باسم «نجم شمال إفريقيا» 1926

اختلفت آراء المؤرخين ودراساتهم حول مسألة تأسيس نجم شمال إفريقيا، ووقع تضارب حول من هو صاحب فكرة تأسيس النجم، ومن هو المؤسس الفعلي، فهناك من يرى أن جذور فكرة إنشاء النجم تعود إلى الأمير خالد، الذي كان له الفضل في كسر حاجز الخوف، باقتحامه لمجال العمل السياسي في الجزائر، ثم في المدة القليلة التي أقام بها في فرنسا، وهو ما تقدم وتناولناه عندما تناولنا ما كتب عن علاقة خالد بتأسيس النجم، بينما هناك الرأي المتداول والمعتمد على كثير من الوثائق، الذي يؤكد أن المدة الممتدة من 1924-1925 شهدت التحضيرات الأولية، لإنشاء النجم في باريس، في أحضان الحزب الشيوعي، بقيادة الحاج علي عبد القادر، ومصالي الحاج.¹ وممن تناول مسألة تأسيس نجم شمال إفريقيا بدراسة مستفيضة، نجد الباحث كمال بوقصة، الذي يرى بأن الأممية الشيوعية، أوعزت للحزب الشيوعي الفرنسي بإنشاء تنظيم، انسجاما مع سياسة خلق تجمع واسع، من عمال وفلاحين مناهض للإمبريالية، وضم العناصر التي لا تقبل خدمة الامبريالية، أو إجراء صفقات معها، وقد كان التأسيس من طرف حاج عبد القادر ومجموعته، فشملت هذه الانطلاقة عناصر غير شيوعية.²

في أول الأمر أوحى تسمية نجم شمال إفريقيا (أو نجم الشمال الإفريقي أو نجم إفريقيا الشمالية) مفهومين آخر، ذلك بأن التسمية التي أعطيت له ذات طابع لا سياسي، حيث ظهر بتسمية غريبة «نجم»، فمن عنوانه وكأنه يوحي إلى جمعية رياضية أو خيرية،³ وهو ما أبعد عنه شبهة العمل السياسي مؤقتا، حتى اشتد عوده، عندها أمكنه التعبير عن توجهه في أول فرصة سانحة، ويرى بنيامين ستورا أن نجم شمال إفريقيا، ولد كأول حركة وطنية ذات نزعة ثورية، ورغم أن المؤسسين بحثوا في بدايته عن الحماية، أو نوع من الأبوة بالتبني، للحصول على المساعدة والدعم اللازمين لهم، في ظل الحزب الشيوعي PCF، حيث كان للشيوعيين صولة آنذاك ضمن التشكيلات السياسية الأوروبية.⁴

إلا أنه يجدر التنبيه إلى أن عملية تأسيس النجم، كانت جزائرية ومسلمة فقط- رغم وجود عناصر مساعدة- ودون تدخل من الأمير خالد، رغم ما قيل وما يشار إليه على أن النجم بني على أنقاض جمعية دينية، هي جمعية الأخوة الإسلامية، التي أسست في عام 1924، وهو رأي يأخذ به محمد قنانش، الذي يرى أنه من خلالها تم الانتقال من جمعية اجتماعية إلى جمعية سياسية، بينما يراها مصالي (جمعية الأخوة) مجرد ناد سرعان ما تم التخلي عنه، وفي هذه المسألة، فإن مصالي لا يذكر أي شيء

¹ - بوقصة: مرجع سابق، ص 345.

² - نفسه: ص 345.

³ - مشاطي: مرجع سابق، ص 126.

⁴ - Stora : Op ,Cit ,p 58-59 .

عن دور الأمير خالد في ذلك، إلا أن مجمل الكلام، أن كل الجهد والعمل كان على عاتق العمال.¹ وهنا يذكر الباحث كمال بوقصة أن مصالي الحاج، كان مشتركا مع الجيلالي شبيلة، وحاج علي عبد القادر، وسي الجيلالي، ومحمد السعيد، في المحادثات التي سبقت انطلاقة النجم ما بين 1924-1926.² كما يورد أحمد مهساس رأيين آخرين في كتابه الحركة الثورية حول تأسيس النجم:

-الأول: هو تصريح لحاج عبد القادر، والذي يذكر تاريخا آخر للتأسيس وهو سنة 1924 وهو ما أدلى به سنة 1948 لصحيفة تابعة لحزب فرحات عباس، ويذكر أحمد مهساس شهادة حاج علي عبد القادر نقلا عن جريدة la république Algérienne (الجمهورية الجزائرية) 1948/12/24، التابعة لحزب فرحات عباس والتي يذكر فيها حاج علي عبد القادر، في رسالة للصحيفة أن تأسيس النجم كان سنة 1924 ب 49 شارع بريطانيا في مقر تعاونية العائلة الكبيرة، الموالية للحزب الشيوعي، وأن مصالي يومها لم يكن إلا عضوا بسيطا، وظل كذلك إلى غاية 1926، ولم يتسلم القيادة إلا سنة 1928، معتبرا نفسه من أنصار الأمير خالد.³

- والرأي الثاني شهادة بانون أكلي، وهو من المناضلين القلائل الذين امتد بهم العمر، والذي يذكر أنه دعي لاجتماع التأسيس في 16 ماي 1926، وعقد له أول اجتماع في 12 جوان، تلاه اجتماع عام للمناضلين في 2 جويلية 1926.⁴

حوصلة

وفي الأخير يمكن التأكيد من مختلف الشهادات، أن المشروع تخمر بين 1924 و1926، حيث بدأ التفكير بإنشاء حزب سياسي مغاربي وطني إسلامي، وولدت الفكرة داخل فوج من العمال الجزائريين، من بينهم بلغول، وحاج علي عبد القادر ومصالي، وجفال، وسي جيلالي، الذين أدوا دورا مهما، كذلك لعبت السلطة المعنوية للأمير خالد- التي كانت في قمة عنفوانها- دورا كبيرا في مرحلة إنضاج المشروع والترويج له عبر استعمال اسم الأمير وصورته، واسم صحيفته الشهيرة جريدة الإقدام" عند انطلاق النجم، فساهمت في سرعة تقبله داخل أوساط المهاجرين. وخلاصة القول أن الحزب كان من صنع جزائريين، اعتمدوا في البداية على دعم الحزب الشيوعي، لكن الأخير تراجع، بعد أن أعلن الحزب الجديد (النجم) استقلاليته، بتأكيد له لتوجهه الوطني الإسلامي، ومواقفه الوطنية، خاصة بعد مطالبته

¹ - Stora : Op ,Cit ,p 58-59 .

² - بوقصة: مصادر الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ص 344.

³ - ينظر: أحمد مهساس: الحركة الثورية، مرجع سابق، ص 63، 91.

⁴ - نفسه: ص 63، 64، 91.

بالاستقلال في مؤتمر بروكسل 1927.¹ واستنادا للباحث كمال بوقصة فإن الميلاد الحقيقي لنجم شمال إفريقيا قد توافقت عليه الكثير من المصادر بخصوص تاريخ معين للتأسيس، خاصة تقارير من وثائق وزارة المستعمرات الفرنسية، حيث تتلاقى على تحديد يوم ميلاد النجم في يوم 20 مارس 1926،² وهو ما يذهب إليه بعض المؤرخين ومنهم عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون.³ كما يذكر محفوظ قداش أن تاريخ 20 مارس تؤكد تقارير الشرطة،⁴ وكان أول تجمع شعبي للنجم تم فيه اختيار الاسم في 12 جوان 1926، في 63 شارع المستشفى في باريس تحت رئاسة حاج علي عبد القادر.⁵ وفي اجتماع 02 جويلية 1926م تأسست اللجنة المركزية التي كانت تضم 30 عضوا نذكر منهم ما يلي:

الاسم واللقب	منصبه	العمل	أصله
عبد القادر حاج علي	الرئيس	تاجر خردوات	غليزان
مصالي الحاج	الكاتب العام	بائع متجول	تلمسان
الجيلالي شبيلة	أمين المال	بائع متجول	البليدة
محمد السعيد جيلالي	عضو	عامل	الأربعاء ناثيراثن
بانون آكلي	عضو	بائع خضر	سيدي عيش
محمد معروف	عضو	نقابي	الشلف
قدور فار	عضو	معطوب حرب	الأغواط
سعدون	عضو	عامل	بني عباس
مقرارش	عضو	بطل	بني عباس
عبد الرحمن السبتي	عضو	مدرب كتاب	العلمة أو الخروب
آيت دودرت	عضو	معطوب حرب	عين الحمام
محمد إينور	عضو	معطوب حرب	الأربعاء ناثيراثن
صالح غاندي	عضو	عامل	بوسعادة
رزقي	عضو	عامل	خنشلة
بوطويل	عضو	عامل	جيجل

المصدر.⁶

¹ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، ص259.

² - بوقصة: مرجع سابق، ص344.

³ - بن العقون: الكفاح القومي، ج1، مرجع سابق، ص123.

⁴ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، م سابق، ص281، 287.

⁵ - بوقصة: مرجع سابق، ص345.

⁶ - محمد قنانش: ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2005، ص149.

3- شخصية مصالي الحاج

ولد مصالي الحاج سنة 1898 بتلمسان عاصمة ملوك بني زيان والتي نترك وصفها لإبنة مصالي الحاج جنيئة ابنة: «المدينة تقع جغرافياً على مفترق طرق بين محورين شرقي-غربي وشمال-جنوبي على حدود الجزائر مع المغرب، كما أن سكانها هم جزء من تراث طويل للمدينة، وللمدينة ماض استثنائي للغاية، يترك أخايد عميقة في الذاكرة الجماعية لتلمسان؛ ويظهر في كل مرحلة متتالية، سواء تاريخ رجالها القديم، ثم الوجوه الجديدة من المدارس الحديثة. إضافة لذلك التراكم الحضاري من عادات وتقاليد وورش الحرفيين، والتجارة، والحمامات. وفي سياق الأنساب، هم من نسل الأندلسيين، والحضر الجزائريين، إضافة لتجمع للعائلات التركية بتلمسان؛ والذي تنتمي إليه عائلة* مصالي الحاج»¹.

تلقى مصالي الحاج تعليمه الابتدائي في المدرسة الأهلية الفرنسية بتلمسان، فكان يتألم كثيرا لمدى اهتمام المدرسة بتاريخ فرنسا وتلقينه للتلاميذ، في الوقت الذي غيب فيه تماما تاريخ وجغرافية وطنه، ولاحظ الطفل أحمد، الفرق الشاسع بين ما يتلقاه في المدرسة عن الحضارة والعدل الفرنسيين وما يشاهده في الواقع؛ من إهانة واستغلال للجزائريين، فأصبح التلميذ مصالي شديد الغضب يثور لكل صغيرة وكبيرة تمس زملائه التلاميذ، فلقب ب«محامي القسم» مما دفع إدارة المدرسة إلى طرده في عام 1916.²

وطوال حياته السياسية كان مصالي الحاج يعتني بنفسه وبطريقة لباسه وحديثه أيضا، ولا يزال متعلقا بتقاليد مدينة تلمسان، كما يفعل أهل الحضر التلمسانيين، فكان يحرص على أناقته، ويرتدي اللباس المنسق، الذي ينم عن أصالته وحدثته في الوقت ذاته،³ كما تميزت شخصية مصالي الحاج بالثورية، ضد الظلم والقهر والاستغلال، إلى جانب أخلاق عالية اكتسبها من التربية الدينية، التي تلقاها على يدي والديه ومعلميه، حيث تلقى مصالي الحاج تربية دينية، في زاوية الحاج محمد بن يلس، التابعة للطريقة الدرقاوية بتلمسان.⁴

ويروي مصالي في مذكراته: «..أثناء الحرب اليونانية التركية (1919-1922)، دخلت مجموعة

*-مصالي الحاج ولد في 16 ماي 1898، وتوفي بالعاصمة الفرنسية باريس في 3 جويلية 1974 حيث دفن بمسقط رأسه بمدينة تلمسان.
1 - Djanina Messali :Une vie partagée avec Messali Hadj mon père Broché , Les éditions Riveneuve, Paris, France ,2013 op .cit , p17.

2 - مصالي: مرجع سابق، ص101، 102.

3 - ثنيو: إشكالية الدولة، مرجع سابق، ص 204. بتصرف.

4 - مصالي: مرجع سابق، ص101، 102.

من الضباط الفرنسيين إلى مقهى بتلمسان، وانطلقت السهرة يقول مصالي: «فكرت.. أنه يجب فعل أي شيء، وبعد التفكير تبادل ذهني ما يلي: لماذا لا أصبح بصوت عال باسم مصطفى كمال؟.. لحظة واحدة صعدت على الطاولة، وصحت بكل ما لدي من قوة" يحيا كمال باشا... القضية سرعان ما انتشرت في تلمسان، وهذا كان يعجبني ويفلقتني في نفس الوقت، وقد استدعيت يومين بعد ذلك إلى محافظة الشرطة».¹

استدعي مصالي الحاج إلى الخدمة العسكرية الإجبارية في الجيش الفرنسي عام 1918، ولحسن حظ الشاب مصالي أن الحرب العالمية الأولى كانت على وشك النهاية، إلا أنه تألم كثيرا لأن الدولة العثمانية التي يرتبط بها عقائديا ووجدانيا انهزمت في الحرب، أمام كل من فرنسا وبريطانيا، واعتبر ذلك هزيمة للإسلام والمسلمين.² ثم عاد إلى الوطن، ثم بعد ذلك قرّر الشاب مصالي الحاج السفر إلى فرنسا، وأن يجرب حظه خارج وطنه فوصل إلى باريس في 13 أكتوبر 1923.³

وكان للتربية الدينية التي تلقاها الزعيم مصالي الحاج في صباه، الأثر البالغ في تشكل تفكيره المناهض للوجود الأجنبي، فمصالي تلقى تربية دينية في زاوية الحاج محمد بن يلس التابعة للطريقة الدرقاوية بتلمسان، والمعروفة بنزعتها الثورية وهو أمر لا يلغي وجود عوامل أخرى ساهمت بتوجهه للعمل الوطني.⁴ فإضافة للمبادئ الدينية التي تلقاها الزعيم في كنف الزاوية الدرقاوية التي ساعدته في حفظ توازنه الروحي في فرنسا، كان لمصالي شغف كبير بالمطالعة، فعندما كان في الجزائر كانت شغوفًا بالقراءة وتستهويه الكتب التراثية مثل كتاب المؤرخ الفرنسي: قوستوف لوبون Gustave Le Bon «حضارة العرب في إسبانيا» وبذلك كان الرجل عصاميا، إذ التمس طرق عديدة لتثقيف نفسه أثناء وجوده بفرنسا حيث كون نفسه أولا في جامعة بوردو Bordeaux كمستمع حر للمحاضرات. ثم فيما بعد في جامعة السوربون وبمعهد اللغات الشرقية بباريس، مثلما كان يطالع كثيرا كتب التاريخ والسياسة والاقتصاد والفكر كما انضم إلى «جمعية الأخوة الإسلامية» مبكرا بباريس سنة 1923.⁵

¹ - مصالي: مرجع سابق: ص 101، 102.

² - نفسه: ص 101، 102.

³ - Stora: Op.Cit, P43 , 44.

⁴ - مالكي: مرجع سابق، ص 246. بتصرف

⁵ - مصالي: مرجع سابق، ص ص 86-121.

انضم مصالي مبكرا لنشاط الحملة الانتخابية لليسار الفرنسي سنة 1924 وكانت تلك التجربة أول دورة تدريبية في السياسة والإعلام. وبذلك حولته ثقافته ومطالعته الكثيرة، إلى شخصية ذات قدرة عالية على التنظيم والقيادة والتأثير في الجماهير، وظهر أثر ذلك على حياة الرجل النضالية والسياسية.¹ وقد امتلك مصالي مهارات القدرة على التنظيم وطول النفس في النضال، والدفاع المستميت عن الحق بالحجة والإقناع، كل هذه الخصال أهلتها لقيادة النضال ضد الاستعمار لأكثر من ثلاثين سنة، فأعطى مصالي للنجم بعدا ثوريا ووطنيا، وشارك في مؤتمر بروكسل 1927 بقوة حين طرح في المؤتمر موضوع المطالبة باستقلال الجزائر، وبذلك يعد أول من نادى به من الجزائريين، وجهر به، بحيث كانت هذه هي المرة الأولى التي يقوم فيها زعيم جزائري على المطالبة علنا باستقلال الجزائر.²

إن تبوأ مصالي للمكانة القيادية التي حظي بها إنما يعود لشخصيته وهيبته الكارزمية، وشجاعته المثالية، وأصبح المحبوب أو العنصر الذي سواء بأوامره أو بجاذبيته، تتحرك في فلكها بقية العناصر، وقد كان الرصيد الثقافي لمؤسسي النجم متواضعا، عدا مصالي الذي حاول تدارك ذلك، فواصل تكوينه وتنقيف نفسه.³ كما توافرت لشخصية مصالي الحاج أبعاد أخرى أثرت في شخصيته، وكان لها تأثير بالغ في مساره السياسي، وهي أخلاق عالية، اكتسبها من التربية الدينية، وثقافة مناسبة للعصر من تكوينه العصامي، وقدرة عالية على التنظيم والنضال، والدفاع المستميت عن الحق بالحجة والإقناع.⁴ ومصالي كرجل سياسي لم يكن يدع فرصة إلا واستثمرها لصالح حزبه والقضية الوطنية، من ذلك ما يذكره في مذكراته حول مسجد باريس فيقول: «وفيما بعد طلبنا احترام مسجد باريس على أنه مكان للصلاة والتأمل، إذ ألصق في المسجد حمام وسوق ومطعم فيه موسيقيون، حيث الزبائن والزبونات يتخذون هيات لا يقبلها الإسلام، فقد نظمنا حملات من الطلبة والعمال الجزائريين، لإجبار الزبائن على احترام هذه الأماكن المقدسة للإسلام، التي كانت تنتهك».⁵

في موضوع متصل بالهوية شن مصالي الحاج حملة تنديد، عندما فرضت على رؤساء البلديات الفرنسيين أوامر برفض تسجيل الأسماء العربية للمولودين الجدد على سجلات الحالة المدنية،

¹ - مصالي: مذكرات مصالي، ص ص 86-121. و ينظر أيضا: عبد الحميد زوزو: الدور السياسي للهجرة، مرجع سابق ص 58.

² - بن يمين سطورا: مصالي الحاج رائد الحركة الوطنية (1889-1974م)، تر: الصادق عمار ومصطفى مادي، دار القصة، الجزائر، 1999، ص 65، ص 66.

³ - مشاطي: مرجع سابق، ص 126.

⁴ - Alain Ruscio, Messali Hadj, père oublié du nationalisme algérien, «monde-diplomatique», Juin 2012. p 27.

⁵ - مصالي: مرجع سابق، ص 143.

والمولودين من أمهات فرنسيات متزوجات مع عرب، حتى أن بعض الجزائريين تركوا أبناءهم بدون أسماء، ليرفضوا الخضوع إلى هذا التمسيح المحتم، فاستلزم ذلك من مصالي خمس سنين حتى تم إلغاء ذلك.¹

وفي كل المحطات كان مصالي يحسن التصرف في الفرص، ويحولها لصالحه كما حدث في يوم 2 أوت 1936 بالملعب البلدي بالجزائر العاصمة، في تجمع المؤتمر الإسلامي حين لم يكن مصالي معروفا بالجزائر، وقد سمح له بالتدخل بكلمة لدقائق معدودة، فأخذ حفنة من تراب وقال إن هذه الأرض ليست للبيع ولا يحق لأي كان بيعها للأجنبي، ونطالب باستقلال الجزائر التام بدل المطالبة بإصلاحات لا معنى لها. فرأت فيه الجماهير الحاضرة الصدق والإخلاص، وحملته على أكتافها بعد إنهاء خطابه وهي تردد شعارات الاستقلال والحرية، فكانت فرصته الذهبية للتعريف بمشروعه التحرري وهي فرصة أحسن استغلالها.²

لقد أحببت الجماهير مصالي وحزبه حين تحمّل تبعات المطالبة بالاستقلال علانية، فكافأته بسرعة حين تم انتخابه مستشارا عاما لمدينة الجزائر اكتوبر 1937 رغم أنه كان في السجن. كما تم انتخاب رفيقه محمد دوار للمجلس العام سنة 1939.³ ويذكر المناضل محمد عبدون في مذكراته (شهادة مناضل): «أنه كان في الجيش الفرنسي أثناء تجنيده بداية الحرب العالمية الثانية، على الحدود التونسية الجزائرية، وأثناء حراسته فتنش وثائق المقتصد، فوجد وثيقة رسمية سرية ترتب الرجال السياسيين الجزائريين الأكثر خطورة على السيادة الفرنسية، وكانت مرتبة على النحو التالي: أن ابن باديس على رأس القائمة، والثاني مصالي الحاج، بينما العقبي يعتبر من أصدقاء فرنسا، وذلك حسب توجيهات الجنرال جورج كاتروس Georges Catroux قائد القوات الفرنسية في الشرق الأدنى». وهو ما يحيلنا لذكر الأزمة داخل جمعية العلماء لسنة 1938 حين انعقدت الجمعية العامة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين لمناقشة النزاع بين العقبي الذي ينشد موقفا منحازا لفرنسا ضد ألمانيا على أبواب الحرب العالمية الثانية، وبين بن باديس المنحاز للوطنيين، ولم ينتظر بن باديس التصويت ليصرح بأن فرنسا لم تسد أبدا خيرا للجزائر، ولا نحارب أبدا أعدائها، فتأزم الوضع واستقال العقبي من الجمعية.⁴

¹ - مصالي: ص 143.

² - نفسه: ص 203.

³ - محمد حربي: جبهة التحرير الاسطورة والواقع 1954-1962، نر: كمال قيصر داغر، ط1، الناشران، مؤسسة الأبحاث العربية ودار كلمة للنشر، بيروت، 1983، ص 31.

⁴ - عبدون: مرجع سابق، ص 58-60.

4- النجم في مرحلته الأولى

ظهرت فكرة حركة «نجم الشمال الأفريقي» بعد تجارب قرن كامل من الزمن من الكفاح، ومن أهم العوامل التي مكنت «نجم الشمال الأفريقي» في المهجر والوطن، أنها نهجت نهجا جديدا واعتمدت على ما يلي:

- تأسيس الحركة في البلاد الفرنسية حتى تكون في مأمن من ضغط ومكائد المستوطنين الفرنسيين.
- اتخاذ المرحلة في التنظيم والتسيير، فقد انضوى أعضاؤها الأولون المؤسسون تحت ظل الحزب الشيوعي الفرنسي حتى يتمرنوا على العمل النظامي ويستوعبوا أساليب النظام الحزبي، ويغطوا نشاطهم.
- اتخاذ أسلوب المراوغة مع الاستعمار، فأعلنوا أن المنظمة نقابية تدافع عن حقوق العمال وحسب، حتى إذا حصلت على أنصار من العمال ثم من بعض الفئات الفرنسية التقدمية، أعلنت برنامجها الوطني الثوري.¹

رغم ثقافتهم المحدودة، فقد تغلبت الروح الوطنية على كل النزاع والعوامل الذاتية في أفراد تنظيم نجم شمال إفريقيا، وبهذه الروح تمكنوا من توحيد صفوفهم، وتكوين تنظيماتهم وشعبهم، مستغلين وضعهم النقابي الذي يتيح لهم نوعا من التحرك، وتدعيم الحزب الشيوعي لهم مقابل أن يدعموه ضد أحزاب اليمين من ناحية، وضد أحزاب أخرى، في هذه الظروف استطاع رجال النجم الاحتفاظ بشخصيتهم الجزائرية، التي عجزت محاولات الإيديولوجية الشيوعية عن إذابتها، وهي المحاولات التي اضطرت النجم فيا بعد، إلى الاصطدام بالحزب الشيوعي وإلى إعلان استقلاليتها، مع ما تجره الاستقلالية من مضايقات وملاحقات ومحاكمات.² أما سياسيا فقد كان ميلاد نجم إفريقيا الشمالية أحد الأحداث العظيمة في التاريخ السياسي للجزائر، إذ ساهم بنظامه واتجاهه الثوري، في الارتقاء بمستوى العمل السياسي وتطويره تطويرا حديثا، وهكذا استطاع أن يدخل عناصر جديدة في السياسة الجزائرية، وتدرج النجم في ظرف قصير من حركة عمالية نقابية؛ إلى حزب سياسي عتيد، فقد كان يجمع بين المبدأ المعلن عنه رسميا بكونه يحمل مطالب إصلاحية؛ ولكن هدفه الحقيقي كان ثوريا، وفي البداية ركز في مطالبه على ثلاث أفكار هامة وهي:

- فكرة الوطنية بإعلانه مطلب الاستقلال الكامل للجزائر وجلاء الفرنسيين عنها.
- فكرة الاشتراكية بالدعوة إلى تأميم الأراضي والممتلكات الكبيرة التي أخذها الكولون.
- فكرة العروبة بمناداته بالتعليم العربي.³

¹ - عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 126، 125.

² - العلوي: مرجع سابق، ص ص 98، 99.

³ - سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص 383، 384.

تمتع النجم بنجاح متزايد، خاصة في أوساط الهجرة الجزائرية إلى فرنسا، وبدأت العلاقات بين الشيوعيين والنجميين تضعف في نهاية العشرينيات، فمصالي الحاج والقادة الآخرون كانوا حريصين على عدم التماهي مع الحزب الشيوعي الفرنسي PCF في كل شيء، هذا الأخير كان لا يريد من العلاقات مع الحركات القومية إلا من حيث ما يخدم استراتيجيته ونظرته الوحيدة، مع العلم أنه حتى ذلك الحين، كان كل طرف أن قد استخدم الطرف الآخر لأهدافه الخاصة.¹

يقول مصالي أنه في الأشهر الأولى لتأسيس النجم «عكفت مع المجموعة الصغيرة من مسيري نجم شمال إفريقيا، وكنا نجتمع غالبا لتحليل الوضعية وتنظيم الجمعية، وإعداد برنامج صغير في أدنى ما يكون، فيما يخصني وبعد تفكير معمق، حضرت وحدي مخططا لشرح نشاطنا وأبقيته عندي، وكان من شأنه أن يخدمني في محادثاتي الفردية مع الناس ومع المناضلين، وهذا المخطط هو:

- 1- ذكر الماضي التاريخي للإمبراطورية العربية باختصار.
 - 2- شرح عظمة الحضارة الإسلامية وإشعاعها في العالم وذكر الحضارة العربية في إسبانيا ووصول العرب في «بواتيه» Poitiers .
 - 3- استعراض احتلال الجزائر والمقاومة الجزائرية، وملحمة الأمير عبد القادر وأبطالنا.
 - 4- شروح حول انتفاضة الأمير عبد الكريم الخطابي في المغرب وشجاعته وروح التضحية لديه.
 - 5- إبراز عظمة ثورة الأتراك ضد الوجود الأجنبي (التي تلت الحرب 1ع) .
 - 6- المبادئ الإسلامية والكفاح من أجل الاستقلال.
 - 7- يقظة العالم العربي الإسلامي.
 - 8- الوضعية في الجزائر.
 - 9- كيف توصلنا إلى الاحتلال والخضوع إلى نظام قانون الأهالي والاستعمار.
 - 10- ماذا يريد نجم شمال إفريقيا.
- ويضيف مصالي الحاج: «لسوء الحظ لم أكن أعرف أغلب هذه النقاط إلا بكيفية سطحية ولهذا قررت دراستها».²



¹ - Alain Ruscio: Op.Cit

² - مصالي: مرجع سابق، ص 136، 137.

خلاصة الفصل

في ظل وضع استعماري حاول مصادرة كل شيء، كان للمقاومة الوطنية الجزائرية طرقها لإبراز الهوية، وخياراتها لمواصلة المعركة، ومن أجل تفادي حالة التلاشي والفناء أمام الظاهرة الاستعمارية، وضمن مشروع المقاومة اضطر الجزائريون للبحث عن مجالات جديدة للتعبير، للحفاظ على الحد الأدنى من ديمومة الجماعة والهوية، في مواجهة المشروع الاستعماري، عبر خمس مسارات:

- مسار التعليم. -مسار الحركة المطالبة. -مسار النشاط المؤسساتي والثقافي. - مسار الاستفادة من التواصل مع العمق العربي الإسلامي. - وأخيرا مسار الاستفادة من المتغيرات الدولية والتواصل الدولي.

لم يدم الوضع الاستعماري على حاله إذ ارتخت قبضته شيئا فشيئا، ولم يعد يتحكم كما كان، بفعل تداعيات الحرب العالمية الأولى والمتغيرات الدولية، فقد تيسر للجزائريين التواصل مع العالم الإسلامي عبر شبكات الطرق الصوفية، وتسربت أفكار النهضة القادمة من الشرق. وكانت أول إرهابات اليقظة عند الجزائريين، هو الاهتمام بالتعليم وانخراط كثير من نشطاء النخبة في العمل المؤسساتي، عبر الانتساب للنادي والجمعيات أو تأسيسها، كما تم التعاطي مع الوسائل العصرية عبر إنشاء المطابع والصحف، وتشجيع التأليف، وإحياء التراث العلمي والأدبي؛ وكتابة تاريخ الجزائري، كما دعمت الحياة الثقافية والإعلامية بصحف وطنية، وبأفلام صحفية وطنية حرة، والذين كانوا روادا للعمل الصحفي والوطني مثل عمر بن قذور وعمر راسم وبجهودهم انطلقت الصحافة الوطنية، لتزدهر الصحافة فيما بعد، إذ أسست أكثر من 25 صحيفة بين 1919 و 1930.

لعبت النخبة المحافظة دورا مهما في المحافظة على الدين والهوية، وكان لحركة المحافظين دورها في الذود عن الهوية، والتي كانت إرhabا لظهور الحركة الإصلاحية، حيث استطاعت إدارة المعركة الثقافية دون ضجيج وبصبر واستماتة للحفاظ على عناصر الهوية، بفضل قامات علمية ومنهم ابن الموهوب، وعبد القادر المجاوي، وبن زكري، وبن بريهمات، وابن أبي الشنب وعبد الحليم بن سماية وغيرهم. كذلك لعبت النخبة التي كانت تدعو للتحديث وللعصرنة دور في المطالبة بحق المواطنة وبالعدالة وكل المطالب الاجتماعية، وعبرت النخب المسلمة عن حاجة المجتمع الجزائريين إلى اختراق العدو ومحاربهته بسلاحه، وإقامة الحجة على الفرنسيين بتذكيرهم بشعارات ثورتهم. ومن خلال هذا التنوع للطبقة المثقفة بين محافظين ونخبة، حاول الاستعمار تفنيت وحدة المجتمع، عبر الاستقطاب والتهميش للطبقات من فئات الشعب، وهذا التنوع رغم ظاهره السلبي، إلا ان التنوع قد أثرى التجربة النضالية فقد

دافع المحافظون عن الهوية، ودافعت النخبة عن حق المواطنة.

كانت النخب المسلمة قد صقلت تجربتها في النشاط العام، من خلال العرائض والوفود، وتأسيس النوادي والجمعيات، وإنشاء الصحف، والمشاركة في المجالس البلدية والنيابات المالية، رغم محدودية تمثيل المسلمين، وبدأت الحركة الوطنية بالإفصاح عن نفسها، مع مقدمات الحرب العالمية الأولى، فقد أثارت الظروف التي شرع فيها المرسوم المؤرخ في 3 فيفري 1912، الخاص بمسألة التجنيد العسكري الإجباري لأبناء الجزائريين المسلمين، انفعالا كبيرا في الجزائر برمتها، أعقبه تأسيس لجنة الدفاع عن المسلمين، ثم تطورت الحركة المطالبة سياسيا مع الأمير خالد، الذي كان دوره كبيرا داخل الجزائر في كسر حاجز الخوف وتنشيط الحياة السياسية، وخارجيا حين قدم عريضة إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بمناسبة مؤتمر فرساي 1919 من أجل تدويل القضية الجزائرية.

كانت حياة البؤس هي المهيمنة على أغلب فئات الشعب الجزائري، في ظل واقع استعماري قاتم في الجزائر، والتي كانت من أهم الأسباب الذي فرضت الهجرة على الجزائريين لفرنسا بعد الحرب العالمية الأولى، وكانت من بين الأهداف التي حددها المهاجرون عند المغادرة إنهاء الديون، واسترجاع أو شراء الأرض، ونتيجة للمردود المادي الكبير للهجرة لفرنسا تم تسجيل شراء كثيف للأرض من الأوروبيين لصالح الأهالي المسلمين في الجزائر، بين سنة 1918-1920، مما جعل بعض الكتاب الأوروبيين، يسجلون تخوفهم من ذلك؛ ويدقون ناقوس الخطر.

بفضل الوجود الكثيف للمهاجرين الجزائريين في فرنسا كعمال موسمين أو دائمين، أصبحت الجالية المغاربية قوة ذات وزن، لذلك طمحت أحزاب اليسار إلى استعمالهم والاستعانة بهم في إدارة معاركها ضد الامبريالية، وبفضل هذه المصالح المتبادلة استطاع المهاجرون الجزائريون من تسجيل حضورهم في مهرجانات الحزب الشيوعي، ومنظماته مثل «الكونفدرالية العامة للشغل CGT والكونفدرالية العامة للعمال الودوبيين CGTU فتمكنوا من تنمية حضورهم على المسرح السياسي وصقل تجربتهم، وفتح لهم الواقع الجديد، للمهاجرين المغاربيين آفاق واعدة في تنمية قدراتهم، مما أمكنهم من التحكم والتعاطي مع بعض مفاهيم التنظير الإيديولوجي اليساري، لتسقطها على الواقع الجزائري، وهنا بدأت فكرة تتخمر وتبرز للوجود؛ مفادها أن كل عمل أو انتصار للهوية عمل ناقص ما لم يتم تحرير الوطن.

حاول الحزب الشيوعي الفرنسي إبداء التعاطف مع الأمير خالد، واستثمار ذلك لاستمالة وكسب الجماهير الجزائرية المهاجرة، فقد كانت استراتيجية الشيوعيين هي فسح المجال للحركات الوطنية حتى

وإن كانت آرائهم يمينية بورجوازية، وضمهم إلى مسار استراتيجيتهم كتحالف ظرفي، في إطار بحث الشيوعيين عن تيار ثوري معارض للاستعمار والامبريالية، هنا يفهم سرعة الاتصال بين الشيوعيين وجماعة الأمير خالد ودور ذلك في التحريض السياسي ضد الاستعمار، حيث نشط الأمير خالد مهرجانات في باريس جويلية 1924م، تجسيدا لفكرة الجبهة المناهضة للإمبريالية، وقد التف المهاجرون حول الأمير خالد، رغم قصر تجربته، لكن الحكومة أجهضت مشروع خالد وقضت عليه نهائيا حين نفته حتى من فرنسا.

تدخلت عدة عوامل في اليقظة المبكرة للجزائريين داخل الهيئات التابعة للحزب الشيوعي، منها إحساسهم بالضياع؛ في ظل وسط ثقافي وإيديولوجي غريب، كما عاش المنخرطون الجزائريون في الحزب الشيوعي، قادة أو مناضلين على هامش الحزب، كما أثرت عليهم تواتر الأحداث وما يكاد للإسلام، فأيقظت ثورة الريف والحرب على الخلافة وعيهم، فنظروا في سبل الانتصار لهويتهم، مستغلين وضعهم النقابي الذي يوفر لهم هامش من حرية النشاط.

لم تمر إلا بضع سنوات في ظل هامش من الحرية الذي عاشه العمال المهاجرون بفرنسا، حتى ظهرت المطالب الوطنية، في أول فرصة للتعبير، لتبدأ من هناك عملية تفكيك وتحطيم أسطورة الجزائر الفرنسية، حيث بدأ التفكير بإنشاء حزب سياسي مغاربي وطني إسلامي، وولدت الفكرة داخل فوج من العمال الجزائريين. وقد شهدت المدة بين 1924 و 1926 التحضيرات الأولية لإنشاء النجم في باريس في أحضان الحزب الشيوعي بقيادة الحاج علي عبد القادر ومصالي الحاج؛ ولعبت السلطة المعنوية للأمير خالد- التي كانت في قمة عنفوانها- دورا كبيرا في مرحلة إنضاج المشروع والترويج له، عبر استعمال اسم الأمير وصورته. ليسجل ميلاد النجم في يوم 20 مارس 1926، وكانت تسمية نجم شمال إفريقيا، قد أوحى بمفهوم لا سياسي للمولود الجديد، حيث ظهر بتسمية غريبة «نجم» فمن عنوانه وكأنه يوحى إلى جمعية رياضية أو خيرية، وهو ما أبعد عنه شبهة العمل السياسي مؤقتا حتى اشتد عوده.

الفصل الثاني

التمثلات الهوياتية في انطلاقة التيار الثوري

تمهيد

المبحث الأول : دور الهوية في صنع التيار الثوري وظهوره

المبحث الثاني: انتقال النجم للجزائر

المبحث الثالث: الهوية من خلال إعلام وشعارات «النجم»

المبحث الرابع : محطات النجم الأولى لنصرة الهوية

المبحث الخامس: النجم والاستثمار نضاليا في الهوية

خلاصة الفصل

تمهيد الفصل

ساهمت عوامل عدة في انبعاث حركة مقاومة سياسية جزائرية بالمهجر بفرنسا، إذ قُدر للتيار الثوري أن يكون ظهوره أولا بفرنسا، حتى لا يقضى عليه كما قضى على حركة الأمير خالد، وسيكون لهذا التيار الوليد الكلمة الفصل في الانتصار لهوية الجزائر الإسلامية.

مع نهايات الثلث الأول من القرن العشرين، بدأت شيئا فشيئا تتضح ملامح تيار سياسي، عرف بجرأته في الطرح، ووضوح في الأهداف، من خلال تبنيها للمطالب الأكثر تعبيرا عن آمال الشعب الجزائري وتطلعاته، والمتمثلة في حقه الطبيعي في العيش بحرية وكرامة.

كان بروز ملامح التيار الثوري الجزائري بفرنسا ثم انتقاله للجزائر، قد أدى إلى وضع حد فاصل بين مرحلتين، حيث انتقلت الطموحات من مرحلة المطالب الإصلاحية المحدودة، إلى مرحلة المطالبة بحق الشعب الجزائري في تسيير شؤونه بنفسه وتقرير مصيره، مع ميلاد وبروز التيار الثوري، والذي سجل حضوره في مناسبات عديدة، وما رافق ذلك من رفع حزب مصالي لمطالب وطنية، بتلك الإرادة الصلبة؛ التي لم تعهدها الطبقة السياسية من قبل، والتي استمدها رجال التيار الثوري من كون مشروعهم هو امتداد لتاريخ متواصل من النضال والكفاح الذي خاضه الشعب الجزائري لاستعادة السيادة على أرضه.

إن مسألة نضج التيار الثوري مرت بمسار تاريخي طويل، ليفرض نفسه تدريجيا بأنه الحل الوحيد والسليم الموصل للتحرر، وينال ثقة الجماهير المسلمة بأنه ضمير الشعب المسلم، ومن أجل تحقيق ذلك اتخذ هذا التيار من التباين الكبير، من ناحية الدين واللغة والعرق والماضي الحضاري، سببا وجيها في استحالة ذوبان الشعب الجزائري في المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر، وفي حقه بممارسه سيادته على أرضه، وقد تفتن التيار الثوري لقيمة عناصر الهوية في إبراز شخصية الجزائر والدفاع عنها في كل فرصة، من خلال خطاب الحزب ومواقفه، ومن خلال أدبياته، ونصوصه

- الرسمية وبرامجه، ومن خلال شعارات ورموز وبطاقات الحزب.
- لمناقشة مسألة التمثلات الهوياتية في انطلاقة النجم، إرتأينا أنه من المناسب بحث هذه الإشكالية، وفهم: مكانة الهوية في باكورة نشاطات النجم؟
- تفرع عن هذه الاشكالية تساؤلات، وقد قمنا بتحويل هذه التساؤلات إلى عناوين للمباحث في هذا الفصل والتي كانت كالتالي:
- دور الهوية في صنع التيار الثوري وظهوره.
 - انتقال النجم للجزائر.
 - الهوية من خلال إعلام وشعارات «النجم».
 - المحطات المعلمية الأولى لنصرة الهوية في حياة التيار الثوري.
 - النجم والاستثمار نضاليا في الهوية.



المبحث الأول: دور الهوية في صنع التيار الثوري وظهوره

إن إشكالية خطاب الهوية، لم تظهر بالجزائر إلا بعد دخول الاستعمار وكانت نتيجة حتمية للسياسة الاستعمارية؛ تبعا للمعطيات والحقائق والتالية:

- إن إشكالية خطاب الهوية، لم تظهر بالجزائر إلا كرد فعل، ونتيجة طبيعية وحتمية، للسياسة الاستعمارية الفرنسية المعادية لكل ما هو عربي وإسلامي.

- أنتج المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر، سياسة جعلت من مسألة الهوية عاملا للتفرقة والتمييز، بل وقرن التمييز العنصري والتفرقة في جميع المجالات والمستويات وكمثال: القوانين الاستثنائية، التفرقة في الوظائف، التفرقة في نسب التمثيل في المجالس المنتخبة، التفرقة في الضرائب. وهذه كلها تعرضنا لها.

1 - عوامل تقبل الجماهير للنجم

تضافرت عدة عوامل ذاتية وأخرى خارجية، ساهمت في صنع النجم أولا، خاصة الظروف الدولية التي أعقبت الحرب العالمية الأولى، ثم التواجد الكثيف للمهاجرين للجزائريين بفرنسا، وكذا عامل المنافع المتبادلة بين المهاجرين الجزائريين والحزب الشيوعي، إضافة لذلك توفرت عوامل أخرى كان لها دور في تبوء التيار الثوري المكانة التي اكتسبها وساهمت في تقبله لدى الوسط المسلم، ومن أهمها نوعية الخطاب الصريح الذي تبناه التيار الثوري.¹ وإذا كانت المؤهلات والموروث لها دور في علو الهمة والاعتداد بالنفس، مثل حالة الأمير خالد، إلا أنها غير كافية، لأن الدنيا تؤخذ غلابا، وإلا لما كُف الأنبياء بالقتال، وبذلك فإن التيار الثوري لم يخالف السنن الكونية في التغيير، وقد نال الريادة عن جدارة واستحقاق، حين بنى استراتيجيته على عدم التساهل أفي حدود مبادئه وهما الهوية والاستقلال.

ولقياس الأهمية التاريخية لجهود التيار الثوري، وحدود التغيير الذي أحدثه، يجب الإشارة أنه كانت مشاركة الجزائريين في الحياة السياسية في ذلك الوقت مقتصرة على عدد قليل من الشخصيات البرجوازية المثقفة أصحاب المهن العليا: أطباء، صيادلة، نواب، نذكر من اشتهر تاريخيا منهم مثل الدكتور بن جلول رئيس اتحاد المنتخبين المسلمين، وصديقه السياسي فرحات عباس، وبظهور التيار الثوري حدث تغيير شامل في النشاط السياسي في الجزائر حين أقحم جانب كبير من الجماهير المسلمة في النضال.²

¹ - بوقصة: مرجع سابق، ص 399، 400. بتصرف.

² - بتصرف - Djanina Messali, Op. cit, p,14

المبادئ المعلنة والمواقف الجريئة لحزب مصالي، والموافقة لتطلعات الجزائريين وهويتهم، كانت هي المفتاح لقلوب الجماهير، حيث كانت المواقف تسبق الدعوات للانضمام للحزب، تلك المواقف المنحازة لشعبهم، التي اتخذها رفاق مصالي، في تبني أفكار الجماهير المسلمة ومسايرة تطلعاتها، إنما كانت استراتيجية ضرورية لإدارة المعركة، وهو ما يذهب إليه مهساس حين يرى أن الحركة الطليعية (وهو الذي ينطبق على التيار الاستقلالي الثوري في الجزائر)، كان لا بد لها أن تتطابق استراتيجيتها وخطها مع قيم المجتمع وحضارته، وإلا فإن التحولات ستفرض عليها انطلاقا من حركية خارجية، وستكون النتيجة الخضوع إلى القوى الاستعمارية، وهو ما أدركه الذين أسسوا التيار الثوري عندما ابتعدوا عن فلك الحزب الشيوعي مبكرا، مع علمهم أن هذا الموقف سيكون ثمنه مكلفا، لذلك فإن قادة النجم منذ البداية أعدوا أنفسهم للتضحية.¹

وقد اجتمعت عدة مميزات وعوامل في تبوء التيار الثوري للمكانة التي اكتسبها، وساهمت في تقبله لدى الوسط المسلم، ومن أهمها نوعية الخطاب الصريح الذي تبناه التيار الثوري، وعدالة القضية التي يدافع عنها، وتأثيرا شخصية القائد، حيث امتزجت شخصية مصالي الحاج، مع ذلك الإصرار الذي ميّز مسيرة التيار الثوري، وكانت تلك الإرادة الصلبة، هي ورقة المرور لقلوب الجماهير المسلمة، فانقادت له برضا تام واعترفت له بالريادة، ومن خلال ذلك الإصرار انتزع من الإدارة الفرنسية حق تمثيل الأهالي، وظهر هذا الإصرار للدفاع عن القضية والمبدأ مبكرا، من خلال مشاركة مصالي الحاج في المؤتمر المناهض للإمبريالية المنعقد بمدينة بروكسل عاصمة بلجيكا سنة 1927، وتلك المشاركة أعطت لمصالي فرصة الاحتكاك بالعديد من زعماء الحركات الوطنية ومكنته من التعرف على شخصيات معادية للاستعمار الأكثر شهرة آنذاك.² وسريعا كوّن النجم لنفسه سمعة بين الجماهير الجزائرية في فرنسا، ومبكرا في حدود عام 1928 وبيباريس وحيث يتواجد النجم برزت علانية مظاهر القومية الجزائرية، حيث شخصية مصالي الحاج وجريدة الإقدام يصنعان الحدث.³

وقد فقه حزب مصالي إدارة لعبة السياسة، وعرف التعامل مع الثابت والمتغير في معركته الطويلة، وتحسس مواطن الخلل، واستفاد من أخطاء أسلافه، ورسم لنفسه هدفا، وشق لها طريقا لا يحيد عنه وهو استرداد السيادة، والتي تطلبت سلوك مسار طويل وصعب بخطى ثابتة ونفس طويل.

¹ - مهساس: الحركة الثورية، مرجع سابق، ص13.

² - بوقصة: مرجع سابق، ص399، 400. بتصرف.

³ - isnard, hildebert: op.cit, p 464.465

حتى وإن تغيرت الشعارات في بعض المراحل (بداية مرحلة حزب الشعب)، وبما أنه يحمل مشروعا طموحا، لذلك اصطدم تارة بمعارضة القريب فرمي بالتهور والشعبوية وعدم النضج، أما البعيد والعدو فحدث ولا حرج، لكن سر نجاحه أنه قدّم الحل الأنسب لمشكلة التحرر الوطني، فالشعب الجزائري لا يريد حلا وسطا.¹

لم تخلو حياة النجم من مصاعب في سنواته الأولى، حيث لما أخذت هذه الحركة أهمية، بدأت السلطة تتوجس حيالها، وآل الأمر إلى متابعات قضائية ضدها، وفي لحظة حقق فيها النجم نجاحا وزيادة في عدد المنتسبين ب7%، وهي نسبة لم يتجاوزها الحزب إلى غاية 1935. والتي تدل على القبول الذي حظيت به أفكار وخط الحزب في فترة وجيزة. هنا جاء قرار الادارة بحل النجم في 20 نوفمبر 1929.² حيث عمدت المحكمة الجنحية لمقاطعة «السين» بباريس، إلى الحكم بحل النجم بتهمة العمل جهارا على إثارة الأهالي ضد السيادة الفرنسية، من أجل استقلال الشمال الإفريقي، لذلك ابتداء من شهر جوان 1933 ظهرت المنظمة باسم: «نجم الشمال الإفريقي المجيد» ولكن متابعة أخرى بدأت ضد النجم ومسيرته، بتهمة إعادة هيئة منحلة خلافا لقانون 1901، وحكمت الغرفة الرابعة عشرة في محكمة الجنج بباريس، على مصالي وعيمش وراجف بستة شهور سجنا لكل واحد، بتاريخ الخامس نوفمبر 1934.³

ورغم الإجراءات المتخذة ضده، لم ينقطع نشاط النجم، وإنما رجع إلى العمل سرا، إذ اعتمدت الحركة منذ ذلك الحين على استراتيجية جديدة طوال مسيرة التيار الثوري، وهي أن يكون عملها سريا أكثر منه ظاهريا، للنجاة من الضغط المتزايد، وبذلك فإن مناضلي الحركة، تخلوا عن الاسم الأول، وأعادوا تأسيس الحركة يوم السادس فبراير-شباط 1935-تحت اسم «الاتحاد الوطني لمسلمي شمال افريقيا»، وبعد محاكمات عديدة، وفي تاريخ 16 أفريل 1935، صدر موقف نهائي من محكمة النقض والابرام، فحكمت ببطلان حكمي 5 جانفي 1934 و 24 جانفي 1935 اللذان قضيا بحل النجم. وذلك لأن حكم حل «نجم الشمال الإفريقي» الذي سبق سنة 1929 لم ينفذ في حينه بكيفية سليمة. لكن الإدارة بقيت بالمرصاد للنجم ولم تنزل تتريص به إلى غاية حله نهائيا سنة 1936.⁴

¹ - ينظر: مهساس: الحركة الثورية، مرجع سابق، ص 8، 15 بتصرف.

² - بوقصة: مرجع سابق، ص 390.

³ - ينظر: ابن العون: الكفاح القومي، ج1، مرجع سابق، ص 141، 142.

⁴ - نفسه: 141، 142.

2- المعلم الأول في نشاطات النجم - مؤتمر بروكسل 10-15 فيفري 1927

كان مصالي وقادة نجم شمال إفريقيا يبحثون عن فرصة لإسماع صوت الجزائر، وكان مؤتمر بروكسل 1927 على الأبواب كفرصة ثمينة لا تعوض، وفرت للنجميين فرصة الاحتكاك بنطاق واسع من المناضلين السياسيين، من مشارب مختلفة وقارات مختلفة، فانتهاز النجم فرصة هذا التجمع الدولي المناهض للإمبريالية، وأوفد إلى المؤتمر ممثلين عنه على رأسهم الكاتب العام مصالي الحاج، وفي هذا المؤتمر تمكن مصالي من أن يتعرف على بعض الشخصيات مثل "تهرو، سوكارنو وهوشي منه. والكثير من الشخصيات الثورية".¹

قبل انعقاد مؤتمر بروكسل كانت المطالبة بالاستقلال تصدر عن النجميين بشكل محتشم، ففي سبتمبر 1926 سجل نداء الاستقلال في تجمع بقاعة la grange aux belles، الذي يكون قد ضم 250 شخصا حسب المصادر الأمنية و800 حسب مصادر أخرى، والذي ذكرت فيه لائحة المطالب التي عرضها النجم، أما اللحظة التي حسم فيها رجال التيار الثوري بشكل واضح وصريح مطلب استقلال بلادهم؛ فكانت بداية من مؤتمر بروكسل 1927، وبذلك برزت مقولة استقلال الجزائر للعلن، واحتلت المكانة الأولى بين المطالب.²

عقد مؤتمر بروكسل كمؤتمر تأسيسي للرابطة ضد الإمبريالية والقمع الاستعماري، والذي عقد في قصر إغمونت Egmont ببروكسل في بلجيكا، في الفترة 10-15 فيفري 1927، وقد حضره 175 مندوبا من بينهم 107 من 37 دولة خاضعة للحكم الاستعماري في تلك المرحلة، وكان الهدف من تنظيمه، خلق رأي عام عالمي، مناهض للاستعمار والامبريالية على نطاق عالمي وكانت تجربة رائدة.³ ولأول مرة يجتمع الضعفاء ضد الأقوياء منددين بممارساتهم وأعمالهم الجائرة، وقد كان المؤتمر يمثل ما يقرب من ثمانية ملايين من العمال، وهم ينتمون إلى نقابات مختلفة، كما كان المؤتمر يتكلم باسم مليار من البشر، موزعين على القارات الخمس، واعتبره الملاحظون حدث سياسي على المستوى العالمي، نظرا لأهمية هذا المؤتمر ولخطورته على الاستعمار الأوروبي، ولحضور شخصيات لها وزنها العالمي.⁴

ومن المفارقات التي سجلها مصالي واسترعت اهتمامه، أن شعارات الشيوعيين كانت محاربة

¹ - عمار نجار: مصالي الحاج الزعيم المفترى عليه، دار الحكمة، الجزائر، 2009، ص55.

² - بوقصة: مرجع سابق، ص 373.

³ - Jacques Simon: **Messali Alhdj-par les texte** , edition bouchene, Saint denis, France, 2000, p11.

⁴ - عمار نجار: المرجع السابق، ص55.

اللامساواة، لذلك اندهش مصالي من رفاهية قصر إيغمونت Egmont، الذي كان جميلا وفخما، وهو مزين بالرخام من ألوان مختلفة، يقول مصالي لقد وجدت أن هذا القصر الكبير لا يتماشى مع بساطة الشيوعيين والثوريين.¹

ويذكر مصالي الحاج عن يوم وصوله لبروكسل بقوله: «ذهبت مع الحاج عبد القادر إلى بروكسل فيفري 1927 وفي يوم وصولنا دعينا إلى حضور اجتماع أول، حيث ينبغي أن يقوم كل رئيس حركة سياسية بتصريح قصير أمام الصحافة، تحتم علي أن أرتجل، بينت عما ينبغي أن يكون عليه التعليم في الجزائر وشرحت بأن هناك عشرون ألف طفل عربي لا يستطيعون التمدريس لعدم وجود الأماكن، ونددت بالنظام الاستعماري، الذي جعل من لغتنا العربية لغة أجنبية، وفي الغد كانت الصحافة الدولية الحاضرة في المؤتمر، نشرت كل التصريحات بما في ذلك تصريحتي».²

وقد حضرت المؤتمر شخصيات هامة معروفة تمثل حركات التحرر في إفريقيا وآسيا، إضافة لمصالي الحاج من الجزائر، نجد كل من الشاذلي خير الله من تونس، ومحمد حطة من أندونيسيا، وجواهر لال نهرو من الهند، وهوشي منه زعيم الفيتنام، والزعيم السنغالي لمين غاي"، بالإضافة إلى ممثلين عن الصين واليابان وسوريا، ومن المشاركين أيضا في المؤتمر نذكر بعض السياسيين والأدباء الفرنسيين أمثال "باريوس وشالاي"، ويعتبر هذا المؤتمر بداية لحركة تحرير الشعوب الآسيوية والإفريقية.³

بفضل التنظيم الجيد لمؤتمر بروكسل من قبل الحزب الشيوعي الفرنسي PCF ، كانت القارات الخمس ممثلة بوفود هامة، إضافة للشخصيات السابقة نجد، البكري من سوريا، وكاتامايا من اليابان، ومن الصين وفد من الجنرالات المنشوريين، كما يمكننا ملاحظة أسماء لامعة في ميادين أخرى مثل ألبرت أينشتاين.⁴

عندما تقدم مصالي للمؤتمر، كان نجم شمال إفريقيا يستند على قاعدة جماهيرية معتبرة، وبالفعل كان لديه حوالي بضعة آلاف ناشط في ذلك الوقت، يؤازرون الحزب والقيادة، لذلك وبمناسبة هذا المؤتمر قدم مصالي نفسه كمدافع عن قضية، وأكد نفسه كزعيم سياسي أمام ممثلي القارات الخمس.⁵

1- Stora: op.cit, p 68.69.

2 - مصالي: مرجع سابق، ص 140.

3 - بن خدة: مرجع سابق، ص 27-73.

4 - Stora: op.cit,p68.69. ينظر أيضا: مذكرات مصالي : مرجع سابق، ص 140

5 - Djanina Messali : Op. cit, . P 14.

ومن الملاحظات اللافتة للنظر، أن مصالي اختفت أوراقه ومستنداته التي أعدها كملف لعرضه كخطاب على المؤتمر، ولم يبق معه إلا المسودات، ورغم ذلك عند اعتلائه المنصة أثار مصالي إعجاب الجمهور بخطابه، واستمع الحضور له بعناية لمدة 15 دقيقة وصفق له بصوت عال على تلك المداخلة، والتي أصبحت البرنامج النهائي للنجم في عام 1933.¹ وقد شارك نجم شمال إفريقيا في هذا مؤتمر المناهض للاستعمار ضمن وفد الحزب الشيوعي الفرنسي.²

كان مؤتمر بروكسل المنعقد سنة 1927 فرصة مثالية لمصالي الحاج، نظرا للقاءات الكثيرة مع الشخصيات، مما أكسب مصالي المزيد من الخبرة، ليس كشريك فقط للحزب الشيوعي PCF آنذاك، ولكن كقائد سياسي، أثبت جدارته بدليل ما امتاز به من الجرأة والمبادرة، على المستوى النظري، وفوق كل شيء على المستوى التنظيمي، من خلال القدرة على بناء النجم كمنظمة جماهيرية، فكان التوظيف يتزايد في جريدة الإقدام، ليطلع منها 8000 نسخة، يشحن جزء منها إلى شمال إفريقيا، مما ساهم في تضاعف العضوية في فبراير 1927 فانخرط في النجم 3000 شخص، وصلوا إلى 3500 في نهاية ذلك نفس العام.³

ورغم الصمت الذي أحاطت به الصحافة هذا المؤتمر المناهض للإمبريالية، وقر مؤتمر بروكسل لنجم شمال إفريقيا أول منصة دولية، مجتازا تجربته الأولى من خلال المؤتمر، كما قام مصالي بتمارينه الأولى في ميدان الدبلوماسية،⁴ وأمام شخصيات عالمية مشهورة، أعلن النجم ممثلا في شخص مصالي عن مطالب أهمها:

- الاستقلال الكامل للجزائر.

- جلاء الجيش الفرنسي عن التراب الجزائري وإنشاء جيش وطني جزائري.

- برلمان جزائري.⁵

وبذلك كان أهم مطلب ضمن المطالب التي قدمها مصالي الحاج إلى مؤتمر بروكسل 1927 هو مطلب استقلال الجزائر (الملحق رقم 1- 2)، هذه المطالب اعتبرت كأرضية لبرنامج حزب نجم شمال إفريقيا فيما بعد.⁶

¹ - Stora: Op. cit p 68.69 .

² - العلوي: مرجع سابق، ص 123.

³ - Stora: op.cit , p p 73 , 75 .

⁴ - ibid, p p 73 , 75 .

⁵ - العلوي: مرجع سابق، ص 123.

⁶ - claude culott et jean-robert henry, op.cit , p39 .

3- «الاستقلال» شعار - المطلب، الذي اختزل كل تعبيرات الهوية

قبيل تأسيس نجم شمال إفريقيا لم يكن مصطلح الاستقلال كلمة غير متداولة بين العناصر الوطنية الأولى العاملة في فلك الحزب الشيوعي، مثل حاج علي عبد القادر، الذي كان ورفاقه يخشون الجهر بها خلال دعايتهم للمنظمات التي كانوا يمثلونها، وهنا يقول حاج علي عبد القادر (أول رئيس لنجم شمال إفريقيا): طالما أنه يتوجب وجود عناصر بورجوازية في المنظمة، فإن هؤلاء لن يأتوا إذا تكلمنا كثيرا عن الاستقلال لأنهم يخافون، واقترح استبداله بمصطلح الانعتاق الشامل كمفهوم أكثر حذرا.¹ وقد طرح مصالي في مؤتمر بروكسل موضوع المطالبة باستقلال الجزائر، وبذلك يعتبر مصالي الحاج أول من نادى به من الجزائريين صراحة وجهر به في الداخل والخارج (لم يسبقه سوى الأمير خالد في عريضته إلى الرئيس الأمريكي وبلسون سنة 1919، إلا أن العريضة كانت سرية ولم ينشر محتواها إلا في وقت متأخر - ينظر ص 145) بحيث كانت هذه هي المرة الأولى التي يقوم فيها زعيم جزائري على المطالبة علنيا بالاستقلال التام للجزائر.²

وحتى في اللقاءات الجوارية والحوارات الجانبية كان مصالي لا يدع فرصة إلا يذكر بحق الشعب الجزائري في الاستقلال، ففي إطار التعريف بالقضية والحزب عبر نشاطات مصالي وبالتحديد في مدينة تلمسان اجتمع مصالي مرة مع بعض المعلمين الجزائريين، وأغلبهم كان ينتسب إلى الحزب الاشتراكي، لأن الموضة آنذاك كانت تقتضي ذلك آنذاك، وكانوا يريدون إعجازه فقالوا له: إن طلبك غير معقول ولا يمكن تصوره فكيف يمكن استقلال الجزائر، فأجابهم بكل بساطة كعادته: «أن الاستقلال شيء طبيعي، ومعقول أما الاندماج فهو غير ممكن، لا عقليا ولا تاريخيا ولا عمليا، إنكم تعيشون في الأوهام، لأنكم تخافون من الحقيقة، ولو فكرتم قليلا لوجدتم أن الاندماج خرافة، يلهونكم به رجال السياسة الاستعمارية مثل فيوليت Viollette وغيره، ومهمتكم الأساسية كمعلمين أن تقوموا بدوركم على أحسن وجه، في تعليم أبنائنا تعليما وطنيا، وتربوا هذا الجيل تربية صحيحة، وهكذا تكونوا قد شاركتهم في بناء وطنكم، فكل واحد منكم يمكنه أن يكون وطنيا إذا قام بدوره»، وقد أفحمهم مصالي الحاج في هذه المناظرة بحججه ومنطقه فاعتذروا له.³

¹ - بوقصة: مرجع سابق، ص 350.

² - بن يمين سطورا: مصالي الحاج راند الحركة الوطنية (1889-1974م)، تر: الصادق عمار ومصطفى مادي، دار القصب، الجزائر، 1999، ص 65، ص 66.

³ - قنانش، وقداش: نجم شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 286.

وإثناء حضور مصالي للجلسة الختامية لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين التي كان من نشاطها فرحات عباس، والتي اجتمعت في 29 ديسمبر 1933، وحضرها حوالي 150 شخصاً في قاعة مزينة بعلم أخضر وأبيض وأحمر ثلاثي الألوان، رمز وحدة المغرب الكبير، وقد حضر مصالي الحاج شخصياً كضيف الشرف وفي كلمته قال لا يمكن أن أزيد على أننا: «نريد استقلال شمال إفريقيا وسنحصل عليه، لدينا إيمان ثوري بهذا». وكان من خطباء الجلسة الختامية لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين فرحات عباس الذي ذكر فيها على ضرورة ضمان مصالح شعبنا، من خلال محاولة تثقيفهم وإعدادهم للغد وهاجم بعنف البرجوازية الجزائرية.¹

فكرة الاستقلال كانت موجودة من اليوم الأول لدى التيار الثوري وجرى نقاش طويل حول مسألة إدراجها في برنامج الحزب، وكان الحذر نابعا من أمرين:

- أولهما الخوف من تبعات كلمة الاستقلال، والذي قد تبديه الفئات الأخرى المعادية للاستعمار، أو ما يسمونهم البورجوازيين، والبورجوازيين الصغار (التجار، والعناصر المؤثرة اجتماعيا ودينيا) الذين لم يألفوا كلمة الاستقلال.

- وثانيا خوف الأهالي من أجهزة الاستعمار، ومدى استيعابهم لهذه الكلمة، ومن جهة أخرى إذا تم حذف كلمة الاستقلال يصبح برنامج المولود الجديد فارغا من محتواه، يماثل برنامج الإدماج وأدنى من برنامج الأمير خالد.²

وكان داخل الحزب سجال حول خط الحزب، وهنا يذكر محمد حربي ثلاث حوادث بارزة انتصرت فيها القوى الثورية في الحزب على الجناح المناادي بالإصلاح وهي:

- جلسة مؤتمر النجم سنة 1933 والتي منع فيها ازدواجية الانتماء، وهكذا انعتق نهائيا النجم والقومية الجزائرية من الوصاية الأبوية التي كان يمارسها الحزب الشيوعي.

- تجمع العاصمة الذي دعا إليه المؤتمر الإسلامي 1936 حين رفض مصالي كل تبعية لفرنسا.

- حركة أحباب البيان 1944- حين قررت جلسة مارس 1945 النضال من أجل دولة مستقلة متحدة مع باقي دول المغرب العربي وكرست مصالي زعيما أوحدا.³

¹ -charles -robert ageron : «l'association des étudiants musulmans nord-africains en france durant l'entre-deux-guerres, contribution à l'étude des nationalismes maghrébins», revue française d'histoire d'outre-mer, le nombre 1983, p38.

² - بوقصة: مرجع سابق، ص 348-350.

³ - حربي: الثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 136.

4- دور الهوية في انفصال النجم عن هيمنة الحزب الشيوعي

تتكون الهوية من شبكة من الانتماءات والمعايير، ويأخذ مفهوم الهوية طابعاً سيكولوجياً وفلسفياً بالدرجة الأولى، يوظف للدلالة على ظواهر مادية غير إنسانية، بينما يأخذ مفهوم الانتماء؛ طابعاً سوسولوجياً، ويوظف غالباً؛ في مجال الأدب، والسياسة، وعلم الاجتماع، بالدلالة على الظاهرة الإنسانية؛ دون غيرها من الظواهر.¹

قبيل تأسيس نجم شمال إفريقيا فإن المجموعة الأولى المكونة للنجم من خلال نشاطهم لصالح الحزب الشيوعي، تفتنوا لوضعيتهم الغامضة كمغرر بهم، فهم غرباء مرتين، عن الوطن وعن القضية، هنا كانت الانطلاقة الحقيقية، فكان رد فعلهم إعطاء مشروع نشاطهم توجهها سياسياً، بعيداً عن إشراف الحزب الشيوعي الفرنسي.² وقد أيقظت ثورة الريف في المغرب الوعي بالحقيقة التالية: كيف لمسلم أن يحارب مسلماً آخر، وكان الجواب في إحدى البيانات التي أصدرها نجم شمال إفريقيا فيما بعد، في بيان (7 سبتمبر 1927)، جاء فيه «لقد آن الأوان لكي نضع حداً لما يحاك ضدنا، وضد مصالحنا المشتركة، وضد ديننا الحنيف، حتى لا تتكرر مشاهد (جرائم الريف)، التي أظهرت لنا كيف أن مسلمي المغرب والجزائر وتونس، كانوا يقاوتون إخوانهم الريفيين؛ بجريرة أنهم كانوا يدافعون عن حرياتهم وعن أراضيهم؛ ضد أطماع المستعمرين».³

يقدم لنا عمر خيضر شهادة سي الجيلالي محمد السعيد عن ظروف النجم في بداياته فيقول: «كان أكثر ما نخشاه قمع السلطات الفرنسية، قبل أن تغرس المنظمة بين الجماهير، فقررنا البحث عن غطاء للحماية، وهو ما حملنا على أن نطلب من الحزب الشيوعي الفرنسي، إن كان بوسعه أن يوفر لنا الحماية».⁴ ورغم أن الجزائريين التزموا بالعمل النضالي إلى جانب الشيوعيين، إلا أن الفارق موجود في رؤية الطرفين، وهو ما عبر عنه أحد قادة النجم بقوله: «كنا نريد الاستقلال أقرب ما يمكن بل فوراً»، أما الشيوعيين فينظرون لشعار الاستقلال كوسيلة للتعبئة فقط.⁵ لذلك قرر حزب مصالي الانسلا والابتعاد من هيمنة الحزب الشيوعي على مراحل، وحتى يكون النجم حراً حين ينادي بالاستقلال فضل الاستقلال

¹ - علي أسعد وطفة وآخرون: الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر (علي أسعد وطفة: إشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2013، ص ص 153-172. بتصرف.

² - محمد مشاطي: مرجع سابق، ص 126.

³ - ثنيو: مرجع سابق، ص 209.

⁴ - قداش: الحركة الوطنية، ج 1، مرجع سابق، ص 258.

⁵ - بوقصة: مرجع سابق ص 395.

بقراره عن هيمنة الحزب الشيوعي، واختار النجم توجهها وتحمل تبعاته، مؤكدا توجهه الوطني الإسلامي، فكان أن توقف الحزب الشيوعي الفرنسي عن دعم النجم، بعد أن أعلن النجم عن هدفه وخطه صراحة، رافعا شعار استقلال الجزائر، ويرى الباحث بوقصة إن ولادة النجم على أرضية البراغماتية، جعل تكتيك التغطية والرباط المتميز مع الحزب الشيوعي مستتدة في نفس الوقت وتلعب على ورقة شرط الاستقلالية العضوية والسياسية للنجم، وقد عرف النجم مخاضا عسيرا عند ولادته، حين تم طرح الإشكالية التالية: علي أي أساس نخاطب الجماهير؟ هل نحن شيوعيين؟ أو قوميين؟ ولهذا تطلب الأمر لضمان استمالة الجماهير عند الكلام عن النجم عدم الكلام عن الحزب الشيوعي.¹

أدرك التيار الثوري قد أنه لكي يطالب باستقلال الجزائر، يجب أن يكون قراره حرا من كل ضغط أو وصاية تكبل قراراته، لذلك فإن مصالي وجماعته، اضطروا في النهاية، إلى التماس الاستقلالية عن الحزب الشيوعي، خاصة بعد ظهور عدم التطابق الواضح بين المفردة ومعناها في الواقع الجزائري، بالنسبة لخطاب الحزب الشيوعي الفرنسي.²

بطرق ونبرة تراوحت بين التلطف، والتشدد، استطاع حزب مصالي بعد بروز ملامحه الأولى من الانسلاخ على مراحل من هيمنة الحزب الشيوعي، بداية بالاستقلال تنظيميا عن الحزب الشيوعي، ثم فك أسره من الناحية الإيديولوجية.³ وكانت مسألة الهوية حاضرة حتى في المسائل التنظيمية ومسائل العضوية، ومن ذلك تقرير النجم فيفري 1927 الذي نص على أن: «مسلمي شمال إفريقيا فقط يمكن لهم أن يكونوا أعضاء عاملين في الجمعية، وهم يتعهدون أثناء انتسابهم باحترام نظام الجماعة، في حين أن الأعضاء غير المسلمين لن يكونوا سوى أعضاء شرفيين».⁴ ولحسم النزاع بين مسيري النجم والحزب الشيوعي، عقدت جمعية لمانضلي شمال إفريقيا وعمالها في 1928 في قاعة بالدائرة الثالثة 45، شارع بروطانيا، لاتخاذ قرار لتحديد علاقة النجم بالحزب الشيوعي الفرنسي، فتم طرح السؤال التالي على الحاضرين: «هل ترغبون في التبعية للحزب الشيوعي الفرنسي، أو تشكيل منظمة مستقلة على أساس وطني؟» وكانت نتائج هذا الاقتراع المصيري أن تبني الحاضرون بإجماع الصيغة الثانية، وبذلك كان خيارهم نجم شمال إفريقيا مستقل عن وصاية الشيوعيين.⁵

¹ - بوقصة: ص 359، 360.

² - ثنيو: مرجع سابق، ص 189.

³ - نفسه: مرجع سابق، ص 18.

⁴ - بوقصة: مرجع سابق، ص 374 - 376.

⁵ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية ج1، مرجع سابق، ص 327.

المبحث الثاني: نشاط التيار الثوري في أرض الوطن

1- استثمار الاصطفاة الهوياتية في الجزائر

تهيأت الظروف لعمل سياسي في الجزائر فقبيل نقل نشاط النجم إلى الجزائر فإن روح التغيير ومحاولة البعث كانت سارية لدى نخب العالم الإسلامي تتبعث* هنا وهناك، وتتواتر أخبارها إلى الجزائر رغم الجو الاستعماري القاتم، وكانت تلك الأحداث حافزا لإيقاظ الشعور العام، حيث تواترت الأنباء عن فعاليات تقام لتدارس الوضع، ساهمت بزخمها في زيادة الاهتمام بالقضايا العامة وزادت من التطلع لكل ما هو جديد، وهيأت النفوس للعمل ونذكر منها:

-انعقاد فعاليات المؤتمر الإسلامي العالمي الذي انعقد في القدس في 1931.

-تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931. والتجاوب مع أحداث قسنطينة 1934 بين اليهود والمسلمين. - وانعقاد المؤتمر الثاني لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بالجزائر سنة 1932، والمؤتمر الخامس بتلمسان سنة 1935.

-والزخم المصاحب لفعاليات المؤتمر الإسلامي 1936. كل هذه الأحداث شكلت تأثيرا هائلا على درجة الوعي بالهوية؛ وإرادة المقاومة لدى الجماهير، فساهمت في نمو تقبل التغيير.¹

تمنح الهوية القومية أبناء الأمة الشعور بالثقة والأمن والاستقرار والطمأنينة، كما أن الهوية المشتركة، أو محاولة تحقيق الاندماج الاجتماعي؛ ليس بضرورة إزالة الانتماءات الفرعية؛ بقدر ماتعني ضمان عدم تضارب بين الهوية المشتركة؛ والهوية الفردية. ويتميز مفهوم الهوية بطابع الشمولية، ويشكل الانتماء عنصراً من عناصر الهوية.² وفي المغرب العربي وفي الجزائر خصوصا تتداخل العروبة والإسلام في الفكر الشعبي، عكس ما حدث في المشرق العربي بداية القرن العشرين، حين انطلقت بعض النظريات في المشرق العربي تربط العروبة باللغة وحدها لكل ناطق بالضاد، لا فرق في ذلك بين المسلم وغير المسلم، ونظرا لعوامل تاريخية تتداخل هنا في المغرب العربي عناصر القومية، كبنية متلاحمة في الضمير الشعبي، فالقومي في نظر العامة مسلم عربي، والعروبة هنا ليست مسألة

* إضافة للحركات الجهادية، برزت شخصيات دعت للإصلاح مثل بديع الزمان سعيد النورسي في تركيا وجهود السلطان عبد الحميد الثاني. وجهود أبو الحسن الندوي ومحمد اقبال في الهند. وحسن البنا في مصر وفي المغرب العربي نجد خير الدين التونسي وعبد الرحمن الثعالبي في تونس. وجهود عبد الحميد بن باديس وجمعية العلماء في الجزائر.

¹ - قنانش، وقداش: النجم. مرجع سابق، ص 261.

² -علي أسعد وطفة وآخرون: الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر (علي أسعد وطفة: إشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2013، ص ص 153-172. بتصرف.

عرقية، إذ تشمل العناصر الأمازيغية في مواجهة الآخر المستعمر، فالصورة تختلف فيه تماما عن المشرق العربي، خصوصا في الجزائر، فالعروبة والإسلام متكاملان، متناغمان عموما وهما مقياس الوطنية التامة في تاريخنا الحديث، فالوطني في الجزائر هو القومي، وأيضا العربي هو المسلم في الفكر الشعبي، وهذا هو ذلك بالضرورة.¹

في الوقت الذي يكون فيه أي مجتمع متعدداً بانتماءات وفئات سياسية أو اجتماعية، هنا يأتي دور السياسيين للعمل على هذه دمج الانتماءات المتنوعة من أجل الوصول إلى لحمة وطنية صلبة في مواجهة العدو، تمثل مصالح الجماعة بانتماءاتها الطبيعية المختلفة. وهو ما يحيلنا لنجاح حزب مصالي في جمع الجزائريين للعمل من أجل تحقيق هدف واحد على اختلاف مناطقهم، وقبائلهم وطرقهم الصوفية، ومذاهبهم. وهو ما كان يدركه رجال التيار الثوري ورواده، حين استطاعوا تجاوز كل الاختلافات بين مكونات المجتمع المسلم في الجزائر فالعمل للجزائر قد جمع مصالي التلمساني مع مفدي زكريا الميزابي كما جند رجالا من كل أنحاء القطر.² فحين نرى مفكرا أو سياسيا هنا ينطق باعتزاز، وفي شموخ أنه وطني، فهو يعلن وجدانيا أنه مرتبط بهم قومي عام، في فضاء حضاري عبر المساحة الجغرافية: ثقافة، تاريخ، ولغة، وعقيدة، وفي مختلف المواقع بالمحيط الشعبي نفسه، فإن أحدهم حين ينفعل سلبية أو إيجابا نحن العرب، وهو يفكر نحن المسلمون؛ من دون أن يلغي إذن إسلامه وعرويته.³ وفي مواجهة الدعاية الاستعمارية التي تروج لنظرية عدم وجود أمة أو ماضي سياسي للجزائر، فإن التيار الثوري كان حريصا في كل مرة على إثبات وجود الأمة الجزائرية كقاعدة لمذهبه، وذلك- كما يرى مهساس- عبر إثبات وجود هوية وطنية ضد المحتل الأجنبي، وليس إثبات تميز الشعب الجزائري عن الشخصية القاعدية للأمة العربية الإسلامية، وهذا لا يتنافى كون أنه كان للجزائر كيان تاريخي سياسي متميز، فوجود هذا الكيان ثابت في التاريخ سواء في التاريخ القديم أو الوسيط أو الحديث، سواء أطلقنا عليه دولة أو اسم أمة، أو اعتبرناه جماعة إنسانية مهمة، يميزها الوعي بوحدتها وإرادتها في العيش المشترك، وتكوين مجموعة سياسية على إقليم معين، أو مجموعة أقاليم محددة ومشخصة في سلطة ذات سيادة.⁴

¹ - ينظر: عمر بن قينة: الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، صص 75-78.

² - علي أسعد وطفة وآخرون: مرجع سابق، ص ص 153-172. بتصرف

³ - عمر بن قينة: المرجع السابق، ص ص 75، 78.

⁴ - مهساس: الحركة الثورية، مرجع سابق، ص 28.

2- بناء الذات والتشديد على ملامح مستقلة

تظهر الهويات الاجتماعية من خلال علاقة جماعة بالجماعات الأخرى، فالتمييز والتعصب المتبادل، ينتجان من الاختلافات بين الجماعات، حتى أنّ الجزء الأكبر من مفهوم الذات، لدى الأفراد يشق من عضويتهم في جماعة أو هوية اجتماعية.¹ والحديث عن مسألة الانحياز والاصطفاف والهوياتي يحيلنا لمقولة دينيس كوش من أن: «الهوية سابقة للفرد، ليس له الاختيار وليس له إلا أن يخرط فيها وإلا واجه مصير المهشم المنبت».²

بعد تراكم تجارب لأجيال من الوطنيين في الجزائر، أعتبر تأسيس نجم الشمال الأفريقي النقطة المفصلية التي شهدت تتويج جهود تلك الأجيال، وهو كعلم زمني، يعتبر بداية ارتقاء الحركة الوطنية الجزائرية، بمسألة الجزائر أمة ومجتمع، ومساهمة حاسمة في بلورة ملامح الأمة-الدولة الجزائرية، حين تم جعل الأولوية للاستقلال، فصارت الدولة القومية حقيقة قائمة، قاب قوسين أو أدنى، بعد أن استطاعت النخب بفضل جهاد طويل، من تحصين الملامح الخصوصية للمجتمع الجزائري المسلم.³ وقد تم ذلك بفضل نوعية الموضوعات التي شكلت أرضيات تعبئة للجيل الأول المؤسس للتيار الثوري. أي أن المنطلقات الفكرية التي أطرت نظرة التيار الثوري إلى الآخر، هي ذاتها التي حكمت استجابة الأنا وحددت أسلحتها، وشحذت الوعي دفاعا عن هوية الوطن وشخصيته التاريخية.⁴

ومنذ بداية تأسيسها، كان على عاتق مؤسسة النجم، مسألة إنشاء هيئة منظمة وحديثة وفعالة لنشر برنامجها السياسي، وقد نجحت في جذب الطبقات العاملة الأكثر حرماناً، ونجحت في الإشراف عليها، وإلهامها وإقناعها بتحقيق مستقبل ممكن، بفضل التأثير التكويني والتعليمي، كل ذلك ساعد في تنشئة جيل كامل من النشطاء الشباب الذين سيصبحون سياسيين موهوبين.⁵

عمد مصالي ومن ورائه التيار الثوري إلى بحث سبل وطرائق بناء الذات، والتعويل على القدرات الوطنية، وعدم ربط مصير الحزب بمصير الحزب الشيوعي، وهذا ما يوضحه مصالي في الفقرة الموالية بقوله: «يجب أن نأخذ هذا الرصيد (نشاط الأمير خالد ونضاله) في الحسبان، والنفخ فيه من جديد من وحي الكفاح اليومي، من أجل إحياء التراث النضالي لأسلافنا من أمثال الأمير عبد

1- محمد منير حجاب: مرجع سابق، ص ص 2603-2608.

2- كوش: مرجع سابق، ص ص 149-150.

3- ثنيو: مرجع سابق، ص ص 189، 210.

4- مالكي: مرجع سابق، ص 22. بتصرف.

5- Djanina Messali, Op. cit. p;45.

القادر، وإعطائه مضمونا سياسيا وتاريخيا، وربط الماضي بالحاضر، علينا أن نفكر ونتحدث بالعربية، ونخاطب أهالينا بالعربية ويفهمنا بقية العرب أيضا بالعربية»¹.

كان التيار الثوري يدرك استثمار عامل الدين باعتباره العنصر الأساس في الهوية، لنصرة القضية الوطنية، ذلك أنه من خلال الوقائع على الأرض فإن الاستعمار قوة معادية للإسلام، وباعتباره كذلك لا يمكن أن يواجه إلا بالتمسك والدفاع عن الدين وأرضه، ومنه كان التيار الثوري يرى ضرورة تفعيل دور الدين في المواجهة الشاملة ضد الاستعمار. ذلك أن قوة المحتل حري بأن تقهر ويقع تجاوزها فقط؛ عبر إحياء والدفاع عن عناصر الهوية، من دين ولغة، وذلك بإقامة تعليم يصون للغة العربية روحها، وتحفظ الثقافة على أصولها ومكوناتها العربية الإسلامية.² وانطلاقا من ذلك استطاع التيار الثوري إظهار أسس منطلقاته الهوياتية وأهدافه والسياسية؛ من قيم شعبه، ومن وحي تطلعات الشعب الجزائري المسلم. كما عمل على الاستفادة من زخم الحياة العمالية الفرنسية ليستنسخها ويقولها في معركته ضد الاستعمار كمسألة وطنية بأبعادها وتعبيراتها الجزائرية، بداية في فرنسا؛ لتنتقل إلى الوطن بعد أن صقلت تجربته المهجر، كخطوة مهمة في طريق طويل من الكفاح لاسترداد الدولة الجزائرية المسلمة، محدثا ثورة في المفاهيم النضالية.³

هنا يفهم أن الود لم يدم طويلا بين النجميين والشيوعيين، لاختلاف المشارب والمرجعيات والأهداف ولم يكن الانسجام تاما، بل كان اللقاء بينهما على قاعدة البراغماتية، وهذا ما يؤكد حاج علي عبد القادر أول رئيس للنجم حين أشار أن انضمامهم للحزب الشيوعي لم يقتلهم من جذورهم، ولم ينسهم هويتهم، بقوله «إذا سئلت شخصا سأقول إنني شيوعي ولكنني مسلم أيضا، لذا فقد انتسبت لنجم شمال إفريقيا»⁴.

وقد ولوحظ على مناضلي نجم شمال إفريقيا أنهم منضبطون، فهم يتحدثون باستمرار، ويستهلكون القليل، ولا يلعبون البطاقات أو الدومينو، غير أن القمع الاستعماري لم يدخر جهدا وسعى لتفكيك النجم، وملاحقة الوطنيين، وأمام نجاحات النجم، قرر الحزب الشيوعي وقف أو خفض المساعدات عن النجم، لكن مصالي اعتبر ذلك هدية حتى يعتمد على نفسه.⁵

¹ - ثنيو: مرجع سابق، ص 191.

² - مالكي: مرجع سابق، ص 22. بتصرف.

³ - ثنيو: مرجع سابق، ص 18.

⁴ - بوقصة: مرجع سابق، ص 360.

⁵ - Stora: op.cit, p p 73 , 75.

كان تخلي الحزب الشيوعي عن دعم النجم من أجل إجبار حزب مصالي على مسايرة السياسة العامة للحزب الشيوعي، وخطه الإيديولوجي؛ قد مهد لنتائج عكسية؛ وهذه النتائج لا تتعلق بقطيعة تامة للنجم مع التوجه السابق، بل بالتشديد على ملامح موجودة أصلا، حيث تراجع التحالف مع الحزب الشيوعي إلى الدرجة الثانية، وهو أمر فرض عليهم أن يستمدوا قوتهم أولا من الروح الوطنية الكامنة لدى الجماهير المسلمة، وأن يوجهوا نشاط واهتمامات النجم، إلى الاستفادة من قيم العروبة والإسلام، ومن ثم توجيه تحالفاته وتنميتها صوب الحركة القومية العربية، والحركات المغاربية، وبذلك اكتسب النجم بعدا عربيا اسلاميا.¹

وحتى يكون مطلب الاستقلال مؤسسا على قاعدة تؤيده، يشير مهساس أن التيار الثوري كان ملزما لإثبات وجود الأمة الجزائرية، كقاعدة لمذهبه، وفكرة رئيسية لحركته، وكان الهدف من إثبات وجود هوية وطنية، أن الأمر يستهدف إنهاء الاحتلال الفرنسي، وليس إثبات تميز الشعب الجزائري عن الشخصية القاعدية للأمة العربية الإسلامية، ومهما يكن فقد كانت الجزائر بكل وضوح؛ كيانا تاريخيا سياسيا متميزا، خاصة في العصر الحديث، فوجود هذا الكيان ثابت في التاريخ، سواء أطلقنا عليه اسم أمة، أو دولة، أو اعتبرناه جماعة إنسانية مهمة، يميزها الوعي بوحدته، وإرادتها في العيش المشترك، وتكوين مجموعة سياسية، على إقليم معين، أو مجموعة أقاليم محددة، ومشخصة في سلطة ذات سيادة.²

وتحصينا للوعي العام من خلال خطابه؛ انبرى التيار الثوري للدفاع عن معالم الوطن السياسية والثقافية، من خلال موقفه الرفض لإلحاق الجزائر بفرنسا الذي ورد في مطالب المؤتمر الإسلامي، ومهاجمة كل من تسول نفسه التساهل في حدود الهوية، وكانت جريدة الأمة لسان حال النجم لا تتحرج بالتشديد بكل من يدعو للجنس، أو ما شابه ذلك، فتم الهجوم بعنف من قبلها على السياسي بن جلول، ونددت بخياره لصالح المواطنة الفرنسية وبزملائه، حيث جاء في الأمة: «ليس من حق الدكتور بن جلول...ورفقائهم الحديث باسمنا وباسم الإسلام فهم لم يشرفوا الإسلام ولا المجتمع العربي، فبعدا لكم، يا من لا قلوب لهم ولا.. ولا كرامة، وعلى كل أولئك...الذهاب إلى الضفة الأخرى ليتجنسوا وليتركونا نعمل من أجل وطننا».³

¹ - بوقصة: مرجع سابق، ص 403.

² - مهساس: الحركة الثورية، مرجع سابق، ص 28.

³ - جريدة الأمة، مارس - أبريل 1936، عن قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج 1، ص 667. بتصرف

3- الوضع في الجزائر قبيل نقل نشاط النجم للجزائر

في الوقت الذي كان فيه التيار الثوري يخطو خطواته الأولى، ليقود معركة التحرير، كان الاستعمار في حالة من العنفوان والتمدد مع تلازم التهميش المتعمد للجزائريين، فحتى الاعتراف بالجميل للجزائريين من قبل الفرنسيين لم يكن وارداً حتى بالمجاملة بالكلام، بل إذا جاء كان مقروناً بالاحتقار والتكبر، مثل تصريح رئيس الوزراء الفرنسي إدوارد دالادييه Édouard Daladier حين قال: أن دماء الموتى والجرحى الجزائريين قد وفرت علينا الدم الفرنسي.¹ وقد وصل الحد أن ظن المستعمرون أن الاستقرار النهائي في شمال إفريقيا، فتنوعت عنجهيتهم في البلدان المغاربية وأخذ ذلك أشكالاً مختلفة نذكر منها:

- 1 - قيام الفرنسيين في الجزائر باحتفال ضخم بمئوية وجودهم في الجزائر، وسُخّرت لذلك موارد كبيرة، ورافق ذلك حملة دعائية استفزازية، بروح صليبية خدشت مشاعر المسلمين.²
- 2 - تم عقد مؤتمر لرجال الكنيسة بتونس وهو المؤتمر الأفخارستي بقرطاج بتونس 1930.
- 3 - فرض الظهير البربري* في المغرب الأقصى بتاريخ 16 ماي 1930.³ والذي صدر على عهد الحماية، وقد جاء بهدف إحلال الأعراف البربرية محل أحكام الشريعة الإسلامية في المغرب الأقصى، ويهدف كذلك إلى التفرقة بين السكان على أساس العرق، والتمهيد لسيادة القوانين الفرنسية.⁴ وينقل الأستاذ علال الفاسي من مداولات مشروع الظهير البربري المنعقدة في أكتوبر 1924، حيث يشير إلى أن مواده تدل على ما كان يخطط للمستعمار الفرنسي، لتدمير وحدة كل المغرب العربي، بتدمير التلاحم الموجود بين العرب والبربر. ففي ما يتعلق بالقضاء نقتطف من تلك المداولات الخاصة بمشروع الظهير البربري: «ليس من ضرر في تحطيم وحدة النظام العدلي في المنطقة...هناك فائدة سياسية مؤكدة في تحطيم المرأة»، أما مجال التعليم فمما جاء حوله نقتطف: «من الخطر أن نترك كتلة ملتحمة من المغاربة تتكون ولغتها واحدة وأنظمتها واحدة، لا بد أن نستعمل سياسة فرق تسد».⁵

وقد عرفت فترة العشرينات وبداية الثلاثينات من القرن العشرين زخماً واسعاً من الأحداث الدولية

¹ - ولد خليفة: الاحتلال الاستيطاني، مرجع سابق، ص 64 .

² - عبد الله مقلاتي: المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر 1830. 1954، د. المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014، ص ص 153-155.

*- الظهير البربري أصدره الاحتلال الفرنسي في المغرب في 16 ماي 1930، في عهد المارشال ليوتي Lyautey، وقانون الظهير البربري القصد منه فصل البربر عن الإسلام والعرب، حيث تم إصدار ظهير (قانون) مايسمى احترام التقاليد البربرية، بإسم الظهير البربري، والذي جرد الحكومة المغربية تحت الحماية من سيادتها على القبائل البربرية، حين أحدث محاكم عرفية (العرف فيها مقدم على الشرع).-

ينظر: الفاسي: الحركات الاستقلالية، مرجع سابق، ص ص 162-164.

³ - حربي: الثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 102.

⁴ - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 9، مرجع سابق، ص 10.

⁵ - الفاسي: مرجع سابق، ص ص 162-164.

كان لها تأثيراتها على الكثير من الشعوب، وقد تجاوزت معها الجزائريون، سواء في الداخل أو المهجر، حيث تتبعا أهم أخبار العالم الإسلامي، ومنها أخبار الدولة العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولى، خاصة حربها مع اليونان، وأخبار ثورة الأمير عبد الكريم الخطابي في المغرب الأقصى، وقضية الأمير خالد في الجزائر، وتداعيات الظهير البربري الشهير بالمغرب الأقصى سنة 1930، كذلك احتفالات فرنسا المئوية الأولى باحتلال الجزائر، وعقد المؤتمر الأفخارستي بتونس 1930،* وحول هذه الأحداث، يقول مصالي الحاج معلقا على ذلك: «لقد اتحد السيف والصليب لمواصلة الحروب الصليبية، والاستيلاء على المغرب العربي إلى الأبد، ولكن الظهير البربري قوى في الواقع، التضامن بين أهل المغرب العربي وحتى بين المغرب والمشرق، كل المشرق العربي الإسلامي وملوكه في المقدمة، كانت له ردة فعل ورفع احتجاجات على هذه القضية».¹

ومن أهم الأحداث في الجزائر التي ساهمت في حلحلة الوضع لدى الشباب الجزائري، انعقاد المؤتمر الخامس لجمعية طلبة شمال إفريقيا بتلمسان سنة 1935، وهنا يذكر محمد قنانش أنه كان يرأس المؤتمر الأستاذ الحبيب ثامر (تونسي) وفي هذا المؤتمر كان التونسيون بجبتهم الوطنية وحديثهم باللغة العربية، محل تقدير من طرف أهل مدينة تلمسان، ومنهم علال بلهوان، ومعه المنجي سليم، وحضر من المغرب عبد الخالق الطريس، ومن الجزائر مفدي زكريا ومحمد العيد آل خليفة وغيرهم، كما حضر الافتتاح من المعمرين الأوروبيين شيخ البلدية؛ المعروف بعذائه للعرب والمسلمين، وأخذ الكلمة ليتحدى الطلبة والمؤتمر والتاريخ، وقال في حديثه أن وحدة الشمال الإفريقي لم توجد مستقرا الحضور؛ ليأتيه الرد من علال بلهوان الذي ترجم خطاب شيخ البلدية إلى العربية، حيث رد عليه بالفرنسية، وأفحمه حتى خرج شيخ البلدية- الأوربي-مغتاظا، ومنع المؤتمر من عقد جلساته في قاعة البلدية، كما كان مقررا من قبل ليتطوع نادي السعادة؛ بفتح أبوابه للطلبة؛ حيث أقيمت جميع جلسات المؤتمر فيه.²

ومن خلال منظمة طلاب شمال إفريقيا، اهتدي مفدي زكريا، إلى نجم شمال إفريقيا الذي كان قد نشر برنامجه السياسي سنة 1933، وجاء البرنامج المذكور، متضمنا لكل الأهداف التي كان يحلم مفدي زكريا بتحقيقها منذ أن كان يافعا، واستطاع مفدي أن يصعد بسرعة فائقة سلم المسؤوليات في هذه

*- المؤتمر الأفخارستي (سلسلة من المؤتمرات الدينية الكاثوليكية) عقد في 16-17 ماي 1930 بقرطاج في تونس وإمعانا نصب تمثال للكاردينال لافيجري مؤسس مدارس الآباء البيض في العاصمة تونس سنة 1925.

¹ - مصالي: مرجع سابق، ص 153.

² - قنانش، وقداش: النجم. مرجع سابق، ص 261

التشكيلية السياسية، وأن يتفاعل بصدق وإخلاص مع كل ما جاءت به إيديولوجيتها، ولم يمض وقت طويل؛ حتى أصبح مفدي زكريا واحدا من المنظرين الأساسيين للنجم، ومن خطبائه المفوهين، ومن القادة البارزين المعتمد عليهم.¹

وعن المؤتمر الخامس لجمعية طلبة شمال إفريقيا بتلمسان سنة 1935 يقول محمد قنانش: «أنه أثناء جلسة مناقشة موضوع تعليم العربية، تدخل الشيخ الهادي السنوسي بقوله: هل لديك قوة الرفض، لأن جمعية العلماء تناقشت في الموضوع، واتخذت قرارات ولكن بقيت حبرا على الورق، وهنا نطق شخص من بعيد وقال «الثورة هي التي ترفضه» يضيف قنانش: «عرفت من بعد أن صاحب كلمة الثورة هو الشاعر مفدي زكريا*، وقد ترك مؤتمر الطلبة بتلمسان، أثرا حسنا لا زال يذكر، فالصفحة التي تلقاها شيخ المدينة، وخروجه من القاعة مدحورا لا تُنسى مدى الدهر». وكانت هذه المؤتمرات ذات أهمية، إذ فتحت المجال للتفكير في إقامة نشاطات مماثلة، وحلحت الجمود الثقافي، وخلقت نوع من التفاعل الايجابي مع قضايا الأمة، وهيأت الشباب لتلقي المزيد، وكانت فاتحة للنشاط التعبوي فيما بعد.²

¹ - محمد العربي الزبيري: المثقفون الجزائريون والثورة، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والاشهار، الجزائر، 1995، ص37.

*- قبل ان يلتحق مفدي زكريا بالنجم كان له نشاط حثيث في منظمات التنسيق المغاربية، منها خطاب ألقاه بمناسبة افتتاح المؤتمر الرابع لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين الذي انعقد بتونس سنة1934.(نلاحظ نوعية الخطاب السائد آنذاك والذي عبره اهتدي مفدي زكريا إلى نجم شمال افريقيا، بعد نشر برنامجه السياسي).- جاء في هذا الخطاب ما يسمى بعقيدة التوحيد موزعة على نقاط عشر :

- 1- امنت بالله ربا، وبالإسلام ديننا، وبالقرآن إماما، وبالكعبة قبلة، وبسيدنا محمد نبيا ورسولا، وشمال إفريقيا وطنا واحدا .
- 2- أقسم بوحداية الله أنني أومن بوحداية شمال إفريقيا واعمل في سبيل ذلك مادام في قلب خائف ودم دافق ونفس عالق.
- 3- الإسلام ديننا - شمال إفريقيا وطننا. العربية لغتنا.

- 4- لست مسلما ولا مؤمنا ولا عربيا اذا لم أبذل نفسي ومالي ودمي في سبيل تحرير وطني العزيز من أغلال العبودية، واخرجه من ظلمات الجهل والفاقة إلى نور العلم والرفاهية والعيش السعيد.

- 5- كل مسلم بشمال إفريقيا يؤمن بالله ورسوله ووحدة شاله هو أخي وقسيم روحي، فلا أفرق بين تونسي وجزائري ومغربي، ولا بين مالكي وحنفي وشافعي وإباضي وحنبلي، بل كلهم إخواني أجبهم وأحترمهم وأدافع عنهم ما داموا يعملون لله وللوطن وإذا خالفت هذا المبدأ، فإنني أعتبر نفسي أعظم خائن لدينه ووطنه.

- 6- كل من عمل النفرقة بين أجزاء وحدة وطني اعتبره اكبر عدو لي ولوطني وأحاربه بكل وسيلة ولو كان أبي أو أخي.

- 7- وطني شمال إفريقيا له ذاتيته المقدسة، وتاريخه الباذخ، ولغته الكريمة وجنسيته الشرقية، وكل من سولت له نفسه الانسلاخ عن هذه الجنسية اعتبرته أبقا من وحدة وطني، خارجا عن جماعة المسلمين...وقد تبين الرشد من الغي فلا اندماج، ولا استجداء، نحن طلاب حق مغصوب، وتراث مسلوب، فيجب أن نناله وكفى، فلا منزلة بين المنزلتين إما وطني صميم، وأما خائن أئيم.

- 8- نحن لا نبغض الأجناس، فالكل عباد الله، والأجانب الذين يعيشون في بلادنا نحترمهم ما داموا يحترمونا... ، فإذا رعوا حق صاحب الدار رعينا حق الضيوف، لهم مالنا وعليهم ما علينا، هذا أمر ديننا الحنيف، وبهذا تأمر ضمائرنا الطاهرة.

- 9- وطننا شمال افريقيا لا يتجزأ من جسم الشرق العربي نفرح لفرحه ونتألم الامه، ونتحرك لتحركه، ونسكن لسكونه، تربطنا به إلى الأبد روابط اللغة والعروبة والاسلام. - العربي الزبيري، المثقفون الجزائريون والثورة، ص 36، 37.

² - قنانش، وقداش: النجم، مرجع سابق، ص261.262.

4- النجم في أرض الوطن

بعد أكثر من عشر سنوات من النضال في أرض المهجر، رأى التيار الثوري أن الوقت حان لنقل المعركة إلى أرض الوطن، بعد أن اطمأن لجذوره في الضفتين، إضافة للظروف المناسبة التي أتاحت للنجم أن يعرّف بنفسه لدى الجماهير في أرض الوطن؛ هنا قرر قادة التيار الثوري إعطاء أهمية للعمل في الوطن عبر استثمار الحراك المصاحب للمؤتمر الإسلامي؛ والذي رغم الزخم الذي صاحبه؛ إلا أنه كانت تنقصه جسارة التيار الثوري،¹ خاصة أن التيار الثوري رفع شعار الاستقلال بصياغة كانت أكثر إصرارا على مسألتي التحرير والاستقلال في مؤتمر بروكسل 1927، وهو المضمون الحقيقي الذي كان يتطلع إليه المسلمون الجزائريون في إطار الإسلام وجغرافية العالم العربي.²

يعود الفضل في وصول أفكار النجم إلى أكبر عدد من الجزائريين في فرنسا وفي الجزائر لجريدة الأمة. ففي البداية شكل المتعاطفون مع التيار الثوري الأكثر نشاطا؛ مجموعات باسم أحباب الأمة، لدعمها وضمان توزيعها، ومنهم المناضل محمد مسطول، الذي عمل على نقل جريدة الأمة من باريس إلى الجزائر وتسريب أفكار النجم، وكان له الفضل منذ سنة 1930 في الاجتماعات الأولى التي قررت إنشاء أول فرع للنجم الجزائر.³

يذكر المناضل محمد مسطول قصته مع النجم فيقول: «ففي الجزائر قررت مجموعة المناضلين التي كانت تشكل بعض القسامات في ماي 1933، عقد جمعية عامة لكامل القسامات المتواجدة بالجزائر العاصمة وما جاورها، كان الهدف يتمثل في تعيين مندوب لحضور مؤتمر نجم شمال إفريقيا بباريس، ويضيف مسطول: تم اختياري لهذه المهمة كمثل عن قسامات الجزائر قاطبة، تنقلت إلى باريس خفية من أجل تفادي الشرطة، ولدى عودتي كنت محملا بالعتاد اللازم للقسامات، مناشير، برامج العمل، بطاقات الانخراط.. إلخ. كما عرفت سنتي 1934 و1935 تأسيس قسامات الجزائر، بوفاريك، البليدة، تلمسان، قسنطينة، سكيكدة... إلخ. وهكذا ظهر أن تأسيس لجنة قيادية للجزائر ضروري فقررت هذه القيادة الجديدة فيما يخص الجزائر العاصمة تحويل القسامات الفرعية، إلى لجان نقابية ولجان أحياء، بغية صرف نظر الشرطة عن مناشيرنا وملصقاتنا».⁴

¹ - مشاطي: مرجع سابق، ص 126.

² - ثنيو: مرجع سابق، ص 210 .

³ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، مرجع سابق، ص 388

⁴ - قناش، وقداش: نجم شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 143، 144.

وتمهيدا لعمل النجم في الجزائر انعقدت في العاصمة في ماي 1933 جمعية عامة لمنظمة أحباب الأمة للعاصمة وضواحيها، وتم تعيين محمد مسطول* ليمثل فروع الجزائر في المجلس الوطني لنجم شمال إفريقيا في باريس بعد تأسيس فروع مدينة الجزائر ونواحيها، كذلك تم خلال سنتي 1934-1935 افتتاح فروع في تلمسان، وقسنطينة، وكذلك وسكيدة (التي كان يسميها المستعمر فليب فيل)، وفي سنة 1935 أصبح نجم شمال إفريقيا منظمة تعنى أساسا بالمشاكل الجزائرية، بعد أن التحق التونسيون بمنظمتهم «الدستور الجديد» الذي تأسس في مارس 1934، وانضم المغاربة إلى جمعية العمل المغربي التي أنشئت خلال صيف 1934.¹

كانت باكورة العمل العلني للتيار الثوري في الجزائر هي خطبة مصالي الحاج في الملعب البلدي بالعاصمة في الثاني أوت 1936، وهو الحدث الذي سيأتي تفصيله، حيث استطاع مصالي الحاج أن يجذب إليه أنظار الجماهير الحاضرة ومن ورائهم الشعب.² وفي خضم هذه الأجواء النضالية ومع نقل مصالي لنشاطه الحزبي إلى أرض الوطن، لم يمر عام حتى استطاع تأسيس ثلاثة عشر فرعا في الجزائر و31 فرعا قيد الإنشاء، ومع هذا المجهود الجبار ولدت أسطورة الحزب، والزعيم، والجهاد،³ وكمثال على التجمعات الأولى التي جمعت النجم بالجماهير، ذلك التجمع الذي تم بقاعة سينما بالعاصمة يوم 25 سبتمبر 1936، حيث حضره 3000 شخص من المناضلين، وبعد خطاب لمصالي صودق على البيان الختامي، الذي جاء فيه بأنهم «يطالبون باحترام وتطبيق معاهدة 5 جويلية 1830 والتي التزم بواسطتها المارشال الفرنسي دي بورمون de Bourmont بشرف فرنسا، باحترام الإسلام، وتجارة الشعب الجزائري، وعاداته، وتقاليده».⁴

وحول الظروف التي سبقت بدايات تواجد النجم في الجزائر؛ يذكر مصالي الحاج أنه في حدود

* في شهادة المناضل محمد مسطول عن بدايات النجم في الجزائر أنه انتقل الى باريس سنة 1930 وبالصدفة عرضت عليه جريدة الأمة وقد أثار محتواها اهتماما كبيرا لديه، يقول: «لاسيما وأني كنت قد تعرضت منذ فترة قصيرة لعدد من المضايقات في الجزائر بفعل كوني من الأهالي فوعيت بأنني لست مواطنا كامل الحقوق في بلادي... أوليت لهذه الصحيفة العناية الكافية من أجل حملها معي لدى عودتي إلى الجزائر العاصمة»، «في أكتوبر 1933 طلب في هذا العدد مساعدة جريدة الأمة، عن طريق الاكتتاب، انهمكت على الفور في العمل، جمعت مبلغا وطلبت إرسال عشرين عددا من جريدة الأمة، لدى كل صدور لها، وبمساعدة الإخوة، كنا نقوم بتوزيعها في الجزائر مجانا بهدف الدعاية، وهكذا أسست أول خلية للحزب». - ينظر: قناش، وقداش، نجم شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 143، 144.

¹ - قداش: الحركة الوطنية، ج1، مرجع سابق، ص ص 498- 508 .

² - مصالي: مرجع سابق، ص ص 207.

³ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، مرجع سابق، ص ص 677. 678.

⁴ - جريدة الأمة: سبتمبر-أكتوبر 1936، عن محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية ج1. ص ص 696.

سنة 1936، كان هناك القليل من المناضلين وفي صمت، ساعدوا على توطين وترسيخ نجم شمال إفريقيا في الجزائر، وكمثال على جنود الخفاء؛ يضرب مصالي مثالا بالأخوين راسم؛ وهما من الذين كانوا يعملون لصالح النجم دون إثارة انتباه أحد، فيقول: السيد عمر راسم، وأخوه السيد محمد راسم، كانا فنانيين من الطراز العالي؛ قد أعانانا مثلا في سنة 1936 مع آخرين لم أتذكر أسماءهم. إضافة لكون هذين الأخوين راسم* أحيوا فن النممة العربية؛ برسم مشاهد من الحياة العاصمية زمن مجد الدول الإسلامية، وبطولات عروج خير الدين، وذلك بكثير من الفن والرقعة.¹

يقول مصالي في مذكراته إن حزينا في الجزائر، كما في فرنسا، هو الحزب الوحيد من نوعه؛ إنه وطني ويقوده جزائريون عرب ومسلمون، وهو يرى أن يأخذ في الاعتبار ماضيها التاريخي، وحضارتنا التي تستنبط مادتها من المبادئ الإسلامية دون التورط في أي تعصب.² ولمعرفة أجواء النضال في بدايات انتشار أفكار النجم في الجزائر، نضرب مثالا بمدينة تلمسان باعتبارها موطن مصالي الحاج، فكانت السبابة للانضمام للنجم، يقول محمد قنانش: «أصبح تلاميذ الكوليج دوسلان الثانوية الوحيدة التي كانت موجودة بتلمسان، في هيجان ونشاط، فمن نشر في جريدة الأمة والدعاية لها، إلى اكتتاب لصالح الجريدة، إلى تحد للأساتذة الذين كانوا ينكرون وجود أمة جزائرية... وقد اجتمعنا بممثليهم، ودرسنا الحالة معهم، وقطعا للفوضى، والمبادرات الغير المنظمة، قررنا إنشاء فرع لنجم الشمال الإفريقي، يمثل جميع الأوساط، يقوم بالتوعية والتنظيم، ونشر الجريدة بنظام، وهكذا تأسس الفرع التلمساني، كان سريرا وهذا يستوجب كثيرا من الحذر، وكانت نظرتنا إلى السياسة غامضة فالوطنية هي حب الوطن من الإيمان والتضحية واجبة من أجله، أما الإيديولوجية والاستراتيجية والأهداف والوسائل كلمات نسمعها ولا ندري كنهها تماما، ولم نتمرن على المفاهيم السياسية إلا في سنة 1936».³

...

*-الأخوين: عمر راسم، وعلي راسم، والشهير منهما عمر (عمر راسم 1884-1959 خطاط مشهور، وأحد رواد الصحافة في الجزائر، اشتهر بخطه العربي ومقدرته في رسم المنمنمات، والذي أسس مدرسة المنمنمات الجزائرية مع شقيقه محمد راسم. وهو من رواد الإصلاح في الجزائر، أسس جريدة الجزائر في 1908 ثم ذو الفقار في 1913 له مواقف وطنية مشرفة، من أوائل من حذر من خطر الحركة الصهيونية، سجنه الفرنسيون في الحرب ع1).

¹ -مصالي: مرجع سابق، ص ص207.

² -نفسه: ص 196.

³ -قنانش، وقداش: نجم شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص262.

المبحث الثالث: الهوية من خلال إعلام وشعارات «النجم»

كان التيار الثوري بمسمياته (نجم شمال إفريقيا، حزب الشعب، والحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية) يملك بطاقات، وله قواعد ومراسيم، فكانت الاجتماعات تبدأ بنشيد الحزب الذي ألفه مفدي زكريا، حيث يتم إنشاده والاستماع إليه بكل خشوع، مع السبابة مرفوعة إلى السماء، فقد كان للوطن والإسلام المعنى نفسه، فكذلك كانت رمزية الشهادة، تتداخل مع رمزية الحزب، فأثناء جولته في الجزائر وفي تجمعاته كان مصالي، يبرهن بالآيات القرآنية على صحة مبادئ حزبه ويندد بالإلماج والإلحاق.¹

1 - صحافة نجم شمال إفريقيا

لم يهمل التيار الثوري دور الإعلام والدعاية، فأولى أهمية خاصة لوسائل التواصل مع الجماهير والمحيط السياسي، فقد اهتم ببطاقات الاشتراك وشعارات الحزب وكل ما له دلالة من رموز مثل صورة الأمير خالد، والنجم والهلال، والعبارات المختارة المعبرة عن الهوية والانتماء، وكانت صحف الحزب قد نالت الحظ الوافر من الاهتمام والعناية، فمن خلال العناوين ذات الدلالة الهوياتية لصحافة التيار الثوري الأولى، يمكن قراءة التوجه المبكر لمجموعة الشباب الذين كونوا النجم، فهي عناوين تدل على ارتباط بالهوية والموروث الحضاري.²

كان اختيار النجميين اسم الإقدام لصحيفتهم الأولى يدل على تعلقهم بالأمير خالد سليل عائلة الجهاد، ومثل بقية الأحزاب الوطنية أنشأ النجم صحافة خاصة به، لكنها صحافة وطنية، تعبر عن مشاعر الجزائريين، وأعطوا لصحافتهم عناوين تتحدى الإدارة الفرنسية وسياستها الاستعمارية في الجزائر، وأول ما ظهرت من صحف النجم كانت صحيفة الإقدام، والتي من خلال عنوانها وشعارها؛ لا يخفى تصورهما للأهداف المرجوة، وهي العمل على التحالف وجذب أنصار الأمير خالد من البيورجوازية الجزائرية، لكن عمرها لم يطل بعد ثلاثة أعداد من أكتوبر 1926 إلى فيفري 1927.³

تم إحياء اسم جريدة الإقدام التي كانت تابعة للأمير خالد في باريس، عن طريق العمال المهاجرين، فسمى رواد النجم صحيفتهم الأولى الإقدام الباريسي، وفي هذا تعبير كبير على التواصل الوطني، بين الجزائر كبلد، وبلاد المهجر... فهو تحد وتواصل وارتباط وثبات، وأيضا سموا صحيفتهم

¹ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1 مرجع سابق، ص677، 678.

² - بوقصة: مرجع سابق، ص381.

³ - نفسه: ص381.

بعد ذلك جريدة الأمة في الوقت الذي تحاول فيه فرنسا القضاء على كل مقومات الأمة الجزائرية، وحينما أصدر رجال النجم "جريدة الأمة"، نصوا على أنها جريدة وطنية سياسية للدفاع عن حقوق مسلمي شمال إفريقيا، وشعارها تصدر الصفحة الأولى، وتمثل في رسم للهلال والنجمة، وكتب داخل الهلال الآية القرآنية الكريمة **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** آل عمران - الآية 103، هذا التوجه الناشئ عرض النجم ورجاله لمضايقات ومناورات من طرف الحزبيين الفرنسيين.¹

وستتاول صحافة التيار الثوري الأولى في عهد النجم ويمكن قراءة الارتباط الوثيق لتوجه النجم بموروثه الحضاري، ويتمسكه واعتزازه بهويته العربية الإسلامية من خلال العناوين:

-جريدة الإقدام الباريسي Ikdam de Paris

صدر من جريدة الإقدام الباريسي ثلاثة أعداد: أكتوبر 1926 - نوفمبر وديسمبر 1926 -جانفي فيفري 1927، وكانت الجريدة تطبع في مطبعة دار النقابات في باريس؛ بإشراف محمد معروف عضو النجم، كما كانت الجريدة تصدر باللغتين العربية والفرنسية (بمعدل صفحتين لكل لغة، وكانت لهجتها شديدة، وقد وصفها مذكرة إدارية بأنها كانت تدعو المسلمين الشمال افريقيين إلى الثورة ضد فرنسا، مما أدى في النهاية إلى توقيفها في 01 / 02 / 1927 ولكنها سرعان ما عاودت الظهور باسم آخر هو الإقدام الشمال افريقي.²

-جريدة إقدام الشمال الإفريقي Likdam Nord Africain

صدر منها ثلاثة أعداد خلال الأشهر التالية: -العدد الأول في ماي 1927، -والعدد الثاني عدد جوان وجويلية، - والثالث عدد أوت وسبتمبر من نفس العام، طبعت الجريد في مطابع لجنة المستعمرات، التابعة للحزب الشيوعي الفرنسي، وأشرف على العملية كل من الشاذلي خير الله التونسي؛ وكان عضوا في النجم، وعبد القادر الحاج علي. ولم تكن الجريدة تباع في الأسواق؛ وإنما كانت كسابقتها توزع في الاجتماعات الحزبية، وفي المهرجانات، ولم تكن لهجة إقدام الشمال الإفريقي لتقل حدة عن لهجة جريدة الإقدام الباريسي، وهذا ما حدا بالإدارة أيضا إلى منع صدور الجريدة، ولكن قيادة النجم ما لبثت أن اعادتها إلى الوجود باسم جديد.³

¹ - العلوي : مرجع سابق، ص ص99، 100.

² - أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري جذوره التاريخية والوطنية، ونشاطه السياسي والاجتماعي، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص ص 245. 246.

³ - نفسه: ص ص247، 248.

- جريدة إقدام نجم إفريقيا الشمالية L'Ikdam de l'Etoile Nord-Africaine

المعلومات ليست دقيقة عن هذه الجريدة، ولكن يبدو أنها صدرت في ديسمبر 1927 وكانت عنيفة للغاية، فأعلنت موقفها بلا مواربة، فخطها كان ضد الاستعمار الفرنسي، ومع استقلال ووحدة أقطار المغرب العربي، ودعت إلى تنظيم حملة واسعة ضد الاستعمار، وهاجمت المنتخبين المسلمين واعتبرتهم خدم الاستعمار، وكانت ترفع دائماً شعار: «يحيا استقلال الجزائر» وطالب العدد الصادر في جوان 1928 بالانسحاب الكامل لقوات الاحتلال، وتأسيس جيش وطني.¹

- جريدة الأمة EL-OUMA

بفضل جهود مناضلي التيار الثوري الأوائل؛ ظهرت عناوين بارزة كان لها دور في إيقاظ الهمم، وتعضيد الضمير الوطني؛ فبعد جريدة الإقدام وجريدة الإقدام الباريسي اللتين قامت فرنسا بحلها؛ أسس النجم صحيفة جديدة؛ هي جريدة الأمة بالفرنسية.²

كانت جريدة «الأمة» لسان حزب النجم، وهي جريدة وطنية سياسية للدفاع عن حقوق مسلمي إفريقيا الشمالية؛ وكان خطها الوطني التي انتهجته؛ قد أدى إلى نمو متوال للنزعة الوطنية الجزائرية للحزب، وهو ما عكّر صفو العلاقة بين النجم والحزب الشيوعي الفرنسي، وكّرّس حالة تنافر بين الخط الوطني للنجم، والخط الشيوعي للحزب الشيوعي، خاصة مع تعمد جريدة «الأمة» الرد وإظهار رموز التمايز المعبرة عن الهوية، وكل ما يستمد رمزيته من الحقل الإيديولوجي والثقافي الوطني، المناوئ للوجود الاستعماري.³

في أكتوبر 1930 صدر العدد الأول من جريدة «الأمة» بباريس، وهي لسان حال النجم، واختيار هذا الاسم لها ليس عبثاً، بل جاء ليعبر عن توجه التنظيم، فالصحيفة جاءت تحمل عنوانا بارزا باللغة الفرنسية EL-OUMA. -وبجانب العنوان هلال بداخله الآية الكريمة:

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا (سورة آل عمران الآية 103)،

- وتعلو الهلال نجمة مشعة.

- وبأسفل الهلال الكتابة العربية الآتية:

«جريدة سياسية للدفاع عن حقوق مسلمي إفريقيا الشمالية» وتقابلها كتابة فرنسية بنفس المعنى؛ وما عدا

¹ - الخطيب: حزب الشعب، ج1، مرجع سابق، ص 247، 248.

² - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص 243-268.

³ - ثنيو: مرجع سابق، ص 213. بتصرف

هذه الشعارات بالعربية، كانت الأمة تصدر باللغة الفرنسية.¹

ويعتبر العمل الأكثر أهمية في تاريخ نجم شمال إفريقيا، هو إنشاء جريدة الأمة في أكتوبر 1930، وكان شعارها «لسان حال الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين والمغاربة والتونسين»، وكانت مجلة شهرية، وكان مصالي مديرها السياسي، وعمر العيمش المسير، وعند صدور جريدة «الأمة» رحب بها المهاجرون أيما ترحيب، وقد اهتمت الأعداد الأولى لجريدة الأمة بتقديم تقارير عن نشاطات النجم وجداول الأعمال، لكن ما جلب إليها القراء هو لهجتها، فكانت تتكلم عن تجاوزات الشرطة، وتهتم بالعمال المطرودين من المصانع، وكانت توزع بصفة واسعة في الناحية الباريسية، وترسل نسخ منها إلى الجزائر وتونس.²

وبفضل جريدة «الأمة» استطاع النجم الوصول إلى أكبر عدد من الجزائريين في فرنسا، وشكل المتعاطفون الأكثر نشاطا مجموعات أحباب الأمة، لدعمها وضمان توزيعها، وفي الجزائر قام أحد المناضلين وهو محمد مسطول بنقل جريدة الأمة للجزائر، وكان له الفضل منذ سنة 1930 في الاجتماعات الأولى التي قررت إنشاء أول فرع للنجم الجزائر، وبفضل جريدة الأمة تسربت أفكار النجم إلى الجزائر.³

وقد كَوّن المناضل مسطول بعد عودته من باريس إلى الجزائر سنة 1930 فريقا من الشبان ليتولى توزيع جريدة «الأمة» سرا، حيث كان لهم نشاط ودور كبير في العاصمة في بدايات التعريف بالتيار الثوري، وكانت الأمة تتلقى التبرعات من المتعاطفين معها، من داخل الوطن من الجزائر، ومن تلمسان ووهران وسيدي بلعباس... ومن مناطق أخرى متفرقة من أرض الوطن، وتم توظيف عدة مناضلين بفضل الجريدة، وكان هدف جريدة «الأمة» هو توسيع قاعدة الحزب، فاستوتحت مقالاتها من القومية العربية، ومن تحاليل أحزاب اليسار، لتشكل إيديولوجيا خاصة بها.⁴ ونظرا لزيادة الطلب عليها زاد سحب جريدة «الأمة» بسرعة فمن 12000 نسخة سنة 1932، إلى 44000 نسخة سنة 1934، وكانت أعدادها ترسل لخارج فرنسا بالمجان.⁵

¹ - زوزو: الدور السياسي للهجرة، مرجع سابق، ص 105.

² - نفسه: ص 72.

³ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، مرجع سابق، ص 388. ينظر أيضا: قناش، وقداش: النجم، مرجع سابق، ص 141.

⁴ - نفسه: ص ص 367 - 369.

⁵ - زوزو: مرجع سابق، ص 72.

2- بطاقات الاشتراك وشعار الحزب، قدسية الانتماء و سحر الرموز

الانتماء هو إجابة عن سؤال الهوية في صيغة من نحن؟ والانتماء أيضاً هو صورة الوضعية التي يأخذها الإنسان؛ إزاء جماعة أو عقيدة، كما أنه يشكل مجموعة الروابط التي تشد الفرد إلى جماعة أو فلسفته، أما الولاء فهو الجانب الذاتي في مسألة الانتماء؛ يعبر عن أقصى حدود المشاركة الوجدانية والشعورية؛ بين الفرد وجماعة الانتماء.¹ ونظراً لرمزية وقدسية الانتماء؛ تكتسب الشعارات مكانة خاصة، فيظهر سحر التعلق بالشعارات تعبيراً عن صدق الانتماء، وقد جاءت بطاقة الاشتراك لنجم شمال إفريقيا وحزب الشعب لتعبر عن الهوية والانتماء بشكل واضح، وكان وصفها يتغير من طور لآخر:

- **أولى بطاقات النجم** : زينت أول بطاقات النجم بصورة الأمير خالد، لتأكيد الهوية والتواصل، ولرمزية الرجل وعائلته، ولأنه الرئيس الشرفي للنجم، أما البطاقة الثانية فكانت كذلك فيها رموز الهوية الإسلامية ظاهرة لا تخطأها العين، وكانت على الوصف التالي:

- على ظهرها الأيمن هلال يعلوه نجم. كتب بداخل الهلال بخط مغربي ما يلي :

-السطر الأول: الله، محمد. الآية الكريم **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** آل عمران-الآية 103.

-السطر الثاني: نجم شمال إفريقيا، جمعية الدفاع عن مسلمي الجزائر وتونس والمغرب ، عنوان مركزها باريس- ثم تلي الترجمة بالفرنسية للسطر الثاني، وعلى ظهرها الأيسر هذه الكتابة: «أيها المسلمون الجزائريون والمغاربة والتونسيون فلنتحد لنكن كتلة واحدة حول نجم الشمال الإفريقي للدفاع عن مصالحنا وتحررنا القوة في الاتحاد فقط».²

- أما البطاقة قبيل حل النجم نهائياً فكانت كالتالي:

- أعلى: النجمة والهلال الرمزي.- أسفلهما: حزب جزائري وطني موحد، لا يقبل تجنيساً ولا إدماجاً.

- بين النجمة والهلال: حب الوطن من الإيمان.

- داخل الهلال: الآية الكريمة **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** آل عمران، الآية 103.

- على يمين الهلال: «نداؤنا عاشت الجزائر حرة سعيدة بقيادة شعبها المقدس»

- على يسار الهلال شعار الحزب:«صرختنا الجماعية: الإسلام ديننا، الجزائر وطننا، العربية لغتنا».

أيضاً: «إن الذين يرغبون في إلحاق بلدنا والذين يريدون التنصل من أصلنا هم ألد أعدائنا وألد أعداء الإسلام».

- أسفل: «نجم شمال إفريقيا».³

¹ - علي أسعد وطفة وآخرون: الهوية وقضاياها... مرجع سابق، ص ص 153-172.

² - زوزو: الهجرة، مرجع سابق، ص 89.

³ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، مرجع سابق، ص 697.

3-1 اعتماد «العلم الوطني» الخطوة الأولى في مشروع استعادة الدولة

العلم الوطني الرمز الأكثر تعبيراً عن الهوية: باعتبار أن الذات الفردية أو الجماعية تجهد لإثبات الهوية، لأجل تحقيق بصمات مميزة لإثبات الاختلاف والتميز، وذلك من خلال المستوى المعرفي، أو المجال الرمزي أو المجال العملي (الإنتاج الفكري والمادي).¹ لذلك فإن كل عملية إظهار للهوية، هي خطاب موجه، والخطاب هنا هو كل مادة فكرية، أنتجت في نطاق تعريف جهة ما بنفسها، أو ببرنامجه، والتي قد تكون في سياق خطابي، أو كل رمزية ترد في سياق غير خطابي لإثبات الاختلاف والتميز.² ويتعبير آخر فإن الأهم في عملية إظهار رموز الهوية هو وضع حد بين هم ونحن، وإقامة ما يسمى بالحد الرمزي الاجتماعي، ومنه فإن العلم هو السمة الرمز لذلك، لكنه ليس كأبي رمز، فهو الرمز الذي يظهر للعلن في مشروع بناء الدولة، أو في إعادة بعثها، ليفصح عن واقع أو عن مشكلة ما، وكما يقول سارتر لتكون الهوية شيئاً محدداً يمكن المطالبة بها، ينبغي أن تكون مشكلة، حيث أن القضية السياسية للهوية لها قيمتها.³

العلم بصفة عامة يستمد رمزيته من حقل ايديولوجي معين، وفي كثير من الأحيان فإن الدين يعتبر أهم عنصر، وبالتالي فهو يعبر عن تناظر بين حقلين ثقافيين وحضاريين.⁴ وقدما اتخذت الدول والجماعات الراية والشعار، واتخذت الدول الحديثة العلم الوطني الذي يُعد رمزا من رموز الدول الحديثة، تتخذها الدول رابطاً لشعوبها، فهو يعبر عن الوطنية والانتماء، فمجرد رؤية العلم يُرفرف عالياً يبعث السكينة والاعتزاز، وللعلم مكانة خاصة عند الجماهير، فهو يعبر عن الأنا الجماعي، ذلك أن المهم لتحديد هوية جماعة، ليس جرد كل سماتها الثقافية، وإنما التعرف على ما تستخدمه تلك الجماعة من سمات لإبراز التمايز.⁵ وبذلك يُعد علم الدولة من أهم الرموز الوطنية لأي دولة، لذلك تحرص الدول جميعها على احترام هذا العلم، كما إنّه رمز للهوية، والمتحدث الرسمي دون صوت في المحافل الدولية والمحلية والخارجية كافة.⁶

ولم تكن مسألة «العلم الوطني» فكرة ابتدعتها النجم، بل كان العلم كتعبير عن وجود هوية موجودة أصلاً، والشرف لمن واصل المقاومة، ورفع العلم من جديد، فالعلم المقاوم للاحتلال بصفة عامة، لم يكن فقط مرتبط

1 - ولد خليفة: المسألة الثقافية: مرجع سابق، ص ص 96-102. بتصرف

2 - مالكي: مرجع سابق، ص ص 212-217.

3 - سعيد إسماعيل علي: مرجع سابق، ص ص 145، 152. بتصرف.

4 - حميطوش: مرجع سابق، ص 16، بتصرف

5 - ولد خليفة: المسألة الثقافية، مرجع السابق، ص 113. بتصرف. ينظر أيضاً- دينيس كوش: مرجع سابق، ص 153.

6 - علي مجيد العكيلي. ولمى علي الظاهري: حماية علم الدولة في التشريع العراقي، مجلة آفاق للأبحاث السياسية والقانونية، المجلد الثالث، العدد 5، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة عمار تليجي، الأغواط، الجزائر، جوان 2020.

بقيادة الأمير عبد القادر، أو المقراني، أو فاطمة نسومر، بل كان مرتبط أكثر بارتباط الجزائريين بالأرض والإسلام، ومن ثم الارتباط برموزهما.¹

-الحنين للعلم الوطني لدى الجزائريين: بما أن: «الهوية قد تتحول إلى استراتيجية، تستخدم الثقافة من أجل الصراع ونفي الآخر»،² فإن أقصر طريق للحشد يكون عبر استحضار وإظهار الرموز الثقافية في مواجهة الآخر، لذا كانت فكرة «العلم الوطني» مطلباً ظل باقياً في كل ما يرمز لنا المسلم الجزائري الذي يميزه عن الآخر المحتل، فالمهاجر الجزائري كان يجد ما يبحث عنه من خلال اطلاعه على الجرائد ذات التوجه الوطني، والتي كانت تعطي له سندا نفسياً قوياً وتترجم أحاسيسه، ومثال على الجرائد التي كان المهاجر الجزائري يجد ضالته فيها نجد جريدة الأمة التي نشرت في سبتمبر 1931 قصيدة عن حب الراية المفقودة نقتطف منه:

« في كل حفل تحييه باريس ينتقل نظري...
بين الألوان المرفرفة...
أبحث عبثاً عن الراية المقدسة...
رفعت جميعها فوق البيوت...
رايات جميع الأمم...
يهمني الأقدس...
الراية التي أبحث عنها...
أقصيت من بين غيرها...
إنها رايتي...
رايتنا...الخضراء المزينة بهلال...
غياياتها تؤلمني...
مثل المؤمنين الأولين...
سوف نغرس راية النبي...
هناك في نفس المكان الذي غابت عنه...
يا أبناء الإسلام سوف تدق ساعتنا
ويا راية محمد في كل مكان سترفرين».³

¹ - حميطوش: مرجع سابق، ص16، بتصرف

² - نفسه: ص105.

³ - جريدة الأمة: سبتمبر 1931- عن قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، مرجع سابق، ص38.

ونقلت صحيفة جريدة لاديفونس la Défense «الدفاع» للسيد الأمين العمودي؛ أنه أثناء أحداث 1934 بالعاصمة، كان الحديث عن راية خضراء يحملها المسلمون، مما حدى بالمستشار العام الفرنسي لمدينة عين بسام أن يصرح متسائلا: «بأنه يستغرب كيف أن أعمالا...أمكنا الوقوع بإشارة من راية خضراء؛ يعلوها هلال؛ في مدينة بها مقر الحاكم العام»، (تحطيم محلات ونهب أثناء الاحتجاجات).¹

العلم الحالي بدايته، وظهوره: خلال بدايات مساره تشبث التيار الثوري باستراتيجية تجمع بين المحافظة على التواصل الحضاري، والاستفادة القصوى من الوسائل العصرية، وكان التشبث بكل ما يرمز للهوية واضحا في دعاية الحزب، في الشعارات، والرموز، والأسماء، «ولعل أهم الخطوات التي خطاها النجم، على درب امتلاك الوعي بقيمة الدولة، هو اتخاذ العلم الوطني»، في شكل شعار في الصفحة الأولى من جريدة الأمة، لسان حال النجم، بدءا من تشرين الأول/ أكتوب 1930، فكان الشعار يتضمن نجمة خماسية الزوايا، ترمز إلى أركان الإسلام الخمسة، يشع منه نور الهداية والإيمان، وهلال كتب بداخله الآية الكريمة **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**.² سورة آل عمران، الآية 103.

يذكر مصالي الحاج عن بدايات قصة العلم الوطني الجزائري الحالي أنه: «بعد ماي 1933 عندما الانتقال إلى مقر النجم الجديد 19 نهج داغيز- بباريس في هذه الدار الفقيرة علقنا العلم الأبيض والأخضر، والمرسوم عليه هلال ونجمة حمراء، إن هذا المكان* صار مقرنا الاجتماعي ومقر لسان حالنا المركزي الأمة».³

وكانت مشاركات النجم السياسية؛ قد دعت القيادة لصنع علم خاص بالحزب في مطلع سنة 1934، حيث تطلب أن تكون له راية مستقلة، عن رايات السوريين والفيتاميين وغيرهن من الجنسيات، فكان أول ظهور للعلم خلال التجمعات، التي يقيمها النجم في باريس، هي راية خضراء بنجمة وهلال باللون الأبيض وظلال حمراء.⁴

1 - جريدة La Défense (الدفاع) 9 مارس 1934 للأمين العمودي، عن قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، ص405.

2 - ثنيو: مرجع سابق، ص213.

* - حسب رواية مصالي فإن هذا المحل كان يسكنه لينين (الذي أسس الاتحاد السوفياتي) أثناء حياته السرية، يقول مصالي ففكرنا أن هذه المصادفة السعيدة إنما هي تعبير عن بركة الله (فأل حسن) باعتبار أن لينين نجح في النهاية في تكوين دولة الاتحاد السوفياتي. مصالي: مذكرات، مرجع سابق، ص157، 158.

3 - مصالي: مرجع سابق، ص157، 158.

4 - محمد الأمين بلغيث: تاريخ الجزائر المعاصر، دراسات ووثائق، ط1، دار البلاغ للنشر والتوزيع، الجزائر، 2001، ص184.

كان أول ظهور للعلم الجزائري بشكله الحالي الذي ضببطته لجنة الحزب (شوقي مصطفى، حسين عسلة، الشاذلي المكي)، عندما احتفل الجزائريون بعيد العمال مساء الفاتح ماي 1945، وكان حامله آنذاك يدعى غزالي بلحفاف في مظاهرات شارع الشهيد العربي بن مهيدي بالعاصمة، وقدر لهذا العلم الرمز لأن يتضرح بدماء الشهداء في أول ظهور لهذا العلم بالعاصمة والبلدية ووهران، وبعد ثمانية أيام، من هذا الحدث، ظهر نفس العلم بسطيف وقالمة، وقتل حامله في سطيف، الكشاف الشهيد بوزيد شعال. وكان أوائل شهداء هذا العلم هم غزالي بلحفاف، أحمد بوغلام الله، عبد القادر زيار، عبد القادر قاضي، بالجزائر العاصمة، وبالبلدية محمد بن مراح، وبسطيف شعال بوزيد، وبقالمة علي عبده وغيرهم، كما ظهر بالغرب الجزائري في فاتح ماي في مدينة عين تيموشنت.¹

ويذكر محفوظ قداش في حوار له مع راجف بلقاسم، أنه سنة 1934 وقع اجتماع في الدائرة عشرين ببباريس في منزل المناضل حسين بن اشنهو، من أجل اختيار ثلاثة ألوان هي الأخضر والأبيض والأحمر للعلم، والتي تمثل البلدان المغاربية الثلاث تونس والجزائر والمغرب الأقصى وترمز إلى اتحاد شمال إفريقيا.²

ومع أجواء الحرب العالمية الثانية، قامت قيادة الحزب باختيار ثلاثة عناصر من نشطاء الحزب، وهم شوقي مصطفى، حسين عسلة، والشاذلي المكي، وذلك من أجل إعداد مشروع العلم، الوطني وهو العلم الحالي للدولة الجزائرية بعد استرداد السيادة الوطنية.³

اعتمد الشكل الخاص بالعلم الذي ظهر في مظاهرات شهر ماي 1945 في مؤتمر حزب حركة الانتصار ببكلور، ببيت مولود أم العين عام 1947، وقبل اعتماده قامت اللجنة مختارة من الحزب بدراسة الرايات التي عرفتها الجزائر، من عهد الدولة الإسلامية في عهد الرسول، ومرورا بأعلام الدولة العثمانية، وأعلام المقاومة، وعلم دولة الأمير عبد القادر، وكذلك علم نجم شمال إفريقيا، وحزب الشعب الجزائري، وفي اجتماعاتها ما بين شهر مارس وأفريل 1945 اتخذت اللجنة المكلفة بإعداد العلم الجزائري، جميع الاحتياطات المعبرة عن الشخصية الجزائرية بأبعادها الحضارية الذي يعكس الأبعاد العقائدية، فاللون الأبيض معبرا عن السلم والأخضر هو الصورة المعبرة عن روح العمل، أما الهلال والنجمة فتعبيرهما هو ارتباط المجتمع الجزائري بالدين الإسلامي. وبذلك تتبعت اللجنة المختارة

¹ - بلغيث: مرجع سابق، ص 189-191.

² - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج 1، مرجع سابق، ص 495.

³ - بلغيث: المرجع السابق، ص 189-191.

المسألة من كل الجوانب بالدراسة المعمقة.¹

وفي اجتماعاتها ما بين شهر مارس وأفريل 1945 اتخذت اللجنة المكلفة بإعداد العلم الجزائري، جميع الاحتياطات المعبرة عن الشخصية الجزائرية، ومن حيث الشكل فقد روعي التساوي بين اللونين الأخضر والأبيض، وبين قسمي المستطيل المشكل للعلم الوطني، ويتوسط اللونين نجمة وهلال بلون أحمر، كما روعيت الدقة المتناهية في الألوان والمساحات التي أشار إليها السيد شوقي مصطفى، ولما تم الإجماع على كل هذه المقاييس، من طرف اللجنة المتكونة من حسين عسلة، شوقي مصطفى والشاذلي المكي، سلم الرسم النهائي إلى السيد سماعي عبد الرحمن، بالتعاون مع سعيد عمراني، أصحاب محل الخياطة الموجود بالطابق الثاني 18 شارع سوق الجمعة بالقصبة السفلى، وتم إعداد الأعلام بالشكل والمقاييس المعتمدة في النموذج الأول ليوم النصر (الذي تحقق فعلا).²

1- شعار حزب الشعب في مرحلته الأولى



2- الشكل الأخير المعتمد للعلم الوطني الجزائري



¹ - بلغيث: مرجع سابق، ص 189-191.

² - نفسه: ص 189-191.

4- التيار الثوري واعتماد النشيد الرسمي

خلال مسيرته الطويلة كانت عملية التغيير في استراتيجية التيار الثوري مدعومة بالكلمة المؤثرة، عبر وسائل الاتصال الجماهيري ذات التأثير في الوجدان البشري، ونظرا لقوة تأثير الكلمة في الوعي الفردي والجمعي، أخذ النص الشعري الذي جمع بين سحر البيان وهموم القضية، مكانة مهمة في العمل الثوري، وشكل هذا الجانب إحدى دعائمه في إطار ما يعرف بأدب المقاومة، الذي يعبر عن ضمير الأمة مجتمعة، وفي خطوة من الخطوات اللازمة في طريق مشروع استرداد السيادة، تم توجيه الجهود لتحسين الوعي من خلال الخطاب الثوري، وهيأت الجماهير لمعارك الأمة المستقبلية، ومن بين العشرات من القامات الأدبية هناك شخصيتان صنعنا من ناحية الخطابة؛ مجد التيار الثوري في الجزائر هما:

- الأول مصالي الحاج الذي كان فارس المنابر السياسية بشخصيته وأسلوبه.

- والثاني مفدي زكريا الذي كان فارس الفصح بلا منازع.

وفي 17 نوفمبر 1936 صدر النشيد الوطني «فداء الجزائر روجي ومالي»، الذي ألفه الشاعر الكبير مفدي زكريا، ونشر النشيد مع صورة مصالي الجديدة بلباسه الوطني.¹ وأصبح نشيد «فداء الجزائر روجي ومالي»، نشيدا رسميا للتيار الثوري، حيث تعلقت به أجيال من المناضلين الوطنيين إلى غاية اعتماد نشيد قسما بعد الاستقلال، وقد عبر مفدي زكريا في هذا النشيد؛ عن روح برنامج النجم السياسي والثقافي، وتضمن ردا عنيفا على مخطط الجبهة الشعبية الحاكمة في فرنسا آنذاك؛ والمعروف بمشروع بلوم-فيوليت،

Blum-Viollette وحريا على الفرنسية والتجنيس والإدماج.²

فِدَاءُ الْجَزَائِرِ رُوجِي وَمَالِي	أَلَا فِي سَبِيلِ الْحُرِّيَّةِ
فَلْيَحْيِ حِزْبُ الشَّعْبِ الْعَالِي	وَنَجْمُ شَمَالِ افْرِيقِيَّةِ
وَلْيَحْيِ جُنْدُ الاستِقْلَالِ	مِثَالُ الفِدَاءِ وَالْوَطَنِيَّةِ
وَلْتَحْيِ الْجَزَائِرُ مِثْلَ الْهَلَالِ	وَلْتَحْيِ فِيهَا الْعَرَبِيَّةِ
فَلَسْنَا نَرْضَى الامْتِزاجا	وَلَسْنَا نَرْضَى التَّجْنِيسَا
وَلَسْنَا نَرْضَى الاندماجا	وَلَا نَرْتَدُّ فَرُئْسِيَسَا
رَضِينَا بِالْإِسْلَامِ تَاجَا	كَفَى الْجُهَالِ تَدْنِيسَا
خُلِقْنَا بِحُكْمِ الْهَوَى إِخْوَةً	فَتَبَّتْ يَدَا كُلِّ مَنْ فَرَّقَا
نُرِيدُ حَيَاةَ لَنَا حُرَّةً	كَفَانَا كَفَى مِنْ حَيَاةِ الشَّقَاءِ. ³

¹ قناناش، وقداش: نجم شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 293.

² الزبيرى: المثقفون، مرجع سابق، ص 39.

³ ينظر: قناناش، وقداش: نجم شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 293.

المبحث الرابع: محطات النجم المعلمية الأولى لنصرة الهوية

1- مؤتمر بروكسل

يمكن تعريف الإيديولوجية أنها جملة أفكار وتصورات لمفاهيم معيّنة، في ميادين عدة، لدي جمعية أو حزب من الأحزاب، في شكل أهداف عقائدية لا بد من بلوغها، بواسطة مذهب ما، ومن الطبيعي أن يكون لكل حزب خط وقضية يدافع عنها، وإلا لا معنى لوجوده، وتبعاً لذلك فإن النجم صرح بإيديولوجيته، على لسان سكرتيره العام في مؤتمر بروكسل المنعقد ما بين 10 و14 فبراير 1927، فكان محتواها استقلال الجزائر، وجلاء جيوش الاحتلال الفرنسي، وتأسيس جيش وطني، إضافة للمطالب المستعجلة، والمتمثلة في مصادرة الممتلكات الفلاحية الكبرى المحترقة من طرف الإقطاعيين، والإلغاء الفوري لقانون الأهالي، وبرلمان جزائري منتخب بالاقتراع العام، وتأسيس المدارس باللغة العربية، وتطبيق القوانين الاجتماعية¹، وبذلك فإن مطالب النجم تكونت من جزأين مختلفين، المطالب الفورية، والبرنامج السياسي للمطالبة باستقلال الجزائر.²

عن يوم وصوله لبروكسل؛ يذكر مصالي أنه أدلى بتصريح قصير للصحافة فيقول: «بيّنت عمّا ينبغي أن يكون عليه التعليم في الجزائر وشرحت بأن هناك عشرون ألف طفل عربي لا يستطيعون التمدن لعدم وجود الأماكن، ونددت بالنظام الاستعماري، الذي جعل من لغتنا العربية لغة أجنبية».³

تضمن خطاب مصالي في مؤتمر بروكسل إشارات واضحة فيما يخص المطالب الجوهرية للشعب الجزائري السياسية والثقافية، وجاءت لهجته شديدة في انتقاد الاستعمار حين يقول: «جميع تطلعات السكان من الأهالي تم الدوس عليها، حارمة الأهالي من أية حرية، وحق في الانتظام، ومن كافة الحقوق السياسية والتشريعية... إلى هذا، انضاف التخبيل الممنهج، الناجم عن الكحول، وإدخال ديانات جديدة، غلق مدارس اللغة العربية الموجودة في المستعمرة». ويواصل منتقدا الاستعمار: «في المجال الثقافي، يقوم الاستعمار أيضا بعمله فنجد 516 مدرسة لخمسة ملايين من الأهالي تدرّس باللغة الفرنسية، في المقابل لثلاثمائة ألف أوروبي-فقط-توجد 1200 مدرسة، وعلاوة على ذلك تمنع المدارس الحرة باللغة العربية... ووصول الأهالي للتعليم العالي شبه مستحيل»، يضيف: «الشعب الجزائري المستعبد والمضطهد... أجل (بريد) التحرر واسترداد استقلاله»، وضرورة «إتاحة التعليم بكافة المستويات، وتأسيس مدارس باللغة العربية».⁴

¹ - زوزو: الهجرة، مرجع سابق، ص 71.

² - Djanina Messali : Op, cit, p14 .

³ - مصالي: مرجع سابق، ص 140.

⁴ - نفسه: ص 140.

2- التنديد باحتفالات فرنسا بالذكرى المئوية لاحتلال مدينة الجزائر

مع عنفوان المد الاستعماري بين الحربين 1919-1939، برمجت سلطات الاحتلال الفرنسي في الجزائر احتفالات استقزازية لشعور المسلمين، بمناسبة الذكرى المئوية الأولى لاحتلال مدينة الجزائر، في مهرجانات حافلة طوال شهري جوان وجويلية 1930، وسُخّرت لذلك كل الإمكانيات والوسائل، المادية والبشرية والفنية، رغم أن فرنسا كانت تمر بأزمة اقتصادية (تداعيات الأزمة الاقتصادية العالمية 1929)، ورافقت هذه الاحتفالات حملة دعائية كان طابعها استقزازيا، كما انطوت تصريحات رجال الدين والكنيسة على روح صليبية خدشت مشاعر المسلمين.¹

وقد بدأت التحضيرات لهذه الاحتفالات منذ 1927، ورصدت لها الإدارة سبعة ملايين فرنك، وتقرر إقامة عشرة معارض (للصناعات، للوثائق، للتصوير...) كما أقيم ست وخمسون مؤتمرا في العاصمة، كجزء من الاحتفالات، كما استدعيت آلاف الشخصيات والهيئات، وكانت أكثر التظاهرات استقزازا، هي تمثيل الهجوم البحري، حيث مثلت بكل معداتها وآلاتها ولباس جندها ومآسيها، وسارع نجم شمال إفريقيا للرد على هذه الاحتفالات الاستقزازية لشعور المسلمين، فقد أصدر بيانات ومقالات منددة بالاحتفالات، وجاء في البيانات الموجهة للجماهير المسلمة، أعدوا أنفسكم للاحتفال بطريقتكم الخاصة، وذلك بتنظيم حركة واسعة ضد الامبريالية.²

كما قام الحزب بنشاط خارجي من خلال رسالته إلى الأمين العام لعصبة الأمم المتحدة سنة 1930، ومما جاء فيها: «يشرفنا أن نخاطبكم... من أجل أن نعلمكم بالوضعية الراهنة للجزائر، ومن أجل الاحتجاج بحدة لديكم، ضد الاحتفاء بمئوية الاستيلاء على الجزائر».³

كما ردت الحركة الوطنية بحزم على غطرسة المستوطنين، وعلى سياسة سلطات الاحتلال، فأعلنت مختلف التيارات الوطنية استنكارها لمثل هذه الاحتفالات، وأبدى بعض الأعيان الموالين للإدارة الفرنسية امتعاضهم، وأدى شعور الجزائريين بالإهانة إلى نمو وعيهم الوطني، واندفع المنتخبون في تشديد لهجتهم للمطالبة بالمساواة الكاملة، واستثمر نجم شمال إفريقيا الموقف، بتأكيد مطالبه الاستقلالية، واتجه العلماء لعمل مُجدي، فولدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931، وفي هذه المدة توسعت حركة النضال السياسي والاجتماعي بشكل لافت، وأقحمت الجماهير الشعبية في المعركة السياسية.⁴

¹ - مقالاتي: مرجع سابق ص ص 153-155.

² - ابن العقون: مرجع سابق، ص ص 301، 305.

³ - قنانش، وقداش: النجم، مرجع سابق، ص 71.

⁴ - مقالاتي: مرجع سابق، ص ص 153-155.

3- خطاب النجم إلى عصبة الأمم 1930 وتنديده بممارسات الاستعمار

للتذكير سبق للجزائريين قبل هذا، مراسلة جهات دولية ذات وزن؛ والمقصود رسالة الأمير خالد؛ إلى الرئيس الأميركي والذي جاء في عريضته: «نطلب إرسال مندوبين نختارهم بحرية لتقرير مستقبلنا، في إطار عصبة الأمم»،¹ هذه الرسالة التي استلمها الرئيس الأميركي ويلسون سنة 1919، لم تجد صدى في وقتها، وقد تم اكتشافها من قبل الكاتب كلود بيلات C.Paillat ونشرت من قبل المؤرخ الفرنسي شارل روبر أجيرون.²

ورغم الزخم الذي صاحب شعارات الرئيس الأميركي ويلسون؛ التي رفعت بعد الحرب العالمية الأولى بحق الشعوب في تقرير مصيرها؛ والتي بعثت الأمل لدى شعوب المستعمرات، إلا أن تلك الشعارات لم تحدث أثرا على أرض الواقع؛ نظرا لأن القوى الاستعمارية التقليدية كانت في عز قوتها وعنفوانها، وكانت تسيطر على عصبة الأمم؛ وتوجه قراراتها لصالح مصالحها الاستعمارية، في ظل هذا الوضع قام التيار الثوري بعدة نشاطات؛ للتعريف والتذكير بالقضية الجزائرية؛ من أهمها: رسالة إلى عصبة الأمم سنة 1930، والتي كانت في إطار جهود التعريف بالقضية الجزائرية على مستوى المنظمات الدولية، فقد وجّه الحزب في 02 جانفي 1930م، خطابا إلى عصبة الأمم (S.D.N)، وكان قصده إخراج القضية إلى المحافل الدولية، عرض فيها وضعية الجزائريين الذين يقعون تحت هيمنة الاستعمار الفرنسي، وخاطب شخص الأمين العام لعصبة الأمم، بقوله: «نحن أعضاء اللجنة المركزية لنجم شمال إفريقيا، حزب من التيار الوطني، يشرفنا أن نخاطبكم بالرسالة الحالية، من أجل أن نعلمكم بالوضعية الراهنة للجزائر، ومن أجل الاحتجاج بحدة لديكم ضد الاحتفاء بمثوية الاستيلاء على الجزائر».³

وجاء أيضا في خطابه إلى عصبة الأمم: «في المجال الثقافي، وضعيتنا أكثر فداحة، هنا نلفت عنايتكم بالخصوص، لأن الموضوع مهم جدا. نعاين أن فرنسا لم تقم بأي شيء في مجال التعليم. فقبل احتلال بلادنا كان التعليم منتشرا على مستوى واسع، وكانت المدارس القرآنية..-المجموعة في الوقت الحالي بشكل كبير-، تضم 300000 تلميذ، يعرف كل واحد فيها التحدث بلغته الأصلية، في الزوايا كان يتم تدريس النحو العربي، الفقه الديني، الفلسفة والقرآن... في زمننا الراهن، اللغة العربية ضائعة، ما

¹ - فنانش، وقداش: نجم شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 35.

² - gilbert meynier et ahmed koulakssis: op.cit , p.8.

³ - فنانش، وقداش: نجم شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 71.

نتحدثه اليوم عبارة عن نوع من اللهجة المحلية المشكّلة من العربية¹. وجاء أيضا في الرسالة: «وفي وقت لاحق، أرسلت كتائب الجزائريين في حملة عسكرية إلى جنوب الجزائر، ثم شاركت بشكل واسع في الاستيلاء على المغرب، تونس، مدغشقر، وتونكان في الفيتنام، وهذا هو احترام الدين الإسلامي؟ أجبر الجزائريون المسلمون على الذهاب لمقاتلة المغاربة، والتونسيين، والسوريين، إخوتهم في العرق والدين»².

4- وثيقة الجمعية العامة للنجم المنعقدة بباريس في ماي 1933 وعناصر الهوية

الوثيقة الصادرة عن مؤتمر النجم المنعقد بباريس ماي 1933 والمصادق عليها كبرنامج للحزب تقدم تعريفا كاملا للاستقلال؛ مع توضيح المفاهيم السياسية، الاقتصادية والثقافية، وجاء في الديباجة «علينا أن نقسم بالقران والإسلام؛ على العمل المتواصل لتحقيق هذا البرنامج»، ومن أهم ما جاء في البرنامج؛ فيما يخص استرجاع الحقوق الثقافية للشعب الجزائري المتصلة اتصالا وثيقا بالهوية، والتي قدمت ضمن المطالب الفورية للنجم وهي :

- 1- مطلب التعليم الإجباري باللغة العربية.
 - 2- التعليم المجاني والإجباري بكافة المستويات باللغة العربية.
 - 3- بناء مدارس عربية جديدة.
 - 4- نشر كافة القرارات الرسمية بالتوازي باللغتين العربية والفرنسية.
 - 5- اعتبار اللغة العربية لغة رسمية.
- وجاء في القسم الثاني من المطالب في البند الثالث تحت عنوان حكومة وطنية.
- 6- الاستقلال الكامل للجزائر³.

وجاء برنامج 1933 بتطور في المطالب؛ مثل مطلب احترام العقيدة الدينية لدى المسلمين حسب تعاليم القرآن، ولم يقتصر برنامج 1933 على المطالبة بتأسيس مدارس باللغة العربية؛ بل تمت المطالبة بجعل التعليم في الجزائر باللغة العربية إجباريا، واجبارية وجودها مع الفرنسية في المكاتب الرسمية⁴.

¹ - قنانش، وقداش: نجم شمال افريقيا، مرجع سابق، ص ص73-75.

² - نفسه: ص ص73-75.

³ - سعد الله: الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص ص437-439.

⁴ - زوزو: الهجرة، مرجع سابق، ص73.

5- موقف النجم إزاء أحداث قسنطينة 1934

اندلعت أعمال عنف دموية بين المسلمين واليهود، بمدينة بقسنطينة سنة 1934، وكان السبب غطرسة اليهود وانتهاكاتهم للمقدسات الإسلامية، وقد انطلقت بعد أن حاول المسلمون تقديم احتجاج على الإهانة التي تعرضوا لها، بعد قيام يهودي ثمل بالتبول في المسجد، وإصدار كلام بذيئ وجارح في حق مقدسات المسلمين، وبدل اعتذار ممثلي الطائفة اليهودية للمسلمين، كان رد اليهود متعاليا وعنيفا، فاندلعت المواجهات التي أسفرت عن سقوط ضحايا من الطرفين.¹ وقد تناولت جريدة الأمة لسان النجم أحداث قسنطينة وعلقت عليها بقولها «فلنحلل الوقائع: يهودي، عسكري ثمل يدخل إلى مسجد أثناء تأدية الصلاة، نحن الوطنيون المسلمون من شمال إفريقيا، ندعم إخواننا بقسنطينة الذين يناضلون في الوقت الحالي من أجل مطالبهم في حرية الصحافة والتجمع، ومن أجل احترام الدين الإسلامي الذي انتهكته الإمبريالية المحرصة، نعلن وقوفنا معهم وننحني تماما أمام جميع القتلى والمصابين الذين سقطوا وهم يقاتلون من أجل حرياتنا، من أجل مصالحنا، ومن أجل احترامنا».²

بالنسبة لمواقف الحركة الوطنية منتخبيين وشيوعيين وإصلاحيين من أحداث قسنطينة، تباينت بين محاولة التهذئة مع بعض التضامن مع المسلمين، والتنديد بعنجهية اليهود، لكن في نفس الوقت التأكيد على الولاء لفرنسا، وتختلف فقط في شدتها، أما بالنسبة لنجم شمال إفريقيا فقد استحسن عمل المسلمين الذين ردوا على تدنيس المسجد، وقدرت إيجابيا جريدة «الأمة» رد الفعل الشعبي، وأشادت بأولئك الذين نزلوا إلى الشارع بالقول: «لقد خص القدر إخواننا في قسنطينة بالألم الفظيع، الذي أصابهم وهم يتجرعون الإهانة التي لا توصف، كما خصهم بشرف ومجد الانتقام لأخطر إهانة، لم يحاول أحد توجيهها ضد ثقافتنا وعقيدتنا الإسلامية» وجاء فيها كذلك: «نزل مواطنونا ليصرخوا معبرين عن كل سخطهم وبغضهم للمستعمرين من كل نوع وجنس».³ وفي فرنسا انعقد اجتماع كبير بتاريخ 19 أوت 1934 في قاعة غرانج أوبال LA GRANGE AUX BELLES للاحتجاج على أحداث قسنطينة، تمت المصادقة فيه على لائحة ومما جاء فيها: «إن مسلمي شمال إفريقيا المجتمعين وعددهم 3500... يعلنون عن موافقتهم الكاملة؛ على الموقف الفخور؛ لإخواننا في الدين، الذي رفعوا التحدي، وردوا على تدنيس المسجد وشتم المؤمنين ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم... عاش استقلال شمال إفريقيا عاش الإسلام».⁴

¹ - قناش، وقداش: النجم، ص 83، 84.

² - جريدة الأمة، العدد 50، أوت-سبتمبر 1934 - عن: قناش، وقداش: النجم، ص 83، 84.

³ - جريدة الأمة، سبتمبر أكتوبر 1934 - عن قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج 1، ص 431.

⁴ - ينظر - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج 1، مرجع سابق، ص 460، 461، 495.

المبحث الخامس: تطور مطالب وخطاب النجم

1- مطالب النجم سنة 1935 - 1936

لم يكن برنامج سنة 1933 قد فصل كل مبادئ إيديولوجية النجم، فورد بعضها مفصلا قليلا كما في الجانب الاقتصادي، وأشار إلى البعض الآخر مجرد إشارات، لكن وبالتدرج فكلما تقدمت تجربة الحزب، حاول الحزب توضيح إيديولوجيته، فمطالب سنة 1935 مثلا أوضحت شكل البرلمان الجزائري، بإضافة عبارة بدون تمييز في العرق أو الدين¹، كما جاء في مطالب سنة 1935 مطلب جديد يبين موقف النجم من الدين، وهو وجوب احترام حرية العبادة الإسلامية، وتطبيق قانون فصل الدين عن الدولة، أما مطالب سنة 1936 فبينت بشكل مفصل، ما يعنيه بتنمية الحقوق الاجتماعية، ومما سبق، يتضح تطور إيديولوجية النجم، منذ الإعلان عن بعض مبادئها في 1927، ثم الإعلان عن جميع مبادئها سنة 1933، إلى التصور التفصيلي لها سنة 1936، وفقا للمناخ السياسي في كل طور، ووفقا للنضج السياسي وتجارب النجم.²

وبالنسبة للمطالبات الفورية لنجم لشمال إفريقيا المقدم للجبهة الشعبية فيفري 1936 فقد تضمنت وثيقة مطالب النجم 1936 المقدم لحكومة الجبهة الشعبية برنامجا مفصلا ينم عن مستوى التحديث الذاتي للتيار الثوري، ومواكبة للتطورات، وتماهيا مع مطالب المجتمع المسلم، وشملت الوثيقة المطالب التالية:

1- المطالب السياسية: وأهم بنودها (العفو، الحريات التدابير الصحافة... الاستثنائية في الجزائر تونس والمغرب).

2- المطالب الاجتماعية: وتشمل (التعليم، حماية العمال، الصحة، الطفولة...)

3- المطالب الاقتصادية والمالية: وتشمل (الميزانية والمرتببات، القروض، المصادرات)

4- إصلاحات متنوعة: وتشمل (الأحكام العرفية، السجون، القضاء، المجالس المسيرة).³

ومن ضمن المطالب تمت الإشارة إلى: «حرية تأسيس الجمعيات والتعبير باللغتين الفرنسية والعربية، لكي يتمكنوا من تقديم تظلماتهم وتطلعاهم المشروعة بشكل قانوني أيها المواطنين، هذا الأمر، علاوة على كونه حاجة ملحة... التدريس الإلزامي للغة العربية على كافة المستويات».⁴

¹ - جريدة الأمة عدد 33 أوت سبتمبر 1935. - عن: زوزو: الهجرة، مرجع سابق، ص 74.

² - زوزو: للهجرة، مرجع سابق، ص 74، 190.

³ - نفسه: ص ص 75.

⁴ - ينظر - فناناش، وقداش: النجم، مرجع سابق، ص ص 99 - 102.

2- حرص التيار الثوري على تطابق ايديولوجيته مع هوية شعبه

التيار الثوري كان يدرك أنه لكي يبلغ أعلى مستوى ممكن من النجاعة، وحتى يكون قوة طليعية، عليه أن يحقق أولاً تطابقاً لخطه مع إيديولوجية مجتمعه المسلم، وقيمه، وثقافته، وحضارته، وبالتالي فإن سر تعلق الجماهير الجزائرية المسلمة بالتيار الثوري، يكمن في أنه قدّم الحل الأنسب، للدفاع عن الهوية، واصفاً صلب المشكلة لحلها من جذورها، عبر دعوته للتحرر الوطني، وبما أن المجتمع له عدة أجوبة افتراضية لطموحاته، كانت رؤية التيار الثوري متطابقة مع الخصائص الجوهرية المميزة للمجتمع المسلم.¹

إذا بحثنا عن مدى الوعي بالهوية، فالأمر يتعلق بإبراز ما هو مختلف عن الغير، وهنا تتأكد أهمية المعطى الثقافي والذي له دور في إبراز الهوية، فإذا كانت الثقافة نبعا يغذي الهوية الفردية والجماعية، فإن الهوية قد تتحول إلى استراتيجية تستخدم الثقافة من أجل الصراع، ونفي الآخر.² وفي الأدبيات المعاصرة، تستعمل الهوية الثقافية لتعبر عن حقيقة الشيء وصفاته الجوهرية وتميزه عن غيره، فكل مجتمع يتميز بشخصية ثقافية، وهي مجموع الأساليب التي يمارس بها الإنسان إنسانيته وتشمل العادات، والمعتقدات، واللغة، والتراث الشفوي أو المسجل الفكري والأدبي، وبالتالي فالهوية الثقافية هي حجر الزاوية في تكوين الأمم، باعتبارها تراكم تاريخ طويل من القيم، والصفات، والتراث، نتجت عن تفاعل وامتزاج انبثق عن واقع معين، ليكون الحاصل سمات وخصائص يتميز بها شعب ما عن غيره. وقد تنبه التيار الثوري لقيمة عناصر الهوية في منح مشروعته مقومات الثبات وعدم الانهزام، باعتبار أن الحزب يتبنى مشروعاً للمقاومة والتحرر، لذلك لم يكن أمامه بد من الأخذ بعين الاعتبار أن الهوية السياسية المراد تحصيلها حتماً ترتبط بهوية ثقافية في معركته التحريرية.³

وتحقيقاً لذلك فتح التيار الثوري جبهة ثقافية في معركته ضد الاستعمار، ومنها تصديه للرد على الدعاية الاستعمارية، لأنه عبر كتابات المدرسة الاستعمارية شكل المساس بالهوية محور استراتيجية الاستعمار بالجزائر، التي رافقت سياسة فرنسا في التوسع، والعمل على الإجهاز على مقومات الشخصية العربية المسلم، رغم ذلك فإن كل جهود المدرسة الاستعمارية لتغيير الوضع، لم تقدر مكانة الإسلام؛ في صيرورة الإنسان الجزائري؛ وتكون عناصر وجوده، من قيم، ولغة، وثقافة.⁴ كما أن هناك موضوعان أساسيان لم يهملهما التيار الثوري، تمحور حولهما خطاب نشاط الجيل الأول من الحركة الوطنية، للإعداد للانعتاق من

¹ - مهساس: الحركة الثورية، مرجع سابق، ص13. بتصرف

² - ولد خليفة: المسألة الثقافية، مرجع سابق، ص96-110.

³ - حجاب: مج 7، مرجع سابق، ص 2608، 2609.

⁴ - مالكي: ص 245، بتصرف.

الهيمنة الاستعمارية، أولهما كان العمل على استحضار وتعبئة قيم الإسلام في مواجهة فكرة ودعاوي التجنيس، من أجل تنشيط العمل الوطني. وثانيهما الاجتهاد من أجل تكريس تعليم يضمن للغة العربية وثقافتها المكانة الكفيلة لصيانة هوية الجزائر وشخصيتها التاريخية، باعتبار أن اللغة العربية أداة كفيلة بصيانة الهوية وتعبئة مقوماتها.¹

كانت اللغة العربية بالنسبة للحركات الوطنية العربية المشرقية والمغربية، مقوم أساسي للدولة والمجتمع، لأنها تستند إلى الجغرافية العربية الحديثة، التي حددت مجالها وهو العالم العربي، وما يتمتع به من أهمية استراتيجية، ومجال حيوي، وثروات طبيعية، وعمق تراثي إنساني، وبذلك تمت مواجهة الاستعمار الحديث في لحظة تاريخية حساسة، لحظة ظن فيها الاستعمار أنه أحكم تطويقه للعالم الإسلامي من كل الجهات، وقد كانت اللغة العربية هي المقوم المشترك لكافة العرب، وعليه فاللغة العربية كانت العنوان الكبير للنهضة وإحياء الذات، في مواجهة الغرب.² ومنذ وقت مبكر من حياة التيار الثوري ظهرت اهتماماته بالجوانب الهوياتية عبر إعلامه، فريدة الإقدام الشمال إفريقي أوردت برنامج النجم لسنة 1927 والذي من بنوده مطلب إنشاء مدارس باللغة العربية ونشر كل العقود الرسمية باللغة العربية والفرنسية معا.³

ولم يهمل النجم الجانب الديني في تقرير خط الحزب، حيث يلاحظ أن تقرير النجم فيفري 1927 ينص على أن «مسلمي شمال إفريقيا فقط يمكن لهم أن يكونوا أعضاء عاملين في الجمعية، وهم يتعهدون أثناء انتسابهم باحترام نظام الجماعة، في حين أن الأعضاء غير المسلمين، لن يكونوا سوى أعضاء شرفيين».⁴ حيث كانت النزعة الوطنية في بدايتها متداخلة مع الإسلام، ويظهر ذلك من خلال استحضار التراث ومقومات الانتماء للعروبة والإسلام، في خطابات الحركة الوطنية والتيار الثوري؛ الذي وجد في عناصر الهوية من دين ولغة وحضارة، الأرضية الصلبة والرافد المسعف لمجابهة الاستعمار (الذي جعل من الهوية أساس التفرقة)، وكذا من أجل إدراك وفهم الظاهرة الاستعمارية ومنطقها في الاحتلال، ومن ثم التفكير والعمل على تحديد الوسائل والأسلحة المناسبة للمقاومة، بأفق تجاوز الواقع المفروض، وعليه بنى التيار الثوري استراتيجيته على أرضية الدفاع عن عناصر الهوية، كسبيل لاسترجاع الهوية السياسية للدولة الجزائرية.⁵

¹ - مالكي: مرجع سابق: ص 229 . بتصرف .

² - نور الدين ثنيو: لغتي هويتي، مقال بصحيفة القدس العربي بلندن، الخميس 2 يوليو 2020.

³ - جريدة الإقدام الشمال إفريقي، أكتوبر 1927. عن: قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، مرجع سابق، ص 267، 285.

⁴ - بوقصة: مرجع سابق، ص ص 374-376.

⁵ - مالكي: مرجع سابق، ص 217.

3- بُعد الهوية في خطاب النجم

نعني بالخطاب تلك المادة الفكرية التي تمكن التيار الاستقلالي من مراكمتها؛ منذ بداية تشكله، سواء في نطاق حديثه عن ذاته؛ والتعريف بنفسه وبرنامجه أو ماضية وحاضره؛ أو في مجال كتاباته عن الاستعمار كظاهرة، وفكر، وأساليب في التوسع والاستغلال، وسواء كانت في سياق خطابي، أو كل رمزية تكون في سياق غير خطابي تمت من خلال إنتاج النخبة المسيرة والموجهة للتيار الثوري التي أطرته سياسيا وفكريا.¹

كان السياق التاريخي الذي ظهر فيه النجم 1926 هو سياق البحث عن إنشاء وحدات سياسية جديدة، ناجمة عن تشرذم وانهيار الإمبراطوريات العتيدة (خاصة العثمانية والنمساوية) في أوروبا والغرب، في إطار رغبة الشعوب في الحرية، وظهور نزعة إنشاء أو إحياء الوحدات السياسية. وتماشيا مع نزعة إنشاء أو إحياء الوحدات السياسية، كانت استراتيجية التيار الثوري، تؤسس لذلك من خلال إحياء وتحسين الأسس الهوياتية للدولة المستقبلية، وبذلك فالتيار الثوري رأى أن مطلب استرجاع مكانة اللغة العربية له الأولوية، كون اللغة أداة مقاومة؛ وفي نفس الوقت عنصرا أساسيا لبناء الدول، باعتبار اللغة، هي القاعدة الأساس، التي استندت إليها كل الأمم الأوروبية؛ فنشأت الدولة الفرنسية على مقوم اللغة الفرنسية والأمر نفسه بالنسبة لبقية الدول مثل إنكلترا، فرنسا، وروسيا، إسبانيا، البرتغال، إيطاليا وألمانيا،² إذ الشعوب محكومة بثقافتها كصفة تميز، وتلك الصفات هي أساسية تتأثر بها البنية الاجتماعية والثقافية، ويتعبير أدق هي السمات الثقافية العامة، بين جميع الأفراد، لمجموعة بشرية معينة.³

وقد حظى الدفاع عن عناصر الهوية، الوطن، والدين، واللغة العربية، بمكانة متميزة في خطاب التيار الثوري بالجزائر وهو الواقع الذي تؤكد الوثائق المؤرخة لمسيرة النضال الوطني وغدت الهوية محور الدعوة التحرر،⁴ وشكل الدفاع عن الهوية الأساس الإيديولوجي والنضالي لانطلاق وتطور التيار الثوري، سواء كانت هوية سياسية أو ثقافية، وعلى أساس ذلك؛ فك حزب مصالي الارتباط بالحزب الشيوعي، حتى يثبت أنه يدافع عن الشعب الجزائري فقط، وليس رهينة لأحد، وشيئا فشيئا نالت مسألة الدفاع عن الهوية مكانتها في حقل استنهاض الوعي الوطني، وأصبحت مسألة الهوية من عامل مساعد في خطاب القيادة،

¹ - مالكي: مرجع سابق: صص 212- 217. بتصرف.

² - نور الدين ثنيو: لغتي هويتي، (مقال) مرجع سابق

³ - ابن النعمان: العلاقة العضوية بين الثقافة والهوية، مرجع سابق، صص 24، 25.

⁴ - مالكي: مرجع سابق، مرجع سابق، 212- 217 بتصرف.

إلى العنصر الأهم ومحور الدعوة لنصرة فكرة الاستقلال، واستعادة الكيان الجزائري.¹ وهو الذي جرى تأكيده على لسان مصالي في خطابه للأمة: «إن مبادئ حزبك الوطني الذي أسس على المليّة من أول يوم، هي السعي لتحريرك في دائرة إسلامك، وجنسيّتك الغالية؛ تلك هي مبادئنا».²

كان استظهار الشعور الديني والاعتزاز بالهوية يعتبر رد فعل طبيعي في مواجهة الخطاب الاستعماري الذي لا يخفي الروح الصليبية، وكمثال عن عدم إخفائهم لهذا التوجه، نقف عند تصريح لوزير الحربية الفرنسي كليرمون Clermont Tonnerre، على عهد الملك شارل العاشر Charles X، حين يقول حول غزو الجزائر: «ليس من الغريب أن نرى العناية الإلهية تتأشد الملك، وريث سان لوي، لينتقم للإنسانية والدين والإهانات الشخصية...عندما نقوم في المستقبل بتمدين الأهالي وتحويلهم إلى مسيحيين، مضيفا: إن العناية الإلهية خصته بهذا النصر في الجزائر لجعل المواطنين مسيحيين».³ وقد تتبه التيار الثوري لقيمة نصره الدين باعتباره أهم عناصر الهوية الوطنية، ففي إطار نشاطات النجم الأولى في الجزائر للتعريف ببرنامج الحزب عقد تجمع بالجزائر العاصمة بقاعة بسينما موندريال حضره 3000 مسلم يوم 25 سبتمبر 1936، نشطه الحزب وبعد الاستماع على خطاب مصالي صودق بالإجماع على جدول الأعمال والبيان الختامي الذي طالب باحترام فرنسا للدين الإسلامي.⁴

واعتبر الحاكم الفرنسي العام في الجزائر* أخطر مقال هو الذي نشره عمار العيمش(مناضل وقيادي في النجم) في جريدة الأمة، تحت عنوان «الصليب ضد الهلال» ومما جاء فيها «إننا نحبي هذه اليقظة التي طال انتظارها...فلتكن تضحياتهم نبراسا...من أجل القضاء على جلادين...الصليب أضعف من أن يحطم الهلال».⁵ وخطورة المقال في نظر الحاكم الفرنسي أن العيمش يوظف الدين، لكن وكما يرى امحمد مالكي: أليس من الواقع أن الصراع بين الإسلام والمسيحية مثل لفرنسا في يوم ما، الإطار الإيديولوجي الأكثر نجاعة لحيوية الظاهرة الاستعمارية، وتطوير مفاهيمها وإبراز صبغة أدواتها، فالظاهرة الاستعمارية كانت تعتمد على الروح الدنيوية والبوح بها أمام الملأ.⁶

¹ - مالكي: مرجع سابق، ص ص212- 217. بتصرف.

² - محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص 1316.

³ - مالكي: مرجع سابق: ص158.

⁴ - جريدة الأمة، سبتمبر-أكتوبر 1936، عن قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، ص696.

* - كان الحاكم العام آنذاك: جول قاستون هنري كارد Jules Gaston Henri Carde .

⁵ - جريدة الأمة، العدد 25. سبتمبر-أكتوبر 1934، عن - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، ص 501 .

⁶ - مالكي: مرجع سابق، ص 158.

4- تطور خطاب النجم

كانت المناداة بالاستقلال هو التعبير الصادق عن الانتصار لمقومات الهوية (الدين، واللغة، والوطن) وبما أنه لكل جمعية أو حزب من الأحزاب؛ جملة أفكار وتصورات، لمفاهيم معينة في ميادين عدة، في شكل أهداف عقائدية لا بد من بلوغها بواسطة مذهب ما، كذلك النجم فقد صرح بإيديولوجيته، على لسان سكرتيره العام، وذلك في مؤتمر بروكسيل المنعقد ما بين 10-14 فيفري 1927، فكان محتواها استقلال الجزائر، وجلاء جيوش الاحتلال الفرنسي، وتأسيس جيش وطني، ومصادرة الممتلكات الفلاحية الكبرى المحتكرة من طرف الإقطاعيين، والإلغاء الفوري لقانون الأهالي... وتأسيس المدارس باللغة العربية، وتطبيق القوانين الاجتماعية وغيرها من المطالب.¹

وقد ساهمت عدة عوامل في ميلاد العمل الوطني، وصقلت موضوعاته، خاصة عاملي الهجرة والاحتكاك بالنشاط السياسي بالمتروبول، إلا أن الأساس هو الثقل الإيديولوجي للتمسك بالإسلام، فالدفاع عن الهوية يعني كذلك الدعوة إلى صيانة الإسلام ومكوناته، وهو ما سيصبح من الشروط المحفزة للعمل السياسي، لذلك سيتصدر الأولويات المؤطرة لخطاب التيار الثوري.² وحسب رأي الباحث ثنيو: «أن فكرة الأمة الجزائرية تبلورت عند التيار المصالي، لا بوصفها فكرة تستند لمقاومة الوجود الاستعماري والإمبريالي فحسب، بل بما تتوفر عليه مقومات المجتمع الجزائري؛ وحاجتها إلى من يستثمرها؛ من التنظيمات والتشكيلات الوطنية، من أجل تحقيق الإطار السياسي الملائم لحكم الجزائريين، وهكذا أعطى انتقال النجم إلى أرض الوطن؛ خاصية جديدة للنضال والكفاح، هي امتلاك الوعي الكافي لمشروع الدولة الجزائرية».³

ويلاحظ في مؤتمر بروكسل 1927، أنه إلى جانب مطلب استقلال الجزائر وغيره من المطالب الاقتصادية، ومطالب القوانين الاجتماعية، والحريات والمساواة، قد تم التطرق كذلك إلى مسألة تأسيس المدارس العربية كنوع من التطلع لتأكيد مسألة الانتماء.⁴ غير أنه يلاحظ نقصاً في الشمول، ذلك أن المطالب اقتصر على الميدان السياسي والفلاحي والاجتماعي، وأهمل الميدان الديني بكامله، ولعل ما يبرر هذه النقائص؛ هو تضعف النجم سياسياً في طوره الأول، لأن البناء العقائدي سرعان ما انتظم

¹ - زوزو: الهجرة، مرجع سابق، ص 71، 72.

² - مالكي: مرجع سابق، ص 246. بتصرف

³ - ثنيو: إشكالية الدولة، مرجع سابق، ص 235.

⁴ - نفسه: ص 71.

في الأطوار اللاحقة.¹

والمتتبع للنجم يلاحظ تطورا بالمقارنة بين برنامج النجم لسنة 1927 وبرنامج 1933، خاصة تطور ايدولوجية النجم، ومنها اتضاح المطالب العاجلة للحزب، وفرزها عن المبادئ العقائدية البعيدة، وورود مطالب جديدة لم تكن بالبرنامج الأول مثل:

- حرية السفر إلى فرنسا وإلى سائر البلاد الأجنبية.

- إبطال البلديات الممتزجة والمناطق العسكرية.

- احترام العقيدة الدينية لدى المسلمين حسب تعاليم القرآن.

وقد حدد البرنامج الثاني الصادر في سنة 1933 بعض المطالب تحديدا أكثر وضوحا؛ كمطلب انتخاب برلمان وطني جزائري. ولم يقتصر البرنامج الثاني على المطالبة بتأسيس مدارس **باللغة العربية**، بل تعليم هذه اللغة تعليما إجباريا، كما جاءت مطالب سنة 1935 بمطلب جديد يبين موقف النجم من الدين، وهو احترام حرية العبادة الإسلامية، وتطبيق قانون فصل الدين عن الدولة عليها.²

كان خطاب التيار الثوري في مرحلة النجم تتصاعد لهجته ومن أهم محطاتها محطة المؤتمر الإسلامي الأول 1936، حين تكلم بصراحة غير معهودة، وعبر عن عما حق كان محرما البوح به، حيث جاء في خطابه في الملعب البلدي في الثاني أوت 1936: «لا نقبل إطلاقا أن يربط بلدنا هذا ببلد آخر بالإكراه؛ ولا يمكننا إطلاقا أن نرهن مستقبل الجيل المقبل»، وقد أعطى هذا المؤتمر فرصة تاريخية استثمرها حزب مصالي، فأوجد لنفسه مكانة بين تيارات الحركة الوطنية، فمنذ اليوم الأول أعطى عن نفسه انطبعا حسنا لدى الشعب، فعرف بنفسه في ميدان المعركة، وهذا الموقف فتح المجال للحزب؛ ولزعيمه مصالي الحاج مكانة خاصة عند الجزائريين؛ ومن يومها اشرأبت له الأعناق؛ وتحول بسرعة من نكرة إلى علم، فانقادت له الجماهير بكل طواعية، حينها قرر الحزب نقل نشاطه وتقله السياسي لأرض الوطن.³



¹ - زوزو: مرجع سابق: ص 71، 72.

² - نفسه: ص 73، 74.

³ - تتيو: إشكالية الدولة، مرجع سابق، ص 230.

خلاصة الفصل

بشيء من الحنكة والذكاء والشجاعة، استثمر مصالي ورفاقه؛ الظروف الزمانية والمكانية المتاحة من أجل القيام بعمل مجد من أجل الوطن، ويمكن أن نحصر هذه الظروف- الفرص في العناصر التالية:

- 1- الوجود الكثيف للعمال المهاجرين الجزائريين بفرنسا.
- 2- مناخ حرية العمل السياسي بالمتروبول.
- 3- قوة الحزب الشيوعي بفرنسا، وما كان يمنحه من فرص لأبناء المستعمرات للتعريف بقضاياهم.
- 4- عامل المنافع المتبادلة بين المهاجرين الجزائريين والحزب الشيوعي
- 5- بروز شكل من العمل الوطني في الجزائر من خلال نشاط المنتخبين المسلمين وميلاد جمعية العلماء.

استطاع رفاق مصالي في المرحلة الأولى لتأسيس النجم من المحافظة على شخصيتهم الإسلامية، حيث عجزت الترسانة الحزبية الشيوعية عن إذابتها، وبعد وقت قليل من النشاط مع الحزب الشيوعي استطاع مصالي ورفاقه من الانسلاخ على مراحل من هيمنة الحزب الشيوعي الفرنسي؛ بطرق ونبرة تراوحت بين التلطف والتشدد، متحملين ما انجر على النجم من مضايقات وملاحقات ومحاكمات طالت رجاله.

كان الاستعمار الفرنسي يدرك أن البعد الروحي المستمد من القيم الدينية والروح الوطنية، هو الذي مثل التحدي الأكبر لمشروعه التوسعي في الجزائر، ومن هذا المنطلق اتجه التيار الثوري إلى مخاطبة العاطفة لدى الجماهير، وبعث الثقة في الروح القومية، وخاطب العقل المسلم لاستنهاض الهمم والعزائم، وكان ميلاد التيار الثوري وحضوره في مناسبات وطنية عديدة، ورفع لمطالب وطنية اعتبرت آنذاك شيئاً جديداً لدى الطبقة السياسية، قد أدى إلى الانتقال بالنضال الوطني من مرحلة المطالب الإصلاحية المحدودة، إلى مرحلة المطالبة بحق الشعب الجزائري في تسيير شؤونه بنفسه، واختار هذا الخط المحفوف بالآلام والدموع والدماء، لعلمه أن قيمة التضحية من قيمة الهدف، كما كان يروم إلى إثبات مبرر وجوده أمام الاستعمار، وأمام الجماهير المسلمة باعتبار أن مشروعه امتداد لتاريخ متواصل من النضال والكفاح؛ خاضه الشعب الجزائري لاستعادة السيادة على أرضه.

لعل من أهم العوامل التي كان لها دور في صنع شخصية مصالي الحاج والتيار الثوري، المواقف الجريئة التي كان يساير بها التيار تطلعات الجماهير، فقد كان يتبنى أفكارهم في المجابهة، وفي كل المحطات كان مصالي يحسن التصرف في الفرص، ويحولها لصالحه، وهو ما حصل في بروكسل 1927 حيث عزّف مصالي بالقضية الجزائرية.

بعد إحدى عشرة سنة من النضال في أرض المهجر، رأى التيار الثوري أن الوقت حان لنقل المعركة إلى أرض الوطن، بعد أن اطمأن لجذوره في الضفتين، إضافة للظروف المناسبة التي أتاحت للنجم أن يعرّف بنفسه لدى الجماهير في أرض الوطن، هنا قرر قادة التيار الثوري إعطاء أهمية للعمل في الوطن عبر استثمار الحراك السياسي المصاحب للمؤتمر الإسلامي، والذي رغم الزخم الذي صاحبه إلا أنه كانت تنقصه جسارة التيار الثوري، ويعود الفضل في وصول أفكار النجم إلى أكبر عدد من الجزائريين في فرنسا وفي الجزائر؛ لجريدة الأمة، ففي البداية شكل المتعاطفون مع التيار الثوري الأكثر نشاطا، مجموعات باسم أحباب الأمة، لدعمها وضمان توزيعها.

في خطوات مشروع بناء الدولة كل عملية إظهار للهوية هي خطاب موجه، والتي تتم أولا بعملية إظهار الرموز ذات الدلالات الهوياتية، فأى رمز يظهر للعلن يفصح عن واقع أو عن مشكلة سياسية ما، حيث أن القضية السياسية للهوية لها قيمتها، وفي هذا الإطار نجد أن من أهم الخطوات التي حققتها التيار الثوري، في إدراكه للهوية كقيمة في النضال، من أجل استرجاع الدولة، اتخاذها لجملة من الشعارات والرموز، التي تتم عن إدراكه لقيمة الهوية في خطوات بناء الدولة ومن أهمها:

1- لم يهمل التيار الثوري دور الإعلام والدعاية، فأولى بطاقات النجم زُينت بصورة الأمير خالد، باعتباره الرئيس الشرفي للنجم في طوره الأول، لتأكيد الهوية من خلال رمزية الرجل، وكانت بطاقات الاشتراك وشعارات الحزب، تعبر عن الهوية والانتماء، وفي نفس الوقت تكسب سحر التعلق والانتماء عند المنتسبين للحزب، ومن خلال العناوين ذات الدلالة لصحافة التيار الثوري الأولى يمكن قراءة الارتباط الوثيق لتوجه النجم بموروثه الحضاري (الإقدام، والأمة، الشعب..).

2- لم تكن مسألة العلم الوطني فكرة من النجم فقط، بل كان كتعبير عن وجود عنوان للهوية، موجودة أصلا، والشرف لمن رفعه من جديد، ولعل أهم خطوات النجم في طريق استرجاع سيادة الدولة، هو اتخاذ العلم الوطني، كون مسألة إبراز العلم؛ يعبر عن تناظر بين حقلين ثقافيين وحضاريين مختلفين.

3- نظرا لِقوة تأثير الكلمة في الوعي الفردي والجمعي في إطار ما يعرف بأدب المقاومة، أخذ النص الشعري مكانة مهمة في العمل الثوري، واستكمالا لخطوات استعادة الدولة الجزائرية تم اعتماد نشيد رسمي لحزب مصالي، والذي ألفه الشاعر الوطني مفدي زكريا، تحت عنوان «فداء الجزائر روعي ومالي»، وهو عمل جمع بين سحر البيان، وهموم القضية، ولخص النشيد الرسمي للتيار الثوري البرنامج السياسي والثقافي للتيار الثوري، كما حمل ردا حاسما تجاه دعاة الإدماج والفرنسة والتجنيس.

كما حرص التيار الثوري بقيادة مصالي الحاج؛ على اغتنام أي فرصة؛ لإظهار هوية الجزائر؛ والتتديد بالاستعمار؛ في كل المناسبات الأولى ومنها:

- حين صرح النجم بأيدولوجيته، على لسان سكرتيره العام مصالي الحاج في مؤتمر بروكسيل المنعقد ما بين 10 و14 فبراير 1927.

- كما ظهر ذلك في وثيقة صادرة عن الجمعية العامة للنجم المنعقدة بباريس سنة 1933 فكانت المطالب:-استقلال الجزائر، وجلاء جيوش الاحتلال الفرنسي، وتأسيس جيش وطني إضافة للمطالب المستعجلة.

- كما استغل التيار الثوري كل المناسبات والأحداث للتذكير بهوية الجزائر، منها تنديده بالاحتفالات الاستفزازية لشعور المسلمين، بمناسبة الذكرى المئوية لاحتلال مدينة الجزائر، ووقوفه إلى جانب اخوانه المسلمين وتنديده بتصرفات اليهود خلال أحداث قسنطينة 1934، ولصالح التعريف بالقضية الجزائرية كانت للنجم نشاطات خارجية حيث وجّه مصالي رسائل للتذكير بهوية الجزائر وللنديد بالاستعمار في رسالتين إلى عصبة الأمم سنة 1930.



الفصل الثالث

التيار الثوري وخطاب الهوية لمرحلة الثلاثينات

تمهيد

المبحث الأول: الحركة الوطنية وقضايا الهوية

المبحث الثاني: محطات تاريخية جذرت التيار

الثوري

المبحث الثالث: مرحلة حزب الشعب

المبحث الرابع: نشاطات أخرى لحزب الشعب

المبحث الخامس: تجارب الإجماع على قاعدة

الهوية

خلاصة الفصل

تمهيد الفصل

أمام واقع استعماري تميز برفض الفرنسيين لمناقشة أي حوار خارج فكرة الجزائر الفرنسية، لم تستسلم أجنحة الحركة الوطنية الجزائرية وعملت وفقا للقاعدة: «ما لا يدرك كله لا يترك جله»، وطورت مهاراتها السياسية لمواجهة الغطرسة الاستعمارية.

كانت فترة الثلاثينات؛ فترة حاسمة ومفصلية؛ بالنسبة للتيار الوطني؛ بصفة عامة والتيار الثوري بصفة خاصة؛ في ظل تصاعد قوة الحركة الوطنية؛ التي شكلت طبقة سياسية حقيقية، وساهمت في صياغة الوعي، وتكوين رأي عام وطني. مقابل ذلك كانت الإدارة الفرنسية تكابر، لكنها تحاول أن تجاري التطورات، فقد حاولت الإدارة الاستعمارية تخفيف الاحتقان؛ عبر طرح المشاريع الإصلاحية.

توجه التيار الثوري من اليوم الأول؛ لإحداث شرخ مع الاستعمار؛ بإظهار أن المشروع الوطني؛ هو نقيض للوجود الاستعماري، نقيض له لأنه يهدف لاسترجاع السيادة الوطنية، ونقيض له لأنه يريد القضاء على كل الممارسات والتقاليد وأنواع العبودية والاستغلال، التي كانت وليدة الوجود الأوروبي الفرنسي في الجزائر، والقضاء على الرأسمالية المتوحشة، وإقامة العدالة، فكانت طموحات التيار الثوري أبعد من استرجاع الاستقلال، بل كان يبشر في خطابه بفجر جديد، حيث يتمكن الإنسان في الجزائر من استرجاع إنسانيته، في ظل العدالة الشاملة.

في جزائر الثلاثينات كان التناقض صارخا بين واقعين، واقع البؤس الذي يعيشه الأهالي، وواقع الترف الذي يعيشه الأوروبيون في الجزائر، في هذه المرحلة عرفت الجزائر حراكا سياسيا غير مسبوق، إذ اتسعت الساحة الوطنية لنشاط أجنحتها العاملة وهم: المنتخبون، والعلماء، وعناصر تابعة للحزب الشيوعي، وكانت معركتهم حامية مع الإدارة وغلاة الاستعمار، في حدود المطالب الثقافية والاجتماعية، وكانت تنقصهم جسارة وجرأة حزب مصالي للكلام عن المطالب الوطنية.

ليتمكن التيار الثوري بالتدريج من التعريف بنفسه، ثم فرض نفسه على الساحة

الوطنية، كان التيار الثوري يستغل كل الأحداث، ويحدث المفاجئات بمواقفه الوطنية، كصاحب مشروع وطني أصيل، ومدافع عن الشعب الجزائري المسلم. مستغلا كل مناسبة للتعريف بنفسه وبرنامجه الوطني، عبر مشاركته في كل المناسبات الوطنية، وطرح نفسه طرفا محاورا للاستعمار باسم الجزائريين المسلمين شيئا فشيئا، وعلى هذا الأساس أردنا الاجابة على الإشكالية المتمحورة حول موقع التيار الثوري، ومواقفه بعد تعرفه على الواقع الجزائري، لذلك طرحنا تساؤلا رئيسا: كيف تمكن النجم من إيجاد موطئ قدم في الساحة السياسية في الجزائر؟ وما هو سر تعلق الجماهير بالتيار الثوري؟ وما هي مواقف التيار الثوري من أحداث الجزائر في الثلاثينات؟

تفرع عن هذه الاشكالية تساؤلات، وقد قمنا بتحويل هذه التساؤلات إلى عناوين للمباحث في هذا الفصل والتي كانت كالتالي:

- 1-تصاعد قوة الحركة الوطنية وتخطت السياسة الاستعمارية بين الغطرسة والإغراء.
- 2-محطات تاريخية جذرت التيار الثوري.
- 3-النجم والاستثمار نضاليا في الواقع الجزائري والهوية
- 4- مرحلة حزب الشعب
- 5- البحث عن الإجماع على قاعدة الهوية ودور الخطاب الثوري في قيادة التيار للحركة الوطنية.

.....

المبحث الأول: الحركة الوطنية وقضايا الهوية

1- السياسة الاستعمارية في ظل تصاعد قوة الحركة الوطنية

أ- السياسة الفرنسية بين الفطرسة والإغراء

كان النظام الاستعماري يستفيد من التطور الهائل في شتى المجالات، إضافة للموارد المتاحة لتسيير المستعمرات، لكن من جهة أخرى كانت السياسة الفرنسية الاستعمارية تعيش حالة من التخبط، لما كانت تعانيه من تناقضات، ومن المفارقات وجود نظامين لمنطقة واحدة على أسس عنصرية، فرغم أننا أمام دولة تتبجح نخبتها بأن فرنسا بلاد المثل العليا، لكن في الواقع فإن تلك المثل كانت فقط لخدمة الأوروبيين أو المسيحيين في الجزائر، إذ هناك بون شاسع بين شعارات الثورة الفرنسية، وأعمال الدولة الفرنسية، فقد كان التناقض صارخا بين واقعين، واقع البؤس الذي يعيشه الأهالي، وواقع الترف الذي يعيشه الأوروبيون في الجزائر، ومنها ذلك البذخ الذي صاحب الاحتفالات المنوية لاحتلال الجزائر، والوسائل المسخرة لذلك، وما رافق ذلك من حملة دعائية استقرازية، والتي جعلت الجزائريين المسلمين يشعرون أنهم مستهدفون، من الأوروبيين واليهود (أحداث قسنطينة 1934) على حد سواء مما أدى إلى تسارع الوعي الوطني.¹

خلافا للمبادئ العالمية فإن النظام الاستعماري الفرنسي كان ينطوي على استثناءات حقيقية أثناء مدة وجوده في الجزائر، والمتمثلة في تقنين ثقافة التمييز الطائفي، ومن البداية إلى النهاية، كان الهدف الرئيسي للحكم الاستعماري، هو تعزيز مصالح الدولة الاستعمارية، جنبا إلى جنب مع مصالح المعمرين.² ويشير الكاتب بيار ميكاييل Pierre Miquel إلى حالة السكان المسلمين في الجزائر، في ظل الاستعمار الفرنسي، حيث يشير: إلى أن الاستعمار عمل تغيير المجتمع التقليدي. وجرى تغيير قوانين حماية الملكية الجماعية في كل مكان. وتم دفع شبه البدو الرحل في السهوب إلى الورا، بسبب التقدم إلى الجنوب، وتشير التقديرات إلى أن الأغنام انخفضت من 11 مليون إلى 3 ملايين رأس خلال خمسين عاما، وإلى فقدان المزارعين المسلمين في التل لأراضيهم، وأصبحت بعض القبائل على شفا المجاعة، لأن التوازن بين المحاصيل والأراضي البور والمراعي، قد انكسر بفعل الإجراءات الاستعمارية. في وقت يتزايد فيه عدد سكان المناطق الفقيرة.³

وكانت شعارات الثورة الفرنسية التي كثيرا ما يفخر بها الفرنسيون، تتناقض تماما مع الممارسات

¹ - مهساس: الحركة الثورية، مرجع سابق، ص 102. بتصرف.

² - Ali becherirat: *les droits de l'homme En Algérie de 1830 a 1962*, Casbah éditions, Algérie, 2012, p13.14. بتصرف

³ - Pierre Miquel: *La guerre D Algerie*, basamat edition , Algérie ,2013, p13.

اليومية للاستعمار الفرنسي في الجزائر، إذ تحكمت الهواجس الأمنية في كل جوانب السياسة الفرنسية في الجزائر، وهو ما يظهر جليا من المبالغة في الاحتياط والتوجس من الأهالي المسلمين التي لازمت الفرنسيين وأصبحت كهواجس ترجمت على أرض الواقع من خلال القوانين والإجراءات الاستثنائية التي سلطت على الجزائريين المسلمين، ونتج عن ذلك حرمانهم من شروط التمدن، في مقابل ذلك منح المهاجرون الأوروبيون والإسرائيليون في الجزائر؛ كل التسهيلات والامتيازات، من أجل دوام حالة السيطرة.¹

من جهة أخرى وفي هذا الوضع كان المشروع الاستعماري يتآكل، رغم أن الإدارة الاستعمارية تحاول أن تجاري التطورات، فقد حاولت الحكومات الفرنسية تخفيف الاحتقان عبر طرح المشاريع الإصلاحية، ومن أهم هذه المشاريع مشروع بلوم- فيوليت Blum-Viollette.² لكنها لم تتخل عن عنجهيتها، إذ سعت لإبراز نوع من التحكم في المستعمرة، عبر مواصلة تطبيق القوانين الجزرية، للحد من نشاط الحركة الوطنية وعرقلتها، وخاصة العلماء، الذين غالت في الضغط عليهم، إذ صدر في سنة 1933 منشوري ميشال الكاتب العام لولاية الجزائر، للذين ينصان على مراقبة نشاط العلماء، ومنعهم من ممارسة التعليم والمهام الدينية في المساجد، وقرار رينيه Régnier المشهور الصادر في 30 مارس 1935، والقاضي بتسليط عقوبات جزرية، ضد كل من يثير الشغب، أو يعارض القوانين الفرنسية في الجزائر.³

كان لسان حال الفرنسيين يقول أيها الجزائري عليك باليأس من تغيير الأوضاع، أي أن هواجس للفرنسيين هي أن يحلم الجزائري بغد أفضل، أو أن يتحول حلمه إلى أمل قد ينبني عليه عمل ما. وفي مواجهة تلك السياسة الاستعمارية، التي تمارسها السلطات الفرنسية، لم تُعدم الحركة الوطنية الجزائرية الحيلة؛ لمواجهة معركة الحياة، متشجعين بالنفس القومي والديني والثقافي المتسرب من المشرق؛ ولم تجد بدا من أن توسع أفق تفكيرها؛ لاستيعاب التحديات، والتفكير بجدية لمرحلة كفاح؛ تتطلب أولا وضع أسس جديدة؛ لبناء مقومات الحياة، والانتقال إلى حالة من التحفز، لاقتناص أي فرصة متاحة أجل الوطن والقضية.⁴

¹ - Ali becherirat: les droits de l'homm En Algérie de 1830 a 1962, Casbah éditions, Algérie, 2012, p13.14. بتصرف

Djanina Messali : Op. cit. p;45.

³ - سعد الله: الحركة الوطنية: ص ص 153-155.

⁴ - بغورة: الخطاب الفكري في الجزائر، مرجع سابق، ص 146. بتصرف.

ب- تصاعد قوة الحركة الوطنية

بعد مرور قرن من الزمن على وجودهم في الجزائر، ظن الفرنسيون أنهم حققوا حلمهم واكتمل بنائهم الاستعماري، إلا أنه وفي واقع الأمر، فإن بنائهم بدأ في التآكل لحظة اكتماله، وبدأت تباشير بداية انحسار المد الاستعماري وعلامات زواله، في ظل تصاعد قوة الحركة الوطنية، التي وضعت الأساس لعمل وطني مؤسسي. وكانت فترة الثلاثينات فترة حاسمة ومفصلية بالنسبة للتيار الوطني بصفة عامة، والتيار الثوري بصفة خاصة، في ظل تصاعد قوة الحركة الوطنية التي شكلت طبقة سياسية حقيقية، وساهمت في صياغة الوعي وتكوين رأي عام وطني، إذ لا يمكن إنكار أن الحركة الوطنية موجودة، خاصة مع بروز التيار الثوري، حيث فتحت صفحة جديدة من التاريخ لهذا الحزب،

في سياق جغرافي وسياسي واجتماعي وثقافي واقتصادي يمر بتغيير عميق.¹

ورغم أنه في النهاية لم تتجح تجارب الانتفاضات العسكرية ضد الاستعمار الفرنسي طيلة القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، إلا أن المقاومة اختارت لها شكلا آخر لمواصلة الكفاح، وكانت البدايات مع:

- الزخم الذي صاحب زيارة لجنة جول فيري Jules-Ferry البرلمانية للجزائر 1892 مما ساهم في حلحلة المشهد السياسي، وأعطى دفعا للحركة المطالبة التي بدأت بالتشكل بشكل محتشم نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

- حركة رد الفعل على التجنيد الإجباري 1906-1914 التي لم تبلغ مرحلة النضج كحركة سياسية. لظروف واقعية، لكنها كحركة مطلبية، كانت مؤشرا لبدايات نهضة، نشطتها النخب المسلمة، أو ما سمي «جماعة الجزائر الفتاة» التي أدت دورا كبيرا وهاما في بعث الروح الوطنية، إضافة لتأثير الأحداث الخارجية الحرب الكونية، الخلافة، وحرب الريف في المغرب، وفلسطين.

- مشروع الأمير خالد، الذي لولا الاجهاض الذي تعرض له، لما تأخر المشروع الوطني إلى الثلاثينات.

- دور كل من المنتخبين الجزائريين المسلمين، وجهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

- فعاليات المؤتمر الإسلامي 1936، الذي يعتبر أول تجمع من نوعه في الجزائر.²

رغم كل الاحترازات الاستعمارية، كانت الثلاثينات هي نقطة التحول في تجذير الشعارات الوطنية، وتضاعف الرموز الوطنية، فقد تم تأسيس الكشافة الإسلامية وتزايد العمل التربوي لجمعية العلماء، إضافة

بتصرف. Op. cit. p;45 : Djanina Messali - 1

² - سعد الله: الحركة الوطنية، ج3، مرجع سابق، ص 156.

إضافة لذلك الاهتمام المتزايد بتاريخ الجزائر.¹

ج- التيار الثوري وبدايات التواصل مع المشرق العربي

كانت الثلاثينات فترة خصبة في حياة التيار الثوري، إذ سجل النجم اختراقا على عدة جبهات، إذ تم فتح جبهة للتواصل مع المشرق وربط العلاقات معه، والتي دشنت بقاء مصالي مع شكيب أرسلان.² وتم اللقاء بين الرجلين خلال وجود مصالي بجنيف سنة 1935م كلاجئ، بعد أن حُكم عليه للمرة الثانية غيابيا من طرف السلطات الفرنسية.³ وكما تروي ابنته، فقد كانت لقاءات مصالي في سويسرا مع الأمير شكيب أرسلان قد شغلت حيزا من وقت إقامته، وتضيف: كان وقع وجود مصالي في منفاه الاختياري لمدة ستة أشهر في جنيف مجهدًا ومضنيًا عليه، فشغل جزءًا كبيرًا من وقته بالقراءة الدقيقة للصحافة وكتابة المقالات في جريدة الأمة، وكان يرسل مقالاته إلى زوجته، التي تشارك آنذاك في نشر الصحيفة وتبلغه بانتظام بتقدم الحزب والوضع السياسي الفرنسي.⁴ وكان للقاء الرجلين أهمية خاصة من جانب تأثيرها على حياة مصالي والنجم، إنها الحلقة الأولى من الارتباط الذي أقيم بين نجم شمال إفريقيا وشخصية مؤثرة من المشرق العربي، هذا الارتباط أصبحت له أهمية أساسية من الناحية السياسية، ومنذ ذلك الحين أصبح لدى مصالي إضافة لدعم الحركة العمالية الفرنسية، أفاق جديدة لاكتساب الدعم وهوامش للمناورة، بعد أن حصل النجم الآن على دعم العالم العربي والإسلامي، منذ تلك اللحظة فصاعدًا شارك مصالي في أنشطة اللجنة السورية الفلسطينية، وكذلك كانت له مواقفه الإيجابية تجاه قضايا الأمة العربية.⁵

في هذه المرحلة حقق مصالي اختراقين، فكانت لقاءات مصالي- أرسلان هذه بداية الاستفادة من العمق الحضاري، واستثمار الفضاء العربي الإسلامي هذا من جهة، ومن جهة حقق التيار الثوري الاختراق الأكثر أهمية مع تعرف الجماهير الجزائرية عليه، في تجمع الثاني أوت 1936 بملعب بولوغين بالجزائر العاصمة، حين استطاع الزعيم مصالي الحاج اختطاف الأضواء، وبذلك تعرفت عليه طبقات الشعب، وأعلن الميلاد الحقيقي للتيار الثوري في الجزائر، وأمام جماهير شعبه عرض برنامج وندد بمشروع بلوم- فيوليت Blum-Viollette وسياسة الارتباط مع فرنسا، وبذلك عبّر نيابة عن مطالب الشعب، بلغة لم يألّفها أهل السياسة من الجزائريين.⁶

¹ - gilbert meynier et ahmed koulakssis:, op.cit p7.

² - ثنيو: إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 223 .

³ - Mahfoud Kadache, Djillali Sari: *L'Algérie pérennité et résistances (1830-1962)*, Office des Publications Universitaire, 2009, p71.

⁴ Djanina Messali : Op cit, p39

⁵ - ibid :p 39.

⁶ - قداش: جزائر الجزائريين، مرجع سابق، ص 318.

2- مسألة الإدماج والتجنيس

أ- موقف الطرفين الأوروبي والمسلم من الإدماج والتجنيس

يختلف مفهوم وتفسير كلمة الإدماج بين الطرفين الأوروبي والأهلي، فالملاحظ أن مصطلح الإدماج يحمل قيمة ومعنى مختلف، بين فكرة التعادل إلى فكرة الذوبان، إذ يوجد فهم مختلف لمفهوم الإدماج بين الطرفين، الفرنسي والمسلم الجزائري، فإذا كان الاندماجيون الجزائريون، في أغلبهم ومنهم فرحات عباس، يفسرون الإدماج هو المساواة في الحقوق والواجبات، فإن دعاة الإدماج من الطرف الآخر، يرون الإدماج بأنه ذوبان الطرف المسلم وانخراطه في النظام المسيطر.¹ وفي الواقع فإن نظرية الإدماج كانت مسألة وهمية، ذلك أنه لا يمكن للسكان المسلمين الحصول على حق المواطنة، إلا بشرط التخلي عن أحوالهم الشخصية، وهذا مستحيل.²

إن الفئة الأكثر تطرفا من الجزائريين التي نادى بالإدماج الكامل، أو التي التحقت بالهيئات أو المنظمات المنادية باللائكية والإلحاد، بقيت متشبثة بذلك، ليس لأنهم أدمجوا في الحضارة الأوروبية واستفادوا منها، بل لقد بقوا على الهامش، لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء، ومشكلتهم أنهم وقعوا ضحية غسيل مخ لصالح المشروع التغريبي، ضمن مشروع صراع حضاري كبير، يعتمد على بث التشكيك واحتقار الذات، ظاهره التفتح وحرية التفكير، وهدفه ازاحة الإسلام من المنطقة، وبذلك يمكن ان نميز صنفا آخر من النخبة تماهت مع الحضارة الغربية، وهو النخبة المستلبة خاصة ذات التوجه اليساري، رغم ظاهر ارتباطهم بالإسلام، فإنهم ظلوا لا يريدون من الإسلام إلا ما يخدم أيديولوجيتهم، كما يقول طه عبد الرحمان: «فهم يستندون إلى مبدأ التسييس في تقويم التراث..، فقيمة النص التراثي منحصرة فيما يحمله النص في سياقه من دلالات لهموم نضالية، ومشاغل سياسية، هدفها ممارسة السلطة، فما وافق أفكارهم احتل مكانه في سياق التعبئة، وما جانب قيمهم فُبر»،³ وفي ذلك يرى الدكتور طه عبد الرحمان: «ولعل السبب في العناد هو كون عقل المعترض اندمج بمقولات تراث غير إسلامي، فانساق من حيث يشعر، أو لا يشعر، إلى قياس التراث الإسلامي، على التراث الأجنبي، مقررًا أن كل قياس خالف التراث الأجنبي ضعف...وبهذا فإن من يعمد إلى هذا القياس، يكون ضاق عقله بما لا يزيد عليه، لأنه لا يقدر على تصور، إمكان صحة ما لا يوافق المقولات التي دمغت عقله».⁴

¹ - سعيد علمي: الاستعمار والعمران، تق: عبد الجليل التميمي، تر: نسرين الولي، ومحمد رضا بوخالفة، دار الكتاب، الجزائر، 2013، ص ص 232 ، 233 .

2 - isnard, hildebert :op.cit, p 464.465.

³ - طه عبد الرحمان: تجديد المنهج في تقويم التراث، ط4، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، 2012، ص ص 26-36.

⁴ - طه عبد الرحمان: في أصول الحوار، مرجع سابق، ص 22.

وبالنسبة لموضوع التجنيس فقد كانت مواقف الجزائريين صارمة ورافضة له منذ القرن التاسع عشر، بداية بالعريضة التي وقّعها 1700 جزائري سنة 1887 والتي يرفضون فيها التجنيس، وجاء فيها: «يكون للدخول في الجنسية الفرنسية نتائج بالنسبة لنا وهي الإلغاء الكامل لقانوننا وشريعتنا.. وأنه لا يسمح لنا بالابتعاد عن الطريق المستقيم»، كذلك عريضة لأهالي تلمسان فرييل 1891، حول مشروع التجنيس، جاء فيها ما يخص التجنيس: «ومن الواضح أن القبول بالمشروع، سيؤدي إلى القضاء على مبادئنا الدينية.. لكن لا نستطيع التضحية بديننا».¹

وبالنسبة لدعاة الإدماج من الجزائريين كانت مسألة التجنيس هي المحك داخل جماعة النخبة المسلمة، بين من يريد التمدن والمساواة فقط، ومن يريد الانسلاخ عن هويته والتماهي* مع الحضارة الغربية، وبالتالي كانت مسألة التجنيس هي المحك الحاسم؛ الذي أظهر العناصر المتساهلة في حدود الهوية،² وبعد ضغط تراوح بين الترغيب والترهيب، كانت حصيلة عمل أكثر من قرن، عبارة عن حصيلة هزيلة، للذين قبلوا بالجنسية الفرنسية، فحسب ش. أ. جوليان Ch. A. Julien فإنه بين 1865-1934 لم يقبل التجنيس سوى 2500 شخص، وفي ذلك خيبة كبرى تلقفتها الإدارة الاستعمارية.³

وقد عاش أغلبية المتجنسين وضعية الرديف للفرنسيين، وعلى هامش الجزائر العميقة، التي نبذتهم وردت عليهم بالاحتقار، وكان الشعب قد اتخذ موقفا صارما، فتم تهميش وإقصاء كل فرد متجنس بالجنسية الفرنسية وبقيت كلمة «مطورن»* والتي تعني مرتد أو متجنس - شتيمة مقدعة ومفزعة للباقي، لا تختلف في مدلولها الشعبي عن الخيانة، وهذا ما يفسره فرانز فانون، عن دور الهوية والمرجعية باعتبارها آلية ردعية تضغط على الأنا الظاهر، أو الذات الواقعية، وهو ما يحيلنا لما حدث للفئة القليلة التي قبلت التجنس والذوبان في الثقافة الفرنسية، فبوجود أقلية متفوقة ومسيطر، وأغلبية مهمشة، وكحالات شاذة؛ تتجه فئة من هذه الفئة المغلوبة إلى تبني الصفات السلبية، التي تنسبها لها الفئة المسيطرة، فتبدأ كراهية الذات، لتنتهي إلى القابلية السريعة للاندماج، والتتكّر للهوية الأصلية.⁴

¹ - جمال قنان: نصوص سياسية، مرجع سابق، ص 198. ص 210.

* - التماهي هو سعي طرف ضعيف أو متخلف إلى التطابق مع طرف متقدم وقوي في قيمه ومفاهيمه وسلوكه، والكلمة مشتقة من كلمة الماهية، كأن المتماهي يجتهد أن يصير نسخة من المتماهي به، ينظر: بشير بلاح، التدايفات الثقافية، مرجع سابق، ص 19.

² - أحمد مهساس: الحركة الثورية، مرجع سابق ص 41، 42. بتصرف.

³ - شارل أندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسير، القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية: تر: المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، تونس 1976، ص 47.

* - (مطوّزُن: أصل المصطلح فرنسي retourné ويعني مرتد أو المنقلب، واللفظ في الجزائر يعني المرتد عن الإسلام).

⁴ - ينظر - ولد خليفة: المسألة الثقافية، مرجع سابق، ص 181، 113.

ب- موقف التيار الثوري من قضية الإدماج والتجنيس

المحافظة على الشخصية الإسلامية الجزائرية هو الهدف الأساسي للتيار الثوري في الجزائر. لأن الجزائر لها شخصيتها الخاصة، المكونة من تقاليدها وتاريخها المجيد، ولغتها ودينها، ولذلك عارض النجم- حزب الشعب، مشروع بلوم- فيوليت، Blum-Viollette الذي كان يعتمد على إعطاء المواطنة الفرنسية لنخبة جزائرية معينة، وهذا المشروع الاندماجي قد تحمست له كل المنظمات الجزائرية، وأحزاب الجبهة الشعبية الفرنسية، وحركة النواب، وحتى العلماء (التجنيس حرمة العلماء)، ظنا منهم أنه الفرصة الوحيدة لتحقيق المساواة المرجوة، في الحقوق والواجبات، بين العنصرين العربي والأوروبي، داخل الجزائر، وحول موقف التيار الثوري من قضية الإدماج والتجنيس، بيّن الحزب في مقالات عديدة موقفه الرفض للإدماج، ومشروع بلوم-فيوليت، وسبب رفضه، وأوضح بأن سياسة الإدماج غير طبيعية وغير ممكنة.¹ ومن الناحية العملية تعتبر الفكرة الاندماجية في الجزائر، أثناء فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، مسألة وهمية، بلا مضمون حقيقي، فلا الطرف المسلم يقبل بها، ولا الاستعمار الفرنسي يريد تطبيقها، فالسياسة الاندماجية استبعدتها السلطات الاستعمارية، لأن المعمرين يريدون دوام حالة التمييز العنصري، وكذلك ترفضها جميع فصائل الحركة الوطنية وتبأها؛ لضررها على الشخصية والهوية ومستقبل الوطن. وبالتالي يمكن الجزم باستحالة تطبيق الفكرة الاندماجية في الجزائر، وتاريخيا أعلن التيار الثوري موقفه الرفض للتجنيس في كل مناسبة، ومنها خطاب مصالي الموجه للأمة يوم 13 نوفمبر 1936، حين قال: «إن الخط الذي نسلكه في جهادنا هو خط التحرير، وليس خط الإدماج والتجنيس، وشتان بين السعي وبين التنفيذ، فالأيام وقوة الشعب، وحدهما كفيلان بتحديد أجل التنفيذ، والله من وراء ذلك محيط».² وفي فترة حزب الشعب تم تجديد الرفض، وهو ما عبرت عنه جريدة الأمة: «إن السياسة الاندماجية وهم كبير، وهي مجرد سياسة إبادة، لمصلحة المستعمرين، والجزائر القوية بشعبها بتعداد 6 ملايين، يتكلمون لغة واحدة، ويدينون بدين واحد، ولهم ماض مشترك، ويحرصون على التمسك به، فلا يمكن لهذا الشعب أن يندمج، ولا أن يمحي، وأقصى ما يمكن أن يفعله في هذا الصدد، هو أن يدخل في تحالف مع آخرين (فرنسا)، إن السياسة الاندماجية لا يمكنها أن تقوم في الجزائر، لا من الناحية القانونية ولا من الناحية السياسية، أو التاريخية، فهي لا تأتي بأي حال، بل تتطوي في ذاتها على الفوضى والخشية والإبهام».³

¹ - قناش، وقداش: حزب الشعب، مرجع سابق، ص 49.

² - قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، مرجع سابق، ص 1316.

³ - El Ouma, 10 Avril 1937, Declaration du bureau politique du PPA.

- عن: ثنيو، اشكالية الدولة، م سابق، ص 228.

3- الحركة الإصلاحية وقضايا الهوية

عمل الاستعمار الفرنسي جاهاً لاخترق المجتمع الجزائري، وكان في حاجة لتشويه الوقائع لتبرير الاستعمار، ولا يتم ذلك إلا بعد تحطيم المرتكزات والخلفيات المعرفية المحكمة للشعوب المستعمرة، وتحويرها وضبطها لمصلحة الاستعمار، وتوجيه المفاهيم واستحداث مصطلحات وتوجيهها لتحدث الغموض والارتباك تحت شعار الحداثة وتجديد الفكر، فيقع التساهل في حدود الهوية، وهنا يقول طه جابر العلواني: «فقد تستعير الأمة مصطلحا من شق معرفي على توهم التماثل والتشابه، والذي قد يكون من الخصوصيات المليّة، فتفقد الأمة بذلك خصوصيتها المليّة والشرعية، فتدخل مفاهيمها دائرة الغموض والارتباك، وعندما تهدر فاعلية أبناء الأمة في الفهم المتبادل والنقد والتقييم، تضطر الأمة إلى التركيز على العالم الحسي، عالم الأشخاص والأشياء، فيهبط مستواها العقلي والنفسي وتضطرب شخصيتها».¹ لذلك كان لابن باديس مقاربتة لنصره الهوية:

أدرك بن باديس قيمة العمل المؤسساتي، ومارسها بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931، وبمشروعه هذا لأمس بن باديس وقارب أهداف المقاومة الوطنية الفكرية، وسد ثغرة لم يستطع أحد قبله ولا بعده أن يحوز هذا المقام، وبادر لذلك مدركاً أن لا فائدة ترتجى من الإدارة الفرنسية الاستعمارية، وخطى بن باديس خطوات واسعة في نهضته التعليمية بقسنطينة، منذ رجوعه من المشرق سنة 1913، وفي سنة 1928 وجه دعوته للطلاب العائدين من الزيتونة، وعلى رأسهم البشير الإبراهيمي، ومبارك الميلي، والطيب العقبي، والعربي التبسي، والسعيد الزاهري، ومحمد خير الدين، اجتمع بهم في مكتبته (وهو إدارة جريدة الشهاب) المجاور لمسجد الأربعين شريفاً، وبعد عرض حال البلد وممارسات الاحتلال اقترح خطة عمل تمثلت في تعيين مجموعة من الرواد للقيام بالعمل الإصلاحي، وحدد لهم أماكن نشاطهم.²

وبذلك باشر بن باديس عمله على أرض الميدان مبكراً قبل إنشاء جمعية العلماء، وقد قارب مشروع بن باديس ومنهجه في تدريس المواد الشرعية إلى جانب المواد العلمية بطرق عصرية القاعدة التالية التي أخذ بها؛ وهي: بأنه يندفع كلياً كل اعتراض على الأخذ بالتراث القديم، مادام يتم الأخذ بأقصى ما يمكن من المقتضيات العلمية المستحدثة، فليست العبرة بالموضوع فقط بل العبرة في المنهج الذي يستوفي شروط التقدم.³

¹ - العلواني وآخرون: مرجع سابق، ص9.

² - محمد خير الدين: مذكرات محمد خير الدين، ج1، مطبعة دحلبل، الجزائر، 1985، ص72، 73.

³ - طه عبد الرحمان: في أصول الحوار، مرجع سابق، ص24.

في حقبة كانت من أشد الحقب توترا في تاريخ الجزائر، قيض الله للجزائر رجال ومنهم ابن باديس، الذي استطاع أن يعكس الضمير الوطني، وأن يترك بصماته واضحة وذلك بإسهامه بفعالية في المسيرة الجهادية للشعب الجزائري، وكان له فضل في بعث الحركة الأدبية والفكرية،¹ ولم يكن التيار الإصلاحي بقيادة بن باديس معزولا عن الأحداث الوطنية، بل كان في قلب الأحداث، وكان الثلاثي فرحات عباس، مصالي، بن باديس، قد نشطوا الحياة السياسية، وكان التنافس بينهم شديدا لصالح القضية الوطنية، وفي كثير من المواقف الوطنية اجتمع الثلاثة، لتنسيق المواقف الوطنية، بداية بالمؤتمر الإسلامي 1936 الذي بدأ كفكرة طرحها بن باديس، كما نسق التيار الإصلاحي مواقفه مع التيار الثوري في بيان 10 فيفري 1943، وتجربة أحباب البيان، وأخيرا تشكيل الجبهة الجزائرية من أجل للدفاع واحترام الحرية 1951.²

كانت لا بن باديس مواقف حول الوطن والوطنية، حين جاء رده على تصريح فرحات عباس الشهير «فرنسا هي أنا»؛ حيث كتب بن باديس مقالا في جريدة الشهاب؛ أبريل 1936 بعنوان: «كلمة صريحة» وفيها يقول بن باديس: «إننا فتننا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة، كما تكونت وجدت أمم الدنيا ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال لها وحدتها الدينية واللغوية، شأن كل أمة في الدنيا له»، ويضيف: «هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصبح فرنسا، ولا تستطيع أن تصبح فرنسا، ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا، لها لغتها ودينها، لها وطن هو الوطن الجزائري».³ ويضيف بن باديس في مقاله "كلمة صريحة": «إن الاستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا وقد استقلت أمم كانت دوننا في القوة والعلم والمنعة والحضارة»، وقوله: «أي إنسان يا سادة لا يجب الاستقلال»،⁴

كما يقول بن باديس: «ولنا من هذا التاريخ الممتد البعيد مجد وملك مثل ما لغيرنا، وفوق ما لغيرنا»،⁵ وحول حب الوطن يقول بن باديس: «لا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه، أنا رجل مسلم ورجل وطني، كل حواسي وكل عقلي في خدمة وطني، لمن أعيش، أنا أعيش للإسلام والجزائر».⁶

¹ - محمد بن سميينة: أسس مشروع عبد الحميد بن باديس، ج1، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2004، ص15.

² - سعد الله: الحركة الوطنية، ج3، مرجع سابق، ص156.

³ - عمار طالبي: بن باديس حياته وآثاره، ج3، دار الغرب الإسلامي ببيروت، ط1، 1968، ص ص 307-309.

⁴ - تركي رابح: التعليم القومي، ص ص، 376-387.

⁵ - خير الدين: مذكرات، ج1، مرجع سابق، ص ص 326-343.

⁶ - ينظر: عمار طالبي: آثار بن باديس، ج1، ومج2، الشركة الجزائرية لصاحبها عبد القادر بوداود، الجزائر ط3، 1997، ص 234، 306، 554.

يركز ابن باديس على مقوم الإسلام كركن أساس، من مقومات الشخصية الوطنية، وإذا ذكر أركانها قدّم الإسلام، فيرى أن المحافظة على الإسلام؛ هي المحافظة على أهم مقومات قوميتنا؛ فيقول: «الإسلام أعظم أسباب سعادتنا وهنأنا، نعلم أنه لا يقدر الناس أن يعيشوا بلا دين وأن الدين قوة عظيمة لا يستهان بها». ومنه فقد كان العلماء مقتنعون بأن الأمة المضطهدة تبعث، إذا قامت بإحياء دينها ولغتها، لذلك كانوا يعملون على الإصلاح بالتربية والتعليم من جهة، والتوعية بالقلم والكلمة والنشر.¹

بالنسبة لابن باديس فاللغة تأتي بعد الدين في الأهمية، اعتمادا على الشعار الشهير للجمعية، الذي تتجلى فيه عناصر الهوية الوطنية، عند ابن باديس وجمعية العلماء: «الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا» وبالنسبة للغة العربية، يقول عبد الحميد بن باديس عنها: العربية هي بالنسبة للأمة «مستودع تاريخنا وحضارتنا... لا يربط ماضيها المجيد بحاضرنا الأغر والمستقبل السعيد إلا الحبل المتين: اللغة العربية، لغة الدين، لغة الحس، لغة القومية، لغة الوطنية المغروسة».² وقد أولى ابن باديس وقادة الإصلاح، مسألة التعليم واللغة العربية، عناية خاصة، فما أن حلت سنة 1948، حتى كان مدارس جمعية العلماء تناهز 140 مدرسة في الجزائر، وعلى رأسها معهد بن باديس بقسنطينة، وقد كان لمدارس بن باديس، الدور الأكبر في النهضة الثقافية، بل أن الكثير ممن التحقوا بالثورة ترددوا على مدارسها.³

ويقدر ما كان الإجهاز عنيفا وعميقا من جانب المستعمر، بمقدار ما استنهض لدى الشعب الجزائري تمسكه بمقومات شخصيته، فقد شكل الدفاع عن الهوية بداية بإصلاح التعليم ونظمه، موضوعا مركزيا في مقاومة الاستعمار، والعمل على تجاوز مضاعفاته على عروبة وإسلامها. وكان شعار بن باديس في ثلاثة مبادئ: الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا، وبذلك وقف موقفا مجابها للاستعمار، رغم قوة وسطوة المشروع الاستعماري ماديا وثقافيا.⁴ نظرا لما يملكه من سلطة روحية ومكانة دينية واجتماعية تصدى الإمام عبد الحميد بن باديس لظاهرة التجنيس، حيث أفتى أولا بعدم دفن المتجنس بالجنسية الفرنسية في مقابر المسلمين، وأصدر فتوى صريحة تنص على ارتداد المتجنس عن الإسلام بالإجماع.⁵

¹ - Isnard, Hildeber : Op.Cit .

² - ابن سميحة: مرجع سابق ، ص ص 326، 332.

³ - تركي رابح: التعليم القومي، مرجع سابق، ص 140.

⁴ - مالكي: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مرجع سابق ، ص 243.

⁵ - نفسه: ص 362.

4- فرحات عباس ودوره في إثراء الحياة السياسية

رغم أن زلة فرحات عباس لم تنس؛ جراء مقاله في صحيفة entente franco musulmane بتاريخ 27 فيفري 1936 (جريدة الوفاق الفرنسي الإسلامي) والتي كانت بداية لظهور مجموع من الخطابات حول الهوية الوطنية؛ إلا أن ما يشفع لفرحات عباس، السياسي المحنك، نضاله ومقارنته لغلاة المعمرين، فقارع الكتاب الفرنسيين في كتاباته، فالرجل وقف في مراحل كثيرة من مسيرته ندا لغلاة المعمرين، ومزوري التاريخ من الكتاب الفرنسيين، وتحول الرجل من الإنكار لهوية الوطن والدولة، إلى الإثبات، فيقول في كتاب الشاب الجزائري: «إن الغزو الفرنسي قد أفقد الجزائر شخصيتها».¹

رغم قيادته للتيار الاندماجي، إلا أنه بقي ثابتا في مسألة المحافظة على الأحوال الشخصية، فلم يطلب التجنيس أبدا، ولم تستهويه حملات التصيير، بل واعتبر أن الجنسية الباقية للجزائريين هي الإسلام، وقد تدرجت مواقف فرحات عباس، لتبدأ من الإحساس بضياح الهوية، حين صرح «أنا فرنسا» لكن هذا التصريح، يراه البعض بأنه موجه لغلاة الأوروبيين المزيدين عليه، بفرنسيتهم الأصلية أو المكتسبة.²

وخلص فرحات عباس إلى نتيجة أن الإدماج سراب؛ فقد جاء في مقال لفرحات عباس: إن السياسة الاندماجية في الجزائر وهم كبير؛ لا يمكن إدراكها، بل لا يريد لها أحد، فالأغلبية العظمى من الأوروبيين في الجزائر؛ تعتبرها مناقضة لمصالحها؛ خاصة بعد أن تخلت عن مشروع «بلوم-فيوليت، Blum-Viollette كما أن البرلمان الفرنسي لم يوافق عليه أيضا، وأخيرا لقد امتلك المسلمون، وعيا كافيا بقيمة شخصيتهم وأهميتها؛ التي لا يبيغون عنها محيضا.³

مع الأيام أصبح فرحات عباس رقما لا غنى عنه في المعادلة السياسية، فقد استطاع أن يكون الشخصية المحورية، لقيادة الحركة الوطنية مطلع الأربعينات، بعد غياب رموز أقوى ثنائية قوية، في الحركة الوطنية وهما: بن باديس الذي توفي سنة 1940، ومصالي الحاج المغيب بالسجن. فظهر فرحات عباس في أفق الحركة الوطنية وملء الفراغ السياسي.⁴

ونظرا لقدرة فرحات عباس على استيعاب الأحداث في أوانها، فقد قال عن قناعة: أن الشعب انتعظ من تجارينا؛ فولى وجهه نحو وسائل أخرى للكفاح،⁵ وأن قادة حزب الشعب كانوا أحق منه، في عدم ثقتهم في تغيير السياسة الاستعمارية، وبعد تجربة سياسية طويلة توصل فرحات عباس إلى قناعة استحالة تغيير العقليّة

¹ - بغورة: الخطاب الفكري في الجزائر، مرجع سابق، ص 149-151.

² - ولد خليفة: الاحتلال الاستيطان، مرجع سابق، ص 44.

³ - قنانش، وقداش: نجم، مرجع سابق، ص 266.

⁴ - بلغيث: مرجع سابق، ص 150.

⁵ - بغورة: الهوية والتاريخ، مرجع سابق، ص 108، 109.

الاستعمارية.¹ ونقل عنه مراسل جريدة ليكسبريس L'Express الباريسية في 18 جويلية 1956 قوله: «لقد كنت غرا ساذجا عندما كنت أؤمن بالعمل السلمي، ومعارضة العنف، وكان أصدقائي على صواب، حين اتهموني بالسذاجة».²

ويرى فرحات عباس أن السياسة الفرنسية في الجزائر ارتكزت على مايلي :

- 1- إصرار فرنسا على تقويض كل ما يرمز للدولة الجزائرية، وعناصر السيادة الوطنية، وما تبع ذلك من تدمير هيكلية الشعب الجزائري ومؤسساته، وتقويض النفوذ للزعامات المحلية والأسر العريقة.
- 2- اتباع فرنسا لسياسة الاستيطان، بإحلالها الأوروبيين محل الجزائريين.
- 3- أعطيت للأوروبيين في الجزائر حريات وسلطات لا توجد في أوروبا، في حين وضع الأهالي تحت سطوة القوانين الاستثنائية، وسدت الطرق في وجوههم عدا طريق اللامستقبل.
- 4- واعتمادا على الإيديولوجية العنصرية، التي تعلي من شأن العنصر الأوروبي، أصبح الجزائريون أشباحا خارج القانون.³

ورد فرحات عباس على هذه الإيديولوجية بما يلي :

- 1- أن الجزائر كانت دولة ذات سيادة، ولها دور، اعترفت بها الكثير من الدول الأوروبية قبل 1830.
- 2- أن تحطيم الدولة الجزائرية من طرف قوة فرنسا، لا يعني أنها كانت غير موجودة.
- 5- كان للجزائر حدود معترف بها دوليا، والدليل النزاع بين المغرب وفرنسا، بسبب خرق الأمير عبد القادر الحدود، عند عبوره للمغرب، ومن البديهي والمتعارف عليها، أنها لا تخرق حدود لا وجود لها.
- 6- أن اللغة العربية كانت لغة الجزائر الرسمية، وكان التعليم منظما، وكان سكانها حسب حمدان خوجة خوجة عشرة ملايين نسمة.

ويبيدي فرحات عباس دهشته من السياسة الاستعمارية مستشهدا بقول أحد المعمرين الأوروبيين في الجزائر: «لا يهم فرنسا أن تخرق المقاييس الأخلاقية...الذي يهمنا تأسيس مستعمرة بصفة نهائية وأقصر الطرق هو نشر الرعب بالحديد والنار...ونضرم نار الفتنة بين قبائل التل والصحراء وأن نبلوا السكان بالكحول والفساد والفوضى..» فيقول فرحات عباس: «إن الإنسان يرتاب في صحة تاريخ فرنسا وحقيقة يوم 1789، وإعلانها لحقوق الإنسان».⁴

1 - فرحات عباس: ليل الاستعمار، ص155.

2 - شريط: مرجع سابق، ص4.

3 - فرحات عباس: ليل الاستعمار، مرجع سابق، ص32، 33 .

4 - نفسه: ص ص34-44.

5- الحزب الشيوعي وموقفه من الهوية

كانت تبعية الشيوعيين الجزائريين للحزب الشيوعي الفرنسي، مستوحاة من النموذج الروسي في تعامله مع الجمهوريات الإسلامية التابعة للاتحاد السوفياتي (سابقا)، فليس بالضرورة للمستعمرات حق في الاستقلال، بل الهدف تكوين فرنسا كبيرة.¹

كان أغلب المنضمين للحزب الشيوعي، ممن لا يحملون أي ود للحضارة الإسلامية، ولمعرفة موقف الحزب الشيوعي الفرنسي تجاه الأهالي المسلمين، نورد استطلاع لوضع الأهالي في الجزائر، قدمه الحزب الشيوعي الفرنسي في عام 1921، جاء فيه «يجب أن نحارب وبإصرار جميع التوجهات الوطنية للأقلية الأهلية المتعلمة، وتجريدها أمام أقرانها من كل صدقية بجميع الوسائل والطرائق، ويجب أن نندد بشدة بجميع النزعات الوطنية، واستعراض القوة من أجل ردعها، إذ سيتدرب على نجاح تيار وطني من الأهالي، نتائج وخيمة ومساوية للأوروبيين.. وتراجع خطر للحضارة».²

وكان الحزب الشيوعي من جهته، متمسكا أكثر من ذي قبل بفكرته التي تعتبر أن: «استقلال الجزائر مجرد وهم، بل هو على العكس، تدعيم للقواعد الامبريالية في إفريقيا». ويرى أن «الاتحاد الفرنسي يُعتبر في الوقت الراهن (ذلك الوقت) بمثابة الفرصة الوحيدة، التي تكفل التقدم نحو الحرية والديمقراطية»، والواقع أن النهج السياسي الذي يتبعه الحزب الشيوعي الجزائري، بتأثير من الحزب الشيوعي الفرنسي، يقوم على تطبيق أوامر موسكو؛ ولهذا فأهم ما في الأمر في نظر الحزب الشيوعي الجزائري، يكمن أولا وقبل كل شيء «في الاتحاد مع شعب فرنسا».³

كان الشيوعيون في خطاباتهم الرسمية يصرون على اعتبار الدين مسألة شخصية؛ إلا أنهم كانوا في دعايتهم الشفوية، يؤكدون أن الإسلام والعرب دخلاء على الجزائر، ويتهمون على الإسلام، وبالتالي ساهمت تبعيتهم لاستراتيجية الحزب المقررة في باريس وموسكو، في الحيلولة بينهم وبين جماهير الشعب الجزائري.⁴ كما أن الحزب الشيوعي الفرنسي PCF، كان لا يريد من العلاقات مع الحركات القومية (مثلا نجم شمال إفريقيا)، إلا من حيث استراتيجيته ونظرته الوحيدة، مع العلم أن الشيوعيين استخدموا جميع الحركات القومية، لأهدافهم الخاصة، وهو ما أدركه الذين أسسوا نجم الشمال الإفريقي؛ عندما عملوا على الاستقلالية بقرارهم مبكرا؛ من كل هيمنة للحزب الشيوعي.⁵

¹ - حربي: الثورة الجزائرية، ص 113.

² - تنيو: إشكالية الدولة، مرجع سابق، ص 191.

³ - بن خدة: مرجع سابق، ص 165.

⁴ - حربي: الثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 114.

⁵ - Alain Ruscio: op.cit. بتصرف

المبحث الثاني: محطات تاريخية جذرت التيار الثوري

1- مشروع بلوم- فيوليت Blum-Viollette والمواقف منه

شهدت فترة ما بين الحربين العالميتين تحولات في شتى مجالات الحياة. وتهيأت الظروف لنشوء حركات التحرير الوطني، في قارتي إفريقيا وآسيا، لذا حاولت الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر استباق الأحداث، وتخفيف الاحتقان، فاتجهت الحكومات الفرنسية لطرح المشاريع الإصلاحية، ومن أهم هذه المشاريع مشروع فيوليت، وأثار هذا المشروع منذ طرح سنة 1931 الكثير من الجدل، رغم أنه فشل في نهاية المطاف، حيث كلف الوزير فيوليت Viollette برئاسة لجنة من مجلس الشيوخ الفرنسي، واقتراح الإصلاحات، الواجب اتخاذها في الجزائر فاقترح على البرلمان مشروع إصلاحات ضرورية لاستيعاب المطالب الجزائرية، والحفاظ على الأمن بالجزائر.¹

تجاوبا مع مطالب المؤتمر الإسلامي لسنة 1936 قدمت الجبهة الشعبية الحاكمة(تحالف لحركات اليسار بفرنسا) مشروعا مطورا لمشروع فيوليت Viollette السابق وشارك في وضعه رئيس الحكومة آنذاك السيد بلوم، لذا عرف باسم مشروع بلوم-فيوليت Blum-Viollette وهو يقضي بأن تمارس **بعض** الفئات من الرعايا الفرنسيين في الجزائر (المسلمين) الحقوق السياسية الممنوحة للمواطنين الفرنسيين، دون أن يترتب على ذلك أي تغيير في أحوالهم الشخصية أو حقوقهم المدنية، أما الفئات المقصودة فتشمل الموظفين، وحملة الشهادات، وحملة الأوسمة وحملة أوسمة الشرف الفرنسية، وحملة الشهادة الابتدائية، والمتزوجين من فرنسيات، وكان الطرف الوحيد الذي رفض هذا المشروع رفضا باتا، هو حزب نجم شمال إفريقيا، حيث هاجمت جريدة الأمة فكرة المشروع قبل إعلانه.²

كان مشروع بلوم- فيوليت Blum-Viollette حديث الساعة للطبقة السياسية آنذاك، وكان موقف التيار الثوري منه واضحا، ففي معرض الاعتراض على ما جاء في كراس مطالب الشعب الجزائري، أوضحت اللجنة المركزية لشعبة مدينة الجزائر لحزب نجم شمال إفريقيا، مفهومها للشعب الجزائري على النحو الآتي: «كما كنا نقول دائما، فإن الشعب الجزائري.. هو كيان موحد عبر دينه الواحد: الإسلام، ولغته الوطنية، وتقاليد، وأعرافه، وهكذا فالشعب، لم يكن يقبل قط ربط الجزائر بفرنسا، لو استشير فعلا فهو لا يقبل أن يطمس وجوده من الخارطة الجغرافية».³

أدرك قادة نجم شمال إفريقيا بحسبهم الوطني، أن قصد الحكومة الاستعمارية من مشروع بلوم-فيوليت،

¹ - مقالتي: مرجع سابق، ص ص 153-155.

² - الخطيب: حزب الشعب، ج1 مرجع سابق، ص193.

³ - عن : ثنيو: أشكالية الدولة، مرجع سابق، ص 220. - El Ouma , no 41, (juillet- août 1936).

هو في النهاية ضرب الهوية، عبر تذويب أجيال على مراحل، وسلخهم نهائيا من الفضاء العربي الإسلامي، وجاء في جريدة الأمة: «ما نقوله للشعب هو أن التخلي عن نظام الأحوال الشخصية الإسلامي، وتبني سياسة اندماجية، يشكلان خطرا كبيرا، لأننا نفقد حالا جنسيتنا، وهويتنا وكرامتنا، وكل أمل لنيل استقلالنا».¹ جاء في مذكرات مصالي: «إن قراءة مشروع بلوم- فيوليت * Blum-Viollette تبرز أنه قد تمت دراسته في العمق وبدقة، من قبل مختصين في الشؤون الإسلامية، إن العشرين ألف أهلي جزائري، الذين تم اختيارهم ليصبحوا مواطنين فرنسيين، قد تمت غربلتهم بدقة، كانوا أغلبهم ينتمون إلى البورجوازية من التجار، ومُلاك الأراضي، والمتقنين، والمرابطين، فالمعنيون كانوا فقط، الممرن، والمعلم، والأستاذ، والطبيب، والمتقاعد العسكري، وحارس الغابة، والقائد، والأغا، والباشاغا، إلخ. إن السلطة عندما تعطي صفة المواطن الفرنسي للعشرين ألف من الأهالي الجزائريين، إنما يشكل هذا الفعل مناورة ذكية وخطيرة، إن نظام الاستغلال الجديد، الذي يحدثه مشروع بلوم- فيوليت Blum-Viollette يستطيع أن يجعل العشرين ألف من المحظوظين، ينهضون ضد الستة الملايين من الأهالي، إن هناك مناورة تقسيم، المقصود منها أن يعارض الجزائريون الجزائريين، وأن ينعم الاستعمار بالسعادة، إن الاستعمار يريد أن يحول الجزائر إلى أرض فرنسية، على مراحل وأقساط، من عشرين ألف جزائري، تنتزع في كل مرة، وهكذا ينفصل بلدنا شيئا فشيئا، عن شمال إفريقيا وعن العالم العربي الإسلامي، وأمام هذا الخطر، فإن نجم شمال إفريقيا تجند وأندز الجزائريين».²

وحول تجنيس فئة محددة يرى مصالي أن المسألة خطر على الوحدة الوطنية، ووسيلة للفرقة، ويهيب بالعلماء أن يتحملوا مسؤولياتهم بإعلان اعتراضهم على هذا الخزي الذي يمثله الاندماج، وأهم ما جاء في نداء مصالي للعلماء: (إخوتنا الوضعية خطيرة... مشروع قانون يهدد وحدة الشعب الجزائري... بدءا بشريحة من 22000 محظي، لاستيعابه في مجتمع آخر، هذا المشروع ذاته وسيلة للفرقة، وشق الصف بين مسلمي بلادنا، لا تجهل جمعية العلماء أنه بالجزائر يوجد ستة ملايين ونصف مليون مسلم، يخضعون لأحكام الدين الإسلامي، توحدتهم اللغة العربية، والدين والتقاليد الإسلامية، وتعلم أن هذا الشعب حريص على البقاء وفيما لقوانينه، ووطنيته، ولماضيه التاريخي».³

¹ - عن ثنيو: إشكالية الدولة، مرجع سابق، ص 220. (Août - septembre 1935), El Ouma -

* - ليون بلوم: سياسي فرنسي تولى رئاسة الوزارة في الجمهورية الفرنسية الثالثة مرتين: من 4 يونيو 1936 إلى 22 يونيو 1937. أما: موريس فيوليت: فكان حاكما عاما على الجزائر خلال العشرينات، وأصبح عضوا في مجلس الشيوخ وقيادي في الحزب الاشتراكي الفرنسي. وكيبديا.

² - مصالي: مرجع سابق، ص 218.

³ - قنانش، وقداش: النجم، مرجع سابق، ص 110.

2- تصريح فرحات 1936 عباس الأسباب والتداعيات

كانت سنة 1936 حبلى بالأحداث الوطنية والمعارك التاريخية، التي ساهمت في تمهيد الطريق، للتعريف بأفكار حزب مصالي بين الجماهير الجزائرية، وأهلت التيار الثوري لصدارة المشهد، ونجد من أهم المعارك؛ تلك الزوبعة التي أثارها تصريح فرحات عباس حول الهوية، والردود العاصفة التي تلقاها، حيث كان الرد عليه حازماً، في مستوى الموضوع المطروح خاصة من طرف التيار الوطني والإسلامي، وقد نتج عن مقالة فرحات عباس لصحيفة «الوفاق» L'Entente زوبعة إعلامية.* وكانت هذه المقالة التي نشرت بتاريخ 27 فيفري 1936 فرصة كبيرة لوضع النقاط على الحروف، وبداية لظهور مجموع من الخطابات حول الهوية الوطنية، سواء في صيغة رد، أو رفض، أو تأسيس.¹

تصريح فرحات عباس هناك من يراه خطأ ضرره لم يكن عليه فقط، بل تعداه للهوية، لكن رب ضارة نافعة، والهمة تولد من رحم الأزمة، وأن خطأه له أهمية تاريخية؛ إذ فتح المجال لمن يريد أن يدافع عن الهوية الجزائرية.² وأصل المشكلة أنه في 6 فبراير 1936، نشر الدكتور بن جلول مقالاً هاجم فيه السياسة الاستبدادية للإدارة في جريدة الوفاق الفرنسي الإسلامي L'Entente franco musulmane بعنوان: «الجزائر بالنار والدم»، ووصف الحاكم العام الفرنسي جورج لوبو Georges Le Beau بـ «الدكتاتور الدموي».³ وفي 21 فبراير نشرت جريدة الوقت Le Temps، بناء على طلب من شؤون السكان الأهالي، مقالاً للرد بعنوان «اعتداء»، عشية افتتاح جلسة اللجنة العليا المتوسطة، حيث اتهم الجزائريين بعدم دفع

*- رغم أن فرحات عباس تدرجت مواقفه نحو الانحياز للصف الوطني إلا أنه اشتهرت عنه بعض المواقف والتصريحات ومنها:
أولاً- تصريحه الشهير سنة 1936 فرنسا هي أنا . -الذي نتناولناه-.

ثانياً- تعقياً على قول أحد أعضاء التيار الثوري بتلمسان: «لقد جاءت فرنسا إلى الجزائر على إثر ضربة مروحة وسوف ترهل بضربة مكنتة»، هذه الكلمة عقب عليها فرحات عباس سنة 1948 ساخراً فيما معناه: «من الممكن أن يكون مخبر البحث العلمي والتصنيع الذي يعدون فيه ضربة المكنتة في القصة». ينظر: قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج 2، ص 1206. غير أن فرحات عباس لم يكن يتصور أن المكنتة خيوطها الأولى نسجت منذ سنة (1947) بتأسيس المنظمة الخاصة وإن للقصة دور في عمل المكنتة وأن هذه المزحة النبوءة ستصبح حقيقة صبيحة يوم 6 جويلية 1962.

ثالثاً- تصريح فرحات عباس الذي قال إن الطريق إلى باريس أقرب من الطريق إلى القاهرة حيث تم الرد عليه من قبل جريدة المغرب العربي بإمضاء سياسي مستقل جاء في الصفحة الثانية في مقال بعنوان منطق الحوادث "من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر بالقول: «وهل نسي أن الجزائريين هم مسلمون يستقبلون بصلواتهم بيت الله الحرام في مكة المكرمة خمس مرات في اليوم والليلة فهل يمكن أن نجعلهم يستقبلون باريس...وهل يجهل زعماء اللاتكنية والإدماج أن في الجزائر شعباً عربياً من الأمة العربية الكبرى»-ينظر: جريدة المغرب العربي العدد السادس السنة الأولى بتاريخ 08-08-1947.

¹ - بغورة: الهوية والتاريخ، مرجع سابق، ص 149،

² - نفسه: ص 150.

³ - Julien Fromage, « La Fédération des élus musulmans du département de Constantine à l'Est se lève la notabilité (1930-1943) ? », colloque Pour une histoire critique et citoyenne. Le cas de l'histoire franco-algérienne, 20-22 juin 2006, Lyon, ENS LSH, 2007,

ضريبة الدم، وكذلك تم اعتبار كل المسؤولين المنتخبين وطنيين وإسلاميين كعنصرين، ليأتي الرد سريعاً من ممثلي المسلمين، ففي باريس تولى عمار نارون-مناضل في التيار الثوري- إبلاغ الاحتجاج لموريس فيوليت Viollette، من أجل الضغط على كاتب المقال «بولين» للاعتذار، في هذا السياق ينشر عباس في جريدة الوفاق L'Entente في 27 فبراير 1936؛ كنوع من الرد مقالته الشهيرة: «فرنسا هي أنا» La France c'est moi، التي يدافع فيها عن العلماء، بسبب عملهم التربوي والديني، كواجب تخلت عنه فرنسا تجاه الجزائريين، وقد فسرت كلمة «أنا» ليس عباس؛ بل الشعب الجزائري الواقع على عاتقه أنواع الشقاء من أجل رفاهية فرنسا.¹

إلا أن أهم ما أثار حفيظة الطبقة السياسية، ما جاء في المقال لفرحات عباس من تنكر لهوية الجزائر حين قال: «لو أنني اكتشفت الأمة الجزائرية لأصبحت وطنياً...الجزائر بوصفها وطننا يعد خرافة... لقد سألت التاريخ وسألت الموتى والأحياء، لقد زرت المقابر لم يحدثني عنها أحد...»²، وإن كان مقال فرحات عباس يُفسر من زوايا مختلفة، فإنه على العموم فهم على ظاهره، مما جعله يتلقى ردود فعل عنيفة؛ ففي 20 مارس 1936 قام الأمين العمودي بمهاجمة عباس بمقال في صحيفة العدالة La Défense تحت عنوان «فرنسا ليست أنت» وأخيراً، في بداية أبريل، انبرى الشيخ بن باديس للرد على عباس،³ ونشرت جريدة الأمة بتاريخ مارس /أفريل 1936 تعقيبا على تصريحات فرحات عباس الشهيرة «فرنسا هي أنا» حيث كتبت: «كيف يستطيع عربي أن يكتب مثل هذا، إن المسألة الوطنية هي مطلب الملايين قبل أن تكون مسألة تاريخ».⁴

ومن الردود الكثيرة على مقال فرحات عباس كان رد الشيخ عبد الحميد بن باديس، في أبريل 1936، حين كتب مقالا في جريدة الشهاب، بعنوان كلمة صريحة قائلا: «إننا فتننا في صحف التاريخ، وفتننا في الحالة الحاضرة، فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة، متكونة موجودة، كما تكونت ووجدت أمم الدنيا، ولهذه الأمة تاريخها الحافل، بجلائل الأعمال، لها وحدتها الدينية واللغوية، شأن كل أمة في الدنيا، هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصبح فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت بل هي أمة بعيدة عن فرنسا، لها لغتها، وأخلاقها، وعاداتها، ودينها، لها وطن.. هو الوطن الجزائري».⁵

¹ - Julien Fromage: op. Cit.

² - بغورة: الهوية والتاريخ، مرجع سابق، ص 149.

³ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، ص 494.

⁴ - قداش: جزائر الجزائريين، مرجع سابق، ص 329، 330.

⁵ - طالبي: بن باديس، مرجع سابق، ص ص 307-309.

3- المؤتمر الإسلامي 1936 الظروف والنتائج

أ- الظروف العامة قبيل المؤتمر الإسلامي 1936

أدى تعاقب الحكومات الفرنسية، وضعفها أمام سطوة المستوطنين، إلى عجز الإدارة عن حلحلة المشكل الجزائري المعقد، وبمجيء الجبهة الشعبية للحكم في فرنسا سنة 1936، عاد الأمل يراود الجزائريين، خاصة وأن وعود الجبهة الشعبية كانت سخية، خلال أيام الحملة الانتخابية، فبادر المنتخبون والعلماء والشيوعيون لعقد المؤتمر الإسلامي، للاتفاق على مطالب موحدة تقدم للحكومة الفرنسية الجديدة، وانعقد المؤتمر بالعاصمة، وصوت بالإجماع على مطالب مشتركة للجزائريين.¹

كانت سنة 1936 في الجزائر حافلة بالأحداث، إذ انقلبت الأوضاع تماما، وعرفت الجزائر لأول مرة في تاريخها تحت الاحتلال؛ الحياة السياسية وزخمها، والتنظيمات الجماهيرية، والتجمعات الشعبية، والاحتجاجات الصاخبة خلال سنة 1936، فبينما كانت السياسة وقفا على المتعلمين والشخصيات، أصبحت الجماهير هي التي تتكلم عن نفسها، وبلغتها الخاصة، من احتجاج وإضراب ومطالبة بالعمل، وبينما كان الكبار فقط لهم الحق في الكلام، كما أصبحت الشبيبة تفرض نفسها، وتشارك في المظاهرات، وبينما كان مطلب الاندماج والتفرنس هو السائد بين السياسيين الرسميين، أصبح لكلمة الوطنية والاستقلال، شبانا يتغنون بهما، ويضحون بحياتهم في سبيلهما.²

بدأت مسألة عقد المؤتمر الإسلامي من خلال فكرة بن باديس، حيث يعتبر أول من فكر في عقد المؤتمر قبل فوز الجبهة الشعبية بأشهر، في جانفي 1936، في تصريحه إلى جريدة الدفاع الناطقة بالفرنسية التي كان يديرها السيد الأمين العمودي.³ وكانت من مطالب المؤتمر الإسلامي إلحاق الجزائر بفرنسا رأسا، وهو المطلب الذي اعترض عليه مصالي والنجم وعارضوه معارضة شديدة، كذلك نجد مطالب أخرى منها: إلغاء الولاية العامة الجزائرية.⁴ كما أولى المؤتمر أهمية خاصة للعناصر الثقافية المتصلة بالهوية من أجل المحافظة على الشخصية الإسلامية، ومنها إلغاء كل ما اتخذ ضد اللغة العربية، من إجراءات استثنائية، والحرية التامة في تعلمها، وإلغاء اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية، وحرية القول للصحافة العربية.⁵

¹ - مقالاتي: مرجع سابق، ص 155.

² - قنانش، وقداش: النجم، مرجع سابق، ص 266.

³ - سعد الله: الحركة الوطنية، ج3، مرجع سابق، ص 156.

⁴ - قنانش، وقداش: النجم، مرجع سابق، ص ص 276-281.

⁵ - نفسه: ص ص 276-281.

وكانت النقطة التي التف حولها الجميع هي مشروع فيوليت Viollette، والأمور المغربية لهم في هذا المشروع، هي منحه الجنسية الفرنسية لبعض المثقفين الجزائريين بدون التخلي عن أحوالهم الشخصية (الدينية)، واحترام حقوق الجزائريين الآخرين في العيش بروح القرآن ونصوصه، وإلغاء قانون الأهالي وكان التكلم عن هذه النقاط في حد ذاتها يعتبر تقدما ملموسا.¹

في هذا المؤتمر الجامع لتياراتها، استطاعت الحركة الوطنية بمناسبة المؤتمر الإسلامي، أن توحد جهودها لتقديم مطالب الشعب الجزائري، رغم قصر نظر التيارات فيما يخص مطلب إلحاق الجزائر بفرنسا، وهو المطلب الذي عارضه حزب النجم بقيادة مصالي الحاج بشدة، وكان له بالمرصاد، وهذا المطلب كان حجة على فرنسا أكثر منه مطلبا.²

تمهيدا للمؤتمر، انعقد في 6 جوان 1936 اجتماع بنادي الترقى بالعاصمة، للوفود المكونة من ممثلي النواب، والعلماء، والشبان، لتحضير الاتفاق على صورة المطالب، التي ستعرض على المؤتمر الإسلامي للمصادقة عليها، وكذلك الرأي النهائي لكيفية التمثيل، وقد اتفق الحاضرون على نظام المؤتمر وكيفيته، وأن يكون مركبا من النواب، والعلماء، والشبان، وعلى إسناد رئاسة المؤتمر إلى الدكتور بن جلول.³

كان انعقاد المؤتمر الإسلامي الجزائري في يوم 7 جوان 1936 (اجتماع تأسيسي قبيل سفر الوفد لفرنسا) يوما مشهودا في تاريخ الجزائر المعاصرة، فلقد أحست الأمة الجزائرية بأن أغلالها بدأت تنزح عنها، وأن أبواب الأمل قد فتحت أمامها، وكانت قاعة «الماجيستيك-الأطلس حاليا» التي ضمت المؤتمر، تعيش في جو تغمره الفرحة الكبرى بهذا اللقاء الأول من نوعه، وافتتح الجلسة الدكتور تامزالي مرحبا بالمؤتمرين باسم مدينة الجزائر، وألقى الدكتور بن جلول خطبة الافتتاح، وشرح أغراض المؤتمر، وقدمت عدة لوائح صودق عليها من طرف المؤتمر، وانفض الاجتماع في غمرة من الفرح والسرور، وشارك نجم الشمال الإفريقي بمرثل عن تلمسان وعن مستغانم، وبتاريخ 18 جويلية من نفس السنة، أبحر وفد المؤتمر إلى فرنسا ليقدم المطالب، وكان الوفد مكون من عدة شخصيات من النواب، والعلماء، والشبان منهم الطيب العقبي، والدكتور بن جلول، والسيد فرحات عباس، والشيخ بن باديس.⁴

¹ - سعد الله: الحركة الوطنية، ج3، مرجع سابق: ص 153، 154.

² - عبد الحميد زوزو: المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية، مؤسسات ومواثيق، دار هومة، الجزائر، 2009، ص 14، 15.

³ - قنانش، وقداش: النجم، مرجع سابق، ص276.

⁴ - نفسه: ص ص276-281.

ب- مخرجات المؤتمر الإسلامي

ركز المؤتمر الإسلامي اهتمامه على مسألة القوانين الإسلامية باعتبارها هي خط الدفاع الأول عن الهوية؛ فليس هناك هوية في حد ذاتها ومن أجل ذاتها فقط، وإنما ترابط وتداخل بين هوية ذاتية نحس بها، ونحاول إظهارها، فيجتهد الفرد في إثبات هويته. وهوية خارجية هي ذاتنا كما نعتقد أن الآخرين يرونها وكما يحددها الآخرون.¹ تأسيسا على ذلك شدد المؤتمر على مسألة القوانين الإسلامية باعتبارها عنوان الهوية التي يتم الحفاظ عليها؛ وفي نفس الوقت إثبات الذات الاجتماعية؛ من أجل الوصول في النهاية لإثبات الهوية السياسية. وقد أثمر المؤتمر كراس ميثاق مطالب الشعب الجزائري، التي جاءت معبرة عن جميع مطالب التشكيلات الوطنية التالية التشكيلات الوطنية التالية:

- طلب الإلحاق كان مطلب المنتخبين المسلمين.
- أما مسألة التعليم والدّين الإسلامي والقضاء فجاءت معبرة عن مطالب العلماء.
- أما المطالب الاقتصادية فكانت من اهتمامات الشيوعيين، أما نجم شمال إفريقيا فلم يحضر للتحضير إلى المؤتمر رسميا، واختلف مع المؤتمرين وعارضهم حول مسألة الإلحاق.²
- وبرغم أن النجم لم يشارك رسميا في المؤتمر، فإن نجم الشمال الإفريقي شارك في تهيئة المؤتمر رمزيا عبر بعض فروعه (الجزائر تلمسان مستغانم) إلا أنه لم يأخذ الكلمة، ولم يعبر عن رأيه يوم 7 جوان يوم التأسيس، ولكن إدارة النجم بعثت من باريس، البرقية التالية: «تحية أخوية للمؤتمر الإسلامي، تأييد ومصادقة على المطالب المفيدة لتحسين حالة الشعب، ورفض كل اقتراح مطالب لا تفيد إلا الأقلية، كذلك رفض كل مطلب يمكنه أن يمس بالقوانين الإسلامية».³
- ويمكن تلخيص قرارات المؤتمر الإسلامي 1936 المتفق عليها فيما يلي:

- إلغاء جميع القوانين الاستثنائية.
- منح المسلمين جميع الحقوق التي للفرنسيين.
- التمتع الكامل بالمميزات الإسلامية للمسلمين.
- إدخال إصلاحات.
- ترسيم اللغة العربية.⁴

¹ - كوش: مرجع سابق، ص 154.

² - تنيو: إشكالية الدولة، مرجع سابق، ص 25.

³ - نفسه: ص 221 .

⁴ - سعد الله: الحركة الوطنية، ج3، مرجع سابق، ص 157.

لم يرفض مصالي كل مطالب المؤتمر، فأيد المطالب الآنية، التي تساعد على التخفيف من شقاء الشعب، ولكنه أعلن بصراحة؛ أنه لا يوافق على مطلبين هما:

1- ربط بلادنا بفرنسا.

2- ومطلب التمثيل البرلماني.

وتفسيره ذلك أن الجزائر في الواقع مرتبطة بفرنسا، وهو ارتباط جاء نتيجة احتلال قاس، وليس عن اختيار، وشدد مصالي أن الخطر؛ في أن مطلب الإلحاق؛ يأتي من كونه جاء طوعيا؛ ولأول مرة؛ بإرادة الجزائريين (المؤتمر الإسلامي)، لذلك ندد مصالي بفكرة الارتباط الجديد؛ الذي دعا إليه المؤتمر، وجاء رد مصالي على أن النجم لا يوافق على ربط بلادنا ببلد آخر: «من المؤكد أننا نوافق على المطالب المستعجلة، المتواضعة والمشروعة...ولكننا نقول بصراحة، وبشكل لا يقبل التراجع، أننا لا نقر الميثاق المطلي، فيما يتعلق بإلحاق بلادنا بفرنسا».¹

وفي رسالة العتاب التي وجهها النجم للعلماء؛ ضمن مصالي رده على المطالب؛ وشدد على مسألة دائرة الهوية، ويحصرها هنا في عناصرها التالية: رابطة الدين واللغة فيقول: لا تجهل جمعية العلماء أنه بالجزائر يوجد ستة ملايين ونصف مليون مسلم، يخضعون لأحكام الدين الإسلامي، توحدهم اللغة العربية، والدين والتقاليد الإسلامية، وتعلم أن هذا الشعب حريص على البقاء وفيا لقوانينه ووطنيته ولماضيه التاريخي.²

وينفس اللهجة وجه مصالي خطابه للأمة (نداء 13 نوفمبر 1936) والذي يظهر فيه بشكل واضح استثمار مصالي لعناصر الهوية؛ كقيمة في المواجهة الشاملة ضد الاستعمار، وهنا يخاطب الشعب مباشرة معرفا التيار الثوري المعبر عنه باسم نجم شمال إفريقيا أنه هو حزب مبادئه مستمدة من الملة المحمدية «أسس على الملية» ويضيف مصالي: «أيها الشعب الجزائري، إن مبادئ حزبك الوطني الذي أسس على الملية من أول يوم؛ هي السعي لتحريرك بالطرق المشروعة؛ في دائرة إسلامك وجنسياتك الغالية المتألقة...إن شعبا يطلب الاندماج في شعب آخر لهو شعب قطع الصلة بينه وبين ربه... تاريخه... وأجداده... وأبنائه... وهذه كلها تأتي علينا أن نطلب الإلحاق؛ كلا وألف كلا...وانا لنختار أن نبقي مضطهدين جزائريين من أن نصير أحرارا فرنسيين...ولا مغامرة بحقوق الأمة، وما أسكر كثيره فقليله حرام!».³

1 - قناش، وقداش: النجم، مرجع سابق، ص 225.

2 - نفسه: ص 110.

3 - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص ص1316-1321.

ج- خطاب مصالي في 2 أوت 1936 بالعاصمة وبداية سطوع نجم الزعيم والحزب

كان الغرض من انعقاد التجمع الشعبي بملعب بولوغين بالعاصمة في الثاني أوت 1936، هو عرض نتائج المهمة التي قام بها وفد المؤتمر الاسلامي الذي سافر إلى باريس، وقد استطاع مصالي تحديد القيم التي تصوغ الوعي الوطني من خلال تحديد هدف الاستقلال في هذا المناسبة؛ والتي مررها من خلال ظهوره القوي في هذا التجمع الشعبي، ومشاركاته كذلك في كل المناسبات، في مواجهة الاستعمار.¹

قبل المؤتمر عاد مصالي من فرنسا إلى الجزائر على نفس متن باخرة* وفد المؤتمر الإسلامي وهو نفس اليوم الذي يعقد فيه التجمع الشعبي للمؤتمر في الثاني أوت 1936 بالعاصمة؛ الذي يعرض فيه تقرير الوفد عن رحلته إلى باريس، ورغم أن مصالي وصل متعبا وعليه وعثاء السفر؛ إلا أنه انتهاز منصة المؤتمر الإسلامي كفرصة ذهبية؛ حيث أعطى مصالي عن نفسه انطبعا حسنا لدى الشعب، حين افتتح حديثه بالعربية؛ وأعلنها صراحة أن لا مساومة على تراب الجزائر، وكانت هذه مناورة سياسية ذكية؛ وكانت ناجحة، لأنه استطاع أن يستل البساط من تحت أقدام أنصار المؤتمر، ويختطف الأضواء.²

عن يوم الثاني أوت 1936 جاء في مذكرات مصالي: «...كان الشيوعيون المسلمون هم الذين يقومون بمسألة النظام؛ تحت إشراف عمر أوزقان؛ والذي أخبرني أن التجمع تم تحضيره منذ أسبوع؛ وأعضاء الوفد الذين ذهبوا إلى باريس وحدهم من يتناول الكلمة؛ ليعطوا تقريرا عن مهمتهم، احتججت، وأخيرا وافقت رئاسة التجمع، ألا نتجاوز الثلاث دقائق، وأول خطيب كان الدكتور جلول الذي قدمني للجمهور وقال: «نحیی حضور أخینا مصالی.. الذي يدعو إلى سياسة مختلفة عن سياستنا وأننا لا نستطيع أن نوافق على أفكاره، إنه يواصل طريقه ونواصل طريقا آخر وكل واحد أمام مسؤولياته»...بدأ كل الناس ينتظرون بفارغ الصبر دورنا.. خطابي دام عشرين دقيقة؛ وكان مرتجلا بالعربية والدارجة.. وفد تم التصفيق عليه طويلا؛ من أغلبية الجمهور؛ مرددين تحيا الجزائر، يحيا مصالي، يحيا الاستقلال، يحيا الإسلام! وعند الخروج من الملعب صاحبني المواطنون بالمئات».³

ومع أول لقاء له مباشر مع الجماهير في تجمع الثاني أوت 1936، يمكن تسجيل رسائل وجهها

¹ – Djanina Messali : op, Cit, P45.

* من الصدف أن وفد المؤتمر الاسلامي ومصالي الحاج كانا في نفس الباخرة المتوجهة للجزائر (الوفد في الدرجة الأولى بينما مصالي في الدرجة الرابعة في الباخرة) ينظر: قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، مرجع سابق، ص 674 .

² – سعد الله: الحركة الوطنية، ج3، مرجع سابق، ص 165.164.

³ – مصالي: مرجع سابق، ص ص 102 - 104.

مصالي وكانت سببا في القبول لدى الجماهير وأهمها:

– رمزية افتتاح خطابه **باللغة العربية** حين قال: «احتراما للغتنا الوطنية، اللغة العربية التي كلنا نعتر بها، ونعجب بها؛ وتقديرا لنبل هذا الشعب الشجاع الكريم».¹

– ورمزية الموقف التاريخي حين أعلن أن **لا مساومة على تراب الجزائر** وذلك عندما اعتلى مصالي المنصة، رافضا فكرة اندماج الجزائر والشعب الجزائري أو إلحاقها بفرنسا، وبحركة عفوية أخذ حفنة من التراب وصاح هذا التراب لا يمكن أن يندمج مع غيره، فعلت التصفیقات وحمل مصالي على الأكتاف.²

– رفضه **مطلب إلحاق الجزائر بفرنسا**، حين بيّن: أن الجزائر في الواقع مرتبطة بفرنسا ناتجة عن عملية احتلال وهو قانونيا آيل للزوال لعدم شرعيته* وليس ارتباطنا اختياريا، وشدد مصالي أن الخطر في أن **مطلب الإلحاق يأتي من كونه جاء طوعيا ولأول مرة وإرادة الجزائريين (المؤتمر الإسلامي)**.³

1- سعد الله: الحركة الوطنية، ج3، مرجع سابق، ص 263 .

2- قنانش، وقداش: النجم، مرجع سابق، ص 283.

* - لم يكن مصالي في معارضته للإلحاق منطلق من فراغ، بل كان يستند إلى جانب الحقائق الحضارية، والتاريخية، وكذلك كان يعتمد ذلك على سند قانوني، فليس ثمة أي نص يمكن أن يؤسس عليه حقوقا إلحاق الجزائر بفرنسا، ذلك ان سيادة شعب الجزائر لا يمكن اعتبارها من الوجهة الحقوقية لاغية بفعل الغزوع عام 1830 واستحالة ضم فرنسا للجزائر قانونيا، وهذا ما يتضح من الحجج التالية:

1- اتفاق الهدنة بين قائد الحملة الفرنسية على الجزائر دوبرمون de Bourmont - والداي حسين -داي الجزائر- كان مقصورا على تسليم الجزائر العاصمة، حصونها وقصبتها فقط؛ دون سواها؛ ولم يتعدى إلى نقل السلطة الى الدولة الفرنسية؛ وهو نقل يستوجب قانونيا **إمضاء الباب العالي**؛ إن احتلال بلد بالقوة؛ لا يمحو شخصية الدولة حسب قوانين الدول.

2- معاهدة التافنه 30 ماي 1937 اعترفت بسلطة الأمير على سائر الجزائر باستثناء منطقة قسطنطينة التي ظلت تحت سلطة (أحمد باي) الذي عينه داي الجزائر، ولم يبقى للفرنسيين إلا رقعة ضيقة، كانت تحت احتلال الفرنسيين العسكري، وخاصة متيجة والعاصمة- ينظر: -أندري نوشي وآخرون: **الجزائر بين الماضي والحاضر**، مرجع سابق ص 231، ص 242 .

3- أن الأمر الملكي المؤرخ 22 جويلية 1834 الذي اعتبر أنه أوجب الإلحاق هذا القرار في الواقع لا ينص في أي جزء منه على هذا الإلحاق ويقتصر على تعيين حاكم فرنسي عام للممتلكات الفرنسية في شمالي إفريقيا.

4- قبل الغزو الفرنسي كانت الجزائر شخصا من اشخاص القانون الدولي.

5- إن إلحاق الجزائر كان عملا مستحيلا من الناحية الحقوقية وان التسليم دون شرط ودون قيد لم يكن تطبيقه ممكنا.

6- إن اكتساب الأرض بالاحتلال، قد اعتبر دائما غير شرعي في القانون الدولي متى كانت هذه الأرض مأهولة وذات حكومة.

7- إن عيب هذا الاحتلال لا يمكن أن يزول بالتقادم وان حقوق الدولة الجزائرية لن يسري عليها التقادم.

8- إن إلحاق أرض مأهولة كان يعتبر مستحيلا من الوجهة الحقوقية ما لم يوافق عليه قوماها.

9- ومن المناسب التذكير بالفرق الكائن حقوقيا بين **الإلحاق**، و**الاحتلال** إذ أن الأول خلافا للثاني يتم بإمحاء كلي للخصوصية الحقوقية التي تتميز بها الأرض الملحقة، أي بأن تطبق عليها تطبيقا عاما شاملا سائر قوانين الدولة المستلحقة. فنحن إذن أمام تمثّل وذويان تامين خلافا للاحتلال، الذي يبقى أو ينشئ خصوصية حقوقية للأرض المحتلة.

10 - وحتى من ناحية الوقائع، فإن فرنسا لم تستطع تطبيق الإدماج الشامل، فاعترفت بالمؤسسات والقوانين الأهلية. وكان ثمة ما يمكن تسميته بالمقاومة السلبية، وذلك على الخصوص برفض قبول الجنسية الفرنسية، رغم الامتيازات.

- ينظر: محمد البجاوي: **الثورة الجزائرية والقانون**، تر: علي الخش، دار اليقظة العربية، دمشق، 1965، ص 33-50.

3-ينظر: سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ص 27، 263.

ومما جاء في خطاب مصالي الحاج: «باسم نجم شمال إفريقيا... احتراماً للغتنا الوطنية، اللغة العربية، التي نعزّز بها جميعاً ونفخر بها، من المؤكد، أننا نوافق على المطالب المستعجلة، المتواضعة، والمشروعة التي يتضمنها الميثاق المطلبي الذي قدم لحكومة الجبهة الشعبية، لأن أصغر المطالب وأكثرها خصوصية تهمننا كثيراً، لأنها ستساهم في التخفيف من وطأة بؤس هذا الشعب المسكين»، «هنا أتعهد باسم تنظيمي أمام الشيخ الجليل بن باديس، للقيام بكل ما هو ممكن إنسانياً لدعم هذه المطالب، لخدمة القضية النبيلة، التي ندافع عنها جميعاً، ولكننا نقول بصراحة، وبشكل لا يقبل التراجع، **أننا لا نقر الميثاق المطلبي، فيما يتعلق بإلحاق بلادنا بفرنسا، والتمثيل البرلماني**.¹ يضيف مصالي: في الواقع، بلادنا، اليوم، إدارياً ملحقة بفرنسا وتتبع إدارتها المركزية، ولكن هذا الإلحاق نجم عن اجتياح عنيف، تلاه احتلال عسكري... لم يوافق عليه الشعب مطلقاً»، ويضيف: «بيد أن الإلحاق الذي طرح في الميثاق المطلبي، يطلب طواعية باسم المؤتمر، الذي يزعم أنه يمثل إجماع الشعب الجزائري، يوجد إذن فرق جوهري بين إلحاق بلادنا، الذي أنجز رغماً عنا، والإلحاق الطوعي الذي قبل به عن رضا، نحن أيضاً أبناء الشعب الجزائري ولن نقبل مطلقاً أن تلحق بلادنا ببلاد أخرى ضد رغبتها، لا نريد تحت أي ذريعة كانت أن نرهن مستقبل الشعب الجزائري، وأمله في التحرر الوطني، هذا المستقبل ملك للجيل القادم، ووحده له الحق في تقرير كيفية تسيير مستقبله ومصيره».²

وبالنسبة لموقف المعمرين من مطالب المؤتمر الإسلامي مجموع المشاريع الفرنسية للإصلاح، كلها باءت بالفشل، حيث تحطمت أمام صخرة المعمرين، الذين حاولوا احتكار كل شيء وحرمان الأهالي من كل شيء، ومن المشاريع التي عارضها المعمرون نجد مشروع فيوليت Viollette لعام 1937 (رغم تهاة العرض المقدم لأهالي إذ لا يستفيد منه أكثر من عشرين ألف؛ من ستة ملايين مسلم)، ونوقش مشروع فيوليت Viollette في البرلمان، وعارضته جموع المعمرين، حين قام شيوخ البلديات باستقالة جماعية، أدت لإسقاط الحكومة، فتم سحبه رغم أنه نص على الامتيازات لبعض الجزائريين فقط ولم يمنحها للكل.³

لقد أبت روح العنصرية عند الكولون والفرنسيين؛ المساواة والتعايش مع المجتمع الجزائري، لهذا كان المؤتمر هو فرصة فرنسا الأخيرة التي أضاعتها، وهوما تتبأ به الشيخ بن باديس بقوله: «إننا مددنا إلى الحكومة الفرنسية أيدينا وفتحنا قلوبنا، فإن مدت إلينا يدها وملأت بالحب قلوبنا فهو المراد وإن ضيقت فرنسا فرصتها هذه، فإننا نقبض أيدينا ونغلق قلوبنا فلا نفتحها إلى الأبد».⁴

¹ - ينظر - سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3، ص 27، 263.

² - نفسه: ص 27، 263.

³ - تنيو: إشكالية الدولة، مرجع سابق، ص 468.

⁴ - زوزو: المرجعيات، مرجع سابق، ص 15.

د- رسالة مصالي لجمعية العلماء «عتاب وتنبية للعلماء حول مسألة الإلحاق»

كان الموقف الذي تبناه العلماء في تأييد كل مطالب المؤتمر الإسلامي، قد جعلهم في مواجهة مع التيار الثوري، ذلك أن النجم قبل كل المطالب إلا الإلحاق، فقد رفضه رفضا مطلقا، ووجه عتابه للعلماء، إذ لم يستسغ مصالي وحزبه أن لا يكون للعلماء موقفا واضحا ضد مطلب الإلحاق، وفي هذا الخطاب يشدد النجم على أن الإلحاق يعتبر دفنا للقضية والهوية الوطنية، لم يجرؤ أحد على التفكير فيها من قبل، ويتساءل مصالي لماذا جاهد أبائنا؟ وما عسانا نقول لهم إن فرطنا وبعنا هويتنا، عبر قبولنا بالإلحاق شعبنا بفرنسا؟ ومصالي يريد أن يقول أننا قد لا نستطيع المقاومة، لكننا لا نعترف بالاستعمار، ولا يمكن السماح للعدو بابتلاع شعبنا، وهو أمر صرح به قبل وبعد انعقاد المؤتمر الإسلامي.¹

اتسمت نظرة النجم بأنها كانت تنطلق من وقائع وبراهين مؤسسية، لأنه من ناحية الوقائع فإن فرنسا لم تستطع تطبيق الإدماج الشامل، فاعترفت بالمؤسسات والقوانين الأهلية، وكان ثمة ما يمكن تسميته بالمقاومة السلبية، وذلك على الخصوص برفض قبول الجنسية الفرنسية رغم الامتيازات، ومن ناحية أخرى فإن الحاق الجزائر بفرنسا كان عملا مستحيلا من الناحية الحقوقية.²

يشدد مصالي على مسألتين المسألة الأولى خطر تجنيس فئة مخصوصة على الوحدة الوطنية، وأن مشروع فيوليت يهدد وحدة الشعب الجزائري وهو وسيلة للفرقة والمسألة الثانية يستغرب قبول العلماء بإلحاق الجزائر بفرنسا، ويهيب بالعلماء يتحملوا مسؤولياتهم بإعلان اعتراضهم على هذا الخزي الذي يمثله الاندماج. فيقول: «يسعى مشروع فيوليت Viollette للمس بهذه الوحدة، عن طريق امتصاص شريحة بتعداد 22000، العلماء الذين نحترمهم كثيرا، يتعين أن يقولوا كلمتهم حول مشروع فيوليت Viollette، وأن يتحملوا مسؤولياتهم أمام الشعب الجزائري، أمام التاريخ وإزاء الإسلام.... يفترض أن يعلن صراحة رفضه لمشروع فيوليت Viollette... في حين أن الشعب ينتظر إصلاحات أخرى، أكثر توافقا مع تطلعاته، وكرامته الوطنية والإسلامية... الشعوب الشقيقة بمصر، سوريا، والعراق، توصلت بعد الكفاح بشجاعة وجسارة، إلى انتزاع حريتها».³

يضيف مصالي في ندائه للعلماء: «أن جميع التونسيين الذين تجنسوا بالجنسية الفرنسية، يتأسفون

¹ - قنانش، وقداش: النجم... مرجع سابق، ص 110.

² - ينظر: محمد البجاوي: الثورة الجزائرية والقانون، مرجع سابق، ص 33 - 50.

³ - قنانش، وقداش: النجم، مرجع سابق، ص 110.

على ما قاموا به، ومن ثم تجمعوا في تنظيم واحد، ووجهوا طلبا للباي، ولرئيس الجمهورية الفرنسية، من أجل طلب العودة للعائلة المسلمة؟... وحتى جمعية الطلبة المسلمين الشمال إفريقيايين، رفضت الاندماج مع جمعية الطلبة، التي تضم في أعضائها جزائريين تنسوا بالجنسية الفرنسية.. كيف بعد كافة هذه الوقائع... أن تقوموا أنتم، أيها العلماء، يا من لديكم مسؤولية كبيرة أمام الله، أمام الشعب وأمام العالم الإسلامي، بإعلان اعتراضكم صراحة وعلانية وبشجاعة على هذا الخزي الذي يمثله الاندماج»¹.

4- مقتطف من نداء من مصالي الحاج إلى الأمة الجزائرية 13 نوفمبر 1936

كرد على تمدد هوية المستعمر الذي يريد ابتلاع كل الهويات خارج حدوده، ويعلن أنه لاهوية تعلق على هوية الغالب؛ هوية تمارس العدوان على الهويات الأخرى كيف ما تشاء، عندها تبدأ الهويات المعتدى عليها بحركات التحرر الوطني، وفي النهاية تنتصر الحرية على الاستبداد كقانون تاريخي. فعبر مسار شاق؛ تستطيع الذات أن تسترد هويتها ووحدتها؛ عن طريق الثقة بالنفس وعودة الوعي.² وكخطوة أولى لاستعادة الثقة بالنفس، أدرك مصالي أن أفضل جرعة للثقة يقدمها للجماهير هي أن يقوم بتعظيم مقدساتها، وفي لفظة حسبت له؛ وفتحت له قلوب الجماهير؛ قام بتبجيل اللغة العربية حين بدأ بها الكلام، في تجمع الثاني 1936، كما اهتم حزب مصالي بمظهره الأصيل، وبتقديم لغة راقية في خطابه، لما لها من تأثير، ومنها هذا الخطاب الموجه للأمة الجزائرية، الذي كُتب بلهجة حماسية لا يخفى فيها أسلوب مفدي زكريا، وبحس سياسي مرهف وبأسلوب أدبي راق، وبنبرة حادة لا مجالمة فيها؛ ولا تساهل في حدود الهوية، وقد حمل هذا الخطاب موقف التيار الثوري للأمة حين جعل الخط الفاصل بين الوطنية والخيانة هو الدفاع عن الهوية، فمادام هناك احتلال وجب الاجتهاد لإظهار الهوية، أي إبراز التمايز في مواجهة الآخر-الغير، فالهوية تجد محفزها في الغيرية، فهما شريكان تربط بينهما علاقة جدلية.³

وانطلاقا من ذلك فإن المبدأ الأساسي الذي بني عليه مصالي تفكيره السياسي هو الدفاع عن هوية وشخصية الجزائر المميزة وحق الجزائريين في تكوين دولة حرة ومستقلة عن فرنسا.⁴ لذا كان التيار الثوري يدرك قيمة عناصر الهوية في وجدان الأمة لنصرة الهوية عبر توظيفه لروح النخوة، والحمية في

¹ - قنانش، وقداش: النجم، مرجع سابق، ص: 110.

² - مجموعة من المؤلفين: الهوية واللغة في العالم العربي إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ط1، الدوحة، قطر، 2011، ص: 193، 194.

³ - كوش: مرجع سابق، ص: 98. بتصرف.

⁴ - حربي: الثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص: 122.

هذا الخطاب، كما استدل بآيات من القرآن الكريم لإضفاء المكانة المرجوة لخطابه، لما تحمله آيات القرآن من حجة بالغة، وسند للفكرة التي يريد تبليغها لقلوب جماهير كانت مستعدة دوماً للتضحية في كل مرة تسنح الفرصة. ونقتطف جزء نداء مصالي للأمة:

«نداء من مصالي الحاج إلى الأمة الجزائرية الكريمة»

«أيها الشعب الجزائري الكريم، سلام عليك من ابن أقسم بالله أن يضحى في سبيل حريتك وسعادتك، حتى آخر قطرة من دمه، وآخر جزء من روحه، وآخر نفس من رمق حياته ﴿إنه لقسو لو تعلمون عظيم﴾. سلام عليك يا شعب يوم ولدت حراً عزيزاً، و يوم نشأت حراً شريفاً، ويوم تصبح بإذن الله حراً طليقاً، تترف على هضاب المجد أعلامك، وتتناول نجوم السماء أحلامك، وينتصر لك في العالمين إيمانك وإسلامك...أيها الشعب الجزائري الكريم...وقد رأيت حزبك الوطني الوحيد، يخرج من المعمة ساطعاً كفلق الصبح، صافياً كالضمير الحر، ولم يتزعزع في جهاده، ولم يتزحزح قيد شبر عن مبادئه، ولم يتسامح قط في أصغر حقوقك المقدسة» «ان مبادئ حزبك الوطني الذي أسس على الملية من أول يوم، هي السعي لتحريرك بالطرق المشروعة، في دائرة إسلامك، وجنسياتك الغالية، في محيط ذاتيتك الشريفة المقدسة- تلك هي مبادئنا، التي فطرنا عليها ونشأنا عليها...وعليها نبقي، وعليها نحيا، وعليها نموت- إن وجب الموت نحن نريد أن نكون لغتك العربية رسمية للبلاد، ونريد أن تكون مساجدك، وأوقافك بيدك، نتصرف فيها بحسب القرآن العظيم...ولا نريد إذلالك..ولا نطلب إلحاقك بفرنسا لتكون فرنسويا عزيزا كما يقولون ﴿كبريت كلمة تخرج من أفواههم﴾ ﴿إنها لأحدى الكبر﴾».

ويضيف مصالي: «يا الله للجزائريين: الاندماج، أو الإلحاق، أو الارتباط، أو الامتزاج، أو الاقتران، أو الموت أو الفناء، أو الاضمحلال... مترادفات معناها واحد يلوكها قوم ولا يفهمون معناها...يعتمد البعض منكم في الدعاية ضدنا أننا متطرفون متهورون نطلب الاستقلال، نعم نطلبه بكل شرف ولكن بالسعي في سبيله، ولسنا نطلبه اليوم، بل نقول لكم أن برنامجنا هو السعي لتحرير الجزائر، بالوسائل المشروعة، ولم نحدد لذلك أجلا، بل ان الخط الذي نسلكه في جهادنا هو خط التحرير، وليس خط الاندماج والتجنيس وشتان بين السعي وبين التنفيذ، فالأيام وقوة الشعب وحدهما كفيلان بتحديد اجل التنفيذ، والله من وراء ذلك محيط...فسيأتي يوم وليس ببعيد تصبح فيه أيها الشعب الجزائري الماجد سابحا في سماء الحرية حراً طليقاً باسم الثغر وضياء الجبين...والسلام عليكم ورحمة الله».

من ابنك المخلص مصالي الحاج - باريس يوم 13 نوفمبر 1936.¹

¹-محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص1316-1321.

5- رسالة مصالي إلى الرئيس الفرنسي 1936

كانت الأزمة الاقتصادية العالمية التي بدأت سنة 1929 قد وصلت إلى القمة في أوائل 1936 بالنسبة للجزائر، حتى كانت أغلب جماهير المدن الكبرى، تقف من الحشائش التي توجد في الحقول وأغلبها ضارة وقد وقعت عدة إصابات تسمم، وبالنسبة للبوادي فلا تسأل، لأن البوادي كانت تحت رحمة القايد و«الشانبيط» (حرس بلدي) والمستراتور (حاكم)، أما الصحراء فقد كانت تحت رحمة العسكريين، عالم مقفول لا تدخله أنسام ولا أضواء.¹

كان ساسة فرنسا لا يولون أي اهتمام تجاه حياة البؤس؛ والوضع المتردي والمزرى الذي تعيشه الجماهير المسلمة في الجزائر؛ نظرا لسطوة المعمرين الأوروبيين المالية في الجزائر؛ الذين أصبحوا يتمتعون بنفوذ وتأثير على قرار المتروبول بفرنسا، وكانت الحكومات الفرنسية تحسب لهم ألف حساب قبل أن تطرح أي مشروع إصلاح في الجزائر، رغم ذلك كانت الجزائر تعيش في الثلاثينات حراكا وطنيا، ارتقت فيه الحركة الوطنية، من حركة مطلبية اجتماعية، إلى مستوى الوعي بالهوية الوطنية، ثم ارتقى إلى درجة وعي يقارب اليقين؛ تمثل في نشوء وعي كامل لدى التيار الثوري؛ بكيان سياسي واجتماعي للجزائر قاب قوسين أو أدنى. وفي هذا السياق قدم الزعيم مصالي الحاج رسالة "بيانا" إلى الرئيس الفرنسي، عرض فيها بعض محددات الدولة الجزائرية ومقوماتها، والاختلاف النوعي بين فرنسا والجزائر، ومما جاء في الرسالة: «إن نجم الشمال الأفريقي...جماعة تسعى...وتكافح من أجل الاستقلال التام لشمال إفريقيا من الناحية الفعلية والقانونية، ولا يمكن للنجم أن يمس بسلامة الإقليم الوطني الفرنسي، ولا بشكل النظام الجمهوري، أما بشأن الجزائر، فلنسمحوا لي سيدي الرئيس، أن أقول لكم بأن الجزائر ليست فرنسية، وذلك لأسباب عديدة، منها أنه يوجد الإقليم الفرنسي في الجنوب الذي يحده البحر المتوسط، أما ما بعد المتوسط، فهناك الجزائر التي تعود إلى الجزائريين، ومن ثم فهي إقليم جزائري، وبناء عليه، فالجزائر توجد فعلا في الشمال الأفريقي، بينما تقع فرنسا في أوروبا» ثم أضاف مصالي الحاج...بشيء من اليقين الراسخ: «للجزائر ماض تاريخي وسياسي، فقد كان لها شعراؤها، ومؤرخوها، وجغرافيوها...نعمل لنمنح بلدنا الجزائر وجهه الحقيقي...لقد كان غزو الجزائر عسكريا، لكن قلوبنا بقيت دائما جزائرية، والكل يتوق إلى تحقيق استقلالنا التام» في هذه اللحظة تأكدت الحكومات الفرنسية أنها امام حالة جديدة في الجزائر، فالنجم لم يعد جمعية للدفاع عن حقوق العمال، ومسلمي شمال إفريقيا، بل أصبح تنظيما ثوريا يسعى للتحرير.²

هـ....

¹ - قنانش، وقداش: النجم، مرجع سابق، ص 266 .

² - عن تنيو: أشكالية الدولة، مرجع سابق، ص 220 .- / (Janvice - Février 1936) , El Ouma -

المبحث الثالث: مرحلة حزب الشعب

1- جهود الاستعمار لوأد التيار الثوري

نشأ عن الاستعمار الأوروبي الحديث استعبادا للشعوب كثيرة، بعد أن كان الاسترقاق يطال الأفراد فقط، وأصبح الجزائريون في ظل الاستعمار الفرنسي؛ لا يصلحون إلا لتأدية الأعمال الشاقة، ووقودا للحرب، وموردا للضرائب. وعلى مر التاريخ، رأينا شعوبا كثيرة، كانت ضحية لتمدد شعوب أقوى منها، لكنها في الأخير لم تفقدها خصوصيتها، وهو ما حصل في الجزائر، إذ تراخى القيد وبدأ يتسع، وأصبح الاستعمار منتصف الثلاثينات يلفظ أنفاسه الأخيرة، ومع تصاعد نشاط التيار الثوري. كانت الإدارة الفرنسية في كل مرة تصاب بالهلع؛ من الأثر الذي تحدثه تجمعات مصالي ونشاطاته، إذ كان مصالي الحاج معتدا بنفسه، يتصرف كرئيس دولة فهو يرسل البرقيات والرسائل إلى الملوك ورؤساء الدول وقادة الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة،¹ وعلى مدى سبعة وثلاثين عامًا، بين عام 1937 ووفاته، أمضى مصالي الحاج منها اثنين وعشرين سنة إما في السجن أو تحت الإقامة الجبرية، وعاش أربعة أنظمة فرنسية وهي الجمهورية الثالثة المنتهية، دولة فيشي، وأخيرًا الرابعة والجمهورية الخامسة.²

اعتبرت كل مطالب التيار الثوري مرحلة التأسيس والثلاثينات آنذاك طلبا للمستحيل خاصة المطالبة بالاستقلال، إلا أن ذلك لم يفت في عضد رفاق مصالي؛ وواصلو نضالهم على جميع الأصعدة؛ ومنها أن التيار الثوري، قدّم جهدا كبيرا للتأسيس للقضية؛ من الناحية التاريخية والنضالية والقانونية (فقد ذكّر الفرنسيين بطبيعة وجودهم في الجزائر كما راسل عصبة الأمم وفيما بعد الأمم المتحدة)؛ وكانت مسألة الاستقلال موجودة في كل المناسبات، حتى وإن اختلفت التسميات والشعارات نهاية الثلاثينات، (مرحلة حزب الشعب) وشيئا فشيئا تميزت مساهمته لبلورة مفهوم الدولة الجزائرية؛ من خلال كفاحه ومطالبه؛ التي حمل جزء منها صفة الاستعجالية (المطالب الإصلاحية) والآخر هو مطلب الاستقلال وعمل على تدويل القضية الجزائرية، في مناسبات عديدة. منها مناسبة مؤتمر بروكسل 1927، وخطاب النجم إلى عصبة الأمم 1930 ورسالة مصالي إلى الرئيس الفرنسي 1936، إضافة للنشاطات الخارجية للتيار الثوري بعد الحرب العالمية الثانية في الأربعينات والخمسينات والتي سيتم ذكرها. دون أن ننسى تصريحاته للصحف ومراسلات للمنظمات والهيئات خدمة للقضية الوطنية.³

¹ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج 2، مرجع سابق، ص 1154.

² - Alain Ruscio: Op.Cit.

³ - بوقصة: مرجع سابق، ص ص 348-350.

حل النجم: لم تغفر الحكومة الاشتراكية الفرنسية التي يدعمها الشيوعيون لمصالي الحاج ومن ورائه النجم، استقلالهم عن اليسار الفرنسي، ومواقفهم الوطنية والدولية الجريئة، وجراته في تحمل المسؤولية بالمطالبة باستقلال الجزائر، ولهذا كانت الإدارة الاستعمارية والحكومة الفرنسية تتحيان الفرصة للقضاء عليه.¹

وكمثال على تحمل مصالي والنجم للمسؤولية وتقديم المصلحة الوطنية نضرب مثالا لموقف مشرف مصالي، ففي نوفمبر 1936 كانت رحى الحرب الأهلية في إسبانيا على أشدها فجاء وفد من الحزب الشيوعي الفرنسي إلى مصالي، يطالبه بتكوين لواء جزائري لمحاربة جيوش فرانكو الفاشي في إسبانيا، فكان رد مصالي فوراً: «إذا كان دم جزائري يراق فسوف يقع من أجل تحرير الجزائر»، وبذلك أعلن مصالي رفضه الانضمام للشيوعيين لمحاربة جيوش فرانكو الفاشية الإسبانية، وللتذكير فقد فتم حل النجم بصفة نهائية من قبل حكومة بلوم Léon Blum بإصدار مرسوم 13 جانفي 1937 مما أجبر المناضلين للنشاط والاجتماع تحت اسم أحباب الأمة، إلى غاية إنشاء حزب الشعب في 21 مارس 1937 على أساس برنامج جديد.²

وهنا يلح عمار العيمش-وهو من الصف الأول في قيادات النجم- وبعض معاصريه، بأن قيام حكومة الجبهة الشعبية اليسارية بحل نجم شمال إفريقيا، هو رد فعل على رفض النجم ومصالي لإرسال متطوعين إلى إسبانيا لمحاربة فرانكو،³ وقد احتج شكيب أرسلان على حل النجم، وإزاء هذا الموقف المساند عقب مصالي قائلاً: «أن ما كنا نبحث عنه، هو أن نعمل على أن تبقى جنسيتنا دائماً حية، إلى أن يأتي اليوم الذي نصير فيه بفضل كفاحنا أمة جزائرية مستقلة».⁴

وبعد أن تم حل النجم من الناحية القانونية، بدأت حملة مطاردة أمنية من قبل الحكومة الفرنسية ضد كل ما له علاقة بالنجم بداية من 26 جانفي 1937، بموجب قوانين الدوريات الحزبية، وبعد أن قامت حكومة بلوم Léon Blum بحل النجم، فإن المسؤول عن المسألة الجزائرية في الحزب الشيوعي الفرنسي، روبرت ديلاوتشي R.Deloché صرح لجريدة لومانيتي L'Humanité في 12 فبراير 1937، بأنه يدعم هذا الإجراء؛ ليعلن الطلاق النهائي بين النجم والشيوعيين.⁵

¹ -عبدون: مرجع سابق، ص33.

² -نفسه: ص33.

³ - زوزو: للهجرة، مرجع سابق، ص141.

⁴ - مصالي، مذكرات، مرجع سابق، ص 221.

⁵ -Alain Ruscio: Messali ,op.cit,

2- تأسيس حزب الشعب الجزائري 11 مارس 1937

بعد أن اطمأن مصالي إلى تجذر حزبه في الجزائر، لم يضره إجراء الإدارة بحل النجم، وقد تم إيجاد البديل سريعا؛ بعد أن نضجت فكرة تأسيس حزب جديد؛ يخلف النجم الذي تم حله، وإعطاء عنوان جديد للتيار الثوري، فكان المولود الجديد تحت اسم «حزب الشعب الجزائري»، واختيار هذا الاسم لم يكن اعتباطيا، بل هو توجه جديد لحزب مصالي، كنتيجة تمخضت عن السجال والنقاش الجاد والطويل لمقررات المؤتمر الإسلامي وما رافقها، إذ أمدت هذه الأجواء الجديدة مصالي وأنصاره بإمكانات وعُدّة أيديولوجية، كانت لهم بمنزلة أرضية فكرية وسياسية أسعفتهم كمرجعية لخوض جبهة العمل السياسي بحنكة سياسية.¹

ويلاحظ أن حزب الشعب استفاد في وضع برنامجه هذا من التجارب التي مرت بها قيادته وخاصة منهم مصالي، الذي تأثر فعلا بأراء الأمير شكيب أرسلان، وباحتكاكه بعد ذلك بأعضاء جمعية العلماء في الجزائر، وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس، ولعل أعضاء الحزب الآخرين الذين حنكتهم التجارب في السجن، كانوا تأثروا أيضا بالأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الجزائر، وانتهوا إلى أن هذه المسائل لا يمكن أن تسوى إلا على أسس متينة، يؤمن بها الشعب الجزائري كله، وبناء على هذا جاء برنامج حزب الشعب الجزائري أكثر وضوحا أو على الأقل أكثر شمولا لقضية الجزائر، من برنامج النجم سنة 1933، وإن كان هذا البرنامج بقي هو الأساس الذي تدور حوله كل القضايا المطروحة.²

تأسس حزب الشعب الجزائري في 11 مارس 1937 في ضاحية نانثير بباريس بالمهجر، حيث قام مصالي الحاج، وعبد الله فيلالي، وكحال أرزقي، بوضع قانونه الأساس، وكان نشاطه الفعلي والحقيقي في الجزائر، وأصبحت قيادة حزب الشعب هي نفسها قيادة النجم، ماعدا عمار العيمش الرجل الثاني في الحزب الذي انسحب، معتبرا أن أرضية الحزب الجديد لا ترقى إلى مستوى أطروحة نجم شمال إفريقيا، وبعد التأسيس قام مصالي بتنظيم قواعد الحزب في فرنسا، ووصل مصالي إلى الجزائر قادما من فرنسا بتاريخ 18-06-1937، ليشارك في الحياة العمومية بالوطن، حيث قام بالاتصال بفروع النجم بالجزائر التي كانت 14 فرعا في الجزائر، و6 في تلمسان، و4 في قسنطينة.³ وعند تأسيس حزب الشعب، تم تجنيد أغلب أعضائه من المسلمين الجزائريين، الذين يعيشون في ضواحي باريس، لكن رغم ذلك إلى غاية عام 1939 لم تكن دعايته اخترقت بعد الجماهير الجزائرية في الجزائر بعمق.⁴

¹ - ثنيو: إشكالية الدولة، مرجع سابق، ص 235 .

² - يوسف مناصرية: الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية بين الحربين، 1919-1939، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 95.

³ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، مرجع سابق، ص 691 .

⁴ - Isnard, Hildebert : op, cit.

وبخصوص برنامج الحزب فعلى المدى القريب (المطالب الاستعجالية)، كان حزب الشعب يسعى لتحسن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمسلمين، أما على المدى البعيد فهو يرمي إلى استقلال الجزائر التام، وبناء أسس دولة جزائرية، تكون مرتبطة بماضيها الحضاري العربي الإسلامي، يحترم فيها الإسلام ديننا، والعربية لغة، وتسود فيها العدالة الاجتماعية بين جميع افراد الشعب، وتعمل مع الدول الأخرى وخاصة فرنسا، على استقرار الأمن ومنح الحرية للإنسانية كافة، وذلك في اطار التعاون الأخوي.¹ وبالنسبة لمسيرة التيار الثوري فإن حزب الشعب الجزائري هو تواصل للنجم الشمال الإفريقي، لكن بتكتيك جديد فمن خلال قراءة لبرنامج حزب الشعب يلاحظ بعض أوجه الاختلاف مع النجم يمكن تلخيصها فيما يلي:

1. تظاهر حزب الشعب بالاعتدال بالنسبة لخطاب النجم أمام فرنسا.
 2. كذلك من أوجه الاختلاف بينهما أن النجم جمعية للدفاع عن حقوق كل سكان المغرب العربي، أما حزب الشعب الجزائري فهو حزب بالمعنى التنظيمي والنضالي.
 3. النجم تجمع لكل المغاربة أما حزب الشعب فهو يضم الجزائريين فقط.
 4. تضمين كلمة الشعب في اسم الحزب له دلالة ورمزية؛ للرد على الأصوات التي قالت بأن الشعب في طور التكوين،* أو التي أنكرت وجود الشعب الجزائري من الاندماجين والشيوعيين.²
- وعلى ذكر قصة مقولة «شعب طور التكوين»: وللتغلب على المشاكل التي أصبح يعاني منها الشيوعيون بالجزائر، قام الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي "موريس" طوريز Maurice Thorez بتقديم أفكار جديدة سنة 1937، لينتهي بصياغة نظريته المشهورة حول حل المسألة الاستعمارية بالجزائر، والتي قدمها في خطاب له بالعاصمة في فبراير 1939، ومضمونها أن: «الجزائر أمة في طور التكوين، وهي خليط من عشرين جنس، يمكن تسهيل تطورها ومساعدتها بمجهود الجمهورية الفرنسية».. وهذا الخطاب عموما ذو نزعة استعمارية واضحة، ينفي وجود الأمة الجزائرية، كما ينفي أصالة الشعب الجزائري وتاريخه ويبرر الاحتلال الفرنسي للجزائر، ولقد شكلت هذه النظرية أساس السياسة الشيوعية بخصوص الجزائر.³

¹ - مناصرة: الاتجاه الثوري، مرجع سابق، ص95.

*- للمزيد ينظر: مصطفى أوعامري: الحزب الشيوعي والمسألة الوطنية 1920-1954، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 29 جوان 2016، جامعة وهران 1 احمد بن بلة، الجزائر.

² - محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954م، ط3، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الرويبة، الجزائر، 2000، ص ص 200-201.

³ - مناصرة: الاتجاه الثوري، مرجع سابق، ص95.

3- خطاب التيار الثوري وتكيفاته لمرحلة حزب الشعب

أصبح التيار الثوري بعنوانه الجديد: «حزب الشعب الجزائري» عن هوية التنظيم الجديد من خلال عنوانه حزب سياسي بدلا من جمعية، وشعب جزائري بدلا من مسلمي شمال إفريقيا. فالشعب الجزائري يجب أن يندرج في المفهوم القانوني الذي يحكم مؤسسات الدولة الحديثة، وليس اعتبارهم رعايا، أو كمًا من الأهالي؛ العديمي الأهلية؛ والفاقدي الهوية، كما يريد المستعمر الفرنسي.¹

بقي حزب الشعب متمسكا بخط النجم في دفاعه عن الهوية؛ من خلال للشعار المطبوع على بطاقات انخراط المناضلين في حزب الشعب الجزائري، وفي كافة أرجاء الوطن: الجزائر وطننا، وإسلام ديننا، والعربية لغتنا، وهي تشبه شعار بن باديس وجمعية العلماء مع اختلاف في الترتيب إذ بن باديس يبدأ بالترتيب الثقافي الإسلام ديننا،² كما قام حزب الشعب بالتفاتة هامة؛ تجاه اللغة العربية وقراء العربية؛ حين أصدر أول جريدة عربية للتيار الثوري؛ هي صحيفة «الشعب» أصدرها سنة 1937 ونظرا للإجراءات الاستثنائية الاستعمارية لم تعمر طويلا.³

من ناحية التكتيك السياسي؛ فقد تأكدت قيادة الحزب أن مطالب وتصريحات الحزب المباشرة؛ أصبحت خطرا على مستقبل الحزب، فجاء بصيغ تكتيكية جديدة في عهد حزب الشعب، تراعي الظروف، وذلك بالابتعاد عن التصلب، فقام بتغيير صيغ مطالبه، فاخترت كلمة الاستقلال، وحل محلها: جمعية جزائرية تأسيسية منتخبة عن طريق الاقتراع العام دون تمييز في العرق والدين؛ وهي نفسها كلمة التحرر الكامل (لأنه طبيعيا الجمعية التأسيسية المنتخبة بحرية ستقرر الاستقلال)، هذا الانكفاء في المطالب؛ أدى إلى انشقاقات في الحزب، ومثال ذلك؛ عمار العيمش الذي لم يقبل ابتعاد الحزب عن لغة الوضوح؛ والفصل في الخطاب في مسألة الاستقلال؛ فغادر صفوفه.⁴

كان شعار حزب الشعب الجديد لعام 1937 لا انفصال ولا إدماج، رغم ضبابيته؛ إلا أنه جاء ليضع حدا لأسطورة الجزائر الفرنسية، أو إمكان دمج الجزائر في فرنسا، يُظهر لأول وهلة؛ أن الحزب تراجع عن راديكاليته، إلا أن التمعن في الخطاب الجديد، يؤكد أن الحزب دخل مرحلة جديدة، حين أكد أن الحل النهائي؛ والذي لا مفر منه، يقتضي وجود كيانين جزائري وفرنسي، حين نفى الاندماج

¹ - ثنيو: إشكالية الدولة، مرجع سابق، ص20.

² - أحمد بن النعمان: العلاقة العضوية بين الثقافة والهوية، مرجع سابق، ص34.

³ - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص268.

⁴ - زوزو: الهجرة، مرجع سابق، ص75.

فأكد بذلك من جديد مطلب الاستقلال، وأيقظ الفرنسيين من الأحلام؛ وراء مقولة الجزائر الفرنسية.¹ وكان من الصعب على القيادة إعداد برنامج يختلف عن برنامج النجم، دون التكرار للذات، لكن لم يكن بالإمكان تبني هذا البرنامج؛ دون التعرض للمتابعة، بتهمة إعادة تأسيس جمعية محلة، لذلك تحايل الحزب خارج النص، بينما تكفل إعلام الحزب خاصة جريدة الأمة؛ بتوضيح بعض النقاط.²

وبخصوص تطور إيديولوجية التيار الثوري في عهد حزب الشعب الجزائري، فإن التصريح بالإيديولوجية غدا خطرا عليه لتغيير الظروف، ولم يعد الكشف عنها ممكنا، لذلك أخذ حزب الشعب الجزائري يركز في مطالبه على الإصلاحات الفورية، مع الأخذ في الاعتبار عاملين اثنين هما - الجو السياسي في الجزائر المغاير لجو فرنسا،- ونشاط التشكيلات الوطنية الأخرى، فمراعاة للعامل الأول، اختفت الصيغ الإيديولوجية؛ لتحل مكانها صيغ تكتيكية، فصيغة جمعية تأسيسية جزائرية منتخبة عن طريق الاقتراع العام من دون تمييز في الجنس أو الدين مثلا؛ تؤدي نفس المعنى الذي تؤديه كلمة استقلال، وهذا المعنى تؤديه أيضا كلمة التحرير الكامل.³

وبالنسبة لمطالب الحزب في أوت 1938 فقد تناولت كامل العناصر الاجتماعية، ومراعاة للواقع؛ تقرر في اجتماع أوت 1938 بباريس التخلي عن التصلب، وبدء سياسة التحالف مع الأحزاب السياسية الأخرى؛ والهيئات الموجودة بالجزائر، ومتابعة السياسية معها حتى ولو كانت لا تقاسمهم آراءهم ومذاهبهم ونظرتهم للأمر.⁴

في شهر نوفمبر 1938 نقل حزب الشعب الجزائري مقره من باريس إلى الجزائر، وأعلن عن تأسيس جريدته الجديدة في 18 ماي 1939 التي سماها «جريدة البرلمان الجزائري». وكان تحريرها يجري بالجزائر، واهتمت بالدفاع عن استقلال الشعب الجزائري، ومن أهم مقالاتها مقال طويل نشرته في 17 جوان 1939؛ تحت عنوان: "حزب الشعب الجزائري من أجل استقلال الشعب الجزائري"، وضحت في هذا المقال برنامج حزب الشعب، ولخصت أهدافه في ثلاث نقاط هي:

- الاقتراع العام الذي يمنح للشعب الجزائري المسلم إمكان التعبير.
- البرلمان الجزائري الذي يقوم على مبدأ الاقتراع.
- مبدأ التحرير الذي يهدف إلى إبطال سياسة الإدماج.⁵

1 - تنيو: إشكالية الدولة، مرجع سابق، ص20.

2 - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، مرجع سابق، ص730.

3 - زوزو: الهجرة، مرجع سابق، ص75.

4 - نفسه: ص 75.

5 - مناصرة: الاتجاه الثوري، مرجع سابق، ص102.

4- الهوية من خلال وشعارات وإعلام حزب الشعب

كان اضهاد الصحافة في الجزائر أكثر منه في فرنسا؛ لأن القوانين رغم وحدة البلاد الفرنسية في الظاهر غير واحدة.¹ وقد كانت الصحف آنذاك الوسيلة الأولى للإعلام، والتي استغلها لخدمة القضية الوطنية، سواء عبر النشاط الذي يقوم به الإعلام التابع للتيار الثوري، أو حسب المتاح من وسائل الدعاية، التي اختلفت أشكالها، ليشمل الصحافة والمنشورات، والملصقات الحائطية، وكذلك التجمعات الحزبية، واللقاءات المحدودة، إلى جانب المقالات، والتصريحات، التي كان يدلي بها مصالي للصحف الفرنسية والعالمية آنذاك، مستغلا مركز باريس كعاصمة لها جاذبيتها بالنسبة لقادة التيارات الفكرية والتحررية، من مختلف مناطق العالم، وللصحفيين، وقد ركز التيار الثوري على الصحافة، باعتبارها أهم الوسائل للتأثير والتجنيد والدعاية وسنتناول أهم وسائل الصحف في عهد حزب الشعب. وقبل ذلك نبداً ببطاقة العضوية للحزب :

أ- بطاقات العضوية في حزب الشعب

بنى التيار الثوري قاعدة عمله على أسس أرضية عناصر الهوية، في مواجهة الأطروحة الاستعمارية، الرامية إلى إدماج الجزائر بفرنسا، على افتراض غياب هوية وطنية جزائرية خاصة؛ ونفي وجود الأمة الجزائرية، ومحاولة طمس شخصية الشعب الجزائرية،² وردا على ذلك واصل حزب الشعب إبراز عناصر الهوية؛ من خلال رموز الحزب، كما اهتم بالشعارات ووسائل الاتصال؛ كسلفه النجم، فبطاقة الاشتراك في حزب الشعب، تطورت هي الأخرى كذلك، فبعدها كان خطها مغربيا وغير جيد، ولونها واحد أخضر باهت، صارت الكتابة أكثر اكتمالا، والشعارات واضحة بألوان متعددة، والشكل العام للبطاقة مضبوط، بإضافة لحيز معلومات: القسمة والفيدرالية التي ينتمي إليها المشترك، واسمه ولقبه، ومكان الطابع الخاص بالاشتراك.. فالبطاقة الأولى لحزب الشعب طبعت سنة 1937 في باريس والثانية طبعت سنة 1938 في الجزائر.³

في هذه المدة التي كان فيها حزب الشعب محظورا ويعمل في السرية (مع اندلاع الحرب العالمية الثانية)؛ رغم ذلك شهد الحزب إقبالا كبيرا من طلبات الانخراط، وكانت نوعية المنخرطين تختلف تماما عن المناضلين السابقين، بانضمام العديد من الكفاءات والجامعيين، مثل طبيب الأسنان جمال درور

¹ - الخطيب: حزب الشعب، ج1، مرجع سابق، ص 253.

² - ثنيو: مرجع سابق، ص235.

³ - زوزو: الهجرة، مرجع سابق، ص89.

والمحامي والحاج سعيد الشريف، ومحمد محفوظي، ومن الطلاب بن يوسف بن خدة، وشوقي مصطفى، ومن التلاميذ آيت أحمد، وعمر أوصديق، ومن الموظفين دماغ العتروس، ويلوزداد، ومن جمعية العلماء هناك من وجد بغيته في حزب الشعب ومن هؤلاء: الشاذلي المكي، والسعيد الزموشي، وبلقاسم البيضاوي، وغيرهم بعد وفاة بن باديس.¹

ب- صحافة وإعلام حزب الشعب

هنا نتناول أهم صحف التيار الثوري الاستقلالي، في مرحلة حزب الشعب:

1- جريدة «الأمة» في عهد حزب الشعب

منذ صدور العدد الأول في أكتوبر 1930 إلى غاية إيقافها، بقيت جريدة «الأمة» عنوان الدفاع عن الهوية وكتبت جريدة «الأمة» بتاريخ مارس-أفريل 1936 تعقيبا على تصريحات فرحات عباس الشهيرة: «فرنسا هي أنا» كيف يستطيع عربي أن يكتب مثل هذا، إن المسألة الوطنية هي مطلب الملايين، قبل أن تكون مسألة تاريخ، ما مصير اعتراف فرنسا للأمير عبد القادر بالسيادة في معاهدة التافنة؟ إذا كان يرى أنه لا يوجد وطن، فإنه لن يعجز خمسة ملايين (جزائري) أن يحدثوه.²

ورغم حل النجم، بقيت جريدة «الأمة» كعنوان للمقاومة، واعتبرت بالنسبة للتيار الثوري الجزائري عسبا مهما، من الضروري تنشيطه باستمرار، ومن هنا كان اهتمام المؤتمر العام لحزب الشعب المنعقد في 24 أوت 1938، بجريدة «الأمة» ووصفها «الأمة» الباسلة، وأكد على ضرورة صدورها بانتظام؛ وعلى أهمية تأسيس جرائد مساندة لها، ولكن الجريدة أوقفت نهائيا عن الصدور؛ في 29 سبتمبر 1939؛ مع ظروف اندلاع الحرب العالمية الثانية.³

طالما أن جريدة الأمة بقيت بلهجتها، فإنها بذلك تعتبر جريدة واحدة لحزب واحد (النجم ثم حزب الشعب)، فهذه الجريدة لم يبدو عليها أي تغيير أو انفصال، لا من حيث المادة الصحفية، ولا من حيث الإدارة، واستمرت في الصدور في الوقت الذي توقف فيه النجم عن النشاط قانونيا، وعندما رخص لحزب الشعب كانت جريدة «الأمة» تكمل مسيرتها الوطنية الطبيعية معه، ولم تتوقف عن الصدور نهائيا الا في نفس الوقت الذي تم فيه حل حزب الشعب؛ لذلك فإننا نعتبر الجرائد التي أصدرها النجم؛ وتلك التي أصدرها حزب الشعب هي جرائد لحزب واحد.⁴ وجاء في جريدة «الأمة»: «إن حزب الشعب الجزائري

¹ - الهشماوي: مرجع سابق، ص 63.

² - قداش: جرائد الجزائريين، مرجع سابق، ص 329، 330. بتصرف.

³ - الخطيب: حزب الشعب، ج 1، مرجع سابق، ص 251.

⁴ - نفسه: ص 245.

يرتكز على الإسلام والتاريخ، لتبرير رفض إحقاق الجزائر بفرنسا؛ وهكذا نفهم لماذا يعمل الاستعمار على تحطيم الإسلام... لن يكون الجزائريون فرنسيون لا بالعرق، ولا باللغة، ولا بالدين، لا؛ وألف لا؛ فالعربي سليم العقل لن يكون فرنسيا).¹ ونشرت جريدة الأمة بخصوص لائحة المطالب التي تمخضت عنها الجمعية العامة لحزب الشعب الجزائري، الذي انعقد في باريس يومي 23 و24 أغسطس 1938، حيث بينت بصورة جلية، الخطوط العريضة لبرنامج الحزب. ومما جاء فيها بخصوص المطالب الثقافية:

1- ضرورة نقل حصة معتبرة من الميزانية العادية للجزائر؛ وتنفيذ خطة حكيمة للتعليم الابتدائي، والثانوي، والعالى.
2- بناء مدرسة ابتدائية في كل دوار.

3- إحقاق كلية للآداب العربية بجامعة الجزائر، ويجب أن يدرس فيها باللغة العربية، الأدب، والتاريخ، والعلوم الاجتماعية، والفلسفة الإسلامية، وفق ما هو مقرر في المعهد الإسلامي الأعلى في المغرب الأقصى وفي المدرسة العليا للغات والآداب العربية في تونس.

4- تحويل المدارس الشرعية الموجود حاليا إلى جامعة إسلامية، حيث يدرس فيها اللغات والآداب العربية أساتذة مسلمون.

5- إقرار التعليم الإلزامي للغة العربية؛ في جميع أطوار التعليم، الابتدائي، الثانوي، العالى، كما هو معمول به في جامعات تونس والمغرب.² كما نشرت جريد الأمة برنامج حزب الشعب بداية سنة 1938 فنجد في المجال الاجتماعي:

- ترقية التعليم باللغة العربية والفرنسية.

- التعليم الإلزامي للغة العربية لكل السكان الأصليين وعلى جميع المستويات.³

-2- جريدة «الشعب»

ظهرت أول جريدة عربية للتيار الثوري ناطقة بالعربية، هي جريدة الشعب خلال سنة 1937 أصدرها حزب الشعب ولم تعمر طويلا.⁴ كتب عنوانها بخط عربي كبير وجميل يتوسط أعلى الصفحة كتب أعلاه «إرادة الشعب من إرادة الله وإرادة الله لا تقاوم» وكتب تحته لسان الحركة الوطنية الجزائرية

¹ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، ص733.

عن: ثنيو: إشكالية الدولة، مرجع سابق، ص235. - Ouma, 27 Aout 1938.

عن: محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، مرجع سابق، ص732. - El Ouma, Janvier 1938.

⁴ - ينظر: سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص243-268.

العربية المسلمة، لكن لم يكتب لهذه الجريدة النجاح فقد أوقفت في العدد الثاني.¹ وزج بأصحابها في السجن، وأصحابها المذكورون في العدد الثاني هم مصالي الحاج-المدير السياسي، ومفدي زكريا- رئيس التحرير، ومحمد مسطول- أمين المال، وفانفاني (إيطالي)- صاحب الامتياز، وصدر العدد 2 في 15 أكتوبر 1937. وكانت جريدة وطنية تحمل أفكار الحزب الاستقلالية والوحدوية وروح مفدي زكريا المتألقة.² ومن خلال عنوانها وشعارها كانت جريدة الشعب لا يخفى تصورهما للأهداف، فالشعب كلمة لها مدلولها في المفهوم القانوني، ومادام شعب؛ فهو من حقه استلام مؤسسات دولته وتسييرها بنفسه، وواصلت نفس اللهجة الجريئة التي كانت قبلها لجريدة للأمة، فجاء عنوان لها بالبنت العريض على يمين الصفحة الأولى: **مبدؤنا في طريق الجهاد.**³

عند انطلاق جريدة الشعب؛ حددت أهداف الحزب والجريدة معا، ومنها «جعل الشعب سيدا على أرضه وويلاده» وطلبت من الشباب الاستعداد لميدان الجهاد التحرري النبيل؛ بقولها «إن الساعة قريبة أيها الشعب....سوف تصبح بفضل جهادك ومجهوداتك الخاصة سيدا لأرضك وعلى بلادك»⁴، فكان شعار جريدة الشعب كلمة الزعيم المصري سعد زغلول: «إن إرادة الشعب من إرادة الله»، وبذلك اتضحت معالم سياسة الحزب وهي: «توحيد الأهالي كشعب تحت مفهوم التضامن العرقي والديني والتاريخي واللغوي وتحت سطوة الدم العربي والعقيدة الإسلامية».⁵

3- جريدة البرلمان الجزائري Le Parlement Algérien

هي أسبوعية أسسها حزب الشعب، في ماي 1939 لتدعيم إعلام الحزب⁶، صدرت هذه الجريدة ذات الحجم الصغير بتاريخ 18 ماي 1939 في الجزائر العاصمة باللغة الفرنسية.

- شعارها: للدفاع ولتحرير الشعب الجزائري - وجاء إلى يمين الجريدة في الأعلى وبمحاذاة الاسم كتابة بالعربية كما يلي: «**واعنصموا يجبل الله جميعا ولا نفرقوا**» .

- تحتها وبين رأس هلال «البرلمان الجزائري، جريدة وطنية نصف شهرية».

¹ - محمد قناش، ومحفوظ قداش: حزب الشعب الجزائري 1937-1939، وثائق وشهادات لدراسة التيار الوطني، تر: أوداينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013، ص 173، 174.

² - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص 269 * - ويضيف قداش أن مسيرها كان بن لمين علي ولا يشير إلى قانفاني. - ينظر: محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، ص759.

³ - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص269.

⁴ - جريدة الشعب: أوت 1937. - عن: قداش، تاريخ الحركة الوطنية، ج1، ص738.

⁵ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، مرجع سابق، ص759، 760.

⁶ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، ص ص1381-1383.

- العبارة التالية داخل الهلال: «تدافع عن حقوق الجزائري العربية».

صدر من الجريدة سبعة أعداد، وكان المسؤول عنها أحمد بودة، ولكن تحريرها الفعلي كان بأقلام أعضاء الحزب المعتقلين في سجن الحراش بالقرب من العاصمة، وذلك بعد استفادتهم من امتيازات الاعتقال السياسي، وقد ارتفع إصدار الجريدة من 5000 نسخة في العدد الأول إلى 8000 نسخة في شهر أوت 1939، ولم تلبث السلطة أن أوقفتها في 27 أوت 1939.¹ وكان الاسم: جريدة البرلمان الجزائري، يعبر عن فكرة جديدة للحزب، وهي إنشاء برلمان في الجزائر؛ ينتخب عن طريق الاقتراع العام، فقبل ذلك كان التيار الثوري لا يؤمن بالتمثيل النيابي للجزائريين في البرلمان الفرنسي؛ كما طالب بذلك في المؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1936، فكان الحزب يؤمن بإنشاء برلمان جزائري، ومن ثمة جاء عنوان الجريدة، ولكن الحزب عدل عن هذا الموقف بعد الحرب العالمية، ورشح أعضائه لعضوية البرلمان الفرنسي، لأهداف مرحلية معينة، وفاز بعضهم بذلك.²

وكعينة من مقالات الجريدة واهتماماتها؛ ورد في جريدة البرلمان الجزائري مقال تحت عنوان التنظيم أساس النضال، نختار منه: ".بأن شعبنا لا يمكن أن ينال حرياته وأن يحسن ظروف عيشه إلا بانتظامه. تتجلى من هذا حقيقة: دون تنظيم، لن يكون ممكنا النضال الحقيقي". تضيف الجريدة: ".صحيحة تماما وعميقة هي الكلمات التي قالها مصالي الحاج ونشرت في جريدة الأمة، منذ بضع سنوات؛ لو كنت أستاذًا، سأكلف الشعب الجزائري بأن يصرف الفعل ينتظم في كافة الصيغ وكافة الأوقات.."³، وفي مقال كتبت جريدة «البرلمان الجزائري»: "...محاربة اللغة العربية ظهرت كأحد النقاط الرئيسية في البرنامج الاستعماري، فالإجراءات المطبقة ضد تعليمها دليل واضح ورغبة لإبادة الشخصية الجزائرية (الحية دائما)..⁴

وحول موقف الإدارة الاستعمارية من اللغة العربية جاء في جريدة «البرلمان الجزائري»، لسان حال حزب الشعب: «الاستعمار خان تعهدات الجنرال دي بورمون de Bourmont وصرح بشكل صريح بأن اللغة العربية خارج القانون، وبجميع الوسائل المتاحة، حارب تنمية وتطوير لغة آبائنا، متمنيا إطفاء العواطف الوطنية لشعبنا».⁵

¹ - الخطيب: حزب الشعب، ج1، مرجع سابق، ص 253.

² - نفسه: ص 269 .

³ - جريدة البرلمان الجزائري، 18 ماي 1939. - عن قنانش، وقداش: حزب الشعب، مرجع سابق، ص 45.

⁴ - Le Parlement Algérien , 14 juillet 1939 , j n°6 , boîte N°190,ANA. الأرشيف الوطني الجزائري بالعاصمة.

⁵ - ibid

5- نشاطات مختلفة لحزب الشعب

أ- تصريح المكتب السياسي لحزب الشعب 10 أفريل 1937

من هو حزب الشعب؟ ما هو برنامجه؟ ما هو نشاطه؟ تحت هذا العنوان؛ جاء تصريح المكتب السياسي لحزب الشعب أفريل 1937، فبعد أن تعرض التيار الثوري لضغوطات قاسية من الإدارة الفرنسية، شملت الحل المتكرر للنجم، والزج بنشطاء التيار الثوري، حاول التمويه بتغيير بعض الشعارات، وجاء هذا التصريح ليشرح سياسة حزب الشعب، ورغم الشعار الذي يحمل نوع من المداراة وتراجع عن الحدة بعنوان يحمل تفسيرات متناقضة «لا اندماج لا انفصال لكن تحرر»، إلا أنه وفي نفس التصريح يؤكد عن خطه الواضح بأن حزب الشعب يرفض كل سياسة اندماجية لأنها تتعارض مع تقاليد الشعب وماضيه نفتطف منه «فالجزائر التي يقطنها ستة ملايين مسلم يتحدثون بلغة واحدة ويدينون بدين واحد ويشدهم ماض مشترك لا يمكنهم الاندماج والإمحاء»¹. ومما جاء في برنامج حزب الشعب أفريل 1937: «يرفض حزب الشعب أية سياسة اندماج لأنها تخالف تقاليد الشعب وماضيه كما انها تخالف معاهدة 5 جويلية 1830 التي تؤكد صراحة على احترام التقاليد الإسلامية»².

ب- نشاطات متنوعة

ومن نشاطاته الإعلامية وتحت عنوان لماذا يناهض حزب الشعب الجزائري مشروع فيوليت Viollette، كتب المناضل فليته أحمد بجريدة العمل التونسي بتاريخ 11 ديسمبر 1937: «فمنذ 107 سنة لم يستطع مضطهدو بلادنا أن يجعلوا الجزائريين يتخلون عن الإسلام، لقد استعملوا التهديد... القوة... الحيلة... المخادعة... ولم ينجح لهم أي سلاح... ووجدوا وسيلة ربط النخبة بورقة الانتخاب، وحزب الشعب وحده هو الذي نهض ضد أي إدماج، وصرح بأنه يريد اعتناق حقيقي... وهو بقيادة مصالي سيهزم كل الاندماجين»³.

وشمل النشاط الإعلامي للتيار الثوري إضافة لصحافة الحزب؛ تصريحات مصالي للصحف الأخرى؛ ومنها تصريح مصالي لصالح صحيفة La Défense -جريدة العدالة- بعد تأسيس حزب الشعب في 17 أوت 1937، والتي لم يكن يخشى فيها ذكر الجزائر المسلمة؛ ومطلب برلمان جزائري وحول الاستقلال جاء في تصريح مصالي الحاج للصحيفة: «نتمسك بالماضي... لنعدّ مستقبلا يليق

¹ - عن ثيو: اشكالية الدولة، مرجع سابق، ص 564 - El Ouma (10- avril 1937).

² - قناش، وقداش: حزب الشعب الجزائري، مرجع سابق، ص 20.

³ - قداش: جزائر الجزائريين، مرجع سابق، ص 327، 328. بتصرف.

به...إن الاستقلال حق طبيعي يسكن قلب كل مسلم جزائري...ديننا الإسلام مثل حركتنا ديمقراطيان قبل كل شيء ولا نقبل دروسا من أحد...أحب بلدي ولغتي الأصلية وتقاليدي الإسلامية»¹، وجاء في جريدة العدالة: «إن الجزائر المسلمة شعب له لغته الأم ودينه وماضيه المجيد ومفكروه وأبطاله وتقاليدته الإسلامية» وجاء أيضا في المقال «الاستقلال واقع طبيعي متمكن في كل قلب مسلم جزائري، وهو حق تعترف به فرنسا بإعلان 5 جويلية 1830»².

ج- احتفالات 14 جويلية 1937

كان مصالي لا يدع فرصة لإسماع صوت الجزائر إلا استغلها، فخلال الاحتفالات بالعيد الوطني الفرنسي الموافق 14 جويلية 1936، استغلها مصالي، وانضم للاحتفالات بباريس بموكب من المهاجرين يرفعون العلم الجزائري، وفي مقدمتهم مصالي بصحبة نشطاء تحت لافتات كتب عليها: "حرروا شمال إفريقيا، سوريا الحرة، حرروا العالم العربي"³.

كما انتهز حزب الشعب احتفالات 14 جويلية 1937 وانضم للاحتفالات بالجزائر العاصمة والتي شارك فيها 25 ألف جزائري ليفاجئ الجميع بالاستعراض المبهر الذي قام به أنصار مصالي، هاتفين الحرية للجميع، ومدارس عربية⁴. وقد قرر حزب الشعب المشاركة في هذه التظاهرة بعد أن قرر الانضمام لتنظيم تجمع باسم الجبهة الشعبية، ويذكر مصالي في مذكراته: «أنه وُزع منشور يدعو أكبر عدد ممكن لمواطنينا للمشاركة. وكنا قد قررنا أن نشارك في هذه المظاهرة بموكبنا الخاص؛ تحت علم حزب الشعب الجزائري؛ وأعلامنا وأناشيدنا الوطنية وإعلاناتنا، وكان رجالنا يؤطرون نظام الموكب بكيفية خفية. كنت على رأس الموكب مع قادة حزب الشعب الجزائري، قربي يوجد مسطول ولحول وآخرون...فتم التصفيق علينا بحرارة، كان لنا عَلمان:

- الأول كله أخضر كان علم الإسلام.

- والثاني العلم الجزائري أخضر وأبيض وفيه الهلال والنجمة باللون الأحمر، وكان يحمله رجل اسمه عبد الرحمان وهو سائق طاكسي (سيارة أجرة)...ويضيف مصالي: إن الجزائريين والجزائريات كانوا يُقبلون العلم الوطني...ويبعثون هتافات الفرح والزغاريد، وكانت أخبار المظاهرة انتشرت كذر الغبار، ولهذا كان الناس يصلون من أعالي المدينة ومن القصب، فعند رؤية العلم الوطني، كانت الدموع في

¹ - نورة حسين: مرجع سابق، ص731.

² - حوار لمصالي مع جريدة La justice (العدالة) 17 أوت 1937. عن: قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1 ص 738.

³ - Djanina Messali, Op. cit. p;39.

⁴ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، ص757.

أعين الجزائريين وقد كان نشيد حزب الشعب الجزائري -فداء الجزائر-، يكرر طول المسافة.¹ ويضيف مصالي: كان عدد المتظاهرين حولنا لا يتوقف عن التزايد، فعم الفضاءات، وفي الطريق كان الناس يمشون، على الجهتين من الرصيف... فلما وصلنا في الساحة رفعتي مجموعة من الرجال الأقوياء من الحزب على أكتافهم، ليسمحوا لي بإلقاء كلمة قصيرة، فألتفت نحو المسجد وصرخت بصوت عال، **احترموا الإسلام**، ثم أضفت: البارحة كان انتصار الثاني أغسطس 1936، حيث طالبنا **بالاستقلال**، واليوم قمنا بمظاهرة كبيرة، وعلى رأس الموكب **العلم الوطني الجزائري**، إن هذا الانتصار عظيم، وخطوة كبيرة إلى الأمام، فلنشكر كل الجزائريين والجزائريات، والله يحفظنا»، وحول هذه المشاركة علق مصالي الحاج بقوله: لم يتم شيء يشبه هذا في الجزائر العاصمة إلى غاية اليوم.²

لم يترك مصالي فرصة إعلامية إلا وبعث رسالة جدد العهد فيها مع الشعب، فأثناء محاكمة العديد من مسؤولي حزب الشعب سنة 1939 بالجزائر العاصمة؛-حيث تم الحكم على 27 من المناضلين بالسجن والنفي، 14 سنة سجنا شملت الحكم على 9 منهم بالأشغال الشاقة-؛ تقدم مصالي بشجاعة قائلاً: «...لم أفكر يوماً من اقتطاع جزء من فرنسا؟ ثم أردف متسائلاً: فيما يرغب حزب الشعب؟ وأجاب عن تساؤله بقوله: في أن يرى نهاية نظام الأهالي... وأن يرى هذا الشعب يشارك في تسيير مصالحه... واحترام تقاليد وبلغته ودينه.³

برنامج حزب الشعب 1938

نشرت جريد الأمة برنامج حزب الشعب بداية سنة 1938 ف جاء برنامج حزب الشعب الجزائري أكثر شمولاً لقضية الجزائر، من برنامج النجم سنة 1933:

1-الميدان السياسي

- 1-إلغاء قانون الأهالي، قانون الغايات وكل القوانين الاستثنائية.
- 2- إعطاء الحريات الديمقراطية حرية الصحافة والجمعيات والتفكير والنقابات والاجتماع.
- 3-المساواة في أداء الخدمة العسكرية بين الفرنسيين والجزائريين.
- 4- والاعتراف بالدين الإسلامي ورجوع الحبوس وتسييره من قبل أصحاب الدين.

¹ - مصالي: مرجع سابق، ص 230. 231.

² - نفسه: ص 230. 231.

³ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص 874.

- 5- إلغاء المنح التي تعطى للمسيحيين الكاثوليك، والبروتستانت.
- 6- تغيير المجالس المالية (Délégations Financiers) Financieres إلى مجلس جزائري منتخب من طرف الجميع دون الأخذ بعين الاعتبار عنصر الدين واللغة.
- 7- فصل السلطات بين السلطة التشريعية، والتنفيذية والقضائية.

2-الميدان الاجتماعي

- 1- التعليم باللغتين العربية والفرنسية
- 2- التعليم الإلزامي باللغة العربية - للسكان الأصليين - وعلى كل المستويات.
- 3- تطبيق في الجزائر لكل القوانين الاجتماعية والعمالية المعمول بها في فرنسا
- 4- تطوير الوقاية والمساعدة العمومية.
- 5- حماية الطفولة.

3-الميدان الاقتصادي

- 1- تخفيض الضرائب.
- 2- نسبة الضريبة ترتفع مع ارتفاع الدخل.
- 3- تأميم القروض والمصانع الأساسية، والاحتكارات الموجودة.
- 4 - العمل على خفض نسبة البطالة وذلك بحل مشكلة المياه.
- 5 - إلغاء الاستيلاء على الأراضي، وتركيز المواطن الأصلي في الأرض وذلك بتسهيل وسائل استغلال الأراضي.
- 6- منع الربا وذلك بقرض منخفض للفلاحين والتجار.
- 7 - تأسيس نظام جمركي يحمي المصانع والإنتاجات المحلية من منافسة الإنتاج الخارجي

4-الميدان الإداري

- 1- يسمح قبول كل الجزائريين في كل مهنة بدون تمييز وتطبيق المبدأ التالي: نفس العمل نفس الراتب.
- 2- إلغاء كل التعويضات التي لها صبغة عنصرية أو سياسية.
- 3- إلغاء الإدارة العسكرية في المناطق العسكري، وكذلك إلغاء البلديات المزدوجة.¹

¹ - جريدة الأمة جانفي 1938. - عن: قنانش، وقداش: حزب الشعب، مرجع سابق، ص 33، 34.

د- المؤتمر العام لحزب الشعب المنعقد 23-24 أوت 1938

كان العالم يمر بحالة حرجة من الترقب قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية، والتي رافقها حالة من التوجس الأمني، التي أصابت الإدارة الاستعمارية، وما صاحب ذلك من إجراءات قاسية، مست منسبي التيار الثوري، ورغم ذلك وفي إطار التحديث الذاتي ومواكبة للتطورات للتيار الثوري، جاء هذا المؤتمر في ذروة نشاط حزب الشعب بالجزائر، وقد خصص جانبا للمطالب الثقافية، حيث جاء التركيز على مسألة التعليم، وهو ما ورد في مطالب المؤتمر العام لحزب الشعب المنعقد 23-24 أوت 1938 ومنها:

- إنشاء مدرسة ابتدائية في كل دوار (قرية) .
- إنشاء مدرسة ثانوية لكل عشر مدارس.
- إضافة كلية الآداب العربية إلى جامعة الجزائر تدرس فيها واللغة والآداب العربية، والتاريخ وعلم الاجتماع والفلسفة الإسلامية على غرار المعاهد العربية في تونس والمغرب.
- تحويل المدارس الشرعية الثلاث إلى جامعات إسلامية يدرس فيها أساتذة مسلمون.
- إصدار مسوم يجعل تدريس اللغة العربية إجباريا في جميع المستويات.¹

وجاء في تصريح مؤتمر العام لحزب الشعب المنعقد 23-24 أوت 1938 بعنوان "لا اندماج، لا انفصال، بل تحرير: يرفض حزب الشعب الجزائري كل سياسة اندماجية؛ لأنها تتعارض مع تقاليد الشعب وماضيه، كما أنها تتنافى مع معاهدة 5 جويلية 1830، التي تؤكد بشكل مطلق احترام التقاليد الإسلامية، وحرية التجارة والحق في الملكية... السياسة الاندماجية مجرد وهم كبير، ولا تعني في الواقع إلا تطبيق سياسة الإبادة لفائدة المستعمر، فالجزائر التي يقطنها 6 ملايين مسلم، يتحدثون لغة، واحدة ويدينون بدين واحد، ويشملهم ماض مشترك، لا يمكنهم الاندماج والامحاء، بل يمكنهم التعاون والتحالف.²

ومن أهم توصيات هذا المؤتمر التأكيد على: مطالب إعادة الاعتبار للغة العربية، ذلك أنه بداية منذ الثلاثينات قامت السلطات الفرنسية بحملة منسقة ضد اللغة العربية، باعتبارها أحد مقومات الهوية الوطنية للمسلمين الجزائريين، وتجلت الحملة في إغلاق المدارس الحرة، والتأكيد على أن اللغة العربية لغة أجنبية، إضافة لاضطهاد المعلمين الأحرار، وعدم الترخيص بفتح المدارس، وقمع الصحف العربية، وصدور تصريحات معادية، تولاهها كبار المسؤولين الفرنسيين، وبإيعاز منهم تم اطلاق العنان لبعض الاندماجين الجزائريين، لمهاجمة القومية العربية، والوطنية الجزائرية، والدعوة إلى أن الفرنسية لغة الحضارة للجزائريين.³

¹ الخطيب: حزب الشعب، ج1، مرجع سابق، ص297.

² - ثنيو: مرجع سابق، ص 564.

³ - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، مرجع سابق، ص27، 28.

المبحث الرابع: تجارب الإجماع على قاعدة الهوية

1- دور الدفاع عن الهوية في ريادة التيار الثوري للحركة الوطنية

لم يكن من الممكن للتيار الثوري أن ينال تلك المكانة الريادية ضمن تيارات الحركة الوطنية الجزائرية، لولا ثباته على مبدئين رسمهما لنفسه، وهما مبدأ المطالبة بالاستقلال، ومبدأ الدفاع عن الهوية في بعدها العربي الإسلامي، وهي عقيدة واستراتيجية، ارتضاها كخط لا يحيد عنه، فحاز موقعه الريادي للحركة الوطنية، فأصبح ضمير الشعب الحي، عندما انتبه مبكرا لأهمية الجانب الثقافي لنصرة الهوية، فمنذ 1927 نادى نجم شمال إفريقيا باسترداد اللغة العربية لمكانتها في الجزائر، ومن أهم المطالب الثقافية للنجم في بروكسل: إتاحة التعليم بكافة المستويات، وتأسيس مدارس باللغة العربية.¹

وفي برنامج النجم لسنة 1933 نادى نجم شمال إفريقيا بتعليم اللغة العربية إجباريا، ونصت المادة الثالثة من برنامج الحزب، على أن اللغة الرسمية للبلاد، ستكون هي اللغة العربية، ونصت المادة السادسة من برنامج الحزب لسنة 1933، على أن التعليم سيكون باللغة العربية، وسيكون مجانا في جميع المراحل.² ويلاحظ على برنامج نجم شمال إفريقيا 1933 بأنه حمل تطور في المطالب مثل مطلب احترام العقيدة الدينية لدى المسلمين حسب تعاليم القرآن، ولم يقتصر برنامج 1933 على المطالبة بتأسيس مدارس باللغة العربية، بل تمت المطالبة بجعل التعليم باللغة العربية إجباريا، واجبارية وجودها مع الفرنسية في المكاتب الرسمية.³ ونقتطف من مطالب نجم شمال إفريقيا وبرنامج المطالبات الفورية لشمال إفريقيا المقدم للجبهة الشعبية فيفري 1936؛ حيث تمت الإشارة إلى: «حرية تأسيس الجمعيات والتعبير باللغتين الفرنسية والعربية-كحاجة ملحة-والتدريس الإلزامي باللغة العربية على كافة المستويات». ⁴ كما أوضحت اللجنة المركزية لشعبة مدينة الجزائر لنجم شمال إفريقيا سنة 1936، مفهومها للشعب الجزائري، على النحو الآتي: «كما كنا نقول دائما، فإن الشعب الجزائري تشكل فعلا في التاريخ على أساس صلب، فله تاريخه، وماضيه، ولغته الأم، ودينه». ⁵

وجاء في نداء 13 نوفمبر 1936 من مصالي الحاج إلى الأمة الجزائرية: «أيها الشعب الجزائري قد تبين لك في بحر هذه الحوادث السياسية الأخيرة من هو المخلص المجاهد ومن هو المذبذب المقامر، ومن هو المنافق المتاجر، وقد رأيت حزبك الوطني الوحيد يخرج من المعمة ساطعا كفلق الصبح صافيا

1 - قنانش، وقداش: النجم، مرجع سابق، 57 - 60.

2 - سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، ص27، 28.

3 - زوزو:..الهجرة، مرجع سابق، ص73.

4 - قنانش، وقداش: النجم، مرجع سابق، ص ص 99 - 102.

5 - عن ثنيو: مرجع سابق، ص 220. - El Ouma , no 41, (juillet- août 1936, -

كالضمير الحر إن مبادئ حزبك الوطني الذي أسس على الملية، من أول يوم، هي السعي لتحريرك بالطرق المشروعة، في دائرة إسلامك... نحن نريد أن تكون لغتك العربية رسمية للبلاد... المسألة مسألة حياة أو موت والحكم حكم في مصير الأمة كاملة لا ترضى أن ترجع فرنسية أحببتكم أم كرهتم ولا ترضى أن يقامر أحد بحقوقها على مائدة-الأخذ بالخاطر... فلا منزلة بين المنزلتين يا قوم؛ إما وطني صميم، وإما خائن أثيم، ولن نتسامح معكم في التلاعب بأصغر حق من حقوق هذه الأمة المسكينة التي أخذنا على عاتقنا عهد التفاني في سبيلها والتضحية لتحريرها... فلا تجربة في البديهيات!. ولا مغامرة بحقوق الأمة، وما أسكر كثيره فقليله حرام،... يعتمد البعض منكم في الدعاية ضدنا أننا متطرفون متهورون نطلب الاستقلال، نعم نطلبه بكل شرف ولكن بالسعي في سبيله لسنا نطلبه اليوم بل نقول لكم أن برنامجنا هو السعي لتحرير الجزائر بالوسائل المشروعة ولم نحدد لذلك أجلا بل ان الخط الذي نسلكه في جهادنا هو خط التحرير وليس خط الاندماج والتجنيس وشتان بين السعي وبين التنفيذ، فالأيام وقوة الشعب وحدهما كفيلان بتحديد اجل التنفيذ والله من وراء ذلك محيط،...»¹

وقد أحسن النجم استغلال وسائل الدعاية والتواصل، خاصة الصحافة فعبّر جريدة الأمة وجه النجم رسالته إلى مسلمي شمال إفريقيا جاء فيها: «فمن الضروري التنظيم بقوة وبكثرة من أجل إسماع صوتنا وكفاحنا من أجل الوجود دون خوف أو تردد»². فمن مطالب النجم التي أوردتها جريدة الأمة جاء «مطلب تنمية وتطوير التعليم العربي واحترام حرية الشعائر الدينية للمسلمين، وتطبيق قانون فصل الدين عن الدولة على الديانة الإسلامية»³. وتحت عنوان كبير كُتبت جريدة البرلمان «نحن نطالب بحق وجود لغتنا» وجاء في عمود في الصفحة الأولى: «...المعركة ضد اللغة العربية بدأت كنقطة محورية في المشروع الاستعماري، ليتم الآن كذلك اعتبار اللغة العربية خارج القانون، رغم ذلك نحن وبكل الوسائل سنطور لغة آبائنا، وما يجعلنا لا نستغرب هذه المعركة أنه لا أثر للمساواة، فاللغة العربية تلقت الكثير من الظلم...»⁴

وعندما تم تأسيس حزب الشعب الجزائري، وحل محل نجم شمال إفريقيا يوم 11 مارس سنة 1937، كان الشاعر مفدي زكريا واحدا من قادته الأساسيين، ورئيس تحرير لسانه المركزي جريدة الشعب، حيث جاء عددها الأول عبارة عن بيان موجه إلى الجماهير بقلم الشاعر مفدي زكريا فيه دعوة إلى الثورة وتذكير بضرورة الاستعداد لخوض المعركة الفاصلة موجه إلى الشعب، كتبه مفدي زكريا كان ذلك يوم 27 أوت سنة 1937 **ومنه نقتطف:** «ولقد أذن المؤذن أيها الشعب البدار البدار... اقتربت الساعة أيها الشعب،

¹ - محمد قنانش: ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، دار القصة للنشر، الجزائر، 2005، ص 37.

² - El Ouma, 5 eme Année N°40, Mai - juin 1936, A.N.A. Boite, J 314

³ - El Ouma, aout -septembre 1935.

⁴ - le parlement algérien, première année, 14/07/1939, Boite, J, N°190, A.N.A.

وانشق طريق الحياة. وسلام عليك يا شعب يوم كنت حرا عزيزا، ويوم أردت أن تسترجع عزك وحریتك، ويوم تعود بفضل جهادك واعتمادك على نفسك سيد أرضك»، وفي هذه المدة صدر قرار من الوالي العام بمنع كل منشور «وطني» بالجزائر.¹

وفي إطار النشاط الإعلامي لحزب الشعب كتب المناضل فليته أحمد في صحيفة العمل التونسي: «إلى كافة أولئك الذين يزعمون أنهم يتحدثون باسم الشعب الجزائري، أقول لهم: "إن كنتم تريدون حقا أن تصبحوا فرنسيين، فإن باب المواطنة قد فتح واسعا أمامكم. وفي هذا اليوم، سيكون بإمكانكم الاحتفاء بدخولكم إلى الأسرة الفرنسية...ولكن لا أرى لماذا تريدون أن تدخلوا شعبا برمته في هذا المسار...والشعب الجزائري المسلم لديه ماض مشرف، ودين ولغة يختلفان تماما عن دين ولغة فرنسا، ولا يوجد ما يدفعه للتكر لهما».² وفي نفس النشاط الإعلامي الدؤوب لحزب الشعب كتب المناضل توارى محمد؛ مناضل بقسمة البليدة في جريدة العمل التونسي مقالا يشرح فيه موقف الحزب من مشروع فيوليت **نقتطف منه:** «لماذا يرفض حزب الشعب الجزائري مشروع فيوليت إختوي، اسمحو لي أن أطلعكم لماذا يرفض حزب الشعب الجزائري مشروع فيوليت؛ وليعلموا أنه إن كان منتخبونا مستعدين لبيع أنفسهم، فإن الشعب الجزائري لن يبيع نفسه؛ وسيبقى مسلما...لا يريد الشعب الجزائري مشروع فيوليت، لأن هذا المشروع لا يستجيب لتطلعاته الحقيقية؛ ويسعى لإدماجنا بالفرنسيين، وإعطائنا هوية جديدة، وكأنه لم تكن لدينا هويتنا الخاصة من قبل».³

كما ورد في المقال: «لا يعلمون أننا شعب، ولنا ديننا، لغتنا، كتابتنا، أدينا، وتاريخنا، وأن من حقنا وواجبنا أن نكون فخورين بأصلنا، وديننا، وأدينا، وماضيها، وأننا لا نحتاج مطلقا لهوية أخرى، لأن لدينا هويتنا. سيتولى التاريخ الرد على أولئك...واجبنا أن نفخر بأسلافنا وألا نلوث ذكراهم بقبولنا لهوية أخرى، وتاريخ آخر غير الذي تركوه لنا؟ يتعين أن لا نخونهم وأن نعمل على إنهاء عظمة الإسلام...فلنكرر بقوة أننا لا نريد مشروع فيوليت، تشريعنا يكفي، وقرآننا يتضمن كل ما يجب ويملي علينا الطريق التي يتعين اتباعها...أيها المسلمون، إختوي، فلنثق في حزب الشعب الجزائري، فإنه يقودنا إلى طريق المجد والعزة؛ فلنخرط جميعا في صفوفه».⁴

¹ - الزبيري: المثقفون، مرجع سابق، ص 39.

² - فليته أحمد: مشروع فيوليت، صحيفة العمل التونسي، 11 ديسمبر 1937، عن قنانش، وقداش: حزب الشعب، مرجع سابق، ص 51-53.

³ - توارى محمد: «لماذا يرفض حزب الشعب الجزائري مشروع فيوليت»، جريدة العمل التونسي، 26 فيفري 1938. - عن قنانش، وقداش:

حزب الشعب، مرجع سابق، ص 54-56.

⁴ - نفسه: ص 54-56.

2- أجنحة الحركة الوطنية الجزائرية تنافس وتقاطعات

كانت فترة الثلاثينات حبلى بالأحداث الكبرى، التي اثرت في وجدان المسلم الجزائري، وشحنت الضمير الوطني بطاقة من الوعي بقيمة الاصطفاف كاستراتيجية للتعبير عن الحس الوطني المتداخل بالدفاع عن الدين، كرد فعل ضد الغطرسة الاستعمارية واتخذت مواقف متقاربة تجاه الحداث التالية:

1- احتفالات مئوية دخول الفرنسيين إلى الجزائر، 2- وصدور الظهير البربري الشهير بالمغرب 1930.3- وأحداث قسنطينة 1934 بين المسلمين واليهود، وما ترتب عنهما من تداعيات لامست العاطفة الدينية، وكأن هذا الجبروت الاستعماري كان مؤشرا على إحساس الاستعمار بأن الأمور لم تعد كما كانت، فهو يستبق الأحداث، ويعلن للعلن أنه مازال قويا، لكن الوقائع على الأرض تثبت أن موازين القوى لن تبقى دائما لصالح الاستعمار، فقد تم تأسيس جمعية العلماء سنة 1931، وانعقد المؤتمر الثاني لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بالجزائر سنة 1932، والخامس بتلمسان سنة 1935، كل هذه الأحداث شكلت تأثيرا هائلا على الوعي الوطني، واستدعي ذلك محاولات من تيارات الحركة الوطنية لجمع الكلمة؛ وقد سبق أن تعرضنا لها.

الحركة الوطنية لم تظهر ككتلة واحدة، نظرا لتنوع مكوناتها، وانتمائها إلى مختلف الأوساط الاجتماعية، مما لا ينفي أنه كان بينها بعض التناقضات والفوارق، ورغم ذلك فهي تظهر كلها كنفيس للوضع الاستعماري القائم، وهو ما دفعها للبحث عن سبل لتجاوز تناقضاتها، وهذا ما حدث في حالات من التوافق على البرامج المرحلية؛ والمطالب الأساسية؛ في محطات كثيرة منها: المؤتمر الإسلامي سنة 1936، إضافة لبيان العشر فيفري 1943، وحركة أحباب البيان.¹

قد يُظن أن تعدد اتجاهات الحركة الوطنية؛ سبب في تأخر المشروع الوطني، لكن المتمعن في مسيرة الحركة الوطنية، يلاحظ أن لكل اتجاه من اتجاهات الحركة الوطنية مجال اختصاصه، يلتقون في نقطة تقاطع هي مصلحة الشعب والوطن، التي يراها كل طرف من زاوية خاصة، رغم ما ظهر من تنافر أو مشاحنات بين بعضها، والدليل أن الأحزاب توحدت في كثير من المواقف. وقد كان التيار الثوري سباقا لجمع كلمة الشعب الجزائري في مواجهة الاستعمار، وهذا ما تشير له جريدة الجزائر الحرة: «حزب الشعب خطط بكل شجاعة واستبصار، ومازلنا نعتقد أن الوحدة هي التي تصنع للشعب القوة، وبالتالي فالانتصار سيفرض مهما كان».²

¹ - مهساس: الحركة الثورية، مرجع سابق، ص 9 .

² - le parlement algérien , première année , 14/07/1939 , J, Boite , N°190, A.N.A.

ورغم ظاهر المشاحنات بين أقطاب الحركة الوطنية، إلا أنه لم يكن هناك عداً شخصياً مستحكماً بينهم، بل تضارب أفكار، والدليل أنه عندما لاحت فرص للعمل الجماعي لأطراف الحركة الوطنية واحزابها؛ لبى الكل النداء، خاصة المؤتمر الإسلامي 1936، وبيان فيفري 1943، وقد كان لكل جناح مجاله، يكمل بعضهم البعض، فالعلماء من جانبهم ركزوا اهتمامهم على الجانب الثقافي وتعليم اللغة العربية ونشرها، كمقوم يصون الشخصية العربية للإنسان الجزائري، وكذلك اهتموا بالدين الإسلامي من ناحية إحياء علومه وتنقيته من الشوائب، وبذلوا جهودهم من أجل استقلال مؤسساته عن الإدارة الفرنسية، التي كان تستخدم وتستغل رجال الدين والمؤسسات الدينية لأغراض استعمارية، وبهذا كان الإسلام واللغة العربية من اختصاص العلماء بلا منازع. بينما ركزت فئة المنتخبين المسلمين على مطالب إلغاء القوانين الاستثنائية، والمساواة، من جهتهم ركز اليساريون على الحقوق النقابية والمساواة، في المقابل انفرد التيار الثوري الاستقلالي بمطلب الاستقلال، وإحياء الدولة الجزائرية، وهذا مطلب لم ينافسهم فيه أحد.¹ بل لم يكن الاستقلال مجرد مطلب؛ بل اقترن بإصرار عجيب على نيته؛ فهذه جريدة البرلمان الجزائري كتبت: «الحزب الوطني (حزب الشعب) يستمر عمله لغاية تحقيق آمال وطموحات الشعب الجزائري وأمجاده السابقة؛ ويقدم تعهداً أكيد بالانتصار».²

وبالنسبة لفرحات عباس؛ يرى يحي بوعزيز أن فرحات عباس لم يكن يدعو لفكرة الإدماج من أجل محو وطمس شيء اسمه الجزائر العربية الإسلامية، وإنما على أساس أن تكون خطوة ومرحلة نحو تحقيق الاستقلال؛ ولو بعد مدة طويلة.³ ونظراً لمكانة فرحات عباس وثقله السياسي، فقد حفظ له حزب الشعب والعلماء هذه المكانة، حين فُوض في بيان 10 فيفري 1943. وقد تدرجت مواقف فرحات عباس، ليخلص في النهاية أن الوعود والمشاريع الفرنسية لم تكن إلا سرايا، لا يمكن نيل شيء من الجري وراءه، بل هناك من اعتبر تصريحه «أنا فرنسا» كان موجهاً لغلاة الأوروبيين، وليس موجهاً للجزائريين الذين يحفظون كلهم مقولة «عربي عربي ولو كان الكرونيل بن داود».*⁴

¹ - ولد خليفة: الاحتلال الاستيطاني، مرجع سابق، ص 44.

² - L'Algérie Libre 5eme Année N°65, 01/04/1953, A.N.A , Boite (A) J=147 °6

³ - بوعزيز: سياسة التسلط، مرجع سابق، ص 101.

* - شاع هذا المثل في أوساط الجزائريين. وهو يلخص عقدة النخب السياسية والفكرية، وحتى العسكرية، التي تعاملت مع الاستعمار حيث يبقى الجزائري جزائري ولو بلغ رتبة الكرونيل بن داود فيبقى محل توجس من الفرنسيين غير مندمج معهم، وتذكر مصادر أن الكرونيل بن داود ولد في 1837 في بورداش بضواحي وهران والده هو محمد بن داود، «لاغا الدوايير»، بدأ دراسته في المدرسة العربية بالجزائر العاصمة، ثم التحق بالمدرسة العسكرية سان سير، مكافأة لخدمات والده لفرنسا تخرج برتبة ضابط «بوتنا» في 1858. ثم ترقى إلى رتبة عقيد «كولونيل» في الكتيبة الأولى «السبايس في 1889 عن، (جريدة النصر بتاريخ، 09 آذار/مارس 2015).

⁴ - ولد خليفة: الاحتلال الاستيطاني، مرجع سابق، ص 44.

3- تجارب الإجماع على قاعدة الهوية الوطني لفترة الثلاثينات

أ- تجربة المؤتمر الإسلامي 1936

رغم أن واقع الحال كان يبرز مفارقات وتناقضات بين تيارات الحركة الوطنية، إلا أن ذلك لم يمنعها من العمل على صوغ برنامج يكون بمنزلة الحد الأدنى؛ المعبر عن المطالب الوطنية الضامنة لتحقيق الأهداف، في مناسبات كثيرة، ومنها فعاليات المؤتمر الإسلامي 1936، ورغم نقص التجربة التاريخية والسياسية للحركة الوطنية وقصرها، إلا أنه محاولة جادة عبّر فيها أقطاب الحركة الوطنية عن نيتهم الصادقة في التوحد، واعتراف بإمكانات بعضهم البعض، بعدما توافر منسوب من التجربة يحثّ على قيام العمل الوحدوي، وحاولت الحركة الوطنية التخلي عن سياسة إجبار الآخر على تبني برنامج غيره.¹

كان الاحترام بين أقطاب الحركة الوطنية (مصالي بن باديس وعباس) لا يخفى على أحد وإن تباينت الآراء والتحالفات، ففي جوان 1936 حين اتصل مصالي بالعلماء، قال بن باديس في الختام لمصالي: «أنتك على الطريق الصحيح، وعلى العلماء أن يتخذوا بعض الاحتياطات، مع البقاء في إطار الدين»²، بل أنه حتى عندما هاجم العقبي مصالي بعد خطاب أوت 1936 لم يتجاوز مصالي في رده إلى بن باديس والإبراهيمي، وكان هناك احترام وتقدير متبادل.³

جرت محاولات كثيرة من حزب مصالي للتعاطف مع العلماء، لإنشاء جبهة إسلامية توحد العمل الوطني، ومن أمثلة محاولات التقارب نجد منها المؤتمر الإسلامي 1936، وبيان فيفري 1943... وتجربة الاتفاق في نادي التحدي بالدائرة 11 بباريس على التقارب والتعاون بين قيادات من العلماء ومن حزب الشعب، حين وافق مناضلون من حزب الشعب؛ على ارتياد حلقات التربية والتعليم للغة العربية في الجمعية؛ وفي المقابل يكف العلماء من منع تلاميذهم من حضور تجمعات حزب الشعب واجتماعاته.⁴

الذي كان سببا للفشل تشبث بالرأي ومحاولة فرضه، وهو تذهب إليه وتفسره جريدة «الأمة الجزائرية». فنقول: «لقد حاول حزب انتصار الحريات والديمقراطية، طوال المدة الممتدة ما بين 1946-1951، أن يسعى إلى الوحدة مع الأحزاب الأخرى، لكنه أخفق في ذلك، ويعود سبب هذا الإخفاق ببساطة إلى رغبته في تبني جميع الأحزاب الأخرى برنامجه، وهذا مطلب عسير عليهم بصراحة، لقد كنا نعتد بأنفسنا كثيرا، وكانت تتقصنا المرونة، ولهذا السبب فشلت الوحدة»⁵، وهي إشارة من التيار الثوري لمسألتين:

1 - ثنيو: مرجع سابق، ص 271.

2 - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، ص 460، 461، 495.

3 - نفسه: ص 679 ص 698.

4 - البرلمان الجزائري 18 أبريل 1938 - عن: قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1. ص 792.

5 - عن- ثنيو: إشكالية الدولة، مرجع سابق، ص 271 - LA Nation algérienne 10 septembre 1951 -

- أن التيار الثوري-المولود بفرنسا والمحتك بالمنظمات الأشد مراسا في عالم السياسة.- لم يستسغ تفكير الطبقات السياسية الجزائرية، التي مازالت تحت سيطرة، وأوهام الماضي، ولم تستفد من التغييرات في العالم، ومازالت لا تصرح بما تريد من شدة الخوف المغروس في النفوس، -والاعتداد بالنفس لرجال التيار الثوري بسبب إيمانهم بعدالة القضية التي يدافعون عنها، والذي تحول إلى روح استعلائية لبعض المناضلين.¹

ب- مبادرة حزب الشعب الوحدوية أوت 1938:

يعتبر المؤتمر الإسلامي 1936 أهم معلم تاريخي؛ سجلت فيه الحركة الوطنية الجزائرية شبه إجماع وتكامل، في مواقفها في مواجهة الإدارة الاستعمارية، وتأسيسا على ذلك جعل حزب الشعب من نفسه حامل لواء اتحاد واسع مفتوح، سعت القوى الإسلامية جمع كلمة المسلمين في إطار جبهة جامعة، عبر إحياء الفكرة في كل مرة.² فقد جاء في جريدة البرلمان الجزائري: «لكي ندفع الجبهة الإسلامية إلى الأمام، يقترح حزب الشعب الجزائري، إنشاء لجنة توافق، حيث يجب على كل التجمعات والأحزاب السياسية المسلمة، أن ترسل إليها وفدا من شخصين، من أجل الإعداد المشترك لبرنامج أدنى من المطالب»،³ ولم يخلو هذا المشروع من نقد ومعارضة الشيوعيين، فكتب "علي بوقرط" وهو مناضل في الحزب الشيوعي، عن فكرة الجبهة الإسلامية مهاجما: «هي استغلال للشعور الديني... فخلاص الجزائر لا يمكنه التحقق إلا... تحت شعار الوفاق الفرنسي الجزائري»،⁴ واقترح حزب الشعب الجزائري على العلماء وشبيبة المؤتمر الإسلامي الجزائري القيام بعمل مشترك لمحاربة مرسوم 8 مارس 1938، ولمواجهة المبشرين المسيحيين، كتبت صحيفة «البرلمان الجزائري» لسان حزب الشعب الجزائري: «إن الامبريالية والتبشير في الجزائر سيان، وليس لهما إلا هدف واحد هو الاستعمار، رغم اختلاف وسائل عملهم فهذه في خدمة تلك والعكس، من أجل استعبادنا أكثر، أصبح أحد أجمل المساجد كاتدرائية، وتم تنظيم مؤتمر قرباني*».

¹ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، ص460، 461، 495.

² - جريدة البرلمان الجزائري 18 أبريل 1938 عن: قداش، تاريخ الحركة الوطنية، ج1. مرجع سابق، ص791. 792.

³ - جريدة البرلمان الجزائري 3 ماي 1938. عن محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية، ج1 ص791، ص812

⁴ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، ص797.

*- قامت الإدارة الاستعمارية بنشاطات اعتبرت آنذاك كأفعال استقرارية للمسلمين ونذكر منها:

أولا: وصدر مرسوم 8 مارس 1938 مرسوم 8 مارس 1938 الذي اعتبر اللغة العربية لغة أجنبية والقاضي بغلق المدارس العربية الحرة التي لا تتمتع برخصة ممنوحة من الإدارة الفرنسية ومعاقبة مخالفيها بالسجن والذي جوبه برد عنيف من التيارات الوطنية.

- ثانيا: تم تنظيم المؤتمر القرباني الكاثوليكي، في مدينة الجزائر من 3 ماي إلى 7 ماي 1938، وهي مصادفة اعتبرت سيئة، لان المسلمين احتفلوا بعيد المولد النبوي الشريف في 3 ماي، وهي احتفالات ذكرت باحتفالات مئوية الاستعمار، وأعطتها الكنيسة معنى سياسيا، حين شاركت وفود من الجيش والإدارة اللاتينية في الاحتفال، وذكرت بالحروب الصليبية، واحتلال الجزائر، التبشير في إفريقيا.

-ينظر: قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، ص835.

وكان حزب الشعب قد أعلن رغبته الوحودية عبر دعوته لتشكيل تجمع للمسلمين، لأجل إنجاز

برنامج وطني مشترك، بين التنظيمات الجزائرية، فبعد مشاركته في الحياة السياسية العامة؛ أدرك حزب الشعب أنه لا يستطيع الانفراد بالفعل الوطني وحده؛ بل عليه القيام بذلك مع آخرين في الحركة الوطنية، حيث قدم حزب الشعب الجزائري في أوت 1938 مبادرة ضمن توجهات المؤتمر الإسلامي، الذي حث الجميع على البحث عن صيغ جديدة للكفاح، ضمنها رغبته في إنجاز برنامج وطني مشترك، وقدم الاقتراح كأرضية للمطالب الوطنية وأهم بنوده:

- إلغاء القوانين الاستثنائية.

- وإلغاء مرسومي رينييه 1935 Régnier - مرسوم مارس 1938 (بغلق المدارس العربية الحرة التي لا تتمتع برخصة) - ومدونة الغابات.

- منح الحريات الديمقراطية، حرية التجمع، وحرية التعبير، وحرية الصحافة وحرية التصويت عبر الاقتراع العام في كل المجالس.

- حق الأهالي الجزائريين في جميع المناصب، والمساواة في الأجور.

- إلغاء بنظام «الخماسة»، ومراعاة وتحديد أراضي مصلحة الفلاحين الصغار.

- محاربة الجهل بإقرار التعليم الإلزامي للغتين العربية والفرنسية.

- العفو عن المعتقلين السياسيين، بمن في ذلك المعتقلون في قضية قسنطينة.¹

وعلى أعتاب الحرب العالمية الثانية، دعا حزب الشعب إلى إنشاء جبهة إسلامية جزائرية. بعد فشل المؤتمر الإسلامي، وفي العدد الأخير لصحيفة «البرلمان الجزائري»، طرح حزب الشعب الجزائري مشكل التوحد بشكل ملموس، حيث جاء في مقال لمناضل وقع باسم بن تومرت لجريدة البرلمان الجزائري، جاء فيه: «لاشك أن الانشغال الدائم لحزب الشعب الجزائري، كان تجميع القوى التي تقدم مطالب من وسط الشعب الجزائري، الذي يعاني ويرغب في أن تختفي كافة أسباب ضعفه الحالي... بكل إنصاف؛ لم يعرف أي تنظيم إسلامي جزائري؛ بقدر ما عرفه حزب الشعب الجزائري؛ بقيمة هذه الحكمة المعروفة: "في الاتحاد قوة"، ولذا كان يمد يدا أخوية، دون كلل، إلى كافة التنظيمات الإسلامية الجزائرية، ويقترح عليهم منذ زمن تأسيس جبهة إسلامية جزائرية... لأنه يعلم أن توحيد الجهود؛ سيعطي للشعب الجزائري القوة التي يحتاجها، والتي يخشاها الاستعمار... باقتراحنا لتأسيس جبهة إسلامية جزائرية، فإننا لا نقوم سوى بالتعبير عن الرغبة العميقة لكافة المسلمين الواعين. وحزب الشعب سعيد بتواجده في طليعة مبادرة كهذه».²

¹ - ينظر تنيو: إشكالية الدولة، مرجع سابق، ص 240. ينصرف. - EL Ouma 27 Aout 1937.

² - ابن تومرت: البرلمان الجزائري، 17 جوان 1939. - عن: قنانش، وقداش: حزب الشعب، مرجع سابق، ص 42-44.

4- التيار الثوري كمحرك للوطنية ومدرسة للفداء

إن المكانة الخاصة لدى الجماهير المسلمة، لم يحصل عليها رفاق مصالي على طبق من ذهب لولا تضحياتهم التي ساهمت في اكتساب ثقة الجماهير المسلمة بالمهجر، لذلك فإن الالتحاق الكثيف بنجم شمال إفريقيا من طرف لآلاف الجزائريين بالمهجر، المفعمين بالحماسة، إنما كان على قاعدة الهوية الوطنية، مما أعطى روحا وحياء ودينامية جديدة للنجم، حتى بلغوا 3000 مسجل سنة 1927 وهم في ازدياد، هذا مما جعل مسؤولي النجم واعين لقوتهم الخاصة، وأصبح الاستقلال، ومسألة إحياء فكرة الأمة- الدولة ممكنة التحقيق، خاصة مع ظروف كانت تحمل أخبار تنامي قوة حركات التحرر في إفريقيا وآسيا، والتي منحت دعما إضافيا زاد في الإصرار الذي ميّز المسيرة الطويلة للتيار الثوري الاستقلالي في الجزائر.¹

كان ميلاد التيار الثوري وتسجيل حضوره في مناسبات عديدة، ورفع مطالب وطنية لم تعهدها الطبقة السياسية، قد وضع حدا فاصلا بين مرحلتين، حين تم الانتقال من مرحلة المطالب الإصلاحية المحدودة، إلى مرحلة المطالبة بحق الشعب الجزائري في تسيير شؤونه بنفسه، وهو حين اختار هذا الخط المحفوف بالآلام والدموع والدماء، واقتحم هذه المعركة الطويلة والشاقة، إنما اقتحمها لعلمه أن قيمة التضحية من قيمة الهدف، وباعتبار أن مشروعه امتداد لتاريخ متواصل من النضال والكفاح، خاضه الشعب الجزائري، لاستعادة السيادة على أرضه، ولم يصل التيار الثوري إلى ما وصل إليه، من تجذر وجماهيرية، إلا بعد أن دفع ثمنا غاليا عرفا ودموعا؛ إذ كان حزب الشعب في بداياته محل ارتياب من المثقفين بصفة عامة، فقد كان أكثرهم لا يؤمن بتحقيق الاستقلال، إذا كان في نظرهم ضربا من المغالاة، حتى كان البعض يطلق على حزب الشعب حزب الأميين، والآخر يطلق عليهم حزب المجانين.²

حقا لم يكن يجني المرء من الانتماء لحزب النجم- الشعب، إلا السجن، والآلام والاستنطاق، والمحن، والعيش في عالم الخوف والسرية، وكانت تلك الضربات قد زادت صلابته، كما أثرت على سير الحزب، وعلى طريقة كواد الحزب في معالجة الأمور ومواجهة التحديات. ومن جهة أخرى كانت تلك التضحيات، هي التي رفعت مكانة الحزب لدى الجماهير.³

¹ - بوقصة: مرجع سابق، ص 399، 400.

² - بن خدة: مرجع سابق، ص 109 ، 110.

³ - نفسه: ص 109 ، 110.

حضي التيار الثوري بمساندة الجماهير المسلمة في المهجر بفرنسا، كما حظي بمساندة الجماهير المسلمة في الجزائر بعد أن تعرفت عليه، بعد منتصف الثلاثينات، نظرا لمواقفه الثورية، فقد كان الحزب يساير تطلعات الجماهير، ولا يعارضها، فهو يتبنى أفكارهم في اللجوء للعنف والتمرد ورفض التعاون مع العدو، ومثله الأعلى الجهاد في سبيل الله، الذي قادته الطرق الصوفية، ومنها الطريقة القادرية(التي ينتمي إليها الأمير عبدالقادر) والرحمانية التي تنتسب إليها ثورة المقراني والشيخ الحداد، والطريقة السنوسية والطريقة الدرقاوية، ومصالي نفسه كان ينتمي للطريقة الدرقاوية، لهذا كان لا يتبنى خط جمعية العلماء في محاربة البدع، ولا يتدخل لأنه يراها شخصية، لكنه يظهر احترامه الشديد للعائلة، والقيم الدينية، ويكن للغرب المسيحي كرها شديدا، ويستنفر الشعور الديني في مواجهة العدو، وباسم المساواة يرفض كل نخبوية، وهذا ما أدى إلى انصهار الأفكار الدينية والشعبوية والقومية تحت راية التيار الثوري.¹

ونظرا للطابع العنيف والشمولي للاحتلال الفرنسي في الجزائر، والذي فرض على الحركة الوطنية اتباع سياسة الحذر والتقية، لذلك فإن مسألة نضج التيار الوطني في الجزائر، مرت بمسار تاريخي طويل، ونفس الشيء بالنسبة للتيار الثوري، الذي صاحب نضجه مخاض عسير من النضال المستميت، والعمل الدؤوب ليفرض نفسه تدريجيا لدى الجماهير المسلمة في الجزائر، بأنه الحل الوحيد والسليم؛ الموصل للتحرر والاستقلال.²

عُرف قادة النجم بالصلابة في المبدأ، كما كان النجم رائدا بمطالبه، ورائدا بطموحاته، في وقت كانت المطالبة بالاستقلال ضربا من التطرف وتنشد المستحيل، فنجم الشمال الإفريقي تبنى من البداية رفع سقف مطالبه بتبنيه مطلب الاستقلال، وفي النهاية كان التيار الثوري رائدا بثورته مقارنة بحركات وطنية عربية أخرى، وبإمكان المرء تصور زيادة مطلب الاستقلال الذي تبناه التيار الثوري، مقارنة بمطالب الحركات الوطنية الأخرى في البلاد العربية، فمثلا كل من الحركة الوطنية المصرية والتونسية مثلا، لم تطالبا في البداية بالاستقلال هكذا صراحة، وإنما كانتا تشيران إليه من خلال مطالبتهما بالدستور والجلء، مع أنهما خضعتا كلاتهما لاستعمار أقل عنفا من استعمار الجزائر.³

وقد حظي التيار المصالي بمساندة الجماهير لمواقفه، حين كان يساير تطلعات الجماهير،

¹ - حربي: الثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص121، 122.

² - مهساس: الحركة الثورية، مرجع سابق، ص13.

³ - العلوي: مرجع سابق، ص101.

ولا يعارضها، فهو يتبنى أفكارهم في اللجوء للعنف والتمرد، ورفض التعاون مع العدو.¹ لذلك يعود الفضل في اعتناق الشعب لفكر حزب الشعب لأمر لم تكن في غيرهم نذكر أهمها:

- أن المؤسسين الأوائل؛ كانوا يعيشون حياة الزهاد والنسك، ويؤدون أدوارهم كالدعاة والمبشرين.

- الاستعداد للتضحية من طرف المنتمين للتيار الثوري، فلم يروا ثمرة أعمالهم، إذ استشهد البعض وغُيب البعض في السجون، وأصيب الآلاف منهم بأمراض خطيرة نتيجة التعذيب.²

- تغلبت الروح الوطنية على كل الذاتية في أفراد تنظيم نجم شمال إفريقيا رغم ثقافتهم المحدودة، وبهذه الروح تمكنوا من تكوين تنظيماتهم وشعبهم، وعجزت محاولات الإيديولوجية الشيوعية عن إذابتها.³

وتبدو قوة رجال التيار الثوري في العناصر الآتية:

- 1- تخلص رجال النجم من وصاية الحزب الشيوعي الفرنسي.
- 2- برهنتهم على مقدرتهم في التنظيم والكفاح.
- 3- التصميم على أن لا ينحل الحزب بمجرد قرار إداري.
- 4- الاستعداد للتضحية في سبيل المبدأ، من طرف المنتمين للتيار الثوري، والتي يمكن التأكد منها من حجم التضحيات التي قدمتها أجيال من مناضلي الحزب، وفعلا استشهد المئات من رجال التيار الثوري، وعلى رأسهم: كحال أرزقي، دوار محمد إبراهيم غرافة، السعيد الأعجال، وأصيب الآلاف من مناضليه بأمراض خطيرة نتيجة التعذيب والسجون.
- 5- تنمية التكوين الثوري لكوادر التيار، وهذا أهم ما يمتاز به هذا الحزب، لأن الاستقلال هو مبدأً ثوري.
- 6- وبما أن الاستقلال مطلباً ثميناً ينتزع بالقوة ولا يوهب، فإنه كان على الرجال أن يكونوا في مستوى عملية التغيير الجذري، مستعملين أساليب قاسية قساوة الكفاح الثوري.⁴



¹ - حربي: الثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 121-122.

² - بن خدة: مرجع سابق، ص 109، 110. ينظر أيضاً- العلوي: مرجع سابق، ص 102 .

³ - العلوي: مرجع سابق، ص 98، 99 .

⁴ - نفسه: ص 102.

خلاصة الفصل

بعد مرور قرن من الزمن على وجودهم في الجزائر؛ ظن الفرنسيون أنهم حققوا حلمهم واكتمل بنائهم الاستعماري، إلا أنه وفي واقع الأمر، فإن بنائهم بدأ في التآكل لحظة ظن الفرنسيون اكتماله، وبدأت تبشیر بداية انحسار المد الاستعماري؛ وعلامات زواله؛ في ظل تصاعد قوة الحركة الوطنية، وشيئا فشيئا أخذت الحركة الوطنية بكل أطيافها، مكانها الطبيعي كمشروع وطني، هدفه تفكيك الوجود الاستعماري في الجزائر، كل فصيل حسب رؤيته؛ وطريقته في التغيير.

وبما أن الصراع بين الإسلام والمسيحية، مثل لفرنسا في يوم ما- رغم طابعها العلماني- إطارا إيديولوجيا، لتبرير حملتها على الجزائر، لذلك من الطبيعي أن نجد النزعة الوطنية كانت تستحضر التراث ومقومات الانتماء للعروبة والإسلام، في خطابات التيار الوطني، ومنه التيار الثوري، وقد تصدت النخب المسلمة لكل ما يمس الهوية، خاصة مع طرح مسائل لها علاقة بالهوية للنقاش على سياسيا، خاصة مسألة الإدماج والتجنيس اللتان أفرزت تجاذبات وحراكا سياسيا؛ يمكن ان نقدم استخلاصاته ونتائجه:

أولا: كانت نظرية الإدماج مسألة وهمية، ذلك أنه لا يمكن للسكان المسلمون الحصول على حق المواطنة، إلا بشرط التخلي عن أحوالهم الشخصية وهذا مستحيل، لذلك فإن فكرة الإدماج فشلت، لعدم قبولها من الطرفين، المسلم والأوروبي.

ثانيا: كانت حصيلة عمل أكثر من قرن، مزرية وهزيلة، للذين قبلوا التجنس بالجنسية الفرنسية من الجزائريين، ولم يتجنس بالجنسية الفرنسية بين 1865-1934 سوى 2500 شخص- وفي ذلك خيبة كبرى تلقفتها الإدارة-حسب المؤرخ ش. أ. جوليان Ch. A. Julien.

كان التيار الثوري يدرك أنه ليكون قوة طبيعية، عليه أن يحقق تطابق خطه السياسي وشعاراته مع إيديولوجية مجتمعه، وتحقيقا لذلك حقق اختراقا غير مسبوق بدعوته علانية للتحرر الوطني، وبذلك قدّم الحل الأنسب للدفاع عن الهوية، عبر تبنيه لمطلب الاستقلال، وشيئا فشيئا نمت مساهمته في تقريب حلم إحياء الدولة الجزائرية، واسترجاع هويتها، وقدم للتأسيس للقضية، من الناحية النضالية، والقانونية، والتاريخية، وكانت مسألة الاستقلال في خطاب التيار الثوري موجودة في كل المناسبات.

كان الميلاد الحقيقي للتيار الثوري، يوم نقل نشاطه لأرض الوطن، فتعرفت الجماهير على برنامجه عن قرب، تعلقت به الجماهير المسلمة لمواقفه الجريئة، ودشن نشاطاته في الجزائر بالتنديد بمشروع بلوم- فيوليت Blum-Viollette، كما عارض وبشدة كل ما يتعلق بالارتباط مع فرنسا، كما رفض الإدماج أو التجنيس؛ وبذلك عبر نيابة عن طموحات الشعب؛ بلغة لم يألفها أهل السياسة.

حاولت الإدارة الاستعمارية تخفيف الاحتقان؛ عبر طرح المشاريع الإصلاحية، ومن أهمها: مشروع بلوم-فيوليت Blum-Viollette؛ والقاضي بأن تمارس بعض الفئات من المسلمين الجزائريين؛ بعض الحقوق السياسية الممنوحة للمواطنين الفرنسيين، دون أن يترتب على ذلك أي تغيير في أحوالهم الشخصية، أو حقوقهم المدنية، وكان النجم الطرف الوحيد الذي رفض هذا المشروع رفضا باتا، لأنه في النهاية ضرب للهوية، وتمزيق لوحدة الشعب، وتذويب أجيال على مراحل، وسلخهم نهائيا من الفضاء العربي الإسلامي.

وكانت سنة 1936 في الجزائر حافلة بالأحداث، إذ انقلبت الأوضاع تماما، وعرفت لأول مرة في تاريخها تحت الاحتلال سنة 1936 الحياة السياسية وزخمها، والتنظيمات الجماهيرية، والتجمعات الشعبية، والاحتجاجات الصاخبة، وكانت مقالة فرحات عباس الشهيرة «فرنسا هي أنا» بتاريخ 27 فيفري 1936، بداية لظهور مجموعة من الخطابات حول الهوية الوطنية، وأحدثت زوبعة من الردود والردود المضادة، وفتح المجال لمن يريد أن يدافع عن الهوية الجزائرية. وكانت فترة الثلاثينات فترة خصبة في حياة التيار الثوري، فسجل النجم اختراقا على جبهات متعددة أهمها:

-جبهة للتواصل مع المشرق بقاء مصالي مع شكيب أرسلان، فأصبح لدى مصالي إضافة لدعم الحركة العمالية الفرنسية، أفاق جديدة لاكتساب الدعم، وهوامش للمناورة، بعد أن شارك مصالي في أنشطة اللجنة السورية الفلسطينية وكذلك في مواقفه تجاه الأمة العربية.

- منصة المؤتمر الإسلامي 1936 التي كانت فرصة ذهبية للتيار الثوري أحسن استغلالها، ودشن بها مصالي الحاج عمله على الساحة الوطنية، فأوجد لنفسه ولحزبه مكانة، وأعطى عن نفسه انطبعا حسنا لدى الشعب، حين افتتح حديثه باللغة العربية، وحين أعلن أن لا مساومة على تراب الجزائر، رافضا فكرة الاندماج أو إلحاق الجزائر بفرنسا، وشدد مصالي أن الخطر في أن مطلب الإلحاق هذا يأتي هذه المرة من كونه جاء طوعيا وإرادة الجزائريين (المؤتمر الإسلامي).

تعددت المحطات التي عرض فيها التيار الثوري برنامجه وأهمها: مؤتمر بروكسل سنة 1927، وبرنامج سنة 1933 ومطالب سنة 1935، ويلاحظ المرء تطورا بالمقارنة بين برنامج النجم لسنة 1927 وبرنامج 1933، خاصة تطور إيديولوجية النجم، ونفاحه عن عناصر الهوية، فقد حدد البرنامج الثاني الصادر في سنة 1933 بعض المطالب، منها المطالبة بتأسيس مدارس باللغة العربية، بل تعليم هذه اللغة تعليما إجباريا، كما جاء في مطالب سنة 1935 بمطلب جديد، يبين موقف النجم من الدين، وهو

تطبيق قانون "فصل الدين عن الدولة" على العبادة الإسلامية، كما وردت ضمن مطالب فيفري 1936 المقدمة للجبهة الشعبية مطلب التدريس الإجباري للغة العربية على كافة المستويات .

حاولت الإدارة الاستعمارية وأد التيار الثوري مرات عديدة وفشلت، أخرها حل حزب نجم الشمال الأفريقي، فاضطر قادة النجم للمناورة وتم تغيير الاسم فقط، فولد حزب الشعب الجزائري في 11 مارس 1937 الذي خلف النجم، واستفاد في وضع برنامجه من التجارب التي مرت بها قيادته، من خلال احتكاكهم بالطبقة السياسية في الجزائر .

من خلال عنوانه -حزب الشعب- أفصح التيار الثوري في الجزائر عن واقع جديد: حزب سياسي بدلا من جمعية، وشعب جزائري بدلا من مسلمي شمال إفريقيا، وفي شهر نوفمبر 1938 نقل حزب الشعب الجزائري مقره من باريس إلى الجزائر، وأعلن عن تأسيس جريدته الجديدة في 18 ماي 1939 التي سماها البرلمان الجزائري، وبخصوص برنامج الحزب فعلى المدى القريب، كان حزب الشعب يسعى لتحسن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمسلمين، أما على المدى البعيد فهو يرمي إلى استقلال الجزائر التام، وبناء أسس دولة جزائرية، تكون مرتبطة بماضيها الحضاري العربي الإسلامي، يحترم فيها الإسلام ديناً، والعربية لغة، وتسود فيها العدالة الاجتماعية. ونشرت جريدة الأمة برنامج حزب الشعب بداية 1938، فنجد في المجال الثقافي ترقية التعليم باللغة العربية والفرنسية، والتعليم الإجباري للغة العربية لكل السكان الأصليين وعلى جميع المستويات.

قد يُظن أن تعدد اتجاهات الحركة الوطنية سبب في تأخر المشروع الوطني، لكن المتمعن في مسيرة الحركة الوطنية، يلاحظ أن لكل اتجاه من اتجاهات الحركة الوطنية مجال اختصاصه، وكمل بعضهم البعض، لكن انفرد التيار الثوري بمطلب الاستقلال، وإحياء الدولة الجزائرية، وهذا مطلب لم ينافسهم فيه أحد، ورغم ظاهر المشاحنات فلم يكن هناك عداً شخصي مستحکم بل تضارب أفكار، والدليل أنه عندما لاحت فرص للعمل الجماعي والوحدة على قاعدة الهوية المشتركة؛ لبّى الكل النداء في مناسبات عديدة، خاصة المؤتمر الإسلامي 1936، وبيان فيفري 1943،

الفصل الرابع

إرهاصات تحول خطاب الهوية إلى الفعل الثوري

تمهيد

المبحث الأول: الجزائر وتداعيات الحرب العالمية الثانية

المبحث الثاني: مرحلة الحركة من أجل انتصار الحريات

الديمقراطية

المبحث الثالث: الأزمة البربرية 1949

المبحث الرابع: الأربعينات وتجارب الوحدة

المبحث الخامس: الهوية كمبرر لحق تقرير المصير

المبحث السادس: الهوية في استعدادات بناء الدولة من

خلال وثائق مرجعية

خلاصة الفصل

تمهيد الفصل

إذ كانت الثلاثينات هي نقطة التحول في تجذير الشعارات الوطنية، بفضل نشاط التيار الثوري، وظهور الرموز الوطنية، ومنها تأسيس الكشافة الإسلامية، والعمل التربوي لجمعية للعلماء، والاهتمام بتاريخ الجزائر؛ فإن مرحلة الأربعينات والخمسينات شهدت انقلاباً في المفاهيم والمطالبات بالنسبة للأحزاب السياسية الجزائرية، حيث ظهر جلياً تأثير التيار الثوري على الطبقة السياسية في الجزائر، حين طورت التيارات الوطنية عن الكثير من أفكارها السياسية وشعاراتها ورفعت سقف مطالبها حتى أصبحت تجاري التيار الثوري خوفاً على قواعدها.

رغم الضغط الذي تعرض له التيار الثوري في البداية من العدو والقريب، حين اعتبرت شعاراته ومطالبه، جنوناً وضرباً من المستحيل، إلا أنه فيما بعد بلغ التيار الثوري في الجزائر ما بلغه؛ من ريادة للتيار الوطني، حتى أصبح مدرسة تستعير منه تيارات الحركة الوطنية الأخرى مصطلحاتها، ومفاهيمها النضالية، وترفع من سقف مطالبها حتى لا تفقد شعبيتها، لصالح حزب مصالي. وهنا يذكر المؤرخ شارل أندري جوليان Ch. A. Julien أنه في ظرف ثماني سنوات تغير الرأي العام الأهلي تغيراً عميقاً ورأينا نفس الرجال الذين قبلوا بحماس سنة 1936 بنود مشروع بلو-فيوليت يتلقونه بسخرية سنة 1944، وكل ذلك بفعل تأثيرات وجود حزب مصالي على الساحة السياسية، وبفضل جهود التيار الثوري على مستوى القاعدة الجماهيرية، وعلى مستوى الطبقة السياسية.

كانت فترة الأربعينات والخمسينات فترة حاسمة ومفصلية بالنسبة للتيار الوطني بصفة عامة والتيار الثوري بصفة خاصة، إذ وصل التيار الثوري إلى نقطة اللارجوع، وأصبح قوة سياسية في الجزائر لا يمكن تجاوزها.

من أجل قضية الاستقلال والحرية، واستعادة هوية الجزائر العربية الاسلامية. وسع التيار الثوري نشاطاته لصالح الوطن والقضية، واقتحم الميادين داخليا وخارجيا، وقام بجهود جبارة لتدويل القضية الجزائرية ولتذكير الفرنسيين بالحقائق الحضارية التي لا يمكن تجاوزها، فأقام الحجة بتقديم المطالب المشروعة للشعب الجزائري أمام مرأى ومسمع العالم، إبراءً للذمة؛ قبل اللجوء إلى العنف الشرعي، وبالتالي العنف الثوري، لإعادة النظر في هذا الوضع.

انطلاقا مما سبق؛ ولدراسة مستفيضة للنقاط التي أشرنا إليه؛ طرحنا تساؤلا رئيسا: يتمحور حول إرهابات تحول الهوية إلى الفعل الثوري، وقيمة الهوية في الاستعدادات الأخيرة لبناء الدولة. وقد تفرع عن هذه الاشكالية تساؤلات : ولمعالجة القضايا قمنا بتحويل هذه التساؤلات إلى عناوين للمباحث في هذا الفصل التالية:

- 1- ما تأثير تداعيات نهاية الحرب العالمية الثانية على العمل الوطني في الجزائر، وكيف استثمرها رفقاء مصالي.
- 2- ما هي ظروف تأسيس الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية ونتائج مشاركتها في الانتخابات.
- 3- ما هي أخطر محولات الاستعمار لتفجير التيار الثوري من الداخل.
- 4- كيف نقيّم تجارب الوحدة على قاعدة الهوية بين أجنحة الحركة الوطنية لمرحلة الأربعينات.
- 5- كيف استثمر التيار الثوري الهوية كمبرر وكقيمة في جهود التيار الثوري الخارجية للدفاع عن القضية الجزائرية.
- 6- ما قيمة الهوية لدى حركة الانتصار في الاستعدادات الأخيرة لبناء الدولة.

.....

المبحث الأول: الجزائر وتداعيات الحرب العالمية 2

1- أوضاع الجزائريين نهاية الحرب العالمية الثانية

أ- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بعد الحرب العالمية الثانية

دون أدنى اعتبار لحقوق الإنسان الأساسية؛ لم تكتف الإدارة الاستعمارية الفرنسية، بفرض الفقر والتخلف على للجزائريين؛ وحاولت ضمان ذلك عبر تقنين الإجراءات العنصرية؛ بإصدارها للقوانين الاستثنائية. والتي تراكمت مع حرب نفسية شنها الأوروبيون على المسلمين لإفساح المجال لتبرير حرب الإبادة الشاملة؛ والتي شملت أدواتها الإبادات، والمجازر، والمصادرات الكبرى وإجراءات الحجز وسياسة التفكيك الاجتماعي وتدمير الاقتصاد الأهلي.¹

ويشير الفيلسوف سارتر J.P.Sartre أن الاستثمار الاستعماري في الجزائر كان موجه توجيهها دقيقا لصالح الأوروبيين، فوجد تسعين بالمائة من الجزائريين مطرودون من أرضهم، مكسبون في أراض غير صالحة، مجبرون على أن يعملوا بأجور زهيدة تقرب من السخرة، وقد فعل الاستعمار ذلك ليثبط عزائمهم فلا يثوروا، وهكذا يصبح المستعمر سيدا متربعا على عرشه يعز من يشاء ويذل من يشاء.²

والشيء الوحيد الذي استرعى انتباه السلطات الاستعمارية، هي التزايد المستمر للسكان المسلمين، وقد استقر عدد معتبر نسبيا من الأوروبيين في الجزائر بعد نهاية القرن. ارتفع عددهم من 833000 في عام 1926 إلى 984000 بحلول عام 1954، من ناحية أخرى، ارتفع عدد السكان المسلمين من 5 ملايين إلى 8.546000 في الفترة بين 1900 و1954، وظلت معدلات المواليد مرتفعة، حيث ارتفعت إلى 42-44 لكل ألف في 1954 أي ضعفين ونصف بالنسبة للأوروبيين.³

عند اندلاع الحرب العالمية الثانية لم تكتف سلطات الاحتلال بتوجيه طاقات الجزائر البشرية للحرب؛ بل قامت بتسخير كل موارد البلاد، فتم تحويل جزء كبير من إنتاج الحبوب إلى فرنسا، ففي عام 1941 تم تحويل حوالي 1.821.548 قنطار من القمح إلى فرنسا، وتم تصدير آلاف رؤوس الماشية إلى فرنسا فانخفضت أعدادها، كما فرضت ضرائب بنسب عالية على المنتجات الغذائية نقدا وعينا، لدرجة أن مخازن الجزائر قد أفرغت وانتشرت السوق السوداء، فتضاعف سعر الخبز فبلغ نسبة 136%.⁴

¹ - Claude culott et jean robert henry, op .cit , p26.

²-جون بول سارتر: عارنا في الجزائر، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، دون سنة نشر، ص 16.

³ - Matthew Connelly: a diplomatic revolution, Algeria's fight for independence and the origins of the post-cold war era. New York: Oxford university press, 2002.p17

⁴ -محمد شوب: الاحتلال الفرنسي للجزائر ومسألة استنزاف طاقاتها، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، مجلد 13 عدد 01، جوان 2018.

وبعدما تم استنزاف خيرات الجزائر اعتمدت سياسة تقسيط الحبوب، لكن لم تسلم البطاقات للجميع، وتم التحايل، وكان الناس يموتون جوعاً، وهنا يصف الطبيب «ر.ج. توماس» R.G. Thomas حالة الجزائر آنذاك فيقول: «رأيت فرقاً من الأطفال في أسمال بالية يجنون قوت يومهم.. وآلاف الناس يموتون جوعاً شاهدت القمع؛ أطفالاً يأكلون التراب، والأهالي يأكلون الأعشاب، والأحياء يموتون بالملايا في لحظات.¹

ومع بداية شتاء 1945 القارص؛ بدأ الموت يحصد الأرواح بتأثير الجوع والبرد، وهذا ما حدى بالصحف أن لا تلتزم الصمت، فقد أوردت جريدة «الحرية» مقالا عنونته ب: «في بلد الصوف، الفلاحون يموتون بالبرد، الأطفال يتجولون عراة في الشوارع» وذكرت أنه: في كل يوم نقرأ إعلانات غير مكترثة باكتشاف جثث متجمدة في الشوارع، وبضيف: رأيت في الأسبوع الماضي امرأة تغطي رضيعها بجريدة في هذا الشتاء البارد»، وفي عدد آخر عنونت الجريدة: «المجاعة، البرد، الموت، في المدن والأرياف» ففي كل يوم تجد إعلان صغير يخبر بأن بؤساء وجدوا في الطريق فقدوا الحياة.²

ب- الأوضاع الثقافية بعد الحرب العالمية الثانية

عندما نتناول واقع التعليم في الجزائر، فإن النتائج كانت كارثية، وبعد أكثر من مائة عام من الاستعمار أي سنة 1932 وصل للمرحلة الجامعية من المسلمين حوالي 100 طالب، بل إلى غاية 1944 الأطفال المتدربين من الجزائريين لا يتجاوز 5.5% من الأطفال الذين هم في سن الدراسة.³ وكان التعليم الفرنسي انتقائياً موجه فقط للنخبة، فحسب أرقام رسمية لم يتجاوز من تلقوا تعليمهم في المدارس الفرنسية 5 بالمائة إلى حدود 1914.⁴

وهنا يقول جون بول سارتر J.P.Sartre في كتابه "عارنا في الجزائر"...بلغ عدد الأميين قبل الاستقلال 80 في المائة من الجزائريين، وقد يهون الأمر لو أننا لم نحرم عليهم الا استعمال لغتنا، ولكن الواقع أن من متطلبات النظام الاستعاري؛ هي محاولة سد طريق التاريخ على أهل المستعمرة، ولما كان من مقومات القومية في أوروبا وحدة اللغة، فقد حرم على المسلمين استعمال لغتهم وبالذات اللغة العربية، التي اعتبرت لغة أجنبية في الجزائر منذ عام 1830، والهدف من ذلك العمل على تفتيتهم وانتزاعهم من

¹ - سعد الله: الحركة الوطنية، ج3، ص ص 188، 190.

² - عبد السلام عكاش: «تفسير الصحافة الشيوعية وصحافة الحركة الوطنية لدور المجاعة ضمن أسباب انتفاضة 08 ماي 1945» مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 12، العدد 2 -جامعة سطيف2، -21 ديسمبر 2015.

³ - جمال قنان: التعليم الأهلي، مرجع سابق، ص211.

⁴ - Gilbert Meynier: «l'algérie et les algériens sous le système colonial». approche historico historiographique : *insaniyat* n°s 65-66, juillet - décembre, 2014 .

جوههم العربي، وكانت الإدارة الاستعمارية في الجزائر، هي من تختار رجال الدين الإسلامي من بين عملائها وقد احتضنت أحط أنواع الخرافات التي تؤدي إلى سيادة التفرقة.¹

حتى شعار الإدماج كانت السياسة الاستعمارية ضده ففي الواقع، فإذا كان الفضاء المدرسي هو

الذي يوفر الاستيعاب والإدماج اجتماعيا، فإن واقع الحال يؤكد أن الفرنسيين لا يرون ضرورة

الإدماج؛ وعليه كانت المنهاج الدراسي في الجزائر من أجل أهداف محددة هي:

- تعليم للتزود بوسيلة من أجل مواصلة الحياة، موجه لعموم الأهالي.

- تعليم باللغة الفرنسية فقط، كعنصر انسجام للمستعمرة.

- الأساس من العملية تلبية احتياجات المعمرين في وجود يد عاملة جاهزة.

- تكريس النظام الطبقي والقبلي في المجتمع.

- التركيز على عدم تحول التعليم إلى مصدر وعي لعموم الشعب الجزائري.²

ولذر الرماد في العيون؛ تظاهرت فرنسا بإجراء بعض الإصلاحات، بعد نهاية الحرب العالمية 2؛

رغم ذلك وفي قرار جديد؛ اشترط على مدرس اللغة العربية الإلمام ومعرفة اللغة الفرنسية؛ كشرط

للتوظيف؛ وهو شرط تعجيزي، لأنها تدرك أن معظم أولئك المعلمين، يجهلون اللغة الفرنسية، ورغم ان

دستور 1947 نص على الاعتراف باللغة العربية؛ وتدريسها إلى جانب الفرنسية، إلا أن إدارة التعليم لم

تفارقها ذهنية إقصاء اللغة العربية، مستغلين الغموض المصاحب لطريقة تطبيق هذا القانون، وبقيت

إرادة وذهنية الإقصاء عند مفتشي التربية الفرنسيين، حين قسموا اللغة العربية ثلاث فئات وهي:

- فُصْحى قديمة واعتبرت ميتة.

- فصْحى حديثة واعتبرت أجنبية.

- عامية واعتبرت لا تعدو كونها لهجة محلية.

وفي إطار محاربة اللغة العربية من قبل الفرنسيين تم توجيه الاهتمام لكتابة العربية الدارجة

والأمازيغية، وحوربت اللغة العربية حتى لم يبق لها إلا المساجد والمقابر ودفاتر القضاة المسلمين

محدودي الصلاحيات، والكتاتيب التي كانت في حالة حصار وكان تعليم اللغة العربية في تلك الأيام

الحالكة أشبه بحرب عصابات.³

¹ - سارتر: مرجع سابق، ص 18.

² - حاجي: مرجع سابق، ص 326.

³ - ولد خليفة: المسألة الثقافية، مرجع سابق، ص 199.

ج- الوضع العام والأوضاع السياسية في الجزائر بعد الحرب العالمية الثانية

من أهم التأثيرات الهامة في الوضع العام في الجزائر (1939-1945) ما يلي:

- 1- انكسار فرنسا أما النازية، حيث أصبحت هيبة فرنسا على المحك، فاضطرب الولاء لها.
- 2- نزول الحلفاء بالجزائر، واختلاط الجزائريين بجنود الحلفاء والضباط الأمريكان.
- 3- أمرية 7 مارس 1944 هذا القانون فتح الباب قليلا لاندماج بعض الأهالي، ورفضه الجزائريون وحاربوه، رغم ذلك رأى فيه الكولون خطرا على مصالحهم، فقد كانوا يعتقدون أن فتح الباب قليلا يؤدي إلى فتحه كاملا.
- 4- كان بين الجزائريين والاستعمار سباق خطير ضد الساعة، فإما أن يأخذ الاستعماريون دفة الحكم بيد من حديد، ويعيدون الجزائر إلى ما قبل 1936، أو أن يتقدم الجزائريون إلى كسر شوكة الاستعمار وفرض وجودهم كأمة؛ تسعى لتحرير نفسها من العبودية.¹
- 5- والأهم في هذا كله؛ تغير مواقف الجماهير الجزائرية تغيرا جذريا تجاه المعمرين، فقد أصبح المعمرين يُشتمون في الأسواق أو يرمون بالحجارة، بل وتمت مقاطعة مقاهي الأوروبيين. ومنعت النساء المسلمات من العمل لدى الأوروبيين، وكان رد الأوروبيين بالمثل وأكثر؛ أي حدث شرخ كبير؛ وهو ما كان مقدمة لأحداث ماي 1945.²
- 6- تسرب الهلع إلى العنصر الأوروبي.³

وحول تسرب الهلع في صفوف المعمرين يذكر المؤرخ الأمريكي ماثيو كونلي Matthew Connelly

أن العنصر الأوروبي في فيليبفيل (سكيدة) وجد نفسه معزولا بين 41000 من المسلمين، لذلك جميع الأوروبيين باعوا أراضيهم وانتقلوا إلى المدن باستثناء ثلاثمائة. والباقي لا يخفون تشاؤمهم وخلص تقرير إلى أن كيليرمان (الفجوج بولاية قالمة حاليا) أصبحت مركز أوروبي يحتضر.⁴

مع وجود مؤشرات بأقول نجم الاستعمار التقليدي، تطلع الشعب الجزائري كغيره من الشعوب لغد أفضل، وطمحت الحركة الوطنية لاستثمار تداعيات الحرب العالمية الثانية في غمرة نزول قوات الحلفاء بشمال إفريقيا، وما تبع ذلك من انفراج سياسي، مع إطلاق سراح بعض المعتقلين السياسيين، الذين حكمت عليهم حكومة فيشي العميلة لهتلر، وهوما أحدث حماسا في قلوب الجزائريين، حسب تعبير فرحات عباس: فإنه سرعان ما لمت المنظمات السياسية الجزائرية شعثها، ووحدت صفوفها.⁵

¹ - قنانش: المسيرة الوطنية، ص 51-53 .

² - محفوظ قداش: 8 ماي 1945، منشورات ANEP، 2003، ص 25، 26 .

³ - Matthew Connelly: p18.

⁴ - ibid,p18.

⁵ - عباس: ليل الاستعمار، مرجع سابق، ص 105.

2- انعكاسات نزول الحلفاء على الوضع السياسي في الجزائر

بعد نزول قوات الحلفاء: الأمريكية-والإنجليزية، في السواحل المغربية والجزائرية في 8 نوفمبر 1942، والذين كانوا يحملون معهم تصورات جديدة عن الديمقراطية، خاصة ميثاق الأطلس 14 أوت 1941 الذي يتضمن إشارات صريحة، لمبدأ حرية الشعوب في تقرير مصيرها، فطمحت الحركة الوطنية الجزائرية لاستثمار الواقع الجديد.¹ وكانت اتصالات النخب الجزائرية والأمريكان بدأت بعد نزولهم في الجزائر، فقد حاول الحلفاء استمالة الجزائريين ضد المحور، لتجهيز جيش ضخم لتحرير تونس وطرابلس من المحور، وقد كان للسيد رويار مورفي Robert Murphy الممثل الشخصي للرئيس روزفلت Roosevelt لقاءات عديدة مع فرحات عباس لتفعيل ما جاء في ميثاق الأطلسي.² وقد قام ممثلي الحركة الوطنية بنشاطات مكثفة بقيادة فرحات عباس وأهم هذه النشاطات:

أ- **إصدار بيان 10 فبراير 1943:** وفي هذه الظروف ومع في غياب مصالي الذي كان بالسجن؛ تدارس الأمين دباغين الذي كان على رأس حزب الشعب مع فرحات عباس تقديم وثيقة لقوات الحلفاء، والتي تضمنت مطالب منها الافراج عن المساجين، والاعتراف بحقوق الشعب الجزائري مقابل دعم الحلفاء، وُقِّعت الوثيقة من طرف فرحات عباس، والأمين دباغين (عن حزب الشعب) والقاضي أحمد معيزة (عن جمعية العلماء)، ومن المنتخبين نجد الدكتور بن جلول وتقرر تسليم نسخة من هذه الوثيقة لممثلي الحلفاء وكانت هي الأرضية التي اقتبس منها فرحات عباس البيان الشهير «بيان الشعب الجزائري» الذي صدر في العاشر فيفري 1943.³ لكن أمام لامبالاة الحلفاء على المذكرة المقدمة لهم في 20 ديسمبر 1942، قامت الطبقة السياسية الجزائرية وعلى رأسها فرحات عباس بمبادرة أخرى فأصدروا «بيان الشعب الجزائري» يوم 10 فبراير 1943.⁴ قدم بيان 10 فبراير 1943، إلى ممثلي الحلفاء، وبعثوا نسخة منه إلى الجنرال الفرنسي دوغول de Gaulle، ونسخة أخرى إلى الحكومة المصرية. كما سلموا نسخة منه إلى الحاكم العام الفرنسي بالجزائر مارسيل بيروتون M. Peyrouton في 31 مارس الموالي، الذي تظاهر بقبوله من حيث المبدأ وألف لجنة للإصلاح وطلب توضيحات أخرى للمطالب، لذلك تم تحرير ملحق للبيان من طرف الطبقة السياسية بقيادة فرحات عباس، سلم للإدارة الفرنسية في 26 ماي 1943.⁵

¹ - بن خدة: مرجع سابق، ص ص 126-128.

² - جوليان: مرجع السابق، ص 311 ، 312.

³ - بن خدة: مرجع سابق، ص ص 126-128.

⁴ - سعد الله: الحركة الوطنية، ج3، ص 269.

⁵ - مقلاتي: مرجع سابق، ص 175.

ب- حركة أحباب البيان والحرية: أسست حركة أحباب البيان والحرية كتجمع حول نص بيان 10 فيفري 1943، وقد أودع قانونها الأساسي فرحات عباس في 4 أبريل 1944 ومثلت حركة أحباب البيان والحرية تيار جماهيري واسع لكل الجزائريين، بسبب وجود قاعدة واسعة تشمل حزب الشعب، والعلماء وأنصار فرحات عباس، وقد ظهرت حركة أحباب البيان والحرية كتجمع سياسي وجماهيري غير مسبوق، وحركة عمومية قانونية يمكن لكل الجزائريين الانخراط فيها.¹ وقبل تشكيل الحركة قام فرحات عباس بالاتصال بمصالي في معتقله بقصر الشلالة (تابعة لولاية تيارت الآن) وكذلك بممثلي العلماء، لتكوين جبهة متحدة والتي سميت «حركة أحباب البيان»، وأصبح فرحات عباس هو المتحدث الرسمي باسمها، إضافة لكونه الكاتب العام لحركة أحباب البيان والحرية، وفي نفس الوقت المسؤول السياسي على جريدة *Egalité* (جريدة المساواة أسبوعية بالفرنسية)، وقد تشجعوا بوجود قوات الحلفاء، وبالضعف الذي كانت تعانيه فرنسا، كما تشجعوا باستعداد الشعب للتضحيات، وفي وقت قصير انضم عدد كبير من الأتباع لأحباب البيان، حتى بلغ عددهم خمسمائة ألف شخص، والمعروف أن حزب الشعب الجزائري، كان قد حل منذ 1939²

ج- موقف الفرنسيين من حركة أحباب البيان: هذا النشاط أثار تخوفات الفرنسيين، فحاولوا وقفه عن طريق الوعود التي تثبط العزائم، ولم يجرؤوا على مواجهته لضعفهم العسكري والسياسي، لذلك كتم الفرنسيون نواياهم وظلوا يتحينون الفرصة؛ إلى أن انتهت الحرب، فكانت مجازر ماي 1945، وبكفي هنا أن نذكر هنا بالكلمة التي قالها الجنرال كاترو *Catroux* الذي كان حاكما عاما للجزائر ساعة صدور البيان، والتي قال فيها بضرورة القضاء على هذه «العاصفة» وهو يعني بذلك الحركة الوطنية.³

لم تكن الإدارة الاستعمارية تنظر بعين الارتياح لتنامي حركة «أحباب البيان والحرية» فدبرت دسيسة بوليسية محكمة. ففي 18 أبريل 1945 قرر حاكم عمالة الجزائر (لويس بيربي) عقد الاجتماع التقليدي الذي يضم كلا من رؤساء دوائر العمالة ومحافظي بلدياتها وقيادات الناحية وأغاواتها، واختار أن يكون مكان الاجتماع بقصر الشلالة (تابعة لولاية تيارت الآن) حيث وضع مصالي تحت الإقامة الجبرية. ومع افتتاح الأشغال أصدر أمرا باعتقال مناضلي حزب الشعب وأحباب البيان في المدينة (سعد دحلب، وزهاء عشرين مناضلا)، فاندلعت أعمال الشغب بالمدينة وألقي القبض من جديد على مصالي، ونُقل على متن طائرة إلى (برازافيل) بالكونغو.⁴

¹ - ينظر: فداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، ص960، 972، 973 .

² - سعد الله: الحركة الوطنية، ج3، صص 227- 230.

³ - نفسه: صص 227- 230.

⁴ - ينظر، بن خدة: ص 138.

3- مجازر 8 ماي 1945 في الجزائر وموقف التيار الثوري

اتسمت مواقف الزعيم مصالي في كثير من الأحيان ببعد النظر، وحتى لا يعطي حجة للفرنسيين للانتقام من حزبه، أو فرصة للتنكيل بأتباعه، رفض مصالي خلال الحرب العالمية الثانية، كل العروض المقدمة من ألمانيا النازية، للقوميين في البلدان المستعمرة، مما زاد من سلطته الأخلاقية.¹ ورغم أن تحركات مصالي الحاج كانت مقيدة بالإقامة الجبرية، إلا أن وجوده أصبح يشكل للسلطات الاستعمارية مصدر إزعاج، فالرجل كان لا يتزعزع ولا يساوم على مبادئه، ويتحدث المؤرخ الفرنسي جان مونيرييه J. Monneret عن تاريخ الرجل فيقول: «مصالي الحاج رجل تقي مرتبط بالإسلام، لذلك انفصل مبكرا عن الشيوعية، أسس حزب الشعب الجزائري على أساس قومي بحت، كانت العلاقات بين القوميين الجزائريين والشيوعيين في ذلك الوقت سيئة للغاية، لدرجة أن الصحافة الحزبية وصفتهم بالقوميين...مصالي لم يكن لديه أي تعاطف مع ألمانيا، وقام بتطهير اللجنة المركزية من مناصري الألمان».²

مع الزخم السياسي المصاحب لحركة أحباب البيان، قررت السلطات الاستعمارية إبعاد مصالي من إقامته الجبرية في قصر الشلالة إلى المنفى البعيد في برازيل بالكونغو، فرأت قيادة الحزب أنه لا يُعقل أن تبقى مكتوفة الأيدي أمام اعتقال رئيسها؛ فكانت مناسبة أول ماي 1945 فرصة للرد عبر التظاهر، مشددة على الطابع السلمي، لكن كانت الحصيلة؛ ستة قتلى منهم أربعة من حملة العلم الوطني، أولهم محمد غزالي الحفاف، ثم كل من أحمد بوغلام الله، وعبد القادر زيار، وعبد القادر قاضي، إضافة للعديد من الجرحى.³

دوليا وبعد أن أجبرت ألمانيا على الاستسلام، تم تحديد تاريخ 8 ماي 1945، موعدا للاحتفال بالنصر، وقد استغلت الحركة الوطنية الجزائرية الفرصة، وكان حزب الشعب يحلم بمظاهرات أكبر من مظاهرات يوم أول ماي 1945، وصدرت التعليمات بالخروج بنظام وهدوء، ضمن تجمع «أحباب البيان والحرية»، لكن هذا الاحتفال حوله الفرنسيون إلى مجزرة؛ ما كان لها أن تحدث، لو لم تكن الإدارة الاستعمارية تتحين للانقضاء على الحركة الوطنية، وإفشال تطلعاتها، بالمزاوجة بين الاستفزاز والجريمة.⁴

¹ - Alain Ruscio: Op.Cit.

² -Jean Monneret: **La guerre d'Algérie en trente-cinq questions**, Editions,L'Harmattan, Paris,2008,p9.

³ -ينظر: بن خدة: مرجع سابق، ص138، 139.

⁴ -نفسه: ص 142، 149.

وعن تعامل الفرنسيين مع مظاهرات الثامن ماي 1945 يقول المؤرخ ش.أ. جوليانJulien: كان القمع ضاريا لا يرحم؛ وفي الحقيقة خاليا من الإنسانية، فكل عربي... كان مقتولا بسطيف... بالريف كان جنود اللفييف الأجنبي يقتلون ويحرقون وينهبون بكل حرية، وقصفت خرابة من البحر، ودمرت الطائرات 44 مشتى(قرية) كما تسلح المعمرون في قالمة، وبروح انتقامية قتلوا رميا بالرصاص كل من اعترضهم من الأهالي، وشاركت في المجازر عناصر أوربية من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين على السواء.¹

اندلعت المواجهات بعد أن اعترضت الشرطة المتظاهرين وقامت بنزع الأعلام، واستعملت قوات الأمن السلاح للفتك بالمتظاهرين الجزائريين العزل، وقد أسفرت المواجهات عن سقوط 45000 شهيد، نظرا لشدة الانتقام وعمليات الإعدامات الميدانية من قبل قوات الأمن والجيش الفرنسي، في كل من سطيف، وقالمة، وخرابة، وغيرها من المدن والقرى. بالنسبة لخيارات حزب الشعب هنا يتكلم بن خدة عن ذلك فيقول: وجدت إدارة الحزب نفسها مضطرة للقيام بمحاولة لإنقاذ الشرف أمام هذه المجازر فثارت ثائرة المسلمين فأخرجوا بنادق الصيد وشتى أنواع الأسلحة، داعين الناس إلى الجهاد، وسادت أجواء ثورة حقيقية في ربوع الوطن.²

اعتبرت هذه الهبة الشعبية على أنها مؤشر على الثورة، وانتشرت الأخبار والشعارات مثل استجيبوا للجهاد واستردوا الاستقلال، وتم الهجوم على ثكنات الجيش الفرنسي واقتحامها، وإقامة حواجز أمنية من قبل الثوار، وحرقت مزارع المعمرين.³ وحسب بعض الشهادات فقد بات أعضاء من قيادة حزب الشعب يعملون على تحويل هذه المظاهرات إلى ثورة، وهنا قررت لجنة مشكلة من: الدكتور لمين الدباغين، وطالب محمد، ومزغنة، وعبدون، وشرشالي، إعطاء الأمر بالتمرد العام، ووصلت إلى جميع فروع حزب الشعب أوامر بالثورة، وحددت اللحظة الحاسمة في ليلة 23 ماي 1945، غير أنه في الوقت نفسه تطورت الأمور، ولم يعد الوضع نفسه في أسبوع الثامن ماي؛ فقد أحبطت العزائم وفتك الجيش الفرنسي وميليشيات المعمرين بالشعب ناحية قسنطينة (سطيف قالمة، خرابة) واستسلمت الجموع والعشائر، ولم يبقى على الخط إلا القبائل وجنوب العاصمة، مما جعل اللجنة السابقة ولتقادي مجزرة شعبية، تعطي أمرا معاكسا للأول، وتعلن وقف الثورة، ورغم ذلك، تواصل الكفاح في بعض

¹ - جوليان: مرجع سابق، ص 335.

² - بن خدة: مرجع سابق، ص ص 141-148.

³ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص ص 1006-1014.

المناطق* خاصة في منطقة القبائل لسهولة التحصن في الجبال.¹ ويورد المؤرخ الفرنسي جاك سيمون Jacques Simon ملاحظاته على انتفاضة 1945 فيستنتج مايلي :

- يعد قمع مايو 1945 الذي حدث في الجزائر هو الأكثر دموية منذ الانتفاضة في منطقة القبائل عام 1871 وهنا يتساءل جاك سيمون: هل كان التعايش بين الطائفتين كان لا يزال ممكناً؟ وفي أي إطار مؤسسي وسياسي يمكن أن يحدث؟

- كما يتساءل؛ كيف أمكن للحركة الوطنية في هذا السياق؛ إعادة بناء نفسها؛ والمشاركة في الحياة الاجتماعية والسياسية؟

- كما لاحظ أن القمع الوحشي لأعمال الشغب من قبل قوات النظام والميليشيات وقوات الكوماندوس لم يقض على الخوف الذي يجتاح أوساط المستوطنين.²

وحول تقييم مجازر- انتفاضة 1945 يرى بن خدة: إن قرار القيادة بإصدار الأمر كان عبارة عن رد فعل فوري أملت الظروف الساخنة، وحين أصبح القمع إبادة شاملة تبين للمسؤولين أن التمسك بذلك القرار سيؤدي إلى زيادة المجازر؛ مع انعدام إمكانيات رد الفعل الناجع، ويضيف «لم تستغرق أحداث ماي 1945 أكثر من 15 يوماً». ولم تكن والحق يقال؛ أكثر من شعلة مستعرة سرعان ما تم إخمادها مقارنة مع ثورة المقراني وأولاد سيدي الشيخ اللتين استغرقتا عدة شهور، ومع ذلك فقد عززت شعور الشعب بانتمائه إلى وطن ينكر المحتل وجوده، كما كشفت للعالم عن وجود جزائر تتطلع لاستعادة هويتها واستقلالها، وأبرزت قوة حزب الشعب، وكانت الحصيلة ثقيلة جداً: 45000 شهيد من المسلمين مقابل 104 قتيل في صفوف الأوروبيين أي ما نسبته استشهاده 400 جزائري مقابل كل قتيل من الأوروبيين».³

* -وكمثال على استعدادات خلايا حزب الشعب للثورة في نواحي القطر؛ نورد حوار للمؤرخ محفوظ قداش مع عمار بن المبخوت مسؤول حزب الشعب في بوسعادة جاء فيه: «بعد 8ماي 1945 حدد لي بن مهل مسؤول (الحزب) في التيطري مهمتنا وهي، تنظيم أفواج ترمز في بوسعادة والجلفة وأومال (سور الغولان الآن). وتبعاً لذلك قامت شاحنة بنقلنا نحن الاثنين من الجزائر العاصمة أين كنت لاجئاً إلى بوسعادة وقام بن مهل بشراء الاسلحة وخاصة بنادق أمريكية بمسعد وكانت خطتنا كالتالي، مهاجمة ثكنات أومال(سور الغولان) وبوسعادة حيث كان لدينا هناك ثلاثة مناضلين في مدرسة الضباط لتزويدنا بالأسلحة، في الوقت الذي بدأنا التنفيذ جاءنا أمر معاكس من العاصمة» ينظر: قداش، تاريخ الحركة الوطنية، ج2، ص1044.

¹ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص1006، 1014.

² - Jacques Simon: Le MTLD (Le Mouvement pour le triomphe des libertés démocratiques) (1947-1954) Algérie, Collection : CREAC-Histoire – Histoire, Editions L'Harmattan, Paris, 2003, p13.

³ - بن خدة: ص ص144-149.

4- إصلاحات فرنسا المتأخرة تضمن تفوق العنصر الأوروبي في الجزائر

لم يستطع الفرنسيون من التغلب على روح الأنانية التي كانت تقيدهم، إلى غاية رحيلهم من الجزائر، ورغم أن الكثير يرجعون ذلك إلى سطوة المعمرين، إلا أنه لا يمكن إلقاء اللوم على المعمرين فقط، فالتمييز كان سياسة استراتيجية للمحافظة على تفوق العنصر الأوروبي في الجزائر،¹ وإن ذلك الالتزام والتظاهر بالدعوة إلى المحافظة على حرية الجزائريين واحترام كل ما يرمز إلى هويتهم وشخصيتهم، الذي تعهد به الفرنسيين لحظة توقيع معاهدة 5 جويلية 1830، إنما كان في حقيقته لم يستهدف أكثر من ربح الوقت، واستغلال الجزائريين، لتظهر حقيقة نوايا الفرنسيين فيما بعد، فالحقيقة ظهرت كاملة من طبيعة الحملة التي شنت على الجزائر، ومن قساوة وسائلها، وبنفس القسوة، أنكر الفرنسيون على الجزائريين أنهم أمة لها هوية. تلك السياسة، بررت رد الفعل الوطني القوي، الراض للاستعمار والمتمسك باستمرار بالرفض.²

كانت الخطوات الأولى لولوج عالم التمثيل النيابي قد بدأت في عهد الأمير خالد في انتخابات 1919 رغم محدودية العملية التي كانت مقتصرة على مجالس محدودة الصلاحيات، وكان الأمير خالد من أوائل من صدح بحق الجزائريين في التمثيل النيابي، فقد جاء في جريدة الإقدام لسان حال حركة الأمير خالد آنذاك: «أن وجود خمسة ملايين جزائري مسلم لا مبعوث لهم في المجلس (البرلمان الفرنسي)، يظهر العجب من هذا الأمر الذي يأبى قبوله العقل، ولو كانوا حاضرين في المجلس لما تجدد القانون الجزائري».³ وحول من لهم حق تمثيل الأمة في المجالس الفرنسية يقول الأمير خالد: «أن الأمة لا تريد أن يمثلها من لا يعرف مقتضيات دينها القويم، ولا يحترم شعائر نبيها الكريم، ولا يرضى ذمام عوائدها المقدسة أو يريد أن يبذل عوائد غير عوائدها».⁴

وحسب النصوص القانونية للإصلاحات السياسية الصادرة في عام 1919، ورغم محدودية من يحق لهم التصويت؛ فإنه لا يسمح لأي جزائري أن يحصل على حق التصويت في الانتخابات المحلية، إلا إذا توفرت فيه شروط معينة، وهي عبارة عن حواجز وضعت بقصد منع الجزائريين من المشاركة في التصويت، ومن الحواجز طلب شهادة حسن السيرة والسلوك، يعني حرمان الأغلبية الساحقة من الجزائريين الذين تعرضوا للعقاب في إطار قانون الأهالي، الذي عانى منه كل مسلم في

¹ - بوحوش: مرجع سابق، ص 217.

² - مالكي: مرجع سابق، ص 161.

³ - جريدة الإقدام عدد 5، السنة الأولى 24 محرم 1339 / أكتوبر 1920.

⁴ - جريدة الإقدام عدد 4، السنة الأولى 17 محرم 1339 / أكتوبر 1920.

الفترة الممتدة من 1896 إلى غاية 1944.¹ وفي كل المجالس؛ كانت الأقلية الأوروبية تأخذ حصة الأسد في التمثيل قانونا، هذا بعد الإصلاحات في القرن 20 أما قبل عام 1919، فكانت أشكال التمثيل محدودة.² وقد يُست النخب المسلمة من السياسة الفرنسية، وهنا يرى الباحث ثنيو أن النخب الإسلامية قد تأكدت أن الاتجاه العام للسياسة الفرنسية في الجزائر، ينحو إلى تكريس تأييد الحالة الأهلية من خلال القوانين الاستثنائية، التي تنتج حالة من التلازم العكسي، بين تخلف الطرف الجزائري المسلم وتقدم الأوروبي، أي أن ضعف الطرف المسلم قوة للآخر على وجه التلازم.³

مع تداعيات الحرب العالمية الثانية أحست حكومة ديغول بالخطر من عواقب سياسة الاضطهاد في الجزائر، فقام ديغول في 22 ديسمبر 1943 بالإعلان عن إصلاحاته في زيارته لقسنطينة، لتصدر في شكل مرسوم، عرف بأمرية 7 مارس 1944، تضمن وعود بالمساواة، والوظائف، وتوسيع التمثيل في المجالس للمسلمين، ومنح الجنسية لـ 50.000 مسلم مع حفاظهم على أحوالهم الشخصية، غير أن هذا المرسوم اعتبر أمرا عفا عليه الزمن، وتطبيقا متأخرا لمشروع بلوم- فيوليت الذي رفضه الجزائريون كما رفضوا من قبله مشروع بلوم- فيوليت Blum-Viollette رغم أنهم كانوا في موقف أضعف، أما الآن فقد تغيرت الأمور.⁴ وقد رفضت الحركة الوطنية أمرية 7 مارس 1944 بوصفها مناهضة للديموقراطية، لأنه تُميز بين الجزائريين، وترمي إلى إدخال الجزائريين في البوتقة الفرنسية، عوض أن تؤهلهم للاستقلال،⁵ وهذا ما كان يدركه جميع الجزائريين، فكلهم يؤمنون بأن الإصلاحات الفرنسية خطوة إلى الأمام؛ وخطوتان إلى الخلف.⁶

كان الشعب الجزائري يطالب بإصلاحات ملموسة وعاجلة، لأنه لم يعد يثق في الوعود وبالتالي فالشعب الجزائري هو الذي ضبط مطالبه بنفسه: المتمثلة في إدانة وإلغاء الاستعمار، والعمل بمبدأ حق تقرير المصير ومنح الجزائر دستورا خاص يضمن الحرية والمساواة، وبالتالي فإن انفجار ماي 1945 كان تعبيرا عن يأس الجزائريين من الوعود الفرنسية.⁷

1 - بوحوش: ص 217.

2 - حميطوش: مرجع سابق، ص 22 .

3 - ثنيو: مرجع سابق، ص 15.

4 - مقلاتي: مرجع سابق، ص 176.

5 - جوليان: مرجع سابق، ص 328.

6 - سارتر: عارنا في الجزائر، مرجع سابق، ص 19.

7 - جوليان: مرجع سابق، ص 315.

بعد مجازر ماي 1945 وللتهدئة، تظاهر الحاكم العام يفيش شاتينو Y. Chataigneau بإدخال إصلاحات في الجزائر، فجاءت المبادرة من قبل الجنرال ديغول De Gaulle بسنه لمرسوم 17 أوت 1945 والذي يمنح المسلمين عدد مقاعد يساوي عدد مقاعد الأقلية الأوروبية! في غرفتين مختلفتين (رغم أن الأوروبيين لا يمثلون إلا عشر السكان)، للتمثيل في مجلس البرلمان الخاص بالجزائر، وأثار سخط المستوطنين والمسلمين على السواء، رغم ذلك أجريت على أساسه انتخابات أكتوبر 1945، التي قاطعها أحباب البيان والحرية، وأفرزت الانتخابات فوز أنصار الإدماج (بن جلول والمنتخبين)، رغم ذلك أثاروا غضب النواب الفرنسيين، حين تقدم الجانب المسلم، بطلب إدماج الشعب الجزائري في فرنسا، مع احتفاظه بأحواله الشخصية، فرفضت الجمعية التأسيسية الفرنسية المشروع ووصفته بالجريء.¹

بداية جرت انتخابات 2 جوان 1946 والخاصة بإعادة انتخاب نواب الجمعية الوطنية الفرنسية والتي شارك فيها الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (فرحات عباس)، وقاطعها أنصار حزب الشعب، وفاز فرحات عباس ورفاقه على أنصار أطروحة الإدماج (عباس بعد الحرب تغيرت مواقفه)، حيث حصل عباس على 11 مقعداً، وطالبوا بدستور جديد للجزائر، يقوم على إنشاء جمهورية جزائرية مستقلة ذاتياً، بحكومة وبرلمان، وعلمها الخاص، مع ارتباط فيدرالي بفرنسا، ولكن الجمعية الوطنية الفرنسية، رفضت النظر في المشروع، وذهبت جهود فرحات عباس سدى.²

وبتاريخ 20 سبتمبر 1947، صادقت الجمعية الوطنية الفرنسية على القانون الذي تضمن إرساء دستور الجزائر (القانون الخاص) وإدخال إصلاحات هامشية، وهو الإجراء الذي رفضه المستوطنين لأنهم يرونه تراجع عن امتيازاتهم المطلقة في الجزائر، وكذلك لم يرض عنه الجزائريون على اختلاف توجهاتهم، ولم ترض عنه حتى جماعة المعتدلين من حزب فرحات عباس، إذ رُفض هذا القانون من قبل الجميع، والملاحظ عليه، أنه ينم عن روح عنصرية، فمن نسبة تمثيل المسلمين في المجلس الجزائري، يلاحظ أن النظام يجعل قيمة الأوروبي الواحد تساوي ثمانية مسلمين جزائريين؛ لكن وعلى الرغم من طابع هذا القانون الرجعي والعنصري، وبنوده المجحفة، فإنه سرعان ما أفرغ من بعض محتوياته الإيجابية على قلتها، إذ عملت الإدارة الفرنسية على تزوير الانتخابات وتحويل قانون 20 سبتمبر 1947 إلى أداة قمع ووسيلة اضطهاد.³

¹ - مقالتي: مرجع سابق، ص 180.

² - جوليان: مرجع سابق، ص 342.

³ - مقالتي: ص ص 181-187.

5- عرقلة المعمرين للإصلاحات في الجزائر

عاشت الأقلية الأوروبية في الجزائر طوال 132 سنة ترفض رفضا مطلقا فكرة العيش المشترك مع الجزائريين، مستأثرة بخيرات الجزائر ومستندة للحماية القانونية والعسكرية التي توفرها لهم الدولة الفرنسية.¹ أمام هذا الوضع انقسم البلد الجزائري بين بلدين، جزائر عصرية بناها العرب بأموالهم وسقوها بعرق جبينهم، ولكنهم محرومون منها، ومن خيراتها، وجزائر أخرى، جزائر جحافل الأميين والبؤساء والجائعين، جزائر الملايين من الأطفال المشردين، لا مدرسة ولا مأوى، جزائر مدن القصدير والأكوخ والبؤس والجهل والمرض، ومرض السل الذي اجتاح السواد الأعظم من الشعب حسب ما ينقل فرحات عباس.²

وبالنسبة للواقع على الأرض فإن العلاقات بين الجزائريين والمستعمرين الفرنسيين داخل الجزائر، لم تتعدى كونها علاقة سطحية، ولم ينصهرا أبدا في بوتقة اجتماعية واحدة، بل ظلوا يشكلون جاليتين متميزتين، طيلة مدة الاستعمار، دون أن يحدث بينهما أي تواصل أو تمازج يذكر.³ وبسبب تاريخ من الكراهية للأخر بين الطرف المسلم والأوروبي وحسب سارتر J. P. Sartre فإنه لم يكد يقع طوال الاحتلال أي زواج مختلط إلا نادرا، ولم تحقق أية مودة فرنسية اسلامية، اعتقادا أن مصلحة المستعمرين هي محور الشخصية الجزائرية من أجل فرنسا، فلو كانوا يريدون التقدم للجزائر والإبقاء عليها لعملوا على الاهتمام بالتنمية الاقتصادية والثقافة في الجزائر.⁴

ورغم تعمد الاستعمار فرض التخلف على الجانب المسلم؛ ورغم الفارق الكبير في الاستفادة من المدنية الحديثة؛ إلا أن الاستعمار الفرنسي جوبه بثقافة حية، فعندما فرض الاستعمار التفرقة على أساس الهوية (الدينية)، واتخذ هذا الأمر كسلاح، كانت الهوية كذلك أساسا للانطلاق ورهاننا للقوى الوطنية للتغيير، وفي ذلك يرى امحمد مالكي: أن الهوية غدت موضوعا مستقطبا لنشاط الحركات الوطنية، بل ومولدة لها بالشكل الذي ظهرت عليه مع بداية الثلاثينيات، فالأسلحة التي راهن عليها الاستعمار للمساس بالهوية ومقوماتها والتي قدر الاستعمار أنها الكفيلة بإمكانية استقراره وتوسعه ببلاد المغرب، هي ذاتها التي غدت المداخل الممكنة دون سواها لتقويض الاستعمار.⁵

1 - مولود قاسم: شخصية الجزائر، مرجع سابق، ص 14.

2 - فرحات عباس: ليل الاستعمار، ص 74.

3 - خدة: مرجع سابق، ص 255.

4 - سارتر: ص 24.

5 - مالكي: مرجع سابق، ص 261. بتصرف

على شاكلة الأوروبيين الذين أسسوا الولايات المتحدة في أمريكا، واستأثروا بخيرات وحكم جنوب إفريقيا وأستراليا حاولت الأقلية الأوروبية في الجزائر الاستئثار بخيرات الجزائر، فبعض المستوطنين (خليط من الأوروبيين) الجاهلين لواقع الأمور يشبهون الوضع في الجزائر بالوضع في جنوب إفريقيا، استنادا إلى ما يتميز به الأوروبيون هناك من تهور وميل إلى المشاغبة والتشويش، ولاشك أن المعمرين كانوا دائما يعملون لكي تصبح الجزائر بلادا خاضعة للحكم العنصري، أي استتساخ تجربة حكم البيض لجنوب إفريقيا واستقلالهم بها، فمنذ الأيام الأولى، كانت نية المعمرين المبيتة، أن تؤول إليهم هذه السيادة المنهارة، بعد نهاية مقاومة الأمير عبد القادر بعد عام 1848.¹

المعمرون في الجزائر؛ لم يكونوا على قلب رجل واحد، لاختلاف أصولهم العرقية، فرنسيين، إيطاليين، مالطيين، إسبان.² وقد بلغ الأمر بالمعمرين الأوروبيين في الجزائر إلى التطاول على فرنسا، حين قاموا بطرد الوالي العام الفرنسي الجنرال شانغارنيي Changarnier، في محاولة أن يستأثروا بالجزائر وحدهم دون وطنهم الأصلي (فرنسا).³ ومن تصرفات المعمرين سنة 1870 ندرك نوعية وطنيتهم عندما عمدوا وقت الشدة إلى مفاوضة وابتزاز للحكومة الفرنسية اللائذة بمدينة تور Tours بعد هزيمة فرنسا أمام ألمانيا، وتأسيس لجنة ذات سلطة مطلقة «لجنة الدفاع عن مدينة الجزائر»، وتهديدهم فرنسا بدعوة غاريبالدي (قائد إيطالي ومجازف مشهور) للانضمام إليهم، أو حتى بمبايعة الملكة فيكتوريا.⁴ وبعد هزيمة الفرنسيين ودخول الألمان إلى باريس؛ وقيام حكومة فرنسية عميلة لهتلر في فيشي بقيادة الماريشال بيتان Pétain، انضم 80% من المعمرين الأوروبيين في الجزائر إلى حكومة فيشي، وأصبحوا دعائها المتحمسين، وكان لا يهمهم مصير فرنسا؛ بقدر ما يهمهم مصالحهم ودوام سيطرتهم على الجزائر.⁵ وذهب بهم الأمر إلى حد التشفي في فرنسا، عقب هزيمتها أمام ألمانيا النازية، في الحرب العالمية الثانية.⁶ فقد جاء في جريدة صوت المعمر 1940 «ارتكبت فرنسا أخطاء فادحة وعليها وحدها أن تتحمل المسؤولية؟».⁷

1 - الأشراف: مرجع سابق، ص 187.

2 - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص 1092.

3 - الأشراف: مرجع سابق، ص 187.

4 - نفسه: ص 187.

5 - فرحات عباس: ليل الاستعمار، مرجع سابق، ص 103.

6 - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص 1092.

7 - عباس: ليل الاستعمار، مرجع سابق، ص 100.

وزاد من غيظ الكولون استسلام ألمانيا، التي كانوا يعلقون عليها أمالا كبيرة، حيث كان معظمهم من أنصار حكومة فيشي.¹ غير أن هؤلاء الكولون أنفسهم وأولهم قادتهم وزعمائهم، أصبحوا بعد نزول الحلفاء يتسابقون ويتزاحمون للإعراب عن ولائهم للحلفاء، ويزعمون أنهم كانوا رفعوا لواء المقاومة ضد حكومة فيشي، وبالرغم أن حكومة ديغول كانت على علم بالخيانة، فقد تسامحت مع كل الأوروبيين في الجزائر، وأرجعت الجنسية لليهود، وظهر الجميع على ظهر المسؤوليات، ثم اتحد الكل ضد المسلمين الجزائريين.²

المعمرون الأوروبيون كانوا لا يقبلوا بالمساواة مع المسلمين، ولا يسمحوا لهم بالمشاركة حتى في انتخاب رؤساء البلديات، أما تمثيل المسلمين الجزائريين في البرلمان الفرنسي بباريس (مثل الأوروبيين) فقد أهملته الإصلاحات تماما، ولا توجد أية إشارة للموضوع بتاتا وهذه النقطة هي التي ستوحد جميع الجزائريين ضد الأوروبيين، وحسب القانون الانتخابي الذي أمضاه رئيس الحكومة الفرنسي كيلمانصو Clémenceau، يوم 6 فيفري 1919 فإنه يحق لبعض الجزائريين أن يشاركوا في الانتخابات المحلية لاختيار من يمثلهم من المسلمين، وليس انتخاب أي مترشح.³

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وأثناء مناقشة قانون الجزائر في البرلمان الفرنسي، اشتد تهديد المعمرين لحكومة المتروبول، ففي باريس صرح السيد «بارتو» رئيس المجلس العام لمدينة الجزائر، والذي نشر رسالة موقعة من طرف 23 مستشار عاما جاء فيها: «إذا أقدمت الجمعية على منح الجزائر قانونا ضد مصالح الاستعمار، فلن يتردد ممثلو الأقلية الأوروبية في تحويل نظرهم بعيدا عن فرنسا».⁴

وأثناء مجازر الثامن ماي وفي 15 مايو 1945، صوت القسم الأوروبي من الوفود المالية بالإجماع على اقتراح يطالب بما يلي: "الإبقاء على حالة الحصار، وتسليح السكان الأوروبيين، والقيود على الحريات العامة المختلفة على وجه الخصوص، وقمع الصحافة اليسارية".⁵

.....

¹ - قناش: المسيرة الوطنية، ص 51-53 .

² - بن العقون: الكفاح القومي، ج2، مرجع سابق، ص 278.

³ - بوحوش: مرجع سابق، ص 217. 218.

⁴ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص 1092.

⁵ - Jacques Simon: Le MTLD op , cit, p13.

المبحث الثاني: مرحلة حركة الانتصار MTLT

1- الأربعينات وبوادر التعبير الثوري

بعد الهوية السياسية وإن لم يكن حاضرا كمفهوم، بدايات القرن العشرين، فإنه ظل موجودا كشعور وإحساس لدى الجزائريين، بالانتماء إلى شخصية تاريخية، تكونت على قاعدة عربية وإسلامية، وأيضا على أرضية الوجود على منطقة جغرافية محددة، شكلت في وقت ما الكيان- الوطن الموحد بمعالَم سياسية وثقافية واجتماعية موحدة، ذلك أن عناصر الهوية والدفاع عنها، اعتمدت كأرضية للدفاع عن الوطن، وعنصر أساسي لتحقيق التقابل بين الأنا الذي يمثل الهوية الإسلامية والآخر الذي يمثله الاستعمار، وكانت الروح الوطنية الكامنة متأهبة للإفصاح عن نفسها، كلما كانت الفرصة سانحة للتعبير.¹

وباعتبار أن هوية الجزائريين مرتبطة في الجزء بالأكبر بالدين والأرض، فإن الأرض تُكسب الكثير من المضامين السياسية والوطنية والإيديولوجية، وترتبط بها الجنسية، وتنتج عنها الهوية الوطنية، وبالتالي فالوطن هو الانتماء المعرفي المصاحب بالتوافق النفسي والوجداني والاجتماعي والإرادة في التواجد.² أما عامل الدين فيرى مالك بن نبي أن التعبير عن الهوية والشخصية عند المسلم يستمد من الدين، فالدين وحده هو الذي يمنح الإنسان المسلم القوة.³ ويشير المؤرخ الفرنسي جاك سيمون J. Simon كيف أن انتفاضة ماي 1945 صاحبها توافق وتعاطف من جميع طبقات المجتمع العربي (في الجزائر) التي انطوت تحت راية الإسلام، من الفلاح المتواضع إلى النخب المثقفة، مروراً بالبرجوازية المحلية الثرية.⁴

ورغم جهود الفرنسيين لبسط الهيمنة الثقافية على الجزائر، عبر تقزيم دور اللغة العربية، إلا أنهم وقعوا في الارتباك، في أمر الظاهرة اللغوية القوية بالجزائر، ذات الجذور الصلبة، فاللغة العربية لم تكن لغة الجزائريين وحدهم، بل اللغة المقدسة للعرب والمسلمين، وقد استردت الفصحى مكانتها سريعا في الجزائر مع جهود الوطنيين، ومنهم التيار الثوري من خلال أذرعه الثقافية.⁵ فقد رفضت الثقافة الفرنسية من قبل الأهالي لأنها اقترنت بإيديولوجيا الاستعمار، لهذا ليس من الغريب أن الحركة الوطنية

¹ - مالكي: مرجع سابق، ص215. بتصرف.

² - محمد مسلم: الهوية والعولمة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2002، ص7.

³ - مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة مسقاوي وعبد الصبور شاهين، ط11، دار الوعي، الجزائر، 2012، ص66.

⁴ - Jacques Simon: Le MTLT (1947-1954), op. cit, p13.

⁵ - مرتاض: نهضة الأدب، مرجع سابق، ص36.

بأطرافها الثقافية والسياسية، استثمرت ذلك، بأن جعلوا للعروبة اللغوية مكانة في برامجهم ودعايتهم، ك مطلب لا يمكن التنازل عنه.¹ لذلك كانت المواجهة مع الاستعمار شاملة، فلم تقتصر على الميدان السياسي، فقد كانت مقاومة الاستعمار؛ تخط بين الأهداف الاجتماعية والثقافية والدينية.²

صعود النزعة القومية الثورية: ولا يمكن فهم معنى صعود النزعة القومية الشعبية وتفرعاتها؛ إذا لم ننتقل أولاً من خصوصيات تطور الجزائر، إن أول ملمح بارز من ملامح المجتمع الجزائري هو الطابع الاستعماري الخارجي العنيف الذي تعرض له، إذ استولى المعمرين على الأراضي الأكثر غنى، وكان تأطير البلد أوروبية بصورة شبه حصرية، كما احتكروا السوق الجزائرية تجارياً، كما أن الدولة الاستعمارية كانت تمارس سيطرة كلية على النشاطات، الثقافية، والدينية، للمجتمع الجزائري، بهدف اقتلاع الثقافة العربية والإسلام.³

ونظراً للصرامة الممزوجة بروح انتقامية في تطبيق القانون من قبل الفرنسيين، مع المبالغة في العقاب والجزر البالغين، كل ذلك نمى في النفوس كراهية النظام-الدولة(التي كانت تمثل الاستعمار) وأضحت معاداة الدولة الفرنسية هو عنوان الوطنية، وبالتالي فلا عجب أن يجد الخارجون عن القانون التأييد كمضطهدين؛ تفرض المروءة والشهامة نصرتهم، وينال كل من يقف في وجه الاستعمار وأعدائه؛ الإعجاب والتجاوب والتعاون والنصرة من الأهالي.⁴

حول انتشار الفكر الثوري بين الجماهير المسلمة في الجزائر، يشير المؤرخ الفرنسي جون رينييه جونتني J-René Genty فيقول: كشفت أحداث ماي 1945 عن تجذر الحركة الوطنية الثورية، بين أوساط الجماهير الفلاحية والحضرية في الجزائر، خاصة في شرق البلاد، إن مدى هذا الوعي ناتج عن عناصر كثيرة، منها أن عقول الجماهير بالكاد مستعدة لتصديق الوعود بالإصلاحات الفرنسية، والتي رسختها وحشية المواجهات وضراوة القمع خلال ماي 1945، ويرجح أن تكون أحداث تلك الأوقات قد لعبت دوراً مهماً، حيث اعتبرت أول عمل في حرب الاستقلال (الثورة) مما حدى بالشباب في جميع أنحاء البلاد؛ إلى الانضمام إلى حزب الشعب.⁵

¹ - مهساس أحمد: الحقائق الاستعمارية، مرجع سابق، ص 38- 49 .

² - حربي: جبهة التحرير الأسطورة. مرجع سابق، ص 21.

³ - نفسه: ص 21.

⁴ - عشراتي: مرجع سابق، ص 219.

⁵ - Jean-René Genty: *l'immigration Algérienne dans le nord pas de calais 1909-1962*, éditions l'harmattan ,paris, 1999, P13.

- ارتقاء القيود الاستعمارية وانتعاش الحياض السياسية: بعد نزول الحلفاء بالجزائر حرر مصالي من سجن لومبارز - باتنة سنة 1943 من جملة من حرر، لكن مصالي وضع تحت الإقامة الجبرية في بوغار قرب قصر البخاري، ثم نقل إلى قصر الشلالة (تابعة لولاية تيارت الآن)، وقد زاره فرحات عباس هناك، ورغم موافقة مصالي على مساعي فرحات عباس، إلا أنه أبدى بعض الملاحظات لفرحات عباس قائلاً: إنني أمنحك ثقتي، لتأسيس جمهورية جزائرية متعاونة مع فرنسا، لكن لا أثق البتة بفرنسا، لأنها لا تدعن إلا للقوة، ولا تعطي شيئاً إلا ما يفتك من يدها بالقوة.¹

رغم أن الزعيم مصالي الحاج كان قيد الإقامة الجبرية بالجزائر إلا أن الإدارة الاستعمارية دبرت له مكيدة، بعد تنامي أعمال أحباب البيان والحرية، التي أصبحت نشاطاتها تتزايد، وتثير قلق الاستعمار، بفضل حيوية مناصلي حزب الشعب، فنقل نهاية أبريل 1945 إلى المنفى في برازيل ب الكونغو.²

بقي مصالي في الكونغو إلى أن تقرر الإفراج عنه نهاية جوان 1946، في إطار الإجراءات الفرنسية لتلطيف الجو؛ بعد مجازر ماي 1945 بالجزائر، حيث نقل مصالي في رحلة عبر الغابات الإفريقية مدة شهرين، وامتدت أكثر من 2500 كيلومتر، أحياناً في شاحنة، وأحياناً في طائرة. لينقل في الأخير بالطائرة، إلى مطار أورلي بباريس، وبعد مدة حول إلى الجزائر، وكان الإفراج مشروطاً؛ فقد منع عليه الإقامة في المدن الكبرى، وعليه اختيار الضواحي في فرنسا، أو الجزائر، لذلك نزل في بوزريعة.³

بالنسبة لجهود التيار الثوري فقد أثمرت قوة وهيبة للجزائريين أمام الإدارة الاستعمارية والمعمرين، وأصبح الفرنسيون يتوجسون من أن الفجوة بين الطائفتين آخذة في الاتساع، وأصبحت شرائح الشعب الجزائري مدركة لقوتها، والبرجوازية الجزائرية تراقب الوضع بدافع الخوف لأن التقارب مع حزب الشعب الجزائري يعرضها للخطر لفترة طويلة، لذلك ستعيد تجميع صفوفها حول البيان والعلماء، بل لم يمنع ذلك الكثير من أبنائها ومن أبناء التشكيلات الأخرى من الانضمام إلى حركة الانتصار لاحقاً.⁴

والملاحظ في هذا الشأن أن خطاب حزب الشعب الثوري تأثر به غيره من الأحزاب، فمثلاً نواب فرحات عباس، وحتى الشيوعيين غيروا خطابهم، وطالبوا بأن تسيّر الجماهير المسلمة شؤونها عبر جمعية منتخبة، كذلك النواب المستقلين ومنهم: بن جلون، وسايح، وأورايح، تماشيا مع التوجه الجديد للحركة الوطنية، ومخافة أن يفقدوا مكانتهم لدى الجماهير المسلمة، قدموا طلباً بتشكيل جمعية تأسيسية جزائرية.⁵

¹ - وفرحات عباس: ليل الاستعمار، ص 112. - Stora : Op.Cit,p189.

² - بن خدة: مرجع سابق، ص 138.

³ - Stora: op.cit , p 196,197.

⁴ - Djanina Messali :Op, cit, p;89.

⁵ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، ص ص 1086 - 1090.

2- تأسيس الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية MTLD في الجزائر

أ - أهداف التيار الثوري من المشاركة في الانتخابات في مارس 1937 عاد مصالي إلى الجزائر بعد تأسيس حزب الشعب وأراد بحضوره أن يعطي صبغة شرعية لنشاط حزبه بالجزائر، لكنه اعتقل بتاريخ 27 أوت 1937 لكبح نشاط حزبه المتزايد، وغداة الحرب العالمية الثانية وبتاريخ (26 سبتمبر 1939) صدر مرسوم من الولاية العامة بحل*حزب الشعب وقمع مناضلي حزبه.¹ وظل التضيق على الحزب مقترنا بالتضييق على قاداته، فقد تم اعتقال مصالي في أوت لتتم محاكمته في 5 نوفمبر 1937، وحكم عليه بسنتين سجنا قضاها في سجن الحراش، وما كاد يقضي محكوميته حتى أحيل على المحكمة العسكرية في عهد حكومة فيشي بقيادة المارشال بيتانPétain، العميلة للألمان، بعد أن رفض التعاون معهم، حيث حكم عليه سنة 1940 بست عشرة سنة من الأشغال الشاقة، وعشرون سنة من الإقامة الجبرية، وغرامة بثلاثين مليون فرنك، مع أحكام ثقيلة على الكثير من قيادات حزب الشعب.²

لم تكن رغبة وهدف مناضلي وقادة التيار الثوري الحصول على المناصب النيابية أو اعترافا بالمؤسسات الاستعمارية، عبر مشاركتها في الانتخابات، وإنما اهتمت بذلك، لأنه كان المنفذ الوحيد لإسماع صوت المسلمين أمام غطرسة الإدارة والمعمرين، وكان حزب الشعب الجزائري يرغب في أن تكون الانتخابات ذات طابع استفتاء شعبي؛ على طرح فكرة هوية الأمة الجزائرية؛ ومبدأ الاستقلال كواقع لا يقبل المناقشة أو المساومة؛ وكدلالة على الإدانة النهائية للنظام الاستعماري؛ وخطوة لاسترجاع الهياكل السياسية للدولة الجزائرية التي تمثل سيادة الأمة الجزائرية، والتي كان آخر وجود لها زمن الأمير عبد القادر، وكخطوة أولى دعا حزب الشعب إلى انتخابات حرة، تؤدي إلى مجلس تأسيسي سيد، يطرح مسألة السيادة، ليحدد أسس الدولة الجزائرية المستقلة، ولم يكن الوصول للبرلمان هو الهدف، وإنما كان وسيلة لأهداف أبعده.³

بعد أن رفضت القائمة باسم حزب الشعب، بدعوى أنه حل منذ 1939، تخمرت فكرة تأسيس حزب؛ كواجهة سياسية قانونية لخوض الانتخابات، بعد عودة مصالي للوطن في 10 أكتوبر 1946 ببضعة أيام وبذلك ولدت: فكرة «الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية».⁴ فبعد مجازر ماي 1945 وارتداداتها

* - فرحات عباس في كتاب: ليل الاستعمار، ص 103 يذكر تاريخ الحل هو 29-09-1939 بينما بن خدة، والخطيب يذكر أن تاريخ حل حزب الشعب كان يوم 1939/09/26. - أيضا ينظر: بن خدة، جنور، ص 110، ينظر أيضا: الخطيب: حزب الشعب، ج1، مرجع سابق، ص 268.

¹ - فرحات عباس: ليل الاستعمار، مرجع سابق، ص 103.

² - زوزو: الهجرة، مرجع سابق، ص 59. - ينظر أيضا: فرحات عباس: ليل الاستعمار، مرجع سابق، ص 103.

³ - حسين آيت أحمد: روح الاستقلال مذكرات مكافح 1942-1952، تر: سعيد جعفر، منشورات البرزخ، الجزائر، 2002، ص10.

⁴ - رابح بلعيد: «حركة انتصار الحريات الديمقراطية»، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة، العدد 5، 1996.

على حزب الشعب انعقدت ندوة الاطارات الأولى لحزب الشعب أكتوبر 1946 في بوزريعة، وطرحت للنقاش مسألة انخراط الحزب في العملية الانتخابية، وقد دافع مصالي عن المشاركة في الانتخابات في مواجهة الرأي القائل بالسرية التامة للحزب للإعداد للثورة، وأبرز مصالي ضرورة الدمج بين المسارين: العمل القانوني، والعمل السري.¹ وحسب عبد الرحمان كيوان فإن حسين الأحول هو الذي اقترح تصميم الهيكل التنظيمي للحزب بجناحين: حركة الانتصار، والمنظمة الخاصة.²

وقد دعيت اللجنة المركزية لحزب الشعب الجزائري المحل منذ تاريخ 1939/09/26 للاجتماع؛ في شهر أكتوبر 1946 ببوزريعة*بالعاصمة من طرف مصالي، للفصل في مسألة المشاركة من عدمها، في أول انتخابات تشريعية في ظل الجمهورية الرابعة، ودام النقاش ثلاثة أيام، في الأخير تدخل مصالي وبفضل قدرته على الإقناع؛ تمكن من حمل اللجنة المركزية على التخلي عن التصلب، والعمل بنصيحة عبد الرحمان عزام الأمين العام لجامعة الدول العربية، التي قدمها لمصالي الحاج؛ والمتمثلة في اتخاذ البرلمان الفرنسي منبرا لتمرير خطابه للرأي العام الفرنسي، لإيصال رسالة الشعب الجزائري باستعمال المنابر الرسمية الفرنسية.³

ونظرا للحاجة لخوض الانتخابات، وبعد أن قرر الحزب للمشاركة في الانتخابات التشريعية في 16 نوفمبر 1946، قُدمت نفس قائمة حزب الشعب باسم حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وهكذا ولدت هذه الحركة بصفة رسمية في الأسبوع الأول من شهر نوفمبر 1946 تحت اسم «الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية».⁴

تم عقد المؤتمر الأول لحزب الشعب-حركة الانتصار في 15-17 فيفري 1947 بين بوزريعة وبلكور، حضره 55 إطارا يمثلون جهات الوطن.⁵ وقد تمخض عن قرار توافقي عبر الإبقاء على حزب الشعب في إطاره السري القديم، ومتابعة العمل القانوني العلني تحت مظلة «الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية»، وإنشاء جناح عسكري سري للإعداد للثورة، باسم المنظمة الخاصة والتي تم تدعيمها في

1 - حربي: جبهة التحرير، مرجع سابق، ص 42.

2 - ينظر: عبد القادر جيلالي بلوفة: حركة انتصار الحريات الديمقراطية في عمالة وهران 1939-1954، الامعية للنشر والتوزيع قسنطينة الجزائر، 2011، ص 25.

* - حسب المناضل محمد عبدون، فإن اجتماع بوزريعة الذي أكملت اجتماعاته في بلكور، كان في محلات تابعة للأسرة صاحبة العلامة الجارية الشهيرة «حمود بوعلام»، هذه العائلة كانت متعاونة مع حزب الشعب يستعمل شاحناتها للمناشير والاعمال السرية. ينظر: عبدون: شهادة، مرجع سابق، ص 91.

3- بن خدة: مرجع سابق، ص 162، ص 461.

4- نفسه: ص 162، ص 461.

5 - حربي: جبهة التحرير، مرجع سابق، ص 43.

مؤتمر زدين (عين الدفلى) في ديسمبر 1948.¹ ويذكر المناضل محمد عبدون أن هذه التسمية (الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية) كانت من اقتراح المناضل المحامي معيزة أبراهيم والذي توفي بعدها بأيام في حادث سيارة بين سطيف والجزائر *العاصمة.²

3- تجربة مشاركة حركة الانتصار في الانتخابات

لم يكن تزوير الانتخابات إلا جزءا يسيرا من السياسة الفرنسية، فقد كانت العملية الاقصائية للمسلمين مؤسسة وهي من بين أهم ركائز النظام الكولونيالي في الجزائر، والمتمثلة في اللاعدالة في توزيع الثروات والنفوذ السياسي، وبالنسبة لتزوير الانتخابات، فقديمه هي تجاوزات الإدارة الاستعمارية في حق التيار الثوري، منذ انتخابات 1937، وإمعانا في التعسف حين رفضت الاعتراف بفوز مصالي، معلنة فوز مرشح الإدارة، رغم فوز مصالي على منافس مرشح الإدارة بأغلبية كبيرة في انتخابات المجلس العام لعمالة الجزائر سنة 1937، رغم ذلك وفي انتخابات سنة 1939، فاز محمد دوار مرشح الحزب، وبذلك فقد زكى الشعب البرنامج الاستقلالي.³

في أول انتخابات بعد الحرب العالمية الثانية وهي الانتخابات التشريعية التي جرت في 16 نوفمبر 1946، أعطت هذه الانتخابات لحزب الشعب خمسة نواب منتخبين، رغم الطابع الارتجالي للتحضيرات، وتزوير الإدارة وضغطها على المنتخبين⁴، كان بإمكان الحزب أن يفوز في الانتخابات التشريعية في 16 نوفمبر 1946 بكل المقاعد، لولا تدخل الإدارة الفرنسية، بالمناورة والتزوير والضغط على المنتخبين، ولم تحصل حركة الانتصار إلا على خمسة مقاعد، ومال نصيب المقاعد الأوفر (8 مقاعد) لمرشي الإدارة والشيوعيين.⁵ بينما سجل حزب الشعب - حركة الانتصار حضورا قويا في الانتخابات اللاحقة، فرغم أن الإدارة الاستعمارية قامت بعرقلة اندفاع التيار الثوري أو حتى بتزوير الانتخابات البلدية أكتوبر 1947 حين

¹ - العلوي: 3ط، مرجع سابق، ص ص 240-246.

* - بمناسبة وفاة المناضل المحامي إبراهيم معيزة، في حادث سيارة بسطيف عائدا من الجزائر، كتبت جريدة المغرب العربي تحت عنوان: الجزائر في حداد جاء فيها ما يلي: « كانت جنازته يوم الجمع، وحضر الجنازة مصالي، ونفر من النواب والسياسيين...والشعب، وهيئت فرنسا قوة أمنية...والجيش.. وطائرة تحوم للتصوير، كان نعش الفقيد حمل فوق الأكتاف، مسجى بالعلم الوطني، وهي المرة الأولى التي يظهر فيها اللون الجزائري علانية، إذا استثنينا مظاهرات 1945». ينظر: جريدة المغرب العربي العدد 18 سنة أولى 1948/01/16، أرشيف ولاية قسنطينة، علبة رقم 30. وفي عدد اخر تكلمت الجريدة عن ظهور العلم الوطني: وفي جنازة المناضل حسين عسلة ذكرت بان الموكب به عربة ملفوفة بالعلم الجزائري. ينظر: جريدة المغرب العربي، العدد الثامن 16-01-1948. الأرشيف الولائي بقسنطينة. المدينة الجديدة علبة رقم 30.

² - عبدون: مرجع سابق، ص 89.

³ - بن خدة: مرجع سابق، ص 108، 109.

⁴ - مقالاتي: مرجع سابق، ص 184.

⁵ - نفسه: ص 183، 184.

اتخذت الإدارة تدابير متنوعة، مثل رفض بعض ترشحات حركة الانتصار، والإعلان عن تنظيم الانتخابات قبل موعدها بثلاثة أيام عوض 15 يوم كما ينص القانون، وصناديق التصويت مملوءة بأوراق مرشحي الإدارة، وفتح مكاتب التصويت قبل موعدها بساعة، ورغم ذلك حصدت حركة الانتصار أغلبية المقاعد المخصصة للمسلمين.¹ في هذه الانتخابات خيّرت حركة الانتصار على الناخبين أن يختاروا بين النظام الاستعماري من جهة، وبين الأمة الجزائرية الموجهة بتأسيسية (مجلس) ذات سيادة من ناحية أخرى، وبذلك اكتسحت حركة الانتصار مجمل المقاعد المخصصة للمسلمين في انتخابات 1947 البلدية، قاهرة خصومها، وهنا يظهر جليا أن الشعب الذي كان يريد فكرة الأمة قد ضمن الانتصار للحركة في هذه الانتخابات، فاستولت على 110 بلدية ومنها بلديات المدن الكبرى.²

لم تكن الانتخابات ودستور الجزائر إلا أشكالا صورية؛ إذ بقيت الممارسات الاستعمارية، فرغم فوز حركة الانتصار في الانتخابات البلدية؛ فإن المنتخبين الأوروبيين رفضوا أي تعاون مع المنتخبين المسلمين، ولم يخولوا منتخبي حركة الانتصار أي مسؤولية جادة لتنشيط الجماهير المسلمة.³ كما دأبت الإدارة الفرنسية في الجزائر على عرقلة وجود انتخابات نزيهة، والتدخل دائما لتوجيه نتائج الانتخابات لصالح الاستعمار، وهو ما حدث في كثير من الاستحقاقات الانتخابية بل حتى أصبح عندما يذكر التزوير آنذاك - يقال على الطريقة الجزائرية.⁴

وكعيّنة عن اللاعدالة في العهد الاستعماري نأخذ ما عبّرت عنه نتائج انتخابات 1947، فرغم انتصارات حزب الشعب-حركة الانتصار في الانتخابات البلدية أكتوبر 1947 بنسبة ثمانين بالمائة من المقاعد المخصصة للمسلمين في المدن الجزائرية الكبرى، فإنه لم يكن هناك أبدا رئيس بلدية جزائري مسلم، لأن قوانين التفرقة العنصرية في الجزائر تمنح الأوروبيين ثلثي أعضاء المجلس البلدي، وبالتالي لا يمكن أن يكون رئيس البلدية من المسلمين. ورغم انتصارات حزب الشعب في الانتخابات 1947 البلدية بنسبة 80% في المدن الجزائرية الكبرى من المقاعد المخصصة للمسلمين، لم يكن هناك أبدا رئيس بلدية من المسلمين، والسبب أن وفي كل بلدة كبيرة أم صغيرة، ولو كان المسلمون أغلبية نسبة 95%، فإن منتخبيهم حسب قوانين التفرقة العنصرية لا يمثلون إلا تقريبا ثلث أعضاء المجلس المنتخبين، وحين انتخاب رئيس البلدية فالأغلبية دوما للأوروبيين قانونا، وهناك وجد استثناء للقاعدة في مدينة تبسة، حين فاز مرشح حركة الانتصار

¹ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص1127، 1136.

² - قداش: جزائر الجزائريين، مرجع سابق، ص366.

³ - محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ص1128 ص1132.

⁴ - مقالاتي: مرجع سابق، ص184.

بدعم من الشيوعيين الأوروبيين في المجلس البلدي في الانتخابات البلدية لسنة 1951.¹ كان للانتخابات الفرنسية في الجزائر خصائص ما عهد بمثلها في فرنسا، وعلق أحدهم على ما جرى في انتخابات التجديد فيفري 1951 بقوله: «أن تزوير الانتخابات أسطورة الجزائر»، ونفس الشيء جرى في انتخابات جوان 1951، وكانت آليات التزوير تجري من خلال طريقة تنظيم مكاتب الاقتراع، وتوزيع البطاقات، وطريقة استعمال الصناديق، وإعفاء الناخبين من القيام بواجبهم، هي الطرق المشهورة للتزوير، وهو ما يشهد به مراسل جريدة لوموند الفرنسية Le Monde الذي استمع لعشرين مواطنا أخبروه «إنهم ينتخبون عوضا عنا»، حتى يقول أحد المؤرخين المعاصرين: ش.أ.جوليان Julien عن تزوير الانتخابات أنها مؤسسة من طرف الدولة وتعتبر مشروعاً للدفاع عن السيادة الفرنسية بل ينقل اعتراف أحد موظفي الإدارة أنه ينفذ الأوامر.² ويضيف شارل أندرو جوليان Julien لقد ربت الإدارة عقلية قد تكشف ذات يوم عن عواقبها الخطيرة، بتزويرها للانتخابات، سواء بالنسبة للمجلس الوطني الفرنسي أو المجلس الجزائري، خاصة في عهدي الحاكمين: نايجلان Naegelen وروجر ليونارد Roger Léonard.³

المتحدث باسم المعمرين الأوروبيين قال: إنه لمن العيب إعطاء حق الانتخاب للمسلمين، لقد استعملنا القوة لإحباط مشروع بلوم - فيوليت في عام 1936 واسقطنا الحكومة، إننا نستطيع أن نفعل نفس الشيء اليوم، لكن المسألة تتطلب رجال أقوياء في منصب الحاكم العام، يعرفون كيف يتم احترام حقوقنا واستعمال القوة، وبالفعل فقد تم استخدام "نايجلان" Naegelen ليقضي على "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" لأن السماح للوطنيين بالعمل معناه أن "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" سوف تتمكن من الحصول على 90% من أصوات الناخبين المسلمين في الجزائر، وعليه فإن الحاكم العام "نايجلان" Naegelen الجديد الذي تم تعيينه يوم 11 فيفري 1948، قد جاء ليوقف أي تقدم أو أي نجاح انتخابي لحزب حركة الانتصار.⁴ انطلقت عمليات الغش والتزوير أكثر مع انتخابات 4 أبريل 1948، والخاصة بانتخاب أعضاء المجلس الجزائري الجديد، حيث قامت الإدارة الفرنسية بتعيين أشخاص موالين لها، رشحتهم على أساس أنهم مستقلون، وفي المرحلة الثانية قامت عشية إجراء الانتخابات باعتقال معظم مرشحي حركة انتصار الحريات الديمقراطية (32 من مجموع 59 مرشح).⁵ كما قامت الإدارة الاستعمارية بمنع جرائد الحزب من الصدور،

1 - عبدون: مرجع سابق ص 84.

2 - جوليان: مرجع سابق، ص ص 358 - 360.

3 - نفسه: ص 364.

4 - بوحوش: مرجع سابق، ص 316 ، 317.

5 - نفسه: ص 316.

وعدم السماح بتوزيع البيانات عن العمليات الانتخابية، وفي مدن كثيرة؛ فإن بطاقات الانتخابات لم توزع بتاتا، وفي مدينتي قالمة، وسطيف، لم يتم الإعلان عن النتائج الانتخابية، وفي المناطق المعزولة؛ كان لمرشحي الإدارة الفرنسية سيطرة كاملة على الوضع، بالترغيب، أو التهيب. وبذلك كان المجلس الجزائري الأول يتكون كالتالي:

- 60 مقعد مخصص دستوريا للأوروبيين أي نصف مقاعد البرلمان الجزائري رغم أنهم لا يمثلون سوى عشر سكان الجزائر.

-60 مقعدا للمسلمين، وكانت نتائج الانتخابات بالنسبة للمسلمين كما يلي:

-41 مقعد للمستقلين الذين رشحتهم الإدارة الفرنسية- 09 مقاعد لحركة الانتصار- 08 مقاعد للاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري- 02 مقعدان للمستقلين الاشتراكيين.¹

في عهد الوالي العام ناجلان 1949-1951 صار التزوير في عهده نظاما، حيث طبع الانتخابات جو من الرعب، منها منع الاجتماعات لأنصار ومنتخبي حركة الانتصار، والتعسف مع جريدة الحزب الوحيدة «المغرب العربي»، والاختطافات، وعدم توزيع بطاقات الانتخاب، وتكوين مكاتب اقتراع اعتباطيا وكأنها مكاتب سرية، وملء صناديق الاقتراع بأوراق مرشحي الإدارة... الخ، وكانت التقديرات أن تتال حركة الانتصار 57 مقعد، لم تحصل منها سوى على تسعة مقاعد، أربعة منهم كانوا في السجن.² وكان التزوير الانتخابي قد بلغ أوجه في عهد الحاكم العام ناجلان Naegelen، لكن المهزلة كانت أكبر في انتخابات المجلس الجزائري فيفري 1951 والتي جرت تحت عنوان التزوير والرعب.³

يقول فرحات عباس أن الانتخابات أصبحت على طراز الوالي العام ناجلان قاعدة مضطردة، ويذكر أهم المحطات الانتخابية المزورة في عهد الاستعمار الفرنسي في الجزائر:

- تزوير وفضيحة في انتخابات مارس 1949.
- تزوير وفضيحة في انتخابات المجلس الجزائري الجزئية في فيفري 1951.
- تزوير وغش في الانتخابات التشريعية جوان 1951.
- تزوير وفضيحة في الانتخابات البلدية في أبريل 1953.
- تزوير وفضيحة في انتخابات المجلس الجزائري الجزئية التي جرت في جوان 1954.⁴

¹ - بوحوش: مرجع سابق، ص316.

² - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص1137، 1138.

³ - نفسه: ص 1229.

⁴ - ينظر: فرحات عباس: ليل الاستعمار، ص 136.

4- بعد الهوية في نشاط وإعلام حركة الانتصار

لم تحاول الدولة الفرنسية دمج الجزائريين المسلمين أو استيعابهم في منظومة الدولة، بل مارست الإقصاء والتهميش، والهوية المبهمة، إلى حد مزاحمة الأوروبيين للجزائريين في جزائريتهم، حين صار العنصر الأوروبي هو الجزائري، والمسلمون مجرد رعايا.¹ وهنا يقول سارتر Sartre أن النظام الاستعماري لا يعرف الرحمة، ففرنسا منذ اليوم الأول قد انتزعت من الجزائريين أملاكهم وأبعدتهم عنها، وعاملتهم على أنهم كم مهمل لا يمثلون حتى أنفسهم.²

بقيت الممارسات الاستعمارية سيدة الموقف ولمدة طويلة، وكان أهون على الجزائريين أن يفعلوا أي شيء، إلا افتتاح مدرسة عربية، لما يجدونه من المعارضة والتعسف والتكؤ من الإدارة الاستعمارية، بل حتى مقرئ القرآن للأطفال يعاني أهوالا من شر الحصول على رخصة، وقد يرفض طلبه.³ وكان من نتائج عدم اكتراث الفرنسيين بالتعليم، أن ظل معظم الجزائريين في معزل عن الاحتكاك بالفرنسيين، فخرس الفرنسيون من حيث أرادوا أن يربحوا.⁴

وفي حلقة من مسلسل التضييق على اللغة العربية وإقصائها، اعتبرت العربية لغة أجنبية سنة 1938 من قبل الإدارة الاستعمارية في الجزائر، ولم يتم التراجع عن هذا الظلم* ويتم الاعتراف بها رسميا إلا مع صدور قانون الجزائر لسنة 1947، والذي نص على أن تدرس في جميع مراحل التعليم، لكن هذا النص القانوني لم يسمح بتطبيقه على أرض الواقع، لأن نقابة المدرسين الفرنسيين دأبت على معارضته وعدم تطبيقه، بدعوى المس بالثقافة الفرنسية.⁵ ولتختم ذلك بالعودة لتعسفها في حق اللغة العربية، قامت السلطات الاستعمارية بإصدار قانون في 15 أكتوبر 1949 ينص على منع تدريس اللغة العربية، في المدارس الرسمية وفي المساجد الخاضعة لسيطرتها.⁶

الوضعية الثقافية الصعبة التي كان يعيشها الشعب الجزائري دفعت بحزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية إلى التفكير في إيجاد السبل الكفيلة لمواجهتها بطريقة فعالة، فأدركت ضرورة

¹ - ثنيو: مرجع سابق، ص 11.

² - سارتر: مرجع سابق، ص 18.

³ - مرتاض: نهضة الأدب، مرجع سابق، ص 36.

⁴ - نفسه: ص ص 24، 29.

* - المقصود هنا مرسوم شوطون وهو المرسوم الذي أصدره رئيس وزراء فرنسا، "كامي شوطون - Camille Chautemps في 8 مارس/ آذار 1938، حيث يمنع استعمال اللغة العربية للجزائر واعتبارها لغة أجنبية.

⁵ - حربي: الثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 92.

⁶ - بوعزيز: سياسة التسلط، ص ص 78-83.

تأسيس مدارس للتثقيف والتكوين وتوعية الشباب؛ للدفاع عن ثوابت الأمة ومقوماتها وعلى رأسها اللغة العربية، وتربية الشباب على مبادئ الدين الإسلامي، وتدريبهم التاريخ.¹

أظهرت عناصر في الحزب اهتماما حقيقيا ومتزايدا بالدين الإسلامي واللغة العربية، فخلال مؤتمر 1947 لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، تقرر تأسيس مدارس حرة، وعينت لجنة عليا من أجل الإشراف على هذه المهمة، وترأس أحمد بودة اللجنة والمكونة من: محمد مزغنة، عبد الحميد، مهري، محمد الدحاوي، عبد الرحمان العقون وغيرهم... ليتم في 1951 التأسيس الرسمي للجنة الشؤون الإسلامية (CAI) التابعة مباشرة للجنة المركزية لحزب حركة الانتصار وأثمرت مجهودات الحزب عن تأسيس مدارس معتبرة، حيث بلغ تعدادها في كل الجزائر 70 مدرسة تعاقب على التدريس فيها 750 أستاذ، وقد عرفت هذه المدارس تنظيما فعالا من حيث البرامج والتأطير حيث تم تعيين مفتشين جهويين للمدارس.²

أعطى الحزب أهمية خاصة للانتصار للهوية، والدفاع عن عناصرها؛ ففي كل المحطات التاريخية للتيار الثوري، كانت صحف الحزب لا تتوانى في توجيه سهام نقدها للإدارة الاستعمارية، والمعمرين في الجزائر، ففي إعلان حائطي نسب حينها إلى حزب الشعب، نظرا للهجته، تم إلصاقه في فيفري 1945، جاء فيه: «أيها الإخوة المسلمون إن حياة بلدكم في خطر... بسبب الاستعمار... تقهقرت اللغة العربية وأهين الإسلام... إن احترامنا واحترام ما نملك، لن يتأتى إلا في إطار قومية جزائرية».³

وقد صدرت صحف باللغة الفرنسية والعربية تابعة مباشرة للحزب، أو كان يديرها مقربون من الحزب، وقد تمتعت بمتابعة من القراء، نتيجة لطابعها العنيف تجاه الممارسات الاستعمارية، لذلك كانت محل متابعة من الأمن الفرنسي وتعرضت للتضييق، وكانت محل أوامر بالحجز والمنع، لذلك فإن معظمها لم يعمر طويلا ومنها ونحاول ذكر الصحف التي صدرت في عهد حزب الشعب- الحركة من أجل الانتصار:

1- L'Action algérienne 1944-1945 جريدة العمل الجزائري (صحيفة سرية)

كانت هذه الجريدة تطبع سريريا بالعاصمة، على يد شباب حزب الشعب، ومنهم طالب عبد الرحمان

1 - بلوفة: حركة الانتصار، أطروحة، ص ص، 222، 223 .

2 - نفسه: ص ص 222 223 .

3 - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص995.

وحسين عسلة وغيرهم، حيث كانت تتم العملية في عدة ورش، بينما كان الورق يجلب من عند أصحاب المطاعم، ولم تستطع الإدارة الاستعمارية الوصول إلى مصدرها، حيث كانت توزع بسرية، وكان لها صدى واسع نظرا لحدة مقالاتها، فكانت أول جريدة سرية جزائرية أصدرها حزب الشعب الجزائري بين 1944-1945.¹

2- جريدة La Nation Algérienne جريدة الأمة الجزائرية

جريدة سرية من أجل التحرير الوطني، تابعة لحزب الشعب-حركة الانتصار صدرت 7 أعداد بالجزائر بين 1946 و1947.²

3- جريدة L'emmigre المهاجر

صدرت ببافيس 1948. من أجل تحرير شمال إفريقيا، وهي لسان حال كفاح المهاجرين الجزائريين بفرنسا، وهي استمرارية جريدة للأمة، وجريدة العمل الجزائري، وجريدة الأمة الجزائرية.³

4- جريدة L'Algérie libre الجزائر الحرة

صدرت بالتوازي مع صدور جريدة العمل الجزائري سألقة الذكر، وتمتعت بمتابعة من القراء، نتيجة لطابعها العنيف تجاه الممارسات الاستعمارية، لذلك كانت محل متابعة من الإدارة الاستعمارية، فمن 1949 إلى 1951 لم يصدر منها إلا 29 عدد، كان 28 عدد منهم محل أوامر بالحجز، صدر منها العدد الأول بالجزائر، والمالية بفرنسا.⁴

وبصحيفة L'Algérie libre جريدة «الجزائر الحرة» الصادرة بتاريخ 11 مارس 1950 كتب مصالي الحاج في الصفحة الأولى عما تعرض له الحزب: «في 25 يناير 1937، قامت حكومة الجبهة الشعبية برئاسة السيد ليون بلوم بحل نجم الشمال الإفريقي اتبع هذا القرار قمع سياسي عنيف، في كل من فرنسا والجزائر، موجه ضد المناضلين الوطنيين، من خلال تلك الأعمال كان يعتقد في الدوائر الحكومية الفرنسية، إمكانية خنق الحركة الوطنية الجزائرية في مهدها، قبل أن تطأ قدمها تراب الوطن، الصحافة الإمبريالية في ذلك الوقت قامت بإثارة الرأي العام ضدنا...، على أمل رؤية الجزائريين أنفسهم يضعون حدًا لوجود الحركة. وفي ظل هذا الجو النضالي، ولد حزب الشعب الجزائري في 11 مارس 1937 في باريس، بعد تفكيك نجم شمال إفريقيا، منذ هذه الولادة، لم يتوقف النضال من أجل

¹ - قداش: الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق ص 955، ص1383.

² - زهير احداث: الصحف المكتوبة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2012، ص ص46-60.

³ - أيت أحمد: مرجع سابق، ص120، 123.

⁴ - قداش: الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص 1228.

الاستقلال لحظة واحدة. وبتشكيل حزب الشعب الجزائري سيبدأ فجر جديد للجزائر، وسينقل مقر الحزب الذي كان حتى ذلك الحين في باريس، إلى الجزائر العاصمة، إنها العودة إلى الحزن الوطني، بعد الهجرة وسنوات طويلة من الغربة»¹.

4- **جريدة المغرب العربي** 1947 التي أسند مصالي إدارتها ل محمد سعيد الزاهري صدرت في حركة الانتصار وكانت جريدة المغرب العربي تصدر باللغة العربية وحملت لهجة حادة ونفتطف من مما جاء في بعض أعدادها:

«ولكن يوما ما ننتظره وسوف ينسينا مرارة الاحتلال، وهذا اليوم هو الذي تتخلص فيه الجزائر من مخالب الاستعمار الفرنسي، يوم ننال حريتنا واستقلالنا»². وجاء في جريدة الحزب «البرلمان الجزائري» تحت عنوان: محاربة اللغة العربية: «محاربة اللغة العربية ظهرت كأحد النقاط الرئيسية في البرنامج الاستعماري فالإجراءات المطبقة ضد تعليمها دليل واضح، وهي رغبة لإبادة الشخصية الجزائرية الحية دائما»³.

جريدة المغرب العربي الاستعمار بجرائمه في حق اللغة العربية، ففي الصفحة الأولى من العدد السادس بتاريخ 08-08-1947، وفي زاوية بعنوان في الصميم حول دستور الجزائر، كتبت «المغرب العربي» بالبنط العريض: «نريد حق الحياة أولا جاء فيه: «وأما الأمة العربية الإسلامية صاحبة الحق في هذه البلاد، فإنها لا تُعطى شيئا ولا بعض الشيء مما يرضيها، إن الحكومة الفرنسية لو اعترفت باللغة العربية كلغة رسمية في هذا البلد العربي، لكانت أرضت جانبا كبيرا من مطامح هذا الشعب الأبي»⁴.

في جريدة المغرب العربي العدد السادس بتاريخ: 8-8-1947 وبإمضاء باسم "سياسي مستقل" جاء في الصفحة الثانية بعد تصريح فرحات عباس الذي قال إن الطريق إلى باريس أقرب من الطريق إلى القاهرة، في مقال بعنوان منطق الحوادث: «من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» ويضيف: «وحزب حركة الانتصار.. هو حزب عربي إسلامي شعبي بأتم معنى الكلمة، يخدم الشعب الجزائري». وتعليقا على انتصار حركة الانتصار في الانتخابات البلدية، كتبت جريدة المغرب العربي مقالا نفتطف منه:

¹ - L'Algérie libre ,11/ MARS /1950.

² - جريدة المغرب العربي العدد 18 سنة أولى 1948/01/16، أرشيف ولاية قسنطينة، علبة رقم 30.

³ - Le Parlement Algérien, 14 juillet 1939 , j n°6 , boîte N°190,ANA. -الأرشيف الوطني الجزائري بالعاصمة -

⁴ - جريدة المغرب العربي العدد 18 سنة أولى 1948/01/16، أرشيف ولاية قسنطينة، علبة رقم 30.

«إن الشعب الجزائري قد صوت من أجل فكرة الأمة الجزائرية».¹

وفي العدد 12 من جريدة المغرب العربي بتاريخ 60-01-1947 حول فوز حركة الانتصار في الانتخابات البلدية، جاء في الصفحة الأولى «إرادة الشعب من إرادة الله، وإرادة الله لا تقاوم»، «اليوم قال الجزائريون لا للفرنس- لا نتجنس- لا نندمج، الجزائر بلدنا، العربية لغتنا، الشرق قبلتنا.. أيها الشعب: سلام عليك يوم ولدت عربيا مسلما. سلام عليك يوم تترف بأجنحتك في سماء الاستقلال» وبنفس المناسبة وبعنوان «في لحق القول»: «لقد اندحرت اللائكية، والاندماج والاتحاد الفرنسي، لأنها تخالف نفسية الشعب، وتخالف الدين الإسلامي الحنيف، وانتصرت العروبة والإسلام، لأن ذلك من طبيعة الأمة».²

وفي العدد السابع عشر من جريدة المغرب العربي وبتاريخ 16-7-1948، جاء في مقال في الصفحة الأولى تحت عنوان: «لقد غرقت الجزائر في موجة الطغيان والعسف(الفرنسي) منذ إظهار هذا الشعب في الانتخابات إرادته القوية والصارمة، في أن يعيش عربيا مسلما يتجه إلى الشرق».³ كما منح الحزب في الأربعينات وبداية الخمسينات رعايته لإنشاء صحف أخرى، مثل :

6 - جريدة صوت الأحرار 1943.

7- جريدة السلام 1946 وقد صدرت على يد مجموعة من الطلبة.⁴

8- جريدة المنار التي كان يديرها محمد بوزوزو 1951.

9 - جريدة صوت الجزائر 1953 ومديرها مصطفى فروخي.

10 -جريدة صوت الشعب أوت 1954 وصاحبها مولاي مبراح وهو من جماعة مصالي بعد انشقاق حركة الانتصار.⁵

11 - جريدة النجم الجزائري الناطقة بالفرنسية أفريل 1948 في باريس.⁶

✓

¹ - جريدة المغرب العربي 15 ديسمبر 1947 و 26 مارس 1948 عن- محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ص1128 ص 1132.

² - جريدة المغرب العربي العدد 12 (06-01-1947) الأرشيف الولائي بقسنطينة، علبة رقم 30.

³ - جريدة المغرب العربي العدد السابع عشر بتاريخ 20- صفر - 1368 هجرية أرشيف قسنطينة ع30.

⁴ - أيت أحمد: مرجع سابق، ص120، 123.

⁵ - محمد بن صالح: الصحف، مرجع سابق، ص ص262-267.

⁶ - إحدادن: مرجع سابق، ص ص46-60

المبحث الثالث: الأزمة البربرية 1949

1- الاستعمار وسياسة فرق تسد

كان الإسلام هو الإطار الأمثل لتوفير الوحدة والإجماع بين الجزائريين؛ لذا كانت السلطة الاستعمارية تنتكر له دوماً، وتتشدد على المسألة البربرية، بطريقة تثير الشقاق أكثر،¹ كما يعترف بذلك السيد إميل ماسكري E. Masquray مدير مدرسة الآداب في الجزائر عبر نظريته: «محاربة الإسلام عدونا الأبدى»، ولتجسيد التمايز بين أوساط جماهير الشعب الجزائري،*بادرت الإدارة الاستعمارية منذ سنة 1857 إلى ترسيم «العرف القبائلي» كمصدر للتشريع في القبائل الكبرى (زواوة)، عوضاً عن القرآن والسنة لاقتطاع منطقة القبائل من الوطن والتركيز على فرنستها؛ بفتح المدارس الفرنسية في هذه المنطقة.² وكان السياسي الفرنسي جول فيري Jules Fer نهاية القرن التاسع عشر، قد أمر الحاكم العام الفرنسي للجزائر إدوارد لافيريير É. Laferrière بضرورة الإسراع في فتح أكبر عدد ممكن من المدارس الفرنسية في منطقة القبائل، وعندما أنشئت المندوبيات المالية بتاريخ 23-8-1898، قررت الإدارة أن يكون هناك فرعان: عربي وقبائلي، للتدليل على أن ثمة جنسين مختلفان في الجزائر.³ ومحاولة لعزل زواوة عن محيطها الثقافي. كانوا يتوجسون من كل فعل ثقافي وطني؛ فقد تحدث رئيس بلدية أقبو نيابة عن العديد من زملائه عندما أكد أن «العلماء يمثلون قاعدة مستقرة؛ تتطور على أساسها المشاعر القومية والمتشددة، عملهم مآكر، ومرن، وصارم في نفس الوقت إنهم بالتأكيد أخطر أعدائنا».⁴

¹ - ثيو: إشكالية الدولة، مرجع سابق، ص 464.

* - وكعبية من أعمال غلاة الاستعمار من ضباط وسياسيين يورد الباحث الجزائري محمد أرزقي فراد مايلي:

1- الكاردينال لافييري : كان يعتبر منطقة القبائل بمثابة لبنان إفريقيا الذي تخلت عنه أوروبا، لذلك أسس فرقة الآباء البيض من أجل نشر المسيحية في أوساط سكانها. لكن سياسته منيت بالفشل الذريع، فموقف سكان قرية آث فراح (عرش آث يرانن بولاية تيزي وزو) الذين أعلنوا موقفهم الصارم «نفضل أن نرى أولادنا يموتون، على رؤيتهم وقد تحولوا إلى مسيحيين».

2- كاميل ساباتي Camille Sabatier أحد السياسيين الفرنسيين الذين دعوا إلى تكريس «السياسة القبائلية» كوسيلة لإدماج سكان زواوة في الحضارة الفرنسية، واشتهر أيضاً بإشرافه على بناء سلسلة من المدارس الفرنسية، وغلق مؤسسات التعليم العربي (الزوايا)، وبسعيه الحثيث لإذكاء نار الخلاف بين صفوف السكان، بموجب سياسة فرق تسد.

3- أميل ماسكيري «Masqueray»، الذي ألف كتاباً عن خصوصية القبائل بقوانينهم العرفية، التي كان يرى فيها سلاحاً مهماً في يد فرنسا، يقول «إن واجبنا في الجزائر، هو محاربة جميع أشكال التوجه الإسلامي الذي هو عدونا الأزلي... فلنتخذ هذه القوانين القبائلية سنداً قوياً لسياستنا... فهي أداة لامتناهية القيمة؛ فكلما بادرنا إلى العمل بها إلا واتسعت الهوة بين العنصرين». 4- كما وقام كذلك «الجنرال شانزي» Chanzy باستبدال القضاة المسلمين بقضاة فرنسيين لتطبيق السياسة المذكورة. ينظر محمد أرزقي فراد : شارل روبيير أجبرون، مؤرخ تحدى الإيديولوجية الاستعمارية. الحلقة الثانية جريدة الشروق اليومية الجزائرية 2008/10/26.

² - محمد العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، ص 168.

³ - نفسه: ص 168.

⁴ - Matthew Connelly, a diplomatic revolution, p19.

وللدليل على أنها السياسة الاستعمارية الثقافية وفق مخطط مدروس؛ نورد قول المؤرخ الفرنسي جان مونيرييه J. Monneret في معرض كلامه حول السياسة الفرنسية فيقول: «خطأ آخر ارتكبه الإدارة الفرنسية هو عدم معرفتها كيفية استخدام الاختلافات العميقة الموجودة بين المتحدثين باللغة العربية والمتحدثين الأمازيغ، لإضعاف تأثير أكثر أشكال الإسلام راديكالية، ولاحقاً، القومية، على العقول الجزائرية».¹

وكانت مسألة إيجاد شرح عرقي بين المسلمين في الجزائر، موجودة كذلك لدى السياسيين، فبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وأثناء مناقشة قانون الجزائر في البرلمان الفرنسي، فيما يخص اللغة العربية، تدخل النائب جاك شوفالييه Jacques Chevalie الذي ترأس مدينة الجزائر فيما بعد، وحليف المعمرين الأكثر تطرفاً، حين أكد على مبدأ سيادة فرنسا، وإلغاء كل بند يؤدي إلى سيطرة الأهالي، بل وحتى عارض التعليم الإلزامي للغة العربية، فيقول: «إن جعل اللغة العربية إجبارية هي دفع المسلمين أكثر فأكثر نحو الإسلام، هو الأسلمة أكثر، وهو توطيد الأواصر مع الجامعة العربية، ومع كل أولئك الراغبين في استقلال الجزائر، وهو إدخال البربر عن طريق اللغة العربية تحت سلطة الإسلام؟» وهذا كلام ينم من جهة عن غطرسة وغرور، ومن جهة أخرى ينم عن جهل بالمعطيات الحضارية للمنطقة، ذلك أن الإسلام متجذر في المنطقة، والدليل أن جزء كبير من علماء الجزائر، كانوا من زواوة ، وعلى رأسهم ابن باديس.²

كانت السلطة الاستعمارية الفرنسية دوماً تشدد على المسألة البربرية، بطريقة تثير الشقاق، فالمسألتان البربرية والعربية خاض فيهما الاستعمار؛ وطرحهما بصورة سلبية تثير الخلاف والتشكيك والغموض، وكانت الحركة الوطنية تعي تماماً ضرورة تلافي ذلك.³ وقد جاء الرد من الشيخ البشير الإبراهيمي في مقاله له بعنوان «عروبة الشمال الإفريقي» الذي نشرته جريدة البصائر سنة 1951 جاء فيها: «من أباطيل الاستعمار أنه يسمي السوداني(الإفريقي)المتجنس بالجنسية الفرنسية ليومه أو لساعته فرنسياً، ويلحقه بنسبه ثم ينكر على البربري-مثلاً- أن يكون عربياً، بعد أن مرت عليه في الاستعراب ثلاثة عشر قرناً وزيادة، وبعد أن درج أكثر من ثلاثين جيلاً من أجداده على الاستعراب، لا يعرفون إلا اللغة العربية يتكلمون بها، ويتأدبون ويتعبدون بها، فليت شعري أيهما أقرب إلى الواقع، البربري المستعرب

¹ -Jean Monneret: **La guerre d'Algérie en trente-cinq questions**, Editions L'Harmattan, Paris, 2008, p21.

² - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص1093.

³ - ثنيو: مرجع سابق، ص 464.

أم السوداني المتفرنس؟»¹.

ويمكن حصر الأهداف الاستراتيجية وراء دعم فرنسا اللامحدود للحركة البربرية؛ المستنرة وراء المطلب الثقافي؛ فيما يلي:

1- القضاء على الأساس الأول لوحدة الهوية الوطنية، المجسدة لسيادة اللغة العربية، والتي تمثل الفيصل الوحيد بين الجزائر العربية المسلمة والجزائر الفرنسية.

2- القضاء على أهم عنصر في تحقيق الانسجام الثقافي، الذي يكّون نسيج الشخصية الوطنية لأية أمة في العالم ألا وهو عنصر وحدة اللغة.

3- إشعار الجزائريين "بتهديد" الوحدة الوطنية في حال المطالبة بسيادة اللغة العربية.

4- تدمير الروح الوطنية، عبر تشويش الولاء داخل الأمة الإسلامية، بمضاعفة عوامل الاختلاف، بل لا ينتهي المشروع لحد إثارة الشقاق بين أبناء الشعب الواحد، بل إن المخططات الفرنسية لها أهداف أبعد،

لعل أقربها كتابة اللهجات البربرية بالحروف اللاتينية، والانتقام التاريخي لهزائم فرنسا.²

5- ومن جملة أهداف السياسة الاستعمارية، تفويض أركان المجتمع المغاربي، بتوظيف النظريات القائلة بأن شمال إفريقيا بلاد بربرية، وأن العرب قوم غزاة كالرومان والبيزنطيين والفرنسيين، تجاوزا وجحودا لعروبة المغرب العربي «العروبة ليس بالمفهوم العرقي أو الاثني وإنما بمدلولها الثقافي العام».³

6- تم توجيه مناهج التعليم الفرنسي في الجزائر، ليخدم سياسة فرق تسد، لتبقى لها السيادة الأبدية في المنطقة، ولأجل تجاوز القومية الإسلامية الجزائرية، عملت فرنسا عبر التعليم على إحياء الثقافة الأمازيغية، من أجل تكوين قومية أمازيغية تصدم بالقومية العربية، وهي الفكرة التي تسربت مع الشباب إلى داخل حزب الشعب، بعد موجة الانخراط لشباب الثانويات سنة 1943.⁴

7- عمل الاستعمار على ضرب التماسك الاجتماعي، وهذا ما ينقله المؤرخ أجرون Ch.r.ageron على لسان أحد ساستهم الذي يقول: «على فرنسا ان تطور غريزة العداوة بين العرب والقبائل، وتدفع الجنسين على مواجهة بعضهما البعض، وفق مصالحنا».⁵

¹ - أحمد بن نعمان: فرنسا والأطروحة البربرية، ط2، دار الأمة، الجزائر، 1997، ص37.

² - نفسه: ص42، 44.

³ - بن خدة: مرجع سابق، ص237.

⁴ - أرزقي فراد مرجع سابق، ص71.

⁵ - ينظر: أجرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج1، مرجع سابق، ص ص 596-612.

2- خيارات الاستعمار لضرب الوحدة بعد انتفاضة 1945

بعد اكتساح الفكرة الشيوعية لمناطق كثيرة في العالم بين 1946 - 1947، تألق نجمها آنذاك لدى شعوب العالم، خاصة بين الطبقات الكادحة في أوروبا، التي كانت تعاني من سطوة وجبروت البورجوازية الرأسمالية، وفي إطار سعيه للتمدد إلى خارج أوروبا وخاصة المستعمرات، انتشرت موضة الأفكار اليسارية المشبعة بالروح العلمانية المعادية للدين والإسلام بالأساس، والتي اعتنقها الكثير من طلبة الثانوية في الجزائر، لذلك لجأت الإدارة استعمارية مباشرة بعد انتفاضة 8 ماي الثورية 1945 إلى اختيار عدد من العناصر المنتسبة بالثقافة الغربية، فدفعت بها إلى صفوف حزب الشعب الجزائري لتفجره من الداخل.¹ وهنا يقول عثمان سعدي «..تعلم أتباع النزعة البربرية...على أيدي فرنسيين، وعلى يد الآباء البيض، فغرسوا في نفوسهم كرههم لكل ما هو عربي، وعلموهم بالفرنسية أن العرب غزاة، وأن العربية لغة غازية، وأن البربر جرمان هاجروا من أوروبا، وذلك ليبرروا فرنسا الجزائر، وفرنسيتها قبل 1962».²

وقد نشط الحزب الشيوعي في الجزائر في نشر أدبياته بين شباب الثانويات والجامعات، نظرا للدعم الكبير الذي كان يلقاه من الحزب الشيوعي الفرنسي، الذي كان تعداد منخرطيه مليون عضو، والمتعاطفين معه خمسة ملايين، وله 166 نائب في البرلمان الفرنسي، لذا تأثر بأفكاره الكثير من الشباب، وكان بعض دعاة النزعة البربرية، متأثرين بأفكار الإيديولوجية الاستعمارية والشيوعية، والتي كانت تنكر وجود أمة جزائرية تشكلت بناء على ثوابت العروبة والإسلام، ومتأثرين بفكرة: أن الأمة الجزائرية، مازالت في طور التكوين (عرب. يهود. إسبان. مالطيين. فرنسيين)، وانطلاقا من ذلك، كان بعض دعاة النزعة البربرية، يلحون على الهوية البربرية وينكرون في الوقت ذاته الإسهام الحضاري العربي والإسلامي.³

ومن خلال تجاربه مع ثورات الجزائر المتتالية، عمل الاستعمار على محاولة إيجاد ثلثة في جدار اللحمة الوطنية، وكانت الإدارة الاستعمارية تدرك جيدا الدور الإيجابي الذي تؤديه العروبة الثقافية والإسلام في عملية التوعية والتجنيد الضرورية لتنظيم الشعب الجزائري، وإعداده للصمود ولخوض المعركة الحاسمة، لذلك هناك من يرى أن الأزمة البربرية؛ خططت لها الإدارة الاستعمارية لزرع الشقاق في أوساط حزب الشعب الجزائري، قصد منعه من توظيف الدروس المستخلصة من الثامن ماي 1945، والتي برهنت بما لا يدع أي مجالاً للشك، على أن الشعب الموحد؛ وراء قيادة متتورة؛ قادر على صنع المعجزة.⁴

¹ - الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر مرجع سابق، ج1، صص 166-168 .

² - بن نعمان: فرنسا والأطروحة البربرية، م، سابق، ص 37.

³ - بن خدة: مرجع سابق، صص 237. 238.

⁴ - الزبيري: تاريخ الجزائر، ج1، مرجع سابق، ص 166.

3- مقدمات ظهور الأزمة البربرية

كانت الأزمة البربرية تعبير بأسلوب مغاير، عن موقف اللاتكيين والشيوعيين، المنادي بمحاربة العروبة والإسلام، ذلك أن العروبة والإسلام يشكلان الأرضية الصلبة، التي تتركز عليها مقومات الأمة. وكان حزب الشعب الجزائري يتخذ منهما تعبيراً عن الذاتية الجزائرية، ويأتي بهما في مقدمة مقومات الأمة.¹

بعد انضمام مجموعة من طلبة الثانويات من منطقة القبائل إلى حزب الشعب، طرحت مسألة إدراج الأمازيغية كعنصر من عناصر الهوية الوطنية سنة 1946، ومع صعوبة مناقشة الحزب لمسألة قد تسبب معارك هامشية بين الجزائريين؛ وهم في أمس الحاجة لما يوحدهم؛ لا إلى ما يجزئهم، في زمن احتدمت فيه المعركة مع الاستعمار، تجاهل الحزب لهذه الأمر، لأنها مسألة ليس من السهل هضمها، إذ أن الجزائريين في الذاكرة الجماعية؛ ومدلول المصطلح للفظ «العربي» في الجزائر؛ لا يعني الناحية العرقية، بل يعني من ليس أوروبياً أي الجزائري المسلم، وقبايلي لا يعني نظرة عنصرية بل يعني جهة من الوطن، مثل سطايفي، وهراني، فكانت هذه الدعوة صدمة عندما طرحت أول مرة.²

حققت حملة الكيد للوحدة الوطنية أوجها سنة 1948، عندما اكتشف الوالي الفرنسي الأسبق بالجزائر «شاتينيون» Chataigneau أن قوة حزب الشعب الجزائري خطر على فرنسا في الجزائر، فقرر تدميره من الداخل، وذلك ببث النزعة البربرية في صفوفه، وبرز بالفعل تنظيم داخل الشعب تحت اسم «حزب الشعب القبائلي»، والذي تم مواجهته بفضل قادة الحزب من أبناء المنطقة وبذلك كان على قادة الحزب من زاوية العبء الأكبر للقضاء على الفتنة؛ وإزاحة رموز الفتنة خلال أشهر قليلة.³

تطورت الأمور بسرعة؛ وحسب الباحث محمد الهادي حارش؛ فقد قامت مجموعة من 15 شخص وعلى رأسهم واعلي بناي؛ بعقد اجتماع سري في قرية أروس قرب الأربعاء ناث إراثن، حيث حدد مطلب إدراج البعد الأمازيغي في الجزائر المستقبلية، إلى جانب مطلب تعجيل الكفاح المسلح، وخرجت الأمور للعلن مع المذكرة المقدمة من طرف مصالي إلى الأمم المتحدة، فكان رد رشيد علي يحي مسئول بالحزب آنذاك أن الجزائر ليست عربية بل أمازيغية، فجاء الرد من إدارة حركة الانتصار أن قامت بفصل كل من له علاقة بهذا الموضوع من إدارة الحزب.⁴

¹ - الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، مرجع سابق، ص 166-168 .

² - بن نعمان: فرنسا والأطروحة البربرية، مرجع سابق، ص37.

³ - نفسه: ص37.

⁴ - حارش: مرجع سابق، ص48،49.

بدأت مقدمات الأزمة البربرية في شكل تملل وثورة على موقف حزب الشعب من مجازر الثامن ماي 1945، وما أصدرته قيادته من قرارات وتوجيهات متضاربة، ثم تحول القلق إلى بحث في الذات والهوية، بفعل الواقع الثقافي الذي أوجده الاستعمار، نشطها مجموعة من المنتسبين لحركة الانتصار في فرنسا 1946-1948 بقيادة طالب جامعي يدعى رشيد علي يحيى، كان "رشيد علي يحيى" أكثر العناصر المدسوسة حقدا على العروبة والإسلام، وكان من أسرة متجنسة، وهي دلالة كبيرة على خلفيته، وكان تكوينه فرنسيا بحتا، وعلى الرغم من أنه لم يكن مناضلا، معروفا، وبفضل صلة القرابة التي تربطه بعضو اللجنة المركزية واعلي بناي وهو أحد مسؤولي المنظمة الخاصة بمنطقة القبائل؛ والذي كان آنذاك بالسجن، فبعث واعلي بناي توصية إلى مسؤول التنظيم أحمد بوده يوصيه بإرسال رشيد علي يحيى إلى فرنسا، حيث أدمج في صفوف التنظيم السياسي، ويسرعة ترقى رشيد علي يحيى في المسؤوليات، فشارك في اشغال مجلس فيدراليتها المنعقد في نوفمبر 1948.¹

عين رشيد علي يحيى من بين أعضاء اللجنة المديرية للحزب بفرنسا، وأسندت له رئاسة تحرير جريدة النجم بالمهجر، حيث سارع إلى توظيف أعمدتها لنشر النظرية الاستعمارية كما وردت في أدبيات الحزب الشيوعي ومنها قولهم: «الجزائر ليست عربية، وعروبتها ادعاء باطل يتنكر لوجود العناصر البربرية والتركية وغيرها، وليس صحيحا ما ينسب للإسلام من دور أساسي في تحديد الهوية السياسية الجزائرية، ولأجل ذلك يجب أن تكون اللاتينية هي السائدة في برنامج حزب الشعب الجزائري».²

بدأت دلائل بداية الأزمة في الاجتماعات، فبعد أحداث ماي 1945 انعقدت ندوة الاطارات الأولى لحزب الشعب أكتوبر 1946 في بوزريعة، ودافع مصالي عن المشاركة في الانتخابات، وأشار مصالي إلى لنصيحة عبد الرحمان عزام باشا، الأمين العام لجامعة الدول العربية «إن مشاكلكم غير معروفة، عرفوا بها إن أردتم أن تخرجوا من الحوار الثنائي مع فرنسا وتدويلها، دعوا الرأي العام يقف إلى جانبكم»، وهنا يتدخل أحد المسؤولين وهو أحد الأعضاء المتحمسين لفكرة البربرية، وهو واعلي بناي الذي لم يكن يشعر بأي تعاطف مع الجامعة العربية، معقبا على كلام مصالي قائلا: إن تدخل عزام باشا غير مقبول، وبلغ الأمر أنه في بعض الأوساط، بدأ يجري الكلام عن الجامعة العربية مرفوقا بالضحك، لقد كانت عروبة مصالي تغذي عداا خصومه، من أنصار النزعة البربرية.³

¹ -الزبيدي: تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، مرجع سابق، ص196.

² - نفسه: ص 168.

³ - حربي: جبهة التحرير الأسطورة، مرجع سابق، ص42.

4-قيادة الحزب والأزمة

من الواضح أن تلك الثقة التي عالجت بها قيادة الحزب هذه الأزمة، مردها إلى أن نسبة كبيرة من إدارات التيار الثوري تتحدر من منطقة القبائل (زواوة)، وبالتالي تولت هذه العناصر إخماد نار الفتنة، فمن مؤسسي نجم شمال إفريقيا وقادته الأوائل: نجد سي جيلاني محمد، وكحال أرزقي، وعمر عيماش، وراجف بلقاسم.¹

وحسب بن خدة فإنه على ضوء نتائج هذه المشكلة، ارتكزت سياسة حزب الشعب-حركة الانتصار، على العمل على دحض النظرية العرقية، التي بنيت عليها النزعة البربرية، وتنفيذ مزاعمها، دون المس بجوهر الثقافة البربرية، عبر استثارة النزعة الوطنية المتنافية مع هذا النوع من المعتقدات، وتعزيز وشائج الترابط، واستدعى الأمر التصرف بصرامة شديدة، لاستعادة التحكم في زمام الأمور، وتهدة روع القاعدة النضالية التي أصابها البلبلة، واستدعى الأمر إعادة لم شمل المناضلين في كل منطقة، وإعادة هيكلة فروع الحزب وقسماته، وإعادة تأسيس فيدرالية الحزب بفرنسا من جديد، واستغرقت هذه المهمة تسعة أشهر من العمل الدؤوب.²

ويضيف بن خدة إن إدارة الحزب فضلت التزام الحذر والتبصر وعدم التسرع في اتخاذ أية تدابير، وأرجأت ذلك إلى أن أصبح في حوزتها ما يكفي من الأدلة المادية حول المؤامرة، التي كانت تحاك في الخفاء، وذلك بعد أن وقعت في يدها رسالة، كان قد بعثها عمر أوصديق من السجن المدني بالجزائر العاصمة «سركاجي» إلى واعلي بناي، اتضح من فحوى الرسالة أن ثمة مساع حثيثة لهيكلته تنظيم حزبي داخل حركة الانتصار، يسمى حزب الشعب القبائلي، وكشف التحقيق الذي أجراه الحزب عن أسماء المحرضين، على هذا المسعى الانفصالي، وهم: واعلي بناي، عمر أوصديق، عمار ولد حمودة، والصادق هجرس، وقرر الحزب عقوبات ضدهم، ليس بسبب أفكارهم التي كان الحزب يعض الطرف عنها، وإنما على نشاطاتهم الانفصالية، واستطاع الحزب تجاوز هذه الأزمة بفضل الحزم والروح الوطنية لدى القادة، حيث كانت الوحدة أولوية لا مساومة ولا مساس بها مهما كلفت الظروف، إثر ذلك انضم أغلب المفصولين إلى الحزب الشيوعي، بعد أن تمكنت قيادة الحزب من وضع حد للأزمة، وأصدرت قرارا يقضي بفصل رشيد علي يحيى من الحزب؛ بسبب موقفه الانفصالي، وكل الذين تضامنوا معه، وتم صحيفة النجم بعد انحازت إلى رشيد والمتواطئين معه.³

¹ - محمد ارزقي فراد: مرجع سابق، ص ص 68-71

² - بن خدة: مرجع سابق، ص 243، 244 .

³ - نفسه: ص 243، 244.

5- دور أبناء زاوية في الحركة الوطنية والتبار الثوري

بعد أن أتينا على ذكر الأزمة، يجب علينا التنويه بدور أبناء زاوية على مر التاريخ، لكن لا يتسع المجال لحصر علماء الجزائر وقادتها السياسيين والعسكريين من أبناء زاوية وعلى رأسهم العلامة عبد الحميد بن باديس، وعلى سبيل المثال فمن مؤسسي نجم شمال إفريقيا وقادته الأوائل نجد سي جيلاني محمد، وكحال أرزقي، عمر عيماش، وراجف بلقاسم، كذلك لا نستطيع إحصاء العدد الكبير من قيادات ورجال حزب الشعب وحركة الانتصار اللاحقين.¹ ومن جهة أخرى فإن رهان فرنسا على المسألة العرقية لدفع الجزائريين للتناحر قد فشل نظرا للمعطيات التالية:

- إن الذين تصدوا للمؤامرة بشتى الوسائل كلهم من أبناء منطقة القبائل، الذين لا يستطيع المزايدة عليهم أحد. وعلى رأسهم السيد بلقاسم راجف، الذي قام بالدور الحاسم في تلك المواجهة، حيث كان يحظى باحترام كبير في أوساط المغتربين، لأجل ذلك فإن العملية سرعان ما خبت نيرانها، ولم ينجح المتآمرون في إرساء قواعد ما أسموه يومها بحزب الشعب القبائلي حيث كان رشيد علي يحيى وجماعته يعتقدون أنهم يشكلون قاعدة متينة لحركتهم.²

- بمجرد انتشار نبأ تمرد فيدرالية الحزب في باريس، وظهور نزعة تساند ذلك داخل العاصمة خاصة، قررت القيادة إرسال السيدين شوقي مصطفىوي، والصادق سعدي إلى فرنسا، من أجل القضاء على المشكل، وكان اختيار الرجلين مقصودة لانتمائهما لمنطقة القبائل، وكان الأول نائبا ثانيا لرئيس الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية، بينما كان الثاني عضوا بالمكتب السياسي المنتخب على إثر مؤتمر فيفري سنة 1947.³

- كانت منطقة القبائل حصنا منيعا لنشاط حزب الشعب على شاكلة الجزائر العاصمة ووهران والشمال القسنطيني والأوراس، كما شارك العديد من أبناء المنطقة الذين هاجروا إلى فرنسا في إنشاء نجم شمال إفريقيا، ثم حزب الشعب، وحركة الانتصار، مساهمين بذلك في إشعاع هذه التنظيمات السياسية.⁴ وقبل اندلاع الثورة لم يكتمل النصاب لتفجيرها، إلا بعد انضمام كريم بلقاسم ممثل منطقة القبائل لقيادة المجموعة المفجرة للثورة.

¹ - أرزقي فراد: مرجع سابق، ص ص 68-71

² - الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، مرجع سابق، ص169.

³ - نفسه: ص169، 170.

⁴ - بن خدة: مرجع سابق، ص239.

المبحث الرابع: حركة الانتصار وتجارب الوحدة على قاعدة الهوية المشتركة

1- الهوية من عامل للإقصاء إلى عامل للتحرر

بسبب مواقف الأقلية الأوروبية، وضغوطها المعرقلّة لأي تطور في صالح التعايش بين المجتمعين الجزائري والفرنسي، لم تعرف السياسة الفرنسية طيلة مائة و ثلاثين سنة في الجزائر أي تطور يذكر في استعدادها للتعايش مع أهل البلد على قدم المساواة في الحقوق والواجبات.¹ وكانت العملية الإقصائية للمسلمين مؤسسة، وهي من بين ركائز النظام الكولونيالي في الجزائر، فمن المفارقات أن فرنسا حين أنكرت على الجزائريين أنهم أمة؛ أخضعتهم لترسانة من القوانين؛ ميزتهم عن السكان الفرنسيين، وهذا التمييز هو إقرار جاء من الفرنسيين أنفسهم؛ حين تعاملت مع الجزائريين كأهالي مسلمين، لهم شريعتهم وتقاليدهم؛ وبالتالي هو إقرار بوجود أمة لها هوية* لكنها في نفس الوقت تتكر وجود أمة جزائرية، ف وقعت في التناقض.² وقد رأينا كيف أن الفرنسيين جعلوا من الدين أساسا للتفرقة العنصرية، فالمسلم في الجزائر مجرد رعية، والمسيحي القادم من أوروبا مواطن من الدرجة الأولى. وكنتيجة للسياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر أصبح الجزائري المسلم خارج القانون، فلا هو فرنسي يتمتع بحقوق المواطنة، ولا هو عربي مسلم يعترف له بهويته، فإن قال الجزائري إني عربي، أجابه رجال القانون لا أنت فرنسي، لست بعربي، وإن طالب العربي بحقوق الفرنسي أجابه نفس الفقهاء لا أنت عربي لست فرنسي.³

سببت القوانين الإقصائية ظروفًا صعبة عانى منها الشعب الجزائري، والتي سببها التوزيع غير العادل للثروات والنفوذ السياسي، كما يشير لذلك الأستاذ أحمد بومنجل (حزب أحباب البيان والحرية) الذي يذكر أن: ثروة الأوروبيين تفوق بـ 150% ثروة الجزائريين، وأجور الجزائريين أقل بست مرات عن أجور الأوروبيين، وذلك ما جعل أقل من مليون أوروبي في الجزائر يستحوذ على 67% من

¹ - زوزو: المرجعيات التاريخية، مرجع سابق، ص 15.

* - الهوية الإنسانية أيا كان المستوى فردية أو جماعية تتضمن مجموعة من العناصر:

- العناصر المادية: تتضمن القدرات الحياتيات الانتماءات الفيزيولوجية والسمات المورفولوجية.

- العناصر التاريخية: العقائد، الأحداث التاريخية، العادات. الأسلاف الولادة، الاسم القرابة،

- العناصر الثقافية والنفسية: وتتضمن النظام الثقافي، العقائد والرموز، القيم الثقافية، أشكال التعبير.

- العناصر النفسية الاجتماعية: تتضمن الأسس الاجتماعية، مثل السن، الجنس، المهنة، السلطة، الدور الاجتماعي، الأنشطة والانتماءات

والقدرات. ينظر: إليكس ميكثيللي: الهوية، مرجع سابق، ص 18-22.

² - ثنيو: مرجع سابق، ص 394.

³ - فرحات عباس: ليل الاستعمار، مرجع سابق، ص 82.

ثروات البلاد، و33% الباقية لـ 7مليون جزائري.¹

وعندما فُرض القانون الخاص الذي أقرته وفرضته فرنسا للجزائر (دستور الجزائر 1947) فإن كل الدوائر الاستعمارية الفرنسية سلمت بذلك، ولم تعارض، إلا أنه وُجد من الفرنسيين من يعارضه علانية ويتحسس الخطر، لدوام حالة اللامعادلة في الجزائر، ليس حبا في العدالة، ولكن اعتقادا منهم أن تصلب الأوروبيين في الجزائر يقودهم في النهاية إلى ما لا يحمد عقباه، وممن نبّه للأمر نجد السياسي الفرنسي موريس فيوليت Viollette الذي كان من المستعمرين القلائل بعيد النظر الذي أبدى رأيه محذرا: «إنني أرى بوضوح الظلم في هذه الأمور وأميز الخطر بجلاء».² وكان الاستعمار لا يريد أن يترك خيارا غير الخنوع التام أو المقاومة المستميتة؛ فكانت المقاومة هي الخيار الأنسب لانتزاع الحقوق بالنسبة للجزائريين، فقد استمدت الحركة الوطنية في الجزائر بكل أطيافها مادة المقاومة من: - التمسك بالهوية؛ - الحق في الحرية، - وكرد فعل على الفعل الاستعماري المبني على الاقصاء، وانطلاقا من ذلك استغلّت المتاح من وسائل المقاومة؛ ثم استثمرت الواقع؛ الدولي منطلقا من عدالة وشرعية المطلب.³ وكان حرمان الجزائريين من الحرية قد جعل شوقهم إليها يشتد، واشتياقهم للعدالة للديمقراطية يزداد، إلى أن اتخذوها عقائد وجعلوها ثوابت ومبادئ لهم، يرومون تحقيقها عندما تسترجع الجزائر سيادتها، واستعملوها سلاحا لمقارعة العدو ووسيلة لنضالهم السياسي ضده.⁴

كان مؤتمر سنة 1936 في تاريخ العلاقات الجزائرية الفرنسية فرصة من الفرص التي أضاعتها فرنسا، برفضها مد يدها إلى الجزائريين، ولعلها أحسن من الفرص السابقة لها واللاحقة، لم تماثلها حتى مناسبة أحباب البيان والحرية في مارس 1944 أثناء الحرب العالمية الثانية، وبشأنها نقرأ ما كتبه الشيخ بن باديس: «إنا مددنا إلى الحكومة الفرنسية أيدينا، وفتحنا قلوبنا، فإن مدت إلينا يدها وملأت بالحب قلوبنا فهو المراد وإن ضيعت فرنسا فرصتها هذه، فإننا نقبض أيدينا ونغلق قلوبنا فلا نفتحها إلى الأبد». وكان الأمر كذلك لأن رياح التاريخ التي هبت بعد ذلك، قد جعلت كل المحاولات الفرنسية تذهب سدى، وفي النهاية كان تعنت المعمرين هذا؛ في صالح الجزائريين، باعتبار أن تعنتهم قد قادهم إلى تضييع حتى المكتسبات التي ضمنها لهم الحكومة الفرنسية، في اللحظة الأخيرة بموجب اتفاقيات إيفيان مارس 1962.⁵

¹ - عبد السلام عكاش: مرجع سابق.

² - رايح بلعيد: مرجع سابق.

³ - ثنيو: مرجع سابق، ص 10، 11.

⁴ - زوزو: المرجعيات، مرجع سابق، ص 21.

⁵ - نفسه: ص 15.

2- بيان 10 فيفري 1943 وإمكانات توحيد الصفوف

أمام لامبالاة الحلفاء على المذكرة المقدمة لهم في 20 ديسمبر 1942، قامت الطبقة السياسية الجزائرية وعلى رأسها فرحات عباس بمبادرة أخرى، فأصدروا «بيان الشعب الجزائري» يوم 10 فبراير 1943، والذي نال تأييد النخب التقليدية، نواب، وقيادات، وأكدوا تضامنهم مع البيان، وبالتنسيق مع الأمين الدباغين، حرر فرحات عباس البيان، وتم الأمر بتقويض من كتلة المنتخبين، ودعم كل من حزب الشعب الجزائري، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والطلبة، وبذلك اكتملت الوحدة الوطنية في هذه التجربة الوحيدة، بفضل توضيحات وإصرار التيار الثوري، والذي فرض على الساحة الوطنية رؤيته.¹ وما تجدر الإشارة له، فإنه حتى البورجوازية المسلمة (نواب وقيادات) أكدت تضامنهم مع البيان، الأمر الذي أدهش الإدارة الاستعمارية التي لم تفهم ماذا حدث لأصدقاء الأمس، هنا يمكن القول أن الجزائر كانت على موعد مع الحقيقة.²

مع هذا الجو الوطني، بدأت سحب الاستعمار التي كانت تغطي الحقيقة تتبدد؛ فقد ارتقت الحركة الوطنية لدرجة من الوعي السياسي والحضاري، الذي لا يمكن التراجع عنها، وبذلك ورد في بيان 10 فيفري: «لقد انتهى الزمن الذي كان فيه الجزائري المسلم لا يطلب سوى أن يكون جزائرياً مسلماً... إن الجنسية الجزائرية والمواطنة الجزائرية هما اللتان تمنحان المسلم الجزائري الأمن الأوفر لكونه جزائرياً مسلماً، وتعطيان وضوحاً وحلاً أكثر منطقية لمشاكل تحرره وتطوره».³ ولم يغيب عن لهجة بيان العاشر فيفري 1943 الإشارة إلى التعلق بالإسلام، القاسم المشترك بين الجزائريين، ففي مطلع البيان: «يعرب ممثلو الأهالي بإخلاص أمام الله، عن وفائهم لتطلعات الشعب الجزائري المسلم، وإن هذا البيان تعبير عن شهادة صدق الإيمان»، وحول المقاومة والجهاد أشار البيان إلى «عشائر استبسلت في الدفاع عن الأرض، وخاصة عن هذا الإسلام الغالي».⁴

كانت لهجة البيان تحمل رسالة؛ مفادها أن الإسلام هو الأساس لتوفير الوحدة والإجماع، فرفض الجزائريين للجنسية الفرنسية مؤسس على العامل الديني، لذلك وفي هذا الصدد جاء في بيان 10 فيفري 1943 «أما شعب مثل شعب الجزائر الذي تعرض للاحتلال بالقوة، فهو شعب موحد في إطار من التقاليد واللغة والدين والحضارة، التي جعلت منه أمة قائمة على العنصر الجزائري، إذ دلت تجارب طويلة، على أن سياسة تجنيس المسلمين الجزائريين، التي انتهجتها السلطة الفرنسية، من أجل منحهم صفة المواطنة الفرنسية،

¹ - سعد الله: الحركة الوطنية، ج3، ص269.

² - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، ص922.

³ - سعد الله: الحركة الوطنية، ج3، ص269.

⁴ - تتيو: مرجع سابق، ص459، 463.

كانت تؤدي إلى المساس بعقائدهم الدينية، وتقاليدهم الأسرية»¹. كما ورد في البيان المطالبة بالاعتراف باللغة العربية لغة رسمية على قدم المساواة مع اللغة الفرنسية، وورد كذلك في ملحق البيان (26ماي1943) مطالبة بحرية تعليم اللغة العربية وهو ما أجبر الفرنسيين على الاعتراف باللغة العربية في دستور الجزائر لسنة1947.² ويتأكد البيان على ضرورة جعل اللغة العربية لغة رسمية ومساواتها باللغة الفرنسية، إنما هو إدراك من التيار الوطني لما للغة العربية من بعد تاريخي واجتماعي وثقافي للشعب الجزائري، يستند إليها في الإفصاح عن شخصيته، وكحجة لانتزاع الاعتراف الدولي بسيادته.³ وقد احتوى بيان 10 فيفري1943 على خمسة أقسام:

- تعرض القسم الأول إلى وضع الجزائر منذ نزول الحلفاء بها.
- ودرس القسم الثاني أهمية الحريين العالميتين في تحرير الشعوب.
- واستعرض القسم الثالث العلاقات الفرنسية الجزائرية منذ 1830، وسياسة فرنسا الاستعمارية.
- القسم الرابع تناول فشل الإصلاحات السابقة، وأهمية نزول الحلفاء بالجزائر.
- أما القسم الأخير فتضمن مطالب الجزائريين.⁴

وأكدت الوثيقة على مطلب صوغ دستور جزائري وفق اعتبارات أهمها :

- إدانة الاستعمار وإلغاءه، والعمل بحق تقرير المصير.
- منح الجزائر دستورا يضمن:
- الحرية والمساواة المطلقة لجميع سكان الجزائر من دون تمييز في الدين أو العنصر.
- إزالة الملكية الإقطاعية.
- الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية ومساواتها باللغة الفرنسية.
- حرية الصحافة وحرية تأسيس الجمعيات.
- التعليم الإجباري والمجاني.
- حرية ممارسة الشعائر الدينية وتطبيق مبدأ فصل الدين عن الدولة.
- ومن الجانب السياسي مشاركة الجزائريين في حكم بلادهم.⁵

¹ - ثنيو: مرجع سابق، ص465.

² - سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، ص 26 . ينظر أيضا: - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، ص 1334 .

³ - ثنيو: مرجع سابق، ص469.

⁴ - ينظر: - سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج3. ص ص 268 - 272.

⁵ - جوليان: مرجع سابق، ص 316.

وجاء بيان 10 فيفري ليبرهن على إمكانية العمل المشترك، بين أجنحة الحركة الوطنية، ومن جهة آخر ليين نهائيا وللعن، إلى استحالة الاندماج بين العنصر المسلم الجزائري والعنصر الأوروبي، فالكثلتان بقيتا متميزتين عن بعضهما البعض، لا تجمعهما مشاعر واحدة، ليؤكد البيان على المطالب التالية:

1- إلغاء الاستعمار.

2- الاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية.

3- وضع دستور يضمن هذه الإصلاحات.

غير أن فرنسا عملت على التتصل من مخرجات هذه البيان، بعد أن تطور سير الحرب لصالح

الحلفاء.¹

كان من أهم أهداف كتابة وثيقة بيان 10 فيفري 1943 تجاوز الروح الحزبية بين تيارات الحركة الوطنية، حين حاولت أن ترسي أرضية للجميع، بتوجهاتهم السياسية، إضافة لوضع الحلفاء والرأي العام العالمي أمام الأمر الواقع، وقد صدر البيان باسم الشعب الجزائري «بيان الشعب الجزائري» وركز على هذه الصفة، أي نسب السكان إلى اسم البلد، كما تفعل جميع البلدان في العالم، للفت أنظار العالم لما يجري في الجزائر، ولإقامة الحجة على الحكومة الفرنسية، بتذكيرها بواجبها تجاه الشعب الجزائري.²

بيان 10 فيفري كمشروع وحدوي على قاعدة الهوية المشتركة، نجح في توحيد تيارات الحركة الوطنية، والدليل أنه كان سبيلا لتوحيد أجنحة الحركة الوطنية تحت عنوان جديد، إذ فتح الباب لآفاق جديدة ومشاريع أكثر طموحا، لذلك وتتمة للعمل السابق تم الاتفاق فيها بين تيارات الحركة الوطنية على مشروع جديد، وفق مبادئ مشتركة والذي أطلق عليه اسم: «حركة أحباب البيان والحرية»، ورأى حزب الشعب في حركة أحباب البيان تغطية قانونية لتوسيع نشاطه في الجزائر، ووسيلة عملية للوصول إلى الجماهير الشعبية لإقناعها بتبني شعاراته، خاصة الاستقلال الشامل، لذلك كان قيادة وجماهير حزب الشعب، هي التي تسيطر في الواقع على نشاطات حركة أحباب البيان الحرية، التي اسست انطلاقا من أرضية بيان العاشر فيفري 1943، وكانت الإدارة الاستعمارية تدرك تأثير حزب الشعب على باقي التيارات.³

1 - فنان: قضايا ودراسات، مرجع سابق، ص 195.

2 - ثنيو: مرجع سابق، ص 459، 469.

3 - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص 952-960.

3- تجربة «حركة أحباب البيان والحرية»

أسست حركة أحباب البيان والحرية كتجمع حول نص بيان 10 فيفري 1943، وقد أودع قانونها الأساسي فرحات عباس في 4 أبريل 1944.¹ يقول فرحات: أسسنا في سطييف الحركة المسماة «حركة أحباب البيان والحرية» ودفعت أنا شخصيا قوانينها لعمالة قسنطينة وجددنا أهداف هذه الحركة فيما يلي:- المهمة العاجلة الدفاع عن البيان فيفري (1943) -نشر الأفكار الجديدة التي هي روح حركتنا.-رفض الاستبداد والعنصرية.-إسعاف كل ضحايا القوانين الاستثنائية.-إقناع الجماهير بمشروعية حركتنا.-ترويج فكرة انشاء دولة جزائرية مرتبطة فيدراليا بفرنسا. يضيف فرحات عباس: وكنت أشرح هذه النظرة في جريدة المساواة ونجحت الحركة ايما نجاح فتقاطر الناس الى مقر الحركة وبينما كان حركتنا تتقوى وتنتشر كان المعمرون يحيكون المؤامرات ضدها في الخفاء.²

وتعتبر حركة أحباب البيان والحرية، المحاولة السياسية الثالثة للوحدة بعد المؤتمر الإسلامي 1936، وبيان فيفري 1943، وبذلك استطاع حزب الشعب بفضل حيوية مناضليه؛ أن يفرض نفسه كقوة محركة لهذا الاتحاد، وبسرعة تكونت فروعه وتكاثرت.³ والمعروف أن حزب الشعب الجزائري، كان قد حل منذ 1939 فانضم عدد كبير من أعضائه إلى الحركة، وانطلقت موجة من الدعاية والاجتماعات والمناشير، بداية منذ يناير 1945، حيث انعقد في الجزائر مؤتمر للحزب، أهم مطالبه إلغاء البلديات المختلطة والحكم العسكري في الجنوب، وجعل اللغة العربية لغة رسمية.⁴ وشكل الإسلام عامل تعبئة، مع مشاركة العلماء في هذه الحركة، ورأى حزب الشعب في حركة أحباب البيان تغطية قانونية لتوسيع نشاطه في الجزائر، ووسيلة عملية للوصول إلى الجماهير الشعبية لإقناعها بتبني شعاراته خاصة الاستقلال الشامل، وكانت أهم مطالب المولود الجديد دستور جزائري وبرلمان منتخب، وحكومة جزائرية إلى جانب المطالبة بالاعتراف بالجنسية الجزائرية، والاعتراف بالألوان الوطنية.⁵

وكمؤشر على النجاح الأولي لفكرة أحباب البيان، توصلت اللجنة المركزية لأحباب البيان في العاصمة لإصدار 500.000 بطاقة انخراط وهو رقم كبير آنذاك كما ذكرنا،⁶ ويمكن للدارس أن يلاحظ بسهولة إن مبادئ حركة أحباب البيان، هي دليل واضح على تأثير تيارات الحركة الوطنية (حزب فرحات

¹ - ينظر: فداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، ص948

² - عباس: ليل الاستعمار، مرجع سابق، ص 111.

³ - بن خدة: مرجع سابق، ص135.

⁴ - سعد الله: الحركة الوطنية، ج3، صص 227-230.

⁵ - ينظر: فداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، صص 960، 973.

⁶ - جوليان: مرجع سابق. ص329.

عباس والشيوخيين والعلماء) بخطاب التيار الثوري، فراحت ترفع سقف مطالبها في وجه الاستعمار، خشية على قواعدها من سطوة حزب مصالي، وراحت تساير بعض الشيء حدة لهجة حزب الشعب، في التشديد بأمرية 7 مارس 1944.¹ وتم التشديد عند ميلاد هذه الحركة على أن أهدافها، وهي: المطالبة بفكرة الأمة الجزائرية ويدستور للجزائر يضمن للجزائر استقلالها، مع اتحاد فيدرالي مع فرنسا.²

أصبحت «حركة أحباب البيان والحرية» نشيطة تستقطب آمال الجزائريين على مختلف اتجاهاتهم خلال الحرب، وقد قامت بتعليق لافتات بالعربية في أهم المدن الجزائرية تعلن «لا للجنسية الفرنسية، نعم للجنسية الجزائرية، وتسقط الجنسية الفرنسية، وتعيش الجنسية الجزائرية للجميع»، وأعلن عباس نفسه في يونيو 1944 أن الوضع خطير، وأنه لا يمكن الانتظار حتى تتحرر فرنسا، بينما الجزائر ما تزال أرضا فرنسية، وانطلقت أصوات العلماء تنعت من يقبل بالجنسية الفرنسية بالكفر والخيانة.³ وانعكس هذا على القرارات الحازمة لحركة أحباب البيان والحرية في مؤتمر الحركة مارس 1945 المنعقد بالعاصمة، واستطاع حزب الشعب الجزائري ربط شركائه بالوطن الجزائري، والاستقلال، وبالعلم الجزائري؛ الذي كان بعضهم مستعدا لأن يضحي من أجله، وفي جو من الحماسة والقداسة الدينية، تمت تأدية اليمين على المصحف. ومع قراءة الحل المقترح كان المعتدلون كما المتطرفين حازمين، ونظرت الإدارة إلى هذه التطورات على أنها انتصار لحزب الشعب، حيث صوت المؤتمر على المبادئ التالية:

- الاعتراف بالجنسية الجزائرية.

- وضع دستور جزائري ديمقراطي جمهوري.

- استبدال المجالس الجزائرية ببرلمان منتخب.

- استبدال الحكومية العامة بحكومة جزائرية.

- الاعتراف بالألوان الوطنية.⁴

كانت هذه المبادرة لها أهمية كتجربة تاريخية، وإن كان لم يكتب لها النجاح وانفرط عقدها، بسبب التضارب في تحديد المسؤولية المتصلة بتحريك الجماهير في الثامن ماي 1945 بين فرحات عباس، وحزب الشعب.⁵

¹ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، ص995.

² - مقالاتي: مرجع سابق، ص176.

³ - سعد الله: الحركة الوطنية، ج3، ص222-223.

⁴ - ينظر - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، ص972، 973.

⁵ - نفسه: ينظر ص960، 972، 973.

4- تجربة تشكيل الجبهة الجزائرية من أجل للدفاع واحترام الحرية 1951

على غرار التجارب السابقة للوحدة 1936-1943-1944 حاولت القوى الوطنية الجزائرية مواجهة الإدارة الاستعمارية، وغطرسة باريس، بمزيد من التنسيق، وقد وجدت حركة انتصار الحريات الديمقراطية نفسها مرغمة على القبول باتحاد ينطوي على تراجع عن برنامجها، وقد جرى اجتماع، بمشاركة ممثلين عن حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وجمعية العلماء، والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، والحزب الشيوعي الجزائري، وبعض الشخصيات للتشاور حول مشروع وحدوي.¹

لجأت حركة الانتصار الى التنسيق مع الأحزاب الوطنية في ظل استبداد الادارة والمعمرين وعمليات التزوير المتكررة للانتخابات يقول فرحات عباس لقد كانت كتلة المعمرين تفتخر بانتهاكها حرمة القانون وبتجاهلهم للمسلمين الذين يغذون بضرائبهم ميزانية الجزائر يساعدهم في ذلك العملاء من النواب ويضيف فرحات عباس عن المعمرين: «وها هو نظري فيهم من الممكن أن نبرئ مريضا بالسرطان، ولكن من المستحيل أن نبرئ هؤلاء المستعمرين من الاستعمار».²

فبعد عمليات التزوير لانتخابات 17 جوان 1951، الخاصة بتجديد نصف أعضاء المجلس الوطني الفرنسي، حيث لم يفز ولا مرشح من قائمتي حركة الانتصار وحزب فرحات عباس، لذلك عملت التيارات الوطنية على تأسيس جبهة موحدة؛ حين بادرت كل من حركة الانتصار، وحزب فرحات عباس، والعلماء، والشيوعيين، بتشكيل «الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها» والتي عقدت جمعيتها التأسيسية في 5 أوت 1951.³ وبعد تأسيس الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها، حاولت الجبهة القيام ببعض النشاطات، ففي اجتماع لها أدان مؤسسو هذه الجبهة طرق التزوير الانتخابي، وكذا الأساليب المنتهجة إزاء الوطنيين الجزائريين؛ وقرروا مباشرة العمل:

1- من أجل إلغاء الانتخابات التشريعية المزعومة 17 جوان 1951، التي أدت في الحقيقة إلى تعيين الإدارة لرجال لم يفوضهم الشعب الجزائري، ويرفض منحهم الحق في التحدث باسمه.

2- من أجل احترام حرية التصويت لدى الهيئة الناخبة الثانية.

3- من أجل احترام الحريات الأساسية: حرية المعتقد، الرأي، الصحافة والاجتماع ضد القمع في جميع أشكاله.

¹ -صاري وقداش: صمود ومقاومات، مرجع سابق، ص 129.

² -عباس: ليل الاستعمار، مرجع سابق، ص 137. 145

³ - بن خدة: مرجع سابق، ص 290، 291.

4- من أجل إطلاق سراح المسجونين السياسيين؛

5- ضد إجراءات الابتزاز المتخذة ضد مصالي الحاج.

6- من أجل وضع حد لتدخل الإدارة في قضايا الشعائر الدينية¹.

وبخصوص الدوافع فإن حزب حركة الانتصار كان بمشاركته هذه، يريد الخروج من العزلة، خاصة بعد عدة مشاكل منها اكتشاف المنظمة الخاصة، لكنه في نفس الوقت لا يريد التخلي عن هدفه وهو الاستقلال التام، وهو ما حدى بمصالي الحاج، للتصريح لجريدة الجزائر الحرة في 25 أوت 1951: «الهدف المشترك الذي اتفقت عليه جميع الأحزاب لا يمثل غير برنامج عمل أدنى، والاتحاد داخل الجبهة اتحاد محدود.... يجب أن توسع الجبهة برنامج عملها إلى الاستقلال والسيادة الوطنية لبلدنا»².

لم تعمر طويلا هذه الجبهة فلم يمر عام حتى تبددت القوى الوطنية التي تم تجميعها بصعوبة. فقد كان الشعب الجزائري ينتظر علاجا أشد تأثيرا، لكن أعطي منوما. على حد تعبير محمد حربي³. ثم حاولت حركة انتصار الحريات الديمقراطية مرة أخرى، لإيجاد صيغة أخرى للاتحاد، في فيفري 1953، وباشرت صحيفته: جريدة «المنار»، شبه الرسمية، بنشر نتائج استطلاع موسع، حول إمكانيات اتحاد الأحزاب الوطنية الجزائرية، وكانت أغلبية الشخصيات المستجوبة، تنتمي إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية، والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وجمعية العلماء، وقد أوصت تلك الشخصيات بتشكيل جبهة لمناهضة الاستعمار، وعقد مؤتمر وطني، وتأسيس حزب واحد للتحرير الوطني للجزائر⁴.

وفي نهاية سنة 1953، أحرزت فكرة المؤتمر الوطني تقدما، ففي صحيفة الجزائر الحرة وبتاريخ 08 جانفي 1954 عرضت الفكرة، لكن لم يتم اعتماد فكرة المؤتمر الوطني من طرف باقي الأحزاب، التي كانت تخشى من الأرضية المعروضة: التحرير الوطني، استقلال الجزائر، التي تتبناها حركة انتصار الحريات الديمقراطية، في هذه الأجواء كانت حركة الانتصار تبحث لتفعيل العمل الوحدوي، حتى خارج القطر. ففي أفريل 1954 وبالقاهرة حققت حركة انتصار الحريات الديمقراطية رفقة أحزاب تونس والمغرب، وحدة الأحزاب الوطنية المغاربية، تحت يافطة الجامعة العربية، وضمن لجنة تحرير المغرب العربي⁵.

1 - صاري وقداش: صمود ومقاومات، مرجع سابق، ص 129.

2 - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج 2، ص 1234، 1268.

3 - حربي: جبهة التحرير، مرجع سابق، ص 80.

4 - صاري وقداش: صمود ومقاومات، مرجع سابق، ص 131.

5 - نفسه: ص 131.

المبحث الخامس: الهوية كمبرر لحق تقرير المصير في نشاط حركة الانتصار

1- الأهداف الاستراتيجية لمشاركة التيار الثوري في الانتخابات

باعتبار أن الحركة الوطنية في الجزائر إجمالا معنية بإرادة التحرر بشكل أو بآخر، فمن الطبيعي أن يظهر من بين أجنحتها من يعبر عن هذه الإرادة في أسمى صورها، وعلى هذا الأساس فإن التيار الثوري بمسمياته يُعد خير من جسّد هذه الإرادة، واستغل هذه المعطيات لمشروع بعث الدولة الجزائرية المستقلة، واسترجاع سيادة الشعب المغيبة.¹ وكان حزب مصالي يستغل الفرض للتذكير بسيادة الجزائريين على أرضهم وبكل ما يكرههم بهويتهم، ففي سنة 1947 قدّم وفد من حركة انتصار الحريات الديمقراطية للولاية العامة بالجزائر، طلبا بنقل رفات الأمير عبد القادر من دمشق للجزائر، وهذا المسعى جاء تأكيدا لاستمرارية المقاومة وهو ما جاء في تصريح لمصالي الحاج حين قال: إن حركتنا ليست إلا رفعا جديدا لعلم الأمير عبد القادر، الذي ناضل طيلة حياته عن حرية الشعب الجزائري واستقلاله.²

في ما يخص بحث الحزب عن استراتيجية لإبلاغ مطالب الشعب الجزائري للرأي العام الفرنسي والعالمية؛ فإن المسألة طرحت للنقاش أثناء انعقاد ندوة الاطارات الأولى لحزب الشعب أكتوبر 1946 في بوزريعة، حين تم التطرق لمسألة انخراط الحزب في العملية الانتخابية، حينها أشار مصالي إلى نصيحة عبد الرحمان عزام باشا، الأمين العام لجامعة الدول العربية: «إن مشاكلكم غير معروفة، عرفوا بها، إذا أردتم أن تخرجوا من الحوار الثنائي مع فرنسا، دعوا الرأي العام يقف إلى جانبكم».³ فحركة الانتصار كانت قد شاركت في الانتخابات وفق دستور 1947 فقط لإيصال صوتها، من خلال المجلس الجزائري والبرلمان الفرنسي، إلى الفرنسيين وإلى غيرهم، إذ أن مطلبها الأساسي هو إنشاء مجلس جزائري منتخب بالاقتراع العام.⁴ وفي هذا يقول آيت أحمد: «ليس الهدف هو إرسال برلمانيين إلى باريس، بل للدعاية والشوشرة، على شاكلة النواب الايرلنديين في لندن، وليس للمشاركة والتواطؤ».⁵ ومن خلال كلام آيت أحمد، نفهم أن الحزب كان يضع في الحسبان، أن مشاركته في الانتخابات ليست تسليما بالأمر الواقع، واعترافا بالوجود الفرنسي في الجزائر، وإنما كانت المشاركة في الانتخابات، من أجل هدف آخر؛ هو

1 - مهساس: الحركة الثورية، مرجع سابق، ص14. بتصرف.

2 - علال الفاسي: مرجع سابق، ص4.

3 - حربي: جبهة التحرير مرجع سابق، ص42.

4 - زوزو: المرجعيات، مرجع سابق، ص21.

5 - آيت أحمد: مرجع سابق، ص104.

استغلال كل الفرص؛ لإحداث اختراقات لصالح القضية الوطنية.¹

2- مختارات من تدخلات نواب الحركة في البرلمان الفرنسي

منذ اللحظة الأولى التي احتلوا فيها مقاعدهم في الجمعية الوطنية الفرنسية، صرح نواب حركة الانتصار وهم: الأمين الدباغين، محمد خيضر، مسعود بوقادوم، وأحمد مزغنة، وجمال دردور؛ بأن هدفهم الخاص من ذهابهم إلى باريس؛ لم يكن للتعبير عن ولائهم لفرنسا؛ وإنما من أجل إحاطة الرأي العام الفرنسي والعالمى إجمالاً بالأحوال غير الإنسانية التي فرضتها الامبريالية الفرنسية على الشعب الجزائري.²

وقد اغتتم نواب حزب الشعب-حركة الانتصار فرصة مناقشة قانون الجزائر، على منبر الجمعية الوطنية الفرنسية، لطرح القضية الوطنية أمام الرأي العام، حيث كانت كلمة الدكتور الأمين دباغين، حول وجود الأمة الجزائرية وديمومتها، الأكثر انتقاداً من النواب الفرنسيين، وكذلك تدخلات نواب الحركة الذين أعلنوا على منبر رسمي، بأن الجزائر لا تعترف بالوضع الذي أحدثه غزو 1830، وأن الجزائر ليست فرنسية ولا تحتاج أن تمنحها فرنسا قانوناً.³ كما اعتبر نواب حركة الانتصار؛ القرارات التي اتخذها المشرع الفرنسي بحق الجزائر في المجلسان الفرنسيان الأدنى والأعلى بشأن مشروع الحكومة على الجزائر بأنها باطلة، على أساس أنه ليس من حق هيئة تشريعية في فرنسا قانونياً وسياسياً وأديباً، أن تتشرع للشعب الجزائري؛ لأن الجزائر ليست أرضاً فرنسية، ولم تكن كذلك أبداً، وأن الشعب الجزائري لا يقبل أي حل لا يتضمن ضمان عودة السيادة القومية.⁴

ومن محاضر المجلس الوطني التأسيسي الفرنسي، الجلسة الثالثة 22 أوت 1946 نورد تدخلات نواب حركة الانتصار، رغم أن عددهم كان قليلاً، فهم خمسة فقط في البرلمان الفرنسي، واعتبرهم النواب الفرنسيون متطرفين انفصاليين، لذلك كانوا يحاولون بكل الوسائل الحيلولة بينهم وبين الكلمة، إلا أن نواب الحركة حددوا لأنفسهم هدفاً وهو التنديد بالوجود الاستعماري في الجزائر وإيصال مطلب الاستقلال بدون تردد أو موارد، ولذلك كانت تدخلاتهم عنيفة، تصدم آذان النواب الفرنسيين الذين لم يهضموا مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، لذلك وجد أكثر النواب الوطنيين صعوبات في تدخلاتهم، ومن الذين تعرضوا للمقاطعات مسعود بوقادوم، والدكتور الأمين دباغين.⁵

1 - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص ص 1086-1090.

2 - رايح بلعيد: مرجع سابق.

3 - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص ص 1086-1090.

4 - رايح بلعيد: مرجع سابق.

5 - العلوي: مظاهر المقاومة، ط3 مرجع سابق، ص ص 263-267.

وهذه مقتطفات من تدخلات نواب حركة الانتصار في المجلس الوطني التأسيسي الفرنسي "الجلسة الثالثة للمجلس الوطني التأسيسي الفرنسي":

أولاً: **بداية بتدخل مسعود بوقادوم**

النائب مسعود بوقادوم كان مكلفاً من أصدقائه في حركة الانتصار بعرض القضايا الثقافية والدينية عن الجزائر في البرلمان الفرنسي، ومما جاء في مداخلته: «سيداتي، سادتي، الاستعمار الفرنسي لم يكتف بالاستيلاء على كل الثروات الاقتصادية للجزائر، وباستغلالها لمنفعته وحده، إنه هاجم الإرث الثقافي والفكري لشعبنا... الشعب الجزائري له في الحقيقة شخصيته الذاتية التي انصهرت عبر القرون، وقد تكونت من وحدته الجغرافية، ومن وحدته اللغوية، والتاريخية، والدينية، ومن وحدة قيمه». وعلى إثر ذلك جاءت مقاطعة النواب الفرنسيين رداً على تدخل بوقادوم، وتكلم النائب موريس فيوليت Viollette قائلاً: «الشعوب البربرية والشعوب العربية، تكونان شعبين متناقضين تماماً». هنا يتولى بوقادوم الرد عليه قائلاً: «لا يوجد اليوم إلا شعب واحد عربي بربري، لكنه شعب واحد، هو الشعب الجزائري» يواصل بوقادوم: «... هذه الشخصية التي أراد الاستعمار أن يمحوها... الشعب الجزائري له دينه الإسلام، وله لغته العربية، وهما العنصران الأساسيان، للشخصية الجزائرية، التي غزاها الاستعمار». بعد ذلك تعرض بوقادوم بالتفصيل إلى مساعي فرنسا للقضاء على الشخصية الجزائرية، وطمس مقوماتها، بتحويل أوقافها ومساجدها عن أغراضها، وعن دور التبشير التنصيري في الجزائر، وبعد حملة مقاطعات متقطعة عدة مرات، طرف النواب الفرنسيين، على كلام بوقادوم يرد بوقادوم على الجميع بقوله: «لا تنسوا بأنني جزائري قبل كل شيء.. أنا مسلم قبل كل شيء».¹

ثانياً: **مقتطف من مداخلة الدكتور الأمين الدباغين**

من مداخلة الدكتور الأمين الدباغين في الجمعية الوطنية الفرنسية نوفمبر 1947 والذي كان نائباً عن حركة الانتصار، نقدم بعض ما جاء في مداخلته: «هب أن فرنسا أنجزت العجب العجاب في مستعمرتها الجزائر... وأصبح الشعب الجزائري الأكثر ثقافة والأكثر ثراءً، فإن الجزائر أمة». (مقاطعة واحتجاجات حادة من نواب الوسط واليمين وبعض مقاعد اليسار الفرنسيين). **يضيف الدباغين**: «ورغم أن الجزائر بعد كفاح بطولي خسرت سيادتها مثل تشيكوسلوفاكيا (انقسمت إلى دولتين سنة 1993 هما جمهورية التشيك وجمهورية سلوفاكيا) وبولونيا، في حرب كانت مأساوية، فإننا لا نقبل أن تكون هذه هي نهاية السيادة، فإن الجزائر ستستعيد حريتها ثانية، وترجع هي نفسها، ونحن على يقين من ذلك (احتجاجات ثانية).²

¹ - العلوي: مظاهر المقاومة، ط3 مرجع سابق،: 263-267 .

² - قداش: جزائر الجزائريين، مرجع سابق، ص 378. ينظر أيضاً: نص المداخلة كاملة: بن خدة: جنور نوفمبر، مرجع سابق، ص ص

3- تواصل التيار الثوري مع العالم العربي كعمق استراتيجي

في البداية أسس النجم على أرضية الكفاح المشترك لتحرير شمال إفريقيا، ولهذا لم تكن اهتمامات الحزب قطرية ضيقة، فكانت قيادة الحزب تتطلع للتعاون مع الأشقاء العرب، وتعلي صوتها لمناصرة العرب، ضد الاستعمار في المغرب العربي، وفلسطين، وسوريا، وغيرها، ونختار من خطابات مصالي ما يؤكد حرصه على مسألة الانتماء والهوية، فمن خطاب النجم الموجه إلى عصابة الأمم في 2 جانفي 1930 نقتطف منه: «أهذا هو احترام الدين الإسلامي؟»، أجبر الجزائريون المسلمون على الذهاب لمقاتلة المغاربة والتونسيين والسوريين، إختهم في العرق والدين»، وفي هذا إشارة إلى مسألة الانتماء، إذ يؤكد أننا جزء من الشرق مسلمون، لا نقاتل اخوتنا في الدين.¹

نظرا لحاجة التيار الثوري لحشد الدعم للقضية الجزائرية فقد انتبه لضرورة ربط علاقات بالعالم العربي كعمق حضاري وضرورة التنسيق مع الهيئات والحكومات العربية وحول الموضوع بشير الباحث نور الدين ثنيو فيقول: «إن التطلع إلى تأكيد الوطنية الجزائرية بمقوماتها، صاحبه الشعور بالخيبة من خطاب اليسار الفرنسي، مما جعل النجم يقترب من المثال العربي في التضحية، ونيل الاستقلال كأفضل طريقة للتعبير عن الوحدة العربية والمصير المشترك»، وهو الأمر الذي يتناوله مصالي في رسالة العتاب المفتوحة التي وجهها إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بخصوص مسألة الإلحاق قائلا: أن جميع الشعوب العربية والأمم المضطهدة، لم تنتازل عن وطنيتها ولا عن سيادتها، وقدمت تضحيات كبيرة، وضحت بما هو غال ونبيل لما هو أسمى، وليسوا بأفضل حالا من الجزائريين، وليس بعيدا منا، ما أحرزه الشعب المصري والسوري والعراقي، قادمهم كفاحهم إلى التحرير.²

بعد أحداث القمع الكبرى التي شهدتها الجزائر سنة 1945 تجددت اتصالات حزب الشعب مع حزبي الدستور التونسي، والاستقلال المغربي، لتأسيس جبهة موحدة ضد الاستعمار، فسافر سرا إلى تونس كل من الأمين الدباغين، ومبارك فيلالي (المعروف باسم عبد الله فيلالي)، وانضم لهما المناضل الشاذلي المكي، لسبر آراء قادة الأحزاب التونسية، ثم اتجه الأمين الدباغين، ومبارك فيلالي إلى المغرب الأقصى عبر تلمسان سرا.³ وانبثق عن هذه المساعي، توقيع وثيقة تعاون بين الأحزاب المغربية الثلاث: وقعها الأمين دباغين عن حزب الشعب الجزائري، ومنجي سليم وعلال بلهوان عن الحزب الدستوري

¹ - فنانش، وقداش: النجم، مرجع سابق، ص 73-75.

² - ثنيو: مرجع سابق، ص 226، 227.

³ - بن خدة: مرجع سابق، ص 151، 152.

التونسي، ومحمد بن ناصر عن حزب الاستقلال المغربي، لتحضير عمليات مشتركة ضد الاستعمار، إلا أن الاتفاق بقي حبرا على ورق ولم ينفذ، لذ قرر الجزائريون الاعتماد على أنفسهم في عملية التحرير إعدادا وتنفيذا.¹

جددت حركة الانتصار مساعيها الوحودية، عندما اشتركت حركة الانتصار الجزائرية في لجنة تحرير المغرب العربي التي أسست بالقاهرة سنة 1948، من قبل الأحزاب الوطنية المغاربية، وتم اتفاق الأحزاب المغاربية الثلاث، في لقاءها بالقاهرة عند التأسيس، على برنامج اعتبر أساس للعمل المستقبلي المشترك للأحزاب المغاربية، فالى جانب المطلب الأساسي وهو مطلب الاستقلال لكل أقطار المغرب العربي، تم التأكيد على المبادئ الأساسية، «وهي أن المغرب العربي بالإسلام، وللإسلام، وجزء لا يتجزأ من العالم العربي»، وتعاونه داخل الجامعة العربية على قدم المساواة مع الدول العربية الأخرى، أمر طبيعي وحتمي،² ومن أهم مبادئ اللجنة:

- لقد وجد المغرب العربي بالإسلام، وعاش بالإسلام، وسيقدم مستقبلا بالإسلام.
- ينتمي المغرب العربي إلى العالم العربي وتعاونه ضمن الجامعة العربية.
- ليس هناك هدف غير الاستقلال.³

واعتبرت مناسبة تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي، كتطور لصالح المغرب العربي وقضية التحرر، وعلقت جريدة المغرب العربي على ذلك بعنوان: «الاستقلال التام لكافة أقطاره الثلاثة، تونس، والجزائر، والمغرب الأقصى، وفي مقال بعنوان «غلط لفظي» حول مسألة انضمام المغرب الأقصى للجامعة العربية من عدمها، فكان تعليق الجريدة «الحقيقة ليس شرقي ولا غربي ولكنه عربي صميم العروبة».⁴ وتحت عنوان «رسالة القاهرة» كتبت جريدة المغرب العربي التابعة لحركة الانتصار العدد السادس السنة الأولى 1947، تعليقا على اعتراف الأمين العام لجامعة الدول العربية عبد الرحمان عزام بالسيد الشاذلي المكي، وحركة الانتصار، كتمثل شرعي ووحيد للشعب الجزائري، بأنها «تمثل مطامح الشعب الجزائري الذي هو عربي مسلم، وهي حركة وطنية عربية إسلامية، لا لائكية، ولا اندماجية، ولا عاملة ضمن الاتحاد الفرنسي».⁵

¹ - بن خدة: مرجع سابق، ص 151، 152.

² - صاري وقداش: الجزائر صمود ومقاومات، مرجع سابق، ص 124، 125.

³ - قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص 1175.

⁴ - جريدة المغرب العربي العدد الثامن 16-01-1948، أرشيف قسنطينة، علبة رقم 30.

⁵ - جريدة المغرب العربي العدد 6 السنة الأولى بتاريخ 08-08-1947، الأرشيف الولائي بقسنطينة، علبة رقم 30.

4- جهود خارجية لحركة الانتصار للتذكير بالهوية التاريخية للدولة الجزائرية

منذ نشأته أولى التيار الثوري أهمية خاصة؛ لمسألة الدفاع عن القضية الجزائرية؛ والتعريف بها والتذكير بهويتها من خلال النشاط الخارجي، واعتبر التيار الثوري ذلك واجبا لا يقل أهمية عن واجب الجهاد، وقد اكتسبت تلك المساعي لدى الحزب أولوية خاصة؛ كلما سُنحت فرصة لذلك، فضمن جهود التيار الثوري؛ فُعلت ورقة النشاط الخارجي، كسبيل للتعريف بالقضية الجزائرية، والتذكير بهوية الجزائر المستتلبة، وكانت خيارات التيار الثوري متعددة، للتعريف بقضية الجزائر، وإسماع صوتها في المحافل، بدأت مع مؤتمر بروكسل 1927 وتواصلت مساعي الحزب فيما بعد، وقد كانت تلك المساعي ذات جدوى، فما أن انطلقت الثورة التحريرية الكبرى حتى وجدت الجزائر من يقف إلى جانبها. وقد سبق وأن أشرنا إلى خطاب النجم إلى عصابة الأمم 1930، عند كلامنا عن نشاطات النجم. وبعد الحرب العالمية الثانية أعطى حزب مصالي أهمية خاصة للنشاط الخارجي، للتعريف بالقضية الجزائرية، على المستوى العربي والعالمى، مستغلا تداعيات نهاية الحرب العالمية الثانية على العلاقات الدولية.

حاولت حركة انتصار الاستفاداة من الواقع الدولي الجديد، خاصة الاستفاداة من تناقضات الصراع شرق-غرب، ومسايرة التطورات الحاصلة في العلاقات الدولية، والاستفاداة من الأمم المتحدة، التي توجه إليها مصالي الحاج بندايات، ضمنها مجموعة من الحقائق الحضارية والقانونية، التي تستحق بموجبها الجزائر دولتها في ظل الشرعية الدولية فمع تغير الظروف الدولية لصالح ارتفاع أصوات تؤيد حق الشعوب في تقرير مصيرها، وضعت القوى الوطنية في المستعمرات مشاريعها على محك الشرعية الدولية، خاصة مع نشأة الأمم المتحدة، لذلك تسارعت خطى الحركة الوطنية في الجزائر، وعلى رأسها حركة الانتصار، التي كثفت مساعيها لربط علاقات مع العالم العربي، والتنسيق مع حركات التحرر في المغرب العربي، ثم الحركات التحررية في العالم.¹

أ- أهم النشاطات الخارجية لحركة الانتصار

1- استطاع مصالي الحاج من خلال رسالته إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة سبتمبر 1947، من وضع لبنة جديدة في جهود إسماع صوت الشعب الجزائري في المحافل الدولية، ومما جاء في رسالته: «ليست الجزائر فرنسية لا في تاريخها ولا في موقعها الجغرافي ولا في لغتها ولا في دينها، فالشعب الجزائري كافح بكل الوسائل، السياسة الإجرامية الفرنسية لمحو الشخصية الجزائرية».² ففي

¹ - ثنيو: مرجع سابق، مقدمة الكتاب. بتصرف

² - قداش: جزائر الجزائريين، مرجع سابق، ص 373، 374.

إطار نشاطاته الخارجية جاءت رسالة مصالي الحاج إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة سبتمبر 1947، كحاكمة صريحة للاستعمار، وإدانة لا غموض فيها للسياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، حيث تضمنت الرسالة:

أ- أنّ الجزائر ليست فرنسية لا في تاريخها ولا في جغرافيتها ولا في لغتها ولا في دينها.

ب- كما ذكر مصالي بالسيادة الجزائرية وبالعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية للدولة الجزائرية مع الدول الأوروبية، والولايات المتحدة الأمريكية، قبل 1830م، وبالعلاقات الجزائرية الجيدة مع فرنسا، ومساعدتها لها إبان الثورة الفرنسية سنة 1789م.

ج- بيّن أن العدوان الفرنسي على الجزائر، هو استغلال وذكر مصالي الهيئة الأممية بمايلي:

د- حرمان الشعب الجزائري من الحريات الأساسية، ومن الممارسة الحرة للشعائر الدينية.

هـ- مخالفة فرنسا للمادتين 2 و3 من ميثاق الأطلسي، بانتهاكها للسيادة الجزائرية، ومخالفة فرنسا للمادتين 73 و74 من ميثاق الأمم المتحدة، وأنهى مصالي رسالته بطلب تدخل الأمم المتحدة لإيجاد حل للقضية الجزائرية، وهذا تماشيا مع ميثاق الأمم المتحدة في مادتيه 73 و74.¹

2- وجاءت نداء مصالي الحاج إلى هيئة الأمم المتحدة سبتمبر 1948م، للتذكير بمقاومة الشعب الجزائري ضد المحتل، وبيّن أنّ الجزائر أمة لها تاريخها وماضيها المجيد، وأنّ الجزائر كانت حتى 1830 دولة ذات سيادة واضحة المعالم والحدود.²

ب- -عريضة تنديد ضد إدماج الجزائر في الحلف الأطلسي 18. 03. 1949

حرص حزب الشعب الجزائري- حركة انتصار الحريات الديمقراطية دوما على التزام موقف مبدئي ثابت، فيما يتعلق بتمسك الشعب الجزائري بكونه وحده صانع استقلاله، والوصي الوحيد على مصيره، لذلك فإنه تقرر التعبير عن رأي الحركة، وتحديد موقفه ضد إدراج الجزائر ضمن مجموعة الحلف الأطلسي، تبعا لعضوية فرنسا في ذات الحلف، واعتبار ذلك من قبيل سياسة الأمر الواقع.³

وقد وجاء في العريضة التنديد ضد إدماج الجزائر في الحلف الأطلسي مايلي:

نظرا إلى أن هذا الإجراء يدل على إنكار تاريخ الجزائر.

نظرا إلى أن هذا الإدماج يعني التنكر الكامل لطموحات الشعب الجزائري.

1 - عمر بوضرية، تطور النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية 1954-1960م، دار الإرشاد، 2013، ص ص54-56.

2 - أحمد سعيود: العمل الدبلوماسي لجهة التحرير الوطني 1954-1958م، دار الشروق، الجزائر، 2008، ص ص 42-43.

3 - بن خدة: مرجع سابق، ص 498

- ونظرا إلى أن الشعب الجزائري قد عبر مرارا وتكرار عن أمله في استعادة سيادته الوطنية.
 - ونظرا إلى أن إدماج الجزائر ضمن الحلف المذكور، سيخلق من الناحية الدبلوماسية عقبة كبيرة، تحول دون إعادة تشييد الدولة الجزائرية الكاملة السيادة.
 - ونظرا إلى أن 10 ملايين من السكان الأصليين، يتمسكون بحقهم في استطلاع رأيهم عن كل صغيرة وكبيرة تتعلق بمصيرهم. ونظرا لما تقدم فإن الشعب الجزائري:
 - يندد بهذا الإدماج، ويعتبره محاولة جديدة للمساومة الوقحة. وأنه يعبر عن شجبه الكامل لهذه المساومة، على لسان ممثله والناطق باسمه الوحيد، ألا وهو حركة انتصار الحريات الديمقراطية.
 - يستنكر كل محاولة للمساومة بشخصيته الوطنية،
 - يرفض أية مساومة.
 - يعترض على فرض سياسة الأمر الواقع.
 - ولا يعترف لأي كان بحق التحدث باسمه.¹
- هذا وقد أتبعها الحزب بعريضة إضافية لنواب ومنتخبي حركة انتصار الحريات الديمقراطية ضد إدماج الجزائر في الحلف الأطلسي جاء فيها «.. فإننا نعترض بكل قوة ضد إدماج الجزائر في الحلف الأطلسي، ونعلن بصريح العبارة، أن الجزائر ليست فرنسا، وأنها لا تعترف بأي تحالف يُبرم باسمها من طرف الحكومة الفرنسية».²

ج- مذكرة حركة الانتصار إلى هيئة الأمم المتحدة 20 سبتمبر 1950

بواسطة هذه المذكرة أحاط الحزب جميع الحكومات إزاء مشاكل الجزائر، وكذلك بخصوص الالتزامات التي التزمت فيها الحكومة الفرنسية باسم الجزائر (الانضمام للحلف الأطلسي)،³ علما بأن محتوى عريضة التنديد السابقة ضد إدماج الجزائر في الحلف الأطلسي نفسها، قد تم إثراؤها وأعيد إدراجها ضمن مذكرة 20 سبتمبر 1950، وقد تناول مصالي في مذكرته هذه، تاريخ الجزائر منذ القديم، ليثبت أن الجزائر كانت عبر التاريخ أمة ودولة، ثم قدم حصيلة المدة الاستعمارية التي أدانها، ثم انتقل لتناول أوضاع الجزائر الراهنة، وبعدها قدم الحركة الوطنية الجزائرية التي يقودها منذ 1926م، وختم مذكرته بدعوة مندوبي الهيئة الأممية لإنصاف الشعوب المضطهدة قائلا: بينما نضع هذه الوثيقة في أيدي مندوبي الأمم المتحدة، يستمر الوضع الداخلي في التعقيد؛ القمع بأشكال عديدة مستمر في جميع أنحاء البلاد؛

¹ - بن خدة: مرجع سابق، ص 498.

² - نفسه: ص 498.

³ - زوزو: المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية، مرجع سابق، ص 111، 120.

ويخضع الشعب الجزائري للنظام الاستعماري؛ وهو في حالة حصار، يتم إيقاف الآلاف من الوطنيين في المقاطعات الجزائرية بموجب قوانين

الطوارئ، فالإدارة الجزائرية بيد الأقلية الفرنسية التي تمارس الإرهاب.¹

كما أسمع التيار الثوري صوت الجزائر في المؤتمرات الدولية ومنها:

3 - مشاركة الشبان الجزائريين في المؤتمر المناهض للإمبريالية لبلدان آسيا وإفريقيا (جويلية 1948) حيث تم تقديم عريضة، صودق عليها، لصالح «مجلس جزائري ذي سيادة» والتي أعيدت في أكتوبر 1949، وفي فيفري 1949.

4- كما دفع حزب «حركة انتصار الحريات الديمقراطية» بنفس البرنامج في مؤتمرات السلام والمهرجانات العالمية للشبيبة في براغ (1947) وبوداباست (1951) حيث يمثل الطلبة وأعضاء الكشافة الإسلامية الجزائرية.

5- وقد توجه حزب «حركة انتصار الحريات الديمقراطية» عدة مرات إلى جمعية الأمم المتحدة، وفي أكتوبر 1948، قدمت توصية تطالب بمجلس تأسيسي جزائري «ذو سيادة» للشعب الجزائري، قدمت هذه التوصية بواسطة وفد من «مؤتمر الشعوب»، وسلم الحزب نسخة من برنامجه الاستقلالي مباشرة للمنظمة الدولية.²

6- في نوفمبر 1948 قدمت الأحزاب المغربية الثلاثة الوطنية الدستور والاستقلال وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، مذكرة للأمانة العامة لجمعية الأمم المتحدة، أكدوا فيها حقوق الأمم الثلاث المغربية والجزائرية والتونسية، واقتروا كعلاج لذلك إلغاء الاستعمار، و«انتخاب مجلس تأسيسي في كل بلد، ووضع دستور ديمقراطي بها، وتحديد المصالح المشروعة للأجانب القائمين بشمال إفريقيا ضمن السيادة الوطنية».

7- وفي نداء آخر وجهه مصالي إلى جمعية الأمم المتحدة في ديسمبر 1948، حيث قام رئيس الحزب الوطني بالحوصلة السلبية ل118 سنة من الاستعمار، ورفض صيغة الاتحاد الفرنسي، وندد بالحروب الاستعمارية.³

✓

¹ - Jacques Simon: *Messali Alhdj-par les texte* op.cit ,p 64, 77.

² - صاري، قداش: المقاومة السياسية، مرجع سابق، ص103.

³ - نفسه: ص103. ص103.

المبحث السادس: الهوية في استعدادات بناء الدولة من خلال وثائق مرجعية

الهوية في مرحلة التعامل مع أفكار بناء الدولة استغل التيار الثوري المناخ الدولي، وانتشار الفكر التحرري، ونضج الشارع الجزائري، وأخطاء الاستعمار، كل هذه المؤشرات كانت عوامل مساعدة وعن احد هذه المؤشرات يقول المؤرخ ش.أ. جولييان Julien عن تخبط السياسة الاستعمارية: لقد أفضت تجربة القانون الأساسي 1947 إلى نتائج معاكسة لنوايا المشرع، ويواصل المجلس الجزائري انحرافات الهيئات النيابية المالية القديمة؛ بوسائل مضاعفة، فيستعمل صلاحياته، ليحد من المنافع الاجتماعية الممنوحة للأهالي، ويضيف: تمارس الإدارة سلطة هي عمليا بدون مراقبة، بمساعدة شرطة تعاقب المشبوه بدون رافة، وهي بفعالها تعزز جانب النزعة الاستقلالية الجزائرية، التي تؤمن بنجاعة القوة؛ وتسوية المشكل الجزائري بالعنف.¹ كما تدخلت عدة عوامل في نجاح التيار الثوري حسب أحمد مهساس؛ الذي يرى: أن التيار الثوري لم يكتسب قوته بفضل الأخطاء التي ارتكبتها الإدارة الاستعمارية؛ ولا بسبب عجز أجنحة الحركة الوطنية؛ وإنما شيد قوته؛ بفضل مقدرته الفائقة على التعبير عن أعمق طموحات الشعب الجزائري، والدفاع عنها بكل شجاعة، والمتمثلة في التخلص من الاستعمار؛ واستعادة هوية دولته؛ واستعادة الإسلام واللغة العربية المكانة اللاتقة بهما، والتخلص من العبودية والإقطاع الناجمة عن الوجود الاستعماري.²

كانت مسألة استعادة الدولة الجزائرية المغيبة، هي أنسب تجسيد وتعبير لفكرة الهوية والأمة الجزائرية، وهي الفكرة والحلم الذي جذب إليه تيارات الحركة الوطنية، سواء العلماء أو المنتخبون، إلا أن التيار الثوري كان الأبرز، الذي عبر مباشرة وبصراحة عن الهدف-الحل، الذي يحل كل مشاكل الجزائر وهو الاستقلال، وعمل من أجل القضية في العلن، عبر المطالبة بالاستقلال، وفي السر عبر الإعداد لاسترجاع الاستقلال بقوة السلاح. كما عمل على وضع أفكار وتصورات للخطوط العريضة لشكل الدولة المستقبلية بعد الاستقلال؛ استعدادا للمستقبل، وكانت أعماله هذه سر نجاحه، وكغيرها من حركات التحرر في إفريقيا وآسيا، دخلت الحركة الوطنية الجزائرية* عموماً؛ والتيار الثوري على وجه الخصوص، مرحلة التعامل مع أفكار بناء الدولة، من خلال وضع الخطوط العريضة للدولة الجزائرية المنشودة، ولتوضيح جهود التيار الثوري، في مرحلة الإعداد لمرحلة ما بعد الاستقلال، نقدم بعض وثائق «حركة الانتصار» لبناء الدولة الجزائرية المستقبلية:

¹ - جولييان: مرجع سابق. ص 371 .

² - مهساس: الحركة الثورية، مرجع سابق، ص 322.

* - من أهم من كانت له نظرة استشرافية لقضية بناء الدولة نجد التيار الثوري، وحزب فرحات عباس من خلال المشاريع التي أعدها أو شاركا فيها خاصة مع تداعيات صدور بيان العاشر فيفري 1943.

أهم وثائق حركة الانتصار في الاستعدادات الأخيرة لبناء الدولة

خلال اجتماع المجلس الوطني لحركة انتصار الحريات الديمقراطية، بتاريخ 7 سبتمبر 1947، ونقطف منه: «..نذكر باعتزاز بأن الوطن الجزائري لا يزال يعبر بجميع الوسائل عن وجوده بثقة وثبات منذ الاحتلال عام 1830... ويعرب بقوة عن أن الأمة الجزائرية حقيقة لا يماري فيها أحد، حفرت في قلب كل إنسان جزائري».¹

1- وثيقة حركة الانتصار 1949 «وثيقة الجزائر الحرة»

من أهم الوثائق الأولى التي دشنت مرحلة الإعداد لبناء الدولة من الناحية التنظيمية والإيديولوجية، نتناول وثيقة صدرت عام 1949 بعنوان «الجزائر الحرة سوف تعيش»، أعدها الصادق هجرس ومحمد بن الحسين ويحي حنين، الذين كانوا في صفوف حزب الشعب، قبل أن يتحولوا إلى الحزب الشيوعي الجزائري، أوردتها الباحثة نور الدين ثنيو في كتابه «إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية» هذه الوثيقة التي تعبر عن تيار يساري شيوعي داخل حزب الشعب في الأربعينات انضم لحزب الشعب تنظيمياً؛ ولم ينظم إيديولوجياً؛ إذ بقي وفياً للأفكار والأطروحة الشيوعية، بل وحاول فرض أفكارها الشيوعية ليتبناها حزب الشعب، هذا التيار يُعرّف الأمة بمفاهيم الحزب الشيوعي، ففي نظر واضعي وثيقة «الجزائر الحرة»: «...الأمة لا تقوم فقط على مقوم الجنس أو العنصر وليس هناك أمة دينية أو لغوية... بل عناصر ومقومات: الإقليم، الاقتصاد، والخاصية الوطنية... ونمط الحياة وثقافة وعقلية الشعب» وجاء أيضاً فيها: «اليوم يبدو واضحاً تماماً أن جميع الجزائريين امتلكوا الوعي بجنسيتهم وشخصيتهم، وهم يتهيؤون لوضع حد لنظام طالما حبسهم وجنبهم من التطور.. التغيير الذي نريده من خلال تدميرنا الاستعمار في الوقت الراهن، لا يعني إطلاقاً العودة إلى الماضي؟! أي إلى الوضعية التي كان عليها بلدنا قبل عام 1830، فالنزعة الثورية هي بالتعريف التغيير باتجاه الرقي.. جزائر المستقبل سوف تكون جزائر حديثة كما هو العالم اليوم».² وهنا نتناول الوثيقة من ناحيتين: الناحية الأولى وهي ناحية الجهد والسبق فهذه الوثيقة تدل على مستوى معين وصل إليه الحزب للتعامل مع أفكار بناء الدولة، والاهتمام بالتحكم في مسيرة الحزب المستقبلية عبر ضبط إيديولوجيا الحزب، أي بمعنى لا بد من تعريف المفاهيم والتصورات وضبطها، حيث «يعد تعريف الوطن، الأمة، الشعب، والسيادة، في خطاب الحركة؛ جزءاً من مشروع إقرار مبدأ السيادة، وقيام الدولة الجزائرية، فلا يمكن الدعوة لإنشاء مؤسسات جديدة في غياب شرط الوعي بها». هنا ندرك قيمة التأثير الذي ستركه العناصر الشيوعية لو بقي لها تقرير سياسة الحزب؛ باعتبار أن «تعريف المصطلحات السياسية

¹ - مقالتي: مرجع سابق، ص 208. أيضاً ينظر - ثنيو: مرجع سابق، ص 572.

² - ثنيو: مرجع سابق، ص 266 - 273.

والوعي بحقائقها ومعانيها المختلفة، يعبر عن صلب الخلفية الفكرية، الإيديولوجية والتاريخية»¹. لندرك مدى الاختراق الذي حصل للحزب من قبل العناصر الشيوعية ومدى الانحراف عن عقيدة الحزب الأولى، والسبب في ذلك يعود لإجراءات الاستعمار التي غيّبت جيل من الصف الأول من قادة حزب الشعب بالسجون أو بالموت، وكان حزب الشعب في حاجة للتأطير، فتدفق على صفوف الحركة بين 1939 و1944 حاملو الشهادات، وطلاب؛...، ولأن حزب الشعب الجزائري لم يكن يكوّن إدارات، فقد استقبل أولئك الذين كان المجتمع يقدمهم له واستخدمهم، وكان المثقفون يصلون حاملين معهم تكوينهم الخاص بهم، وكان تفوقهم الثقافي يدفع بهم إلى الطليعة، وقد ارتفع العديد منهم إلى مراكز القيادة على المستويين الإقليمي والوطني.²

ويعلق الباحث نور الدين ثنيو على ما جاء في وثيقة «الجزائر الحرة» فيقول: «وهكذا فالرؤية التقدمية التي لا تلتفت كثيرا إلى الماضي، هي التي التمسها محررو «وثيقة الجزائر الحرة»؛ للتعبير أن الأمة الجزائرية أوسع من مجرد الدين الإسلامي؛ واللغة العربية؛ وأن الدولة الجزائرية مؤسسات حديثة؛ لا علاقة لها بما كانت عليه في العهد التركي أو قبله!»، ويضيف: هكذا فإن ما جاء في هذه الوثيقة، هي محاولة للالتفاف استباقية، لاستبعاد الدين، من أي دور في المستقبل!، علما أن مصالي الحاج في ذلك الوقت، لم يتجاهل دور الدين كمقوم جوهرية للذات الجزائرية ولمقاومة الاحتلال والإمبريالية. في أي موقف صادر عنه باسم الحزب خلال نشاطاته، وكان شعار الحزب، في كل مراحلها، يحمل شعار الإسلام ديننا، إلى جانب الجزائر وطننا، العربية لغتنا.³ تاريخيا منذ نشأة التيار الثوري ومع كل عنوان جديد له، كان ثمة تأكيد جديد لحقائق المجتمع والأمة، في سياق العمل على مشروع استعادة الدولة الجزائرية ذات السيادة، وهو ما تضمنته المواثيق والشعارات والأدبيات، ومن ضمنها الوعي بحقيقة الإسلام كمنظومة قيمية متكاملة - دين ودولة- وتعاليم ومعاملات، التي كان يؤمن بها الجزائريون عبر التاريخ؛ وهي التي وجهت مصالي الحاج، لينشئ تنظيمًا مستقلا جديدا مستقبلا عن الحزب الشيوعي، هو نجم شمال إفريقيا، ثم حزب الشعب⁴ وهذا ما عبر عنه شارل روبير أجرون Ch.r.ageron بقوله: «لقد وجد الجزائريون في الإسلام ملجأ ومبعث أمل، ومهما كانت فلسفة المؤرخ الشخصية والتفسير الذي يأخذ به، فلا يمكنه إلا أن يلاحظ بأن مقاومة هذا الشعب تتجلى كلية في الإسلام وبالإسلام».⁵

1 - ثنيو: مرجع سابق، ص ص270- 273.

2 - حربي: جبهة التحرير، مرجع سابق، ص34.

3 - ثنيو: مرجع سابق، ص ص269- 274.

4 - نفسه: ص ص269- 274.

5 - مهساس: الحركة الثورية في الجزائر، مرجع سابق، ص53.

2- مطبوعات حزب الشعب بالقاهرة

في إطار المواجهة الشاملة مع الاستعمار الذي كان يسعى وراء هوية ثقافية جديدة للمغرب العربي، اعتبر التيار الثوري الإسلام كأساس للشخصية، وعامل دمج ووحدة للجزائريين، وهذا المفهوم يغلط الطريق أمام مشاريع الاستعمار التغريبية، ولمجابهة عزلة الحركة القومية سعى التيار الثوري وراء تحالفات في العالم العربي، فكانت مقاومة الاستعمار تخلط بين الأهداف الاجتماعية والثقافية والدينية، لذا كان يجري التشديد بشكل دائم على الخصائص اللغوية والثقافية للجزائر، أي العروبة الثقافية للجزائر، وحين يتم الإشارة إلى هذه النقطة، والأمر يتعلق برد فعل، ضد الاعتقاد بدونية الجزائريين الخلقية والثقافية، ذلك أن النزعة العروبية (كما يرى حربي) هي في الوقت ذاته، عودة إلى ينباع الأخلاق القديمة، وإعادة ترميم للماضي.¹

وهنا يجب الإشارة إلى أن كلمة عربي في الجزائر كانت تطلق تمييزاً عن الفرنسي المسيحي، أي العربي تساوي الجزائري المسلم، أما العناصر الأمازيغية الأخرى، فلم يكن ينظر لها بعين التفرة القومية، إلا بقدر النظر إلى الفروقات الطبيعية في الانتماء لتلك العشيرة أو تلك الجهة. وقد حاول الفرنسيون في الجزائر والمغرب اللعب على وتر التفرة وإحياء النعرات، بل تمت التفرة بين الجزائريين، حين قسم الجزائريون إلى فئتين في مناصب مجالس المالية والنيابية، هي فئة العرب وفئة القبائل،² وقد أدرك قادة التيار الثوري تعطش الشعب للانتصار لأهم عناصر هويتها وهي الدين واللغة؛ وبذلك لم يستبعد مصالي فكرة الدين والحضارة الإسلامية؛ كوسيلة لاستعادة مقومات الدولة ومؤسساتها الحديثة.³

وكجزء من الجهود للتعريف بالوضع القائم في الجزائر في ظل الوجود الاستعماري، عمد الحزب لإعداد وثائق لخصت حالة الجزائر آنذاك، والمقصود هنا الدراسة التي صدرت بمدينة القاهرة بداية الخمسينات، قبل اندلاع الثورة. وهي خمس مطبوعات؛ صدرت نصوصها باللغة العربية، وأوردها يحي بوعزيز في كتابه «السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب (القسم الثاني من كتاب سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية)»، عالجت هذه المطبوعات عدة مواضيع، ولخصت حالة الجزائر آنذاك، وتكلمت عن واقع الجزائر مع هيمنة الوجود الاستعماري الفرنسي، وهنا نتناول أهم ما تمخضت عنه هذه الوثائق-خمس مطبوعات-، وكيفية تناولها لمسألة الهوية:

¹ - حربي: جبهة التحرير، مرجع سابق، ص21، 28.

² - مهساس: الحركة الثورية، مرجع سابق، ص52.

³ - تنيو: مرجع سابق، ص273، 274.

المطبوعة الأولى

تتألف من 63 صفحة، وهي عبارة عن تقرير وملخص؛ للحالة التي وصلت إليها الجزائر؛ جراء معاناتها من الاستعمار؛ وفيما تم التطرق لمسألة الهوية الجزائرية حيث اعتبرت أن:

-الإسلام هو ملاط البناء الوطني.

- التنوع اللغوي في الجزائر تنوع إثراء لا تنوع فرقة.

وجاء في هذه المطبوعة أنه إذا كان وجود اللهجات إلى جانب اللغة العربية أمراً واضحاً، فإن الوحدة الجزائرية أمر لا ريب فيه، وإنه بفضل الإسلام في الجزائر ازدادت الوحدة القومية، التي مضت عليها قرون عديدة، وتكونت وحدة متماسكة هي وحدة الدين، واللغة، والمزاج، والطبائع، ويفضل حزب الشعب أخذت الأخوة القومية تنمو حتى محت جميع الضغائن والحزانات التي زرعها الاستعمار، وصار الجزائريون يشعرون شعوراً واحداً، ويفكرون تفكيراً واحداً، تدفعهم إرادة واحدة، لا فرق بين المتكلم بالضاد والمتكلم باللهجة البربرية، وأصبحت الصبغة القومية حقيقة لا تنكر.¹

وهنا ينبغي تأييداً لما جاء في الوثيقة؛ والتأكيد على الدور الأساسي الذي لعبه الإسلام طوال فترة المقاومة في توحيد الجزائريين، وحفظ هويتهم من الذوبان، بل أن الحركة الوطنية استدعت الشعور الديني لإحداث شرخ مع الاستعمار ومشروعه؛ والذي كان هدفه ابتلاع المنطقة، فكان كل سياسي يريد للولوج إلى قلوب الجماهير، يخاطبهم بأحب الأسماء إليهم وأقدسها لهم، مثل أيها المسلم، أو أيها المسلمون، أو الإشارة لأمر الدفاع عن الإسلام وأراضيه، فكانت هذه الكلمات المفتاح لقلب المسلم الجزائري.² وهو ما يذهب إليه الباحث ن. الدين تنيو بقوله: إن الدين الإسلامي (شرع الله) هو الذي شيد حضارة إنسانية رائعة، استفاد منها العالم كله في حينها، كما لم يبتعد مصالي، في تفسيره سبب تخلف الجزائريين والنكوص الحضاري المروع، عن الرأي الذي يربط ابتعاد المسلمين عن مبادئ الدين ووصاياها الإنسانية، فلدى المسلمين قناعة راسخة، وهذا ما كان يراه مصالي، بأن الإسلام دين وحياة، ولا يتنافى مع المطالب التي تتطلع إليها حركات المقاومة في العالم، مناهضة الاستغلال والاستعباد.³

¹ - يحي بوعزيز: السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب (القسم 2 من كتاب سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830 إلى 1954)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص85.

² - مهساس: الحركة الثورية في الجزائر، مرجع سابق، ص52.

³ - تنيو: مرجع سابق، ص273، 274.

المطبوعة الثانية: تقع في 30 صفحة، جاءت تحت عنوان: التمييز العنصري في الجزائر ومسألة الحريات والقوانين الاستثنائية، جاء فيها: «إذا رجعنا لأصل المشكل، لقد برر الفرنسيون غزوهم للجزائر بحجة دينية صليبية، وهي قطع دابر التعصب الإسلامي، وهنا يظهر تناقضهم، فالمفروض أن تبرز فرنسا التسامح لإذابة التعصب إن وجد، لكن عوض أن تطفئ النار بالماء، يصب عليها البنزين».¹

المطبوعة الثالثة: تقع في 40 صفحة، جاءت تحت عنوان: التعليم في الجزائر، تناولت حالة التعليم قبل الغزو، ثم شرحت تدهور التعليم في عهد الاستعمار، وقدمت لمحة شاملة عن مراحلها، وأنواعه، والعراقيل الموضوعية له ولغة العربية، وتكلمت عن خطر السياسة الاستعمارية التي تستهدف استعمار العقول لتنتقي أسباب المقاومة، وبعدها تكون السيطرة على الأرض تحصيل حاصل، وهذا الاتجاه يرى المدرسة هي الوسيلة المثلى لتغيير هوية الجزائر، وتجريد الشعب الجزائري من شخصيته تدريجياً.²

المطبوعة الرابعة:

وتقع في 88 صفحة والتي جاءت تحت عنوان: مشكلة الهجرة في الجزائر تحدثت عن هجرة الجزائريين إلى فرنسا، وذكرت أسباب الظاهرة وخصائصها، ومطالب المهاجرين ومناطق توزيعهم في فرنسا، وكذلك صلة المهاجرين بالحركة الوطنية، وأفردت لمقررات نجم شمال إفريقيا سنة 1933 وبعض نشاطاته لغاية 1951 وملخصاً شاملاً لنشاط حزب الشعب.³

المطبوعة الخامسة:

حرصاً من حركة انتصار الحريات الديمقراطية على التزام موقف مبدئي بأن الشعب الجزائري وحده صانع استقلاله، والوصي الوحيد على مصيره، لذلك فإن الحركة وقفت ضد إدماج الجزائر في الحلف الأطلسي. وقدمت احتجاجاً على إقحام الجزائر في الحلف الأطلسي.⁴

وجاء في المطبوعة الخامسة: أولاً لخصت الوثيقة أوضاع الشعب الجزائري في ظل الاستعمار، باعتبار هذا الأمر منافاً لهوية الجزائريين وضد رغبتهم، خلصت إلى التذكير به بما يلي: «يستكر الشعب الجزائري إقحامه في جهاز حربي دون استشارته والاعتراف بحقوقه، ويؤكد عزمه على ضرورة بلوغ أهدافه وهو الاستقلال الوطني، ولن يعتبر نفسه حليفاً لمن ينكر عليه حقه في الحرية والاستقلال».⁵

¹ - يحي بوعزيز: السياسة الاستعمارية، مرجع سابق، ص 131-133.

² - نفسه: ص 162-163.

³ - نفسه: ص 253.

⁴ - بن خدة: مرجع سابق، ص 498.

⁵ - بوعزيز: السياسة الاستعمارية، مرجع سابق، ص 274.

3- وثائق المجلس المركزي للإعلام والوثائق التابع لحركة الانتصار عام 1951

بعد تأسيس التيار الثوري لجناحه السياسي بعد الحرب العالمية الثانية باسم الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية، قفزت وضعية التيار الثوري من جسم مطارد من العدو، ومحل سخرية من الخصوم السياسيين، إلى رقم صعب في المعادلة السياسية؛ بل أصبحت الأحزاب السياسية تستعير منه المصطلحات النضالية وتجاريه في مواقفه؛ حتى لا تفقد قواعدها وجماهيرها لصالح التيار الثوري. وفي ظل واقع دولي اتسم باشتداد موجة التحرر، التي لازمت انحسار الاستعمار في كثير من بقاع العالم، هنا انتبه التيار الثوري؛ وقرر أن لا يترك الأمور للصدف، ودشن مرحلة من المراجعة لعدته التنظيمية والإيديولوجية، قبيل مرحلة التحرير وبناء الدولة، أي الفترة التي سبقت ثورة نوفمبر 1954، وهو ما ساهم في بدايات توفر رؤية شاملة، تعتمد وبمزيد من الوضوح في جانبها الإيديولوجي، على الهوية في تعاملها مع الحقائق الحضارية والجغرافية، وحسب وثائق التيار الثوري الجزائري، فإن «الجزائر أمة هي حقيقة لا يماري فيها إلا الاستعمار؛ وهو العبء الوحيد؛ الذي يجب التخلص منه»؛

حسب تصريح المجلس الوطني لحركة انتصار الحريات الديمقراطية بتاريخ 7 سبتمبر 1947.¹

وهنا نتناول وثيقة هامة أوردها الباحث نور الدين ثنيو في كتابه «إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية»، والأمر يتعلق بوثائق أصدرها المجلس المركزي للإعلام والوثائق التابع لحركة الانتصار التي أصدرها عام 1951، وعن هذا العمل يقول ن. ثنيو: فإنه وبروح المسؤولية وشعور عال من الوعي السياسي، صاغت حركة انتصار الحريات الديمقراطية سنة 1951 عملها تحت عنوان «وثيقة الاعتبارات* العامة».²

وقد وردت سلسلة الوثائق بعنوان المشكلة الجزائرية (وثيقة الاعتبارات العامة)، وكان هذا الخطاب موجه إلى السلطات الفرنسية، وإلى الرأي العام الدولي، والتي عمد فيها حزب مصالي الحاج إلى تقديم (للهيئات الدولية) ما يشفع للجزائر أن تنال استقلالها، والذي يمكنها من إرساء الدولة الجزائرية الحديثة،

¹ - ثنيو: مرجع سابق، ص 283-287.

* - المقصود مجموعة الوثائق التي صاغها المجلس المركزي للإعلام والوثائق التابع لحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية في الجزائر عام 1951، في سياق دولي لما بعد الحرب ع2، والآثار والتداعيات السياسية والقانونية التي رافقت العلاقات الدولية، وخاصة مسألة الشرعية الدولية، ووردت سلسلة الوثائق بعنوان المشكلة الجزائرية (وثيقة الاعتبارات العامة Le Probleme algerien) - Commission centrale d information et de documentation du MTLD Le Probleme algerien

Alger, 1951. Considérations générales. ينظر - ثنيو: إشكالية الدولة، مرجع سابق، ص 258، 259.

² - ثنيو: مرجع سابق، ص 258. ص 259.

وأوضحت الوثائق أن الجزائريين تحوهم إرادة قوية؛ في سبيل بناء دولة جزائرية مستقلة، وأن الاستعمار ظاهرة تعيق محاولة الجزائريين جمع عناصر الأمة في كيان طبيعي، وفق المؤسسات القانونية والسياسية للدولة الحديثة، وجاءت هذه الوثيقة في سياق الرد على المزاعم الكاذبة، التي بنى عليها الفرنسيون مشروعهم في الجزائر، ولهذا جاء تفصيل الرد على المزاعم الفرنسية الستة التالية:

1- دحض مقولة المهمة الحضارية لفرنسا، بالجزائر.

2- الرد على إنكار الفرنسيين لوجود أمة جزائرية.

3- فضح ادعاء الفرنسيين تحقيق الازدهار الاقتصادي بالجزائر.

4- تكذيب أن الزيادة الديموغرافية كانت بسبب الخدمات الصحية الفرنسية.

5- تقديم الدليل على سياسة الإجحاف والظلم والعنصرية التي تمارسها فرنسا بالجزائر.

6- كلام عن السياسة الاندماجية.¹

إلا أنه ومن خلال قراءة متأنية فاحصة يظهر ما يثير الانتباه، فنجد أن الوثيقة تحمل أبعادا أخرى بمرجعية يسارية، ففي حين تضمن الوثيقة حقائق الأمة الجزائرية، وكيانها كأمة زاخرة بتراثها العربي الإسلامي، وخصائص الأمة الجزائرية بالمفهوم السياسي الحديث، إلا أن الوثيقة حملت خطابا لا يتماهى مع الاتجاه العام الذي عرف به التيار الثوري بكل مسمياته، وبذلك يمكن أن نميز خطابين وردا في الوثيقة:

أولا: جانب من الوثيقة يكشف عن فضائح الاستعمار، ويبرر أحقية الشعب الجزائري في الاستقلال

في إطار توضيح الأهداف فبالنسبة للتيار الثوري في الجزائر فإن مشكل الجزائر الجوهري هو مشكل سيادة، والكفاح الوطني يسبق كل المطالب، وهو بصدد إثراء الجانب النظري للمطالب التي تبناها التيار الثوري والمحددة على ركيزتين، الأولى تحرير الأمة، والثانية إقامة نظام ديمقراطي بعدالة اجتماعية.² وعن حقائق الأمة الجزائرية جاء في الوثيقة: «إن الشعب الجزائري صهرته وشكلته حياة مشتركة، امتدت قرونا من الزمن، وتواصلت مع وجود أصل إثني واحد، عبر في مظاهره اليومية عن كيان أمة ذات عبقرية»، وتمثل الجزائر اليوم، لوحة ثقافية رائعة، حافلة بتنوع مناطقها وجهاتها وتراثها العربي الإسلامي، ويعد هذا التنوع «مصدر ثراء وتكامل. ووجود لهجة بربرية، إلى جانب اللغة الوطنية

¹ - ثنيو: مرجع سابق، ص ص284- 286.

² - صاري، وقداش: المقاومة السياسية، مرجع سابق، ص97

في الجزائر، لا يعيق التفاهم المشترك المتبادل».¹ وعن قيمة العامل اللغوي وأهميته في صهر الأمة الجزائرية جاء في الوثيقة: «ساهم العامل اللغوي أيضا في صهر الخاصية الوطنية للشعب الجزائري، فعلى غرار بلدان العالم، رافق الشعور الوطني حالة من التطلع إلى تجديد اللغة»، وهكذا فالوعي بقيمة التنوع والاختلاف والمجال المشترك التي يعبر عنها السكان، على تباينهم في الأصل واللغة، يعطي إمكانات أفضل لتعريف الأمة، كما جاء في الوثيقة، خلافا للنزعة الاستعمارية التي تبتغي أن تؤكد الاختلاف والتنوع دائما، لإثبات غياب الوحدة، وبالتالي الأمة الواحدة، وفق مقولة وسياسة فرق تسد. أما عامل الدين في صوغ روح الشعب ونفسيته، فورد بشأنه في الوثيقة: «إن الدين ليس أقل العوامل شأنا في قدرته على صهر وتشكيل الخاصية الوطنية لشعبنا الجزائري الذي كان يتحلى دائما بمعاني الكرامة والعدل والتواضع، كما يعرف عنه روح البساطة والشجاعة المعنوية».²

ثانيا: مدى التأثير الذي أحدثه عناصر من التيار اليساري الذي تسللوا إلى صفوف التيار الثوري،

يمكن تسجيل بعض الملاحظات على ما جاء في وثيقة الاعتبارات العامة: على جانب آخر بدأ يظهر في أدبيات حزب الشعب - حركة الانتصار، نلمس مدى التأثير الذي كان قد أحدثته عناصر من التيار الشيوعي، الذي تسللوا إلى صفوف التيار الثوري، ورغم الاختراق المبكر للييسار العلماني لصفوف الحزب العتيد بداية الأربعينات، إلا أنه كان من غير الممكن، مواجهة المجتمع بخطاب يتنافى وأيديولوجية الجماهير وينفرها من الحزب، بل كان الحزب في خطابه العام يتماهى مع الطموحات الوطنية وآمال الشعب الثقافية، وفي هذا الشأن يرى مهساس: أن الوطنية ظلت في الجزائر وثيقة الصلة بالعروبة والإسلام في نظر الجماهير، والتي رأت فيه تكريسا لهويتها الوطنية العربية الإسلامية، التي تتداخل فيها القومية، والوطنية، والدينية، بل كانت كلمة الجنسية تتسحب على الهوية الدينية والوطنية والعرقية معا.³

لكن بعد أن استوعب حزب الشعب - حركة الانتصار، جيل من الشباب المثقف، خاصة طلبة الثانويات، الذين التحقوا بحزب الشعب، أثناء الحرب العالمية الثانية، خاصة وأن معظمهم كانوا ضحية الأفكار اليسارية موضة تلك المرحلة، وفي هذا السياق يلاحظ أن «وثيقة الاعتبارات العامة» تحتوي على فقرات تحمل حكم قيمي أيديولوجي، يحرص قبلها على إضفاء الوصف العلماني، ويعبر

¹ - ثنيو: مرجع سابق، ص 285.

² - نفسه: ص 284 - 286.

³ - مهساس: الحركة الثورية، مرجع سابق، ص 52.

في الأغلب عن الرؤية اليسارية لجناح في حركة الانتصار أصبح له دور في التنظير للتيار الثوري، وتفسير ذلك، أن الذين صاغوا الوثائق كانوا ممن تعلموا في المدارس الفرنسية، وكانوا يكتبون ويفكرون باللغة الفرنسية.¹ لقد بدأ تأثير العناصر العلمانية مبكرا، رغم أن شعار الحزب مازال آنذاك لم يمحي وهو: **الجزائر وطننا، العربية لغتنا، الإسلام ديننا**، كما ورد أولا في بطاقة الاشتراك الثانية للنجم على يسار الهلال: **«صرختنا الجماعية، الإسلام ديننا، الجزائر وطننا، العربية لغتنا»**، متبوعا بهذه الجملة: **«إن الذين يرغبون في إلحاق بلدنا والذين يريدون التتصل من أصلنا هم ألد أعدائنا وألد أعداء الإسلام»**.²

استطاع التيار الثوري كحزب وطني أن يستقطب ضمير المجتمع الجزائري، في الجزء الكبير من تطلعاته، بفضل دفاعه عن هوية الشعب، لذلك من غير الممكن ان يتكرر لتاريخه ولوعوده، فهو ملك للشعب، وهو ضمير الأمة، لا يمكن أن يغير الإيديولوجية كيف يشاء، فبناء الدولة ليست هياكل وهيئات، بقدر ماهي خلفيات اجتماعية تاريخية وسياسية، يجب إدراج جميعها في الكل، الذي يعبر عن الوصول إلى بناء الدولة.³

تاريخيا لم يتقبل الشعب أفكار التيار الثوري إلا لتطابقها مع هوية الشعب، فمسألة التجنيس قبل أن يرفضها التيار الثوري، رفضتها كل النخب من قبل، وكان الشعب قد اتخذ موقفا صارما مع الذي يتساهل في حدود الهوية، فتم تهميش وإقصاء كل فرد متجنس بالجنسية الفرنسية، بل كانت كلمة «مطورن» أي جزائري متجنس بالجنسية الفرنسية، تعتبر لدى الجزائريين شتيمة مقذية («مطورن» كلمة فرنسية *retourné* مرتد)، وكان رفض الاندماج والتجنيس الذي تبناه النجم وحزب الشعب، مؤسس دينيا وشعبيا، ذلك أنه إذا قبل الشعب الجنسية، فما مبرر وجود الأحزاب الوطنية، وقد جاء نشيد التيار الثوري ليعبر عن موقف الحزب من الاندماج والتجنيس:

فَلَسْنَا نَرْضَى الامْتِزَاجَا ... وَلَسْنَا نَرْضَى التَّجْنِيسَا

وَلَسْنَا نَرْضَى الانْدِمَاجَا ... وَلَا نَرْتَدُّ فَرَنْسِيَسَا

رَضِينَا بِالإِسْلَامِ تَاجَا ... كَفَى الْجُهَالِ تَدْنِيسَا.⁴

¹ - ثنيو: مرجع سابق، ص462، 470.

² - فداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، مرجع سابق، ص697.

³ - ثنيو: مرجع سابق، ص ص 270-273.

⁴ - الزبيري: المثقفون الجزائريون والثورة، مرجع سابق، ص39.

وقد جاء في «وثيقة الاعتبارات العامة»: «إذا كان الدين، الذي لا يعرف حدودا، يخاطب الروح ويمنح أتباعه الهناء المعنوي، ومن شأنه أيضا أن يحفز النشاط البشري، فإن الإنسان في تطوره الثقافي والاجتماعي، وفي تعبيره عن حاجاته يرتبط أكثر بالأرض التي يعيش فيها، وفي الوسط الذي ينمو ويرتقي فيه، وهكذا فالحدود الجغرافية تحدث تيارا جارفا من المصالح والمعاناة والطموحات المشتركة يأتي على جميع الاعتبارات الدينية ويمحوها»، وفي الصفحة نفسها جاء في الوثيقة: «إن النزعة الوطنية التحررية التي ترمي إلى إقرار الأمة، وتتخذ منها إطارا لوجودها، لا يمكنها أن تكون مبدأ عمليا ذا طبيعة دينية».¹

هنا نلاحظ نوع من التكرار والنكوص والتراجع، عن الخط السابق لنجم شمال إفريقيا وحزب الشعب، فتقرير فيفري 1927 لنجم الشمال الإفريقي ينص على أن «مسلمي شمال إفريقيا فقط يمكن لهم أن يكونوا أعضاء عاملين في الجمعية، وهم يتعهدون أثناء انتسابهم باحترام نظام الجماعة، في حين أن الأعضاء غير المسلمين لن يكونوا سوى أعضاء شرفيين».² وكان هذا في مرحلة مبكرة من حياة الحزب. ورغم كل شعارات الحزب، إلا أنه يلاحظ أن تيارا جديدا أصبح له كلمة في تقرير سياسة الحزب، وهو ما تضمنته بعض مواد الوثيقة، في محاولة تنكرها لمكانة الدين في المستقبل، مستبقة الحوادث ومستعجلة لحظة قيام الدولة.³

إن التضحيات التي قدمتها الأجيال ضد الاحتلال لم يكن يتصور ان تكون خارج إطار الجهاد في سبيل الله كفريضة دينية، وكان الدفاع عن الدين والوطن شيئا متداخلا، فكان كل الجهد من أجل الجزائر والإسلام، وكان الإسلام هو الهوية وهو الجنسية، فرغم استئصال رموز الدولة الجزائرية بعد 1830 ظهر بجلاء الحس الوطني القومي المعبر عن عمق التمسك بالهوية العربية الإسلامية كمرجعية وطنية، وجامع مشترك لعموم الجزائريين، فأصبحت الهوية هي الجنسية بالنسبة للجزائري، وجنسيته هي هويته.⁴ كما أن الحركة الوطنية الجزائرية، التمسّت في الدين الإسلامي ما تستعيد به مقومات المجتمع الجزائري، والارتقاء به إلى حالة من الوعي والضمير الجمعي، وهكذا كان الإسلام هو الذي صان وحدة الجزائريين المسلمين في علاقاتهم بالنظام الاستعماري، وفي نضالهم ومقاومتهم

¹ - ثنيو: مرجع سابق، ص 277.

² - بوقصة: مرجع سابق، ص 374-376.

³ - ثنيو: مرجع سابق، ص 277.

⁴ - ولد خليفة: المسألة الثقافية، مرجع سابق، ص 180.

ومن ثم ليس من السهل تجاهله حتى في المراحل المتقدمة والمتطورة للحركة الوطنية وحتى الاستقلال.¹ فالتيار الثوري في الجزائر كان سباقا لرفع شعار «الإسلام ديننا»، وأكد ذلك مصالي في أكثر من مناسبة، ومنه حين خاطب الأمة في نداء 12 نوفمبر 1936 والتي جاء فيها «... حزبك الوطني الذي أسس على المليّة في دائرة إسلامك... والأمانة الوطنية المقدّسة التي أخذنا عهدا أمام الله والملائكة والناس أجمعين أن نصونها من يد العابثين في تحقيقها ولو قطعوا مناّ الوتين، وقد برهن.... إنه حزب يعمل لغاية شريفة ويجب أن ينالها طوعا أو كرها قصر المدى ام طال، وإن مطالبه لم تتغير ولم تتبدل، وإن رجاله هم هم لم ينسلخوا ولم يتجنسوا ولم يندمجوا ، وسيبقون كذلك ما دامت الأرض أرضا والسماء سماء»² ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ» النحل الآية 127.²

إن واضعي الوثيقة وقعوا ضحية للدعاية الاستعمارية التي تجعل كل من يدافع عن شرفه ودينه ووطنه متطرفا إرهابيا، وهنا يقول ثنيو: إذا كان يتعلل الذين وضعوا الوثيقة أن المراد هو مخالفة الاستعمار، في مسألة أنه كان يقرن الدين بالنزعة الوطنية، حيث جاء في الوثيقة: «من جملة أهداف النزعة الاستعمارية، أنها تربط النزعة الوطنية الجزائرية وبين الإسلام، حتى يسهل عليها وصم النزعة الوطنية بالتطرف».³ والكلام هذا من المستعمر أمر طبيعي، لأن الإسلام هو العائق الوحيد الذي حال دون ذوبان الهوية الجزائرية في مخططات الاستعمار، لكن الغير الطبيعي، هو عدم إعطاء أهم عنصر في الهوية المكانة اللائقة به مثل بقية الأمم. وينتقد الباحث نور الدين ثنيو هذه الجزئية التي وردت في الوثيقة بقوله: ولعل الإصرار على مخالفة أطروحات المستعمر وخطابه، هو الذي دفع محرري الوثيقة إلى معاكسته في مسألة الدين، وبالتالي سقطوا في مطب يروم إخراج الدين من فعل المقاومة والتحرير، وهكذا إذا كانت الصفة الجزائرية لا تستمد من الدين، فمن أين تستمدها إذا هذه الصفة (وإلا فما مبرر التدافع وعدم الاندماج)؟، ويضيف: لقد كان الإسلام في ظل الوجود الاستعماري وفي سياقه، يبرر وجود الشعب على أساس ديني وقومي، فالحركة الوطنية العامة التي ترغب في أن تتناقض مع الاستعمار وتناهضه، لا تستطيع ذلك إلا عبر توظيف مقومات الهوية الوطنية وعناصرها، الآيلة دائما إلى الوضوح.⁴

¹ - ثنيو: مرجع سابق، ص 276، 281.

² - محمد قنانش: ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، مرجع سابق، ص 37.

³ - ثنيو: مرجع سابق، ص 280.

⁴ - نفسه: ص 281.

4- توصيات المؤتمر الثاني لحركة انتصار الحريات الديمقراطية أبريل 1953

عقد مؤتمر الحزب أيام 4 و5 و6 أبريل 1953 بحضور ما يناهز المائة مندوب قدموا من جميع أنحاء الجزائر، ومن فرنسا، بالإضافة إلى نواب الحزب الأعضاء في المجلس الجزائري، ومسؤولي الهيئات المركزية، وأعضاء اللجنة المركزية وإطارات الحزب، وقد جرت الاجتماعات في مقر الحزب بساحة عمار القامة (شارتر سابقا) بالجزائر العاصمة، وكان مولاي مرياح هو الناطق باسم مصالي في المؤتمر.¹ وجاء هذا المؤتمر الثاني للحزب في جو من الاحتقان السياسي، بعد تجربة سياسية خاضها الحزب وتجارب سياسية كان لا بد لها من وقفة تقييم خاصة النقاط التالية:

- أولا تعرض الحزب لمحن داخلية كادت أن تعصف به وأهمها:-الأزمة البربرية- واكتشاف المنظمة الخاصة.

- ثانيا أثمرت تجربة حركة الانتصار عن فشل التيار الإصلاح في الحزب.

- وثالثا فشلت كل محاولات الوحدة مع تيارات الحركة الوطنية.²

يعتبر المؤتمر الثاني لحركة انتصار الحريات الديمقراطية أبريل 1953 هو ثاني مؤتمر بعد مؤتمر الحزب الأول 1947، وامتدت النقاشات لمدة ثلاثة أيام من 4 إلى 6 أبريل 1953، وتم فيه التصويت على جملة من التوصيات تخص:

1- نظام الحكم بعد الاستقلال.

2- موقف الحزب على المستوى السياسي والإيديولوجي.

3- سياسة الحزب على المستوى الثقافي، الاقتصادي والاجتماعي وموقفه على صعيد مجابهة النظام الاستعماري.³

وقد وضع الحزب أسئلة جوهرية حاول الإجابة عليها، من قبيل:

- هل للحزب منهج عقائدي إيديولوجي، وهل له مذهب؟

- وهل قدر جميع الوسائل التي توصله لغاياته؟

وقد توصل الحزب إلى وجود نقائص فادحة في هذا الميدان، ذلك أن أي دولة لم تقم على مبادئ هي وليدة الصدفة، بل وقع الجهر بهذه المبادئ قبل قيامها بأمد بعيد، فحاول الحزب إيجاد رؤية واضحة، تكون كأرضية مستقبلية وخطوط عريضة لمبادئ الحكم في ظل الاستقلال؛ فيما يخص النقاط التالية:

¹ - بن خدة: مرجع سابق، ص 313.

² - مقالتي: مرجع سابق، ص 188.

³ - بن خدة: مرجع سابق، ص 311.

والمذهب، والاستراتيجية، التفكير* العقائدي، والتكتيك السياسي.¹

والمتتبع لتطور الحركة الوطنية والتيار الثوري بصفة خاصة؛ يلاحظ أن هذه الوثيقة صورة عن النضج الفكري، والاهتمام بالثقافة التاريخية، والاعتماد عليها في الوعي بالذات، حين وظفت التاريخ لفائدة التوعية السياسية والفكرية، وتوظيفها في العمل السياسي للحزب ونشاطاته الخارجية الدبلوماسية والإيديولوجية. وبالمجمل فإن الوثيقة المنجزة في المؤتمر، تتم عما بلغته حركة الانتصار من نضج سياسي، وما استوفته من أشكال الانتظام والاكتمال في البناء الحزبي، والرصيد النضالي من جهة، ومن جهة أخرى استطاعت حركة الانتصار بلورة هوية الدولة المستقبلية: ثوابتها، وخياراتها الأساسية المحصورة في النقاط التالية وهي:

النظام الجمهوري- الخيار الديمقراطي-العدالة الاجتماعية-الانتماء للثقافة العربية الإسلامية.²

على الصعيد الثقافي والديني: جدد المؤتمر تأكيده على مواقف الحزب السابقة، المتمسكة بالثقافة العربية الإسلامية، والقائمة على احترام المعتقدات الدينية الأجنبية، وفقا لروح التسامح الإسلامي. ويذكر بن خدة أنه جرى في هذا الشأن نقاش عن طبيعة الدولة الجزائرية المرتقبة، حيث اقترح بعض المؤتمرين تأسيس جمهورية جزائرية إسلامية، وخلال النقاش تدخل المتضلعون في القضايا الدينية أمثال الشيخ بلقاسم زيناوي، وهو من عين البيضاء ومحمد بلعابد جلاي من أولاد جلال، وسي عبد الرحمان بالعقون من وادي الزناتي، تدخلوا ليقولوا حذار، إن خيارا من هذا القبيل سوف يؤدي لا محالة إلى تقوية التضامن بين الدول الأوروبية المسيحية وفرنسا!، وستجر عن ذلك هجمة جديدة من الهجمات، أما فيما يتعلق بالأقلية الفرنسية: أقر المؤتمر لتلك الأقلية بحق المواطنة في الجزائر.³ وما نقله بن خدة هذا، يذكره كذلك بن العقون أحد المشاركين في هذا المؤتمر، حيث يروي نفس الحادثة، لكن بقوله أن المؤتمرين طالبوا بدولة يكون دينها الإسلام، ليصلوا إلى توافق بينهم يتمثل في دولة في نطاق المبادئ الإسلامية.⁴

*- التفكير العقائدي (مفهوم من المفاهيم أو موقفا فلسفيا مثاليا أو ماديا، أي هل يطلب الاستقلال لذاته أو لأنه يطلب لما بعده كوسيلة للحصول على إنجازات مبنية على مبادئ تؤسس للعدالة في جزائر الغد، هل تكون الدولة ملكية أو جمهورية، وهنا تم التأكيد على أن الأنسب هو النظام الجمهوري للجزائر). والمذهب (رأسمالية اشتراكية هنا التأكيد على مبدأ الرخاء الاقتصادي والعدالة الاجتماعية في جزائر المستقبل) والاستراتيجية(التي تراعي موازين القوى) الحيلة السياسية-التكتيك-(الظروف والملابسات ووسائل العمل ونحديد الأهداف الاستراتيجية والأهداف التكتيكية لذا يلزم الحزب نصوص مسبقة، وبرنامج عمل). - ينظر: زوزو: المرجعيات، مرجع سابق، ص 121-127.

¹ - زوزو: المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية، ص 121-127.

² - نفسه: ص9.

³ - بن خدة: جذور نوفمبر، مرجع سابق، 312، 313.

⁴ - رايح لونيبي: «منهج التعامل مع الشهادات والمنكرات عند كتابة تاريخ الثورة الجزائرية»- بن خدة- أنموذجا، مجلة عصور الصادرة عن جامعة وهران 1 احمد بن بلة، عدد 6-7 جوان- ديسمبر 2005م.

فيما يخص التفكير العقائدي، والمذهب، والاستراتيجية، والتكتيك السياسي، ومن خلال استعراض التقرير لنقائص الحزب، أشار التقرير إلى النقائص في الرؤية المستقبلية للحزب، وحمل التقرير إشارات واضحة إلى مسألة الهوية من غير غموض ولا تأويل، لتحديد المبادئ التي تقوم عليها جزائر الغد، وهذه المبادئ لا يمكن أن تحدد على كل حال إلا وفق الصفات الأساسية للشعب الجزائري، وهذه الصفات هي أن الجزائر جزء من محيطها الشمال إفريقي، بنفس الخصائص من تونس إلى الدار البيضاء، والتي مع مجيء العرب بالإسلام تكوّن شعب واحد تتكلم أغليته بالعربية، وحركاته متجانسة مطبوعة بطابع الإسلام، حيث حددت الوثيقة ضوابط المطالب والأهداف المرجوة خاصة الثقافية منها، التي ينبغي لحركة الانتصار اعتمادها في برنامج الحزب، في إطار الرؤية الشاملة للقواعد الأساسية للدولة الجزائرية المستقلة¹. وإلى جانب هذه المبادئ التي تحدد شكل الدولة وهي:

- دولة ديمقراطية. - نظام جمهوري. - الرخاء الاقتصادي. - العدالة الاجتماعية. وجاء التأكيد كذلك على:

- احترام المعتقدات الدينية كما أمر الإسلام.

- نشر الثقافة القومية المتصلة اتصالاً وثيقاً بالثقافة العربية الإسلامية²،

- وأن الثقافة القومية هي العماد الذي تركز عليه للنهضة الشاملة بدءاً بمحاربة الأمية مع الارتكاز بوجه أخص على نشر اللغة القومية وتعميمها؛ ألا وهي اللغة العربية³.

يرى بن خدة أن حزب حركة الانتصار كانت قوته الأساسية؛ تكمن في الفكرة التي كان يحملها، ويدافع عنها في جميع المحافل: إنها مطلب الاستقلال؛ باعتباره الحافز القوي على الصعيدين النفساني والسياسي، والذي استقطب الأغلبية الساحقة من فئات الشعب، فواجه الحزب خيار الفرنسية بخيار الجزائر، وناهض مشروع الاندماج بمطلب الاستقلال، وناقض فكرة الانتماء إلى الأمة الفرنسية بالتمسك بالهوية الجزائرية، ودافع عن قيم العروبة بدل القيم اللاتينية، وتمسك بالعقيدة الإسلامية بدل النصرانية، كان المناضل يتعرع ويصقل شخصيته في إطار الاحترام الصارم للقيم الثقافية، والأخلاقية، والروحية، المنبثقة من الإسلام⁴، وحتى في القانون الأساسي المصادق عليه من طرف المؤتمر، فإنه اشترط في مادته الثانية على المنخرط في الحزب، أن يكون له سلوك مطابق للتعاليم الإسلامية⁵.

¹ - يحي بوعزيز: الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاث وثائق جزائرية (القسم الثاني)، من كتاب الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 95 - 99.

² - نفسه: ص 95، 99.

³ - زوزو: المرجعيات، مرجع سابق، ص 142، 143.

⁴ - بن خدة: مرجع سابق، ص 299.

⁵ - زوزو: المرجعيات، مرجع سابق، ص 226.

5- بيان أول نوفمبر 1954 والتأكيد على الهوية

بداية للكلام عن الموضوع فإن أول نوفمبر 1954 يمثل قطيعة مع ممارسات مصالي السياسية العقيمة التي انتهجها في المرحلة الأخيرة من حياة الحزب، إلا أن مصالي رغم ارتباطه تاريخيا بالحزب؛ لا يعتبر إلا فردا من مؤسسة عتيدة؛ ضمت إليها أجيالا من الوطنيين المخلصين، وبالتالي لا يمكن ربط الحزب كمؤسسة كبرى بموقف مصالي السلبي من الثورة، إذ فتجاوزته الأحداث؛ ولم تتوقف عجلة التغيير ومشروع التحرير، أما المثقفون من قادة ومسيري الحزب (وهم أعضاء اللجنة المركزية للحزب) فأغلبهم انضم للثورة فيما بعد وعلى رأسهم بن يوسف خدة، ومحمد لمين الدباغين. وبالتالي فإن نوفمبر هو قطيعة. وهو كذلك تتويج لجهود أجيال من أبناء الحزب المؤمنين بالعمل الثوري.

إقامة الدولة الجزائرية ضمن إطار المبادئ الإسلامية

لا بد من التأكيد على أن قوة التيار الثوري استمدتها من ثباته على المبدأ، ونضاله المستميت وجهوده التنظيمية والتزامه الثوري، كما أنه من الواضح أن الوصول لتلك الأهداف، لم يتأتى إلا بالوسائل الثورية، ومع استحالة تقبل الفرنسيين لمطالب التيار الثوري، فإن الحزب عمل على مسارين: الأول حين أقام الحجة التاريخية والقانونية؛ بتذكير الفرنسيين بطبيعة وجودهم في الجزائر، ومراسلاته لعصبة الأمم، وفيما بعد الأمم المتحدة؛ تضمنت المطالب المشروعة للشعب الجزائري، أما المسار الثاني فقد كان الاستعداد ليوم لا بد منه، فمن المسلّمات لدى التيار الثوري «أن فرنسا لن تعطي شيئا إلا ما ينتزع من يدها بالقوة».

وقد جاء في ملف فرنسا المقدم إلى الأمم المتحدة سنة 1956 للدفاع عن وجودها في الجزائر-ما يلي:«...فحتى لو فرضنا خطأ أنه احتلال، فيجب الاعتراف أن كان في مصلحة الأمم المتحضرة»، بذلك أرادت فرنسا أن تؤكد على الطابع النهائي لوجودها في الجزائر، هذا الواقع الاستعماري المفروض من الغالب، ألغى كل مبادرة جزائرية لفتح باب للحوار، لهذا لم يكن بد أمام الجزائريين المضطهدين، من اللجوء إلى العنف الشرعي، وبالتالي العنف الثوري، لإعادة النظر في هذا الوضع، بعد أن أقاموا الحجة بتقديم المطالب المشروعة للشعب الجزائري أمام مرأى ومسمع العالم.¹

إن الحداد العام الذي ألم بالشعب الجزائري بعد مجازر الثامن ماي 1945، سيكون بمثابة الخميرة

التي فعلت فعلها طيلة عقد من الزمن؛ وأججت مشاعر الغضب في قلوب الجزائريين الذين نجوا من

المنذبة ومهدت الطريق لثورة أول نوفمبر 1954.²

¹ - حربي: الثورة، مرجع سابق، ص 96 ، 97.

² - بن خدة: مرجع سابق، ص149.

وأثناء الأزمة التي عصفت بحركة الانتصار 1953-1954 ابتهجت الصحافة الفرنسية، والإدارة، والشرطة الفرنسية بما أسمتها تصفية الحسابات، وما رافقها من عنف وشقاق بين الاخوة الفرقاء، لكن هذا الأزمة كان دخانها يخفي نشاطا دؤوبا، للمجموعة الأكثر حيوية في حركة الانتصار،¹ والتي قررت؛ بعد تجربة طويلة من النضال السياسي؛ والتعامل مع الاستعمار؛ أنه لا طائل من المهاترات السياسية؛ وأن عمل جاد وجذري كفيل بحل مشكلة الجزائر؛ وإلى الأبد؛ وبما أن الاتحاد والثورة حلم لطالما راود الجزائريين، من أجل استرجاع الهوية الحقيقية لهذه الأرض، بعد تدافع دامت جولاته 132 سنة، جاء الموعد النهائي للجولة الحاسمة بقرار وقعته القادة الستة (محمد بوضياف، مصطفى بن بولعيد، العربي بن مهيدي، رابح بيطاط، ديدوش مراد، كريم بلقاسم) الذين اختاروا؛ يوم الاثنين 5 ربيع الأول 1375هـ؛ الموافق للفتح نوفمبر 1954، كموعدا لإعلان انطلاق الثورة المباركة، وهم في خضم التحضيرات لم يفتهم التوقيع على أهداف الكفاح المسلح، والتي أشارت بشكل واضح لهوية الدولة، من خلال البند التالي الذي تضمنه بيان أول نوفمبر 1954: إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية.²

هذا القرار جاء لاسترجاع هوية الدولة الجزائرية المسلمة، وتكريسا لشرعية انبعاث دولة ذات وجود سابق، وتذكيرا بوجود الدولة الجزائرية الحديثة وهبتها وقوة دورها، مروراً بتأسيس الدولة الجزائرية المعاصرة على يد الأمير عبد القادر، والذي اعترفت به الكثير من الدول بتعاملها معه، مروراً بنضال الطويل للشعب الجزائري، ورغم أن فرنسا تحاول طمس الحقيقة التاريخية، خوفاً من تحميلها مسؤولية الاعتداء على دولة مستقلة، لكن الحقيقة تثبت أن هذه الدولة التي حاولت فرنسا طمس معالمها وهويتها، لها من أسباب التجديد والتجدد، ما لا تستطيع فرنسا طمسه، وهذا ما يشهد عليه التاريخ، واستحضِر هذا التاريخ، بوثائقه ليكشف هوية الجغرافيا، بدلالة التاريخ والواقع الحضاري، واعتمد على ذلك كحجة وسند لإثبات هوية وجود الدولة الجزائرية سابقا، عند إعلان قيام الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية سنة 1958،³ وعلى هذا الأساس وجهت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، التي تألفت في سبتمبر 1958 في اليوم ذاته إلى رؤساء الحكومات مذكرة توضح فيها، أن الدولة الجزائرية وحكومتها التي تطلبان الاعتراف بهما «لا يولغان كيانات حقوقية طارئة بقدر ما هو تكريس لشرعية انبعاث دولة ذات وجود سابق».⁴

■

¹ - بن خدة: مرجع سابق، ص 349 .

² - نفسه: ص 349، 350.

³ - زوزو: المرجعيات، مرجع سابق، ص 24.

⁴ - البجاوي: مرجع سابق، ص 30، 31.

خلاصة الفصل

شارك التيار الثوري في كل فعاليات الحركة الوطنية، كمشاريع وحدوية على قاعدة الهوية المشتركة، بداية بفعاليات المؤتمر الإسلامي 1936 وبيان فيفري 1943 المقدم للحلفاء، ولم يغب عن لهجة بيان فيفري 1943 الإشارة إلى الإسلام، القاسم المشترك بين الجزائريين، والمطالبة بحرية تعليم اللغة العربية، إدراكا من التيار الوطني لما للغة العربية من بعد تاريخي واجتماعي وثقافي للشعب الجزائري. وهو ما أجبر الفرنسيين على الاعتراف باللغة العربية في دستور الجزائر لسنة 1947 وإن كان شكليا.

كانت شعارات ومطالب التيار الثوري في البداية، يعتبرها البعض جنونا وضربا من المستحيل، لكن بعد أن بلغ التيار الثوري في الجزائر ما بلغه، من ريادة للتيار الوطني، حتى أصبح مدرسة تستعير منه تيارات الحركة الوطنية الأخرى مصطلحاتها، ومفاهيمها النضالية، هنا يتبادر إلى الذهن عن سر ذلك؛ والإجابة نجدها عند المناضل بن يوسف بن خدة، في كتابه «جذور نوفمبر» الذي يقول أن التيار الثوري لم يصل إلى ما وصل إليه من تجذر وجماهيرية وريادة ضمن تيارات الحركة الوطنية الجزائرية، إلا بعد أن دفع ثمنا غاليا، عرقا، ودموعا؛ فالمؤسسين الأوائل كانوا يعيشون حياة الزهاد، مستعدين للتضحية، وتوفي الكثير من القادة بين 1938-1943، ولم يروا ثمرة أعمالهم، وغُيب البعض في السجون، وأصيب الآلاف منهم بأمراض خطيرة نتيجة التعذيب منهم أرزقي كحال، ومحمد دوار.

مع الوعود المقدمة بدعم الحرية التي أطلقها الحلفاء في لقاء وميثاق الأطلسي، جاءت مظاهرات ماي 1945 لتذكير للحلفاء وفرنسا بالحق في الحرية وتعلق الشعب بالهوية، وكان حزب الشعب يدرك أن استعمال القوة في يوم ما لا بد منه وكفرصة ثمينة فكرت قيادة الحزب في تحويل مظاهرات 8 ماي 1945 إلى ثورة، فأصدرت الأوامر ثم تراجعت لأنها لم تستعد لها جيدا وكانت درسا قاسيا قدم لما بعده.

بعد مجازر ماي 1945 تظاهرت الحكومة الفرنسية بإدخال إصلاحات في الجزائر، غير أنها كانت عرجاء. أسفرت فيه فرنسا عن وجهه العنصري مع دستور 1947 حين منحت الأقلية الأوروبية عدد مقاعد، يساوي عدد مقاعد الأغلبية المسلمة؟ كما أفرغت القوانين الدستور من محتوياته الايجابية، وعملت الإدارة على تزوير الانتخابات، إذ كانت الإدارة الفرنسية تخشى تداعيات وجود

التيار الثوري في الواجهة، لأن ذلك سيكون على حساب السياسة الاستعمارية، التي كانت تتجه لخنق كل صوت معارض.

أسست الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية نوفمبر 1946 وعقد المؤتمر الأول لحزب الشعب-حركة الانتصار في 15-17 فيفري 1947، الذي تمخض عن قرار توافقي عبر الإبقاء على حزب الشعب في إطاره السري القديم، ومتابعة العمل القانوني باسم الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية، وإنشاء جناح عسكري سري للإعداد للثورة باسم المنظمة الخاصة.

في إطار الانتصار للهوية في كل المنابر، اغتتم نواب حزب الشعب فرصة مناقشة قانون الجزائر على منبر الجمعية الوطنية الفرنسية، لإسماع صوتهم، فكانت كلمة الدكتور الأمين دباغين حول هوية ووجود الأمة الجزائرية وديمومتها، الأكثر انتقاداً من النواب الفرنسيين، وكذلك كلمة بوقادوم الذي رد على موريس فيوليت Viollette بقوله: لا يوجد اليوم إلا شعب واحد..الشعب الجزائري... له دينه الإسلام...وله لغته العربية، وهما العنصران الأساسيان للشخصية الجزائرية، التي غزاها الاستعمار»، هذا من جهة ومن جهة أخرى حملت الصحف التابعة لحزب الشعب حركة الانتصار نبرة حادة، لا تحمل المهادنة ولا المداراة.

كورقة أخيرة لتدمير الوحدة واللحمة الوطنية الجزائرية، وقصد منع الجزائريين من توظيف الدروس المستخلصة من 8 ماي 1945 الثورية، لذلك هناك من يرى أن الإدارة الاستعمارية؛ هي التي كانت من وراء افتعال الأزمة البربرية، التي بدأت كتامل بين عناصر الحزب، وامتعاض من قرارات الحزب المتضاربة، حول مجازر مجازر ماي 1945، ثم تحول القلق إلى بحث في الذات والهوية، كمطالب ثقافية مشروعة، تلفقتها عناصر لائكية، كفرصة لمحاربة العروبة والإسلام، وكان بعض دعاة النزعة البربرية، متأثرين بأفكار الإيديولوجية الشيوعية، التي كانت تنكر وجود أمة جزائرية تشكلت بناء على ثوابت العروبة والإسلام، وقد ركزت سياسة حركة الانتصار، على العمل على دحض النظرية العرقية، التي بنيت عليها النزعة البربرية، وتقنيد مزاعمها دون المس بجوهر الثقافة البربرية، عبر لاستئثار النزعة الوطنية. والتصرف بصرامة لاستعادة التحكم في زمام الأمور، وكان على رأس الذين تصدوا للمؤامرة بشتى الوسائل، كلهم من أبناء منطقة القبائل، الذين لا يستطيعون المزيدة عليهم أحد مثل بلقاسم راجف.

التواصل مع العالم العربي كعمق استراتيجي فتح للحزب أفقا واسعة، وقيمة مضافة، ودعما لا بد منه للقضية الوطنية، ثقافيا وسياسيا، ففي إطار الانتصار للهوية وعودة الجزائر لمسارها الطبيعي بعد قرن من الحصار الفرنسي، تجددت اتصالات حزب الشعب مع حزبي الدستور التونسي والاستقلال المغربي، بعد مجازر 1945 لتأسيس جبهة موحدة، وأسفرت هذه المساعي عن: توقيع وثيقة تعاون من الأحزاب المغاربية، وتأسيس لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة سنة 1948.

كما عمل التيار الثوري على مسايرة التطور في العلاقات الدولية، والاستفادة من تناقضاتها واستثمار الشرعية الدولية وموثيق وتوصيات الأمم المتحدة، التي توجه إليها مصالي الحاج بندايات ضمنها مجموعة من الحقائق والاعتبارات التاريخية والحضارية والجغرافية والقانونية، التي تستحق بموجبها الجزائر دولتها في ظل الشرعية الدولية، ولم تقتصر جهود التيار الثوري نحو جهة واحدة؛ بل شملت كذلك مناسبات كثيرة إضافة للاتصالات بالحكومات العربية والعالمية.

في إطار الاستعدادات الشاملة، دخلت الحركة الوطنية الجزائرية عموما، مرحلة التعامل مع أفكار بناء الدولة، من خلال تحديد الخطوط العريضة للدولة الجزائرية المستقبلية، والتي انطلقت لدى التيار الثوري مع تأسيس الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية، كل هذا ساهم في بدايات توفر رؤية شاملة، تستند إلى الحقائق التاريخية والحضارية للشعب الجزائري في تحديد هوية الدولة المستقبلية.



خاتمتہ

خاتمة

حاولنا في هذا البحث تسليط الضوء على جانب من نشاط التيار الثوري من خلال إشكالية محددة: قيمة الهوية في خطاب التيار الثوري الاستقلالي في الجزائر، من ميلاده إلى يوم تفجير الثورة، وقد حاولنا في مقاربتنا أن تكون دلالة مصطلح الخطاب موضوع الدراسة، تشمل كل المادة الفكرية التي تمكن التيار الثوري من إنتاجها خلال معركته ضد الاستعمار، والتي توفرت من نشاطاته وكتابات وتنظير إدارته، أو من خلال برامج الحزب.

التمدد الاستعماري الفرنسي في الجزائر؛ هو المبرر الأول لرد الفعل الوطني المناوئ للاستعمار، ولم تظهر إشكالية الهوية؛ إلا مع الاحتلال الفرنسي للجزائر، وقد أرادها الاستعمار الفرنسي معركة تكسير العظام، إذ لم يكفه سلب الأرض وتشريد أهلها، بل رهن على أن تمام عملية الاستعمار لا بد لها من حياة الفضاء الزمني والمكاني، ودمج المنطقة في الفضاء الثقافي المسيحي اللاتيني، لذلك عمل الاستعمار جاهدا لطمس كل ما يغاير هويته. وطيلة وجودهم في الجزائر اعتمد الفرنسيون لصناعة التمييز العنصري على العامل الديني، فقد اشترطوا بأن لا يقبلوا للجنسية الفرنسية إلا من يتخلى عن دينهم الجزائريين، وفرضوا قوانين التمييز العنصري؛ عبر القوانين الاستثنائية استنادا على الانتماء الديني، وبذلك وقع الشعب الجزائري ضحية احتلال واستغلال وسياسة عنصرية من الفرنسيين.

كانت السياسة والممارسات الاستعمارية سببا وجيها لإجبار الأفراد والجماعات على التموغ والانهيار للجماعة الوطنية والاصطفاف الهوياتي، لمواجهة الخطر القادم والواقع المفروض بسبب الاحتلال، في هذه الحالة تنشط «الهوية في مواجهة الغيرية لتلازمها في الوجود»، فيزداد الشعور بالانتماء للهوية والجماعة. وكان الخطاب المعبر عن الرفض، جزءا من الفعل المقاوم، وكان الفعل الاستعماري ورد الفعل الوطني المقاوم، متلازمان، نظرا لقوة المرجعية المناهضة للوجود الاستعماري لدى الشعب الجزائري ضمن التوجه العربي الإسلامي، وعرف الخطاب المقاوم لدى الحركة الوطنية الجزائرية ثلاث مراحل: مرحلة الندية حيث تم الاحتكام إلى السلاح، ثم مرحلة المقاومة الرمزية بالمتاح من الوسائل والنضال الثقافي والمطلبي، ثم مرحلة المقاومة السياسية. وتدخلت عدة عوامل في ثبات الجزائريين وصمودهم، أهمها العامل الديني وهو العامل الأول للحفاظ على الهوية، فكانت المقاومة العسكرية تحت راية وروح الجهاد. وقد تنوعت وسائل الرد لدى الجزائريين، حسب المتاح الوسائل، في معركة مصيرية تستدعي الثبات، وإن تطلب الأمر المناورة؛ دون التخلي عن المبدأ.

مع بدايات القرن العشرين أخذت المقاومة الوطنية الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي ميادين

وأشكالا جديدة، بانتقال الدفاع عن الهوية لدى الحركة الوطنية من الرمزية والسرية إلى المجال العملي؛ الثقافي، والاجتماعي، والسياسي مما زادها فعالية وتأثيرا. فجايلت التطور الحاصل، وتمت المزوجة بين الدين والسياسة في الفعل المقاوم. وانتعشت الروح الوطنية، حين صقلت الحركة الوطنية الجزائرية تجربتها في النشاط العام ومن خلال تأسيس النوادي والجمعيات، وتأسيس الصحف، والإنتاج الفكري والأدبي المدافع عن الهوية، والاهتمام بتاريخ الجزائر، ومن خلال كتابة العرائض وتشكيل الوفود، والمشاركة في المجالس البلدية والنيابات المالية.

ساهمت إصلاحات وظروف ما بعد الحرب العالمية الأولى، في حلحلة الوضع السياسي في الجزائر، وخطت الحركة الوطنية الجزائرية خطوتها الأولى نحو الإفصاح عن نفسها، بتبنيها مهمة الدفاع عن حقوق الأهالي المسلمين، كحركة وطنية مستعدة لخوض مجال العمل السياسي، وانطلقت بقوة مع مرحلة الأمير خالد سنوات 1919-1924، وتطلعت النخب المسلمة الجزائرية لاقتكاف حق تمثيل المسلمين والعمل تحت راية حزب وطني مكون من العنصر الإسلامي، إلا أن الإدارة الاستعمارية أوقفت ذلك حين نفت الأمير خالد من الجزائر، وقمعت حركته بعنف، ووادت تجربته في المهدي.

كانت الروح التي تركتها حركة الأمير خالد في الجزائر والمهجر، قد تبنها شباب جزائري مسلم في المهجر، ومن خلال حاجة الحزب الشيوعي لتحالف مع أبناء المستعمرات لمواجهة خصومه، استغل هؤلاء الشباب المهاجر ومنهم مصالي الحاج، فرصة العمل مع الحزب الشيوعي، لاكتساب ثقافة وطرق ومفردات النضال السياسي والنقابي وتجربة العمل المؤسساتي الحزبي، وأكثر من ذلك الحصول على فترة حضانة لمشروعهم. "فمن رحم الأزمات تولد الفرص" ورغم ضبابية المشهد، وأنين جراحات العالم الإسلامي التي كان يصم الأذان آنذاك في مناطق متفرقة، في دار الخلافة، وفي الريف بالمغرب، وفي العراق، والشام، رغم كل هذا؛ سارت الأمور بسلاسة ودون ضجيج، ليظهر عنوان للعمل الوطني بديار المهجر باسم «نجم إفريقيا الشمالية» والذي احتاج لفترة حضانة، كما احتاج سيدنا موسى عليه السلام لفترة حضانة وطفولة في قصر عدوه فرعون، وكان التيار الثوري حضانته قصيرة فاستقل بنفسه بسرعة، وكان عليه أن يواجه الحياة بعزيمة وروح مثابرة.

كان ميلاد التيار الثوري في المهجر في الثلث الأول من القرن العشرين، إيذانا بانتقال خطاب الهوية من مرحلة المهادنة، إلى مرحلة متقدمة من المعارضة-المجابهة، وبما أنه لا مبرر لوجود لحزب بدون قضية يتبناها، وحيث أنه "يقع اللجوء إلى موضوع الهوية كلما جدّ شكل من أشكال التحدي الخارجي"، فقد انتزع التيار الثوري مبرر وجوده بربطه مسألتي الهوية والاستقلال، حين دافع عن الهوية باعتبارها المبرر الأول

المطالبة بالاستقلال، وطالب بالاستقلال انتصارا للهوية، فتم الاعتماد على مخاطبة الشعب باستثارة الشعور المرتبط بالهوية من خلال الاعتزاز بالدين والوطن، لنصرة الشخصية الوطنية، والتي بفضلها سيتم تحديد العدو ومحاربه، وتحديد البوصلة نحو الهدف وهو الاستقلال، فكان مطلب الاستقلال أكثر وأهم جوانب الهوية تعبيراً وحسماً، وبذلك افتك التيار الثوري ما نال بالشرعية واعتراف الجميع، من الأهالي حين عبر عن طموحاتهم الحقيقية فالتفوا حوله، ومن الفرنسيين حين أصبح رقماً صعباً في الحركة الوطنية الجزائرية لا يمكن تجاوزه.

خلال سنوات قليلة تمكن التيار الثوري من الانسلاخ من التبعية للحزب الشيوعي على مراحل، تنظيمياً، ثم الابتعاد من الناحية الإيديولوجية، عبر إظهار أسس منطلقاته اعتماداً على طموحات الشعب الجزائري المسلم، ففي جلسة مؤتمر النجم سنة 1933 منع فيها النجم على أعضائه ازدواجية الانتماء، وهكذا تحرر من الوصاية الأبوية التي كان يمارسها الحزب الشيوعي. واعتبر مشروعه امتداداً لتلك الروح الثورية التي لازمت الجزائريين منذ قدوم الاحتلال، وحتى يجد له مكاناً مميزاً في ساحة العمل السياسي، ويكون عمله جذرياً وثورياً، اتخذ التيار الثوري من الدفاع عن الهوية الوطنية في أبعادها المختلفة (الوجود السياسي- الاقتصادي- الاجتماعي والرمز: الدين، اللغة، القيم الحضارية) موضوعاً محورياً لنضاله الوطني، لأنه كما يقول سارتر J.P.Sartre: «لتكون الهوية شيئاً محدداً يمكن المطالبة بها، ينبغي أن تكون مشكلة». لذلك جاء الخطاب الثوري منتصراً للهوية من خلال: -التأكيد على ثنائية الأنا والآخر وإظهار التمايز؛ -إحداث شرح مع الاستعمار؛ ليجسد الخطاب الثوري فكرته على أرض الواقع. وبذلك نسف خطاب التيار الثوري مشروع الإدماج من أساسه، ودق من اليوم الأول إسفيناً في نعش الاستعمار؛ وأسطورة الجزائرية فرنسية.

التيار الثوري كحركة ثورية ريادية أدرك أنه عليه أن تتوافق شعاراته وسياساته، مع قيم وثقافة مجتمعه ومع حضارته، وهو الشيء الذي جسده مبكراً، في كل المجالات من خلال برامجه وخطاب قاداته وشعارته ورموزه، فقد كان نجم شمال إفريقيا يملك بطاقات مميزة؛ تحمل شعارات بدلالات هوياتية، وله قواعد ومراسيم، فكانت الاجتماعات تبدأ بنشيد الحزب الذي ألفه مفدي زكريا، حيث يتم إنشاده والاستماع إليه بكل خشوع، مع السبابة مرفوعة إلى السماء، فكان للوطن والإسلام المعنى نفسه، وأثناء جولاته في الجزائر، كان مصالي يبرهن بالآيات القرآنية؛ على صحة مبادئ حزبه؛ ويندد بالإدماج والإلحاق، وقد مر التيار الثوري بمسار طويل وشاق، ليبلغ مرحلة النضج؛ ويفرض نفسه تدريجياً بأنه الحل المناسب الموصل للاستقلال.

نقل التيار الثوري نشاطه للجزائر بعد أن تعرف على الواقع الجزائري، فتأثر وأثر في محيطه السياسي، فقد تبنى التيار الثوري خطابا يدعو للعمل على إرجاع الجزائر إلى محيطها العربي الإسلامي وهويتها الطبيعية، بل وتفوق على جمعية العلماء في نظرتهم السياسية، وفي عدم تساهله في حدود الهوية، حين رفض رفضا قاطعا، القبول بمطلب إلحاق الجزائر بفرنسا؛ بمناسبة فعاليات المؤتمر الإسلامي 1936، وقد اكتسب التيار الثوري مكانته التي حظي بها بفضل مايلي:

1. أن التيار الثوري أول من طالب بالاستقلال علانية، وبالتالي استطاع البوح بما كان محرما على الجزائريين مجرد التعرض له بأي شكل من الأشكال.

2. لم يتنكر لهوية شعبه فعظم شأنها، من خلال شعاراته، وخطاباته، ودفاعه عن حدود الهوية، رافضا ذوبان الشعب المسلم في المجتمع الفرنسي والفضاء الثقافي الغربي تحت أي مسمى، سواء تحت مسمى الإدماج، أو التجنيس، أو الإلحاق، فقد بنى التيار الثوري استراتيجيته على عدم التساهل في حدود مبادئه وهما الهوية والاستقلال، وجعلهما متلازمان، مما استدعى منه أن يقف موقفا صارما من التجنيس والإلحاق، فيقول مصالي: «ان الخط الذي نسلكه في جهادنا هو خط التحرير، وليس خط الإدماج والتجنيس»، وهو نفس ما عبر عنه مصالي الحاج في نداءه بتاريخ 13 نوفمبر 1936 الموجه إلى الأمة الجزائرية، والذي جاء فيه: «إن مبادئ حزبك الوطني الذي أسس على المليّة من أول يوم هي السعي لتحريرك بالطرق المشروعة في دائرة إسلامك وجنسيّتك... وهذه كلها تأتي علينا أن... نطلب الإلحاق... وإنا لنختار أن نبقي مضطهدين جزائريين من أن نصير أحرارا فرنسيين».

3. مؤهلات وقدرات التيار الثوري التعبوية والتنظيمية، في تسيير وتوجيه الجماهير، والتي كان جزء منها ذاتي، وجزء منها مكتسب من خلال فترة الاحتكاك بالحزب الشيوعي الفرنسي.

4. عرف حزب مصالي كيف يستفيد من الفرص التي أتاحت له، وكمثال فإن منصة المؤتمر الإسلامي 1936 التي كانت محطته الأولى مع الجماهير المسلمة في أرض الوطن، كانت سببا في اختطاف مصالي الأضواء بسرعة وبداية لسطوع نجم الحزب والزعيم.

5. ثبات التيار الثوري على المبدأ ضد الترغيب والترهيب طول مسيره النضالية، ودفع ثمنا غاليا عرفا ودموعا؛ وقد توفي الكثير من القادة بين 1938-1943، ولم يرو ثمرة أعمالهم منهم أرزقي كحال ومحمد دوار.

6. من أجل نصرته الهوية؛ خاض التيار الثوري صراعا فكريا ضد الاستعمار؛ حين عمل على تثبيت وجود الأنا في مقابل الآخر، كما عمل من أجل كسر الصرح الإيديولوجي؛ الذي بنيت عليه نظرية الجزائر

فرنسية، كبداية لتفكيك الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر، واسترجاع السيادة الوطنية، مستفيدا من معطيات الداخل والسياق الدولي.

7. كان للتربية الدينية التي تلقاها قادة النجم وعلى رأسهم مصالي الحاج الذي تلقى الجرعة الإيديولوجية الأولى للدفاع عن الإسلام، في الزاوية الدرقاوية، دورا حاسما في الاعتزاز بالإسلام عقيدة وشريعة، وهي التي أبعدت مصالي الحاج ورجال التيار الثوري؛ عن هيمنة الحزب الشيوعي الفرنسي في ما بعد، ليقوموا بإنشاء تنظيمهم الخاص المستقل «نجم شمال إفريقيا»، وهذا ما عبر عنه المؤرخ ش. ر. أجرون بقوله: «لقد وجد الجزائريون في الإسلام ملجأ ومبعث أمل، ومهما كانت فلسفة المؤرخ لا يمكنه إلا أن يلاحظ بأن مقاومة هذا الشعب تتجلى كلية في الإسلام وبالإسلام». وهذا الارتباط والتأكيد كان حاضرا حتى في المسائل التنظيمية ومسائل العضوية، ومن ذلك تقرير النجم فيفري 1927 الذي نص على أن: «مسلمي شمال إفريقيا فقط يمكن لهم أن يكونوا أعضاء عاملين في الجمعية، وهم يتعهدون أثناء انتسابهم باحترام نظام الجماعة، في حين أن الأعضاء غير المسلمين لن يكونوا سوى أعضاء شرفيين».

8. مع كل اسم جديد للتيار الثوري، كان ثمة تأكيد جديد لارتباط التيار بعناصر بالهوية، منذ وقت مبكر من حياة النجم، فجريدة الإقدام الشمال إفريقي أوردت برنامج النجم لسنة 1927، والذي تضمنت بنوده مطلب إنشاء مدارس باللغة العربية، ونشر كل العقود الرسمية باللغة العربية والفرنسية معا.

كانت فترة الثلاثينات مرحلة حاسمة للتيار الثوري وحافلة بإنجازاته، فبعد أن اطمأن لقواعده في فرنسا والجزائر، قرر التعرف على الواقع الجزائري والتعاطي معه عن قرب، وكانت فترة الثلاثينات فترة خصبة في حياة التيار الثوري، وفيها سجل النجم اختراقات لصالح القضية ومن أهم المسائل التي زادت في رصيد التيار الثوري:

1- فتح جبهة للتواصل مع المشرق العربي، بقاء مصالي الحاج مع شكيب أرسلان، حيث دشن بداية الاستفادة؛ من العمق والفضاء العربي الإسلامي، واستثمار العلاقات معه لصالح القضية الوطنية، وكان انفتاحه هذا على البعد الحضاري العربي الإسلامي، قد ساعده في تطوير طريقة استثمار مسألة الهوية، من عنصر دعم ثانوي في خطاب التيار الثوري؛ إلى عنصر رئيس، وكانت مراهنة التيار الثوري على الهوية تعبر عن توجه استراتيجي له لإحداث شرح مع الاستعمار.

2- تعرف النجم على الواقع الجزائري مع فرصة المؤتمر الإسلامي 1936 والذي أحسن مصالي

3- استغلالها، فتحول التيار الثوري من نكرة إلى تيار له وزنه في الجزائر، لينقل مقره حزبه نهائيا من باريس إلى الجزائر في نوفمبر 1938.

4- حين وقف موقفا ثابتا برفضه لمسألة الإدماج والتجنيس، ومن خلال مقاومته لمشروع بلوم- فيوليت Blum-Viollette (1931-1936) الذي أراد أن يعطي الجنسية الفرنسية لفئة قليلة من الجزائريين. وقد بذل للتيار الثوري جهود كبيرة لعرقلة هذا المشروع.

5- معركته ضد مشروع إلحاق الجزائر بفرنسا، التي دشنها مصالي الحاج بخطاب الملعب البلدي بالجزائر العاصمة الثاني أوت 1936 حيث قاد حملة ضد إلحاق الجزائر بفرنسا؛ مما جعله يواجه نقده للطبقة السياسية؛ ويوجه عتابا خاصا للعلماء في رسالة مفتوحة: «عتاب وتنبيه للعلماء حول مسألة الإلحاق وخطره على هوية الأمة»، وبذلك وضع حدا لأسطورة الجزائر الفرنسية أو إمكان دمج الجزائر في الكيان الفرنسي، فتعلق الشعب بالزعيم والحزب، وولدت أسطورة الحزب، والزعيم، والجهاد في الجزائر.

6- تقديرا من التيار الثوري لقيمة الوحدة، انخرط في عملية البحث عن الإجماع على قاعدة الهوية، والتوافق على المطالب الأساسية للشعب الجزائري، في عدة محطات تاريخية للحركة الوطنية بداية بالمؤتمر الإسلامي 1936 مرورا ببيان 10 فيفري 1943 وحركة أحباب البيان والحرية 1944، وأخرها تشكيل الجبهة الجزائرية من أجل للدفاع واحترام الحرية 1951.

الاستقلال كطموح لنصرة الهوية مطلب نادى به النجم في وقت مبكر منذ مؤتمر بروكسل 1927

والاستقلال يعني استعادة سيادة الدولة الجزائرية، إلا أن فكرة الدولة لم تكن جاهزة في بدايات نشاطه، وبالتدريج اتضحت معالم الفكرة وأفصح عنها خلال مسارات الحزب التالية:

1- مسار الخطاب الثوري؛ الذي عمد إلى نقد الخطاب الاستعماري؛ وفضح السياسة الاستعمارية في الجزائر.

2- مسار قيامه باتخاذ رموز حزبية ذات الدلالات الهوياتية، وفي هذا الإطار نجد أن من أهم الخطوات التي حققها التيار الثوري، في إدراكه للهوية كقيمة في النضال، من أجل استرجاع الدولة، اتخاذه لجملة من الشعارات والرموز، التي تتم عن إدراكه لقيمة الهوية في خطوات بناء الدولة، ومنها **النشيد الرسمي، والعلم الوطني، وشعار الحزب: والجزائر وطننا، الإسلام ديننا، والعربية لغتنا**، والشعارات على بطاقات الانخراط.

3- إصراره في مواقف عديدة بداية بالمؤتمر الإسلامي 1936 على رفض إلحاق الجزائر بفرنسا؛ رفضا قاطعا، واعتبار الوجود الفرنسي في الجزائر حالة آيلة للزوال.

4- مسار المشاركة في الانتخابات، حين عبر نوابه في البرلمان الفرنسي؛ أن حضورهم للمجلس ليس إقرارا بالتبعية للدولة الفرنسية؛ وإنما لتبليغ رسالة للرأي العام؛ بحق الشعب الجزائري المسلم في تسيير شؤونه بنفسه.

5- مسار وثائق الحزب وبرامجه التي تضمنت بحث وإثراء فكرة الدولة المستقبلية، استعدادا لمرحلة ما بعد الاستقلال، وانطلقت مع تأكيد الحزب من خلال برنامج 1933 على إقامة الدولة الجزائرية بدل تحرير شمال إفريقيا، وتأكيد ذلك في البرامج اللاحقة.

6 - مسار العلاقات الخارجية حين تعامل بروح المسؤولية، بقيام الحزب بنشاط خارجي للتعريف بالقضية الوطنية في كل المنتديات والمحافل. حيث تحمل التيار الثوري المسؤولية كاملة في نصرة هوية الجزائر خارجيا عبر الجهود الخارجية لتذكير العالم والأمم المتحدة بالحقائق التاريخية والحضارية والجغرافية لهوية الجزائر، وحق الشعب الجزائري في استرجاع السيادة على أرضه، وتنبه التيار الثوري مبكرا لقيمة استثمار المحافل الدولية لصالح قضية الجزائر منذ مؤتمر بروكسل سنة 1927-ورسالة مصالي الحاج إلى عصبة الأمم 1930. -رسالة مصالي للرئيس الفرنسي 1936 لإيقاظه من وهم الجزائر فرنسية، ولتذكيره بوجود كيائين مختلفين ومستقلين هما الجزائر وفرنسا.- مداخلات نواب حركة الانتصار في البرلمان الفرنسي بعد الانتخابات البرلمانية 1946 وتأكيدهم على هوية الجزائر، خاصة المداخلات الجريئة للنائين عن حركة الانتصار الدباغين، وبوقادوم.-ورسالة مصالي الحاج إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة سبتمبر 1947.-رسالة مصالي إلى جمعية الأمم سبتمبر 1948.-ونداء مصالي الحاج إلى هيئة الأمم المتحدة 1948.-عريضة حركة الانتصار ضد إدماج الجزائر في الحلف الأطلسي ماي 1949.-مذكرة حركة الانتصار إلى هيئة الأمم المتحدة 20 سبتمبر 1950. -وجولات مصالي في المشرق العرب كعمق استراتيجي،- والجهود لتوحيد عمل الحركات الوطنية للمغرب العربي منذ 1945 ضمن جهود التحرير المغاربية والتي توجت بتأسيس لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة سنة 1948.

سجلت نهاية الأربعينات تطورات وحوادث مهمة في حياة التيار الثوري، فرغم الأزمات المزلة التي أصابته، إلا أنها لم توقف مسيرة الحزب، ومنها (الأزمة البربرية واكتشاف المنظمة الخاصة) حيث استطاع تجاوز المحن والاستعداد لفترة ما بعد الاستعمار، وفيما يخص الأزمة البربرية، هناك من يرى أن الإدارة الاستعمارية هي التي كانت من وراءها، لضرب وحدة الشعب التي تجسدت في تجمع أحباب البيان، وفي مظاهرات الثامن ماي 1945، وقد بدأت الأزمة البربرية كمطالب ثقافية، تلتقتها عناصر لاثكية، كفرصة لمحاربة العروبة والإسلام، وهي عناصر معروفة بتأثرها بالإيديولوجية الشيوعية، التي كانت تنكر وجود أمة جزائرية تشكلت بناء على ثوابت العروبة والإسلام، وقد سارعت حركة الانتصار لاستثارة النزعة الوطنية، والعمل على دحض النظرية العرقية؛ التي بنيت عليها النزعة البربرية، مع احترام للثقافة البربرية، والتأكيد على أن الشعب الجزائري شعب موحد، بوحدة الدين والتاريخ المشترك، وكان على رأس الذين تصدوا للمؤامرة

بشئى الوسائل، أبناء منطقة القبائل أنفسهم من قادة الحزب والذين لا يستطيعون المزيد عليهم أحد مثل بلقاسم راجف. شوقي مصطفى، والصادق سعدي.

دشن التيار الثوري مرحلة الاستعدادات الفكرية لمرحلة ما بعد التحرير، فبعد رصيد نضالي لمدة عقدين من الزمن وصل التيار الثوري نهاية الأربعينات، إلى مرحلة التعامل مع مسألة التخطيط لما بعد التحرير، والاستعدادات لبناء الدولة المستقبلية، فاجتهد في تحديد الخطوط العريضة لشكل النظام للدولة الجزائرية المستقلة، عبر إثراء إيديولوجية الحزب وتوفير وثائق مرجعية، والمقصود مجموعة الوثائق التي صاغها الحزب في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، والمتمثلة في:

1- مطبوعات حزب الشعب بالقاهرة بداية الخمسينات، التي أوردها المؤرخ يحي بوعزيز، في كتابه السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب، والتي تطرقت لمسألة الهوية الجزائرية واعتبرت أن الإسلام هو ضمان تماسك البناء الوطني، وأن التنوع اللغوي في الجزائر تنوع إثراء لا تنوع فرقة، وأنه بفضل الإسلام تكونت وحدة متماسكة هي وحدة الدين واللغة والمزاج والطبائع.

2- الوثائق التي صاغها المجلس المركزي للإعلام والوثائق، التابع لحركة الانتصار عام 1951، التي اعتبرت في حينها كوثيقة مرجعية للحزب، وكملف جاهز يقدم للهيئات الدولية الغرض منه إدانة الاستعمار، وإبراز الحقائق التاريخية والحضارية والجغرافية للجزائر، كحجة قانونية من أجل استرجاع سيادتها، وفي نفس الوقت خطاب موجه لتتوير إلى الرأي العام، حول قضية الجزائر، وجاءت وثيقة الاعتبارات العامة تحمل ستة ردود على المزاعم الفرنسية تجاه وجودها في الجزائر: - تنفيذ المهمة الحضارية لفرنسا بالجزائر. - الرد على إنكار الفرنسيين على عدم وجود أمة جزائرية. - دحض مزاعم الازدهار الاقتصادي في الجزائر. - دحض مزاعم الزيادة الديموغرافية بسبب الخدمات الصحية. - كشف زيف السياسة الاندماجية- وإثبات أن السياسة الفرنسية في الجزائر قائمة على الإجحاف والظلم والعنصرية والاقصاء. وفي أغلبها تعاملت الوثيقة مع حقائق الوطن ومقومات الدولة غير أنه يمكن تسجيل بعض الملاحظات على ما جاء في هذه الوثيقة، إذ يلاحظ أنه في مرحلة ما أصبح تيار ذي خلفية شيوعية له كلمة في توجيه سياسة الحزب، وظهر أثرهم من خلال: -محاولة التتكر لمكانة الدين، و-الانحياز للخيار العلماني والرؤية اليسارية، و-التتكر واضح لخطاب النجم الأول. رغم أن فشعار الحزب مازال آنذاك هو: الجزائر وطننا، الإسلام ديننا، العربية لغتنا، كما وردت أولا في بطاقة الاشتراك الثانية للنجم متبوعا بهذه الجملة: «إن الذين يرغبون في إلحاق بلدنا والذين يريدون التتصل من أصلنا هم ألد أعدائنا وألد أعداء الإسلام». ولم يتقبل الشعب أفكار الحزب إلا لتطابقها مع هوية الشعب وإلا فما مبرر التدافع ورفض التجنيس والاندماج.

3- تقرير وتوصيات المؤتمر الثاني لحركة انتصار الحريات الديمقراطية أبريل 1953، هذه الوثيقة المنجزة في المؤتمر تداركت النقص في الجانب الإيديولوجي للحزب، فإضافة لمعالجتها لكثير من لمشاكل الحزب، حمل التقرير إشارات واضحة إلى مسألة الهوية، من غير غموض ولا تأويل، لتحديد المبادئ التي تقوم عليها جزائر الغد، وهذه المبادئ لا يمكن أن تحدد على كل حال إلا وفق الصفات الأساسية للشعب الجزائري، وهذه الصفات هي أن الجزائر جزء من محيطها الشمال إفريقي، بنفس الخصائص من تونس إلى الدار البيضاء، والتي مع مجيء العرب بالإسلام تكون شعب واحد تتكلم بأغليته بالعربية، وحركاته متجانسة مطبوعة بطابع الإسلام، وحتى في القانون الأساسي المصادق عليه من طرف المؤتمر، فإنه اشترط في مادته الثانية على المنخرط في الحزب أن يكون له سلوك مطابق للتعاليم الإسلامية، وإلى جانب هذه المبادئ التي تحدد شكل الدولة وهي دولة ديمقراطية نظام جمهوري، والرخاء الاقتصادي، والعدالة الاجتماعية. كذلك جاء التأكيد على احترام المعتقدات الدينية كما أمر الإسلام، ونشر الثقافة القومية المتصلة اتصالا وثيقا بالثقافة العربية الإسلامية، وأن الثقافة القومية هي العماد الذي تركز عليه للنهضة الشاملة بدءا بمحاربة الأمية، مع الارتكاز بوجه أخص على نشر اللغة القومية وتعميمها، ألا وهي اللغة العربية.

1- بيان أول نوفمبر 1954: اقتنع مفجري الثورة من أعضاء المنظمة الخاصة؛ أنه لا طائل من المهارات السياسية؛ وأن عمل جاد وجذري كفيل بحل مشكلة الجزائر من الأساس؛ وبذلك كانت ثورة نوفمبر قطيعة مع ممارسات الحزب السلبية وفي نفس الوقت تنويع لجهود أجيال من أبناء الحزب المؤمنين بالعمل الثوري. وجاء الموعد النهائي للجولة الحاسمة الذي وقعته مجموعة الستة (محمد بوضياف، مصطفى بن بولعيد، العربي بن مهدي، رابح بيطاط، ديدوش مراد، كريم بلقاسم) واختارت يوم الاثنين 5 ربيع الأول 1375 هـ الموافق 1 نوفمبر 1954 كموعدا لإعلان انطلاق الثورة المباركة، وهم في خضم التحضيرات لم يفتهم التوقيع على أهداف الكفاح المسلح، والتي اشارت بشكل واضح لهوية الدولة، من خلال البند التالي الذي تضمنه بيان أول نوفمبر 1954: «إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية واختيار كلمة السر خالد-عقبة، ليلة اندلاع الثورة، كل هذا كان تعبيراً عن حالة من الوعي بأن عناصر الهوية لها نفس الأهمية ونفس الدور سواء في عملية التحرير أو في بناء الدولة.

بِسْمِ اللَّهِ

الله الحق

ملحق رقم 1

خطاب مصالي في مؤتمر بروكسل 10-15 فيفري 1927

DISCOURS DE MESSALI HADJ AU CONGRES DE BRUXELLES, LE 10-15 FÉVRIER 1927

L'impérialisme français s'est installé en Algérie par la force armée, la menace, les promesses hypocrites, il s'est emparé des richesses naturelles et de la terre en expropriant des dizaines de mille de familles qui vivaient sur leur sol du produit de leur **travail**.

Les terres expropriées ont été cédées aux colons européens, à des indigènes agents de l'impérialisme et aux sociétés capitalistes. Les expropriés ont été obligés de vendre leurs bras aux nouveaux propriétaires du sol s'ils voulaient continuer de vivre. Des populations qui vivaient dans un état de prospérité qu'elles n'ont pas aujourd'hui, l'impérialisme en a fait des affamés, des esclaves, et cette expropriation s'est faite **comune** partout sous le signe de la civilisation.

C'est au nom de cette soi-disant civilisation que toutes les traditions, toutes les coutumes, toutes les aspirations des populations indigènes sont foulées aux pieds. Bien loin d'apporter à ce pays l'aide qu'il aurait pu utiliser pour se développer, l'impérialisme français a joint à l'expropriation et à l'exploitation, la domination politique, la plus réactionnaire, privant les indigènes de toute liberté de condition, d'organisation, de tous droits politiques et législatifs, ou bien n'accordant des droits qu'à une toute petite minorité d'indigènes corrompus,

À cela, s'ajoute l'abêtissement systématique obtenu par l'alcool, l'introduction de nouvelles religions, la fermeture des écoles de langue arabe existant avant la colonisation et enfin, pour couronner son œuvre, l'impérialisme enrégimente les indigènes dans son armée en vue de poursuivre la colonisation, pour servir dans les guerres impérialistes et pour réprimer les mouvements révolutionnaires dans les colonies et dans la Métropole

C'est contre cette politique coloniale, contre cette oppression que les populations laborieuses d'Afrique du Nord ont mené et mènent encore une action permanente par tous les moyens dont elles disposent, pour atteindre l'objectif qui renferme leurs aspirations de l'heure présente : l'indépendance nationale.

CENT ANNÉES DE COLONISATION

Depuis 1830, l'expropriation et l'oppression systématique et brutale ont conduit la population algérienne non pas dans la voie du progrès mais à l'esclavage. Aujourd'hui, deux millions huit cent mille hectares des meilleures terres, soit en surface soit en sous-sol, sont la propriété des Européens capitalistes. Des familles indigènes expropriées ont dû vendre leurs bras aux nouveaux propriétaires du sol ou émigrer dans les centres urbains.

En même temps, il a institué un système de domination politique détruisant les anciennes formes de la démocratie musulmane qui existaient avant la colonisation (douars, tribus, provinces) conservant seulement la caricature de ces formes, écartant les indigènes de la gestion du pays.

Cet état de fait a été codifié avec ce qu'on appelle la Code de l'Indigénat qui fait des indigènes des sujets privés de tous droits politiques et soumis aux lois d'exception (tribunaux répressifs, cours criminelles, haute surveillance, responsabilité collective, amendes et punitions corporelles).

Le droit d'être citoyen est seulement réservé à une petite minorité

d'indigènes qui ont été assimilés par l'impérialisme français. Seuls les Européens et les privilégiés indigènes peuvent élire leurs représentants dans les assemblées C'est-à-dire que 540 000 Européens et quelques dizaines de mille d'indigènes élisent leurs représentants et 3

millions c'est-dire la majorité de la population n'ont aucun droit. Par contre ils doivent payer des impôts et faire leur service militaire.

Dans le domaine culturel, la colonisation fait aussi son cuivre, 516 écoles avec 35 000 élèves indigènes donnant l'enseignement en langue française doit suffire à une population de cinq millions d'indigènes. Par contre pour huit cent mille Européens il y a 1 200 écoles. Les écoles libres en langue arabe ont toujours été défendues. L'accession des indigènes à l'instruction supérieure est quasi impossible.

Si l'on ajoute à cela le recrutement militaire obligatoire des indigènes d'Algérie dans l'armée de l'impérialisme français pour une durée de service de 6 mois supérieure aux Français, contingent dont on veut porter l'effectif d'après les nouveaux projets militaires du gouvernement français de 45 000 à 180 000 pour mieux servir les buts de l'impérialisme français, alors on aura un tableau objectif de ce que représentent cent années de « civilisation française » en Algérie.

La population d'Algérie exploitée et opprimée est en lutte permanente contre l'impérialisme français pour se libérer de son joug et conquérir l'indépendance.

LES REVENDICATIONS DES ALGÉRIENS

L'Étoile Nord-Africaine, qui représente les intérêts des populations laborieuses de l'Afrique du Nord, réclame pour les Algériens l'application des revendications **suivantes** et demande au Congrès de les faire siennes :

L'indépendance de l'Algérie ;

Le retrait des troupes françaises d'occupation;

La confiscation des grandes propriétés agricoles accaparées par les féodaux agents de l'impérialisme, les colons et les sociétés capitalistes privées, et la remise de la terre confisquée aux paysans qui en ont été frustrés. Retour à l'État algérien des terres et forêts accaparées par l'État français

Ces revendications essentielles pour lesquelles nous combattons, n'excluent pas l'action énergique immédiate pour arracher à l'impérialisme français :

L'abolition immédiate du Code de l'Indigénat et des mesures d'exception;

L'amnistie pour ceux qui sont emprisonnés, en surveillance spéciale, ou exilés pour infraction à l'indigénat;

Liberté de presse, d'association, de réunion; droits politiques et syndicaux égaux à ceux des Français qui sont en Algérie ;

Le remplacement des délégations **financières élues au suffrage restreint** par un parlement algérien élu **au suffrage universel** ;

Accession à l'**enseignement à tous les degrés : création** d'écoles en langue arabe;

Application des lois sociales

Élargissement du crédit agricole au petit fellah, etc.

Ces revendications n'ont de chances d'aboutir que si les Algériens prennent conscience de leurs droits et de leur force, s'unissent et se groupent dans leurs **organisations pour les** imposer au gouvernement français.

Étoile Nord-Africaine

Source: Al Rail Al Aura (Le Fanion Rouge) reproduit dans La lulle sociale, le 11 mars 1927 et dans le Bulletin du Comité de l'Afrique française (BCAF, 1928, p. 184).¹

¹- Djanina Messali-benkelfat : *Une vie partagée avec Messali Hadj mon père*, Les éditions Riveneuve Paris, France, 2013 .

ملحق رقم 2

مقتطف بالعربية من خطاب مصالي في مؤتمر بروكسل 10-15 فيفري 1927.

مطالب نجم شمال إفريقيا المقدمة في مؤتمر بروكسل 18 و 14 فيفري 1927م وقد قدمت هذه المطالب من طرف مصالي الحاج ممثل النجم.

- 1- استقلال الجزائر.
- 2- الانسحاب الكامل لقوات الاحتلال الفرنسي.
- 3- إنشاء جيش وطني جزائري.
- 4- مصادرة الأراضي الزراعية الكبيرة التي استولى عليها الإقطاعيون عملاء الإمبريالية، من كولون ومؤسسات رأسمالية خاصة. وإعادة هذه الأراضي إلى الفلاحين الذين كانوا قد حرّموا منها.
- 5- احترام الملكيات الصغيرة والمتوسطة
- 6- إعادة الأراضي والغابات التي استولت عليها الدولة الفرنسية إلى الدولة الجزائرية.
- 7- الإلغاء الفوري لقانون الأهالي والإجراءات الاستثنائية.
- 8- العفو عن السجناء وعن أولئك الذين يخضعون للمراقبة الخاصة والمنفيين، بحجة مخالفة أحكام قانون الأهالي.
- 9- حرية الصحافة، وحرية تكوين الجمعيات، والاجتماع.
- 10- لمساواة في الحقوق السياسية والثقافية مع الفرنسيين الموجودين في الجزائر
- 11- استبدال النيابات المالية Délégations Financières المنتخبة في اقتراع ضيق ومحدود، ببرلمان جزائري منتخب في اقتراع عام
- 12- انتخاب المجالس البلدية Assemblée Municibale في إقتراع عام.
- 13- تامين التعليم والارتقاء به إلى كافة الدرجات العلمية
- 14- إنشاء مدارس للتعليم العرب
- 15- تطبيق القوانين الاجتماعية.
- 16- توسيع مجالس القروض الزراعية لصغار الفلاحين.¹

¹ نشرته صحيفة الكفاح الاجتماعي، 11 مارس 1927، - عن : أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب،

ملحق رقم 3

نسخة من برنامج نجم شمال إفريقيا (الجمعية العامة المنعقدة بباريس في ماي 1933

PROGRAMME DE L'ÉTOILE NORD-AFRICAINE

Assemblée générale tenue à Paris, mai 1933.

Première partie

- 1.- Abolition immédiate de l'odieux Code de l'Indigénat et de toutes les mesures d'exception;
- 2.- Amnistie pour tous ceux qui sont **emprisonnés, en surveillance spéciale, ou exilés pour infraction à l'indigénat** ou pour délit politique;
- 3.- Liberté de voyage absolue pour la **France et pour l'étranger**;
- 4.- Liberté de presse, d'association, de réunion, droits politiques et syndicaux;
- 5.- Remplacement des délégations financières **élues au suffrage restreint par un Parlement algérien élu au suffrage universel**;
- 6.- Suppression des communes mixtes et des territoires militaires. Remplacement de ces organismes par des Assemblées Municipales élues au suffrage universel ;
- 7.- Accession de tous les Algériens à toutes les fonctions publiques sans aucune distinction. Fonction égale, **traitement égal** pour tous ;
- 8.- L'instruction obligatoire en langue arabe. Accession à l'enseignement à tous les degrés. Création de nouvelles écoles arabe. Tous les actes officiels doivent être simultanément publiés en langue arabe et française ;
9. En ce qui concerne le service militaire, respect intégral de la sourate coranique verset qui dit : « Celui qui tue délibérément un Musulman est voué à l'enfer durant l'éternité et mérite la colère et la malédiction ;
10. Application des lois sociales et ouvrières. Droit de chômage aux familles algériennes en Algérie et allocations familiales. Octroi immédiat des Assurances Sociales ; ETA Hit Sociales;
- 11-. Élargissement du crédit agricole aux petits fellahs organisation plus rationnelle de l'irrigation. Développement des moyens de **communication**. Secours remboursables du gouvernement aux victimes de famines périodiques.

Deuxième partie

- 1 - L'Indépendance totale de l'Algérie ;
- 2- Le retrait total des troupes d'occupation;
- 3- Constitution d'une armée nationale;
- 12- Gouvernement national révolutionnaire:
 - 1- Une assemblée constituante élue au suffrage universel ;

2- Le suffrage universel à tous les degrés et l'éligibilité dans toutes les assemblées pour tous les habitants de l'Algérie :

3- La langue arabe sera considérée comme langue officielle
gordetangon 2009 commentare, 2017nilis

4. La remise, en toute propriété, à l'Etat algérien des banques, des mines, des chemins de fer, des ports et des services publics, accaparés par les conquérants

5. La confiscation des grandes propriétés accaparées par les féodaux alliés des conquérants, les colons et les sociétés financières, et la remise de la terre confisquée aux paysans. Le respect de la moyenne, et petite propriété. Le retour à l'État algérien des terres et forêts accaparées par l'État français;

6. L'instruction gratuite, obligatoire à tous les degrés en langue arabe;

7- La reconnaissance par l'État algérien du droit syndical, de coalition et de grève, l'élaboration par lui des lois

8 - Aide immédiate, aux fellahs par l'affectation à l'agriculture de crédits sans intérêt pour l'achat de machines, de semences et d'engrais, organisation de l'irrigation et amélioration des voies de communication,

etc. Sources: El Ouma, septembre 1934, reproduit dans le Bulletin du Comité de l'Afrique Française (BCAF, 1934, p. 575-576).¹

ملحق رقم 4

مقتطف بالعربية من برنامج شمال إفريقيا

(الجمعية العامة المنعقدة بباريس في ماي 1933)

القسم الأول:

- 1 - الإلغاء الفوري لقانون الأهالي المقيت، وكافة الإجراءات الاستثنائية.
- 2- العفو عن جميع المسجونين،... بسبب مخالفة قانون الأهالي أو جنحة سياسية.
- 3- حرية التنقل المطلقة إلى فرنسا وإلى الخارج.
- 4- حرية الصحافة، والجمعيات والاجتماعات والحقوق السياسية والنقابية.
- 5- استبدال المندوبيات المالية والمنتخبين من الاقتراع المحدود ببرلمان وطني جزائري، منتخب ...
- 6- إلغاء البلديات المختلطة والمناطق العسكرية، واستبدال هذه الأنظمة مجالس بلدية منتخبة...
- 7- حق الجزائريين في الارتقاء إلى كافة مناصب الوظيفة العمومي، دون أي تمييز....

¹ - Djanina Messali, op.cit

- 8- التعليم الإلزامي باللغة العربية؛ إتاحة فرصة الوصول للدراسة في كافة المستويات. بناء مدارس عربية جديدة. نشر كافة القرارات الرسمية بالتوازي باللغتين العربية والفرنسية.
- 9- وفيما يخص الخدمة العسكرية، الاحترام الكامل للسورة القرآنية، والآية ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَعَجَزَ أَوْهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾: الآية {93} سورة النساء
- 10- تطبيق القوانين الاجتماعية وتشريعات العم....
- 11- توسيع القرض الزراعي للفلاحين الصغار.. إعانة لا ترد من الحكومة لضحايا المجاعات

القسم الثاني:

1- الاستقلال الكامل للجزائر

2- الانسحاب الكامل لقوات الاحتلال.

3- تأسيس جيش وطني.

الحكومة الوطنية الثورية:

- 1- مجلس تأسيسي منتخب من اقتراع عام.
- 2- اقتراع عام على كافة المستويات، وإمكانية الانتخاب في كافة المجالس لجميع سكان الجزائر.
- 3- اعتبار اللغة العربية لغة رسمية.
- 4- وضع كافة البنوك والمناجم والسكك الحديدية، والموانئ والأجهزة العمومية التي استأثر بها المحتلون، تحت الملكية التامة للدولة الجزائرية.
- 5- مصادرة الملكيات الكبيرة، وعودة الأراضي والغابات التي استولت عليها الدولة الفرنسية إلى الدولة الجزائرية.
- 6- التعليم المجاني والإلزامي بكافة المستويات باللغة العربية.
- 7- اعتراف الدولة الجزائرية بالحقوق النقابي، وتشكيل التكتلات وحقوق الإضراب، وإعداد القوانين الاجتماعية.
- 8- مساعدة فورية للفلاحين، عن طريق تخصيص قروض دون فوائد للزراعة من أجل شراء الآلات والبذور والسماد؛ تنظيم الري وتحسين طرق المواصلات ... الخ.¹

¹ - قنانش، وقداش: نجم شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 213.

ملحق رقم 5 من خطاب مصالي الحاج بالملعب البلدي بالجزائر العاصمة 2 أوت 1936

«...من المؤكد، أننا نوافق على المطالب المستعجلة، المتواضعة، والمشروعة التي يتضمنها الميثاق المطلي الذي قدم لحكومة الجبهة الشعبية، وأنا سندعم تنفيذها بكامل قوتنا، رغم تواضعها، لأن أصغر المطالب وأكثرها خصوصية، قمنا كثيرا، لأنها ستساهم في التخفيف من وطأة بوس هذا الشعب المسكين. هنا، أتعهد، باسم تنظيمي أمام الشيخ الجليل بن باديس، للقيام بكل ما هو ممكن إنسانيا لدعم هذه المطالب الخدمة النبيلة التي ندافع عنها جميعا. ولكننا نقول بصراحة، وبشكل لا يقبل التراجع، أننا لا نقر الميثاق المطلي، فيما يتعلق بإلحاق بلادنا بفرنسا والتمثيل البرلماني. في الواقع، بلادنا، اليوم، إداريا ملحقة بفرنسا وتتبع إدارتها المركزية، ولكن هذا الإلحاق نجم عن اجتياح عنيف، تلاه احتلال عسكري يركز في الوقت الحالي على الفيلق التاسع عشر للجيش، لم يوافق عليه الشعب مطلقا، بيد أن الإلحاق الذي طرح في الميثاق المطلي، يطلب طواعية باسم المؤتمر الذي، يزعم أنه يمثل إجماع الشعب الجزائري. يوجد إذن فرق جوهري بين إلحاق بلادنا، الذي أنجز رغما عنا، والإلحاق الطوعي الذي قبل به عن رضى تام المؤتمر الذي انعقد في 7 جوان، بالجزائر العاصمة المؤتمر الذي اختتم في ثلاث ساعات: «نحن أيضا أبناء الشعب الجزائري ولن نقبل مطلقا أن تلحق بلادنا ببلاد أخرى ضد رغبتها، لا نريد تحت أي ذريعة كانت أن نرهن مستقبل الشعب الجزائري وأمله في التحرر الوطني هذا المستقبل ملك للجيل القادم، ووحده له الحق في تقرير كيفية تسيير مستقبله ومصيره».¹

ملحق رقم 6 مداخلة النائب عن حركة الانتصار مسعود بوقادوم

خلال الجلسة الثالثة للمجلس الوطني التأسيسي الفرنسي 22 أوت 1946 رد النائب عن حركة الانتصار مسعود بوقادوم على النواب الفرنسيين: «لا يوجد اليوم إلا شعب واحد: عربي بربري، لكنه شعب واحد هو الشعب الجزائري»، ويضيف بوقادوم: «هذه الشخصية التي أراد الاستعمار أن يحوها...، الشعب الجزائري له دينه الإسلام، وله لغته العربية، وهما العنصران الأساسيان للشخصية الجزائرية التي غزاها الاستعمار» وعندما قوطع عدة مرات من قبل النواب الفرنسيين يرد بوقادوم: «لا تنسوا بأني جزائري قبل كل شيء. أنا مسلم قبل كل شيء».²

ملحق رقم 7 مقتطف من رسالة مصالي الحاج إلى جمعية الأمم سبتمبر 1947

وجاء في رسالته «الجزائر ليست فرنسية لا في تاريخها ولا في موقعها الجغرافي ولا في لغتها ولا في دينها، فالشعب الجزائري كالف بكل الوسائل السياسة الإجرامية الفرنسية لمحو الشخصية الجزائرية».³

¹ - سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، مرجع سابق، ص27، 263.

² - العلوي: مرجع سابق، ط3، ص ص 263-267.

³ - قداش: جزائر الجزائريين، مرجع سابق، ص373، 374.

ملحق رقم 8

خطاب مصلي الحاج الموجه إلى الأمة الجزائرية 13 نوفمبر 1936

أيها الشعب الجزائري الكريم سلام عليك من ابن أقسم بالله أن يضحي في سبيل حريتك وسعادتك حتى آخر قطرة من دمه وآخر جزء من روحه، وآخر نفس من رفق وحياته ﴿وَلَنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ الواقعة الآية 76. سلام عليك يا شعب يوم ولدت حرا عزيزا، ويوم نشأت حرا شريفا، ويوم تصبح بإذن الله حرا طليقا، ترفرف على هضاب المجد أعلامك، وتتناول نجوم السماء أحلامك، وينتصر لك في العالمين إيمانك وإسلامك . بفضل تضحيات أبنائك البررة المفتولي السواعد، المفعمين قوة وفتوة وطنية وإيمانا، الواثقين بقول رب العالمين: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا. وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ سورة العنكبوت - الآية 69.

أيها الشعب الجزائري الكريم : إنني أشكر لك عظيم احقتائك، وجليل تقديرك لهذا الابن الضعيف والتفاتك حوله، وحسن إقبالك عليه، وإن هذا الإقبال المدهش الذي لقيتني به الأمة أتى حلت وهذه الإحساسات الشريفة التي كانت تغمرني أتى نزلت ليست إلا برهانا صحيحا على أن هذه الأمة المباركة أدركت واجبتها في الحياة وأصبحت تميز بين من يريد لها الخير والحياة وبين من يريد لها الفناء والاضمحلال. على هذا الإكبار وهذا التقدير ليس لشخصي الضعيف الفاني، إنما هو لهذا المبدأ السامي الشريف، وتلك الأمانة الوطنية المقدسة التي أخذنا عهدا أمام الله والملائكة والناس أجمعين أن نصونها من يد العابثين في تحقيقها ولو قطعوا منا الوتين، وبلغت الروح التراقي وانقطع آخر رفق من حياتنا والتي وهبناها راضين مطمئنين حبا ووقفا لهذا الوطن العزيز المفدى، وإن وطنا يشعر هذا التعلق بالمخلصين من رجاله لهو شعب حي يجب أن يتبوأ مقامه فوق الشمس المشرقة رافع الرأس، شامخ الأنف، مرفوع الكرامة... فحيالك الله أيها الشعب وبياك. أيها الشعب الجزائري قد تبين لك في بحر هذه الحوادث السياسية الأخيرة من هو المخلص المجاهد ومن هو المذبذب المقامر، ومن هو المنافق المتاجر، وقد رأيت حزبك الوطني الوحيد يخرج من المعمة ساطعا كفلق الصبح صافيا كالضمير الحر، ولم يتزعزع في جهاده، ولم يتزحزح قيد شبرا عن مبادئه، ولم يتسامح قط في أصغر حقوقك المقدسة، وذلك لأنه يعمل بضمير وإخلاص وثبات وثقة بالله ولأنه يدين بأن "كل من تسامح في حقوق بلاده ولو مرة واحدة يعد ألد الدهر مزعزع العقيدة وسقيم الوجدان" ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام - آية 153 .

وقد برهن لك في تاريخ جهاده خمسة عشر سنة في سبيل إسعاد هذا الوطن وما لقيه من ضروب التكيل التعذيب والتشريد والاضطهاد في أعماق السجون وغياهب السيلونات (الزنزين) إنه حزب يعمل لغاية شريفة ويجب أن ينالها طوعا أو كرها قصر المدى ام طال، وأنه هو هو بالأمس أيام العسف والجور الفاشستي الغاشم كما هو هو اليوم في عصر الواجهة الشعبية الباسم، وإن مطالبه هي هي لم تتغير ولم تتبدل، وإن رجاله هم هم لم ينسلخوا ولم يتجنسوا ولم يندمجوا ولم يتفرقوا، وسيبقون كذلك ما دامت الأرض أرضا والسماء سماء، وما دام الشرف يسمى شرفا والوطنية تسمى وطنية، والآية الصارخة: ﴿وَلِصْبٍ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ النحل الآية 127

وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿40﴾ سورة الحج - الآية 40.

إن للحزب الوطني لتاريخا ذهبيا مكتوبا بدم الشرف على دواوين البطولة، وماضيا مفعما بجلائل الأعمال، فقد صاح صيحته في أذن الاستعمار الغاشم ببائيس حين سكت الناس، وأقدم حين أحجم الناس، وتشجع واستبسل حين جبن الناس وخارت قواهم وأسكتهم الخوف عن كلمة الحق يصارحون بها أمام دهاقين الجور والعسف، إذ ذاك صرخ رجال الحزب الوطني وحدهم في وجه الاستعمار، أن الجزائر خلقت حرة سعيدة يجب أن تحيا سعيدة، فلاقوا من جراء ذلك ألوانا من العذاب ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَانُوا﴾ سورة آل عمران - الآية 146. وأنهم يعاهدونك أيها الشعب الكريم أنهم سيقفون على تلك المبادئ لا يخافون ولا يحبون ولا يترحزون مهما كلفهم ذلك من الضحايا، فلقد امتحنتهم أيها الشعب في أيام البلاء فوجدتهم صابرين، فأمتحنتهم في أيام الرخاء تجد ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَعْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ سورة المؤمنون الآية 8. وليسوا كهؤلاء القنفاذ الهداجين، كانوا مختبئين أيام المحنة فظهروا اليوم يسامون ثقة الشعب الغر الكريم ﴿وَلْيَبْلُوكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ سورة محمد الآية 31. ﴿لَمَّ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾. سورة العنكبوت الآية 1 و2.

-أيها الشعب الجزائري إن مبادئ حزبك الوطني الذي أسس على المليمة من أول يوم هي السعي لتحريرك بالطرق المشروعة في دائرة إسلامك وجنسييتك الغالية المتألفة في بطون الأجيال والدفاع عن كرامتك والذود عن حماك في محيط ذاتيتك الشريفة المقدسة- تلك هي مبادئنا التي فطرنا عليها و نشأنا عليها وقدمناها للحكومة في كراس يوم 23 جوان 1936 بواسطة وفد من رجالنا وعليها نبقى وعليها نحيا، وعليها نموت - إن وجب الموت، نحن نريد أن تكون لغتك العربية رسمية للبلاد، ونريد أن تكون مساجدك وأوقافك بيدك تتصرف فيها بحسب القرآن العظيم. و نطلب لك برنامجا جزائريا يضمن لك ذاتيتك و حقوقك، ولا نريد إذلالك على يد أقلية ضئيلة في البرلمان الفرنسي قد لا تنجر ضمائرهم من عبث العابثين؛ ولا نطلب إلحاقك بفرنسا لتكون فرنسويا عزيزا كما يقولون ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ سورة الكهف الآية 5، ﴿إِنَّمَا لِلدِّينِ الْكِبْرُ﴾ سورة المدثر الآية 35 يا الله للجزائريين: الاندماج، أو الإلحاق، أو الارتباط، أو الامتزاج، أو الاقتران، أو الموت أو الفناء، أو الاضمحلال... مترادفات معناها واحد يلوكها قوم ولا يفهمون معناها ويفتخرون بطلبها في عهد الواجهة الشعبية ولا يدركون مقدار ما تحويه من الخزي والعار ومن المضحكات المبكيات في آن واحد!، وكم بالجزائر من مضحكات ❖ ولكنه ضحك كالبكاء. اليوم ضحك الشرق بملاء شذقيه على سخافتنا، ويسخر الغرب بملاء فكيه على أدقانتنا، و تبرأ شمال إفريقيا من هذه السياسة، التي قد لا يتشرف بانتنسابنا إليه بها؛ أتى لهذا النوم من يقظة؟ أما أن لهذه الذبذبة نهاية؟ أما أن لهذا الليل من آخر؟ بعد مائة وست وسنين استعمار نطلب الاندماج؛ يا للعار ويا للفضيحة؛ الاندماج، الإلحاق - ما أفزعها كلمة ﴿إِنَّمَا لِلدِّينِ الْكِبْرُ﴾ المدثر الآية 3 ﴿يَعِصُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. سورة النور الآية 17.

إن شعبا يطلب الاندماج في شعب آخر لهو شعب قطع الصلة بينه وبين ربه، وبينه وبين تاريخه واجداده، وبينه وبين أبنائه من بعده، ونحن الجزائريين لنا تاريخ ماجد، و لغة شريفة وذاتية مقدسة، وضمير حر، وهذه كلها تأبى علينا أن نقطع الصلة بها ونطلب الإلحاق، وتندرنا إن فعلنا -قبرا محفورا، وكفنا منشورا، وهناك ندعوا ثبورا، فلا نجد نصيرا، ولا نلقى ظهيرا، ولئن طلب السينيغال إلحاقهم فهل ذاتيتنا كذاتيتهم؟ وهل تاريخنا كتاريخهم؟ كلا وألف كلا فنحن أشرف من أشرف من أشرف، يجب أن نبقي أشرفا لأشرف وإنا لنختار أن نبقي مضطهدين جزائريين من أن نصير أحرار فرنسيين، تلك كلمة وإن أخرجت بعض الناس إلا أنها كلمة حق نقولها ولا نبالي ليحق الحق ويبطل الباطل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خِيَالًا﴾ سورة آل عمران - الآية 118.

على رسلكم يا صلاب الإلحاق ومهلا يا خصومنا السياسيين، لا تظنوا أن الأمة معكم، فلسنا نظن أن جزائريا واحدا يعلم أنكم تطلبون الإلحاق ويفهم معناه يرضى بذلك، و لكنكم جرفتم معكم البسطاء باسم المطالب الأخرى الشريفة التي طلبناها وقلدتمونا فيها، ولو علموا أن الإلحاق "رأسمال" تلك المطالب لكان لهم معكم موقفا غير هذا فعلى رسلكم لا تتسللوا لوأذا من المسؤولية النبيلة ولا تتضايقوا من مفاجآت المصالي وتعقبه لانتماءاتكم، فلمصالي الحق وللأمة جمعاء أن تناقشكم الحساب العسير، نحاسبكم على النقيير والقطمير لأن الموقف موقف حرج والمسألة مسألة حياة أو موت والحكم حكم في مصير الأمة كاملة لا ترضى أن ترجع فرنسية أحببتكم أم كرهتم ولا ترضى أن يقامر أحد بحقوقها على مائدة- الأخذ بالخاطر- أو أن يمسكها في سوق - مراعاة الظروف فلا منزلة بين المنزلتين يا قوم؛ إما وطني صميم، وإما خائن أثيم، ولن نتسامح معكم في التلاعب بأصغر حق من حقوق هذه الأمة المسكينة التي أخذنا على عاتقنا عهد التفاني في سبيلها والتضحية لتحريرها، ما أسخف من يعتقد منكم أننا في دور- التجربة -وما أخف عقله على حد قول العامة - يتعلموا الحجامة في رؤوس اليتامى- وهذه التجربة التي تتبحون بها بمثابة المقامرة لتجريب البخت أو كمن يجرب شرب كأس من الخمرة ليعلم هل هي مسكرة أو لا؟ أو كمن يجرب وضع السماء تحت الأرض والأرض فوق السماء فما أبرد هذه السخافات وما أسمعها، فلا تجربة في البديهيات!. ولا مغامرة بحقوق الأمة، وما أسكر كثيره فقليله حرام، وهيهات أن تستخرج من الحنظل عسلا، ومن القار لبنا خالصا سائعا للشاربين! فو الذي خلق الجزائر وخلقنا جزائريين وملاً قلوبنا بالعقيدة الراسخة و الإيمان الصحيح، لا نفتأ نقوم اعوجاجكم في مسألة الإلحاق ولا ننفك نباهلكم أمام من شئتم وإذا أردتم الإنصاف تعالوا نستفسر العالم الشرقي كله ونكاتب زعماء الأقطار الإسلامية أجمعين، ولنجعل الإنصاف رائدنا والحق حكما بيننا وبينكم ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ سورة آل عمران - الآية 82. أيها الخصوم السياسيون طالما قاومتمونا بطرق شريفة وغير شريفة، وطالما أقمتم الدعايات ضد حزينا الوطني وضد برنامجنا الملي، أما نحن فلا نجيبكم بالمثل لأننا قوم أشرف ومصلحة الجزائر فوق الجميع بل نشفق لحالتكم التي تستدعي الشفقة ونجيبكم بإخلاصنا وأعمالنا وثباتنا فهولوا أو عرقلوا أو عولوا فلن يزيدنا ذلك إلا ثباتا ورسوخا وانتشارا لدعوتنا ولن يزيدكم ذلك إلا ذنبية وافتراقا وفشلا وها هي الحوادث شاهدة فأنتم لم تبرهنوا حتى على قدرتكم على الاحتفاظ بوحدةكم ولو شهرا واحدا، فكيف تحتفظون بالأمة سنوات؟ فما هي فولكم في كل ناحية وهي هي طلائعكم تنصب لكم الحبائل وتدس لكم الدسائس يوما بعد يوم وها قد أصبحت متناقضين شيعا ﴿

يَكْفُرُ بِعَظْمَكُمْ بِنِعْمِ وَيَأْمَنُ بِعَظْمِكُمْ بَعْضًا. سورة العنكبوت الآية 24.

أما نحن فقد ثبتنا مدة خمسة عشر سنة كاملة على برنامج واحد وعلى سيرة واحدة ولن نتفرق أو نتزحزح بإذن الله ما دام فينا قلب يخفق وعرق ينبض بحبّ هذا الوطن العزيز المفدى ولم يطعن أحد منا قط في لغة أباؤه أو أجداده وليس بيننا متجنسون؛ أما أنتم فما هو أحد متجنسيكم يخطب باسمكم في "تيزي وزو" ويسب اللغة العربية ويتهمكم على من طلب أن تكون لغة رسمية للبلاد وما هو بوهران يطعن التاريخ الجزائري في الصميم وأنتم ساكتون تصفون؛ وما نفسه عينه بعد ذلك بيومين يطعن سمعتكم وسمعة الإسلام والجزائر في أكبر الهيئات بتناوله الخمر نهارا جهارا أمام نخبة الشعب في مأدبة الشعب وما هو اليوم ينصب الحبال للوقية بكم وإسقاط جامعتكم مع عدوكم اللدود الذي كان بالأمس رئيسه عليكم وكان يطعنكم سرا وعلاوية وانتم صامدون، من أعان ظلما ابتلى به - وما هو الآخر والآخر كل ذلك مسجل في كتاب معلوم ليوم لا ريب فيه وما دام صنائع الاستعمار يلعبون بكم فلن تأمنوا على كرامتكم وكرامة الوطن المنكود.

يعتمد البعض منكم في الدعاية ضدنا أننا متطرفون متهورون نطلب الاستقلال، نعم نطلبه بكل شرف ولكن بالسعي في سبيله ولسنا نطلبه اليوم بل نقول لكم أن برنامجنا هو السعي لتحرير الجزائر بالوسائل المشروعة ولم نحدد لذلك أجلا بل ان الخط الذي نسلكه في جهادنا هو خط التحرير وليس خط الاندماج والتجنيس وشتان بين السعي وبين التنفيذ، فالأيام وقوة الشعب وحدهما كفيان بتحديد اجل التنفيذ والله من وراء ذلك محيط، كفاكم يا دعاة الاندماج والاضمحلال ويا أعداء الحرية والاستقلال...حسبنا أنكم مهما نشطتم في طعننا وتفننتم في الدعاية ضدنا وتعاليتم في تصويرنا للحكومة وأمعنتم في إصدار قوانين "الأنديجينا الأهلية" علينا تقوى حزينا وانتشرت دعايتنا ودخل الناس دين الله أفواجا ﴿وَاللَّيْلُ الْهَيْبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ إِحْزَانُ رَبِّهِ وَالزُّبِّي حَبْتُ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكَدًا﴾. سورة الأعراف. الآية 5 .

اطعنوا فينا وقاومونا وارتكبوا الغلطات السياسية دائما فإننا سوف نبني صرح دعايتنا على كاهل غلطاتكم الفادحة التي هي في آن واحد خزى عليكم وخدمة لنا وسينبلج الصبح لذي عينين، وستندمون يوم لا ينفع الندم ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمِ اتَّخَذْتُ فَلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾. الفرقان 27-28-29.

وأنت أيها الشعب الجزائري الكريم: أيها الشباب الوطني المسلم الصميم اعتمد على ربك وحده، واتبع الحزب الوطني وجنده، ومحض ثقك وإخلاصك وطاعتك لزعمائك الوطنيين الصريحين، وليكن إمامك القرآن، ورائدك الايمان وثق بقول رب العالمين: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الروم الآية 47 . فسيأتي يوم وليس ببعيد تصبح فيه أيها الشعب الجزائري الماجد سابحا في سماء الحرية حراً طليقا باسم الثغر وضاح الجبين...والسلام عليكم ورحمة الله.

من ابنك المخلص مصالي الحاج - باريس يوم 13 نوفمبر 1936. ¹

¹ -محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص 1316. وأحمد الخطيب: حزب الشعب ج1 مرجع سابق، ص 285.

الملحق: 9

قرار السياسة العامة التي صوت عليها المجلس الوطني

لحركة انتصار الحريات الديمقراطية 7 سبتمبر 1947

إن المجلس الوطني لحركة الحريات الديمقراطية، المنعقد في 7 أيلول /سبتمبر 1947، في مدينة الجزائر، يعلن أن النظام الإمبريالي الفرنسي اغتصب حقوق سيادة الأمة الجزائرية، في إثر اعتداء سافر . ينوه ويعرب عن كامل إعجابه وبقاء الأمة الجزائرية واستمرارها بعد أن أزال المستعمر الدولة الجزائرية ومنيت سياسته الاندماجية والإدارة المباشرة للسلطة بالفشل الذريع.

يذكر باعتزاز مشروع بأن الوطن الجزائري لا يزال يعبر بجميع الوسائل عن وجوده بثقة وثبات من الاحتلال عام 1830، وعن إرادته في طلب حياة وطنية حرة وكريمة.

ويشجب بشده الأطروحة الإمبريالية التي تتكر، إلى حد الاحتقار، قوانين التطور التاريخي لوجود الأمة الجزائرية.

ويعرب بقوة عن أن الأمة الجزائرية حقيقة لا يماري فيها أحد، حفرت في قلب كل إنسان جزائري. وأن المفهوم المثالي للأمة أسقط جميع الولاءات الكاذبة ومؤامرات التشرذم التي تقوم بها الدعاية الإمبريالية .

ويصرح ما دام الشعب الجزائري لا يتمتع بالسيادة ولا يمارس السلطة، فإن جميع مصالحه المشروعة وحقوقه الثابتة التي لا تقبل القادم أو التنازل سوف يدوسها المستعمر ويرهنها بمصيره، إنه يوضح أن أهداف حركة انتصار الحريات الديمقراطية هي:

1-الإطاحة التامة بالهيمنة الإمبريالية وإعادة السيادة إلى الشعب الجزائري.

2-بناء دولة وطنية بجميع صلاحيات السيادة ، ممارسة السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية.

3-التطبيق الفعلي لمبادئ الديمقراطية وفق المعاني التالية : الكلمة للشعب. مجلس تأسيسي جزائري ذو سيادة، منتخب من خلال الاقتراع العام المباشر من جانب هيئة انتخابية واحدة بلا تمييز في الأصل ولا في الدين.

ويوضح أيضا أن وسائل عمله هي:

- الكفاح السياسي بجميع أشكاله.

- تنظيم الجماهير وتعبئتها.

- العمل الدعائي الدؤوب الذي يرمي إلى الإفصاح عن الحقوق المقدسة للأمة الجزائرية، ويندد بجرائم السياسة الإمبريالية والداعمين لها.

-يعتبر أن المشكلة الجزائرية هي قبل كل شيء مشكلة سيادة؛ فالمسألة تتعلق بمعرفة من هو السيد في هذا البلد! هل هو الشعب الجزائري أم الإمبريالية ذات القدرة المطلقة بما تملك من أجهزة القمع السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وعلى هذا النحو يجب أن تطرح المشكلة الجزائرية، فمعالجة القضية على غير هذا الوجه خطأ خطر العواقب، وإيقاع الجماهير في الخديعة، لا بل التآمر الصريح مع الإمبريالية الفرنسية. إن الجزائر لن تعرف الحرية والهناء إلا بعد أن تحل مشكلة السيادة، ويعود أمر بتها إلى الشعب الجزائري الواعي والمعبا خلف حركته الوطنية.¹

الملحق رقم 10

النشيد الرسمي للتيار الثوري الذي ألفه مفدي زكريا سنة 1936

فِدَاءُ الْجَزَائِرِ رُوحِي وَمَالِي..... أَلَا فِي سَبِيلِ الْحُرِّيَّةِ
فَلِيَحْيِ حِزْبُ الشَّعْبِ الْعَالِي..... وَنَجْمُ شَمَالِ افْرِيقِيَّةِ
وَلِيَحْيِ جُنْدُ الْإِسْتِقْلَالِ..... مِثَالُ الْفِدَاءِ وَالْوَطَنِيَّةِ
وَلْتَحْيِ الْجَزَائِرُ مِثْلَ الْمَلَالِ..... وَلْتَحْيِ فِيهَا الْعَرَبِيَّةِ
فَلَسْنَا نَرْضَى الْإِمْتِزَاجًا..... وَلَسْنَا نَرْضَى التَّجْنِيسَا
وَلَسْنَا نَرْضَى الْإِنْدِمَاجًا..... وَلَا نَرْتَدُّ فَرَنْسِيَسَا
رَضِينَا بِالْإِسْلَامِ تَاجًا... كَفَى الْجُهَالِ تَدْنِيسَا
فَكُلُّ مَنْ يَبْغِي اعْوَجَاجًا..... رَجَحْنَاهُ كَمَا بَلِيسَا
خَلَقْنَا بِحُكْمِ الْهُوَى إِخْوَةً... فَتَبَّتْ يَدَا كُلِّ مَنْ فَرَّقَا
نُرِيدُ حَيَاةً لَنَا حُرَّةً..... كَفَانَا كَفَى مِنْ حَيَاةِ الشَّقَا
خَلَقْنَا لِهَذَا الْوَرَى سَادَةً..... وَنَجْمُ الْهُدَى عِنْدَنَا أَشْرَقَا
بِلَادِي يَمِينًا مُقَدَّسَةً..... سَرَّعَى عُهُودَكَ طُولَ الْبَقَا
أَلَا فِي طَرِيقِ الْعُلَا سَعِينَا..... أَلَا فِي سَبِيلِ الْفِدَاءِ وَالْجِهَادِ
وَهَا هُوَ أَحْمَدُ يَحْدُو بِنَا..... وَهَا هُوَ جَبْرِيلُ فِينَا يُنَادِي
أَلَا فِي سَبِيلِ الْإِسْتِقْلَالِ..... أَلَا فِي سَبِيلِ الْحُرِيَّةِ.²

¹ - جريدة المغرب العربي 12 أيلول سبتمبر 1947 . - عن نور الدين ثنيو: إشكالية الدولة، مرجع سابق، ص 572.

² - في 17 نوفمبر 1936 صدر النشيد الوطني فداء الجزائر روجي ومالي للشاعر الكبير مفدي زكريا وقد نشر مع صورة مصالي الجديدة بلباسه الوطني - ينظر قناش، وقداش: نجم شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 293.

الملحق رقم 11

مقنتظف من نداء أول نوفمبر 1954

أيها المناضلون من أجل القضية الوطنية، أنتم الذين ستصدرون حكمكم بشأننا . نعني الشعب بصفة عامة، والمناضلون بصفة خاصة. نُعلمكم أن غرضنا من نشر هذا الإعلان هو أن نوضح لكم الأسباب العميقة التي دفعتنا إلى العمل، بأن نوضح لكم مشروعنا والهدف من عملنا، ومقومات وجهة نظرنا الأساسية التي دفعتنا إلى الاستقلال الوطني في إطار الشمال الإفريقي، ورجبتنا أيضا هو أن نجنبكم الالتباس الذي يمكن أن توقعكم فيه الإمبريالية وعملاؤها الإداريون وبعض محترفي السياسة الانتهازية. فنحن نعتبر قبل كل شيء أن الحركة الوطنية. بعد مراحل من الكفاح، قد أدركت مرحلة التحقيق النهائية. فإذا كان هدف أي حركة ثورية، في الواقع، هو خلق جميع الظروف الثورية للقيام بعملية تحريرية، فإننا نعتبر الشعب الجزائري في أوضاعه الداخلية متحدا حول قضية الاستقلال والعمل، أما في الأوضاع الخارجية فإن الانفراج الدولي مناسب لتسوية بعض المشاكل الثانوية التي من بينها قضيتنا التي تجد سندها الدبلوماسي وخاصة من طرف إخواننا العرب والمسلمين... إن المرحلة خطيرة.. الوقت قد حان لإخراج الحركة الوطنية من المأزق الذي أوقعها فيه صراع الأشخاص والتأثيرات لدفعها إلى المعركة الحقيقية الثورية إلى جانب إخواننا المغاربة والتونسيين.... إن حركتنا قد وضعت المصلحة الوطنية فوق كل الاعتبارات التافهة والمغلوبة لقضية الأشخاص والسمعة، ولذلك فهي موجهة فقط ضد الاستعمار الذي هو العدو الوحيد الأعمى، الذي رفض أمام وسائل الكفاح السلمية أن يمنح أدنى حرية. ونظن أن هذه أسباب كافية لجعل حركتنا التجديدية تظهر تحت اسم:

جبهة التحرير الوطني

وهكذا نستخلص من جميع التنازلات المحتملة، ونتيح الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية، وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية أن تنضم إلى الكفاح التحرري دون أدنى اعتبار آخر. ولكي نبين بوضوح هدفنا فإننا نسطر فيما يلي الخطوط العريضة لبرنامجنا السياسي ولكي نبين بوضوح هدفنا فإننا نسطر فيما يلي الخطوط العريضة لبرنامجنا السياسي -الهدف :

الاستقلال الوطني بواسطة:

- 1 - إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية .
- 2 - احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني¹.

¹ - بن خدة بن يوسف، جذور أول نوفمبر، مرجع سابق، ص 591.

وثيقة رقم 12

طاقة الانتماء لنجم شمال وتظهر صورة الامير خالد على البطاقة.¹

¹ - زوزو: الدور السياسي للهجرة ، مرجع سابق ص 90.
ويلاحظ في البداية إدراج صورة الأمير خالد في بطاقات النجم وهو توجه واضح وارتباط له دلالاته.

13- مصالي الحاج في ريعان شبابه.¹



du jeune Messali Hadj, 1927.

14- صورة لمصالي.²



وثيقة 15 - من شعارات حزب الشعب.³

¹ -Djanina Messali-, Op, cit

² - fr.wikipedia.org

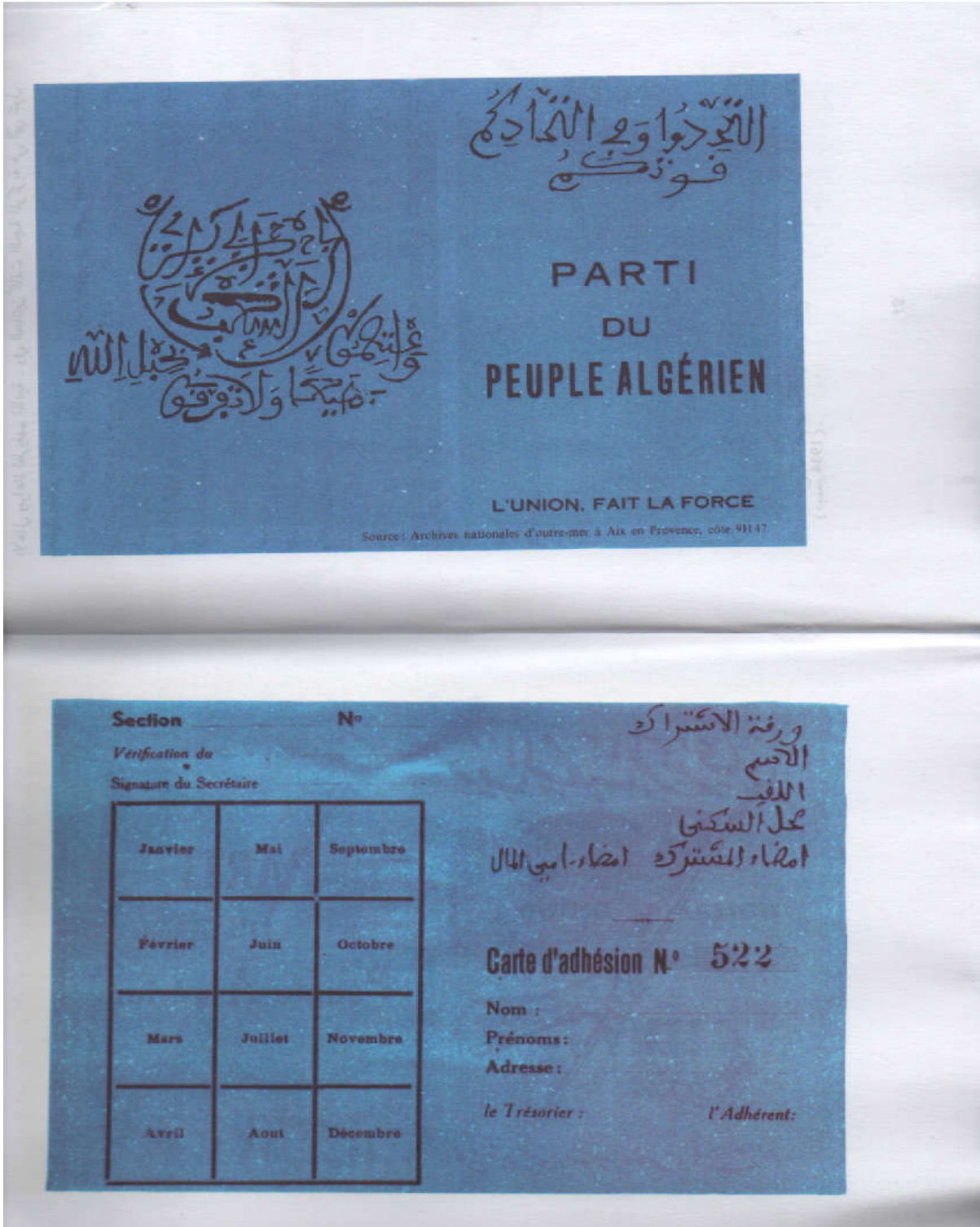
³ - ibid

الوثيقة رقم 16 : شعار حزب الشعب الجزائري.¹



¹ - زوزو: الدور السياسي للهجرة، مرجع سابق ص 94

وثيقة رقم 17 : بطاقات الانتماء حزب الشعب الجزائري.¹



¹ - زوزو: الدور السياسي للهجرة، مرجع سابق، ص 92، 93

الوثيقة رقم 18 : نموذج لبطاقة الاشتراك في حزب الشعب الجزائري¹.

Fédération d
Section *Alger* N° *142*

الاسم
اللقب
محل السكن

ورقة الاشتراك
142

انضمنا الاشتراك: انضمامنا المال:

Carte d'adhésion N° *11829*

Nom: *M. Y. Mami*

Prénoms: *Y. Mami*


Adresse: *Hameau de la Révolution
Campus K. 11*

L'Adressant: *Y. Mami*

L'Adressé: *Y. Mami*

NOVEMBRE DÉCEMBRE

¹ - زوزو: الدور السياسي للهجرة، مرجع سابق، ص 95.



جريدة وطنية سياسية للذفق عن حقوق
مسلمين أفريقيا الشمالية

**GRAND MEETING D'INFORMATION sur les EVENEMENTS
de CONSTANTINE et de TUNISIE**

SAMEDI 13 OCTOBRE 1934, à 20 h. 30 précises
24, Rue St-Victor (5^e) - PALAIS de la MUTUALITÉ
SALLE DU THÉÂTRE - Métro : MAURENT-MUTUALITÉ

ORATEURS :
MESSALI HADI: Directeur Politique d' "EL OUMA"
IMACHE AMAR: Rédacteur en Chef d' "EL OUMA"
RADJEF BELKACEM: du Comité de Propagande
TALEB BACHIR: Délégué
M^r ROBERT LONGUET: Avocat à la Cour,
de retour de Constantine
Un COMMERÇANT. Membre de la Glorieuse Etoile.
Un MAROCAIN un TUNISIEN.

MUSULMANS NORD-AFRICAINS !

*La Direction du journal EL OUMA vous invite à venir en masse,
pour entendre le compte-rendu de la Délégation et écouter M^r LONGUET,
envoyé par nous à Constantine. Il est de la plus haute importance d'y
assister pour connaître la vérité sur ces tragiques événements, sur la situa-
tion politique économique de l'Afrique du Nord et sur le sort réservé aux
inculpés de Constantine.*

*Ne manquez pas d'assister à ce Meeting, c'est votre intérêt, c'est
votre devoir.*

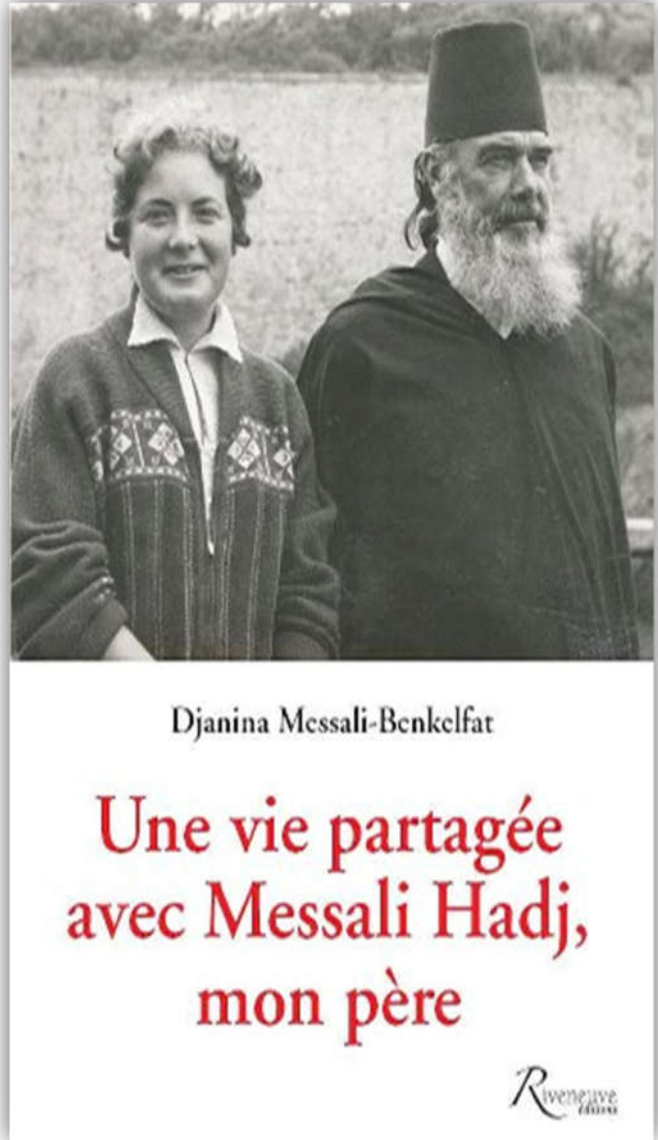
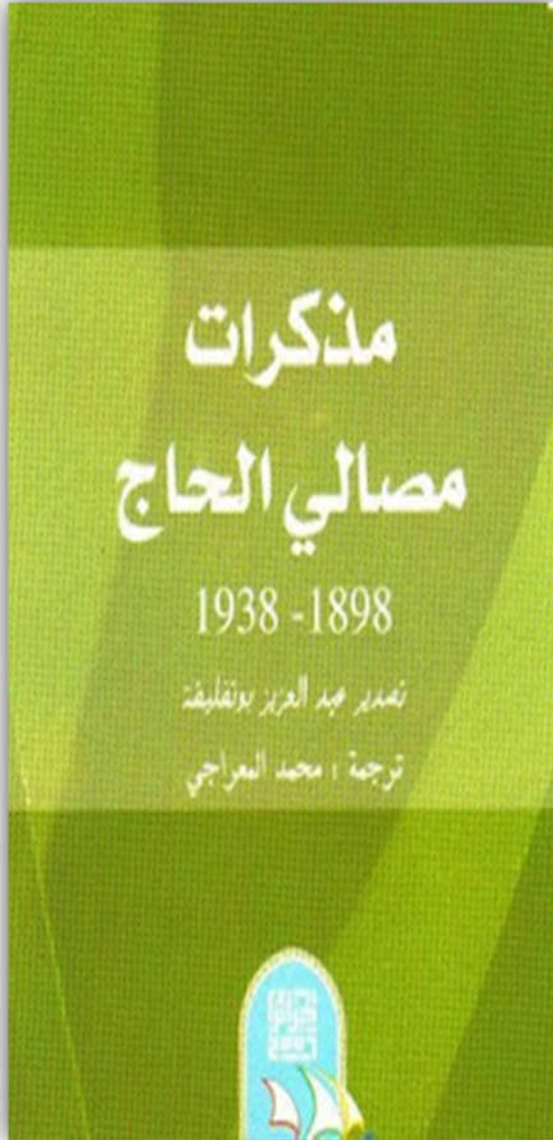
Participation aux frais : 2 fr. Chèques : 1 fr.

Spécialité de Propagande, 24, Rue de Trévise, Paris

¹ - زوزو: الدور السياسي للهجرة، مرجع سابق، ص 112.

الوثيقة رقم 20 و 21

20 صورة لكتاب ابنة مصالي جنينة (بن قلفاظ)
21-مذكرات مصالي الحاج حياة مشتركة مع أبي مصالي

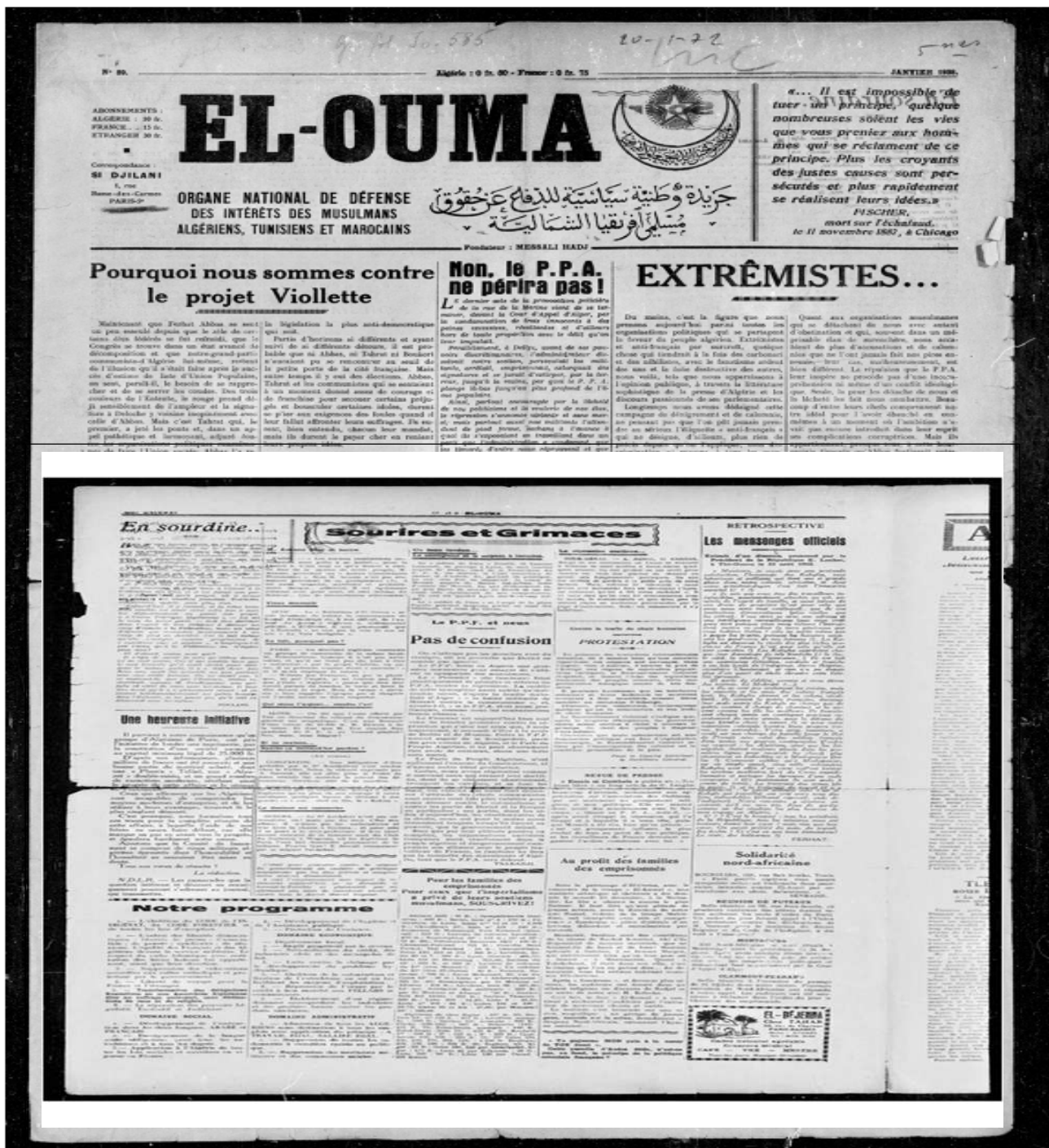


نسخة لواجهة مجلة الأمة لسان حال نجم شمال إفريقيا.¹



الأرشيف الوطني الجزائري. ANA, N°190, j - n°6 , j , 1

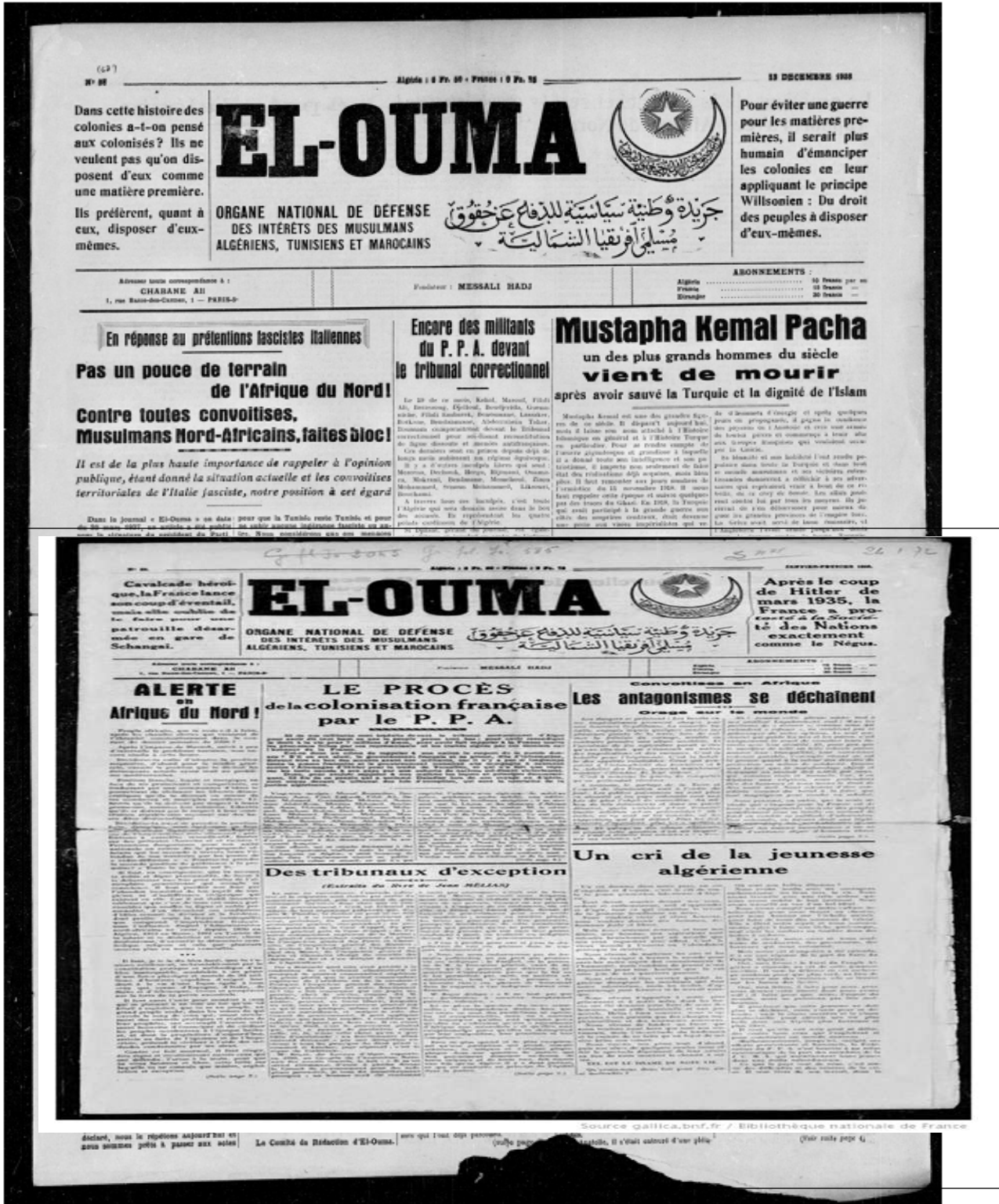
نسخة لواجهة مجلة الأمة لسان حال نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب¹.



Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France

¹ - <https://gallica.bnf.fr/ark>

نسخة لواجهة مجلة الأمة لسان حال نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب¹.



Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France

¹ - <https://gallica.bnf.fr/ark>

جريدة البرلمان الجزائري التابعة لحزب الشعب الجزائري¹

Première Année N° 6 Bi-Mensuel - Prix : 0,60 Vendredi 14 Juillet 1939

Le Parlement Algérien

ORGANE DE DÉFENSE ET D'ÉMANCIPATION DU PEUPLE ALGÉRIEN

Adresse de correspondance et d'envoi de mandats
BOUDAA AHMED
 8, Boulevard Cornudas - ALGER
 Compte Chèque Postal «Parlement Algérien» 2614 Alger

ABONNEMENTS :

Afrique du Nord, au an	525 fr.	six mois	125 fr.
France	250 »		100 »
Etranger	300 »		125 »

مؤسسة الوثائق
 مؤسسة
 FUND OF DOCUMENTS
 واغتصموا بالذبيحة والذوق
 البر الجزائري
 جنة ربه في نصرته
 تلافح عن

Le Front Musulman Algérien

se réalisera si...

Le problème de l'union, voilà la grande préoccupation de toutes les masses conscientes de notre pays.

Généralisme et avec franchise le M.P.A. se pose afin que chaque organisation musulmane prenne ses responsabilités.

Un véritable succès présente ne doit précéder contre la nécessité d'un FRONT MUSULMAN ALGÉRIEN, consécration d'une union étroite et loyale quand on a la pleine conscience de l'avantage du peuple algérien.

Sans perdre de temps il faut jetter les bases d'une telle formation qui va appuyer à jouer un rôle décisif dans l'abolissement de nos 30 ans de servitudes et la satisfaction d'un autre profond désir d'unité.

Le PEUPLE FRANÇAIS FÊTE sa VICTOIRE sur la TYRANNIE

Le PEUPLE ALGÉRIEN GEMIT sous la SERVITUDE

Depuis plus de deux mois un fil se France et dans tout l'Empire à la 150^e anniversaire de la Révolution Française. Le Gouvernement de la République a imposé à fait un grand battage autour de cette commémoration. Une publicité impuissante et hypocrite est orchestrée à coup de trombone et de gramophone pour donner de l'occupation à tous les regards. Une somme de 15 millions a été votée par le Gouvernement et mise à la disposition des fidèles et patriotes de tout arabi, et cela sans compter la participation des départements et des communes, car il n'y a pas une ville, un village, un hameau, une bourgade qui n'ait déjà préparé sa part de joie à cette fête.

Comme de bien entendu, cette fièvre subversive par la presse, les discours ministériels et la radio, n'a pas manqué de traverser le Méditerranée pour venir jusqu'à nous. C'est ainsi que nous avons eu le jour du 22 Juin qui a été consacré entièrement à la commémoration des grandes journées historiques de 1789.

En ce jour, Alger s'est transformée tout à coup en Place de la Bastille, en Faubourg St-Antoine, en Champ de Mars et en Hôtel de Ville. De très belles fleurs on a fait défiler des enfants, des jeunes gens et jeunes filles.

Partout on a constaté des scènes de la révolution. M. le Gouverneur Général ainsi de sa suite en honneur dans ses commémorations patriotiques. Il ne manquait rien à la fête, seulement un détail d'oublier à Mlle Lamourie a été qualifiée comme l'épave d'abord, qui, un jour, aurait trouvé sa place dans ce pays où habite et fondeur continuant à servir à son chef des esclaves blancs. Nous nous souvenons l'histoire de nos ancêtres.

Exigeons le droit de cité pour notre langue

La lutte contre la langue arabe apparaît comme un des points essentiels du programme indochinois. Les tentatives prises contre son enseignement ont soulevé la proteste déloyale.

Dans son désir d'entraîner le personnel Algérien à toujours se soumettre au colonialisme, trahissant l'engagement du Général de Bourneuil, et déclarer en quelque sorte la langue arabe hors la loi.

Par tous les moyens à sa disposition, il combat le développement de la langue de nos pères, espérant par là étouffer le sentiment patriotique de notre peuple.

Afin de justifier cette lutte dans l'enseignement, on a point d'égal, et change la langue arabe si belle et si riche de tous les siècles, contre une langue de l'école et de l'Université et de l'Université, déshonorée avec la civilisation.

Première Année N° 6 Bi-Mensuel - Prix : 0,60 Vendredi 14 Juillet 1939

Le Parlement Algérien

ORGANE DE DÉFENSE ET D'ÉMANCIPATION DU PEUPLE ALGÉRIEN

Adresse de correspondance et d'envoi de mandats
BOUDAA AHMED
 8, Boulevard Cornudas - ALGER
 Compte Chèque Postal «Parlement Algérien» 2614 Alger

ABONNEMENTS :

Afrique du Nord, au an	525 fr.	six mois	125 fr.
France	250 »		100 »
Etranger	300 »		125 »

مؤسسة الوثائق
 مؤسسة
 FUND OF DOCUMENTS
 واغتصموا بالذبيحة والذوق
 البر الجزائري
 جنة ربه في نصرته
 تلافح عن

Le Front Musulman Algérien

se réalisera si...

Le problème de l'union, voilà la grande préoccupation de toutes les masses conscientes de notre pays.

Généralisme et avec franchise le M.P.A. se pose afin que chaque organisation musulmane prenne ses responsabilités.

Un véritable succès présente ne doit précéder contre la nécessité d'un FRONT MUSULMAN ALGÉRIEN, consécration d'une union étroite et loyale quand on a la pleine conscience de l'avantage du peuple algérien.

Sans perdre de temps il faut jetter les bases d'une telle formation qui va appuyer à jouer un rôle décisif dans l'abolissement de nos 30 ans de servitudes et la satisfaction d'un autre profond désir d'unité.

Le PEUPLE FRANÇAIS FÊTE sa VICTOIRE sur la TYRANNIE

Le PEUPLE ALGÉRIEN GEMIT sous la SERVITUDE

Depuis plus de deux mois un fil se France et dans tout l'Empire à la 150^e anniversaire de la Révolution Française. Le Gouvernement de la République a imposé à fait un grand battage autour de cette commémoration. Une publicité impuissante et hypocrite est orchestrée à coup de trombone et de gramophone pour donner de l'occupation à tous les regards. Une somme de 15 millions a été votée par le Gouvernement et mise à la disposition des fidèles et patriotes de tout arabi, et cela sans compter la participation des départements et des communes, car il n'y a pas une ville, un village, un hameau, une bourgade qui n'ait déjà préparé sa part de joie à cette fête.

Comme de bien entendu, cette fièvre subversive par la presse, les discours ministériels et la radio, n'a pas manqué de traverser le Méditerranée pour venir jusqu'à nous. C'est ainsi que nous avons eu le jour du 22 Juin qui a été consacré entièrement à la commémoration des grandes journées historiques de 1789.

En ce jour, Alger s'est transformée tout à coup en Place de la Bastille, en Faubourg St-Antoine, en Champ de Mars et en Hôtel de Ville. De très belles fleurs on a fait défiler des enfants, des jeunes gens et jeunes filles.

Partout on a constaté des scènes de la révolution. M. le Gouverneur Général ainsi de sa suite en honneur dans ses commémorations patriotiques. Il ne manquait rien à la fête, seulement un détail d'oublier à Mlle Lamourie a été qualifiée comme l'épave d'abord, qui, un jour, aurait trouvé sa place dans ce pays où habite et fondeur continuant à servir à son chef des esclaves blancs. Nous nous souvenons l'histoire de nos ancêtres.

Exigeons le droit de cité pour notre langue

La lutte contre la langue arabe apparaît comme un des points essentiels du programme indochinois. Les tentatives prises contre son enseignement ont soulevé la proteste déloyale.

Dans son désir d'entraîner le personnel Algérien à toujours se soumettre au colonialisme, trahissant l'engagement du Général de Bourneuil, et déclarer en quelque sorte la langue arabe hors la loi.

Par tous les moyens à sa disposition, il combat le développement de la langue de nos pères, espérant par là étouffer le sentiment patriotique de notre peuple.

Afin de justifier cette lutte dans l'enseignement, on a point d'égal, et change la langue arabe si belle et si riche de tous les siècles, contre une langue de l'école et de l'Université et de l'Université, déshonorée avec la civilisation.

¹ - n°6, j, boîte N°190, ANA. الأرشيف الوطني الجزائري.

1. جريدة البرلمان الجزائري التابعة لحزب الشعب الجزائري.

Première Année N° 4 Bi-Mensuel - Prix : 0,60 Samedi 17 Juin 1930

Le Parlement Algérien

ORGANE DE DÉFENSE ET D'ÉMANCIPATION DU PEUPLE ALGÉRIEN

Adresse provinciale de correspondance et d'envoi de mandats
BOUDA AHMED
 8, Boulevard Cervantes - ALGER

Un peu d'espace vital pour les Arabes qui crèvent de faim sur le sol de leurs pères

La misère est en chose épouvantable, son emprise sur l'homme est terrible, elle est plus terrible et plus horrible que la mort, car au moins la mort met fin aux souffrances de l'homme en l'emportant, mais tandis que la misère est une souffrance permanente d'une horrible durée de tous les instants. Ce cauchemar hideux est le sort des millions de musulmans algériens. C'est une plain plaintive au flanc de notre peuple, et malheureusement elle ne cesse de s'agrandir d'année en année, par la faute des pouvoirs publics pour qui les Arabes ne sont qu'une quantité négligeable.

D'où nous vient cette misère permanente ? Racée à la suite d'une spoliation ou d'une dilapidation de nos richesses ?

se trouve, il sert encore de main d'œuvre aux colons aux innombrables grèves de la fortune, et de son sang du peuple. Cette main d'œuvre est payée à 8 francs par jour et pour 16 heures de travail sans que les bénéficiaires d'aucun avantage de lois sociales et ouvrières.

Que peut-on acheter avec 8 francs nettement ? Le pain à lui seul coûte 3 fr 20, le kilo et l'huile d'olive 12 francs et les loyers, les habits. Quel est le fonctionnaire qui est l'ouvrier, quel est le colon qui peut avec 8 francs joindre les deux bouts aujourd'hui ?

La que l'Alou en fin pour configurer tout ce flou de misère ? Il n'y a rien de sérieux aphorisme, ce n'est pas l'Alou, le salaire et toujours des débauches. Les dix francs sont et les millions qu'on a de

AGENCE ALGERIENNE DE PRESSE

واغصوا في اللبِّ والذِّفِّقِ وَالذِّفِّقِ

البرلمان الجزائري

جريدة وطنية نصرية

تدفع عن

الوقوف الاسلامي في الجزائر

AFRIQUE DU NORD, un an : 600 fr. ; six mois : 325 fr.
 France 300 » 150 »
 Etranger 400 » 225 »

ABONNEMENTS :

Le Front Musulman Algérien s'impose

Dans le dernier numéro du « Parlement Algérien » le P.P.A. a posé le problème de l'union sous une forme concrète dont le peuple algérien n'a pas manqué de se réjouir.

Il est incontestable que le seul remède au P.P.A. à toujours été le rassemblement des forces revendicatrices qui accusent le peuple algérien et malheureux et si désireux de voir disparaître toutes les causes de sa faiblesse actuelle. Pour l'aboutissement d'un tel rassemblement, nous croyons que le P.P.A. n'est d'accord avec sa propre conscience qu'il ne peut accomplir son devoir de représentation systématique qu'il ne compte, à cet effet, sur...

ne s'est... donc pas de sa faute si l'Y et le... qui ont travaillé jusqu'à... de nous faire une contre... X à son an... devenir sans ce di... le...

C'est par conséquent en substance avec le noble idéal qu'il s'est assigné, qu'il reprend avec plus de force sa proposition tendant à la formation d'un Front Musulman Algérien.

Qui pourrait soutenir que, devant l'intransigeance coloniale, le sacrifice observé à l'égard de nos quelques revendications, le ministre et la représentation qui ne cesse de Talpo...

Cheikh el Okbi, comparaitra le 20 juin devant la Cour Criminelle, n'est-ce pas là une provocation ?

On s'est souvenu de l'arrestation de Cheikh el Okbi et de Ahmed Targui en août 1926 et la vague d'incertitude générale et d'indignation profonde qu'elle a soulevée dans tous les milieux musulmans et chez tous les fils du temple de nos soeurs...

Première Année N° 5 Bi-Mensuel - Prix : 0,60 Samedi 1^{er} Juillet 1930

Le Parlement Algérien

ORGANE DE DÉFENSE ET D'ÉMANCIPATION DU PEUPLE ALGÉRIEN

Adresse provinciale de correspondance et d'envoi de mandats
BOUDA AHMED
 8, Boulevard Cervantes - ALGER

ASSEZ DE MOQUERIES LE PEUPLE ALGÉRIEN doit faire entendre sa voix sonore et énergique.

Ce n'est pas sans motifs, ni sans inquiétude que nous abordons aujourd'hui le problème algérien. Nous souffrons dans notre corps et dans notre âme en France. Nous sommes comme le médecin qui expose d'analyser son mal, ou encore tout...

Malheureusement il n'en est rien dans le climat de la société musulmane, au contraire à son égard, c'est à dire à son appel et à son cri d'indignation que nous sommes témoins.

Tantôt un motif surtout par suite de la guerre, par des discours ou par la proclamation de loi quelconque, ou la jeûne en public, ou l'opinion publique, nous nous sommes aperçus de la situation...

Il ne faut pas croire de la situation...

AGENCE ALGERIENNE DE PRESSE

واغصوا في اللبِّ والذِّفِّقِ وَالذِّفِّقِ

البرلمان الجزائري

جريدة وطنية نصرية

تدفع عن

الوقوف الاسلامي في الجزائر

AFRIQUE DU NORD, un an : 600 fr. ; six mois : 325 fr.
 France 300 » 150 »
 Etranger 400 » 225 »

ABONNEMENTS :

Pour la conquête de ses droits et de ses libertés Le Peuple Algérien doit former un bloc

L'Union du Front Musulman Algérien... que le P.P.A. qui est tout d'abord... de la situation des forces de l'Etat... de notre Alger, pays de plus en plus... nous convierons de à être de la...

En effet de tous les points de l'Algérie nous pourrions constater que... nous le soulèvement d'un peuple...

Nous sommes donc, le P.P.A. l'absence... réalisation de... Front Musulman Algérien pour la...

Le peuple algérien veut l'union... que son organisation...

Quand la France signera-t-elle un accord avec l'Afrique du Nord

Suite sont ceux qui tentent à... de l'Union...

A travers cette lutte d'observation...

Ce n'est pas en effet les points...

L'axe Houria qui à fini de...

La presse française continue à...

Ainsi ses députés nous ont...

Ce n'est pas en effet les points...

Le sentiment pour qui nous...

Le peuple algérien veut l'union...

الأشيف الوطني الجزائري. ANA, boîte N° 190, j , n°6 - 1

جريدة الجزائر الحرة التابعة لحركة الانتصار.

REDACTION-ADMINISTRATION 18, RUE HENRI-GO, ALGER. 5^e ANNEE - N° 55. 1^{er} AVRIL 1953. PRIX : 30 FRANCS.

L'ALGERIE LIBRE

PAR LE PEUPLE ET POUR LE PEUPLE

Quand a-t-on jamais assuré des peuples alors qu'ils sont « libres » ? OMAR BEN EL KHATTAB.

UN GRAND PROCES POLITIQUE
Des dirigeants et militants du M.T.L.D. dénoncent le régime colonial devant le tribunal correctionnel d'Alger

11 MARS 1937-1953 : 16^e anniversaire du Mouvement national algérien

Après l'assassinat de Farhat Hachad OÙ en est l'enquête ?

DELIT D'OPINION :
ALGERIE LIBRE : 2 mois de suspension.
AHMED BELZILHA
Directeur général : 500 francs d'amende.

REDACTION-ADMINISTRATION 18, RUE HENRI-GO, ALGER. 6^e ANNEE - N° 64. 8 MARS 1953. PRIX : 30 FRANCS.

L'ALGERIE LIBRE

PAR LE PEUPLE ET POUR LE PEUPLE

UNANIMES LES HOMMES DE BONNE VOLONTÉ se dressent et s'organisent contre la Répression

LA LUTTE CONTRE LA RÉPRESSION s'amplifie de jour en jour

De nombreuses personnalités de toutes tendances condamnant l'application de l'article 80

et pour la libération des détenus politiques

Les Algériens luttent pour le retour de Moussaï Hajj en Algérie.

REDACTION-ADMINISTRATION 18, RUE HENRI-GO, ALGER. 10 AVRIL 1953 - Prix : 30 Francs.

L'ALGERIE LIBRE

PAR LE PEUPLE ET POUR LE PEUPLE

Le M.T.L.D. participera aux élections municipales

L'Elu M. T. L. D. n'a pas failli à son devoir

Déclaration du M.T.L.D. à la veille des Elections aux Djemâas

Le M.T.L.D. participera dans l'Union aux élections municipales

A TRAVERS LE PAYS Dans les douars et centres municipaux les élections

جريدة المغرب العربي إحدى صحف حركة الانتصار.

المغرب العربي

EL MAGHRIB EL ARABI Journal hebdomadaire Directeur-Gérant : M. S. ZAHRI 9, rue Kechilim - ALGER Téléphone : 207.97 C.C.F. : 242.18

المدير ورئيس التحرير محمد السيد الزاهري الإدارة: صبح كوكليت رقم 9 الماسفت 20797 الجزائر

الجزائر تهتف وتتصاهر برقيات من الزعيم صالح الحاج الى رئيس حكومة بوموسا المستعصم وعاملات المسلكة العمودية من سبالي الحاج رئيس حزب الشعب الجزائري

جريدة ابوقية بجزيرة رنية من الجزائر... Vendredi 16-1-48... Prix : 10 Fra

مجاهد وطني كبير يسقط في ميدان النضال الاستاذ عسللة الحسين في ذمة المم والتاريخ

قال مندوب المغرب العربي... في يوم 14 كانون الثاني 1948... عسللة الحسين... المجاهد الوطني...



عسللة الحسين... المجاهد الوطني...

وقد عن جمعية العلماء والبا... في يوم 14 كانون الثاني 1948... عسللة الحسين... المجاهد الوطني...

قضية المغرب العربي تدخل في طور حاسم جديد

تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي... بيان من سمو الامير عبد الكريم... في يوم 14 كانون الثاني 1948...



العربية التي انقلب جيش الراحل الى مقره الاخير

بلوغ الامانة العامة لحزب الاستقلال... دوت بعض الوكالات الاخبارية... ان لاشقا برس وزارة الخارجية...

جريدة المغرب العربي احدى صحف حركة الانتصار.

العدد 8847 - الجمعة 21 رمضان 1366

المغرب العربي

EL MAGHRIB EL ARABI Journal hebdomadaire

Director-Gérant: M.S. ZAHRI 9 rue Koussin - ALGER

حول دستور الجزائر

نريد حق الحياة أولا
اتفق على ما جاء به في الاستجابات ثم هم يعملون على ارضاء الكتلعة الاقتصادية باسطة الادارة الفرنسية في الجزائر (وهي وجهة اقتصادية)

فرنسا لا تتخلى عن المغرب بغير قتال

التشيويون الفرنسيون يرون حركات المغرب الانتقالية (كذا)
مؤيد اشتباك صلح
يرجع الان من الدلائل ما يدل على ان التشيويين الفرنسيين يرون حركات المغرب الانتقالية (كذا)

الاشارة الفرنسية

بعد انظر المبارك
تحتي قرانا الكرام هذا المبدأ المبارك كما نرى جميع المسلمين في مشارق الارض ومغاربها وفي الثلث الاول من حوال الثامن عشر بمرحلة المغرب العربي حلة قديمة من الجمع بعد الله خلقنا

التشويون الفرنسيون يرون حركات المغرب الانتقالية (كذا)

من التشويون الفرنسيين يرون حركات المغرب الانتقالية (كذا)
من التشويون الفرنسيين يرون حركات المغرب الانتقالية (كذا)

زعيم الجزائر المحبوب الاستاذ الحاج مصالي



تصوير صورة الكريمة شادية الخطبة الرائعة الخطبة التي انما يوم الجمعة الاخير فبرودة الارواح الخطبة الرائعة الخطبة التي انما يوم الجمعة الاخير فبرودة الارواح

مؤيد اشتباك صلح

يرجع الان من الدلائل ما يدل على ان التشيويين الفرنسيين يرون حركات المغرب الانتقالية (كذا)

مستقبل فرنسا في بلاد المغرب العربي

تلك الضمان لثروت الامصار
رئاسة برقية قالت فيها
يشهد كثير من الدوائر البريطانية السلطة ان مسألة مستقبل الاراضي المغربية في شمال افريقيا لا بد ان يبرر ثقلان فترة قصيرة وتوسع موضوعا مما يتناول البحث والتناقض

رسالة الزبارة

رسالة الزبارة
ولادتهما ولا مساجية ولا مساجية

مشكل الجزائر

مشكل الجزائر
لدى الجامعة العربية
جاءت رسالة من القاهرة بطلبها كانه ان من جانب الحداثة عبدالرحمن عزام سائلا بعد ان زاد بباريس في الحيف الناسى وعاد الى الشاهرة

حربنا العجوزة

حربنا العجوزة
من ان الادارة الفرنسية في الجزائر لها ثبوت واسع جدا كما سألنا وقد امتدحت في جميع الظروف والاحوال فده السنين الجزائريين

جريدة الجزائر الحرة التابعة لحركة الانتصار.¹



¹- fr.wikipedia.org

الفهارس

1-فهرس الأعلام

أ

- سيدنا إبراهيم 24
- أ.ف. غوثي 131
- إبراهيم البازجي 121
- إبراهيم دحمون 122
- ابن الأعرش 45, 88
- ابن العنابي 53
- ابن حزم 25
- ابن منظور 24, 27
- أبو اليقضان 101, 114
- أبو يعلى الزواوي 115
- أحمد باي 47, 74, 238
- أحمد مزغنة 324
- أحمد بودة 254
- أحمد بورحلة 133
- أحمد بوشمال 114
- أحمد بوغلام الله 195, 283
- أحمد بومنجل 314
- أحمد توفيق المدني 84
- أحمد تيزاوي 145
- أحمد رضا حوجو 123
- أحمد صاري 107, 115, 149, 426
- أحمد كولاكسيس 138
- أحمد لطفي 113
- أحمد محساس 152
- أحمد مزغنة 324
- أحمد مهساس 111, 128, 144, 146, 152, 167, 180, 204, 221, 263, 269, 323, 334, 335, 336, 340
- أدريان بيربروجير 99, 220
- ادوارد تايلر 30
- إدوارد دالاديه 181
- إدوارد قاسلان 100
- إدوارد لافيريار 306
- أدولف تيير 52
- إسماعيل صفايحي 127
- آل بكري 46
- آل بوشناق 46
- الأخضر السائي 119
- الإخوة سبتي 133
- الأمير خالد 60, 84, 90, 91, 101, 102, 112, 121, 133, 138, 139, 140, 141, 142, 143, 144, 145, 146, 147, 148, 150, 151, 152, 162, 166, 173, 178, 182, 187, 191, 211, 218, 354
- الأمير عبد القادر 43, 44, 45, 47, 51, 52, 56, 57, 60, 88, 95, 99, 107, 108, 109, 125, 126, 127, 139, 143, 159, 179, 193, 227, 290, 295, 348, 431
- الأمير عبد المالك 127
- الأمير علي بن الأمير عبد القادر 127
- الأمين الدباغين 316, 324, 325, 326
- الأمين العمودي 194, 232, 233
- الأمين دباغين 281, 324, 326, 350
- الباشا محمد بن بكير 42, 87
- ألبرت أينشتاين 171
- البشير الإبراهيمي 116, 223, 307
- البكري 170
- الجرجاني 24
- الجنرال آلارد 64
- الجنرال دوماس 94
- الجنرال شانزي 306
- الجنرال كاتروس 157
- الجيلالي شبيلة 152
- الحاج سعيد الشريف 251
- الحاكم العام لافيرير 126

الحبيب ثامر 182
 الحليم بن سماية..... 107, 113, 115, 121, 160
 الخليفة ابن سالم 95
 الداى حسين 45, 47, 50
 الدكتور بن جلول 166, 180, 231, 234, 281
 الدوق دورليان
 الدوق دوروفيقو 53, 72, 125
 الدوق دوروليان 51, 79,
 الرحالة الهولندي دابر 72
 السعيد الزموشي 251
 السعيد بوليفة 115
 السلطان عبد المجيد 52
 الشاذلي المكي 195, 251, 326, 327
 الشاذلي خير الله 170, 188
 الشريف بن حبيلس 53
 الشيخ محمود كحول 100
 الصادق هجرس 312, 333
 الطاهر علي الشريف 121
 الطيب العقبي 223
 العربي التبيسي 223
 العربي بن مهيدي 148, 195, 348, 361
 العمل الجزائري 303
 الكاردينال لافيغري 80, 306
 الكومندان مارتي 117
 المارشال بوجو 62, 125
 المسعود بن زلماط 93
 المسيو جلاي 77
 المشير كلوزال 72
 المفتي خليل أفندي 47
 المقراني 46, 55, 77, 193, 285
 المكي بن عزوز 107
 المنجي سليم 182
 المولود ابن الموهوب 113, 160
 المولود بن الموهوب 107

إليكسي دوتوكفيل 56
 إليكسي ميكشيللي 25
 اليهود 33, 45, 46, 53, 71, 100, 101, 128, 176,
 202, 212
 اليونان 39, 46, 47, 182
 أمود 93
 أن مالك الإفريقي 40
 أنتوني جيندز 35
 انجلز 57, 89
 أيت أحمد 251, 303, 305, 323
 ايميل ماسكري 77

ب

باريوس 170
 بارتو 291
 باشطرزي 121, 122
 بانون أكلي 152, 153
 برنادوت 43
 بكري 45, 46
 بلفور 33
 بلقاسم البيضاوي 251
 بلوزداد 251
 بن اشنهو حسين 195
 بن باديس (عبد الحميد) 18, 86, 99, 100, 101, 102, 113,
 114, 116, 122, 123, 157, 223, 224, 225, 226, 232,
 233, 234, 239, 246, 248, 251, 265, 307, 313, 315, 369
 بن العنابي 43, 125
 بن جلول 180, 234, 294
 بن رحال 44
 بن زكري 113, 160
 بن سماية 77, 107, 113, 115, 121, 160
 بن علي فكار 100
 بن يوسف بن خدة 75, 170, 251, 296, 321, 326, 327,
 329, 330, 337, 344, 348

بوانكاريه..... 98, 104, 105, 143
 بوتان 45, 46
 بوزيد شعال 195
 بوشناق 45
 بوضرية 43, 329
 بوعمامة 61, 68, 93
 بول مارتي 78
 بول يتيان 99
 بومدين شعيب 73
 بيار ميكاييل 216
 بيجو 95
 بيليسي 40, 59, 81, 417

ت

تشارلز كولوم 148
 تشارلز مانغاي 81

ج

ج. هاردي 85
 جاك برك 37
 جاك بيرك 117
 جاك سيمون 285, 292
 جاك شوفاليي 307
 جان مونيريه 283, 307
 جواهر لال نهرو 170
 جورج أبيض 121
 جورج. ب. نوبل 141
 جول فيري 68, 70, 81, 98, 306
 جوليان 59
 جون رينيه جونتي 293
 جيلالي صاري 55, 58, 59, 60, 61, 62, 63, 65, 150,
 327, 339

ح

حاج علي عبد القادر 91, 133, 137, 143, 152, 153,
 172, 179

حافظ إبراهيم..... 121
 حسين عسلة 195
 حمدان بن عثمان خوجة, 43, 48, 50, 51, 52, 53, 54,
 73, 74, 88, 109, 113, 121, 227
 حميدة بن باديس 99

خ

خليل قايد العيون 100
 خير الدين بريروس 43

د

داروين 58
 دماغ العتروس 251
 دوتبول 83
 دوغول 281
 دوفكون 80
 دوقايدون 78
 دي بورمون 185
 ديبارمي 77, 82, 96, 101
 ديدوش مراد 348, 361
 ديميشيل 51

ر

رايح بيطاط 348, 361
 راجف بلقاسم 195, 312
 رشيد علي يحيى 311
 رشيد علي يحيى 311, 312, 313
 رشيد قسنطيني 122
 روبار مورفي 281
 روبرت ديلوتشي 245
 روجر ليونارد 299
 رودوسي بن قدور التركي 114

ز

زهير الزاهري 119
 زين العابدين بوطالب 99

س

سارتر ... 192, 277, 279, 287, 289, 301, 425
 سان جون 49
 سلالي علي 121, 122
 سليم بك الجزائري 127
 سليمان بن بنقي 100
 سليمان بوجناح 150
 سماعي عبد الرحمن 196
 سي الجيلالي محمد السعيد 174
 سي الجيلالي 152
 سي الشريف بن الأحرش 60

ش

شاتينيون 310
 شارل العاشر 46, 207
 شارل جونار 86
 شارل روبير أجيرون 141, 200
 شالاي 170
 شانغارنيبي 290
 شكسبير 121
 شكيب أرسلان 245, 246
 شوقي مصطفىاوي 251, 313
 شوقي مصطفىاوي 195
 شيخ عمار بن دحمان 124

ص

صالح الشريف 127

ط

طاهر الجزائري 127
 طه جابر العلواني 26, 37, 223

ع

عبد الخالق الطريس 182
 عبد الرحمان الثعالبي 114
 عبد الرحمان الجيلاني 115, 119

عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون, 94, 108, 110, 111, 153

عبد الرحمان عزام 296, 311, 323, 327
 عبد السلام المسدي 117
 عبد العزيز الثعالبي 107
 عبد العزيز منور 133
 عبد القادر المجاوي 99, 113, 115, 160
 عبد القادر زيار 195
 عبد القادر قاضي 195, 283
 عبد الكريم الخطابي 182
 عبد الله فيلالي 246, 326
 علال الفاسي 49, 77, 181, 323
 علال بلهوان 182, 326
 عمار ولد حمودة 312
 عمر السمار 100
 عمر أوصديق 312
 عمر بن قدور 54, 101, 107, 160
 عمر بن قدور 107
 عمر خيذر 146
 عمر راسم 100, 101, 107, 160, 186, 414
 عمر عيماش 312, 313

غ

غاريبالدي 290
 غزالي بالحفاف 195
 غوتفريد فيلهيلم لايبنتز 32

ف

فاطمة نسومر 193
 فانتور دو باراداي 43
 فرانسوا جيزو 43
 فرانسوا شارفيريا 84
 فرانسيس جونسون 49
 فرانكو 245

فرحات عباس, 44, 54, 66, 147, 152, 173, 220, 226,
227, 231, 232, 264, 288, 294, 304, 314,
320, 321
فيلهم شيمبرا 81
فيوليت, 148, 172, 197, 217, 222, 226, 229, 230,
234, 239, 240, 262, 271, 275, 299, 315,
325, 350, 358

ق

قايد حمود 102, 139

ك

كاتامايا 170
كاسيميري 72
كاميل ساباتيني 306
كحال أرزقي 246, 270, 312
كريم بلقاسم 313, 348, 361
كريميو 67
كلود بيلات 141, 200
كلوزيل 48, 51, 53, 125
كوستوف لوبون 155
كيلمانصو 291

ل

ل.جالون 41
لافيجري 182
لامورسيير 95
لمين غاي 170
لويس بييري 282
لي هون 59
ليون روش 99

م

مارسيل بيروتون 281
مارك فيرو 59
ماركس 57, 89
ماسكري 77

ماكسيم رودانسون 120
مالك بن نبي 29, 30, 117, 292
مبارك الملي 114, 223
محفوظ سماتي 54, 70, 144
محمد الخضر حسين 107, 127
محمد السعيد 122, 152, 153
محمد الشيوكي 119
محمد الشريف ساحلي 43, 45, 46
محمد الصغير غانم 41
محمد العابد الجلاي 123
محمد العيد آل خليفة 182
محمد العيد آل خليفة 119
محمد المرتضى 108
محمد الهادي السنوسي الزاهري 119
محمد الهادي حارش 40, 310
محمد بن أبي الشنب 114, 121
محمد بن الحسين 333
محمد بن الخوجة الكمال 107
محمد بن ناصر 327
محمد بن يلس 154, 155
محمد بوراس 124
محمد بوضياف 348, 361
محمد بيرم 107
محمد حربي, 32, 33, 149, 173, 181, 228, 241, 269,
270, 296, 301, 311, 323, 347
محمد حطة 170
محمد خير الدين 223
محمد خير الدين 223, 417
محمد خيضر 146, 324
محمد دوار 297, 349
محمد راسم 186
محمد سعيد الزاهري 122, 304
محمد عابد الجابري 27, 34
محمد عبدون 17, 124, 130, 157, 296, 297

محمد علي 25, 38, 39, 41, 47, 51
 محمد فريد 107
 محمد محفوظي 251
 محمد مسطول 184, 185, 190
 محمد معروف 133, 153, 188
 محمود الثاني 51
 محمود بن الأكل 133
 محمود بن أمين السكة 51
 محيي الدين 108
 مسعود بوقادوم 324, 325, 369
 مصالي الحاج 152, 194
 مصالي الحاج مذكور في أغلب المتن
 مصطفى الكبابطي 53, 125
 مصطفى بن بولعيد 348, 361
 مصطفى بن عزوز 107
 مصطفى رشيد باي 51
 مصطفى فروخي 305
 مصطفى كمال 155
 معيزة أبراهيم 297
 مفدي زكرياء 119
 مفدي زكريا 120, 182, 183, 187, 197, 241, 253, 355
 منجي سليم 326
 مولاي مرياح 305
 مولود قاسم 44, 47, 82, 115, 289
 ميشيل دفيز 135

ن

نابليون 45, 83
 نابليون الثالث 83
 نايجلان 299

ه

ه. مارشاندا 113
 هنتر 290
 هنري تيراس 79
 هوارد سيمبسون 56
 هوشي منه 169, 170
 هيروودوت 40
 هيريو 142, 144, 145

و

واعلي بناي 311, 312
 ولسون 132
 وليام شالر 42, 43, 46
 وول ديورانت 38
 ويلسون 141, 200

ي

ياكونو 59
 يحيى حنين 333
 يفيش شاتينو 288
 يوركوبيس 40
 يوسف بن سمان 133

2- فهرس الأماكن

أ

إسبانيا... 44, 52, 58, 115, 155, 159, 206, 245
 استراليا 56, 57, 290
 اسطنبول 50, 51
 إفريقيا مذكورة في أغلب المتن
 76
 الأخضرية
 الأربعا ناث إرائن 310
 الإنزاس و اللورين 98
 الأندلس 39, 48, 119, 121
 الأوراس 77
 البرواقية 126
 البليدة 121, 184, 195
 الجزائر مذكورة في أغلب المتن
 الجزيرة العربية 41
 الجلفة 45, 60
 الحجاز 125, 126
 الحراش 254
 الزيبان 58
 الشام 40, 147
 الشلف 65, 76, 127
 الشيشان 37
 الصين 37, 170
 الطوارق 49, 93
 الفرشيش 59
 القالة 46, 87
 القاهرة, 304, 327, 335, 24, 25, 26, 27, 33, 48, 117, 304, 327, 335
 القدس 125, 176, 205, 437
 القيتنام 201
 الكونغو 294
 المدينة 59, 121, 126
 المدينة المنورة 125

المرسى الكبير 58
 المغرب الإسلامي 39
 المغرب الأوسط 44
 المغرب العربي, 297, 189, 173, 117, 50, 39, 9,
 300, 304, 305, 307, 308, 326, 327, 351,
 359
 المغرب الأقصى 181
 الهامل 84, 102
 الهند 37, 57, 170
 الهند الصينية 134
 الولايات المتحدة 39, 52, 141, 161, 290
 اليونان 39, 46, 47, 182
 أمريكا 42, 43, 56, 58, 141
 أوربا 33, 36, 37, 38, 44, 48, 50, 57
 أوكرانيا 37
 إيطاليا 43

ب

باتنة 116, 295, 435
 باريس . 51, 60, 66, 98, 104, 121, 129, 131,
 134, 140, 145, 147, 153, 155, 156, 184,
 185, 187, 188, 190, 191, 193, 194, 228,
 235, 242, 246, 249, 250, 252, 273, 291,
 304, 305, 313, 323
 بجاية 46, 130
 برازافيل
 برازافيل 282, 283, 294
 براغ 331
 بربر 36
 برقة 40, 41
 برلين 42, 127

بروكسل 153, 156, 169, 170, 171, 172, 184,
198, 208, 211, 244, 260, 272, 328, 359,
363, 365
بريطانيا 33, 47, 49, 57, 152, 155
بلاد الغال 74
بلجيكا 169
بودابست 331
بورجو 155
بوسعادة 58, 84, 102, 285
بوفاريك 184
بولونيا 206, 325
بيروت 9, 24, 25, 26, 27, 28, 33, 34, 37, 38,
39, 47, 50, 56, 57, 60, 72, 86, 108, 121,
433

ت

تازة 53, 125
تبسة 116, 298
تركيا 126
تركستان الشرقية 37
تشيكسلوفاكيا 325
تطوان 53, 125
تلمسان 58, 73, 98, 105, 116, 125, 127, 148,
154, 155, 172, 182, 184, 185, 186, 190,
221, 234, 246, 326
تنس 127
تور 290
تونس 46, 47, 51, 52, 61, 86, 95, 107, 108,
114, 126, 127, 129, 170, 176, 182, 195,
201, 203, 221, 252, 259, 281, 322, 326,
327, 346, 361, 420, 423, 426
تيارت 282, 294
تيمور الشرقية 37

ج

جبل طارق 45, 46, 58
جنوب السودان 37
جنوب إفريقيا 290

خ

خراطة 284

ر

روسيا 37, 47, 88, 206

ز

زدين 297
زناتة 40
زواوة 80, 84, 95, 308, 313

س

سطيف 58, 65, 116, 121, 127, 195, 284
سكيكدة 58, 184, 185
سلطنة عمان 41
سهل غريس 95
سوريا 125, 126, 138, 170, 240, 306

ش

شرشال 116

ص

صقلية 39

ط

طرابلس 108
طنجة 127
طولون 47, 58

ظ

ظفار 41

ع

عرب 36, 94, 156, 309
عمان 26, 27

312, 313

عناية 49, 100
 عين التركي 49, 67, 76
 عين الدفلى 76, 297
 عين بسام 49, 93, 194
 عين سمارة 98

ف

فاس 53, 125
 فرساي 161
 فرنسا مذكورة في أغلب المتن
 فلسطين 37

ق

قائمة 195, 284
 قبائل المور 40
 قسنطينة .. أ، 15, 34, 47, 49, 50, 52, 55, 58,
 69, 71, 74, 84, 86, 98, 99, 105, 109,
 110, 114, 116, 127, 131, 176, 184, 185,
 202, 212, 246, 263, 267, 284, 296, 297,
 304, 305, 327, 390, 391, 417, 424,
 425, 429, 434, 436, 437
 قصر إغمونت 169
 قصر الشلالة 283, 294
 قصر فرساي 141
 قطار العياش 98

ك

كتشاوة 72
 كشمير 37
 كندا 44
 كورسيكيا 43

ل

ليبيا 38, 40, 47

م

مستغانم 125, 234, 235
 مصر, 7, 24, 25, 26, 33, 36, 48, 51, 61, 117,
 122, 126, 144
 معسكر 51, 58, 95, 99, 125
 مكة 73, 125, 231
 مليانة 59, 127
 مليلية 127
 موسكو 133, 228

ن

نفارين 46

و

وجدة 53, 125
 وهران, 46, 49, 58, 121, 125, 190, 195, 247,
 264, 292, 296, 345, 425, 431, 435, 437

3-فهرس الهيئات والصحف

أ

الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري 288
الاتحاد الوطني لمسلمي شمال افريقية..... 168
الأزهر 86, 107, 127
الأمم المتحدة... 244, 310, 326, 329, 347, 359
التيجانية 45, 88, 108
التيفيناغ 41
الجمعية التوفيقية 115
الجمعية الرشيدية 115
الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية .. 295,
296, 297, 313
الحزب الدستوري التونسي..... 327
الحزب الشيوعي الجزائري..... 333
الحلف الاطلسي 329, 330, 337, 359
الدقاوية 108, 154, 155
الدولة العثمانية... 38, 43, 46, 47, 52, 66, 155,
182, 195, 442, 444
الرحمانية 107, 108, 125
الزيتونة 86, 107, 122, 223
السنوسية 108
الطريقة التيجانية 108
الطريقة الدقاوية 108, 154, 155, 269
الطريقة الرحمانية 107, 108, 125
الطريقة السنوسية..... 108
الطريقة القادرية..... 108
الطوارق 49, 93
الفينيقيين 40
الماسونية 79
اليهود ... 33, 45, 46, 53, 71, 100, 101, 128,
176, 202, 212
أوقاف مكة والمدينة 73
أولاد نايل 60

ج

جريدة الشعب..... 102
جريدة إقدام الشمال الإفريقي 188
جريدة إقدام نجم افريقيا الشمالية..... 189
جريدة الأخبار 101
جريدة الإقدام , 60, 84, 94, 101, 102, 112, 128,
139, 140, 152, 167, 187, 205, 286, 357
جريدة الاقدام الباريسي 188
جريدة الأمة , 15, 102, 107, 180, 184, 185, 186,
188, 189, 190, 193, 194, 202, 207, 219,
222, 229, 230, 232, 249, 251, 252, 254,
258, 261, 265, 429, 430
جريدة الأمة الجزائرية..... 265, 303
جريدة البرلمان الجزائري 15, 253, 254, 264, 266
جريدة البصائر .. 44, 46, 47, 86, 93, 102, 307,
336, 346, 429
جريدة التطور الجزائري..... 148
جريدة التقدم 102, 107, 109, 116
جريدة الجزائر ... 15, 100, 122, 186, 389, 392
جريدة الجزائر الحرة 15, 263, 303, 322, 333
جريدة الجمهورية الجزائرية 152
جريدة الحاضرة 107
جريدة الحق , 33, 100, 104, 105, 106, 138, 156,
304, 429
جريدة الحق العنابي 100
جريدة الدفاع..... 148, 194, 233
جريدة الرشاد 102
جريدة السلام 305
جريدة الشعب 15, 253, 261, 429
جريدة الشهاب 49, 116, 174, 223, 232
جريدة الصراع الطبقي 102
جريدة العدالة..... 255, 256

302, 303 جريدة العمل الجزائري
 100, 101, 107, 119 جريدة الفاروق
 282 جريدة المساواة
 107 جريدة المشير
 100 جريدة المصباح
 15, 100, 231 جريدة المغرب
 297, 304, 305, 327 جريدة المغرب العربي
 120, 305, 322 جريدة المنار
 99, 313 جريدة المنتخب
 303 جريدة المهاجر
 305 جريدة النجم الجزائري
 100 جريدة النصيحة
 54 جريدة الهلال
 231 جريدة الوفاق
 226 جريدة الوفاق الفرنسي الإسلامي
 231 جريدة الوقت
 100, 101, 107, 429 جريدة ذو الفقار
 305 جريدة صوت الأحرار
 305 جريدة صوت الجزائر
 305 جريدة صوت الشعب
 100 جريدة كوكب إفريقيا
 142, 144, 245 جريدة لومانيتي
 299 جريدة لوموند
 44 جريدة لومونيتور
 54, 227 جريدة ليكسبريس
 140 جريدة ليكو دالجي
 146, 151, 155 جمعية الأخوة الإسلامية
 139, 140 جمعية الأخوة الجزائرية
 149 جمعية التضامن الجزائري
 86, 115, 116, 148, 157, 176, .. جمعية العلماء
 183, 199, 225, 230, 246, 251, 263, 269,
 273, 326

115, 199 جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
 149 جمعية العمال المهاجرين بمدينة ليون
 185 جمعية العمل المغربي
 150 جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا

ح

15, 19, 20, 195, 276, 292, 294, 296, 297, 298, 300, 303, 304, 305, 310, 312, 315, 321, 322, 323, 324, 325, 327, 328, 330, 332, 333, 340, 345, 348, 350, 359, 369, 390, 391
 حزب الانتصار
 حزب الاستقلال المغربي 326, 327
 حزب الدستور التونسي 326, 327
 حزب الشعب مذكور في أغلب المتن

م

185 منظمة أحباب الأمة
 124 مولودية الجزائر

ن

168 نجم الشمال الإفريقي المجيد
 102, 104, 105, 106, 120, 129, 137, 140, 147, 148, 151, 158, 159, 162, 172, 175, 184, 185, 186, 187, 190, 191, 197, 230, 236, 239, 245, 246, 249, 260, 261, 270, 337, 375
 نجم شمال إفريقيا

و

42, 87 وثيقة عهد الأمان
 150 ودادية طلبة شمال إفريقيا

القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

القرآن الكريم

- الآية 37 من سورة إبراهيم.
- الآية 4 من سورة القيامة.
- الآية 87. من سورة يونس .
- الآية 93 من سورة النساء.
- الآية 21 من سورة الفجر.
- الآية 103 من سورة آل عمران.

-الآيات المذكورة في خطاب مصالي الحاج الموجه إلى الأمة الجزائرية 13 نوفمبر 1936

- آل عمران الآية 146 /-الأنعام 153./ -النحل 127 / -الواقعة 76./-العنكبوت 69./
- الحج 40/-المؤمنون 8/-محمد 31/-العنكبوت 1 و2./
- الكهف 5 /-المدثر الآية 35/-النور الآية 17/-آل عمران 118./
- آل عمران 82/-العنكبوت 24/- الأعراف 58 ./
- الفرقان 27 -28-29/-الروم الآية 47.

الحديث النبوي الشريف

- حديث البراق» ثم انطلق يهوي « منقول عن ابن منظور/ لسان العرب، مج15، ص ص
371. 374. حديث عبد الله بن مسعود أخرجه أحمد (1 / 375) وابن ماجه (4081)
والحاكم (4 / 488 - 489 - و545) .

1- الوثائق الأرشيفية

أ-الأرشيف الوطني الجزائري

Boitte N°- (A) J= 147-°6 = L'ALGER LIBRE

[جريدة الأمة] Boitte N°- J 314=

Boitte N°- J 190 = parlemen

Boitte N°- J 199 =[جريدة المغرب العربي]

ب-أرشيف ولاية قسنطينة

-Boitte N°= 30 [جريدة المغرب العربي]

EL OUMA -Boitte N° 126

L'ALGER LIBRE - Boitte N° 212.

2-المصادر

أ- الصحف المنشورة بالعربية

1- جريدة الإقدام Likdam 1920-1922 الأعداد التالية:

1-2 = 1-3-4-5-6-7-8-9-10-11-12-13-14-15-16-17-18.

3- جريدة الحق 8-15 1912.

4- جريدة ذو الفقار لصاحبها عمر راسم العدد الأول 15-10-1913 .

5- جريدة الإقدام الشمال إفريقي أكتوبر 1927.

6- جريدة المغرب العربي:

7-الأعداد: 06-01-1947. /-العدد 08-08-1947 - 12 سبتمبر 1947.

8-11-28-1947. - 15 ديسمبر 1947 - العدد 16-01-1948. 26 مارس 1948.

a. العدد 20/12/1948 .- عدد 20-05-1949.

9- جريدة الشعب: أوت 1937.

10- جريدة البصائر، العدد: 214، بتاريخ 23 يناير 1953. الجزائر.

ب- الصحف باللغة الأجنبية

- 11- **El Ouma جريدة الأمة**
- 12- -Septembre 1931
- 13- -Septembre-Octobr 1934.
- 14- -Aout –Septembre 1934.
- 15- -N° 33 Aout – Septembre 1935.
- 16- -N°40 Mars-Avril1936 1936.
- 17- -N°40 : Mai - Juin 1936
- 18- -N° 41: (Juillet- Aout 1936 .
- 19- -(Janvice – Fevrier1936.
- 20- -N° 42 Septembre - Octobr 1936 /
- 21- -10 Avril 1937 ./
- 22- -27 Aout 1937./
- 23- -Janvier 1938
- 24- -27 Aout 1938./
- 25- -N°40 Mars – Avril 1936./
- 26- **Le Parlement Algerien**
- 27- N° 18 Avril 1938 / 3 Mai1938/: N° 3 - 9 Juin 1939 / N°4
17/06/1939
- 28- N°5- 1 Juillet 1939./ N° 6: 14 Juillet 1939.
- 29- – **L'algerie Libre:**
- 30- L'Algérie_libre ,11/ MARS /1950 - 25Aout1951 - ,01/04/1953 .
- 31- **La Justice:** 17 Aout 1937
- 32- -**La Défense :** 9 Mars 1934.
- 33- - **La Nation Algerienne:** 10 eptembre 1951

3- الكتب - المصادر بالعربية

- 34- ابن العقون، عبد الرحمان بن إبراهيم: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج1، وج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 35- ابن خدة، بن يوسف: جذور أول نوفمبر 1954، تر: مسعود حاج مسعود، دار الشاطبية، للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
- 36- ابن نبي، مالك: شروط النهضة، تر: مسقاوي وعبد الصبور شاهين، ط11، دار الوعي، الجزائر، 2012.
- 37- ابن نبي، مالك: مشكلات الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، ط4، دار الفكر، دمشق، 2000.
- 38- ابن نبي، مالك: ميلاد مجتمع، تر: عبد الصبور شاهين ج1، ط1، دار الوعي، روية، الجزائر، 2013.
- 39- أجرون، شارل روبير: الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج1، ج2، تر: حاج علي مسعود و أ، بكلي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.
- 40- أجرون، شارل روبير: تاريخ الجزائر المعاصرة، تر: عيسى عصفور، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1982.
- 41- إحدادن، زهير: الصحف المكتوبة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2012.
- 42- ابن حبيلس، الشريف: الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، تر: عبد الله حمادي، فيصل الاحمر، وسيلة بوسيس، مطبعة المسك، الجزائر، 2013.
- 43- الأشرف، مصطفى: الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007.
- 44- أدريان بيربروجير: مع الأمير عبد القادر رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة 1837-1838 م، تر وتع: أبو القاسم سعد الله، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2005.
- 45- آيت احمد، حسين: روح الاستقلال مذكرات مكافح 1942-1952، تر: سعيد جعفر، منشورات البرزخ، الجزائر، 2000.
- 46- البجاوي، محمد: الثورة الجزائرية والقانون، تق: بيبير كوت، تر: علي الخش، مر: علي الفاضل، دار اليقظة العربية، دمشق، 1965.
- 47- الزبيري، محمد العربي: مذكرات أحمد باي وحمدان بن عثمان خوجة وبوضربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

- 48- الفاسي، علال: **الحركات الاستقلالية**، ط6، مؤسسة علال الفاسي، الدار البيضاء، المغرب 2003.
- 49- القادري، أبو بكر: **مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية**، ج1، النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1992.
- 50- المدني، أحمد توفيق: **كتاب الجزائر**، المطبعة العربية في الجزائر، 1931.
- 51- بوطالب، عبد القادر: **الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية**. دحلب. الجزائر، 2009.
- 52- بيليسي، أ: **حوليات جزائرية**، تر: محند أوسعيدان، مج 3، أصالة، الجزائر، 2013.
- 53- جوليان، شارل أندري: **إفريقيا الشمالية تسير**، القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية: تر: المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976.
- 54- حربي، محمد: **الثورة الجزائرية، سنوات المخاض**، تر: نجيب عياد وصالح المثلوني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية الجزائر، 1994.
- 55- حربي، محمد: **جبهة التحرير الاسطورية والواقع 1954-1962**، نر: كمال قيصر داغر، ط1، الناشران، مؤسسة الأبحاث العربية- ودار كلمة للنشر، بيروت، 1983.
- 56- خوجة، حمدان بن عثمان: **المرأة**، تر وتح: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2005.
- 57- خير الدين، محمد: **مذكرات محمد خير الدين**، ج1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1985.
- 58- ساحلي، محمد الشريف: **تخليص التاريخ من الاستعمار**، تر، محمد الشريف بن دالي الحسين، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2013.
- 59- شالر، وليام: **مذكرات وليام شالر - قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824**، تر. تع . تق إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- 60- شكايه من أعضاء المجالس البلدية لبلديات واد سقان، وقطار العياش، وعين سمارة، «مقالة غريق أمم طبيب شفيق»، مطبعة مارل بروا دورليان، قسنطينة، 1891.
- 61- طالبي، عمار: **آثار بن باديس**، ج1 من مج2، الشركة الجزائرية لصاحبها عبد القادر بوداود، الجزائر ط 3، 1997.
- 62- طالبي، عمار: **بن باديس حياته وآثاره**، ج3، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط1، 1968.
- 63- عباس، فرحات: **ليل الاستعمار**، تر: ابو بكر بن رحال، دار القصبة للنشر، الجزائر 2005.
- 64- عبدون، محمد: **شهادة مناضل من الحركة الوطنية**، دحلب، الجزائر، 2013.
- 65- قناتش، محمد وقداش محفوظ، **نجم شمال إفريقيا 1926-1937 وثائق و شهادات لدراسة التيار الوطني الجزائري**، تر: أوزاينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013.

- 66- قنانش، محمد ومحفوظ قداش: **حزب الشعب الجزائري 1937-1939** -وثائق وشهادات **دراسة التيار الوطني**، تر: أوزاينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013.
- 67- قنانش، محمد: **ذكرياتي مع مشاهير الكفاح**، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2005.
- 68- قنانش، محمد: **أفاق مغربية**، المسيرة الوطنية وأحداث 8 ماي 1945، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009.
- 69- قداش، محفوظ: **تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية**، ج1، 1919-1939، تر: أمحمد بن البار، شركة دار الأمة الجزائر، 2011.
- 70- قداش، محفوظ: **تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2، 1939-1951، تر: أمحمد بن البار، شركة دار الأمة، الجزائر، 2011.
- 71- قداش، محفوظ: **جزائر الجزائريين - تاريخ الجزائر 1830-1954**، تر: محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهار، الرويبة، الجزائر، 2008.
- 72- محفوظ قداش: **8 ماي 1945**، منشورات ANEP، 2003.
- 73- لوانشي، أن ماري: **صالح لوانشي، مسيرة مناضل جزائري**، دحلب، الجزائر، 2013.
- 74- محمد باشا، محمود: **ذريعة المروحة 1827 أو الاستيلاء على إيالة الجزائر**، تر: عزيز نعمان، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، 2012.
- 75- مشاطي، محمد: **مسار مناضل**، تر: زينب قبي، منشورات الشهاب، الجزائر، 2010.
- 76- مصالي، الحاج: **مذكرات مصالي 1898-1938**، تر: محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007.
- 77- مهساس أحمد: **الحركة الثورية في الجزائر من الحرب ع1 إلى الثورة المسلحة**، تر: حاج مسعود مسعود، محمد عباس، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2003.
- 78- مهساس، أحمد: **الحقائق الاستعمارية والمقاومة**، دار المعرفة، الجزائر، 2007.
- 79- ولد خليفة، محمد العربي: **الاحتلال الاستيطاني، مقارنة للتاريخ الاجتماعي والثقافي**، مؤسسة دار تالة، الجزائر، 2013.
- 80- ولد خليفة، محمد العربي: **المسألة الثقافية و قضايا اللسان والهوية**: منشورات تالة، الجزائر، 2007.
- 81- وولف جون ب: **الجزائر وأوروبا (1500-1830)**، تر وتع: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

4-الكتب – المصادر باللغة الأجنبية

- 82- Ageron, Charles-Robert: **histoire de l'Algérie contemporaine (1830-1988)**, neuvième édition, presses universitaires de France, Paris, 1990 .
- 83- Ageron, Charles-Robert: **genèse de l'Algérie algérienne** , éditions bouchene, Paris, 2005, France , 2005.
- 84- Camille Rousset : **la conquête de l'Algérie, 1841-1857**, e. plon s et c", imprimeurs-éditeur, PARIS, 1879.
- 85- Culott Claude Et Jean Robert Henry: **mouvement national Algérien textes 1912-1954**, préface de Ahmed Mahiou, éditions l'harmattan , Paris: 2000 .
- 86- Depont Octave Et Xavier Coppolani : **les confréries religieuses musulmanes , Typographie et lithographie**, Adolphe Jourdan, Paris, 1989
- 87- Francis et Colette Jeanson: **l'Algérie hors la loi**, éditions du seuil, Paris, 1954, ..
- 88- Malherbe Michel : **quand l'histoire change les noms de lieux les lieux à dénominations multiples**, l'harmattan , Paris, 2008 .
- 89- Ferro, Marc (Sous la direction) : **Le livre noir du colonialisme : XVIe - XXIe siècle, de l'extermination à la repentance; tome 2** , dar el kitab el arabi, Algérie ;2014.
- 90- Meynier Gilbert; et Ahmed Koulakssis: **l'émir khaled , premier « za'ïm »** , l'harmattan, Paris , 1987.
- 91- Nouchi, André: **la naissance du nationalisme algérien**, les Editions de minuit, Paris, 1962
- 92- Pellissier de Reynauld : **Annales Algériennes, Tome.1**, éditeur, librairie Militaire, Paris ,1854 .
- 93- Simon Jacques: **Messali Alhdj-par les texte**, édition bouchene, saint denis, France, 2000.
- 94- Stora, Benjamin: **Messali Hadj, pionnier du nationalisme Algérien(1898-1974)**: éditions l'harmattan , Paris,1985

5-المراجع العربية

- 95- الإبراهيمي، محمد البشير: التراث الشعبي والشعر الملحون في الجزائر، تح: عثمان سعدي، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، 2010.
- 96- ابن أشنهو، عبد الحميد: الدولة الجزائرية في 1830 مؤسستها في عهد الأمير عبد القادر، تر: لعراجي نور الدين، موفم للنشر، الجزائر، 2013.
- 97- ابن أشنهو، عبد اللطيف: تكون التخلف في الجزائر، تر: نخبة من الأساتذة، مر وتح: عبد السلام شحاذة، ومحمد يحي ربيع، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1979.
- 98- ابن النعمان، أحمد: فرنسا والأطروحة البربرية، ط2، دار الأمة، الجزائر، 1997.
- 99- ابن النعمان، أحمد: الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات، شركة دار الأمة، الجزائر، 1996
- 100- ابن داهة، عدة: الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962، ج1، ط1 المؤلفات للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- 101- ابن سميحة، محمد: أسس مشروع عبد الحميد بن باديس، ج1، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2004.
- 102- ابن صالح، ناصر محمد: الصحف العربية بالجزائر، 1847-1954، ط2، ألفا دزوين المحمدية، الجزائر، 2006.
- 103- ابن عبد الله، محمد: سيكولوجية الشخصية المغاربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.
- 104- التر، عزيز سامح: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر، محمد علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989.
- 105- التميمي، عبد الجليل: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي تونس، الجزائر، ليبيا، 1816-1871، الدار التونسية للنشر، ط1، تونس، 1972.
- 106- الجابري، محمد صالح: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر. والدار العربية للكتاب، تونس، 1983.
- 107- الجابري، محمد عابد: التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991.

- 108- الجابري، محمد عابد: التعليم في المغرب العربي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1989 .
- 109- الجابري، محمد عابد: الخطاب العربي المعاصر: ط5، مركز دراسات الوحدة العربي، بيروت ، 1994.
- 110- الحميري، عبد الواسع: ما الخطاب وكيف نطله، مؤسسة مجد (الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع)، بيروت، 2009.
- 111- الخالدي، سهيل: دور الجزائريين في حركة التحرر العربي في المشرق 1847-1948م، دار هومه، الجزائر، 2013.
- 112- الخطيب، أحمد: حزب الشعب الجزائري جذوره التاريخية والوطنية، ونشاطه السياسي والاجتماعي، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- 113- الزبيري، محمد العربي: المنقوفون الجزائريون والثورة، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والاشهار، الجزائر، 1995.
- 114- الزبيري، محمد العربي: تاريخ الجزائر المعاصر، ج1 ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 1999.
- 115- الزنيدى، عبد الرحمان بن زيد: المنقف العربي بين العصرية والإسلامية، ط1، كنوز اشبيليا، الرياض، 2009.
- 116- السرجاني، راغب: الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين زنكي، مؤسسة إقرأ، ط2، القاهرة 2009.
- 117- السماك، محمد: الصهيونية العالمية، دار النفائس، بيروت، 1993 .
- 118- الشاهر، شاهر إسماعيل: دراسات في الدولة والسلطة والمواطنة، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ط1، برلين ألمانيا، 2017.
- 119- الشماس، عيسى: مدخل إلى علم الإنسان (الانثروبولوجيا)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2004.
- 120- العربي، إسماعيل: الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال، الطباعة الشعبية للجيش، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
- 121- العكش، منير: أمريكا والإبادة الثقافية، لجنة كنعان الانكليزية، ط1، رياض الريس للكتب، بيروت، 2009.
- 122- العكش، منير: حق التصحية بالآخر، امريكا والإبادة الجماعية، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2002.

- 123- العلواني، طه جابر وآخرون: بناء المفاهيم: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2008.
- 124- العلوي، محمد الطيب: مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954م، ط1، دار البعث، قسنطينة، 2000.
- 125- العلوي، محمد الطيب: مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954م، ط3، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الرويبة، الجزائر، 2000.
- 126- النورج، حمدي: تحليل الخطاب السياسي في ضوء نظرية الاتصال، محمد شاكر أنموذجا، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2014.
- 127- الهرماسي، محمد عبد الباقي: المجتمع والدولة في المغرب العربي، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999.
- 128- الهشماوي، مصطفى: جذور نوفمبر في الجزائر، المركز الوطني للبحث والدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، دار هومه للنشر، الجزائر، 2010.
- 129- الهواري، عدي: الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي 1830، 1962، تر: جوزيف عبد الله، ط1، دار الحدائق للنشر والتوزيع، بيروت، 1983.
- 130- بريفيلي، غي: النخب الجزائرية الفرنكفونية. 1880-1962، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007.
- 131- بريفيلي، غي: الجزائريون في الطلبة الجامعات الفرنسية 1880-1962م، ترجمة، م.حاج مسعود، أبكلي، ع. بلعربي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007.
- 132- بغورة، الزواوي: الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس، دار القصة للنشر، الجزائر، 2002.
- 133- بغورة، الزواوي: الخطاب بحث في بنيته وعلاقاته عند ميشيل فوكو: دراسة ومعجم، ط1، ناشرون، بيروت، 2015.
- 134- بغوره، الزواوي: الهوية والتاريخ، ط1، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.
- 135- بلاح، بشير: تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006.
- 136- بلاح، بشير: التدافعات الثقافية في الأسطوغرافيا الجزائرية 1962-1998 جذورها والعوامل المؤثرة فيها، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2017.
- 137- بلاح، بشير: مواقف الحركة الإصلاحية الجزائرية من الثقافة الفرنسية 1925-1940، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.

- 138- بلاوت، جي. إم . : نموذج المستعمر للعالم، الانتشار الجغرافي وتاريخ المركزية الأوروبية، تر: هبة الشايب، مراجعة: فيصل يونس، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010.
- 139- بلغيث، محمد الأمين: تاريخ الجزائر المعاصر، دراسات ووثائق، ط1، دار البلاغ للنشر والتوزيع، الجزائر، 2001.
- 140- بلقاسم، محمد: وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910-1954م، ط1، دار البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- 141- بلقزيز، وآخرون عبد الله: المعرفي والإيديولوجي في الفكر العربي المعاصر، ط1، ندوة مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010.
- 142- بلوفة، عبد القادر جيلالي، حركة انتصار الحريات الديمقراطية في عمالة وهران 1939 - 1954، الامعية للنشر والتوزيع قسنطينة الجزائر، 2011.
- 143- بن قينة، عمر: الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999.
- 144- بنور، فريد: المخططات الفرنسية تجاه الجزائر 1782-1830م، مؤسسة كوسكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
- 145- بوحوش، عمار: التاريخ السياسي للجزائريين البداية إلى غاية 1962م، ط1، دار الغرب، بيروت، 1997.
- 146- بوزاهر، حسين: العدالة القمعية في الجزائر 1830-1962، تر: بوجلة عبد المجيد، دار هومة، الجزائر، 2011.
- 147- بوضرية، عمر: تطور النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية 1954-1960م ، دار الإرشاد، 2013.
- 148- بوضرساية، بوعزة وآخرون: الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية خلال القرن 19، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1954، الجزائر، 2007.
- 149- بوطيبي، محمد: دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية 1900-1930، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2009.
- 150- بوعزيز، يحي: علاقات الجزائر الخارجية مع ممالك أوروبا 1500-1830م، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- 151- بوعزيز، يحي: الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الدار العربية للكتاب تونس. والشركة و. ن والتوزيع، الجزائر، 1983.

- 152- بوعزيز، يحي: **الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاث وثائق جزائرية** (القسم الثاني)، من كتاب الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- 153- بوعزيز، يحي: **السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب** (القسم 2 من كتاب سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830 إلى 1954)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009.
- 154- بوعزيز، يحي: **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830 إلى 1954**، دار البصائر للنشر والتوزيع الجزائر، 2009.
- 155- بوعزيز، يحي: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- 156- بوقصة، كمال: **مصادر الوطنية الجزائرية إلى منابع الوطنية الجزائرية الشعبية**، تر: ميشيل سطوف، دار القصبة، الجزائر، 2005.
- 157- بونو، إيف: **مجازر استعمارية**، تر: العيد دوان، لا ديكو فيرت، باريس، 2013.
- 158- بيان، بيار: **سطو على مدينة الجزائر**، تحقيق في عملية نهب 1830، دار الشهاب، الجزائر، 2013.
- 159- ثيو، نور الدين: **إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية**، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2015.
- 160- جغلول، عبد القادر: **الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر**، تر، سليم قسطون، دار الحداثة بيروت لبنان: 1984.
- 161- جغلول، عبد القادر: **علم الاجتماع التاريخي والثقافي المتعلق بالحركة الوطنية والثورة**، ج2، ذاكرة الناس، الجزائر، 2013.
- 162- جينز، أنتوني: **مقدمة نقدية في علم الاجتماع**، تر: أحمد زايد وآخرون، ط2، مطبعة العمرانية، الجيزة، مصر، 2006.
- 163- حاجي، فريد: **السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر 1837-1937**، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة، الجزائر 2013.
- 164- حارش، محمد الهادي: **دراسات في تاريخ الجزائر الماضي والحاضر**، دار هومة، الجزائر، 2013.
- 165- حرفي، سوزان: **الهوية والحركة الإسلامية**، حوارات مع عبد الوهاب المسيري، دار الفكر، دمشق، 2009.

- 166- حسين، نورة: **المثقفون الجزائريون بين الأسطورة والتحول العسير**، تق: محفوظ قداش، دحلب، الجزائر، 2013.
- 167- حميطوش، يوسف: **منابع الثقافة السياسية والخطاب الوطني عند كل من مصالي الحاج وفرحات عباس**، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2013.
- 168- حنفي، حسن: **التراث والتجديد. موقفنا من التراث القديم**، ط4، المؤسسة الجامعية للنشرو.ت، بيروت 1992.
- 169- خياطي، مصطفى: **الأوبئة والمجاعات في الجزائر**، ترجمة حضرية يوسف، منشورات ANEP الجزائر، 2013.
- 170- خياطي، مصطفى: **الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية**، منشورات ANEP، الجزائر، 2013.
- 171- خيثر، عبد النور وآخرون: **منطلقات وأسس الحركة الوطنية 1830-1954م**، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007.
- 172- دولينا، نينل السكندرنا: **الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها في ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر**، تر: أنور محمد إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002.
- 173- دوني، سباستيان: **السينما وحرب الجزائر دعاية على الشاشة 1845-1962**، تر: يوسف بعلوج وهاجر قديري، دار سيديا الجزائر، 2013.
- 174- ديورانت، وول وايرل: **قصة الحضارة**، تر: زكي نجيب محمود، مج1، دار الجيل، بيروت، 1988.
- 175- رابح، تركي: **التعليم القومي والشخصية الوطنية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1975.
- 176- زوزو، عبد الحميد: **الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين 1914-1939م**، نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013.
- 177- زوزو، عبد الحميد: **الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين - الحركة المصالية**، دار هومة الجزائر، 2013.
- 178- زوزو، عبد الحميد: **المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية**، مؤسسات وموثيق، دار هومة، الجزائر، 2009.

- 179- زوزو، عبد الحميد: **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 2009.
- 180- سارتر، جون بول : **عارنا في الجزائر**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، دون سنة نشر.
- 181- سطورا، بن يمين: **مصالي الحاج رائد الحركة الوطنية (1889-1974م)**، تر: الصادق عمار ومصطفى مادي، دار القصبية، الجزائر، 1999 .
- 182- سعد الله، أبو القاسم: **الحركة الوطنية الجزائرية: الأجزاء : ج1،- ج 2- ج 3 ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.**
- 191- سعد الله، أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي: الأجزاء: (3-4-5-6-7-8-9) ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 .**
- 183- سعد الله، أبو القاسم، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ط3، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.**
- 184- سعد الله، أبو القاسم: **دراسات في الأدب الجزائري الحديث، الدار التونسية للنشر، 1985 .**
- 198- سعيدوني، نصر الدين: **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009 .**
- 199- سعيدي، مزيان: **النشاط التنصيري للكاردينال لافيغيري وأساليب المواجهة الجزائرية 1867-1892**، ط1، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- 200- سعيدو، أحمد: **العمل الدبلوماسي لجبهة التحرير الوطني 1954-1958م**، دار الشروق، الجزائر، 2008.
- 201- سلدن، رمان: **النظرية الأدبية المعاصرة**، تر: جابر عصفور، دار قباء للنشر والتوزيع ، القاهرة، 1998 .
- 202- سماتي، محفوظ: **الشبان الجزائريون- الجزائر الفتاة مراسلات وتقارير**، تر: محمد المعراجي وعمر المعراجي، 1837- 1918، منشورات دار ثالة، الجزائر، 2013.
- 203- سيف الإسلام، الزبير: **تاريخ الصحافة في الجزائر، ج3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.**
- 204- شرف، عبد العزيز: **المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991.**
- 205- شريط، عبد الله: **الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية، ج2، وزارة المجاهدين، 1995**
- 206- صاري، أحمد : **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر**، تق: أبو القاسم سعد الله ، المطبعة العربية ، غرداية، الجزائر، 2004.

- 207- صاري، جيلالي وآخرون: هجرة الجزائريين نحو أوروبا، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، طبعة خاصة، الجزائر، 2007.
- 208- صاري، جيلالي وقداش، محفوظ: المقاومة السياسية 1900-1954 الطريق الثوري والطريق الإصلاح، تر: عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.
- 209- صاري، جيلالي: تجريد الفلاحين من أراضيهم 1830-1962 الجزائر، منشورات المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2010.
- 210- صاري، جيلالي، و قداش، محفوظ : الجزائر صمود ومقاومات، تر: أوداينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، 2012.
- 211- عبد الرحمان، طه: تجديد المنهج في تقويم التراث ، ط4 ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2012.
- 212- عبد الرحمان، طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 2000.
- 213- عشراتي، سليمان: الشخصية الجزائرية والأرضية التاريخية والمحددات الحضارية: ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2009.
- 214- علمي، سعيد: الاستعمار والعمران، تق ،عبد الجليل التميمي، تر: نسرين الولي ومحمد رضا بوخالفة، دار الكتاب الجزائر، 2013 .
- 215- علي عيسى محمد: الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الاثرية والأنثروبولوجية واللغوية ، ط2، دار الكتب الوطنية بنغازي، ليبيا، 2009.
- 216- علي، سعيد إسماعيل: الهوية والتعليم، ط1، دار الكتب، القاهرة، 2005.
- 217- عميراي، احميدة: تاريخ الجزائر الحديث، ط2، دار الهدى، الجزائر، 2004.
- 218- عميراي، احميدة: دور حمدان بن عثمان خوجة في تطور القضية الجزائرية 1827-1840، ط1، دار البعث، قسنطينة. 1987.
- 219- غرانميزون، أوليفي لوكور: الاستعمار الإبادة، تأملات في الحرب والدولة الاستعمارية، تر: نورة بوزيدة، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2008.
- 220- غوتبيه، أ. ف: ماضي شمال إفريقيا، تر، هاشم الحسيني، مؤسسة توالث الثقافية، ليبيا 2010.
- 221- فيلاللي، عبد السلام: الجزائر الدولة والمجتمع، دار الوسام العربي، ط1، عنابة، 2013.
- 222- قاسم، قاسم عبده: تطور منهج البحث في الدراسات التاريخية، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000، مصر.

- 223- قنان، جمال: **التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار 1830-1944**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر، الجزائر، 2007.
- 224- قنان، جمال: **دراسات في المقاومة والاستعمار**، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، روية، الجزائر، 1996.
- 225- قنان، جمال: **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994.
- 226- قنان، جمال: **نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
- 227- قنان، جمال: **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830**، ط2، دارهومة، الجزائر، 2007.
- 228- قنان، جمال: **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر**، المؤسسة الوطنية للطباعة الجزائر، 1987.
- 229- كريزويل، إديث: **عصر البنيوية**، تر: جابر عصفور، ط1، دار سعاد الصباح، الكويت، 1993.
- 230- كواترت، دونالد: **الدولة العثمانية 1700-1922**، تر، أيمن الأرمنازي، ط1، العبيكان، السعودية، 2004.
- 231- الكوخي، محمد: **سؤال الهوية في شمال إفريقيا، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب**، 2014.
- 232- كوران، أرجمنت: **السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر**، تر، عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، 1970.
- 233- كوش، دنيس: **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، تر: منير السعيد، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007.
- 234- لكليرك، جبرار: **الأنثروبولوجيا والاستعمار**، تر: جورج كتورة، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1990.
- 235- مالكي، امحمد: **الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي**، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994.
- 236- مجموعة من المؤلفين: **الهوية واللغة في العالم العربي**، إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ط1، الدوحة، قطر، 2011.
- 237- مراد، يحي: **ردود على شبهات المستشرقين**، الناشر الإلكتروني، دار النشر العربية.
- 238- مرتاض، عبد المالك: **القصة الجزائرية المعاصرة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.

- 239- مرتاض، عبد الملك: **أدب المقاومة في الجزائر**، الجزء الأول، والجزء الثاني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2009.
- 240- مرتاض، عبد الملك: **نهضة الأدب المعاصر في الجزائر 1954-1925**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1983 .
- 241- مسعودي، أحمد: **الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف الدولية منها 1792-1830**، دار الخليل العلمية، الجلفة. الجزائر، 2013.
- 242- مسلم، محمد: **الهوية والعولمة**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2002 .
- 243- مقلاتي، عبد الله: **المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1954**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014 .
- 244- مناصرية، يوسف: **آراء ومواقف من تاريخ الجزائر المعاصرة**، دار هومة، الجزائر، 2013.
- 245- مناصرية، يوسف: **الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية بين الحربين، 1919-1939**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
- 246- مناصرية، يوسف: **دراسات وأبحاث في تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية: 1830 - 1962**، دار هومة الجزائر: 2013 .
- 247- منور، أحمد: **أزمة الهوية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية**، دراسة أدبية، دار الساحل، الرغاية. الجزائر، 2013.
- 248- ميكشيللي، إيكسي: **الهوية**، تر: علي وطفة، ط1، دار الوسيم لخدمات الطباعة، دمشق، 1992.
- 249- ناصر، محمد: **الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006.
- 250- نايت بلقاسم، مولود قاسم: **أصالية أم انفصالية**، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991.
- 251- نايت بلقاسم، مولود قاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830**، ج1، دار الأمة، الجزائر، 2007.
- 252- نايت بلقاسم، مولود قاسم: **شخصية الجزائر وهيبتها العالمية قبل 1830م**، ج2، دار الأمة للنشر والتوزيع، 2013.
- 253- نجار، عمار: **مصالي الحاج الزعيم المفترى عليه**، دار الحكمة، الجزائر، 2009 ..
- 254- نوشي، برنيان أندري، لاكوست إيف: **الجزائر بين الماضي والحاضر**، تر: اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
- 255- نويهض، عادل: **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض، بيروت، 1980.

- 256- هلال، عمار: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830 - 1962)، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2016 .
- 257- هلايلي، حنيفي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
- 258- وعلي، محمد الطاهر: التعليم التبشيري في الجزائر، 1830-1904، دحلب، الجزائر، 1997.
- 259- ياغي، إسماعيل أحمد: العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، ط1، م ع السعودية، 1997.
- 260- يحيوي، مرابط مسعودة: المجتمع المسلم والجماعات الأوروبية في جزائر القرن العشرين، حقائق وإيديولوجيات وأساطير ونمطيات، تر: محمد المعراجي، مج1، دار هومة، الجزائر، 2010.
- 261- سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي النص والسياق، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2001،
- 262- يلماز أزوتونا: تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سليمان، ج2، ط1، مؤسسة فيصل للتمويل، إستانبول، 1988.

6-المراجع الأجنبية

- 263- Ageron (Ch.R): Les Algériens musulmans et la France (1871-1919), T1, 1re Edition, P.U.F, 1986.
- 264- -Ageron(ch.R): **histoire de L'Algérie contemporaine (1871-1954) de l'insurrection de 1871 au déclenchement de la guerre de libération 1954**, T2, P.U.F, 1979 .
- 265- Becherirat; (Ali): les droits de l'homm,. En Algérie de 1830 a 196 , Casbah éditions , Algérie; 2012 .
- 266- Carret (Jacques) , **l'association des oulemas d'algerie**, préfacier; alem elfikr , Alger , 2008.
- 267- -Collot (Claude): **Les institutions de l'Algérie durant la période coloniale 1830-1962**, edition C.N.R.S , O.P.U, Alger ,1987.
- 268- Colonna (Fanny) : **instituteurs algériens** ، 1883-1939 ، presses de sciences po ، paris ، 1975
- 269- guignard (Didier-:، l'abus de pouvoir en algérie coloniale 1880-1914 visibilité et singularité ، presses universitaires de paris ,nanterre, france، 2010.
- 270- Benkelfat - Djanina Messali- : **Une vie partagée avec Messali Hadj mon père Broché** , Les éditions Riveneuve, Paris, France ,2013
- 271- Monneret (Jean): **La guerre d'Algérie en trente-cinq questions**, Editions L'Harmattan, Paris ,2008.

- 272- Genty (Jean-René): **L'immigration Algérienne dans le nord pas de calais 1909-1962**, editions l'harmattan ,paris, 1999.
- 273- Francis (Jeanson) :**Notre guerre**,ministère de la Culture, Algerie, 2008.
- 274- Kadache (mahfoud): djillali(Sari) , **l'algérie pérennité et résistances (1830-1962)**, office des publications universitaire, 2009.
- 275- - Matthew Connelly, **a diplomatic revolution: Algeria's fight for independence and the origins of the post-cold war era**. New York: Oxford university press, 2002
- 277- meynier, (Gilbert) : **L'Algérie et la France**, deux siècles d'histoire croisée , Edition l'harmattan, France ,2017.
- 278- Miquel (Pierre):**La guerre d'Algerie**, basamat edition , Algérie.2013
- 279- Thénault, (Sylvie):**Violence ordinaire dans l'algérie coloniale**, Éditions Odile Jacob ,France, 2012

7-المعاجم القواميس والموسوعات

- 280- **المعجم الوسيط**: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: ط 4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004.
- 281- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد: **الفصل في الملل والنحل**: ج2، الناشر محمد علي صبيح، تصوير مكتبة السلام العالمية، 1348هـ.
- 282- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري: **لسان العرب**، المجلد 1، والمجلد 15، ط 3، دار صادر، بيروت، 1414 هـ.
- 283- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري: **لسان العرب**، والمجلد 2، والمجلد 15، ط 3، دار صادر، بيروت، 1414 هـ.
- 284- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري: **لسان العرب**، والمجلد 15، ط 3، دار صادر، بيروت، 1414 هـ.
- 285- الجرجاني، الشريف علي بن محمد : **كتاب التعريفات**، دار الكتب العلمية بيروت، 1988.
- 286- حجاب، محمد منير: **الموسوعة الاعلامية**، مج 7، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003.
- 287- حسين، محمد نصار وآخرون: **الموسوعة العربية الميسرة**، مج3، ط 3، المكتبة العصرية صيدا-بيروت، 2009.
- 288- صليبا، جميل: **المعجم الفلسفي**، ج2، مادة هُوية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1994.
- 289- ناصر، سيد أحمد، مصطفى محمد، محمد درويش، أيمن عبد الله : **المعجم الوسيط**، ط 1، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2008 .
- 290- سعيقان، أحمد: **قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية**، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2004.

8- الملتقيات

- 291- سعد الله، أبو القاسم: مقال بعنوان، لوحة عن نظام التعليم بالجزائر في العهد العثماني ، من أعمال الملتقى الوطني الأول حول التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال 1830-1962 المنعقد بعنابة 14-15-15 جوان 2009، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2011.
- 292- المتوكل، أحمد: نماذج وتساؤلات ومراجعات للسانيات الخطاب، (أعمال المؤتمر الدولي الأول، لسانيات النص وتحليل الخطاب، أغادير، المغرب)، مج1، ط1، كنوز المعرفة، عمان الأردن. 2013.
- 293- ابن النعمان، أحمد، العلاقة العضوية بين الثقافة والهوية، أعمال الملتقى الوطني حول دور العلوم الإسلامية في إرساء الهوية ومواجهة التحديات المعاصرة ، جامعة الأغواط. ماي 2010 .
- 294- الميساوي، خليفة: لسانيات النص والخطاب ومساراتها، (أعمال المؤتمر الدولي الأول، لسانيات النص وتحليل الخطاب، أغادير، المغرب)، مج1، ط1، كنوز المعرفة، عمان الأردن، 2013،
- 295- أرزقي، فراد محمد: التعليم الفرنسي ببلاد زواوة أثناء فترة الاحتلال، أعمال الملتقى الوطني الأول حول التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال 1830-1962 المنعقد بعنابة 14-15-15 جوان 2009، منشورات المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر 2011.
- 296- وقائع المؤتمر الدولي، الدولة الجزائرية بين الأمير عبد القادر واحمد باي ، منشورات جامعة منتوري قسنطينة 2002.

9- المقالات بالعربية

- 297- الديالمي، عبد الصمد: «الهوية والدين»، مجلة آفاق، اتحاد كتاب المغرب، المغرب، العدد 74، 2007.
- 298- العكلي. علي مجيد. والظاهري. لمى علي: حماية علم الدولة في التشريع العراقي، مجلة آفاق للأبحاث السياسية والقانونية، المجلد الثالث، العدد 5، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة عمار تليجي، الأغواط، الجزائر، جوان 2020.
- 299- أوراعي، أحمد: «الأنثروبولوجيا والاستعمار، قراءة في صورة الجزائرية في المؤلفات الأنثروبولوجية الاستعمارية»، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج 4، ع 2، ديسمبر 2013، جامعة سيدي بلعباس.
- 300- بلعيد، رابح: «حركة انتصار الحريات الديمقراطية»، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة، ع5، 1996.
- 301- بوغفالة، ودان : «النفاش الفكري للنخبة المغاربية خلال القرن 19م ودوره في تأسيس الوعي التحرري للحركة الوطنية، موقف الإسطوغرافيا المحلية من حضور الآخر وثقافته، مشاركة الأجيال والحركات الوطنية، القرن العشرين في المغرب العربي»، Les ouvrages du CRASC 2012

- 302- بن نعماني، سيد أحمد: «الأرشيف العثماني المحفوظ في الجزائر وثيقة عهد أمان الجزائر 1748. أنموذجا»- مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، مج 10، ع1، جامعة الجزائر1 بن يوسف بن خدة الجزائر 09-2018.
- 303- خيدون، محمد: الهجرة وإشكاليات الهوية في العالم المعاصر، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 63، مركز جيل للبحث العلمي، لبنان، أبريل، 2020.
- 304- دخالة، مسعود: «الدبلوماسية الجزائرية من خلال التيار الوطني الاستقلالي، 1919-1954»، مجلة العلوم الإنسانية، مج27، ع4، تصدر عن جامعة قسنطينة1.
- 305- سباعي، سيدي عبد القادر: «قانون الأنديجينا الوجه الآخر لقانون السود»، مجلة محكمة، جامعة بشار، مج 5، ع 2، ديسمبر 2016.
- 306- شوبوب، محمد: الاحتلال الفرنسي للجزائر ومسألة استنزاف طاقتها، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مجلد 13 عدد 01، جوان 2018.
- 307- لمباركية، صالح: «المسرح والحركات الثقافية في الجزائر مع بداية القرن العشرين»، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة سطيف 2، مج2، ع2، 2005.
- 308- لونيبي، رابح: «منهج التعامل مع الشهادات والمذكرات عند كتابة تاريخ الثورة الجزائرية: بن خدة- أنموذجا»، مجلة عصور الصادرة عن جامعة وهران 1 احمد بن بلة عدد 6-7جوان- ديسمبر 2005م.
- 309- سعيدوني، نصر الدين: «الخبزينة الجزائرية»، المجلة التاريخية المغربية العدد3، 1975.
- 310- دويده، نفيسة، «قضايا الجزائر من خلال جريدة" الإقدام 1923-1919م»، مجلة الحقيقة، مج 16، ع 40، جامعة أحمد دراية. أدرار، مارس 2017.
- 311- سعدي، خير الدين: «قراءة في المهمة السرية للأميرلاي "كامل باي إلى قسنطينة 1836»، مجلة عصور الجديدة، المجلد 11 العدد2، جامعة وهران1- أحمد بن بلة. 2021.
- 312- عكاش، عبد السلام: «تفسير الصحافة الشيوعية وصحافة الحركة الوطنية لدور المجاعة ضمن أسباب انتفاضة 08 ماي 1945» مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 12، العدد 2 -جامعة سطيف2، - 21 ديسمبر 2015.
- 313- قنانش، محمد: الإيديولوجية الثورية في الحركة الوطنية، مجلة الأصالة- تصدرها وزارة التعليم الاصيلي والشؤون الدينية، العدد 11 نوفمبر، ديسمبر 1972.
- 314- غانم، محمد الصغير: «النقوش الليبية في شمال إفريقيا، المصطلح والرموز الكتابية»، مجلة المورد، مجلة محكمة تصدر عن وزارة الثقافة والاعلام العراقية، العدد 19 المجلد الثاني، 1990.
- 315- يعيش، حرم خزار وسيلة: «الممارسة السوسيولوجية في الجزائر»، مجلة الباحث الاجتماعي عدد10 سبتمبر 2010، المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة.

10-المقالات باللغة الأجنبية

- 316- Fromage; Julien Fromage: « La Fédération des élus musulmans du département de Constantine à l'Est se lève la notabilité (1930-1943) ? », colloque Pour une histoire critique et citoyenne. Le cas de l'histoire franco-algérienne, 20-22 juin 2006, Lyon, ENS LSH, 2007,
- 317- Benkada, Saddek :«El Misbah Premier Journal Jeune-algérien» (orantlemcen, 1904-1905)Revue **Insaniyat** V 21, N 78, 191
- 318- Simon, Jacques: Le MTLD (le mouvement pour le triomphe des libertés démocratiques) (1947-1954) algérie ,**collection : CREAC-histoire** , editions l'harmattan, Paris, 2003
- 319- Hildebert, Isnard, : «Aux origines du nationalisme algérien» , **Revue Annales** -. 4^e année, N. 4, 194.
- 320- Ageron, Charles-Robert: «L'Association des étudiants musulmans nord-africains en France durant l'entre-deux-guerres». «Contribution à l'étude des nationalismes maghrébins, **Revue française d'histoire d'outre-mer**, le nombre; 1983.
- 321- Ageron, Charles-Robert: «Les migrations de musulmans algériens et l'exode de Tlemcen (1830-1911) »**Annales** / 22 année, N 5 ,1967.
- 322- Meynier, Gilbert : «l'algérie et les algériens sous le système colonial». approche historico historiographique: **insaniyat** n^os 65-66, juillet - décembre 2014.

11-الرسائل الجامعية

- 323- بوعرعور، شفيقة: تسيير واستغلال التراث الأثري الجزائري في ظل حكم الإدارة العسكرية الفرنسية 1830-1860، رسالة دكتوراه، قسم علم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2022.
- 324- عبد القادر جيلالي بلوفة: حركة انتصار الحريات الديمقراطية في عمالة وهران الخروج من النفق من اكتشاف المنظمة الخاصة إلى اندلاع الثورة التحريرية1950-1954، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بن القايد، تلمسان، 2008، ص، ص 222، 223.
- 325- حاجي، نعيمة: النظام القضائي لأراضي العرش في الجزائر، بين الاجتهاد القضائي، والممارسة الميدانية، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2015.

- 326- رشيد، حفيان: الكوارث الطبيعية وآثارها في الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2021.
- 327- عمري، الطاهر: النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع 1900-1940، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2004.
- 328- قشاشني، علي: التوجه المعادي للعروبة والإسلام في السياسة الفرنسية بالجزائر 1871-1954، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2021.
- 329- معوشي، أمال: الجمعيات والتنظيمات اليهودية الجزائر، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2021.
- 330- بن داود، أحمد: دور المسرح الجزائري في المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي 1926-1954، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2009.
- 331- كمال، خليل: المدارس الشرعية الثلاث رسالة ماجستير-جامعة منتوري، قسنطينة 2008.

12-الجرائد الحديثة

- 332- ثنيو، نور الدين: لغتي هويتي، صحيفة القدس العربي بلندن، الخميس، 2 يوليو. 2020.
- 333- فراد، محمد أرزقي: شارل روبير أجيرون، مؤرخ تحدى الإيديولوجية الاستعمارية، الحلقة الثانية جريدة الشروق اليومي الجزائرية 2008/10/2.
- 334- عبد الله حمادي: «..الكورنيل بن داود» جريدة النصر بتاريخ، 09 آذار/مارس 2015.
- 335- Ruscio Alain : «Messali Hadj, père oublié du nationalisme algérien», monde- diplomatique, Juin 2012.

13مواقع الانترنت

- 336- fr.wikipedia.org France
- 337- https://gallica.bnf.fr/ark

جدول المحتويات

جدول المحتويات

	الإهداء
	رسالة شكر وعرفان
	المختصرات
6	مقدمة
21	الفصل التمهيدي: قراءة في المفاهيم العامة للهوية
22	تمهيد الفصل
24	المبحث الأول: مفاهيم
24	1-الهوية لغة واصطلاحا
26	2-الخطاب
27	3-النص
28	4-أسس إبراز الهوية وأقسامها
29	5-الهوية والمجال الاجتماعي والثقافي
32	المبحث الثاني: الاستعمار وتبريرات التوسع والبقاء
32	1-الاستعمار الاستيطاني ذرائع وتحاليل
34	2-الاستعمار وتراث المنطقة
37	3-الاستعمار ومعركة المفاهيم والمصطلحات
40	4-العلاقة القديمة بين شمال إفريقيا والمشرق العربي
42	5-الجزائر في العصر الحديث
45	المبحث الثالث: مشروع التوسع الفرنسي الجذور والتنفيذ
45	1-الاهتمام الفرنسي بشمال إفريقيا
47	2-الدبلوماسية العثمانية والمسألة الجزائرية
48	3-الجزائر غداة دخول الاستعمار الفرنسي
50	4-رموز وطنية تولت الدفاع عن هوية الجزائر في مواجهة المشروع الاستعماري
53	المبحث الرابع: الاستعمار واستهداف مقومات الحياة للجزائريين
53	1-الاستعمار وإفراغ الجزائر من نخيها
55	2-استغلال التناقضات لتثبيت الاستعمار
56	3-رغبة المعمرين في استنساخ تجربة إبادة الهنود الحمر في الجزائر
58	4-النتائج المباشرة لوقوع الجزائر في قبضة الاستعمار الفرنسي
61	5-استهداف أسس التماسك والمقاومة: الأرض، والقبيلة

66	المبحث الخامس: الاستعمار وسياسة التمييز في الجزائر.....
66.....	1-الاستعمار وتقنين ثقافة التمييز الطائفي
68.....	2-التمييز في الضرائب
70.....	3-للأعدالة في التمثيل في المجالس
72	المبحث السادس: الاستعمار وسياسة طمس الهوية في الجزائر.....
72.....	1-حرب الإدارة الفرنسية على المؤسسات الثقافية الإسلامية
75.....	2-الاستعمار وتغيير هوية الفضاءات
77.....	3-الاستعمار وحدود وأهداف الفعل الثقافي في الجزائر
79.....	4-نشاط أذرع الاستعمار الثقافية في الجزائر
81.....	5-الاستعمار ومسألة التعليم في الجزائر
87	خلاصة الفصل.....
90	الفصل الأول: النيار الثوري في الجزائر الظروف والتأسيس
91	تمهيد الفصل.....
93	المبحث الأول: نضال من أجل الهوية والمواطنة.....
93.....	1-الجزائريون وسجية الرفض والمقاومة للاستعمار
96.....	2-بدايات ارتياد الفعل العام
99.....	3-حاجة العمل الوطني للإعلام كسلاح للدفاع عن الهوية
103.....	4-زخم قانون التجنيد الإجباري
107	المبحث الثاني: دور الهوية في تشكل الوعي، الأدوات والمجالات.....
107.....	1-دور التواصل مع العمق العربي الإسلامي
109.....	2-الاستعمار والعمل على التحكم في تأطير المجتمع ثقافيا
113.....	3-خطوات النهضة الثقافية الأولى
117.....	4-خطاب الهوية من خلال الألوان الأدبية
125	المبحث الثالث: الدور الوطني للهجرة والمهاجرين الجزائريين.....
125.....	1-ظاهرة الهجرة بعد الغزو الفرنسي
128.....	2- الدور الاقتصادي للهجرة
132.....	3-الجزائريون في المهجر من المقاومة الرمزية إلى محاكاة العمل السياسي
135.....	4-اليقظة المبكرة للمهاجرين الجزائريين

138	المبحث الرابع: دور الأمير خالد
138	1-مرحلة خالد لحظة مفصلية بين مرحلتين
139	2-نشاطات الأمير خالد
143	3-نشاط الأمير خالد وأثره على الوسط العمالي في المهجر
146	4-حول علاقة الأمير خالد بفكرة تأسيس النجم
149	المبحث الخامس: ميلاد التيار الثوري في الجزائر بالمهجر
149	1-الوطنية الكامنة والحاجة لواجهة سياسية
151	2-ميلاد التيار الاستقلالي الثوري باسم «نجم شمال إفريقيا» 1926
154	3-شخصية مصالي الحاج
158	4- النجم في مرحلته الأولى
160	خلاصة الفصل
163	الفصل الثاني: التمثلات الهوياتية في انطلاقة التيار الثوري
164	تمهيد الفصل
166	المبحث الأول: دور الهوية في صنع التيار الثوري وظهوره
166	1-عوامل تقبل الجماهير للنجم
169	2-المعلم الأول في نشاطات النجم . مؤتمر بروكسل 10-15 فيفري 1927
172	3-«الاستقلال» الشعار- المطلب، الذي اختزل كل تعبيرات الهوية
174	4-دور الهوية في انفصال النجم عن هيمنة الحزب الشيوعي
176	المبحث الثاني: نشاط التيار الثوري في أرض الوطن
176	1-ستثمار الاصطفاف الهوياتي في الجزائر
178	2-بناء الذات والتشديد على ملامح مستقلة
181	3-الوضع في الجزائر قبيل نقل نشاط النجم للجزائر
184	4-النجم في أرض الوطن
187	المبحث الثالث: الهوية من خلال إعلام وشعارات «النجم»
187	1-صحافة نجم شمال إفريقيا
191	2-بطاقات الاشتراك وشعار الحزب، قدسية الانتماء و سحر الرموز
192	3-اعتماد «العلم الوطني» الخطوة الأولى في مشروع استعادة الدولة
197	4-التيار الثوري واعتماد النشيد الرسمي

198	المبحث الرابع: محطات النجم العلمية الأولى لتصرُّهُ الهُوية.....
198	1-مؤتمر بروكسل
199	2-التنديد باحتفالات فرنسا بالذكرى المئوية لاحتلال مدينة الجزائر.....
200	3-خطاب النجم إلى عصبة الأمم 1930 وتنديده بممارسات الاستعمار
201	4-وثيقة الجمعية العامة للنجم المنعقدة بباريس في ماي 1933 وعناصر الهُوية
202	5-موقف النجم إزاء أحداث قسنطينة 1934
203	المبحث الخامس: تطور مطالب وخطاب النجم
203	1-مطالب النجم سنة 1935-1936
204	2-حرص التيار الثوري على تطابق ايديولوجيته مع هُوية شعبه.....
206	3-بُعد الهُوية في خطاب النجم
208	4-تطور خطاب النجم
210	خلاصة الفصل.....
213	الفصل الثالث: التيار الثوري وخطاب الهُوية لمرحلة الثلاثينات
214	تمهيد الفصل
216	المبحث الأول: الحركة الوطنية وقضايا الهُوية.....
216	1-السياسة الاستعمارية في ظل تصاعد قوة الحركة الوطنية
220	2-مسألة الإدماج والتجنيس
223	3-الحركة الإصلاحية وقضايا الهُوية
226	4-فرحات عباس ودوره في إثراء الحياة السياسية
228	5-الحزب الشيوعي وموقفه من الهُوية
229	المبحث الثاني: محطات تاريخية جذرت التيار الثوري.....
229	1-مشروع بلوم- فيوليت Blum-Viollette والمواقف منه.....
231	2-تصريح فرحات 1936 عباس الأسباب والتداعيات
233	3-المؤتمر الإسلامي 1936 الظروف والنتائج
241	4-مقتطف من نداء من مصالي الحاج إلى الأمة الجزائرية 13 نوفمبر 1936
243	5-رسالة مصالي إلى الرئيس الفرنسي 1936

244	المبحث الثالث: مرحلة حزب الشعب
244	1- جهود الاستعمار لوأد التيار الثوري
246	2- تأسيس حزب الشعب الجزائري 11 مارس 1937
248	3- خطاب التيار الثوري وتكيفاته لمرحلة حزب الشعب
250	4- الهوية من خلال وشعارات وإعلام حزب الشعب
255	5- نشاطات مختلفة لحزب الشعب
260	المبحث الرابع: تجارب الإجماع على قاعدة الهوية
260	1- دور الدفاع عن الهوية في ريادة التيار الثوري للحركة الوطنية
263	2- أجنحة الحركة الوطنية الجزائرية تنافس وتقاطعات
265	3- تجارب الإجماع على قاعدة الهوية الوطني لفترة الثلاثينات
268	4- التيار الثوري كمحرك للوطنية ومدرسة للفتاء
271	خلاصة الفصل
274	الفصل الرابع: إرغاصات تحول خطاب الهوية إلى فعل ثوري
275	تمهيد الفصل
277	المبحث الأول: الجزائر وتداعيات الحرب العالمية الثانية
277	1- أوضاع الجزائريين نهاية الحرب العالمية الثانية
281	2- انعكاسات نزول الحلفاء على الوضع السياسي في الجزائر
283	3- مجازر 8 ماي 1945 في الجزائر وموقف التيار الثوري
286	4- إصلاحات فرنسا المتأخرة تضمن تفوق العنصر الأوروبي في الجزائر
289	5- عرقلة المعمرين للإصلاحات في الجزائر
292	المبحث الثاني: مرحلة حركة الانتصار MTLD
292	1- الأربعينات وبوادر التعبير الثوري
295	2- تأسيس الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية MTLD في الجزائر
297	3- تجربة مشاركة حركة الانتصار في الانتخابات
301	4- بعد الهوية في نشاط وإعلام حركة الانتصار

306	المبحث الثالث: الأزمة البربرية 1949
306.....	1-الاستعمار وسياسة فرق تسد
309.....	2-خيارات الاستعمار لضرب الوحدة بعد انتفاضة 1945
310.....	3-مقدمات ظهور الأزمة البربرية
312.....	4-قيادة الحزب والأزمة
313.....	5-دور أبناء زاوة في الحركة الوطنية والتيار الثوري
314	المبحث الرابع: حركة الانتصار وتجارب الوحدة
314.....	1-الهوية من عامل للإقصاء إلى عامل للتحرر
316.....	2-بيان 10 فيفري 1943 وإمكانات توحيد الصفوف
319.....	3-تجربة «حركة أحباب البيان والحرية»
321.....	4-تجربة تشكيل الجبهة الجزائرية من أجل للدفاع واحترام الحرية 1951
323	المبحث الخامس: الهوية كمبرر لحق تقرير المصير
323.....	1-الأهداف الاستراتيجية لمشاركة التيار الثوري في الانتخابات
324.....	2-مختارات من تدخلات نواب الحركة في البرلمان الفرنسي
326.....	3-تواصل التيار الثوري مع العالم العربي كعمق استراتيجي
328.....	4-جهود خارجية لحركة الانتصار للتذكير بالهوية التاريخية للدولة الجزائرية
332	المبحث السادس: الهوية في استعدادات بناء الدولة
333.....	1-ثيقة حركة الانتصار 1949«وثيقة الجزائر الحرة»
335.....	2-مطبوعات حزب الشعب بالقاهرة
338.....	3-وثائق المجلس المركزي للإعلام والوثائق التابع لحركة الانتصار عام 1951
344.....	4-توصيات المؤتمر الثاني لحركة انتصار الحريات الديمقراطية أبريل 1953
347.....	5-بيان أول نوفمبر 1954 والتأكيد على الهوية
349	خلاصة الفصل
352	خاتمة
362	الملاحق
392	الفهارس
405	البيبليوغرافيا
خطأ	جدول المحتويات الإشارة المرجعية غير معروفة.
435	ملخص الرسالة
.....	الواجهة الأخيرة بالإنجليزية.....

ملخص الرسالة

كان من الطبيعي أن تستحضر النزعة الوطنية التراث ومقومات الانتماء للعروبة والإسلام؛ لمجابهة مشروع التوسع الاستعماري الفرنسي في الجزائر، والذي حاول مصادرة كل شيء، لذلك كان للمقاومة الوطنية الجزائرية؛ طرقها لإبراز الهوية، وخياراتها لمواصلة الكفاح، وشملت خياراتها كل فعل مقاوم سواء كان مجابهة، أو عمل ثقافي، أو اجتماعي، أو خطاب، أو حتى أي فعل له دلالة رمزية ذات صلة بالهوية والمقاومة.

انطلاقاً من هذا؛ حاولنا أن تتمحور هذه الدراسة حول المادة الفكرية المتعلقة بالهوية التي توافرت من إنتاج النخبة المؤطرة للتيار الثوري؛ منذ تأسيسه سنة 1926، إلى غاية 1954، وكانت هذه المادة عُدّة وقوة للتيار الثوري؛ خاض بها معركته لنقد وتفكيك الوجود الاستعماري؛ بغية استرجاع السيادة الوطنية. إن قيمة الهدف الذي نريد الوصول إليه؛ تتبع من أهمية الموضوع المعالج، وبذلك فإن دراسة دور التيار الثوري في تفعيل عناصر الهوية؛ هو معرفة المرحلة الحاسمة في تاريخ الجزائر المعاصر؛ التي أعادت الجزائر إلى مكانها الطبيعي، وبهذا يكون لهذا الموضوع أهمية بالغة؛ بتناوله لموضوع الهوية في خطاب ونصوص التيار الثوري.

وبناء على ما سبق؛ خلصت نتائج الدراسة لتؤكد تمكن التيار الثوري من أن يفتك بجداره واستحقاق قيادة التيار الوطني، ويفرض نفسه تدريجياً على الساحة الوطنية؛ بأن خطه هو الطريق الوحيد والسليم الموصل للتحرر، بعد أن بنى استراتيجيته على عدم التساهل أو المساومة في حدود مبادئه العامة؛ التي وضعها لنفسه؛ وهما الهوية والاستقلال، فرفض رفضاً مطلقاً التجنيس، والإدماج، وإلحاق الجزائر بفرنسا، إضافة لذلك وتأسيساً لمطلب الاستقلال؛ أظهر سمات التمايز والرموز الوطنية؛ حين اتخذ العلم والنشيد والوطنيين، والشعارات ذات الدلالات الهوياتية.

إن دفاع التيار الثوري عن الهوية؛ لم يؤدي إلى احتكاره للقضية، فقد أقام الحجة؛ حين شارك في مشاريع وحدوية على قاعدة الهوية المشتركة مع التيارات الوطنية؛ رغم اختلاف الطروحات وتباينها، وكذا مع القوى المغاربية للتحرير، وأصبح التيار الثوري مدرسة تستعير منه تيارات الحركة الوطنية الأخرى مصطلحاتها ومفاهيمها النضالية، لذلك فإن الدور الفعال للتيار الثوري في استرجاع هوية الدولة الجزائرية، يغري الدارس لتتبع مسيرته ليكتشف إسهاماته في تنشيط الوعي، وجهوده التي قام بها لتطوير أشكال الدفاع عن الهوية؛ استعداداً لمعركة التحرير، وقد حاولت في هذا العمل إبراز ذلك، ويبقى مجال البحث في هذا الموضوع مفتوحاً للإثراء؛ عبر قضايا أخرى وإشكالات من زوايا مختلفة.

ملخص الرسالة بالفرنسية

Résumé de thèse

Le patriotisme invoque naturellement le patrimoine et les composants d'appartenance arabo-musulmane pour contrer le projet colonial français en Algérie, qui a tenté de confisquer le tout.

La résistance patriotique algérienne a donc ses méthodes pour projeter l'identité et ses choix pour poursuivre la lutte inclus toute activité de résistance, qu'elle soit un affrontement ou un travail culturelle, sociale, un discours ou tout acte ayant une connotation symbolique liée à l'identité et à la résistance.

À partir de cela nous avons donc essayé de centrer cette étude sur les éléments intellectuels relatifs à l'identité qui sont disponibles à partir de la production de l'élite Encadrant le courant révolutionnaire depuis sa fondation en 1926 jusqu'au 1954, Ces éléments étaient un outil et une force pour ce courant révolutionnaire dans sa lutte pour critiquer et démanteler l'existence coloniale afin de restaurer la souveraineté nationale.

La valeur de l'objectif que nous voulons atteindre découle de l'importance du sujet traité, donc l'étude du rôle du courant révolutionnaire dans la concrétisation des éléments identitaires est la connaissance de la phase cruciale de l'histoire contemporaine de l'Algérie, qui a ramené l'Algérie à sa place naturelle. Le sujet est donc d'une importance capitale en abordant le thème de l'identité dans le discours et les textes du courant révolutionnaire.

Sur la base de ce qui précède, les résultats de l'étude ont été conclus pour confirmer la puissance du mouvement révolutionnaire a pu contrôler à juste titre la direction du mouvement en tant que leader et s'affirmer progressivement sur la scène nationale comme Le seul et juste chemin vers la libération ayant fondé sa stratégie sur la non-tolérance ou le marchandage dans le cadre de ses principes généraux d'identité et d'indépendance, ainsi il a catégoriquement rejeté la naturalisation et l'intégration, de plus que la revendication d'indépendance, qui a fait apparaître des distinctions et des symboles nationaux lorsqu'il a décidé de faire le drapeau et l'hymne national.

La défense de l'identité par le mouvement révolutionnaire n'a pas démenti son monopole sur la cause. L'argument a été retenu lorsque il a participé à des projets unifiés sur la base de l'identité commune aux courants nationaux malgré la différence des propositions, ainsi qu'aux forces de libération maghrébines.

Le mouvement révolutionnaire est devenu une école dont les autres courants du mouvement national empruntent les termes et les concepts de militantisme. Ainsi, le rôle actif du mouvement révolutionnaire dans la restauration de l'identité de l'État algérien, incite les écoles à suivre sa démarche et à découvrir sa contribution à la sensibilisation, ses efforts pour développer les formes de défense de l'identité en vue de la lutte de libération. où J'ai essayé dans modeste travail de le mettre en évidence, cert le champ de recherche dans ce domaine reste ouvert à l'enrichissement par d'autres affaires sous des angles différents.

ملخص الرسالة بالإنجليزية

Study summary.

It was only natural that nationalism would invoke the heritage and elements of belonging to Arabism and Islam to confront the project of French colonial expansion in Algeria, which tried to confiscate everything, so the Algerian national resistance had its ways of highlighting identity, its options to continue the battle, and included every resistance activity whether it was confrontation, cultural or social action, speech, or any act that has a symbolic connotation related to identity and resistance.

Based on this, we tried to focus this study on the intellectual material related to identity, which was made available from the production of the elite framing the revolutionary current from its establishment in 1926, until 1954, and this material was a tool and a force of the revolutionary current with which it fought its battle to criticize and dismantle the colonial existence in order to restore national sovereignty.

The value of the goal that we want to reach stems from the importance of the subject being treated, and thus studying the role of the revolutionary trend in activating the elements of identity is to know the decisive stage in the contemporary history of Algeria that returned Algeria to its natural place, and thus this topic is of great importance by addressing the issue of identity in discourse and texts revolutionary current.

Based on the foregoing, the results of the study concluded to confirm that the revolutionary current was able to destroy with merit and merit the leadership of the national movement, and gradually impose itself on the national arena that its line is the only and sound way to liberation, after it built its strategy on not tolerating or compromising within the limits of its general principles that it set For himself, namely identity and independence, he absolutely rejected naturalization and integration, in addition to that, and based on the demand for independence, he showed the features of differentiation and national symbols when he adopted the flag, anthem and patriots.

The revolutionary current's defense of identity did not negate its monopoly on the issue, it made the argument when it participated in unitary projects on the basis of a common identity with the national currents despite the differences and differences in proposals, as well as with the Maghreb forces of liberation, and the revolutionary current became a school from which other currents of the national movement borrow their terms and concepts of struggle, and we believe that the active role of the revolutionary current in restoring the identity of the Algerian state, tempts the student to follow its path to discover its contributions to the revitalization of consciousness, and its efforts to develop forms of defense of the Algerian state. Identity in preparation for the liberation battle, and I have tried in this work to highlight this, and the field of research on this topic remains open for enrichment through other issues and problems from different angles.

People's Democratic Republic of Algeria
Ministry Of Higher Education And Scientific Research

Emir Abdelkader University
Of Islamic Sciences- Constantine
Serial Number.....
Registration Number.....



Arts And Islamic Civilisation Faculty
Department Of History

***Identity In The Discourse Of The Revolutionary
Independence Movement In Algeria (1926-1954)***

***thesis Doctorate L M D Human Sciences - History
specialty: modern and contemporary history of Algeria***

Presented by :
AMAR HAMDI

supervision of professor dr :
AHMED SARRI

Member of the Discussion Committee

Name & surname	Rank	The original university	Character
Muhammad oudjertni	Lecturer A	Emir Abdelkader University Of Islamic Sciences- Constantine	President
AHMED SARRI	professor dr	Larbi Ben M'hidi University - Oum El Bouaghi	Supervisor.& Rapporteur
Kamāl Bayram	Professor dr	Mohamed Boudiaf University- M'sila	Examiner
abdelouahid djelama	Lecturer A	Larbi Ben M'hidi University - Oum El Bouaghi	Examiner
Hanene latreche	Lecturer A	Emir Abdelkader University Of Islamic Sciences- Constantine	Examiner
aida habbati	Lecturer A	Emir Abdelkader University Of Islamic Sciences- Constantine	Examiner

Universitvvear: 1445-1446 Hiiri / 2023 – 2024